

د. ناصر محيي الدين ملوحي

اللغة العربية

أصل

اللغات العالمية



التعليم والتثقيف والإبداع مستمر لسمو العمرانية والعالمية والكونية

Mallouhi For Medical & Scientific Research (MSR)

طبعة ثانية معدلة

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

صفحة قرآنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾

النحل، ١٠٣.

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

يوسف، ١.

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَأْنِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

الروم، ٢٢.

﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾

الزمر، ٢٨.

﴿ كِتَابٌ فَصَّلْتِ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾

فصلت، ٣.

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾

فصلت، ٤٤.

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾

الرعد، ٣٧.

﴿ وَمَنْ قَبْلَهُ كِتَابٌ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾

الأحقاف، ١٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحاديث نبوية شريفة

قال رسول الله (ﷺ):

(أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي، والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة عربي)

يقول (ﷺ): (أيها الناس إن الرب واحد والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب أو أم وإنما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي).

يقول رسول (ﷺ): (خلق كلهم عيال الله، وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله).

وجاء في الذكر الحكيم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات، ١٣.

وترتبط التقوى بالعمل الصالح المرتبط بدوره بها وبالعلم والعقل والعدالة والأخلاق والعمل النافع دين ودنيا (نجاح محمد: (المسيرة التاريخية للتمايز بين المرأة والرجل)، مجلة الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٣١٤، ص ٧٢ - ٩٢).

جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة، ٢٥٦.

﴿وَجَادِثُهُمْ بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل، ١٢٥.

﴿أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ الشورى، ١٣.

وجاء في الحديث الشريف:

(اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد)

(إنما الدين المعاملة)

(إنما يرتفع العباد غداً في درجاتهم وينالون من الزلفى من ربهم على قدر عقولهم)

(أَوَّلُ مَنْ فَتِحَ لِسَانُهُ بِالْعَرَبِيَّةِ الْمُبَيَّنَّةِ إِسْمَاعِيلُ، وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ عَشْرَةَ سَنَةً)^١

١ - رواه الألباني، في صحيح الجامع، عن علي بن أبي طالب، الصفحة أو الرقم: ٢٥٨١، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

المحتوى

٢	صفحة قرآنية.....
٣	أحاديث نبوية شريفة.....
٤	المحتوى.....
١٨	المقدمة.....
٢٧	تمهيد.....
٢٨	أهم اللغات الاستراتيجية الحيوية في العالم.....
٢٩	إرهاب (الحضارة) الغربية في تزوير التاريخ البشري.....
٣٠	- اللغة العربية السورية لغة آدم عليه السلام:.....
٣١	- نكوص الإنسان الغربي إلى العصر الحجري:.....
٣٣	نماذج من الإرهاب الكارثي الأوروبي الأميركي.....
٣٧	حرب المصطلحات، الحرب الثقافية النفسية.....
٤٠	تجارة مكافحة الإرهاب رابحة جداً.....
٤٢	نحو معالجة أزمات الأمة.....
٤٣	الوحدة الوطنية.. مطلب حضاري استراتيجي.....
٤٨	عودة الكافيار.....
٤٩	الأعاريب.. أبازيغ وأمازيغ.....
٥١	دعوة أبي الحسن عليٍّ للعُرُوبية.....
٥٢	معنى كلمة عربي.....
٥٤	- اللغة المصرية القديمة عربية المنشأ:.....
٥٦	العرب السوريون هم المعلمون للعالم (اللغة العربية أصل اللغات العالمية).....
٥٨	- الحروف الفينيقية العربية:.....
٥٨	- الهيروغليفية:.....
٥٩	بدايات اللغة الطبيعية.....
٦٠	- الأصل التشريحي للغة:.....
٦٠	- نظرية التعاون المتبادل في أصل وتطور اللغة:.....
٦٢	البعد اللغوي العربي في القرآن الكريم.....
٦٤	اللغة التي تكلم بها آدم.....
٦٩	أصول اللغات العالمية اختراع عربي.....
٧٢	اللغة العربية والعصرنة.....
٧٢	- ومن الحقائق التي تؤكد هذا المعطى:.....

- ما العربية المعاصرة؟ ٧٢
- تحديات العصرية: ٧٤
- التدريس المتواصل: ٧٥
- المصطلح العلمي: ٧٦
- الإعلام والمحيط: ٧٧
- المعلوماتية: ٧٧
- عوامل مواكبة العربية لمستجدات العصرية: ٧٨
- ثراء الرصيد المفرداتي: ٧٨
- تعدد آليات التوليد: ٧٨
- الإمكانيات العلمية: ٧٩
- قوة اللغة العربية في المستقبل ٨٠
- علاقة لغوية متوترة: ٨٠
- التاريخ الحاضر: ٨١
- المعرفة وعلوم اللسان: ٨٢
- العربية وجهازها النحوي: ٨٣
- الكتابة بالفصحى موقف حضاري ٨٥
- لسان الضاد ٨٧
- دراسة في معجم وصرف اللغة الإيبيلية ٨٩
- مصارحة: ٨٩
- خلاصة دراسة جوزيف: ٨٩
- اللسان العربي طبيعي (فلسفة الأرسوزي اللغوية) ٩٣
- اللغة العربية طبيعية: ٩٣
- الصوت والمعنى في اللغة العربية: ٩٤
- بنية اللغة العربية: ٩٤
- اللسان العربي البدائي و البدئي: ٩٦
- العربية هي أم اللغات !! ٩٨
- الفينيقية.. عربية: ٩٩
- حروف وأرقام: ١٠٠
- الأبجدية وألفبائية: ١٠٣
- تاريخ التدوين الموسيقي: ١٠٥
- مجموعة القلب: ١٠٦

- ١٠٧..... آراء ومحاولات: -
- ١٠٨..... نماذج عربية شعبية مضحكة مبكية.....
- ١٠٩..... توضيح وتعريف.. عروبي هو عربي.....
- ١٠٩..... شعوب ولغات عروبية: -
- ١١٠..... الدولة العربية السورية: -
- ١١٣..... أكنوبة الأرية وتلفيق السامية استعمارياً.....
- ١١٧..... شتان بين الثرى والثريلا.....
- ١١٨..... تشويه لغوي مقصود في التوراة.....
- ١٢٠..... اللاسامية.. صناعة تلفيقية غبية يهودية.....
- ١٢٥..... التلوث اللغوي.....
- ١٢٩..... أزمة اللغة العربية.....
- ١٣١..... عجز مزيف يعكس تخلفنا.....
- ١٣٣..... بداية التعريب.....
- ١٣٤..... اللغات الأم في مواجهة ثقافة العولمة.....
- ١٣٤..... آثار الغزو الثقافي على لغتنا العربية.....
- ١٣٤..... أساليب مواجهة الغزو اللغوي.....
- ١٣٦..... التعريب في مواجهة الغزو الثقافي واللغوي.....
- ١٤٢..... ضرورة التعريب العلمي.....
- ١٤٥..... الإسلام منطلق العلم والبحث.....
- ١٤٦..... الحضارة العربية الإسلامية مرتكز الحضارة المعاصرة.....
- ١٥٠..... أزمة المصطلحات الشاملة (السياسة والإنسان والعالم).....
- ١٥٠..... أزمة المصطلحات لماذا؟.....
- ١٥١..... تلازم المفهوم السياسي بالتاريخي:.....
- ١٥١..... أزمة المصطلحات تعكس الأزمة الحضارية وليس اللغوية:.....
- ١٥٣..... مفهوم السياسة لغوياً واصطلاحياً:.....
- ١٥٤..... الأسرة هي منطلق السياسة:.....
- ١٥٥..... أهداف السياسة:.....
- ١٥٥..... تلازم الجهاد والتحرير مع المشروع النهضوي العربي الإسلامي:.....
- ١٥٦..... عولمة ووحشية الحضارة الأوروبية الأمريكية الصهيونية:.....
- ١٥٨..... الحضارة الغربية المريضة لا تفهم سوى لغة القوة:.....
- ١٥٨..... كل ما نفعله في حياتنا سياسة:.....

- السياسة ومسؤولية الواقع العربي الراهن:..... ١٥٨
- جدلية العلاقة بين المفهوم السياسي والحياتي العام:..... ١٥٩
- ضرورة مساهمة الجميع في صنع السياسة:..... ١٦٠
- درجة المسؤولية مرتبطة طردياً بدرجة المعرفة:..... ١٦٠
- درجة المسؤولية مرتبطة طردياً بدرجة صنع القرار:..... ١٦١
- السياسة الإيجابية قوة معمرة والسياسة السلبية قوة مخربة:..... ١٦١
- الخلاصة المعبرة (كلنا مسؤولون):..... ١٦٢
- آراء الخبراء..... ١٦٣
- الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي..... ١٦٤
- خبرة المؤرخ الغربي واشنطن أرفينغ من خلال كتابه الحمراء..... ١٧١
- (الحضارة العربية في الأندلس وأثارها في الثقافة لإسبانية)..... ١٧١
- مدخل تاريخي: ١٧١
- كتاب الحمراء: ١٧٢
- حضارة العرب: ١٧٣
- الآثار: ١٧٥
- الخاتمة: ١٨١
- آراء الخبراء ١٨٢
- الفلسفة القديمة العروبية الشرقية وأثرها على الفلسفة اليونانية..... ١٨٣
- حضارة بلاد الرافدين (سومر- بابل- آشور):..... ١٨٤
- خرافة التصنيف العرقي الكاذب.. (آريون وساميون):..... ١٨٤
- انهيار نظرية التفرقة الملفقة بين ساميين وآريين:..... ١٨٥
- قوة اللغة العربية..... ١٨٦
- علم اللغات المقارن (عالمية وأفضلية اللغة العربية)..... ١٨٧
- عالمية الإسلام.. عالمية اللغة العربية:..... ١٨٧
- اللغات الغروية اللاصقة ولغات النحت (اللغة العربية):..... ١٨٨
- ضبط اللفظ للحرف في اللغة العربية وبقية اللغات:..... ١٨٨
- قواعد النحو والصرف:..... ١٨٩
- مرونة وسهولة اللغة العربية:..... ١٨٩
- الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة:..... ١٩٠
- انتشار اللغة العربية في الصين العالم الصيني المسلم ياسين يانغ شياو بو..... ١٩٣
- صعود وانتشار اللغة العربية في شبه القارة الهندية..... ٢٠١

٢٠٢.....	جمالية اللغة العربية خطابةً.....
٢٠٣.....	جمالية اللغة العربية مقالةً.....
٢٠٨.....	دراسات تشريحية .. مقارنة للكتابة العربية القديمة وخطوطها ورسومها ومقارنتها مع كتابات عالمية.....
٢١٤.....	قدسية ومكانة الخط العربي.....
٢١٥.....	جمالية الخط العربي.....
٢١٨.....	التعبير عن الحروف العربية بالحروف اللاتينية عند مستعربي ومستشركي أوروبا.....
٢٢٠.....	مستقبل اللغة العربية.....
٢٢١.....	حيوية وضرورة التنوع اللغوي العالمي.....
٢٢٢.....	- آليات انقراض اللغات:.....
٢٢٤.....	- في عصر عولمة الغرب:.....
٢٢٦.....	فصائل اللغات البشرية.....
٢٢٦.....	- اللغة العربية أقدم اللغات:.....
٢٢٧.....	- فصائل اللغات الأخرى وهي:.....
٢٢٩.....	تشرح فلسفي مقارن للغة العربية وبقية اللغات.....
٢٢٩.....	- المثالية الغربية والمثالية العربية:.....
٢٣٠.....	- شهادة الفكرة أصدق من شهادة الحس:.....
٢٣١.....	- جوانية اللغة العربية:.....
٢٣٢.....	- الصدارة للمعنى:.....
٢٣٣.....	- حركية اللغة العربية:.....
٢٣٤.....	- تلك بعض سمات اللغة العربية:.....
٢٣٤.....	- وعزة العروبة في المحافظة على الميزات التي تميزت بها لغة العرب:.....
٢٣٦.....	اللغة الفرنسية.. لغة عروبية.....
٢٤٦.....	لا وجود للغة (عبرية) في التاريخ ولغة التوراة هي مزيج من اللغات الكنعانية والآرامية.....
٢٥١.....	لغات عروبية وليست سامية.....
٢٥١.....	- اللغة العربية لغة الإنسان العاقل والمفكر والمتحضر.....
٢٥٥.....	قدموس العربي الفينيقي معلم اليونانيين القراءة والكتابة.....
٢٥٦.....	معظم اللغة الأسبانية مشتقة من اللغة العربية.....
٢٥٧.....	جداول لغوية مقارنة تؤكد اشتقاق اللغات من اللغة العربية (دراسات لغوية عالمية مقارنة).....
٢٦٤.....	أصول الأبجديات.....
٢٦٥.....	الطابور الخامس.....
٢٦٥.....	- كلمة للأفغاني:.....
٢٦٥.....	- كلمة الشيخ المجاهد ابن باديس:.....

- ٢٦٦ - كلمة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب:
- ٢٦٧..... الطابور الخامس في الجامعة الأمريكية في القاهرة مؤتمر الشباب (العربي القومي) مع حقوق الشواذ
- ٢٦٩..... المستعمرون واللغة العربية الفصحى.....
- ٢٦٩ - تشوه مقصود اللغة العربية إعلامياً:
- ٢٧٠ - التغريب:
- ٢٧٠ - شيوع وغموض:
- ٢٧١ - المركز والهامش !.....
- ٢٧١ - جانب من دور الاستشراق:
- ٢٧٢ - التحديث:
- ٢٧٣ - دوائر الولاء:
- ٢٧٣ - الميراث والحقيقة:
- ٢٧٤ - جهد على الجبهة الحضارية:
- نماذج من الغباء الحاقد الأوروبي والتبعية الغبية في الطابور الخامس في موقع الهجوم على اللغة العربية
- ٢٧٦..... العظمى.....
- ٢٧٧ - نموذج على الغباء والحقد الأوروبي:
- ٢٨٠ - أنصار الفصحى:
- ٢٨٣..... الصفعات للحاقدين على اللغة العربية الفصحى.....
- ٢٨٥..... الدفاع عن اللغة العربية هو الدفاع عن الوطن والأمة.....
- ٢٨٧..... العرب.. مادة الإسلام.....
- ٢٨٩..... استهزاء اللغة العربية واجب ديني وحضاري.....
- ٢٩٠ - مفهوم اللغة:
- ٢٩١ - القدرات البنيوية والحضارية للغة العربية:
- ٢٩٢..... تقدير معنى الكلمة في اللغة.....
- ٢٩٣..... تعلم اللغة العربية وتعليمها.....
- ٢٩٥..... نماذج تطبيقية من غنى اللغة العربية.....
- ٢٩٥..... في التعبير عن الظواهر الحياتية والكونية.....
- ٢٩٥ - ساعات الليل والنهار:
- ٢٩٥ - معاني المرض:
- ٢٩٦..... التطبيقات العلمية والتقنية في اللغة العربية.....
- ٢٩٦ - مظاهر الاستخدام العلمي للغة العربية:
- ٢٩٩..... العربي مربى ومعلم للأوروبيين.....

- لامية الشنفرى..... ٣٠٢
- بائية الهوارى..... ٣٠٢
- ضرورة تعريب العلوم كافة في جميع مراحل التعليم..... ٣٠٤
- توصيات: ٣٠٥
- حلول مقترحة: ٣٠٧
- المبدعون العرب.. عبد المعين ملوحي عميد الأدب العربى فى النقد الفلسفى..... ٣٠٨
- دفاع عن اللغة والتراث العربى عند الكاتب..... ٣١١
- عبد المعين الملوحي..... ٣١١
- لغة محمد ﷺ لا لغة سيويه:..... ٣١١
- اللغة العربية لغة العلم:..... ٣١٢
- اللغة العربية.. لغة عالمية وكونية:..... ٣١٢
- المبدعون العرب.. الشاعر عبد الهادى الملوحي ألم وأمل.. ديوان شعري..... ٣١٣
- الشيخ زكريا الملوحي..... ٣١٥
- أهمية التعريب وبنى اللغة العربية..... ٣١٦
- أولاً إلى "تعريب" العلم:..... ٣١٦
- بدايات التعريب:..... ٣١٧
- إجهاض التجربة:..... ٣١٧
- الخوف من التعريب جهل مريب:..... ٣١٩
- وهم يجب كشفه:..... ٣٢٠
- التعريب المفقود:..... ٣٢٠
- ضرورة تطوير اللغة العربية..... ٣٢٢
- الاهتمام باللغة العربية واجب وطنى وقومى وعالمى..... ٣٢٢
- علم العروض العربى الرقى الرياضى..... ٣٢٤
- والعروض الرقى صلة وصل بتفكير الخليل..... ٣٢٤
- وهنا تقديم موجز لهذه الطريقة كما يلى:..... ٣٢٥
- ولتسهيل الإحساس بالعروض رقمياً أسوق ما يلى:..... ٣٢٦
- فى ثبات الوزن الرقى وتغير طرق التعبير بالتفاعيل:..... ٣٢٦
- لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية؟..... ٣٢٩
- القرآن الكريم عامل وحدة لغوية عربية:..... ٣٣٠
- عالمية لغة القرآن الكريم:..... ٣٣١
- لماذا نزل القرآن الكريم بلغة العرب؟..... ٣٣٢

٣٣٤	ترجمة القرآن الكريم إلى ٣٠ لغة.....
٣٣٦	اللغة العربية وانتشار الإسلام عالمياً.....
٣٣٧	محورية النص القرآني في ثقافتنا وديننا.....
٣٣٨	واجب علماء العرب والمسلمين في تطوير اللغة العربية.....
٣٣٨	د. فاروق الباز.....
٣٣٨	- أولاً- التفاني في العمل:.....
٣٣٨	- ثانياً- إبراز الوجه الحقيقي للإسلام:.....
٣٣٩	- ثالثاً- تمثيل حلقة الوصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية:.....
٣٤٠	د.مصطفى شاهين.....
٣٤١	العالم الباحث الدكتور أحمد زويل.....
٣٤٢	علم الأتوثانية (فيزياء الأتوثانية).....
٣٤٤	الباحث المبدع منير نايفة.. عالم عربي حرك الذرات.....
٣٤٥	علي مصطفى مشرفة.....
٣٤٧	العالملة المبدعة..سميرة موسى.....
٣٤٨	العالم الباحث الدكتور مصطفى السيد.....
٣٥١	المبدعون العرب.. الدكتور المهندس سعيد السيد بدير الإبداع في التكنولوجيا الفضائية.....
٣٥٣	المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني الإبداع في طب المخ والأعصاب.....
٣٥٥	العالم العربي حسن كامل الصباح(ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً).....
٣٥٨	قوة التفكير قوة حضارية منتجة.....
٣٦٠	- الفكر الإيجابي يعطي:.....
٣٦٠	- المفاتيح العشر للنجاح:.....
٣٦٢	ضرورة تعليم اللغة العربية للجنين والطفل.....
٣٦٥	المراكز العصبية اللغوية المرسلة والمستقبلة.....
٣٦٦	عجبت لمن يدعي العلم، ويجهل اللغة العربية الفصحى.....
٣٦٧	تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها.....
٣٦٧	- التعارف البشري والثقاف اللغوي:.....
٣٦٩	- ضرورة وحيوية إبتكار تقنية التخاطب اللغوي بين الكائنات الحية والجماد:.....
٣٧٢	- قدرة العقل البشري على التطور والتقدم والابتكار في جميع مجالات العلوم والمعارف البشرية.....
٣٧٦	- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.. الواقع والآفاق.....
٣٧٧	- أهم الأسباب التي تدعو إلى الإقبال على تعلم العربية:.....
٣٧٩	اللغة العربية لغة الحياة والكون.....
٣٨٣	الأصل العربي للأرقام العالمية ومعناها اللغوي العربي.....

- ٣٨٤..... أنساب إبراهيم.....
- ٣٨٥..... اللغات السامية الحامية.....
- ٣٨٧..... التعريب اللفظي الأبجدي والنصي للغة الإنكليزية.....
- ٣٨٨ - ترجمة أبجدية عربية لفظية للحروف الإنكليزية.....
- ٣٨٨ - ترجمة أبجدية عربية لفظية للمقاطع الصوتية الإنكليزية.....
- ٣٨٩ - الترجمة الأبجدية العربية اللفظية للأحرف الصوتية الإنكليزية.....
- ٣٨٩ - جدول الأحرف الساكنة.....
- ٣٩٠ - الأفعال.....
- ٣٩٠ - الأعداد الأصلية.....
- ٣٩١ - أمثلة عن التعريب اللفظي للغة الإنكليزية.....
- ٣٩١ - تجربة نقل المعارف العربية والإسلامية من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية:.....
- ٣٩٣..... أهمية حوار الثقافات واللغات.....
- ٣٩٤..... تاريخ يهودي..عابرومزور.....
- ٣٩٥ - إذن التاريخ اليهودي..مزور:.....
- ٣٩٥ - بطلان العهد القديم..علمياً وتاريخياً:.....
- ٣٩٧..... النبي إسماعيل عليه السلام..عربي.....
- ٣٩٩..... التوراة..اختراع بشري.....
- ٤٠٠..... السرقات اليهودية من اللغة الكنعانية.....
- ٤٠٢ - مثال على سخافة علمية أمريكا في معجم وبستر:.....
- ٤٠٣ - بابل والإفساد اليهودي:.....
- ٤٠٧..... خرافة العداء للسامية.....
- ٤٠٨..... فقه اللغة التاريخي المقارن.....
- ٤٠٨ - اللغات العالمية مصدرها اللغة العروبية القديمة:.....
- ٤٠٩ - وتنقسم اللغات العروبية بصفة عامة إلى مجموعات على النحو التالي:.....
- ٤١١ - الخصائص المشتركة بين اللغات العروبية:.....
- ٤١٣..... اللغة العربية أم اللغات.....
- ٤١٤..... انتفاضة الأقصى.. رجاء العرب والمسلمين (إلى أبطال انتفاضة الأقصى).....
- ٤١٦..... اللغة العربية.....
- ٤١٦ - اللغة وظهور الإدراك البشري:.....
- ٤١٦ - كل محاولة لاستبدال الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية مقتضى عليها بالإخفاق:.....
- ٤١٦ - اللغة العربية مصدر اللغات العالمية:.....

- ٤١٧..... - في القرآن من كل لسان:
- ٤١٧..... - سعة اللغة العربية:
- ٤١٨..... عروبي وليس سامي
- ٤١٨..... - المستشرقون الحاقدون الكذابون:
- ٤١٩..... - شرح خلق الإنسان في التوراة:
- ٤٢٠..... تصحيح معاني المصطلحات المعاصرة للديمقراطية
- ٤٢٣..... أوروبا.. كيف تحضرت قديماً واحتضرت حديثاً
- ٤٢٧..... تصحيح المفاهيم المعاصرة
- ٤٢٧..... - تزوير التاريخ عمداً في الغرب:
- ٤٣١..... اللغة العربية هي الأم لجميع اللغات
- ٤٣٣..... مرونة اللغة العربية وقدرتها على التطور والاشتقاق
- ٤٣٤..... تشابه حركات الحروف في الأبجديات
- ٤٣٥..... الجذور العربية
- ٤٣٥..... - ماري والإرث الثقافي العربي الشامل:
- ٤٣٦..... أصول السمو الثقافي
- ٤٣٧..... اللغة هي عالمي وهويتي
- ٤٣٧..... - مفهوم الهوية:
- ٤٣٨..... ظاهرة الاستخدام اللغوي المزدوج للغة العربية
- ٤٣٨..... في الأندلس
- ٤٣٨..... - ألا يضعف الاستخدام اللغوي المزدوج للغة العربية في الأندلس؟
- ٤٣٩..... أكاذيب وأساطير التوراة
- ٤٤١..... علم اللغات المقارن يؤكد.. اللغة العربية هي اللغة الأم
- ٤٤٤..... - أمثلة الألفاظ العامة المشتركة بين الأكادية (البابلية الآشورية) والعربية
- ٤٤٤..... - أمثلة الألفاظ العامة المشتركة بين الأوغاريتية والعربية
- ٤٤٨..... - دوائر الآرامية في اللغة المحكية
- ٤٥١..... اللغة العربية.. لغة البشرية وأم اللغات العالمية
- ٤٥٣..... التوحيد في اللغة.. توحيد في الثقافة
- ٤٥٤..... قدم اللغة العربية وعراقتها(اللغة العربية أقدم اللغات الحية)
- ٤٥٤..... - الأبحاث اللغوية للأستاذ العقاد المؤكدة على أصالة العربية:
- ٤٥٦..... رفقا بالغة العربية
- ٤٥٧..... هيمنة اللغة في عصر العولمة
- ٤٥٨..... لا خوف على الفصحى

- اللغة العربية.. حياة الأمة العربية..... ٤٦٠
- مؤتمر فيينا.. أهمية دراسة اللغة العربية وآدابها:..... ٤٦١
- وظيفة اللغة في التنمية الاقتصادية:..... ٤٦٢
- دور اللغة الوطنية الاقتصادي والاجتماعي يوازي دور النقد (العملة):..... ٤٦٢
- دور الذخيرتين اللغوية والتقنية في خلق بيئة إبداع..... ٤٦٤
- أول جهاز استقبال رقمي يدعم اللغة العربية..... ٤٦٦
- نظرية النمو الجديدة في شكلها المبسط..... ٤٦٧
- النظرية التقليدية:..... ٤٦٧
- نهضة الثقافة الإسلامية وتحديثها..... ٤٦٩
- في رحاب الكتابة العلمية باللغة العربية..... ٤٧١
- ومن التوصيات المهمة:..... ٤٧٢
- خصائص الكتابة العلمية:..... ٤٧٤
- العربية في سوق اللغات..... ٤٧٦
- أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى توضع قبل اللغة الفارسية..... ٤٨٠
- تأثير العربية باللغات الرومانية القديمة..... ٤٨١
- تأثير اللغة العربية على اللغات العالمية..... ٤٨٢
- لوثة الإفرنج على اللغة..... ٤٨٣
- نصف قرن مع العربي..... ٤٨٤
- العربية بين العامية والفصحى..... ٤٨٥
- الفصحى خير وسيلة للتعبير!!..... ٤٨٥
- الفهم المتبادل:..... ٤٨٦
- الطريق إلى التواصل:..... ٤٨٦
- إلى العربية من جديد هذه هي لغتكم..... ٤٨٧
- من خصائص العربية..... ٤٨٩
- صفات اللغة العربية..... ٤٩٠
- اللهجات في اللغة..... ٤٩١
- قول الزيات:..... ٤٩٣
- أصل اللغة والحرفية..... ٤٩٤
- القومية العربية.. بالمفهوم العلمي والثوري..... ٤٩٥
- هذا الوطن:..... ٤٩٥
- تلك بوّز حضارية:..... ٤٩٦
- تعريف القومية وما آلت إليه:..... ٤٩٧

- ٥٠٤..... - الأقليات:
- ٥٠٤..... - الشعبية:
- ٥٠٥..... - كيف تحقق الوحدة؟ وما هي سمات الوحدويين؟
- ٥٠٨..... اللغات السورية القديمة.....
- ٥١١..... الأبجدية الفينيقية في التاريخ.....
- ٥١٢..... الثقافة الحية.....
- ٥١٤..... البداية والنهاية.....
- ٥١٦..... لغتنا العربية هويتنا.. فلنحافظ عليها.....
- ٥١٩..... أبجدية أوغاريت.....
- ٥٢٠..... قوة الأمة من قوة لغتها.....
- ٥٢٠..... - الهوية واللغة:
- ٥٢٠..... - اللغة أسباب وحاجات:
- ٥٢١..... - اللغة وعلوم النفس:
- ٥٢٢..... - عالمية اللغة العربية:
- ٥٣٠..... واجبنا تجاه لغتنا.....
- ٥٣١..... العربية قبل الإسلام.....
- ٥٣٢..... - عجلة تاريخية:
- ٥٣٤..... - نماذج من الكتابات الجنوبية اليمنية:
- ٥٣٩..... - نتائج واستخلاصات:
- ٥٤٠..... من هم الأوائل في معرفة حروف الهجاء؟.....
- ٥٤٠..... - الكنعانيون ودورهم الطبيعي في التقدم الحضاري:
- ٥٤٢..... - الأبجدية الفينيقية.. أم الأبجديات؟.....
- ٥٤٣..... - الآراء أو النظريات التي قبلت في أصل الحروف الهجائية:
- ٥٥٠..... اللغة العربية أم لغوية للغات السومرية.....
- ٥٥١..... اللغة العربية.. لغة أدب وعلوم وعقيدة.....
- ٥٥٤..... اللغة العربية في قفزاتها التاريخية.....
- ٥٥٤..... - فجر اللغة العربية:
- ٥٥٤..... - سمات اللغة العربية القديمة:
- ٥٥٤..... - تفوق العربية.. على اللغات العروبية القديمة:
- ٥٥٥..... - الإعراب والمتفردات في العربية:
- ٥٥٥..... - الاشتقاق:
- ٥٥٥..... - تفاعل العربية بغيرها.. قبيل الإسلام:

- ٥٥٥.....بواكير التراث العربي:.....
- ٥٥٦.....خارطة وجود الشعر الجاهلي:.....
- ٥٥٦.....الشعر الجاهلي، صورته عن واقع أبنائه:.....
- ٥٥٦.....للقصيدة الجاهلية نهج وشخصية:.....
- ٥٥٧.....هبة السماء للعربية:.....
- ٥٥٧.....القرآن الكريم.. يتوج الفصاحة العربية:.....
- ٥٥٨.....الإسلام.. يفجر بناييع العربية:.....
- ٥٥٩.....تمدد اللغة العربية وانتشارها.. مع الفتح الإسلامي:.....
- ٥٥٩.....حضارات العالم.. تنتقل إلى العرب:.....
- ٥٥٩.....العربية الجديدة تلي حاجات الحضارة:.....
- ٥٦٠.....قوة العربية.. بقوة أهلها:.....
- ٥٦٢.....اللغة.. الكتاب.. ألق التاريخ.. وأزمة الحاضر.....
- ٥٧٠.....الغزالي وعلم النفس الإسلامي.....
- ٥٧٩.....ابن رشد بين الغزالي والأكويني.....
- ٥٨٠.....- ابن رشد وفلسفته:.....
- ٥٨١.....- فلسفة ابن رشد:.....
- ٥٨١.....- أما ثالوث الفلسفة الرشدية فيتأسس على:.....
- ٥٨٢.....- توما الأكويني حجة لاهوتية وموسوعة فلسفية:.....
- ٥٨٤.....معركة بواتيه.....
- ٥٨٦.....التحليق في أفريقيا.....
- ٥٨٩.....المحكيات الرقمية العربية في الفضاء الكوني واللغة العربية.....
- ٥٩٣.....اللغة العربية والتحديات الراهنة.. اللغة والإعلام.....
- ٥٩٩.....ترتيب لغات العالم حالياً من حيث الانتشار.....
- ٦٠١.....ختم (منتظر الزيدي).....
- ٦٠٢.....﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.....
- ٦٠٣.....ملحق.. لمحة عن بعض الكتب المنشورة.....
- ٦٠٣.....التقدم نحو الإسلام.....
- ٦٠٤.....التوحيد.. فطرة عمرانية وضرورة علمية.....
- ٦٠٥.....تأملات، رصد تاريخ وحاضر ومستقبل الكوكب الأرضي.....
- ٦٠٧.....أزمة العلم المعاصر.....
- ٦٠٨.....الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية.....
- ٦٠٩.....النظرية الحلزونية الكونية التوحيدية (رؤية جديدة لواقع ومستقبل العلوم).....

- ٦١٢.....الشورى أعلى مراحل الديمقراطية.....
- ٦١٣.....تكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم.....
- ٦١٣.....تاريخ العلم.. وجيز التاريخ العلمي البشري.....
- ٦١٤.....عروبي وليس سامي.....
- ٦١٦.....الأناجيل والرسائل.. قراءة نقدية إنسانية ورؤية استراتيجية عمرانية.....
- ٦١٨.....تصحيح جغرافية التوراة والإنجيل (أطلس الكتاب المقدس الصحيح).....
- ٦٢١.....المبدعون العرب.. الدكتور المهندس سعيد السيد بدير الإبداع في التكنولوجيا الفضائية.....
- ٦٢٢.....المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني الإبداع في طب المخ والأعصاب.....
- ٦٢٣.....العالم العربي حسن كامل الصباح (ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً).....
- ٦٢٤.....كتب للمؤلف.....
- ٦٢٨.....- الكتب المترجمة للمؤلف إلى اللغة الإنكليزية.....
- ٦٢٨.....- تقديم ومراجعة كتب.....
- ٦٢٩.....- من إصدارات دار الغسق للنشر.....
- ٦٢٩.....- من إصدارات دار الغسق للنشر (تحت الاعداد والطبع).....



المقدمة

﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾

النحل، ١٠٣.

لا تتركوا مستحيلاً في استحالتِهِ

حتى يُمِيطَ لكم عن وجهِ إمكانِ

وقال الشاعر عمر أبو ريشة:

شرف الوثبة أن ترضي العلا

غُلب الوائب أم لم يُغلبِ

وقال الشاعر محمد إقبال:

أحبُّ احتراقي بنار اشتياقي

ولا أرتضي عيشة الخاملين

فناء الفراشة في النار يعلو

حياة الجبان طوال سنين

نعم إن كتاب الله المكتوب والناطق باللغة العربية الفصيحة يحفظه الله تعالى، وللإسلام رب يحميه، وتلك حماية مطلقة وباقية ما بقي الزمن.

ولكن هذه الحماية المطلقة للإسلام تتحول فيما يتعلق بالمسلمين إلى حماية معلقة على شرط: أن يبادروا هم إلى التحرك والعمل بجدية وفعالية إنتاجية حضارية شاملة في الاتجاه العمراني الواقعي المستقبلي الصحيح.. يتغيرون فيتغير الحاضر والتاريخ ويصنعون المستقبل.

إن الله يدافع فقط عن اللذين آمنوا وجاهدوا واثابوا وصبروا وصابروا وربطوا وعملوا الصالحات، أما القاعدون الخاملون عيلاً على الله فينبغي ألا ينتظروا من الله مدداً، ولن يكون جزاؤهم إلا من جنس ما عملوا.. فالذين يزرعون الحصرم لا يحصدون إلا المر والعلقم..

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۖ ﴾

الزلزلة، ٧-٨.

والله سبحانه: ﴿ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ الرعد، ١١.

تلك كلمة الله للناس، التي لا تخطئ، وذلك أيضاً قانون الانتصار والتقدم في الأرض!^٢
(وأن ليس للإنسان إلا ما سعى).

إن اللغة العربية هي لغة الإنسان العاقل والمفكر والمتحضر والمثقف، وقد أكدت اللغة العلمية الموضوعية الموثقة في أبحاث علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، وبخاصة علوم التاريخ والآثار والأقوام والاجتماع واللغات، حقيقتين تاريخيتين مترابطتين:

الأولى: هي وجود مركز واحد لانطلاق وضخ كل التجمعات الأولى للإنسان العاقل التي شكلت العالم بكل شعوبه وأمه اليوم.

والثانية: هي استحالة أن يكون هذا المركز إلا عربياً وفي المشرق العربي.

ويجزم أحد الآثاريين المتخصصين أنه لم يعد أحد ينكر هذه الحقيقة إلا من كان مدفوعاً باعتبارات حاقدة بعيدة عن البحث العلمي الموضوعي، وذلك لأنها تأكدت استناداً إلى ثلاثة معطيات مثبتة وجوهرية:

- المعطي الأول: هو أن عرب هذا المشرق هم وحدهم أصحاب الوجود التاريخي المستمر للإنسان العاقل ولتجمعاته، بدون أي انقطاع حتى وقتنا الحاضر، ومنذ الإنسان الأول أو آدم.

- والمعطي الثاني: هو أن لغة الحضارات القديمة الأولى هي العربية بلهجتها وكتاباتها المختلفة، وأن هذه اللغة هي متفردة بين كل لغات العالم بكونها اللغة الأم: الأقدم في لهجتها السريانية الأكادية، والأغنى في لهجتها العرباء أي الفصحى، والأكثر حضوراً بتأثيرها الكبير وبمفرداتها في جميع حضارات العالم، من حيث أنها كانت لغة العالم قديماً ووسيطاً وحديثاً، كما إن عدد جذور اللغات الأنكلوسكسونية (١٠٠٠) جذر، وعدد جذور اللغة اللاتينية (٦٠٠) جذر، وعدد جذور اللغة العربية (١٦٠٠٠) جذر، الفرق هو ١٥٠٠٠ جذر، وتحتوي اللغة العربية على ١٢,٣٠٢,٩١٢ كلمة دون تكرار، واللغة الإنكليزية ٦٠٠,٠٠٠ كلمة، واللغة الفرنسية ١٥٠,٠٠٠ كلمة، واللغة الروسية ١٣٠,٠٠٠ كلمة، مما يؤكد كون اللغة العربية هي الأصل والمصدر والأم.

- والمعطي الثالث: هو تفرد العرب في المشرق العربي القديم بالعطاءات الحضارية والعلمية والثقافية والأبجدية واللغوية والرياضية والفلكية والتكنولوجية.. حتى أنهم عرفوا الكهرباء وولدوها من الطاقة المائية والكيميائية وقد اكتشفت تلك المكتسبات الحضارية الراقية عند الحضارات العربية القديمة، قبل أن تبدأ عند جميع الأقوام والشعوب بآلاف السنين، لتكون:

مصر (أم الدنيا)، وبابل هي (الأصول)، ومكة المكرمة (مركز الكون)، وسوريا (مهد الحضارات)..

٢ - عالم المعرفة، الكويت، الإسلام في الصين، فهمي هويدي، ٤٣، ط١، شعبان/رمضان ١٤٠١هـ - يولييه (تموز) ١٩٨١م، ص ٢٥٠ (بتصرف).

والوطن الأم لكل إنسان متمدن، حسب تأكيد الباحث الآثاري أندريه بارو: مدير متحف اللوفر سابقاً، والمتخصص بآثار ماري.

حيث يقول: (إن على كل إنسان متمدن أن يقول إن لي وطنين، وطني الذي أعيش فيه وسوريا) ^٣.
(إن لنا نحن العرب ديناً أنزل على نبي عربي بلغة عربية في أمة عربية ووطن عربي، وهو الدين الوحيد الذي يجمع إلى محامد المسيحية محامد العروبة، وهو الدين الوحيد الذي يؤلف بين الفضائل المتفرعة عن الشجاعة والمتفرعة عن المحبة) ^٤.

وكان يقول: (إنه لولا القرآن لما بقيت العربية)، وكانت العربية عنده (اللغة الخصبية الخلاقة المطواع، لغة أهل الجنة، اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن، اللغة التي ملكت فصحاها ألسنة أفاض الأدب العربي، والفت بين قلوبهم في كل قطر سحيق.

بها التفاهم وبها الألفة وبها الوحدة، فيها القوة فالهيبية فالسلم فالنعيم المقيم..
كل عادل إلى العامية عنها، بشر بها دونها، إنما هو كافر بها وبكم أيها العرب، دساس عليها وعليكم، كائد لها ولكم، عامل على قتلها وقتلكم، فعلموا القرآن والحديث في كل مدارسكم وجامعاتكم لتقوم بالفصحى ألسنتكم، وتتقوى ملكاتكم، ويعلو نفسكم، وتزخر صدوركم بالحكمة، وتشرق رؤوسكم بساخر البيان) ^٥.

إن الحضارات القديمة والمعاصرة والمستقبلية هي عناصر للملحمة الإنسانية منذ فجر التاريخ إلى نهاية الزمن بشكل حلقات مترابطة ومتراكمة توحد المسير التاريخي والواقعي البشري على الكوكب الأرضي مرة نحو السلام والهداية والتعارف الدولي حيث يسير الإنسان باتجاه أحسن تقويم، ومرات نحو الحروب والفتن وقهر البلدان ونهب الخيرات، فيعمل الإنسان باتجاه أسفل سافلين، ولكن تبقى جهود الشعوب والحكماء والعقلاء تصبو إلى السمو والرقي والتعاون العالمي.

ونحن نبحت موضوع الحضارات وتداولها بين الأمم ضمن مشروعنا الفلسفي العمراني التوازني معتمدين على منهجية علمية مرنة في معاملة القضايا الحضارية والأفكار الفلسفية والأهداف الثقافية، بحيث تنوس هذه المنهجية المرنة ما بين الواقعية الاجتماعية الدولية والطموحية الحضارية العمرانية لأننا نشعر ونحس ونعقل بأن البشرية جمعاء تعيش في حالة طوارئ يجب الإسراع في إسعافها وإنقاذها، وعندما نقول بأن الحضارة الغربية

٣- تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الثالث الثانوي الأدبي، وزارة التربية، دمشق، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

٤- مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٢٦ هـ / مارس ٢٠٠٥ م، ذكرى الشاعر القروي عشرون عاماً على الرحيل، ص ١٩٦

٥ - مجلة العربي، م.س، ص ١٩٦ - ١٩٧.

مريضة فلا يعني هذا أننا أصحاب حضارياً وإنما الواقع العالمي والدافع العربي الإسلامي يحتم علينا رفع مستوانا الحضاري والثقافي لكي نحسن التفكير ونجيد التدبير ونقوي مناعتنا بحيث نحرر أنفسنا من التخلف وأرضنا من الاحتلال عندئذ نقوم بدور الري للشعوب المتحضرة أي نقدم لهم المبررات الحياتية الجديدة التي تنتظرها المجتمعات المتقدمة، إذ بمقدار ما نرتفع إلى مستوى الحضارة بمقدار ما نصبح قادرين على نشر الرحمة والعدل والسلام للعالمين لأن حضارة الصاروخ والحاسوب حققت المعجزات في عالم الأشياء ولكنها فقدت السعادة في أعماق النفوس فنجد الإنسان في الدول الصناعية يصبح إما وحشاً مفترساً ينقض على كل ما يستطيع سرقة حتى من أفراد شعبه الذي يحويه أو يصبح حيواناً تائهاً في الخمرات أو مدمناً على المخدرات أو ينتحر على الرغم من كل الضمانات الاجتماعية والمالية التي تقدمها بلاده له أو يتحول إلى إنسان إرهابي مجرم كحال الإرهاب الأمريكي حيث تقرر الإحصائيات الأمريكية إن الولايات المتحدة شهدت منذ عام ١٩٨٠ حتى عام ٢٠٠٠ م حوالي ٣٢٥ حادثاً إرهابياً منها ٢٤٧ حادثاً من الإرهاب الداخلي الأمريكي الصنع و٨٨ حادثاً في الطابع الدولي^٦ بينما نلاحظ الحالة المرضية أكثر على المستوى العالمي فمع نمو العولمة زاد تركيز الثروة واتسعت الفروق بين البشر والدول اتساعاً عظيماً، فهناك ٣٥٨ ملياردير في العالم يمتلكون ثروة تضاهي ما يملكه ٥,٢ مليار من سكان الأرض، وإن ٢٠٪ من دول العالم تستحوذ على ٨٥٪ من الناتج العالمي وعلى ٨٤٪ من التجارة العالمية ويمتلك سكانها ٨٥٪ من مجموع المدخرات العالمية، ف نموذج الحضارة الغربية- وتحليل المؤلفين الأوروبيين أنفسهم- لم يعد صالحاً لبناء المستقبل والدعاية الأوروبية والأمريكية المفرطة لهذا النموذج كانت جزءاً من الحرب الباردة بين الأمم ولهذا يجب وضع هذا النموذج حسب آراء الأوروبيين مارتين وشومان في كتابهما فح العولمة- في متحف الأسلحة القديمة لأنه يعود إلى عصور منقرضة وأدى إلى التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي والانحطاط الثقافي على المستوى العالمي^٧.

إن اعتبار الحضارة الغربية مريضة أتى من الباحثين الأوروبيين والأمريكيين أنفسهم فالأمريكي د. بيلي غراهام في كتابه سلام مع الله يقول: (.. لقد وقعنا أسرى أفكارنا الخاصة مقتنعين بكما لها وصحتها حتى لم يعد ممكناً أن نرى سبب مرضنا وعلاجه.. إن حضارتنا تسير بسرعة هائلة مقتربة من نهايتها ويجب أن نبادر إلى العثور على منفذ إلى النور، دعني أخبرك أين نحن؟ ماذا نحن؟

إننا أناس فارغون، رؤوسنا محشوة بالمعرفة، لكن نفوسنا فارغة وأرواحنا هزيلة..)^٨.

٦- المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، السنة ٤٢، ٤٧٧ع، حزيران ٢٠٠٣، ذرائعية الإرهاب الأمريكي، سمير صالح، ص١٧٤-١٨٧.

٧- فح العولمة، عالم المعرفة الكويتية، ع٢٩٥، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ- أغسطس ٢٠٠٣م، تأليف: هانس- بيتر مارتين، هارالدشومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة: أ.د. رمزي زكي، ص١١-١٢، ٧٤-٧٦.

٨- سلام مع الله، د. بيلي غراهام، تعريب: نجيب جرجور، مراجعة: مظهر الملوح، تقديم: نور الدين العربي، المكتبة الثقافية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٨هـ- ١٩٩٨، ص١٦-١٧.

أما الأمريكي آل جور في كتابه الأرض في الميزان يصف حضارته بأنها اختلت وظائفها وتعيش في أزمة حضارية شاملة^٩ وأمام هذه الأزمة الحضارية نجد أنفسنا في السياق الحياتي والاجتماعي والدولي العام وكأننا في صورة تفاعلات كيميائية لعوامل ثقافية وعناصر حضارية متنوعة تتم في إناء مغلق هو الكرة الأرضية في المجموعة الشمسية وهذا يفرض علينا الإسراع في استنهاض المجتمع والبدء بمشروعنا الحضاري لإنقاذ أنفسنا والعالم بحيث نوجه التفاعلات الحيوية والعلاقات الدولية بين مختلف الأجناس والشعوب والثقافات باتجاه السلام وال عمران والعدل لمنع تدمير الكوكب الأرضي ثم البدء التمهيدي التكويني للانطلاق الكوني لجعل الحياة البشرية متعددة الكواكب، فنحن شهداء على الناس عندما نكون بالمستوى الحضاري الرفيع بحيث نمتلك رسالة إنسانية وأمانة كونية لنحقق الرحمة للعالمين .^{١٠}

واعتمدنا في دراستنا وبحثنا في هذا الكتاب على مناهج علمية موضوعية متعددة ومتنوعة ومعتمدة في علم اللغات المقارن والتاريخ البشري وعلم الأديان والفلسفات المقارن.. وأهمها:

١- منهج ما لا يعقل، لا وجه للمحاجة في إبطاله: كعقيدة التثليث وتأليه المسيح أو غيره من البشر أو البقر أو الشجر أو الحجر..، أو اعتبار (الحضارة) الأوروبية الأميركية الرأسمالية والشيوعية والوثنية ومرتزقتهم متقدمة إنسانياً وثقافياً وفلسفياً، وهي بالأصل جلبت الخراب والإرهاب والتلوث والدمار للكوكب الأرضي وقتلت أكثر من مليار إنسان خلال خمسمائة عام الماضية، بمئات الحروب والفتن والكوارث والفوضى والاستخراب (الاستعمار)..، أو مقولة بأن اللغة الفرنسية مستقبل، وهي لغة تنقرض تدريجياً حتى في فرنسا، وتشبه لغات ولهجات القبائل الإفريقية التي تنقرض يومياً، وتلك المسلمات السابقة هي باطلة أصلاً لأنها تدخل ضمن اللامعقول واللامنطق فلا حاجة لسرد ولعرض الأدلة والبراهين على بطلانها..، ويحتاج من يدعيها من البشر إلى العلاج النفسي والثقافي والحضاري والعقائدي في مستشفيات معالجة الأمراض الحضارية مثل المستشفيات معالجة مرضى الإدمان بأنواعه، فهم مرضى لا يفيدهم الحوار الهادئ أو المنطق العقلي الأصيل، وإنهم بحاجة إلى علاج متعدد الأنواع والتخصصات، لإعادة تأهيلهم إنسانياً وعقلياً وعقائدياً وفلسفياً وأخلاقياً..

٢- المنهج الوصفي التحليلي: هو استيفاء حجج الخصوم وأدلتهم من مصادرهم ومراجعهم الموثقة أنفسهم قبل الحكم عليها.

٩ - الأرض في الميزان، الإيكولوجيا وروح الإنسان، آل جور، نائب الرئيس الأمريكي، ترجمة: د. عواطف عبد الجليل، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، طبعة أولى، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م، ص ٢١٩-٢٣٩.
١٠ - الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسن فريضة، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، ص ٨-١١، (بتصرف)

٣- المنهج الحياضي الموضوعي في علم اللغات المقارن.

٤- المنهج التوثيقي الموضوعي للمصادر الأصلية بمختلف أنواعها في مقارنة اللغات العالمية تاريخياً.

٥- منهج تحديد وتعريف المصطلحات علمياً وعقائدياً ولغوياً.

٦- المنهج التخصصي المهني العلمي الموضوعي المنطقي التاريخي والسكاني والأنثروبولوجي واللغوي..

٧- المنهج النقدي العلمي الجدلي الموضوعي.

٨- المنهج الإنساني العمراني، وهو أهم المناهج العلمية النقدية الموضوعية ويقوم على أركان متينة وأهمها:

كل من يدعو إلى العمران المادي والمعنوي والمحبة الإنسانية والأخوة البشرية، وينبذ ويرفض قولاً وفعلاً وسلوكاً وظاهراً وباطناً الكره والحقد والدجل والكذب والتقية والفتنة والدعارة والخيانة والتجارة بالبشر والحرب والغدر والنهب والصوصية والداعشية.. هو الصادق عقائدياً والمخلص إنسانياً حسب قول المسيح عليه السلام: (من ثمارهم تعرفونهم)، اعتماداً على أركان ومناهج وأهداف وسلوكيات علم معايرة المعتقد والسلوك^{١١}

وما نبخته ونرصده ونوثقه ونؤكدده هو كعصى موسى تلقف ما يَأْفِكُ الاستخراب الإرهابي (الاستعمار) ومرتزقة من المبشرين المزورين والمستشرقين الكذابين والجواسيس المتجولين والمجرمين والمستبدين والظالمين والفاستدين والخونة.. بحيث نجعلهم مع أقوالهم وأفعالهم كزبد زائل، فقوتنا الثقافية والنقدية والعلمية والعقائدية والناعمة ستجعلهم يكبكبوا جميعاً إلى مزابل التاريخ، فلهم في الدنيا خزي وهم في الآخرة هم من المقبوحين.

﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الشعراء - ٥٥

في بحوثنا العلمية النقدية العامة ومنها اللغوية والفلسفية والثقافية والفكرية.. نهدف استراتيجياً إلى كشف الأمانة العلمية وتوثيقها ومعرفة أصول وجذور كل المكتسبات الحضارية البشرية الإنسانية العالمية بالإضافة إلى ضرورة تكسير الصورة النمطية الإرهابية الرأسمالية الشيوعية المسيحية الصهيونية الماسونية الوثنية، وخاصة عبدة الشيطان منهم والذين يتمظهرون بمدنيات غربية أوروبية أميركية صينية، وقد قتلوا أكثر من مليار إنسان خلال ولادة ما يسمى نهضتهم الصناعية الاستعمارية الإرهابية كوحوش مفترسة في القرون الخمسة الأخيرة، وما زالوا حتى الآن يفتعلون ويصنعون عمداً وقصداً كل الحروب والفتن والمجاعات والإبادات والأوبئة وتلوث البيئة وكان من أخطرها الحرب بأسلحة الدمار الشامل الكيميائية الفيروسية^{١٢} بطاعون كورونا بين الوحوش

١١ - يُنظر: علم معايرة المعتقد والسلوك، (علم ميزان الحكمة)، (النسخة العربية ومختصر الترجمة الإنكليزية)، science of calibration، the belief and behavior، (Wisdom scale)، science، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ق.بص: ١٧×٢٤، ع.بص: ١١٤.

١٢ - للتوسع: - فيروس كورونا، طاعون العصر، صناعة رأسمالية شيوعية صهيونية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

المفترسة الأوروبية الأميركية والصينية في نهاية ٢٠١٩م والمستمرة حتى الآن، وقد نشروا الوباء في معظم دول العالم وأصابوا به عشرات الملايين من الناس ومات عدة ملايين منهم، ولاسيما في عقر دارهم الأوروبي والأميركي والصيني..

كما أن هؤلاء الحمقى المتوحشين الأمريكي والصيني والروسي مضافاً إليهم الإرهاب الهندي يقومون بكل همجية بتلويث الكوكب الأرضي بغازات الدفيئة وخاصة غازات الكربون، مما يؤدي إلى رفع درجة الحرارة تدريجياً وإذابة الثلوج في القطبين الشمالي والجنوبي، وستحدث كارثة بيئية هائلة تقتل أكثر من ربع مليار إنسان غرقاً ومرضاً من تلك البيئة الملوثة..

والأخطر من ذلك هو السعي الدؤوب من الدول الاستعمارية الإرهابية الماسونية الصهيونية العميقة والمتمظهرة بالدول الرأسمالية الشيوعية الوثنية والمختبئة زوراً وتلفيقاً وراء منظمات الأمم المتحدة ومجلس الأمن وبقية مؤسساتها الكاذبة والخادعة.. والتي تهدف إلى دعم الاستعمار والإرهاب والدمار والصوصية والاستبداد عالمياً، لديمومة استراتيجية العلم والتقنية بشكل معكوس ومقلوب بحيث يتم نهب كل موارد وخيرات وعقول وإبداعات الدول النامية مع استعمارها وتدمير بنيتها التحتية بأسلحتهم الغبية، وبنيتها الفوقية بجروهم النفسية والثقافية.. مع طمس حضارات وهويات وثقافات الشعوب وسرقة كل تقنيات الحضارات العربية الإسلامية القديمة.. فقد سرقوا معظم علوم وتقنيات ما قبل الطوفان وبعده، ثم قاموا بتزوير التاريخ وتزييفه للحضارات القديمة بنسبة أكثر من ٩٠% فمن المعروف بأن الكهراء والمصايح الكهربائية والبطاريات الكهربائية معروفة للحضارات ما بين النهرين وحضارات مصر القديمة، كما أنه عرفوا الليزر واستخدموه تقنياً بثقب الأحجار الكريمة السومرية والفرعونية ولا يتم ذلك إلا بتقنيات الليزر، كما استخدموا الليزر لحفر مدن كاملة تحت الأرض مؤلفة من منازل ومعابد وقصور وممرات..، كالمدين العجيبة المكتشفة في جنوب تركيا وشمال سوريا، ومن المعروف بأن هناك اكتشافات أثرية في بابل والعراق للبطاريات الكهربائية على شكل أوعية فخارية يقدر عددها بأكثر من أربعة كما أن المصايح الكهربائية لها صور عن المعابد القديمة، وقد ضحكوا أيضاً على الشعوب بتزوير وظيفة الأهرامات على أنها قبور للفراعنة، وهي بالحقيقة أبراج للطاقة الكهربائية ومولدات لها وللاتصالات الأرضية والفضائية وكانت مصر الفرعونية تعرف الكهراء والضوء والطاقة الحرة الكهربائية التي تستخرجها من الطاقة الحركية المائية..

- الإيدز (AIDS (SIDA طاعون العصر من أسلحة الدمار الشامل البيولوجية.. صناعة أمريكية ، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ٢٠١٨هـ-٢٠١٨م.
- سياسة تلفيق الداء لتسويق الدواء، دراسات وأبحاث، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.

ويرتب اللغويون والمختصون والعلماء والخبراء في علوم الإنسان، انتشار اللغات حول العالم كالاتي:

١- اللغة العربية: نسبة عدد متحدثيها في الوطن العربي فقط ٦,٦%، وتعدّ العربية من أقدم اللغات في العالم، وغالبية المتحدثين بها متواجدون في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وخاصةً الدول العربية، ويقبل الملايين على تعلّم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وفي عام ١٩٧٤م تمّ اعتمادها كلغة رسمية في الأمم المتحدة، وإن عدد العرب والمسلمين في العالم حوالي ٢,٥ مليار نسمة، وجلّهم يتكلم اللغة العربية الفصحى، ومن المعروف أن عدد سكان العالم حوالي ٧,٨ مليار نسمة عام ٢٠٢٠، فيكون عدد المتكلمين باللغة العربية في العالم كله حوالي ٣٢%، ولذلك تكون اللغة العربية هي اللغة العالمية الأولى الأكثر انتشاراً في الأرض.

٢- اللغة الإنجليزية: إنّها لغة العصر ولغة التكنولوجيا، ويستخدمها ويتكلم بها أكثر من مليار ونصف مُتحدّث، وذلك كلغة أصلية أو كلغة ثانوية، نسبة المتحدثين باللغة الإنجليزية حول العالم يُقارب الـ ٢٥%.

٣- لغة الماندرين (الصينية): نسبة عدد متحدثيها ١٨,٠٥%، وعددهم يتجاوز المليار نسمة تقريباً، وهي لغة دولة الصين ذات أكبر تعداد سكاني في العالم، واللغة الصينية لا تحتوي على حروف أبجدية، بل تستخدم الرموز التوضيحية بدلاً منها، فكل كلمة لها الرسم التخطيطي الخاص بها.

٤- اللغة الهندية: نسبة عدد المتحدثين في هذه اللغة ١١,٥١% من عدد سكان العالم، وهي اللغة الرسمية في الهند وفي جزر فيجي، وفي جنوب إفريقيا، وموريشيوس واليمن وأوغندا.

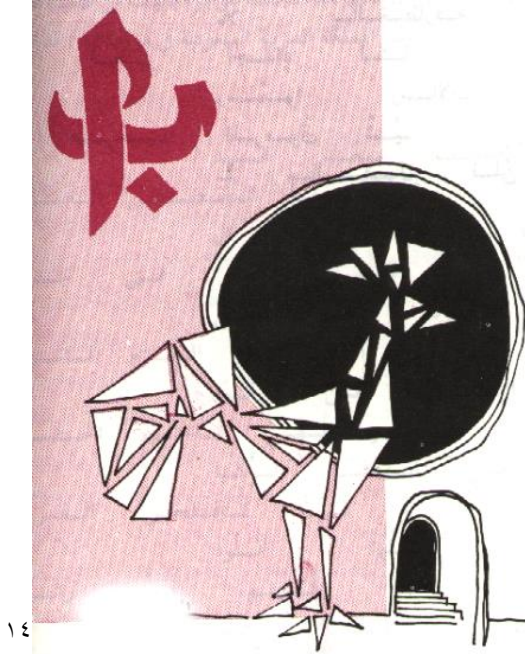
٥- اللغة الإسبانية: نسبة عدد متحدثيها في العالم ٦,٢٥%، ويصل عددهم إلى ٤٠٠٠ مليون نسمة تقريباً، ويتم التحدّث بها في بلدان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، إضافةً إلى إسبانيا وأجزاء من الولايات المتحدة الأمريكية.

ونختم مقدمتنا بقول التعالي: (من أحب الله تعالى أحب رسوله محمد ﷺ، ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحب العربية غني بها وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، إن محمداً ﷺ آخر الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين)١٣، والله الحكيم العليم الرحيم الجبار القهار العادل.. الموفق..

١٣ - مقدمة فقه اللغة: ص ٢١، نقلاً عن: المجلة العربية، الرياض، عدد ١٨٨، سنة ١٧، رمضان ١٤١٣هـ - فبراير/مارس ١٩٩٣م، العدوان على العربية.. عدوان على الإسلام!، محمد بن عبد الرحمن السبيهي، ص ٥٠ - ٥١.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات، ١٣.

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الأنفال - ٦١
﴿ فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ البقرة - ١٩٤
﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ ۖ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ ۗ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۗ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ الأنفال - ٦٠
﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ العنكبوت - ٦٩
﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ يونس - ٢٥



تنبهوا واستفيقوا أيها العرب
فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

تمهيد

ها هي لغتنا الحبيبة تعود من جديد لتشكل رغم تخلفنا وضعفنا وهواننا وإهمالنا لها واحدة من اللغات العالمية الاستراتيجية المستقبلية الخمسة المعترف بها في الأمم المتحدة، لا تشكل الألمانية ولا اليابانية ولا حتى الإيطالية واحدة منها..

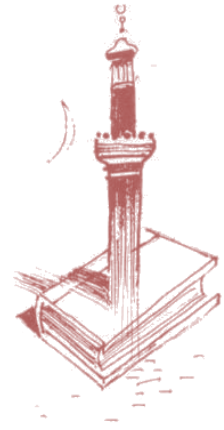
وفي السنوات الأخيرة أصبحت لغتنا في المرتبة الأولى واحتلت الإنكليزية المرتبة الثانية بعدد الناطقين بها وذلك بفضل الفضائيات وشبكة الإنترنت المنتشرة في أصقاع العالم، والتي دخلت بيوتاً في كل أنحاء الكوكب الأرضي، فأقبل الناس بتشوق ورغبة على تعلمها وفهمها أكثر وبطريقة أسهل وأسرع.. ويتوقع أن تقفز هذه اللغة الشريفة لتتبوأ المكانة الأولى من خلال أقل من ربع قرن^{١٥}.

انتشار العروبة والإسلام عالمياً

انتشر الدين الإسلامي في معظم الكوكب الأرضي، وإن عدد المسلمين يزداد بشكل واضح وكبير يومياً، كما ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم، إن الإسلام سينتشر في كل العالم والكون، وذلك في قوله: (ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار)، فمعنى هذا الحديث النبوي الشريف أن الإسلام سينتشر في كل مكان من الأرض والكون فيها ليل ونهار، وحسب احصائيات ما يسمى الأمم المتحدة، بلغ عدد سكان العالم في عام ٢٠٢٠م، حوالي ٧,٨ مليار وعدد العرب والمسلمين ٢,٥ مليار، ونسبتهم ٣٢%، وسيصبح عدد سكان العالم عام ٢٠٣٠، حوالي ٨,٥ مليار، وعدد العرب والمسلمين ٣ مليار، فتصبح نسبتهم ٣٥% في العالم، بينما عدد سكان العالم عام ٢٠٤٠م، سيصبح ٩,٥ مليار، وعدد العرب والمسلمين ٣,٨ مليار، وتصبح نسبتهم ٤٠% حسب المعادلة: $40\% = \frac{100 \times 3.8}{9.5}$



﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ النحل-١٠٣
﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف-١
﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى
الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة- ٣٣



١٥ - مجلة الطبيب العربي، تصدر عن اتحاد الأطباء العرب في باريس، المجلد ١٦ - العدد ١ / ٢٠٠٦، كلمة د. مصطفى عبد الرحمن رئيس هيئة التحرير بمناسبة افتتاح المؤتمر ١٧ لجمعية ابن سينا الطبية في فرنسا الذي أقيم في باريس بين ٢٣ و ٢٥ أيلول / سبتمبر ٢٠٠٥، ص ٣، (بتصرف وتعديل).

أهم اللغات الاستراتيجية الحيوية في العالم

وفيما يلي نستعرض بإيجاز أهم اللغات الاستراتيجية والحيوية والبشرية للتخاطب والحوار والتواصل والتناغم والتعارف والثقاف بين الحياة والإنسان والكون:

نوع اللغة	حروفها	كلماتها	صفاتها	وظيفتها
لغة الحياة الوراثية	الحموض النووية الوراثية R.N.A ، D.N.A	المورثات (الشفرات الوراثية)	انسجام النمط الظاهري مع النمو البيوي	المحافظة على النوع والنسل بالتكاثر وتحسينه
لغة الحياة البروتينية	الحموض الأمينية	البروتينات	التفاعلات الحيوية والهرمونية والمناعية..	نمو الكائن الحي
لغة الحياة الكهربية	شدة وسعة وتواتر وطول الموجة الكهربية	التموجات الكهربية	مظهر حيوي كهربي للأعضاء النبيلة كالدمغ والقلب والحواس..	الاتصال العادي والتخاطب فوق الحاسي
الموسيقى ^{١٦}	العلامات الموسيقية والموجات الصوتية	المقطوعات الموسيقية	لغة المشاعر والعواطف	تناغم وانسجام حسي وعاطفي وانفعالي وحيوي..
الرياضيات	الرموز	القضايا والمعادلات	لغة العلم والمنطق	تخاطب عقلي منطقي
اللغات العادية	الأحرف الأبجدية	الكلمات والجمل	التواصل والتخاطب البشري	لغة الإنسان الناطق للتواصل والتعارف والثقاف
الرقميات	البتات الحاسوبية 1.0	عناصر البرامج الحاسوبية	لغة المعلومات	لغة الحاسوب والتقنيات

أهم اللغات الاستراتيجية الحيوية والبشرية للتخاطب والحوار والتواصل والتناغم والتعارف والثقاف بين الحياة والإنسان والكون

١٦ - للتوسع: في لغة الموسيقى والرياضيات: ما هو الكون؟ شعرية العلم، المهندس فايز فوق العادة، دار علاء الدين، دمشق، ط٢، ٢٠٠٣، كيف نتذوق الرياضيات، ص٤٣ - ١٤٦.

إرهاب (الحضارة) الغربية في تزوير التاريخ البشري

إن عملية تزوير التاريخ البشري من قبل المستشرقين والمبشرين والمستخرين (المستعمرين) والإرهابيين الأوروبيين والأمريكيين والدأب قروناً طويلة على كتابته بروح التعصب للغرب ضد الشرق، ثم تكريسه وترسيخه في المدارس والمعاهد والجامعات، شكلت واحداً من أهم الأسباب أو العوامل التي أوصلت عالمنا المعاصر إلى هذا الواقع الدولي الرديء.

انطلاقاً من إيماننا الراسخ بوحدة التاريخ الإنساني على الأرض فإننا كل الجهود من أجل الكشف عن شمس الحقيقة المغيبة خلف ركام من العمليات الإقسارية أو التزويرية في كتابة التاريخ.

وبهذا فإن كتابتنا موجهة إلى كل إنسان وكل أمة، لأن الكتابة العلمية والموضوعية للتاريخ الإنساني هي التي من شأنها أن توحد الإنسانية، وتضيء لها درب مسيرتها الحضارية بأنوار القيم الإنسانية النبيلة التي كاد التعصب الأوروبي الأمريكي أن يحيلها إلى سراديب ومتاهات مظلمة تخبيء في منعطفاتها المصطنعة أخطاراً حقيقية تهدد الوجود الإنساني كله بشراً وحضارة.

(في هذه اللحظة نرى أن التعصب الإقليمي الذي ساد كتابتنا التقليدية للتاريخ، التي تبدأ رواية التاريخ من اليونان، وتلخص كل آسيا في سطرٍ واحد، لم يعد مجرد غلطة علمية، بل ربما كان إخفاقاً ذريعاً في تصوير الواقع، ونقصاً فاضحاً في ذكائنا)^{١٧}.

إن في هذا القول البليغ لـ (ول ديورانت) تلخيصاً للمسألة، فقد جمع فيه كل العناصر التي جعلت التاريخ الحضاري للإنسان الذي (ركبته وزوره) الغرب منذ بدء عصر النهضة إلى اليوم يبرز في هذه الصورة المشوهة، المقلوبة والمزورة، وهذه العناصر التي جمعها وعناها ول ديورانت هي:

التعصب الإقليمي في كتابه التاريخ (أي للغرب ضد الشرق) وغياب المنهج العلمي والموضوعية، والجهل أو (النقص الفاضح في الذكاء)^{١٨}.

ومن الأمثلة على التزوير الأوروبي الأمريكي للتاريخ البشري ما فعلوه كذباً وخداعاً في اختلاق اللغات السامية أو الشعوب السامية بهدف تهميش اللغة العربية السورية التي كانت أصل كل اللغات العالمية مخاطبةً.

١٧ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١ من المجلد الأول، ترجمة: د. زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، المقدمة، ص: ط.

نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، د. أحمد داوود، سلسلة سوريا وعودة الزمن العربي، الكتاب الرابع، دار الشرق للطباعة والنشر، ط ١- ٢٠٠٤م، مدخل، ص ٩.

١٨- تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، مصدر سابق، ص ٩.

- اللغة العربية السورية لغة آدم عليه السلام:

إن البشرية جمعاء تطلق على الجيل الأول من الإنسان العاقل اسم (آدم) و(حواء) التي صارت في بعض اللغات Eva نتيجة لتحويل الأصوات من لغة إلى أخرى، سواء أكان التصور لهما زوجين أو مجموعة من الناس، وغني عن القول أن هاتين التسميتين عربيتان صميمتان، وليس لهما أي معنى بأية لغة في العالم إلا بالعربية، وبلهجتها السريانية والعرباء (الفصحى) ^{١٩}.

إن النبي نوح عليه السلام كان سريانياً، يتكلم السريانية، فإن ابنه سام بن نوح، تكلم لغة أبيه وأمه، ولم يخترع لغة حتى يدعوها المستشرقون والتوراتيون بـ (اللغة السامية) وأن آرام بن سام بن نوح، بالتالي لم يخترع هو الآخر لغة، حتى يدعوها أيضاً بـ (اللغة الآرامية)، بل تكلم لغة آباءه كما تكلم إبراهيم فيما بعد لغة آباءه الذي يؤكد التراث والتاريخ العريبان أنه آرامي النسب وكان يتكلم السريانية وهي اللغة العربية السورية الذي تكلم بها آدم عليه السلام ^{٢٠}.

﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾

ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٣-٣٤﴾ سورة آل عمران

﴿ وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿

﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿ ﴿١٩٢-١٩٦﴾ سورة الشعراء

ومن المعلوم أن (زُبُرِ الْأَوَّلِينَ) كانت بالسريانية، أما القرآن الكريم فهو الكتاب السماوي الوحيد الذي جاء بلسان عربي مبين، أي فصيح، أي بالفصحى ^{٢١}.

إن هذا هو ما يؤكد الحديث الشريف: فقد أورد الطبري في تاريخه حديثاً عن أبي ذر الغفاري قال:

(قال لي رسول الله ﷺ يا أبا ذر أربعة من الرسل سريانيون: آدم وشيث ونوح وإدريس) ^{٢٢}

إن في هذا القول الصريح للنبي العربي محمد ﷺ تأكيداً لأمرين جوهريين:

الأول: هو أن السوريين هم المتلقي هؤلاء الأنبياء والرسل منذ الألف السادس قبل الميلاد على الأقل، أي منذ عهد آدم الرسول.

١٩ - تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، مصدر سابق، ص ٢١.

٢٠ - تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، مصدر سابق، ص ٢٤.

٢١ - تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، مصدر سابق، ص ٢٣.

٢٢ - تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٦١.

الثاني: هو أن السوروية (أو السريانية) كانت هي اللغة الجامعة للشعب العربي في تعامله الشفوي والكتابي منذ سبعة آلاف سنة على الأقل، والدليل هو أن الكتاب الذي أنزل على آدم الرسول كان بالسريانية، ويدعى (كنزا رابا)^{٢٣} أي الكنز الكبير.

وهو الكتاب الديني الذي اعتمده، وما يزال المندائيون الذين نرحوا منذ الزمن الموغل في القدم من جوف شبه جزيرة العرب إلى جنوب العراق^{٢٤}.

- نكوص الإنسان الغربي إلى العصر الحجري:

وكما أن إنسان العصر الحجري أنجز ثقافته الحجرية واستخدم فأسه الحجرية ظالماً مدمراً هنا، وبانياً معمرراً عادلاً هناك، فإن إنسان عصرنا اليوم الذي قبض بيده على جملة من الإنجازات الثقافية المذهلة، لن يخرج عن التصنيف نفسه حسب توجهه وتوجيهه لمنجزات ثقافته، فهو إما همجي في استخدامه لتلك المنجزات من أجل نفي الآخر أو امتلاكه أو استعباده، وإما حضاري عند سلوكه طريق الصدق والعدل. إن هذا هو ما لخصته الآية القرآنية الكريمة خمس كلمات:

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ (سورة الأنعام ١١٥)

ولقد جاهد الإنسان عبر كل مراحل تاريخه الطويل من أجل تقليص دائرة الهمجية القائمة أساساً على الظلم وتوسيع دائرة الحضارة القائمة على العدل، مستخدماً في ذلك بنى فوقية قيمية وأخلاقية أسهم في إنشائها وترسيخها كثير من الهداة والمصلحين والأنبياء ورواد المثل والحضارة.. مستخدمين في ذلك عصارات فكرهم ورسالات السماء.

كل ذلك من أجل تقليص فعل الغرائز في فهم الإنسان لحريته، وتوسيع دائرة فعل العقل الذي يسمو بالقيم، وينشرها في هيئة بناء ومحبة وسمو، ولقد أسهم العرب، والسوريون منهم بوجه خاص، في هذا السبيل الحضاري الإنساني بشكل كبير، فقد ورد في رسالة البعل لشعبه السوري منذ خمسة آلاف عام، ولنتأمل في بعض عباراتها ذات الإيقاع الخالد على مر كل العصور:

(حطّم سيفك، وتناول فأسك واتبعني، وازرع السلام والمحبة في كبد الأرض)^{٢٥}.

٢٣ - ناجية مراني، مفاهيم صائبة مندائية، تاريخ، دين، لغة، شركة التاييمز للطبع والنشر، بغداد، ١٩٦١م.

٢٤ - تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، مصدر سابق، ص ٢٤.

٢٥ - من وثائق (أوغاريت) المدينة السورية الأثرية حيث اكتشف أقدم أبجدية في التاريخ.

نقلًا عن: كتاب تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، مصدر سابق ص ٨.

والإنجازات الثقافية الكبيرة_ التي هي في المحصلة نتيجة لجهود الإنسانية كلها عبر تاريخها الطويل_ هذه بعد تجريدتها من القيم الإنسانية النبيلة، صارت في حد ذاتها تشكل أكبر تهديد للحضارة البشرية، حتى أن الأمر بلغ ببعض منظريها المرضى إنسانياً حد الإعلان عن (صراع الحضارات ونهاية التاريخ)^{٢٦}.
إن القوة المادية البحتة الأوروبية الأمريكية أخذت تجسد في حركتها على أرض الواقع العالمي ملامح الغول الهمجي الذي يدوس ويدمر في طريقه كل ما حققته الإنسانية في كفاحها الطويل من صروح للعدالة والمحبة والسلام، مطلقاً العنان للغرائز، ولشهوة التحكم والسيطرة والاستلاب^{٢٧}.



٢٦ - صموئيل هنتجتون صاحب الكتاب الذي يحمل هذا العنوان.

٢٧ - تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.س، ص ٧- ٨.

نماذج من الإرهاب الكارثي الأوروبي الأميركي

- من جرائم الاستخراب الإرهابي (الاستعمار) الأوروبي الصليبي الفرنسي في الوطن العربي والعالم الإسلامي:
- جمعت فرنسا ٤٠٠ عالماً مسلماً، وقطعت رؤوسهم بالسواطير؛ أثناء إحتلالها تشاد عام ١٩١٧ م^{٢٨}، وبذلك تكون فرنسا الإرهابية ذات الشعارات التنويرية الكاذبة كالإخاء والمساواة والحرية.. أول دولة داعشية كارثية، مما يؤكد على طبخها مع بقية الدول الإرهابية الرأسمالية الشيوعية الماسونية الصهيونية الوثنية لجميع العصابات والميليشيات الداعشية والطائفية والاجرامية، وتقديم الدعم المالي والعسكري والمخابراتي لهم لتخريب البلاد وتدمير المدن ونهب وقتل وتشريد عشرات الملايين من السكان لاسيما في بعض البلدان العربية والإسلامية ..
 - حينما دخلت فرنسا مدينة الأغواط الجزائرية عام ١٨٥٢م أبادت ثلثي سكانها.. حرقاً بالنار، وفي ليلة واحدة..
 - أجرت فرنسا ١٧ تجربة نووية والكيموايات في الجزائر في الفترة من ١٩٦٠-١٩٦٦م وقد أسفرت عن عدد غير محدد من الضحايا يتراوح بين ٢٧ و ١٠٠ ألف.. (٤٥ ألفاً بحسب إحصاءات الذاكرة الوطنية الجزائرية).
 - وقد قامت فرنسا بتفجير قنبلتين ذريتين بطاقة ٦٠ كيلوطن، أي ما يعادل ٧٠ مرة قنبلة هيروشيما اليابانية.
 - ومن منا لا يعلم أن إفريقيا فئران تجارب للعالم الغربي فهم يعتبرونها مزبلة نووية وكيميائية فرنسية واستقلال لم يكتمل وكانت فرنسا تجري التجارب النووية والكيميائية في الجزائر من ١٩٦٢ الى غاية ١٩٧٨. ^{٢٩}
 - حين خرجت فرنسا من الجزائر عام ١٩٦٢م كانت قد زرعت وراءها عدداً من الألغام أكثر من عدد جميع سكان الجزائر وقتها، ١١ مليون لغماً ..
 - احتلت فرنسا الجزائر لمدة ١٣٢ سنة.. أباد الفرنسيون مليون مسلم في أول ٧ سنوات بعد قدومهم ومليون ونصف المليون في آخر ٧ سنوات قبل رحيلهم..



صور للتجارب النووية الفرنسية في الجزائر.

^{٢٨} - للتوسع: مواطن الشعوب الإسلامية في إفريقيا(٦)، تشاد، للمؤرخ محمود شاعر، مؤسسة الرسالة، ص٧٣.
^{٢٩} https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=1429100123941154&id=452905431560633

- قدر المؤرخ الفرنسي جاك جوركي أن مجموع الذين قتلهم فرنسا في الجزائر منذ قدومها عام ١٨٣٠م حتى رحيلها عام ١٩٦٢م، هم ١٠ ملايين مسلم..
- احتلت فرنسا تونس مدة ٧٥ عاماً، والجزائر ١٣٦ عاماً، والمغرب ٤٤ عاماً، وموريتانيا ٦٠ عاماً واحتلت السنغال (٩٥% من سكانه مسلمون) لمدة ثلاثة قرون!..
- حينما دخلت فرنسا مصر في حملتها الشهيرة دخل الجنود الفرنسيون المساجد بخيولهم وكان يغتصبون النساء الحرائر أمام ذويهم وكانوا يشربون الخمر في المساجد وحولوا عدد من المساجد لاسطبلات خيول..
- حينما قتل "سليمان الحلبي" القائد الفرنسي "كليب" لم يرحموه بل حرقوا أصحابه ومن ساعده أمام عينه ثم أقعدوه على الخازوق حتى تمزقت أحشائه ثم صلبوه ثلاثة أيام..
- وعندما دخلت فرنسا مالي، كانت مالي دولة متحضرة فيها برلمان واقتصاد منظم، وجامعات، وكانت الدولة تسيّر استخراج وبيع الذهب بطريقة منتظمة وطورت زراعة القطن والفول السوداني، وكان يوجد اقتصاد مع تجارة القوافل القادمة من غامبيا، ثم غرب أفريقيا، إلى منطقة البحر المتوسط.. فجاء الاستعمار الفرنسي لنهب الثروات ودمّر كلّ شيء، وقتل الآلاف من معلمي اللغة العربية وسرق خيراتها وخاصة ذهبها وساعد الحملات التبشيرية المسيحية الإرهابية في نشر الخزعبلات والخرافات والأساطير لتخريب عقول الناس لتسهيل السيطرة على أوطانهم ونهب مواردهم وجعلهم خونة وسفلة وعملاء لهم يتسلطون على شعوبهم ويدمرون بلادهم ومازال الإرهاب الاستتخاري الكارثي الأوروبي الأميركي الصليبي الصهيوني الماسوني مستمراً في جرائمه وعدوانه وهمجيته ولصوصيته واستدماره للدول النامية وخاصة الدول العربية والإسلامية، ولكن هذا الإرهاب الكارثي الوحشي سيدفع عاجلاً أم آجلاً كامل التعويضات المالية والمادية والمعنوية على كامل لصوصيته وإجرامه وتشريده وقتله للشعوب.. حتى سنحاسبهم إن شاء الله تعالى على سرقة ولو مسمار واحد من بلادنا^{٣٠} وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.^{٣١}

﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء-٢٢٧



٣٠ - التعويضات.. فريضة شرعية وضرورة حضارية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
 ٣١ - منقول من الشابكة (الانترنت)، فديو يتحدّث فيه مؤرخ فرنسي عن جرائم فرنسا في إفريقيا وفي مالي خاصة، حيث كانت مالي دولة متحضرة فيها برلمان واقتصاد منظم جامعات فجاء الاستعمار الفرنسي لنهب الثروات فدمر كلّ شيء..، صفحة جريدة الأستاذ، موقع فيسبوك، وفق الرابط التالي:

- فرنسا قتلت بالتعاون مع حلف الناتو ١,٥ مليون في العراق و١,٥ مليون في أفغانستان
- و لليوم.. لازال تحالفهم الصليبي القدر يقتل أهلنا في مالي وسوريا والعراق وأفغانستان ويمتص دماءنا
وثرواتنا..

على إثر حادثة نيس الإرهابية وجه رئيس فرنسا كلمة للشعب ذكر فيها فيما ذكر أن الإرهابيين لا يؤمنون
بحقوق الإنسان.. وأنا أقول للمدعو الرئيس الفرنسي الذي يسب الإسلام وينتعه بالإرهاب ولوحوشه الآدمية
التي لا دين لها والذين لا يختلفون في شيء عن ذلك الفرنسي صاحب الـ ٥٢ عام الذي اغتصب ٦٦ قاصراً
بينهم ٤١ طفلاً تونسياً، خلال رحلاته السياحية إلى تونس ومصر وسريلانكا، في الفترة ما بين ٢٠٠٢ و
٢٠١١، أين إنسانيتك أنت والباكون على هؤلاء؟

ولم تستفز تلك الحادثة إنسانية إعلامكم حتى؟

أما إعلامنا فلا يجوز في حقه حتى اللوم لأن التكليف يسقط عن العبيد، علماً سيدي الرئيس أن الاغتصاب
أكثر إبلاماً من القتل، فهو يخلف جراحاً نفسية أم نسيت أولئك الذين احتلوا الجزائر لمدة ١٣٠ سنة، وأزهقوا
مليون ونصف المليون نفس بشرية، ولا يختلفون في شيء عن أولئك الذين شاركوا في احتلال العراق وتدميره
وإعادته إلى العصور الحجرية وإعدام رئيسه ذات عيد أضحي (مصادفة)، ولا يختلفون في شيء عن أولئك
الذين يستمتعون بما يجري في بورما وإفريقيا الوسطى من تطهير عرقي للمسلمين بأبشع وسائل الإبادة،
أرحمها الحرق بالنار.. علماً يا سيدي أن المتشدين بحقوق الإنسان لا يزالون يحتفظون بقواعد عسكرية في
إفريقيا الوسطى منذ منحها الاستقلال سنة ١٩٦٩، وكل ما يجري هنالك على مرأى ومسمع ومباركة منهم،
ومما لا شك ولا اختلاف فيه أن الدواعش لا يختلفون في شيء عن أولئك الذين يساندون ويدعمون كل
الحروب التي شنها الصهاينة على غزة، ولا يختلفون في شيء عن أولئك الذين ساندوا انقلاب مصر وصمتوا
عن مجزرة رابعة العدوية التي أحرقت فيها ٤٠٠٠ نفس بشرية في ليلة واحدة..

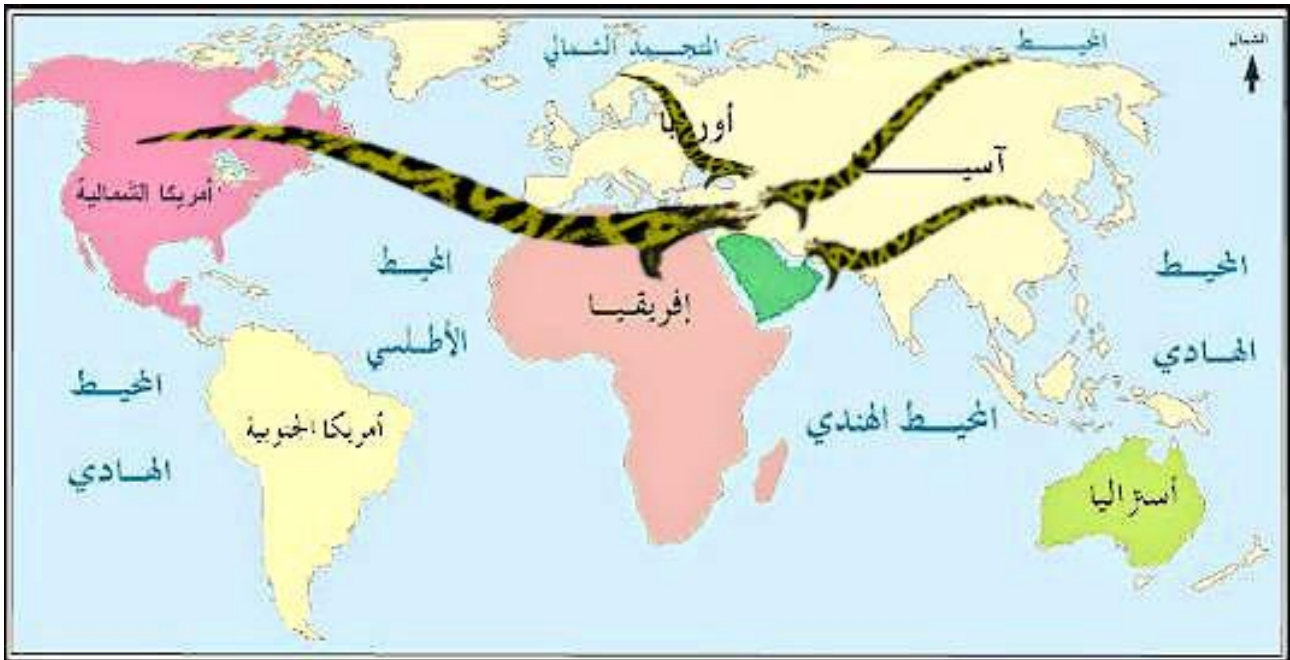
ولا يختلفون في شيء عن الأنظمة الغربية التي تبدو ناعمة ولطيفة، ولكنها تدعم كل الأنظمة العربية الفاشية،
التي تحكم بالحديد والنار، ولم يكف تلك الأنظمة الناعمة أنها حالت دون حرية الشعوب الإسلامية في إقامة
دينها، بل حرمت تلك الشعوب حتى من ممارسة الديمقراطية التي ينعم بها أحفاد فولتير (Voltaire)، خشية
أن تأتي تلك الديمقراطية بما لا تحوى أنفسهم.. (مع رفضي لها)

إلى أصحاب منشورات التنديد عندما تتطرقوا في مداخلاتك عن حقوق الإنسان الرجاء أن توضّحوا لنا من هو الإنسان؟؟؟ ما لونه؟ ما جنسه؟ ما عرقه؟ فقد تشابه علينا الإنسان، ولا أظنك تقصد ذلك العراقي الذي دمر وطنه أو السوري الذي هجر من أرضه، أو المصري الذي اغتصبت إرادته، أو الفلسطيني المحاصر في غزة منذ ٢٠٠٧.. أو البورمي (بورما) الذي يحرق بالنار ولا جرم له سوى أن قال ربي الله..

انتقادات لطبيين فرنسيين اقترحا اختبار لقاح لكورونا في إفريقيا!

و يضيف مقدم البرنامج:

"الأفارقة ليس لديهم ما يخسرون و يصلحون فئران تجارب لتجربة لقاح فرنسي".
على حد علمي، جميع التجارب العسكرية، الجرثومية، التعليمية.. تجريها فرنسا في مستعمراتها منها تونس بتستر من عملائها.
لكن حان وقت المحاسبة، فإمّا أن يكون الرّد قاسي من كلتا البلدين تونس والجزائر (رئيسي البلد) أو أنكم لا تمثلون هذا الشعب المنكوب..



حرب المصطلحات

Terminology War

الحرب الثقافية النفسية

إن هندسة وصياغة المصطلح الإعلامي والسياسي والدولي، أهمية حيوية ليحقق أهدافنا الاستراتيجية العربية على المستوى البعيد والقريب، المصطلح المناسب يساهم في دفع التعويضات، وإلزام الدول الاستخراي العظمى في إرهابها وإجرامها بتبرئة ذمتها أمام الشعوب وتقديم شهادة حسن سلوك بالأفعال وليس بالأقوال.. إن يقولون إلا كذبا..

فالمصطلح هو تكتيف فكري مفاهيمي لمجموعة من المعارف والمعلومات والتصرفات إيجاباً وسلباً، وله دور حيوي واستراتيجي في قدح وديمومة المشاريع التنموية الحضارية العمرانية الشاملة، عندما يكون مصطلح ذو بنية عمرانية إنتاجية ووظيفة تنموية دافعة نحو الإنتاج والابداع والابتكار والتطوير والتقدم.. والعكس صحيح.

وبالتالي للمصطلح تأثير فعال وهام في تكوين الرأي العام المحلي والعالمي من خلال كثرة تداوله إعلامياً لاسيما عند وجود عوز في الثقافة وفقير في تفعيل التفكير النقدي في حال غياب امتلاك منهج الشك والتجريح والتعديل لما يعرض إعلامياً محلياً ودولياً، فلا يمكن قبول أي فكرة أو رأي إلا بإتباع القانون القرآني العلمي الخالد وهو:

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ سورة البقرة 111

فمثلاً مصطلح الولايات المتحدة الأمريكية.. هو مصطلح خاطئ تاريخياً وعلمياً وعملياً لأن الوثائق والأبحاث التاريخية تؤكد بأن العرق الأبيض الأوروبي الأنكلوسكسوني قد استعمر و توحش في قارة الهندو الحمر فقام بنهب أراضيهم وسرقة خيراتهم وذهبهم وتدمير ثقافتهم وحضاراتهم الإنسانية المعرفية الثقافية الكونية ثم أبادهم بمجازر وحشية حيث قتل منهم أكثر من ١٥٠ مليون إنسان بريء.. حتى أصبحوا أقلية صغيرة في بلادهم ويمارسون عليهم التمييز العنصري والقهر النفسي والسياسي والإهمال العلمي والصحي والإفقار المادي والمعنوي.. فالمصطلح الصحيح علمياً وتاريخياً هو الاستخراب (الاستعمار) الأميركي في قارة الهندو الحمر.. وقد حدث في مؤتمر عن الأقليات المضطهدة في جامعة ماديسون عام 1998 أن قفز إلى المنصة، أثناء قراءة التوصيات، أحد السكان الأصليين في أميركا ويسمونهم الهندو الحمر وصاح بأعلى صوته:

(اسمع يا كلينتون ويقصد الرئيس الأميركي حينذاك.. إننا نحن السكان الأصليين أصحاب أميركا الحقيقيون، وما أنتم إلا غزاة).

-ومن المصطلحات الخاطئة المتداولة نذكر مصطلح الحرب (العالمية) الأولى والثانية، وهذا مصطلح خادع ومضلل لأن هذه الحرب كانت بين دول (الحضارة) الغربية فهي غربية المنشأ والتطور والمصير، حيث كانت الدول الأوروبية تدمر بعضها البعض بوسائل عسكرية إرهابية متطورة وآليات وحشية همجية واستخدموا فيهما أسلحة الدمار الشامل الكيميائية والفيروسية والنووية..

فالمعروف تاريخياً إن الدول الأوروبية مشهورة بافتعال وإشعال وإدامة الفتن والحروب، فمن المعروف تاريخياً أن أطول حرب في التاريخ هي حرب المائة عام الفرنسية الإنجليزية، ولذلك ينبغي تعديل المصطلح إلى: الحرب الأهلية الغربية الأولى والثانية، فالدول الغربية الأوروبية الأميركية.. كانت تتقاتل فيما بينها وتنقل حروبها إلى بلدان نامية أخرى، وتورط دول أخرى في هذه الحروب لكي تضعفها لتتمكن من سرقتها ونهبها والسيطرة على خيراتها الطبيعية والاستراتيجية، وهذا الأسلوب البدائي الهمجي الوحشي الغبي الإرهابي في التعامل الدولي غير معروف حتى في شريعة الغاب والنبأ والحوافر، لأن الحيوانات لا تقتل بعضها البعض إلا في حالة الجوع وبشكل فردي، وكثيراً ما نشاهد أن الوحوش المفترسة عندما تكون فريستها حيوان رضيع أو صغير فإنها تتركه أو ترعاه، بل أن شريعة الغاب بين الحيوانات متقدمة ومنتطورة كثيراً عن شريعة الدول الرأسمالية الشيوعية الوثنية التي تسمي نفسها عظمى، فالحيوانات كالكلاب عندما تلاحظ قطة وقعت في حفرة عميقة فإنها تقوم بإنقاذها بأن تجلب الأغصان الطويلة وترميها للقطة في الحفرة بشكل عمودي لكي تصعد عليها..

- ومن المصطلحات الخاطئة أيضاً مصطلح الشعوب أو اللغات السامية، وإن تعبير سامي هو من وضع المستشرقين الأوروبيين الحاقدين بقصد تزوير التاريخ العربي البعيد، واعتمدوا على توراة اليهود الذي يضم معظمه مجموعة من الأساطير والخرافات وتعاليم عنصرية إرهابية تخالف العقل وتعاكس الهدف الإنساني النبيل، ثم أين هي الوثائق التاريخية كالرقم التي استنتجوا منها أن اسم أولاد النبي نوح عليه السلام هو سام وحام ويافت..

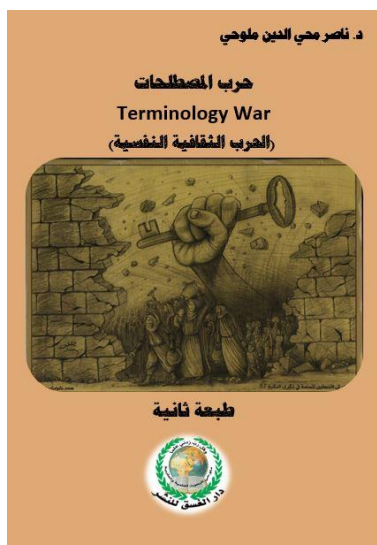
ويبني المستشرقون الأوروبيون الحاقدون مفاهيمهم الفكرية على كتب تاريخية مزورة ومحرفة باعتراف اليهود أنفسهم، فهناك أكثر من كتاب يطلقون عليه اسم التوراة، كالتوراة العبرانية، والتوراة السامرية والتوراة السبعينية اليونانية.. وكل توراة تختلف عن الأخرى من حيث عدد أسفارها وأسلوب كتابتها ومنهجها الديني والعقدي وتنوع خرافاتها وأساطيرها.. وجميعها يدعى أصحابها أنها صحيحة وما عداها كاذبة وخاطئة، ولكن ما بني على باطل فهو باطل..

إن حاخامات اليهود الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تدوين (العهد القديم) نسبوا (لتوراتهم) كل ما نهب من آداب وفنون المنطقة العربية والكنعانية حتى أنهم سرقوا خرافاتهم وأساطيرهم أيضاً وأضافوا إليها نزعتهم العنصرية والوحشية.. وعندما نزلوا أرض كنعان جعلوا لغتهم لغة كنعانية، ولكن الوثائق التاريخية والرقم

الأثرية تؤكد أن مصطلح (سامي) خاطئ فكل ما يتعلق بالأبحاث التاريخية حول نشأت وهجرة وتطور ومصير الشعوب والحضارات والثقافات كانت في المنطقة العربية كالهلال الخصيب وبلاد ما بين النهرين.. وبالتالي فهي تخص أجداد العرب.. ومن هنا فالمصطلح الصحيح تاريخياً وعلمياً هو الشعوب أو اللغات العروبية وليست السامية ..

ومن الغباء استخدام المصطلح الغربي الملقق، بدل المصطلح العربي أو الإسلامي، ومعظم وسائلنا الإعلامية الغبية تردد ما يصدر الغرب من مصطلحات خبيثة يوماً بعد يوم، فالوطن العربي يصبح شرق أوسط، وشمال إفريقيا، والكيان المغتصب يصبح دولة (إسرائيل) والأرض المغتصبة تصبح أرض (إسرائيل).. وقد حول الإرهاب الاستخراي الرأسمالي الشيوعي ومرزقته ما يسمونه (الشرق الأوسط) إلى الشر الأوسط بفعل عدوانهم اللصوصي التخريبي لبعض البلدان وخاصة العراق والشام.. وما زالوا دائبين في تمكين الإجرام وتوطين الإرهاب ونشر الفوضى الحارقة القاتلة بأشع من الهولوكوست النازي، فأصبح الهولوكوست الحارق القاتل السارق المدمر المعلوم.. ينصب صباً على البلدان النامية وخاصة بعض البلدان العربية، لكي يعرفوا أي مشروع نهضوي عربي إسلامي في الوطن العربي الذي يتحكم

بالممرات الاستراتيجية الحيوية البحرية والبرية والجوية ومعظم موارد وخيرات الكوكب الأرضي من معادن ونفط وغاز وفوسفات.. موجودة فيه ويمتلك كادر بشري علمي تقني تخصصي شامل، ولكن في هذا الواقع المعلوم الملوث، علينا أن نرفع من مستوانا الحضاري الشامل بإعداد القوة الناعمة والحشنة بكافة أنواعها وأركانها، وأن نكون كزهرة اللوتس التي تحول العفونات والأوحال في المستنقعات الآسنة.. إلى حياة جميلة وجلييلة ومتوازنة ومبدعة.. وبالتالي علينا تحويل التحديات والأزمات إلى حضارات فعالة وثقافات منتجة عمرانياً وعلمياً وتقنياً..^{٣٢}



^{٣٢} -منقول من مقدمة كتاب: حرب المصطلحات Terminology War، (الحرب الثقافية النفسية)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط٢، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ١٧×٢٤، ع.ص: ٢٠٦.

وللتوسع:

١- أميركا تقذفنا بحجر الأقليات وبيتها من زجاج، هشام فؤاد، جريدة العربي، القاهرة ١٣-٧-١٩٩٨، نقلاً عن: مجلة الفكر السياسي، العدد ٢١، شتاء ٢٠٠٥، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، مؤامرة الغرب على الإسلام، عبد الوهاب محمود المصري، ص ٧٦.

٢- تاريخ سوريا الحضاري القديم، الجزء ١ (المركز) والجزء ٢، د.أحمد داوود، دار الصفدي للنشر، دمشق، ط٣، عام ١٤٢٥-٢٠٠٤، وفيهما الوثائق والأدلة والبراهين والرقم.. التي تؤكد كيف ركّب وزوّر ولقّق الغرب المريض، التاريخ الحضاري الإنساني.. حسب مزاجه الاستعماري الإرهابي، وقد اعترف بعض الباحثين الأوربيين بذلك ومنهم: ول ديورانت، في موسوعته، قصة الحضارة لاسيما الجزء الأول من المجلد الأول..

٣- الكتاب والتوراة، عندما باع الحاخامات موسى عليه السلام، د. حسن الباش، دار قتيبة للنشر، ط ١ ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص ٥-٨.

تجارة مكافحة الإرهاب رابحة جداً

إن مكافحة الإرهاب، تجارة استخرابية رأسمالية شيوعية رابحة جداً جداً، فبالإضافة إلى تدميرهم للبلدان وتخريبهم لل عمران وقتلهم لعشرات الملايين من الناس وتشريد مئات الملايين من الناس في العالم.. يتم سرقة خيراتهم مواردهم وأموالهم وآثارهم ومعادئهم وتلويت بيئتهم وتفجيرهم وتجهيلهم وحصارهم وإمراضهم وتسليط سفلتهم عليهم لظلمهم وقهرهم ونهبهم، ومن تلك القرصنات الاستراتيجية لتلك الدول الإرهابية العظمى في إجرامها ولصوصيتها، سرقة الذهب من الدول النامية، فمثلاً:

١- تمتلك فرنسا رابع احتياطي عالمي من الذهب، يقدر بـ ٢٤٣٦ طن، بما قيمته ١١٢ مليار دولار، رغم عدم وجود ولا منجم على أراضيها، بينما لا تمتلك مالي الإفريقية أي احتياطي من الذهب رغم أنه يوجد فيها ٨٦٠ منجماً للذهب، وتنتج سنوياً ٥٠ طن منه، ثم تدعي فرنسا الإرهابية أنها تستعمر مالي لمكافحة الإرهاب.. فمن الإرهابي؟

٢- سرق الاستخراب البريطاني ٤٠ طن من ذهب مصر على شكل آثار تاريخية ورقم وتمثيل.. لا تقدر بثمن.. بالإضافة إلى سرقة معظم علوم وتقنيات وابتكارات واختراعات الحضارة الفرعونية المصرية القديمة فعلاً إنها تجارة رابحة جداً لمكافحة الإرهاب الإنكليزي؟

٣- بينما القس المسيحي الصهيوني الأميركي أندرو برانسون وهو جاسوس وإرهابي وقائد عمليات نهب الذهب العراقي بآلاف الأطنان خلال استخراجه وتدميرهم للعراق..

وما تزال تلك الدول الاستعمارية حتى الآن تنشر الفوضى الإرهابية واللصوصية والهمجية والوحشية في بعض الدول النامية.. ولكن نبشرهم بأنهم مهزومون ومفلسون ومنكسرون حتى لو كانت أنيابهم حادة ومخالبهم قوية وحوافرهم خشنة، لأن الانتصار الحقيقي التاريخي الخالد هو للقوى الناعمة الثقافية والفكرية والفلسفية والأخلاقية.. فالقوة العسكرية المفترسة تستطيع الانتصار القمعي القهري الهمجي لبعض الوقت فقط، وهذا التحليل الناقد الدقيق هو من نخبتهم المثقفة أنفسهم، حسب آراء الأوروبي مارتين وشومان في كتابهما فخ العولمة، فنموذج الحضارة الغربية- وتحليل المؤلفين الأوروبيين أنفسهم- لم يعد صالحاً لبناء المستقبل والدعاية الأوروبية والأمريكية الملفقة والخادعة المفرطة لهذا النموذج كانت جزءاً من الحرب الثقافية النفسية الباردة بين الأمم، ولهذا يجب وضع هذا النموذج حسب آراء الأوروبي مارتين وشومان في كتابهما فخ العولمة- في متحف الأسلحة القديمة لأنه يعود إلى عصور منقرضة وأدى إلى التدهور الاقتصادي والتدمير البيئي والانحطاط الثقافي على المستوى العالمي^{٣٣}.

٣٣. فخ العولمة، عالم المعرفة الكويتية، ٢٩٥٤، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - أغسطس ٢٠٠٣م، تأليف: هانس- بيتر مارتين، هارالدشومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة: أ.د. رمزي زكي، ص ١١-١٢، ٧٤-٧٦.

ونؤكد بأن الأيام دول ولو دامت لغيرهم لما وصلت إليهم وستقوم شعوب العالم بحسابتهم قانونياً وقضائياً وإلزامهم بدفع كامل التعويضات المادية والمالية والمعنوية عن جميع مراحلهم الإجرامية والاستخراجية والصوصية.. كما أنهم سيدفعون مستقبلاً جزءاً كبيراً من دخلهم القومي السنوي كتعويضات مالية دائمة وشهرية لجميع المتضررين والمعاقين والمشردين واللاجئين والمظلومين.. وكذلك لإعادة الإعمار وتنظيف البيئة التي لوثوها بجباثتهم وهمجيتهم وإجرامهم..^{٣٤}، وأين سيهربون من عدالة السماء؟ فالشعوب المظلومة في كل الأرض ستحاسبهم وتقتص منهم قانونياً وقضائياً وستأخذ عاجلاً أم آجلاً، طوعاً أو كرهاً كامل التعويضات عن جميع إجرامهم وعدوانيتهم وسرقاتهم حتى لو كان مسماراً واحداً سيحاسبون عليه، فحكمة رب العالمين ستستدرجهم من حيث لا يعلمون وبملي لهم بأن كيدهم متين ويككبهم مع مرتزقتهم، ويلقي بهم إلى التهلكة في قاذورات مزابل التاريخ يجعلهم صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية.. كما فعل مع أمثالهم من المجرمين الإرهابيين قديماً وحديثاً..، ولهم في الدنيا الخزي والمعيشة الضنكة وفي الآخرة هم من المقبوحين في قعر الجحيم، وبئس المصير، فاعتبروا يا أولي الأبواب؟ وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وردوا الحقوق والمظالم والسرقات إلى أصحابها، وتقبلوا بمحاكماتكم قانونياً وقضائياً، ولا تظنوا أنكم ستفتلون من عدالة الشعوب والسماء..

﴿سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ الشعراء-٢٢٧

صدق الله العظيم

القس المسيحي الصهيوني الأمريكي أندرو برانسون وهو جاسوس وإرهابي وسارق لذهب العراق..

ان الرجل الذي يدعون انه قسيس هو الرجل قائد عمليات نهب الذهب العراقي اثناء احتلالهم للعراق.
هل عرفتموا لماذا مهم هذا القسيس بالنسبة لامريكا.
ان تركيا لو جعلت القسيس يعترف بما فعله لامر من رئيسه بوش في العراق سترغم امريكا الى استرجاع الاف الاطنان من الذهب الذي سرقوه اثناء احتلالهم للعراق.



تمتلك #فرنسا رابع احتياطي عالمي من الذهب يقدر بـ 2436 طن بما قيمته 111.8 مليار دولار رغم عدم وجود منجم واحد على أراضيها!
بينما لا تمتلك #مالي أي احتياطي من الذهب رغم أنه يوجد بها 860 منجم من الذهب و تنتج 50 طن سنوياً!
تم تدعي فرنسا انها في مالي لمحاربة الإرهاب!
من الإرهابي؟



٣٤ - منقول بتصرف من مصادر متعددة ومنها:

- فخ العولمة، عالم المعرفة الكويتية، ع٢٩٥، جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ - أغسطس ٢٠٠٣م، تأليف: هانس- بيتر مارتين، هار الدشومان، ترجمة: د. عدنان عباس علي، مراجعة: أ.د. رمزي زكي، ص ١١-١٢، ٧٤-٧٦.
- التعويضات.. فريضة شرعية وضرورة حضارية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسن فريضة، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

نحو معالجة أزمات الأمة^{٣٥}

الأمة العربية برمتها منكوبةً بنكبة بيروت في لبنان.. والصهيونية العالمية لن تترك الأمة العربية في خيبرها، نكبةً تتلوها نكبةً، نضعُ كفاءاتنا وخبراتنا الطيبة في خدمة الشعب العربي اللبناني، كما نضعُ خبراتنا الثقافية والفكرية (لمعالجة) أزمات الأمة الثقافية والفكرية:

- أولاًها: إعادة اللحمة الوطنية بين عرب السنة وعرب الشيعة لإطفاء لهيب الفتنة الطائفية وتفويت الفرصة على أعداء الأمة المتربصين لها للنفاذ من خلال هذه الفتنة المفتعلة.

- وثانيها: إعادة اللحمة القومية بين عرب الإسلام وعرب المسيح، فلا العرب المسلمون يرون في العرب المسيحيين حالة غريبة طارئة؛ ولا العرب المسيحيون يرون في العرب المسلمين حالة دخيلة وافدة هبطت عليهم من خارجهم.

- وثالثها: تبيان جمال النسيج الفسيفسائي لتنوع أديان العرب، وتعدّد مذاهبهم، وأن هذا التنوع وذاك التعدّد هما مصدر قوّة واعتزازٍ ونبع غنيّ وثرّاءٍ لا مدعاة لضعفٍ ولا زعمٍ لفقرٍ وسوءٍ حالٍ نخجل منها، هكذا هي حال الأمة العريقة الضاربة جذورها في عمق التاريخ وعلى امتداد الجغرافية.

- ورابعها: قبول واعتماد الفكرة العروبية القومية كرابطٍ قويّ لهذه الأمة، واتقاد الوعي لهذه العروبة، وإن العروبة هي طليعة الإسلام الرشيد وبتعاضدهما سينطلق المشروع الحضاري العلمي العربي الإسلامي العالمي الذي سينقذ الكوكب الأرضي بمن فيه وما فيه ن جميع كوارثه في الواقع المعولم المريض، وهذا الرابط من موقع الإيمان بالتنوع والتعددية، وأنا متحدون لأننا متنوعون ومتعدّدون، وأنّ وحدتنا قائمة على تنوعنا وتعدّدنا، وأنّ نقبل بعضنا بعضاً على هذا الأساس والمرتكز.



صور من التفجير الإرهابي الكارثي لميناء بيروت، بتاريخ ٤/٨/٢٠٢٠

٣٥ - منقول من الشبكة (الانترنت)، موقع فيسبوك، مجموعة الرابطة الثقافية المعرفية، منشور د.ثائر ثابت القصير، (بتصرف وتعديل).

الوحدة الوطنية.. مطلب حضاري استراتيجي

إن تعزيز وتقوية لِحمة مكونات الوحدة الوطنية في المجتمع بجميع شرائحه العمرية وأطيافه العرقية والدينية والمذهبية.. مطلب استراتيجي حضاري لتفعيل وديمومة المشاريع النهضوية الحضارية العمرانية العلمية الشاملة.. ولكن لا يتحقق هذا المطلب الاستراتيجي لضرورة تمكين الوحدة الوطنية إلا بجهود وفعاليات ونشاطات متقدمة لوزارات ومؤسسات ومنظمات مدنية شعبية ورسمية وخاصة الوزارات المقترحة الجديدة ومنها وزارة معايرة جودة الوحدة الوطنية الاجتماعية، وزارة القصاص العادل والتعويض العاجل، وزارة مقاضاة الظالمين وإنصاف المظلومين، وزارة الوعي الثقافي التنموي، وزارة مكافحة التلوث الإرهابي العقائدي، وزارة الصحة الثقافية والعقائدية والعقلانية، وزارة هندسة الدستور، وزارة رعاية الحياة للجميع، وزارة الرحمة للعالمين.. وتقوم تلك الوزارات بهندسة برامج واستراتيجيات وخطط محلية وإقليمية ودولية وكونية لرعاية الكوكب الأرضي كله بمن فيه وما فيه، ونخصّ بالتحليل الوجيز بعض مهمات وزارة القصاص العادل والتعويض العاجل، فلا يمكن تحقيق مبدأ الوحدة الوطنية إلا بشروط من أهمها:

١- المقاضاة القانونية والقصاص العادل لكافة الإرهابيين والمجرمين واللصوص والمرتقة من كل الطوائف والجنسيات والدول..، وسيحاسبون عاجلاً أم آجلاً عن كل إجرام فعلوه حتى لو كان كلمة بذئنة، أو مسمار سرقوه أو قفل كسروه..

٢- المقاضاة القانونية والقصاص العادل لجميع مجرمي جرائم الحرب، وانتهاك حقوق الإنسان، واستجرار قطعان الإرهاب الكارثي التدميري (الاستعمار) الخارجي الدولي وجميع مرتزقته الأنجاس من كافة الجنسيات..

٣- التعويض الكامل المالي والمادي والمعنوي لجميع المتضررين بكل أنواع الأذى بدءاً من سرقة أملاكهم وتدمير منازلهم وتخريب مدنها وتشريدهم وقتلهم بجميع أنواع الهمجية الوحشية الإرهابية.. على شكل محارق قاتلة سارقة ملوثة بحجة مكافحة الإرهاب، وهي بالحقيقة هولوكوست إرهابي أوروبي أميركي رأسمالي شيوعي وثني طائفي معوم.. أسوأ وأحقر من الهولوكوست النازي الألماني.

٤- مصادرة جميع أموال وأملاك الإرهابيين والمجرمين من كافة الأنجاس والجنسيات، ضمن البلاد وخارجها، وتحويلها إلى وزارة القصاص العادل والتعويض العاجل، لبرمجتها وجدولتها في تقنيات وآليات التعويض المادي والمالي والمعنوي لجميع المتضررين، ولإعادة إعمار جميع البنى التحتية المدمرة في كل البلاد..، وتمويل جميع الوزارات الرسمية القديمة والجديدة لتفعيل وديمومة المشاريع التنموية الحضارية الإنسانية الشاملة..

٥- تقوم وزارة هندسة الدستور بصياغة دستورية قانونية حضارية اجتماعية عادلة للقوانين والشرائع الناظمة للدولة والحكومة والمجتمع داخلياً وخارجياً، بما يضمن جلب المصالح للجميع ودفع المضار عنهم، ورعاية وحماية جميع مكونات الوحدة الوطنية..

٦- تكون دولة مدنية ديمقراطية شورية تحتضن جميع رعاياها وتعطي الحقوق الكاملة لهم وتنظم واجباتهم وتهندس جميع أعمالهم وابتكاراتهم وأفكارهم ضمن شبكة من العلاقات الاجتماعية الاقتصادية التعاونية التفاعلية الحضارية التي تقوم على المحبة الوطنية والأخوة البشرية والإنتاج المتعدد الأشكال والذي يحقق جميع ضروريات وأولويات وكماليات المجتمع..

٧- تنفيذ أهم فقرة في الدستور الناظم للمجتمع هي أن تكون الرئاسة للدولة والحكومة والبرلمان، والمناصب السيادية والعميقة والأمن والشرطة والجيش من أغلبية الشعب وليس من أقليته، لأن الأغلبية تحمي المجتمع كله وتحترم حقوق الجميع..

٨- إلغاء جميع الأحزاب بكافة أنواعها القومية والدينية والعرقية والعنصرية والمذهبية والديموقراطية والليبرالية والعلمانية والاشتراكية والوحدوية.. فهي كانت لعشرات السنين مرتعاً ومستنقعاً للمصالح والمنافع والانتهازية والنفاق والأذى وتبادل الاتهامات وتفعيل الفتن والصراعات وتفريخ الحروب والمجاعات وقتل الناس وتشريدهم وسرقة أملاكهم.. حتى أنها كانت أداة إرهابية استغلها الجواسيس من اليهود والصهاينة والماسونية للوصول إلى المناصب القيادية في الدولة والحكومة والمجتمع كنموذج كوهين الجاسوس اليهودي في بلاد الشام، ونموذج السيسي اليهودي الصهيوني الماسوني في مصر، وهو من أعضاء الحزب الديموقراطي المصري، والذي دعمه الاستعمار الإرهابي (الاستعمار) الأوروبي الأميركي الرأسمالي الشيوعي الخارجي في تسلط على الشعب المصري بالخداع والإرهاب ثم بدأ بتدمير البنى التحتية والفوقية لمصر، فبدلاً أن تكون من الدول العظمى في العالم.. خربها وحولها إلى دولة متخلفة فقيرة مديونة للخارج بأكثر من ١٠٠ مليار دولار، كما قام بعمليات إرهابية إجرامية كارثية ضد شعبه لاسيما في سيناء مصر لتحويلها وفق الخزعبلات التلمودية التوراتية الصهيونية الماسونية إلى مستنقع ومرتع للماسونية العالمية، وقد قال بعض المسؤولين الإرهابيين اليهود في فلسطين المحتلة بأن السيسي صهيوني أكثر منّا، وكان يصرح أمام شعبه ويقول: (إما أن نحكمكم أو نقتلكم)، يا سلام على هذه الديموقراطية؟ وهناك الكثير من أمثاله..

وكذلك كل الأحزاب بجميع أنواعها من الضروري والاستراتيجي حلّها لأنها أثبتت فشلها الفوضوي الكارثي على جميع المستويات من بدء استقلال وتحرر الدول العربية الإسلامية عن الاستعمار الأوروبي الأميركي.. وحتى الآن، ولم تقدم للمجتمعات والشعوب سوى الفساد والخراب والاستبداد والاستعباد والظلم

والقهر والبؤس والتشريد والتدمير الكارثي الممنهج.. وكذلك مصادرة جميع مقراتها وأسلحتها مهما كان نوعها، وجعلها تابعة للحكومات الوطنية بتحويل تلك الأسلحة إلى وزارة الدفاع، وتحويل الإرهابيين والفاستدين والمجرمين من جميع الألوان والأشكال إلى وزارة القصاص العادل والتعويض العاجل لمحاكمتهم قانونياً وقضائياً، بينما المقرات لتلك الأحزاب تحوّل إلى مستوصفات ومستشفيات ومكتبات ومدارس وروضات ومراكز ثقافية ومؤسسات استهلاكية وأفران غذائية.. بهدف حماية ورعاية وتغذية عقول وأجسام الشعوب بالتعليم الرشيد والتفكير النقدي السديد والغذاء الصحيح والدواء النافع.. بدلاً من الضحك عليهم لعشرات السنين بالخطابات الفارغة والعنتريات العبيطة والأكاذيب الخادعة.. ويتم استبدال تلك الأحزاب الفاشلة المخربة بجميع أنواعها بمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني الأهلي الشعبي، كالتقانات المهنية والعلمية والتخصصية والصناعية بجميع أشكالها، وفي الدورات الانتخابية الديمقراطية تقوم مؤسسات المجتمع المدني الأهلية بتقديم المرشحين لها لرئاسة الدولة والحكومة والبرلمان وبقية المناصب السيادية الرسمية والعميقة والعادية بشرط أن تكون المناصب الأساسية القيادية الاستراتيجية الرسمية والعميقة من نصيب الخبراء والحكام والمختصين والأكاديميين والقضاة والمحامين والمثقفين والعلماء والمعلمين والمهندسين والأطباء والمبدعين والمنتجين والمخترعين والإداريين والصالحين.. من أغلبية الشعب حصراً، وليس من أقليته، ولكن أخيار وحكماء وخبراء والأكاديميين.. من الأقليات يرشحون أنفسهم أيضاً عبر مؤسسات ونقابات المجتمع الأهلي المدني للمناصب العادية وغير السيادية في الدولة والحكومة والبرلمان ويأخذوا مقاعد حسب ثقلهم وحجمهم ونسبتهم السكانية في المجتمع، لقد انتهى عصر تسلق الأقليات على الأحزاب واعتمادها على الاستعمار الإرهابي (الاستعمار) الخارجي لاحتكار السلطة وقهر الشعوب والمجتمعات ونهب الممتلكات كما تفعل حالياً الأقلية الكردية العرقية العنصرية في شمال وشرق سوريا، في سرقة النفط والغاز والمحاصيل الزراعية كعناصر إرهابية مرتزقة للاستعمار (الاستعمار) الإرهابي التحالفي الأوروبي الأميركي.. وعلى شاكلتهم الكثير الكثير من العصابات الإرهابية المجرمة في بعض بلدان الوطن العربي..

ولبعض الأقليات تاريخ وحاضر وطني مشرف ونزبه وعمراني وإنساني، كما أن للبعض الآخر من الأقليات تاريخ وحاضر أسود إرهابي عميل وفساد ولصوصي وكرثي..، وكانوا دائماً عوناً وسنداً للاستخراب (الاستعمار) الخارجي والاستبداد الداخلي، وفي عهد الاستعمار الفرنسي لبلاد الشام شكّل من بعض الأقليات جيشاً من المرتزقة تعداده حوالي أكثر من ١٥ ألف من السفلة والخونة والجهلاء والسفهاء والأغبياء والحاقدين من المجتمع وخاصة من أقلياته، بهدف محاربة وملاحقة وقتال الثوار بالوكالة عن الاستعمار (الاستعمار) الفرنسي، وسماه جيش المشرق، ولكن بالنهاية انتصر الثوار وتحررت البلاد والعباد من ذلك الإرهاب الكارثي اللصوصي الأوروبي الفرنسي..

ونؤكد على أهمية رعاية وحماية جميع مكونات المجتمع بأغليته وأقليته وكلهم متساوون في الحقوق والواجبات أمام القانون والقضاء وفرص العمل والتعليم والصحة وبقية المقومات الحضارية التنموية للحياة المعيشية العزيزة الكريمة، أما توزيع المناصب فيكون حسب الحجم السكاني، فالأغلبية تتسلم المناصب السيادية والقيادية والاستراتيجية والأقلية تتسلم مناصب عادية حسب تعدادها السكاني في المجتمع.

ومن الأهمية بمكان المحافظة على جمال البستان في تنوع وروده وزهوره وعطوره وروائحه من جميع الأشكال والألوان فقوة الحياة والتحضر والتقدم والعمران والسمو والرقى تكون في رعاية وحماية جميع ورود وأزهار البستان، وكذلك في حماية ورعاية جميع مكونات المجتمعات بكافة ألوانها وأطيافها، مع الأهمية والتأكيد على تقليل كل الأشواك ومكافحة الآفات والطفيليات والجراثيم والفيروسات الممرضة والحيثة في ذلك البستان الجميل، بشكل حضاري وصحي وقانوني وعادل.. للمحافظة على سمو العمران ورقى الحضارة وتمكين المحبة والسعادة والأمان والسلام ونشر الرأفة والرحمة للجميع.

٩- الفترة الرئاسية تكون عدة سنوات، وأفضلها أربع سنوات، ويحق لرئيس الدولة والحكومة والبرلمان أن يجدد لدورة واحدة فقط بتحقيق شرطين:

أ- أن تكون دورته الرئاسية الأولى إيجابية وعمرانية ومتصاعدة في التحضر والتقدم والعدل والمساواة والسمو والرقى..

ب- أن ينتخب ديموقراطياً بشكل حقيقي ونزيه وصادق..

ومن الأهمية بمكان التشكيل العاجل لتلك الوزارات وخاصة وزارة الوعي الثقافي التنموي، وزارة مكافحة التلوث الإرهابي العقائدي، وزارة الصحة الثقافية والعقائدية والعقلانية.. ودعمهم مالياً ومادياً ومعنوياً لإنشاء مؤسسات ومراكز علمية تعليمية ثقافية عقائدية تنويرية إنسانية راشدة بالإضافة إلى **تعمير مستشفيات حضارية لمعالجة ومكافحة الأمراض الحضارية الثقافية الفلسفية الفكرية العقائدية** كالتطرف والعنف والإرهاب والإجرام والحقد والدجل والدعارة والغدر والنفاق والانتهازية والنصب والاحتيال والعدوان والتلفيق والتخريف والتوحش والهمجية وعبادة البشر والحجر والبقر وتقديس الخرافات والأساطير والخزعبلات بين العوام، التي يكرسها وينشرها الاستعمار الإرهابي (الاستعمار) الخارجي والاستبداد الاستعبادي الداخلي للتسلط على الشعوب وقهرهم وسرقتهم.. ومن تلك الخزعبلات معركة هرمجدون المسيحية الصليبية اليهودية الصهيونية الماسونية، وأمثالها الكثير من الخرافات والتلفيقات والروايات السخيفة والتافهة والعدوانية والعنصرية والإرهابية والإجرامية.. التي تسير عقول الأغبياء والسفهاء والجهلاء من جميع الأنجاس والجنسيات والطوائف والأعراق.. فيجب إعادة البرمجة العقلية والعصية والثقافية والفكرية والعقائدية والفلسفية للمجرمين من جميع

الألوان والأشكال لأن جودة وحسن التصورات تسبق وتنتج إيجابية التصرفات وبالعكس، وتوجيه تلك البرمجة نحو المحبة والسلام والأخوة وال عمران والأمان والتعايش التعاوني التبادلي بين جميع مكونات المجتمع، ويقوم بتلك الإعادة البرمجية اللغوية العصبية الثقافية.. مؤسسات ومستشفيات حضارية تابعة لوزارة مكافحة التلوث الإرهابي العقائدي، مع وزارة الصحة الثقافية والعقائدية والعقلانية..

ونؤكد بأنه لا تقوم الوحدة الوطنية الحضارية الشاملة العادلة إلا على أسس متينة وقوية ذكرنا بعضها مما سبق، وهناك استراتيجيات تنموية حضارية عمرانية صناعية علمية تجارية زراعية إدارية تعليمية تربية عسكرية فضائية تقوم بها وزارات مختصة لديمومة وسمو ورقى الدولة والحكومة والمجتمع لنشر الرأفة والسعادة والسلام والرحمة للعالمين.^{٣٦}



٣٦ - للتوسع:

- ١- ضرورة فتح مستشفيات لعلاج الأمراض الحضارية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٢- الشورى أعلى مراحل الديمقراطية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٣- الجهاز المناعي النفسي، قوة وإبداع، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٤- علم الاجتماع الحضاري العمراني، عمران الأرض واستيطان الكون، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٥- صناعة المستقبل، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- ٦- قانون ملوحي الحضاري، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- ٧- استراتيجية الخطاب العمراني الحضاري، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- ٨- علم نفس كوني، (رؤية جديدة لعمران الأرض واستيطان الكون)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- ٩- قانون العمران الحضاري،(الحضارة تلد منتجاتها ولا تستوردها)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- ١٠- أزمة العلم المعاصر، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ١١- منهج علمي نقدي، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٧م.
- ١٢- هندسة صناعة العقول (تقنيات هندسة الخونة)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، طبعة ثانية معدلة، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ١٣- الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسنى فريضة، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١٤- الشورى أعلى مراحل الديمقراطية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١٥- آليات الغرب في قتل الشعب، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ١٦- التقدم نحو الإسلام، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.

عودة الكافيار

عودة الكافيار..

إلى أهله والديار..

رداً على عدوّ غدار..

لقد دأبنا في سابق عهدنا أن نستردّ جواهرنا اللغويّة ونستعيد كلماتنا العربيّة التي ساحت في بلاد الله؛ وعادت إلينا مشوّهةً مُبدّلة الحروف، ومن هذه الكلمات المفقودة كلمة (الكافيار)، فإني أعلن استردادي لعروبيتها واسترجاعي لأصالتها..

(الكافيار: Caviar أو Caviare): ضربٌ من البطارخ، وهذه الكلمة ذات أصلٍ عربيٍّ مُشتَقٍّ من الفعل العربيّ (خبر): يقول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة:

(خَبَرَ): أصلان: ١. (العلم): العلمُ بالشيءِ حُضُورِيّاً و تفصليّاً، النَبأُ اللَّيْثُ الطَّرِيُّ Fresh news.

٢. يدلّ على لَيْثٍ ورخاوةٍ (طراوة) وعُزْرِ (كثرة).

الخَبْرَاءُ: الأرضُ اللَّيْثَةُ.

الخَبِيرُ: ١. العالمُ بِكُلِّ شَيْءٍ أولاً بأولٍ و فَوْرَ حدوثه؛ يجمعُ المعلومة الطَّرِيَّةَ فَوْرَ حدوثها؛ والكثيرُ العلمِ بالشيءِ والدائمُ الحضورِ.

٢. الأكَارُ لأنه يُخَابِرُ الأرضَ ويؤاكرها ويُصلحها ويُدمّثها ويُليّئها.

٣. النباتُ اللَّيْثُ.

٤. الوَبْرُ الطَّرِيُّ.

٥. (الرَبْدُ)؛ ومن هذا المعنى الأخير اشتُقَّت الخَبْيَارِي: (الخَبْيَارِي Caviare): صنفٌ من صيدِ السمكِ؛

وهو (بزُرُ السَّمَكِ وبيضُها)؛ وهي حبيباتٌ طريّةٌ صغيرةٌ كثيرةٌ متراكمةٌ على بعضها بعضاً بما يشبه (الرَبْدَ).

ومن (خَبْيَارِي) استُبدلت الحاءُ بالكافِ لفظاً وبال(C) كتابةً؛ كما استُبدلت الباءُ بالفاءِ (V)؛

فأصبحت (Caviare)..^{٣٧}



ألا حبّذا أكلُ الكافيارِ

مع كلِّ حبيبٍ مختارِ

والبوح بأعذب أشعارِ

عزفاً على لحن أوتارِ

مطفئاً نيرانِي بعِيدارِ

٣٧ - منقول من الشبكة (الانترنت)، موقع فيسبوك، مجموعة الرابطة الثقافية المعرفية، منشور د.تائر ثابت القصير، من كتابه: العروبة.

الأعاريب.. أبازيغٌ وأمازيغٌ

هل سمعتَ بهذه الأقاويل؟
كيف كان العربُ الأعاريب
يفعلون في دُنْيَاهم الأفاعيل
ويبنون على مِصْرَ الأعاجيب
من سوريةَ المشرق: أبازيغ
ومن ليبياَ المغرب: أمازيغ
فاسمع ما يفرُدُ منك الأساير
ولا تقلْ لي أنها من الأساطير
بل إنها من أصدق الأحاديث.

- فأرضَ العربِ تُقسّمُ إلى قسمين:

١. سورية الكبرى التاريخية. ٢. ليبيا الكبرى التاريخية.

والحاجز الفاصل بينهما هو وادي نهر النيل، وبذا عُرفت الديار الواقعة على جانبي هذا الوادي العظيم (بمصرَ)، لأنّ كلمة (مِصْرَ) تعني (الحاجز الفاصل بين أرضين)، لذا فإن مِصْرَ هي الحاجزُ الفاصلُ بين أرضي سورية وليبية، والعرب هم أوّل من أبدعَ فكرةَ (خطّ الطول الصفر)، واعتبروا (وادي نهر النيل) هو (خطّ الطول صفر)؛ وإليه تُنسبُ أرضُ العربِ؛

١. فكلّ ما وقعَ منها شرقيّه سُمّي (سورية) حتى وادي السند؛

٢. وكلّ ما وقعَ منها غربيّه سُمّي (ليبيا) حتى المحيط الأطلسي

- فكانت الشمسُ تَبزُغُ وتشرقُ وتسطعُ وتَسُورُ على وادي النيل من جهة سورية؛ لذلك عُرفت سورية بلادِ بُزوغِ الشمسِ وسُورَها، حيثُ تسورُ الشمسُ من سورية.. (تسور = ترتفع)

- وكانت الشمسُ تَمزُغُ وتغربُ وتغيبُ وتمورُ عن وادي النيل في جهة ليبيا؛ لذلك عُرفت ليبيا بلادِ مُزوغِ الشمسِ ومُورَها، حيثُ تمورُ الشمسُ في ليبيا.. (تمور = تسقط وتغرب).

وعُرفت ليبيا بلادِ المور، حيثُ كان مصطلح بلادِ المور يُطلقُ على الشمالِ الأفريقيّ كُلّه، ومنه اشتُقت كلمة (موريتانية) التي كانت بالأصل تشملُ الشمالِ الأفريقيّ كُلّه إلى أن انحسرَ ليشملَ جمهورية موريتانية الحالية.

- وكلُّ مَنْ سكنَ سوريةَ الميسورة كان من العربِ السوريين أو الأبازيغِ (من فعل بَزَغَ)؛ لأنّه من جهة سورية تَبزُغُ الشمسُ على وادي نهر النيل.

- وكلُّ مَنْ سكنَ ليبياَ المستعرضة كان من العربِ الليبيين أو الأمازيغِ (من فعل مَزَغَ)؛ لأنّه في جهة ليبيا تَمزُغُ الشمسُ عن وادي نهر النيل.

- وكانت سورية الطولانية هي بلاد الأبازيغ،
- وكانت ليبيا المستعرضة هي بلد الأمازيغ.
- نستنتج أن تسمية (أبازيغ) هي تسمية حالي لا تسمية عرق، وكذلك تسمية (أمازيغ) هي تسمية حالي لا تسمية عرق.

-والعرب الأعراب: مجموع (العرب الأبازيغ + العرب الأمازيغ)

وكان (العرب) من العرب: إمّا (بازغ) سوريّ وإمّا (مازغ) موريّ.

-وحرف الباء(ب) في فعل (بزغ) يدلّ على الابتداء و الانطلاق؛

- بزغ: أصل واحدٌ وهو طلوعُ الشيء وظهوره.

بزغت الشمس: طلعت وشرقت وسورت وارتفعت وسطعت.

البزوغ: الابتداء؛ الطلوع بل هو أول الطلوع.

ويقترب من معنى بزغ كل من: (بَزَقَ وَبَزَجَ وَبَزَع).

والسؤال الآن: هل هم أبازيغ أو أبازيق أو أبازيح؟

الجواب: لا فرق في المعنى؛ لأنّه هناك إبدالٌ بين الغين والقاف والجيم، ولا يخرج معنى أبازيق وأبازيح عن معنى أبازيغ.

-وحرف الميم (م) في فعل (مزغ) يدلّ على الانتهاء والانقطاع؛

- مَزَغَ: (القول لي) كلمة تدلّ على أقول الشيء ونزوله وغيابه.

مزغت الشمس: نزلت وغربت ومورت وانخفضت وأفلت.

المزوغ: الانتهاء؛ الأقول؛ الغروب.

ويقترب من معنى مزغ كل من: (مَزَقَ وَمَزَجَ وَمَزَع).

والسؤال الآن: هل هم أبازيغ أو أبازيق أو أمازيح؟؟؟

الجواب: لا فرق في المعنى؛ لأنّه هناك إبدالٌ بين الغين والقاف والجيم، ولا يخرج معنى أبازيق وأمازيح عن معنى أمازيغ.

-وحرف العين(ع) في فعل (عرب) يدلّ على الاعتلاء والامتلاء والخيار والاختيار والجريان والانتقال الحركي.

-والأعراب: هم في انتقال حال ما بين أبازيغ وأمازيغ، ما بين سوريين وموريين.^{٣٨}

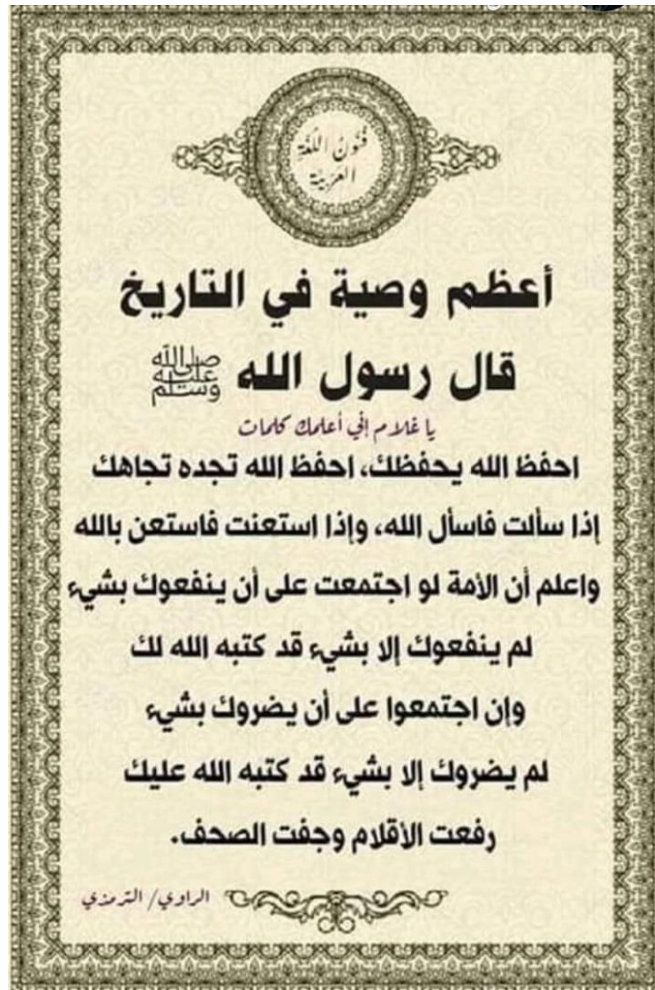
فإن رأيت حال العرب في طور مُزوغ

تذكر أنه لا بدّ لهم من جديد بزوغ.

٣٨ - منقول من الشبكة (الانترنت)، موقع فيسبوك، مجموعة الرابطة الثقافية المعرفية، منشور د.تائر ثابت القصير، من كتابه: العروبة.

دعوة أبي الحسن عليٍّ للعروبة

قولُ أميرِ المؤمنينِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ في الجزءِ الثاني من نَهجِ البلاغَةِ:
((فإن كان لا بُدَّ من العصبية؛ فليكنْ تعصُّبُكم لمكارمِ الخِصالِ ومحامدِ الأفعالِ ومحاسنِ الأمورِ التي
تفاضلتْ فيها المجداؤُ والنُّجداؤُ من (بيوتاتِ العربِ) ويعاسيبِ القبائلِ بالأخلاقِ الرغيبيةِ
والأحلامِ العظيمةِ والأخطارِ الجليلةِ والآثارِ المحمودَةِ، فتعصَّبوا لِحلالِ الحَمْدِ من: الحِفْظِ للجِوارِ،
والوفاءِ بالذِمَامِ، والطاعةِ للبرِّ، والمعصيةِ للكِبَرِ، والأخذِ بالفضْلِ، والكفِّ عن البغْيِ، والإعظامِ
للقَتْلِ، والإنصافِ للخَلْقِ، والكظْمِ للغَيْظِ، واجتنابِ الفسادِ في الأرضِ)).
هذه هي عُروبتنا وهذه هي بعضاً من مبادئها.
وتلك هي بيوتاتُ العربِ ويعاسيبُ قبائلِها قد جابتُ أراضيها..^{٣٩}



٣٩ - منقول من الشبكة (الانترنت)، موقع فيسبوك، مجموعة الرابطة الثقافية المعرفية، منشور د.تائر ثابت القصير، من كتابه: العروبة.

معنى كلمة عربي

إن (المركز) الذي شهد خلق آدم الإنسان العاقل الأول هو في إحدى المغاور الخفية في وسط جبال السراة من شبه جزيرة العرب، وأن ذلك الإنسان علم فيها اللغة التي تكلمها أبناؤه بعد هبطته منها وكل ذريته السراة بالسريانية أو السورية^{٤٠}، كما أن كلمة (آدم) هي في أصلها (دم) وتلفظ بالسريانية (دمو) وتعني: الدم، الأصل، الشخص، المثل، النظر، الشبيه، الند.. وهي التسمية التي ألصقت بالإنسان العاقل الأول حينما تدخلت في خلقه (القوة الإلهية) التي هي الروح، أو رب الأرباب، أو (الرحمن) في مصادر التراث العربي القديم، إذ أن هذه القوة خلقتة على مثالها أو شاكلتها، فدعي (بالمثل) أو الشخص، ومن الكلمة جاءت (دميتا) وهي المؤنث، وهي (دمية) في العربية الحديثة أي المثيلة، الشبيهة.^{٤١}

- إن كلمة (رب) تعني أيضاً السيد، ورب البيت سيده ومالكه أو ملكه، ومؤنثه (ربت) في العربية القديمة، وهي (ربة) فيما بعد وتعني السيدة، الملكة.. ولما كانت عقيدة الخصب العربية السورية هي أقدم عقائد الخصب في العالم، وهي عقيدة الخصب المركزية الأولى على هذا الكوكب، فقد وجدت انعكاسها العقائدي على بنية وتكوين اللغة العربية السورية، فالأبجدية العربية، أو السورية، منذ أن وجدت، أو وضعت، كانت اثنتين وعشرين حرفاً هي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت.

ولما كان الألف في العربية القديمة يعني: الثور، العشير، المخصب، الأليف، الشريك، والثور هو المخصب في عقيدة الخصب، وهو الرب (السيد) الذكر المخصب، فإنه إذا ما أضيف على نهاية كل من (رب) و (سر) صارت كل منهما تعني الوفرة والكثرة والخصب، إن (رباً) تعني زاد وارتفع وكثر، وأخصب، وبالإبدال الشائع في العربية بين الهمزة والعين، تصبح (ربع) أي أخصب، والربيع أي الخصب، وربيع رابع شديد الخصب، وإن (سراً) تعني خصب وزاد، وسرأت السمكة باضت، وسرأت المرأة كثر أولادها.

ولما انقسمت هذه اللغة إلى لهجات مع تباعد انتشار السلالة استخدمت إحدى اللهجات (الياء) في الجمع وهي لهجة جبال السراة (السريانية، أو السورية) فصارت (أربي أو عربي) وتعني السيد، المعلم، المخصب.. جمع أربيو أو عربيو (للإبدال بين الهمزة والعين) وتعني العرب: أي السادة المعلمين.

أما في لهجة (أربت أو عربت) التي هي منطقة السهل الخصب في شبه جزيرة العرب في البداية وقبل تصحره فقد أضيفت (النون) علامة للجمع فصارت (سرن) أي السورين أو السريان، وغ (أربن) أو (عربن) أي عرب وعربان.

٤٠ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، التاريخ والأنتوجرافيا، ص ٦٤٢.

٤١ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.ن، ص ٦٤٣.

وأن العربية القديمة (أو السورية) لم تكن تكتب الأحرف الصوتية (ا، و، ي) أي الأحرف اللينة الساكنة في تعريفنا لها اليوم.

ولما كانت تلك الجبال تمثل في التراث: الجبل المركز الأول، والأرض الجنة، والحلّة الآمنة، وفيها المغاور المقدسة التي تنبع منها الأنهار المقدسة التي تخرج لتروي جنة عدن، وهي الفرات، والنيل، وسيحان، وجيحان^{٤٢}، وفيها (الكعبة) موضع (الياقوتة) أو البيت المرفوع، الذي هو القبل، وفيها ظهرت عشتار للمرة الأولى ممسكة بضيفرتها ودعيت (أفروديت ذات الضفيرة)، وفيها مياه (أردن) الطاهرة المقدسة.

(جمع رديا) وفيها قبر كل من أوزيريس وإيزيس، وآدم، ونوح وغيرهم، فقد بقيت هي المركز المقدس، بعد انتشار سكان السراة، عند السومريين، والآكاديين، والبابليين، والفينيقيين، والمصريين، والهنود، واليونان، وغيرهم، كما نقل منهم السوريون- كما سبق أن رأينا - كل الأسماء المركزية المقدسة إلى شتى مواقع وجودهم وانتشارهم، وبقيت اللهجة العربية السريانية أو السورية هي اللهجة العامة والسائدة في كل تلك المناطق، فدعي السكان سريانياً أو سوريين، كما دعيت الأرض "سوريا".

(من سري = أي السيدة) أو سوريث (سورية، من "سرت" أي السيدة). فالتسمية السلالية هي (السوريون).^{٤٣}



عشتار الراكبة واقفة على ظهر أسد دليل الطموح والقوة والعنفوان عند الفينيقين العرب السوريين^{٤٤}

٤٢ - المسعودي، أخبار الزمان، ص ٢٤٥، نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، ص ٦٤٥.

٤٣ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، التاريخ والأنتوجرافيا، ص ٦٤٤ - ٦٤٦.

٤٤ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.ن، ص ٤١٤



إيزيس كاهنة الخصب في ملابسها العربية الزاهية والفخمة والتي تقول في أشعارها العربية الفينيقية: (وقد حملت الرجال على حب النساء، وجعلت العدالة أقوى من الذهب والفضة، وقضيت بأن يرى الناس الحق جميلاً..)^{٤٥}

- اللغة المصرية القديمة عربية المنشأ:

إن لغة سكان وادي النيل القديمة هي العربية السريانية (أو السورية) أي عربية جبال السراة القديمة، ولا يمكن فهم معنى أية كلمة منها إلا من خلال القاموس السرياني، وتشمل هذه الحقيقة أسماء الأرباب والملوك والمدن جميعاً في وادي النيل.

إن (ميناء) الذي أنشأ أول مدينة في وادي النيل وهي (طيبة) هو من عرب السراة، وإن كلمة (ميناء) تعني في القاموس السرياني:

الأصل، النسل، العشيرة، القبيلة، السلالة، الذرية، أبو العشيرة، أبو السلالة، إنه مؤسس السلالة الملكية التي حكمت وادي النيل منذ القدم.

وقد اعتاد العرب السوريون المؤسسون القدامى أن يطلقوا على الأب المؤسس في مواقع الانتشار.

إن هذا عينه هو ما حدث مع ابن الأميرة السورية أوروبا في كريت، حيث أسس سلالة الملوك هناك ودعي (ميناء) كما دعيت حضارة كريت بال (مينوية) من قبل المؤرخين نسبة إليه.

أما (طيبة) فهي تمثيل (طبت) أو الطوبى، أو دار النعيم المركزية المقدسة، وهذا ما فعله قدموس السوري شقيق أوروبا في شبه جزيرة المورة فيما بعد حيث بنى مدينة (طيبة) هناك تيمناً بالمدينة المقدسة في المركز.

يقول الدكتور جواد علي نقلاً عن ديودور الصقلي:

(وميناء هو أول ملك حكم مصر بعد حكم الآلهة، وهو الذي علم الناس العبادة وأمور الحياة)^{٤٦}.

٤٥ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، ص ٣٩٤.

٤٦ - جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء ١، ص ٤٠٥. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٥٧ - ٦٥٨.

ولقد رأينا كيف أن جميع مدن وادي النيل القديمة استنساخاً للمغاور (المدن) المقدسة في الأرض المقدسة المركزية في جبال السراة.

ويؤكد مونتييه أن سكان وادي النيل القدامى جاؤوا من الشرق، ومن جزيرة العرب تحديداً، وعن الطائر الحر (الصقر) الذي تقدر في وادي النيل يقول: (إن الاسم حور وخاص بالآلهة الذي صورته المصريون كصقر خلال كل التاريخ المصري، وإن له الاسم نفسه الخاص بالصقر المسجل في قواميس العرب، لقد أتى هذا الصقر من شبه جزيرة العرب، التي غالباً ما اجتاحت سكانها مصر خلال مسيرة التاريخ ودخلوا وادي النيل)^{٤٧}.

العربية القديمة والحديثة	المصرية القديمة
حتمو، حتما، ختم	حتم
حسي، خسي	حسي
حطم	حطم
واحة	وحت
ما، مي، ماء	مو
ذيبو، ذنب	سيب
سمير	سمر
مرد، مرض	مرت
إدنو، إذن	إدن
طفل	طفن
اثنان	ثنو، سنو
أحو، أخ	أح
حتو، أخت	حت
قمحو، قمح	كمحو
كرمو، كرم، عنب..	كرمو

٤٨

٤٧- P. Eternal Egypt، Montet، New York، 1964، p. 20. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.ن، ص ٦٥٨.

٤٨- تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٥٧.

العرب السوريون هم المعلمون للعالم

(اللغة العربية أصل اللغات العالمية)

إن العرب الأقدمون هم أول من وضع أبجدية في التاريخ وهي (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، اثنان وعشرون حرفاً واثنان وعشرون علامة، وذلك منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد، كما تبين آخر الدراسات العلمية الحديثة، فقد كشفت لنا حقيقة وهوية لغتهم المحكية منذ ذلك الزمن الموهل في القدم، وذلك قبل أن يوجد (سام بن نوح) نفسه بعدة مئات، إن لم يكن بعدة آلاف من السنين.

ولقد تم تصوير أصوات الكلمة العربية المحكية بأحد الأشكال الثلاثة: إما برسم صورة لشيء يدل عليه، وهذا ما أخذ به أبناء وادي النيل وسميت الكتابة الهيروغليفية (فالصوت " آ " مثلاً كانوا يرسمون صقراً ليدل عليه) أو برسم علامة إسفنجية مستخدمين القلم المقطوع بشكل مثلث مائل للرسم علامات المقاطع اللاصقة، ثم جاءت الحروف الفينيقية بعلاقتها المختصرة البسيطة والساحرة، والتي انطلقوا بها من الشواطئ السورية عبر المتوسط ليغطوا بها (اليونان وإيطاليا، وأسبانيا، وكل أصقاع أوروبا، والجزر، وشواطئ البحر الأسود، وصولاً إلى الشواطئ الأمريكية..).

يقول المؤرخ الألماني هنري بريستد في كتابه (العصور القديمة): ولم تكن الملابس وفن الزخرفة والتزيق والأساليب الصناعية العملية الأشياء الوحيدة التي جاء بها الفينيقيين، فهناك حروف الهجاء، وهي أهم ما وصل إلى أوروبا من خارجها، وكان الفينيقيون قد هجروا منذ زمن بعيد استعمال آجر بابل في الكتابة لأنهم كانوا (في الألف الثاني قبل الميلاد) قد استوردوا كميات كبيرة من ورق البردي المصري، واخترعوا أسلوباً للكتابة خاصاً بهم، استعملوا فيه اثنين وعشرين حرفاً، ولم يكن في هذا الأسلوب علامات للمقاطع، بل كانت كل علامة تمثل حرفاً واحداً صامتاً.

فكان الفينيقيون أول شعب ابتكر أسلوباً للكتابة ليس فيه إلا العلامات الهجائية أي حروفاً حقيقية.. ورتب الفينيقيون حروفهم على أسلوب موافق بحيث تألف من الاثنتين وعشرين حرفاً مجموعة حروف خالدة سهلة التعلم، ولو لم يسم كل حرف منها باسمه لما كان حفظها ممكناً، لقد سمو الحرف الأول في أبجديتهم (ألفا) بما معناه في لغتهم (ثور) وسموا الحرف الثاني (بيتا) بما معناه (بيت) لأن الكلمة الفينيقية (بيت) تبدأ بحرف الباء الذي هو الثاني في ترتيب الحروف الأبجدية، وهكذا إلى الآخر، وكان أولاد التجار الفينيقيين إذا تعلموا حروفهم الهجائية وسئلوا أن يسردوها قالوا: ألفا، بيتا،.. الخ.

وكما حمل الآراميون (وهم السريان) الحروف الآرامية شرقاً إلى آسيا حتى الهند كذلك حملها الفينيقيون عبر البحر المتوسط إلى أوروبا، وكان اليونان الذين رأيناهم قبلاً يزدحمون حول السفن الفينيقية يشاهدون بأيدي الفينيقيين قطعاً من الورق الأصفر عليها علامات غريبة سوداء.

ومع أن تلك القطع لم تكن سوى قوائم تجارية وأوراق لا غنى للتاجر عنها فقد رأهم أمرها بادئ ذي بدء، وحبسوها رموزاً غامضة تنذر بخطر قريب، وقد ظل أكابر البلاد أحقاباً طويلاً أميين، كانوا ينظرون إلى الكتابة نظرة المرتاب الحذر، ولم يبدأوا بتعلم الكتابة إلا بعد ٧٠٠ عام قبل الميلاد^{٤٩}.. وكان أولاد اليونان في تعلمهم القراءة يسمون الحروف بنفس الأسماء التي كان يسميها بها الفينيقيون.

ولما كان اليونان يجهلون معاني تلك الأسماء الغريبة فقد حرفوا لفظها قليلاً، وصار يقرأها أولادهم بحسب ترتيبها الفينيقي المعلوم ألفاً، بيتاً.. الخ.. التي منها جاءت اللفظة الأوروبية Alphabet، وهي أثر باق من اللدّين العظيم المدين به الغرب للشرق، ولا سيما للفينيقيين الذي نفخوه بعطية لا تتمين هي الكتابة بالحروف الهجائية التي وصلت إيطاليا من بلاد اليونان ثم امتدت إلى سائر جهات أوروبا.

والحقيقة لا مرأ فيها هي أن حروف هجاء بلاد الغرب والشرق متسلسلة من حروف الهجاء الفينيقية، وجاء إلى أوروبا، لأول مرة مع حروف الهجاء القلم والحبر والورق، وجاء مع الورق اسمه الشرقي (بابيرو) اسم المدينة الفينيقية التي جاءهم منها.. وسموا ما كتبه عليها (ببيليا)، ومنها أخذت أوروبا لفظة (بايل) التي معناها (الكتاب)^{٥٠}.

- لقد تميزت في لغتنا العربية القديمة ثلاث لهجات رئيسية هي السريانية في الشرق، والآمورية (وهي الفينيقية) في الغرب، والعرباء (أي النقية أو الشديدة العروبة) في جوف شبه جزيرة العرب.

إن هذه اللغة بلهجاتها الرئيسية الثلاث كانت تستوعب كل الفروع السكانية العربية^{٥١}، ونحن في كتابنا اعتمدنا مصطلح **عروبي** للغات واللهجات العربية القديمة و**عروبي** للغة العربية الفصحى وهي لغة القرآن الكريم.

- إن اللغة العربية القديمة بلهجاتها السريانية والفينيقية كانت هي لغة الكتابة والحضارة والإدارة في كل الأصقاع التي انتشر فيها العرب السوربون^{٥٢}.

٤٩ - العصور القديمة، جيمس هنري بريستد، ترجمة: داود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٩٤، نقلاً عن:

تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، د. أحمد داوود، دار الصفدي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٣- ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ٥٨.

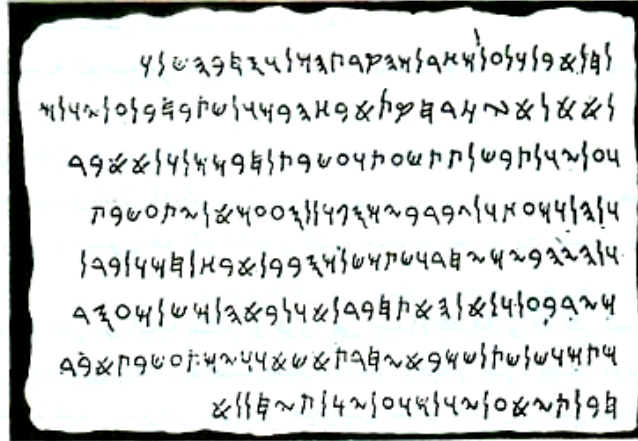
٥٠ - العصور القديمة، مرجع سابق، نقلاً عن:

تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٥٦- ٥٨.

٥١ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٠.

٥٢ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٧١.

- الحروف الفينيقية العربية:



الحروف الفينيقية العربية في النص الفينيقي المكتشف على صخرة (بارايبيا) في البرازيل.

يعود إلى بداية الألف الأول قبل الميلاد، أي إلى ما يقرب من ٢٥٠٠ عام قبل كريستوف كولومبوس^{٥٣}

وشبه جزيرة العرب هي المركز والمنشأ والموطن الأول للإنسان العربي أقدم إنسان عاقل على الأرض^{٥٤}.

- الهيروجليفية:

إن كلمة (هيروجليفية) هي عربية قديمة تعني الرسم أو التصوير أو النقش بالقلم على لوح الطين اليابس، وهي مؤلفة من كلمتين (أوري) = رسم، نقش، زخرفة، زينة، تصوير، و(جليفو) = لوح = الطين اليابس، وهي بالعربية اليوم (الجلف) = لوح الطين اليابس، وليست كلمة إغريقية تعني الكتابة المقدسة كما افترض وزعم المؤرخون في الغرب^{٥٥}.

(اللغة، اللغة، إنها روح الشعوب، وفيها يقرأ مصيرها)

الشاعر الفرنسي بيرانجيه^{٥٦}.



٥٣ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، د. أحمد داوود، دار الصفدي للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق- سوريا، ط ٣- ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، ص ٨٢.

٥٤ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٨٤.

٥٥ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٥٤- ٥٥.

٥٦ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٣٤.

بدايات اللغة الطبيعية

من بين حوالي ٤٠٠٠ نوع من اللبونات وعشرة آلاف نوع على الأقل من الطيور، ننفرد نحن البشر بأنا الفقاريات العليا الوحيدة التي تمتلك لغة حقيقية، فبعض الطيور تقلدنا، وتتبادل النحللات المعلومات (بالرقص)، ولكن لا وجود لنوع من هذه الأنواع يقترب، ولو من بعيد، من المحادثة المعتادة التي يجريها البشر فيما بينهم، فمن أين نتناول هذه الميزة بالدرس؟

فالدماغ الذي تبلغ كتلته ٢% تقريباً من كتلة الجسم يساهم بنسبة ١٥% - ٢٠% من استهلاكنا للطاقة. أما **علاقة القشرة الدماغية بالعلاقات الاجتماعية** فلوحظ تجريبياً إن الفئات الاجتماعية التي تكونها أنواع الرئيسيات، يزداد عددها مع ازدياد حجم قشرة الدماغ الجديدة عندها وينطبق ذلك على البشر أنفسهم. بمعنى أن تعميم هذه العلاقة (بين حجم أفراد الجماعة وحجم قشرة الدماغ) على نوعنا يؤدي إلى أن عدد أفراد الجماعة البشرية يجب أن يقرب من ١٥٠ فرداً، أي أكبر بثلاث مرات من متوسط حجم الجماعة عند أكثر الرئيسيات ميلاً إلى الحياة الاجتماعية كقردة الشمبانزي وهذا العدد يقارب عدد الأفراد في الجماعات التي صادفناها عند الإنسان الحديث: مجتمعات العشائر التي تعيش على الصيد والقطاف، أو حجم وحدات التنظيم الكثيرة العدد التي نصادفها في المشاريع أو الجيوش. وكلما كانت الفئة الاجتماعية كبيرة العدد، وجب على الفرد أن يحتفظ في ذاكرته بعلاقات أكثر تشمل علاقته مع كل فرد في الفئة وعلاقة هؤلاء بعضهم ببعض فعدد **العلاقات الممكنة** لا يتزايد تزايداً خطياً إذن مع **حجم الفئة**، بل يتزايد وفق **متوالية هندسية**، هذا عدا أن العلاقات الاجتماعية تظل في تغيير دائم. إذ يعتمد الأفراد صداقات جديدة وينسون القديمة، وينضج الفتیان منهم ويصبحون أكثر قوة وجاذبية، بينما يشيخ المسنون ويضعفون.

تتيح لنا اللغة تخصيص وقت للتفاعلات الاجتماعية، ولكنها تجعل هذا الوقت أكثر غنى وخصوبة. فالدراسات التي تمت عند المجتمعات السكانية الزراعية في نيبال وغينيا الجديدة وإفريقيا الغربية وعند الرعاة في إفريقيا الشرقية والمجتمعات السكانية في مجتمع الأبوريجين في منطقة الاقيانوس (أستراليا). كشفت أن ما يقرب من ٢٠% من وقت يقظة سكانها، مهما تكن ثقافتهم، يخصص بالدرجة الأولى للمحادثات.

وعند دراسة الإحصائية للمحادثات العفوية والتي تجرى في أماكن مختلفة (في ندوات جامعية، في المقاهي، في القطارات..).

فاكتشفنا أن ٦٥% تقريباً من وقت المحادثة يخصص لمواضيع اجتماعية: ما الذي فعله فلان لفلان، من أحب ومن كره، ماذا نحب وماذا نكره الخ.. جزء صغير كان مخصصاً (ولنترك العلم جانباً) لأخبار الثقافة، والدين، والسياسة، وحتى الرياضة فهذه المواضيع كانت تبدو على امتداد عدد كبير من المحادثات أقل غلبة مما يمكن انتظاره، إن الدور الذي تقوم به المحادثات هو دور الزيت الذي يسهل دوران العجلة الاجتماعية.

- الأصل التشريحي للغة:

إن ظهور الحضارة جعلتنا نخرج من حالة الفطرة..

فاللغة التي أخرجتنا من الحالة الاجتماعية البدائية إلى الحالة الثقافية فأصبحت دعامة للعقل والفكر والمنطق. وعلى الرغم من أن تكوين الأعضاء المصدرة للصوت عند الإنسان كانت، كما هو واضح، قد تأهلت بيولوجياً لإصدار الأصوات من الفم بطبقات من مخارج مختلفة فقد دعم تنوع اللغات الفكرة القائلة إن التخاطب عن طريق الكلام كان ابتكار ثقافياً، وقد أتاح فهم الطريقة التي تعمل بها اللغات، وبخاصة تمييز البنى النطقية أي المصدرة للنطق (الصواتية) Phonologiques، التوصل إلى أسس عامة لعلم اللسانيات، وهي وجود استعداد ذاتي مسبق للغة، بمعنى أن هذا الاستعداد كان بيولوجياً في الأصل، وقد طورت هذه الفكرة منذ انطلاقتها تطوراً واسعاً.

- نظرية التعاون المتبادل في أصل وتطور اللغة:

إن تطور الاصطفاء الطبيعي الدارويني في تفسير السلوك التخاطبي بين الحيوانات وتطور اللغة عند الإنسان جعلت الباحثون يقترحون نظريات عديدة منها: نظرية التعاون المتبادل بين الحيوانات، والتعارف والتعاون بين الإنسان وليس الصراع أو الحفاظ على النوع أو البقاء للأصلح.

وهذه مفاهيم قديمة أثبتت الأبحاث العلمية والتجارب عن طريق المحاكاة الحاسوبية عدم صحتها عموماً، وعند اختبار مدى مصداقية استراتيجية التواصل الصوتي واللغوي فلقد اخترنا مدى مصداقية استراتيجية التواصل الصوتي اللغوي بوساطة المحاكاة الكمبيوترية التي تستخدم تقنيات الحساب الخوارزمي الجينية (أو المتعلقة بالمورثات) والتي تسمح لنا بأن ندخل في ذاكرة الكمبيوتر، آليات التطور بالاصطفاء الطبيعي، وثم التحكم في سلوك الأفراد الافتراضيين بوساطة (جينوم) (أو حمض نووي DNA) يتمثل في متواليات من النبضات أو الشدافات الخاصة بالفرد، وهي التي تقدر سلوكه التواصلية..

أما طريقة اكتساب المعلومات في هذا السيناريو، فتترجم مباشرة بزيادة فرصة الملتقي على البقاء حياً، كما أن الأفراد يؤثر بعضهم في بعض، ويتكاثرون ويموتون، وخلال عدد من الأجيال، يجري البحث عن الاستراتيجيات الراجعة، فلوحظ أن تبادل المعلومات المفيدة لأعضاء الفريق الآخرين ليس استراتيجية مستقرة

إذ استبدلت دوماً بلا استثناء باستراتيجية تقوم على الكتمان، وكانت أفضل استراتيجية بالنسبة للفرد وهي أن يترك الآخرين ييوحون بمعلومات، بينما يحتفظ هو بما لديه منها طي الكتمان وهناك تفسير آخر يقوم على نظرية التعاون المتبادل، وتفترض هذه النظرية، عند تطبيقها على اللغة، أننا قد نعطي معلومات للآخرين مقابل أن يردوا بالمثل مما عندهم، أي كنوع من المقايضة.

لكن ماذا عن البشر؟

إننا إذا اعتمدنا على الرابطة بين قشرة الدماغ الحديثة وأحجام الجماعات التي تكونها الرئيسيات، أمكننا منطقياً، افتراض أن أحجام الفئات الاجتماعية التي كونها أسلافنا قد أصبحت بالتدرج أكبر من أحجام الفئات التي تكونها قرود الشمبانزي الحالية (ليس أكثر من خمسين فرداً) إذن، لابد أن الإنسان الماهر Hom Habilis كان يعيش قبل ٥,٢ مليون سنة ضمن زمر أو مجموعات يعد كل منها ٨٠ فرداً لحجم التحالفات ضمن هذه الجماعات، فقرود الشمبانزي تشكل تحالفات من فردين أو ثلاثة، فما النتيجة التي تترتب على وجود تحالف أكبر عدداً؟ لاشك أن المجهود الجسدي المباشر الأقل حدة، وبالتالي الأثر الأدنى لقوة بأس هذا الفرد أو ذاك، هو لصالح الاستراتيجيات الجماعية التي يهدف إلى ضبط مواردها من الأفراد وسلوكهم، فالتحالف في إطار هذه الاستراتيجيات، مع أفراد قادرين على اكتساب معلومات قبل الآخرين، سيكون مجدياً مثله مثل التحالف مع الأفراد الأكثر قوة.. فليس غريباً بعد هذا، أن يمض الناس شطراً كبيراً من زمانهم في اكتساب هذه القدرة والتدريب على كسب المعلومات عن طريق اللغة، لابد لنا، لكي نجعل هذا النموذج المحاكي يفسر عملياً أصل اللغة، من افتراض أن نجاح التحالف مرتبط بهذه القدرة الإعلامية وقد يكون الأمر مرحلياً، وهو طبعاً مجرد تخمين يجب تقويمه على الصعيدين الاجتماعي والأخلاقي، ولكنه تخمين يتمشى مع الدور الذي تؤديه اللغة في مجتمعاتنا، ليس في اللغة السياسية الرسمية فحسب، بل وحتى في إقامة علاقات الصداقة والحفاظ عليها، لأننا نضع ثقتنا في أشخاص نجد خطابهم مواتياً، إذ لو كان التخاطب مجرد تمضية للوقت، كما هو حال الرياضة أو لعب الورق، فلماذا يكون الأشخاص الذين نجب التحادث معهم هم أنفسهم الأشخاص الذين نعتمد عليهم في مد يد المساعدة لنا؟

إن هذه الرابطة في نموذجنا المحاكي ضرورية، لأن اللغة هي الوسيلة المفضلة التي يقدر بها الشركاء أحدهم

الآخر.



البعد اللغوي العربي في القرآن الكريم

اللغة ليست مجرد ألفاظ فكرية وهذا موضوع علم الاجتماع اللغوي وعلم النفس اللغوي، تصف كل ما يكتب بها بصفاتها وتطبعه بطابعها.

والقرآن الكريم ذاته يقرر مدى عمق البعد اللغوي عندما يكرر في آياته الكثيرة صفته (العربية) حيث يقول في إحدى هذه الآيات:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿ الزمر، ٢٧-٢٨.

لنتأمل في صفتي القرآن هنا والترابط بينهما، أي بين هاتين الصفتين:

(عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ).

فلقد اختار الله تعالى، من بين كل اللغات والألسنة، اللغة العربية لتكون الوعاء الأمين الذي يحمل الحقيقة الإلهية الكونية القرآنية إلى الإنسانية كلها. ولا بد أن ذلك تم:

- لحكمة تتصل بطبيعة الرباط الوثيق بين الحقيقة القرآنية والحقيقة اللغوية العربية.
- ومدى تقبل لغة العرب لحقائق القرآن وإعجازه..
- وقدرتها على تجسيد هذا الإعجاز وحدها بين مختلف لغات البشر وألسنتهم بحيث جاء القرآن يحكم الاندماج العضوي بين حقيقته الإلهية وصفته العربية قرآنًا ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾، بل ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي

عِوَجٍ﴾ الزمر، ٢٨.

بحيث جاءت صفته العربية، وكأنها طبيعة ثانية له، بعد طبيعته الإلهية المطلقة وأصبح وصفه بالكمال ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ مقترناً بوصفه العربي.

بل إن هذا الوصف العربي يأتي ملتصقاً بالقرآن قبل وصف الكمال - ولموضع كل كلمة في الإعجاز القرآني حكمة وغاية - وكأن العربية كصفة من صفات القرآن الجوهرية، جزء مكمل لكماله.

وإذا كان الوحي، أو الروح القدس هو الوسيلة الإلهية التي أوصلت القرآن من الله تعالى إلى الرسول ﷺ، فإن العربية، ستبقى بعد توقف الوحي وختام النبوة، هي وسيلة الإلهية التاريخية الدائمة والمستمرة لتوصيل الحقيقة إلى سائر البشر.

فهي تواصل الآن، في توصيلها القرآن الكريم وتعاليمه إلى كل عقل بشري، مهمة الوحي الأول التي تمت بتوقف الوحي وختام النبوة ووفاة النبي العربي، وهذا مصداق قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف، ٢.

فالعربية إذن - هي واسطة القرآن إلى كل عقل واسطته الباقية ببقائه والخالدة بخلوده وهذه حقيقة ملزمة لكل مسلم صادق مؤمن مخلص - عربياً كان أم غير عربي، إذ لا يمكنه أن يتقبل القرآن من حيث هو كتاب إلهي، ويصدر عنه من حيث هو قرآن عربي، فهذه الصفة الثابتة نص قرآني ملزم لاعتقاد المسلم، أياً كانت لغته، وقوميته، بحيث يصدق الحكم القائل: (أن مودة المسلمين للعرب من دلائل حسن إسلامهم، وكرههم للعرب مدعاة للظن في صدق ما يعلنون من إسلام).

وهذه حقيقة يؤكدتها التاريخ العربي الإسلامي على ضوء التيارات الشعبية التي بدأت بالظهور في العرب وانتهت بالزندقة في الإسلام وتشويهه إذ كان هدفها البعيد في نهاية المطاف^{٥٧}.
ولكن القرآن الكريم يقرر:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ التوبة، ٣٣.
﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ التوبة، ٣٢.



٥٧- رؤى إسلامية معاصرة، الكتاب الخامس والأربعون، ١٥ يوليو ٢٠٠١، القومية في القرآن الكريم حقيقة مؤكدة، د. محمد جابر الأنصاري، ص ١٠٢-١٠٣.

اللغة التي تكلم بها آدم

كانت لي وقفة طويلة منذ زمن أمام أصل اللغات وأنا أتأمل اللفظة العربية.. كهف.. فأجدها في الإنكليزية (CAVE) وفي الفرنسية (CAVE) وفي الإيطالية (CAVE) وفي اللاتينية (CAVU)، فأسأل وأنا أراها كلها واحداً، أي لغة أخذتها عن الأخرى وأيها كان الأصل.

وكان الجواب يحتاج إلى الغوص في علم اللغويات والبحث في البحار القديمة التي خرجت منها كل الكلمات التي تتداولها، وكان هذا الأمر يحتاج إلى سنوات وربما إلى عمر آخر.

ودار الزمن دورته ثم وقع في يدي كتاب عنوانه (اللغة العربية أصل اللغات) والكتاب بالإنكليزية والمؤلفة هي تحية عبد العزيز إسماعيل أستاذة متخصصة في علم اللغويات، تدرس هذه المادة في الجامعة إذن هي ضالتي، وعرفت أنها قضت عشر سنوات تنقب وتبحث في الوثائق والمخطوطات والمراجع والقواميس لتصل إلى هذا الحكم القاطع، فازداد فضولي وشوقي والتهمت الكتاب في ليلتين.

والكتاب في نظري ثروة أكاديمية وفتح جديد في علم اللغويات يستحق أن يلقي عليه الضوء وأن يقيم وأن يأخذ مكانه بين المراجع العلمية الهامة.

وألفت نظر القارئ أولاً أن يمر بعينه على الجداول الملحقة بالمقال ويلاحظ الألفاظ المشتركة بين اللغة العربية والإنكليزية، وبين العربية واللاتينية، وبين العربية والهيوغليزية، وبين العربية والفرنسية، وبين العربية والأوروبية القديمة وبين العربية واليونانية وبين العربية والإيطالية، وبين العربية والسنسكريتية، ليشهد هذا الشارع العربي المشترك الذي تتقاطع فيه كل شوارع اللغات المختلفة وهذا الكم الهائل المشترك من الكلمات رغم القارات والمحيطات التي تفصل شعوبها بعضها عن بعض.

وأعود إلى السؤال: لماذا خرجت المؤلفة بالنتيجة القاطعة، أن اللغة العربية كانت الأصل والمنبع وأن جميع اللغات كانت قنوات وروافد منها:

تقول المؤلفة في كتابها، أن السبب الأول هو سعة اللغة العربية وغناها وضيق اللغات الأخرى و فقرها النسبي، فاللغة اللاتينية بها سبعمائة جذر لغوي فقط والسكسونية ألفا جذر بينما العربية بها ستة عشر ألف جذر لغوي، يضاف إلى هذه السعة سعة أخرى في التفعيل والاشتقاق والتركيب، ففي الإنكليزية مثلاً لفظ (TALL) بمعنى طويل (والتشابه بين الكلمتين في النطق واضح) ولكننا نجد أن اللفظة العربية تخرج من مشتقات وتراكيب بلا عدد (طال يطول وطائل وطائلة وطويل وطويلة وذو طول ومستطيل).

بينما اللفظ الإنكليزي (TALL) لا يخرج منه شيء، ونفس الملاحظة في لفظة أخرى مثل (Good) بالإنكليزية وجيد بالعربية وكلاهما متشابه في النطق، ولكننا نجد كلمة جيد يخرج منها الجود والجودة والإجادة ويجيد ويجود وجواد وجياد.. إلخ، ولا نجد لفظ (GOOD) يخرج منه شيء.

ثم نجد في اللغة العربية اللفظة الواحدة تعطي أكثر من معنى بمجرد تلوين الوزن، فمثلاً: قاتل وقتيل وفيض وفيضان ورحيم ورحمن ورضى ورضوان وعنف وعنفوان، اختلافات في المعنى أحياناً تصل إلى العكس كما في قاتل وقتيل، وهذا التلوين في الإيقاع الوزني غير معروف في اللغات الأخرى، وإذا احتاج الأمر لا يجد الإنكليزي بدأ من استخدام كلمتين مثل:

(GOOD) و (VERY GOOD) للتعبير عن الجيد والأجود.

وميزة أخرى ينفرد بها الحرف العربي هي أن الحرف العربي بذاته له رمزية ودلالة ومعنى، فحرف الحاء مثلاً: نراه يرمز للحدة والسخونة، حمى حرارة وحر وحب وحريق وحققد وحميم وحنظل وحرير وحرمان وحرير وحنان وحنة وحاد وحق.

بينما نجد حرفاً آخر مثل الحاء: يرمز إلى كل ما هو كرهه وسيئ ومنفر ويدخل في كلمات مثل خوف وخزي وخجل وخيانة وخلاعة وخنوثة وخذلان وخنزير وخنفس وخرقة وخرأ وخلط وخبط وخرق وخسة وخسيس وخم وخلع وخواء.

ونرى الطفل إذا لمس النار قال.. أخ، ونرى الكبير إذا اكتشف أنه نسي أمراً هاماً يقول.. أخ (فالنسيان أمر سيئ).

وهذه الرمزية الخاصة بالحرف والتي تجعله بمفرده ذا معنى هي خاصة ينفرد بها الحرف العربي، ولذا نجد سور القرآن أحياناً يبدأ بحرف واحد، مثل ص، أو (ق)، أو ن.. وكأنما ذلك الحرف بذاته يعني شيئاً، ولأن للحروف في العربية معناها ومدلولها..

عربي	يوناني قديم	عربي	هيراغليفي
كفن	Coffinos	أب	أبو
قانون	Kanawn	خاتم	ختم
عربي	انجلوساكسون	يم	يما
ورد	Wyr	نهر	نهير
ضار	Daru	قطاع	كاتاع
هو	he	عين ماء	عينو
هي	Heo	صحوة	صهوة
هم	Hem	حققد	حككت
		آتون (النار)	آتون (الشمس)

عربي	إنكليزي	عربي	إنكليزي
كفن	Coffin	سدر	cedar
كهف	Cave	بخار	Vapour
هرع	hurry	قابل	able
بركان	Volcan	بدن	Body
يقرض	Corrde	جارية	girl
ليث	lion	رسغ	Wrist
قط	Cat	مطر	water
مرآة	mirror	وسط	Wist
جدى	Goat	فاضى	Void
بركة	Brook	قال	call
فسيخ	fish	مسيطر	Master
يزغلل	Dazzle	بلف	Bluff
فلنة	fault	نبيل	Noble
هلاوس	hallucinations	باطن	bottom
جيد	Good	شريف	Sheriff
عنق	neck	قصر	Castle
ألماني	عربي	لاتيني	عربي
erd	أرض	cannon	قانون
volkan	بركان	manon	الإله (مناة)
katxe	قط	gaballum	جباية
reise	أرز	alcan	بركان
noble	نبيل	nafela	نافلة
kassel	قصر	nobilis	نبيل
lowe	ليث	bucula	بقرة
defence	يدافع	fallita	فلنة
burg	برج	auzon	أذن
broka	بركة		
(ألماني قديم)			
strasse	صراط		
zucker	سكر		

إنكليزي	عربي	لاتيني	عربي
gazel	غزال	defendo	يدافع
giraf	زراف	rego	أرجو
castle	قصر	cannabis	القنب
sugar	سكر	dicere	ذكر
just	القسط	vidus	فاضى
street	صراط	cavus	كهف

rice	أرز	zeferos	زفير
lemon	ليمون	corus	قارض
noble	نبيل	arcus	عرج
		cinis	كنس
		traho	طرح
		captus	قبض
		pedem	قدم
		amita	عمتي
		quassare	كسر

إيطالي	عربي	فرنسي	عربي
goetta	قطعة	cave	كهف
giraffa	زراف	savon	صابون
gazella	غزال	serpon	ثعبان
malato	مريض	chagrin	شجن
kamija	قميص	nuque	عنق
vapore	بخار	vapeur	بخار
castello	قصر	gabelle	جباية
zukora	سكر	mirroire	مرآة
strada	صراط	sucre	سكر
justo	القسط	chemise	قميص
cava	الكهف	malade	مريض
riso	الأرز	juste	القسط
noble	نبيل		
marmaro	مرمر		
volcano	بركان		

هبروغليفي	عربي
مع خيرو	مع الأخبار
سيفكس	سبعة
أنوك	أنا
أنتك	أنت
مو	ميه
هس	حسن
حطب	حطب
آمون	آمين
بكة	مكة
سانسكرتي	عربي
سبتوم	سنة

فإننا نستطيع أن نؤلف بالعربية جملاً قصيرة جداً مثل: لم أذهب..

ومثل هذه الجملة القصيرة يحتاج الإنكليزي إلى جملة طويلة ليترجمها فيقول (Ishall not go) يعني بذلك نفس الشيء، لأنه لا يجد عنده ما يقابل هذه الرمزية في الحروف التي تسهل عليه الوصول إلى مراده بأقل كلمات.

وإذا ذهبنا نتبع تاريخ اللغة العربية ونحوها وصرفها وقواعدها وكلماتها وتراكيبها فسوف نكتشف أن نحوها وصرفها وقواعدها وأساليبها التركيب والاشتقاق فيها ثابتة لم تتغير على مدى ما نعلم من ألاف السنين، وكل ما حدث أن نهرها كان يتسع من حيث المحصول والكلمات والمفردات كلما اتسعت المناسبات، ولكنها ظلت حافظة لكيانها وهيكلها وقوانينها، ولم تجري عليها عوامل الفناء والانحلال أو التشويه والتحريف، وهو ما لم يحدث في اللغات الأخرى التي دخلها التحريف والإضافة والحذف والإدماج والاختصار وتغيرت أجروميتها مرة بعد مرة.

وفي اللغة الألمانية القديمة نجد لغة فصحي خاصة بالشمال غير اللغة الفصحى الخاصة بالجنوب، ونجد أجرومية مختلفة في اللغتين.. ونجد التطور يؤدي إلى التداخل والإدماج والاختصار والتحريف والتغيير في القواعد.. ونفس الشيء في اللاتينية وأنواعها وفي اليونانية وفي الأنجلوساكسونية.. ولهذا اختار الله اللغة العربية وعاء للقرآن لأنه وعاء محفوظ غير ذي عوج وامتدح قرآنه بأنه

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ الزمر، ٢٨.

وحدّث ولا حرج عن غنى اللغة العربية بمرادفات ما حيث تجد للأسد العديد من الأسماء فهو: الليث والغضنفر والسبع والربال والهزبر والضرغام والضيغم والورد والقسورة..

ونجد كل اسم يعكس صفة مختلفة في الأسد ونجد لكل اسم ظلال ورنين وإيقاع ومن الطبيعي أن يأخذ الفقير من الغني وليس العكس، ومن الطبيعي أن تأخذ اللاتينية والساكسونية والأوروبية واليونانية من العربية وأن تكون العربية هي الأصل الأول لجميع اللغات، وأن تكون هي التي أوحيت بقواعدها وتفعيلاتها وكلماتها إلى آدم، كما قال القرآن عن الله..

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ البقرة، ٣١.

ولكن المؤلف لا تكتفي بالسند الديني، وإنما تقوم بتشريح الكلمات اللاتينية والأوروبية واليونانية والهبروغليفية وتكشف عن تراكيبها وتردها إلى أصولها العربية، شارحة ما جد على تلك الكلمات من حذف وإدماج واختصار، تفعل هذا في صبر ودأب وأناة ومثابرة عجيبة.

نحن أمام دراسة أكاديمية، وفتح جديد في علم اللغويات تستحق صاحبه الدكتوراة الشرفية من الجامعة، والتحية من الأزهر والاهتمام من القارئ العربي والأجنبي والالتفات من النقاد، والمناقشة الجادة مع الأكاديميين، حتى لا يقال عن بلادنا إنها لا تقوم ولا تقع إلا لمباريات الكرة. ٥٨



أصول اللغات العالمية اختراع عربي

لقد انفرد العرب بهذا النشاط الدماغى الفعال قبل غيرهم من الأمم. تعود الوحدة الحضارية فى البلاد العربية إلى أكثر من أحد عشر ألفاً من السنين، مما جعل الدماغ الجمعى ينمو باتجاهات معينة متأثراً بالبيئة الطبيعية المعتدلة المشمسة، وبالتربية الفكرية التى تقيس الحضارة بالأمن لا بالحرب، بالقلم لا بالسيف، بالحب لا بالحق، ومن المشهور عندنا أن التعليم خضع للدولة منذ أكثر من أربعة آلاف ونصف الألف من السنين بينما لم تصل الكتابة لأوروبا قبل ثلاثة آلاف سنة^{٩٠}!..
والكنعانيون يَمرون فى أوروبا منذ أربعة آلاف وسبعمائة سنة يبدون الحضارة بأنواعها وفروعها من اليونان إلى إيطاليا إلى إسبانيا إلى بريطانيا الفرنسية إلى بريطانيا الجزيرة.. وهكذا.
وإن الكنعانيين استوطنوا الساحل الفرنسى الغربى وأطلقوا عليه بلد القصدير - بري - تانيا منذ ستة وأربعين قرناً، كما دخلوا بري - طانيا عن طريق المانش وعلموا سكانها التأهيل والتدجين، كما بنوا المدن على السواحل وخاصة فى أسبانيا.. أما فى اليونان التى تعتز بها يا أخ (فينر) فقد قصدها شخص عربى عن طريق مصر اسمه (كيكرب) وبني فيها نواة مدينة أثينا عام ١٥٥٦ قبل الميلاد.
وسوف نقارن رسوم ووظائف الحروف فى اللغة العربية الكنعانية واللغة اللاتينية.
أما الرسوم فبحسب الجدول المرفق:

الرمز		
الحرف	كنعاني	لاتيني
أ	⋈	A
ب	9	B
ت	+	†
ج	1	J
د	◁	D
ر	Δ	R
س	∑	S
ق	Φ	φ
ف	Φ	φ
ك	⋈	K
ل	∨	L
م	⚡	M
ن	Y	N
و	Y	y
ي	Z	Z

الصورة	الحرف	الرمز
إبل «الغزال أو الوعل - رأسه»	ا	كُنْفاي
بيت	ب	كُنْفاي
تواء «حسمه في المنحز أو المنح»	ت	كُنْفاي
ثبان «بالعمامة السقبية - وهو الثوب الخارجي يعمل مثل اللبشة»	ث	سبئية حميرية
جمل	ج	كُنْفاي
عماط	ح	كُنْفاي
قبول «قبلي» مقولة ظبية	خ	سبئية
دلتا	د	كُنْفاي
ذرية «المزاة»	ذ	تمودي
رأس	ر	كُنْفاي
زلة «عمود سري رأسه»	ز	كُنْفاي
سامول	س	كُنْفاي
شمن «القرية البالية»	ش	كُنْفاي
صنارة	ص	كُنْفاي
ضمد	ض	سبئية
طبي «ضرع ذوات المخافر»	ط	كُنْفاي
ظرف «ولاء»	ظ	صنوي
عين	ع	كُنْفاي
غدير ماء	غ	تمودي
فم	ف	كُنْفاي
قف «الثقرة في الرأس أو المرتفع من الأرض ينبو منه السيل»	ق	كُنْفاي
كفاليه	ك	كُنْفاي
لخدم «سنان يركب في ربح أو عصي للمخز»	ل	كُنْفاي
مروج الماء	م	كُنْفاي
هون «حسمة»	ن	كُنْفاي
هف «أدغمية - راية»	ه	كُنْفاي
وتد	و	كُنْفاي
يد	ي	كُنْفاي

الصورة الواقعية الحضارية لأصل الأبجدية العربية^{٦٠}

أما وظائف الحروف فما زالوا يوظفونها منذ القديم وحتى اليوم.

وآخر توظيف لها حسب دلالاتها كان بأوامر الأستاذ (العلايلي) كما يلي:

- ١- الهمزة: حرف يدل على الجوفية، وعلى ما هو وعاء للمعنى.. ويدل على الصفة تصوير طبعاً.
- ٢- الباء: حرف يدل على بلوغ المعنى في الشيء بلوغاً تاماً، ويدل على القوم الصلب بالتفعل.
- ٣- التاء: حرف يدل على الاضطراب في الطبيعة أو الملابس للطبيعة في غير ما يكون شديداً.
- ٤- الثاء: حرف على التعلق بالشيء، تعلقاً علامته الظاهرة، سواء في الحس أو المعنى.
- ٥- الجيم: حرف يدل على العظم مطلقاً.
- ٦- الحاء: حرف يدل على التماسك البالغ.. وبالأخص في الخفيات، ويدل على المائة.
- ٧- الخاء: حرف يدل على المطاوعة والانتشار، وعلى التلاشي مطلقاً.

٦٠- وحدة الفكر الإنساني، ملحق، كتاب جذور الفكر الإنساني، د. إبراهيم فاضل، دار الغدير سلميو، سورية، ط١، د.ت، دون صفحة.

- ٨- الدال: حرف يدل على التصلب وعلى التغير المتوزع.
 - ٩- الذال: حرف يدل على التفرد.
 - ١٠- الراء: حرف يدل على الملكة، وعلى شيوع الوصف.
 - ١١- الزاي: حرف يدل على التقلع القوي.
 - ١٢- السين: حرف يدل على السعة والبسطة من غير تخصيص.
 - ١٣- الشين: حرف يدل على النفشي بغير نظام.
 - ١٤- الصاد: حرف يدل على المعالجة الشديدة.
 - ١٥- الضاد: حرف يدل على الغلبة تحت الثقل.
 - ١٦- الطاء: حرف يدل على الملكة في الصفة. وعلى الالتواء والانكسار.
 - ١٧- الظاء: حرف يدل على التمكن.
 - ١٨- العين: حرف يدل على الخلو الباطن أو على الخلو مطلقاً.
 - ١٩- الغين: حرف يدل على كمال المعنى في الغوور أو الخفاء.
 - ٢٠- الفاء: حرف يدل على لازم المعنى أي على المعنى الكنائي.
 - ٢١- القاف: حرف يدل على المفاجأة التي تحدث صوتاً.
 - ٢٢- الكاف: حرف يدل على شيء ينتج شيئاً باحتكاك.
 - ٢٣- اللام: حرف يدل على الانطباع بالشيء بعد تكلفه.
 - ٢٤- الميم: حرف يدل على الانجماع.
 - ٢٥- النون: حرف يدل على البطون في الشيء أو على تمكن المعنى تمكناً تظهر أعراضه.
 - ٢٦- الهاء: حرف يدل على التلاشي.
 - ٢٧- الواو: حرف يدل على الانفعال المؤثر.
 - ٢٨- الياء: حرف يدل على الانفعال المؤثر في البواطن.
- وأخيراً فالأمة واللغة شيء واحد، وأمة الأرض لغتها.

لو كانت وسائط النقل والاتصالات كما هي الآن لما وجدنا **تشعب اللغات** في العالم، وأرى أنه من المحتمل أن تشمل الأرض لغة واحدة تعود بجذورها إلى اللغة العربية وتوظف بمجموعتها لخدمة الفكرة عامة من تقصير التقارير واختزال المكان والزمان فالعصر عصر السرعة مع حسن الداء.

فكان الأرض جهاز واحد علينا تنظيمه وتلقيمه بالمعارف الصحيحة الصادقة السليمة لنبليج معاً الوحدة البشرية والأمن والسلام.

اللغة العربية والعصرنة

تشير المسلمات العلمية في المجال الأناسي الحديث، إلى أن اللغة الرسمية هي المقوم الأول والأساسي في تشكيل الهوية الحضارية لأي أمة من الأمم، وأن أي تدهور يصيب اللسان يعرقل -حتماً- مسار التطور الفكري والعلمي للمجتمع، وبالمقابل فإن ترقية اللسان وجعله مواكباً لمستجدات العصر، يضمنان للجماعة اللغوية حق الانتماء والمشاركة والإنتاج، والقدرة على مغالبة تحديات العصرنة والتعلم اللغوي والثقافي.

- ومن الحقائق التي تؤكد هذا المعطى:

أن فناء الأمم واندراس الحضارات نادراً ما يكونان بسبب الإبادة الجسدية، وإنما يكون بانقراض اللسان، فلا توجد أمة حافظت علي كيانها الحضاري ووجودها الدولي بعدما أهملت لغتها الرسمية. أن اللغة الرسمية لا تقل أهمية عن المرجعية المعرفية التي يستثمرها الدارسون، لارتباطها ببنية الإدراك المسؤول المباشر عن عمليتي التخيل والإبداع لدى المتعلم. أنه لا توجد أمة أبدعت بغير لغتها الرسمية، لكونها تصبح جزءاً من كيان الفرد، وعادة سليقية لا تنال من تفكيره وتعلمه وإبداعه وتعبيره، على خلاف اللغة الثانية عند الازدواجية المنعكسة. أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وكائن حي تجري عليه قوانين الطبيعة، من ولادة ونمو وصحة ومرض، وبقاء للأصلح وانقراض للأضعف، ما لم تعالج وترقى في سلم التطور. وتأتي هذه الورقة البحثية، لتطرح موضوع العربية المعاصرة في مواكبتها لتحديات العصرنة، وما أفرزته من مبتدعات باتت تصيب اللسان في مستوياته الصوتية و(المحرفية) والمفرداتية والتعبيرية. وتستهدف الدراسة التعريف بالعربية المعاصرة ومواجهتها للعصرنة في التعليم والمصطلح والإعلام والمعلوماتية، في محاولة الوقوف على عوامل هذه المواكبة في بعدها الحضاري، وتراثها المفرداتي، وآلياتها التوليدية، وكيف يمكنها أن تفي بأغراض المستعملين، وتلبي مطالبهم التي يفرضها العصر في المجالات الفكرية والعلمية بكونها لغة علم وعمل.

- ما العربية المعاصرة؟

جرى على ألسنة الدارسين و المعجميين المعاصرين مصطلح (العربية المعاصرة) ومن حق المتكلم العربي اليوم أن يميز بين ثلاثة مستويات هي:

١- العربية الفصحى القديمة: وهي أسلوب اللغوي الذي نزل به القرآن الكريم، وسجل به التراث القديم عامة، واصطنعه الجاحظ والخوارزمي وابن رشد وغيرهم.

٢- اللهجات العربية الإقليمية الدارجة: مثل: (مصري والجزائرية واللبنانية، والسعودية، وغيرهم)، وهي لهجات عامية منطوقة لا مكتوبة وذات تواصل محلي.

٣- العربية الفصحى المعاصرة: وهي النمط اللغوي الرسمي المعيش في التعليم والبحث العلمي والصحافة ووسائل الإعلام العربية عامة، ونلمسه في كتابات نجيب محفوظ، وعبد الملك مرتاض ومحمد عابد الجابري، وناصر الدين الأسد، وغيرهم من الكتاب المعاصرين.

ويهمنا في هذا المبحث مستوى (العربية المعاصرة) التي يمكننا- في ضوء ما وضعه لها الدارسون من تحديدات- أن نعرفها بأنها: (لغة فصحى معاصرة مكتوبة تستخدم في التعليم، والبحث العلمي، والإبداع الأدبي، والصحافة والإعلام، والندوات والمحاورات الثقافية، وفي المؤسسات الحكومية والتعاملات الدولية، وهي اللغة الرسمية المشتركة في العالم العربي اليوم).

وقد أطلق على هذا المستوى بعض الدارسين الغربيين، مثل كليف هولس Clive Holes أستاذ مادة العالم العربي المعاصر في جامعة إكسفورد- مصطلح (لغة الثالثة).

وتتميز العربية المعاصرة بجملة من الخصائص، ويتوافر فيها عدد من الإمكانيات، أهلتها لتثبيت وجودها في الحياة العلمية والعملية؛ فكرياً وعملياً وأدبياً وتحتل مرتبة مميزة بين اللغات العالمية الحية الأكثر تداولاً، مثل: الإنجليزي والإسبانية والفرنسية والألمانية والروسية والصينية.

هي لغة قادرة على المنافسة إذا ما سعى أهلها إلى خدمتها وترقيتها وجعلها مواكبة لمستجدات العصر.

وقد بدأت العربية المعاصرة في التشكيل واكتساب المميز لها مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وسرعان ما اتضحت معالمها نتيجة انتشار التعليم المبرمج في الوطن العربي ثم ظهور الجامع اللغوية التي اكتسبتها شرعية الانبعاث، ومنحها ثقة القرار، فانبثقت مميزة بجملة من الخصائص لعل من أهمها:

- أنها لغة فصحى خاضعة لأنظمة اللسان العربي وقواعده الصوتية والصرفية والنحوية التركيبية.
- أنها متأثرة باللهجات العامية العربية الإقليمية واللغات الأجنبية تفصيلاً وافتراساً وترجمة وتعريباً.
- أنها لغة محكومة بالوصفية، نحر السماع من قيود الزمان والمكان، وتعتمد بأساليب المحدثين والمعاصرين الخاضعة لأنظمة اللسان العربي الفصيح.
- أنها لغة تفتح باب الوضع، وتعتمد بالألفاظ المولدة والمفصحة عن العامية، والمعربة والدخيلة المقترضة عن اللغات الأجنبية، فيما ليس له مقابل.

- معجم العربية المعاصرة لا يتجاوز رصيده المفرداتي ٤٠ ألف مدخل من الألفاظ الحضارية غير المصطلحات العلمية المختصة، أي يقف بين (المعجم الوسيط والمعجم العربي الأساسي)، في مقابل رصيد العربية القديمة الذي كان يتجاوز ١٠٠ ألف مدخل، أي يقف بين (لسان العرب وتاج العروس).

ونود أن نشير في هذه السبيل إلى أن اللغة يجب أن تحكم بضوابط وصفية لا بقيود معيارية، فهي ظاهرة اجتماعية يفرضها المجتمع على الأفراد، لأنها نمط من الثقافة، فيكون العرف اللغوي مقياساً للاستعمال، ما دام هذا الاستعمال يحقق الغرض لدى الجماعة اللغوية (العربية المعاصرة)، وذلك من منظور (خطأ شائع خير من صحيح مهجور)، وهو توجه يخدم العربية المعاصرة في ظل تشريع لغوي محكم ومعاصر.

ويذهب الدكتور إبراهيم مذكور في هذا المنحى إلى القول: (أن مبدأ الحرية العلمية يحملنا على أن نسلم بأن قداسة متن اللغة لا يصح أن تقف عثرة في سبيل البحث والتقدم العلمي).

إن انتشار العربية المعاصرة محادثة وكتابة وفهماً من لدن أكبر شريحة اجتماعية في الوطن العربي، أدى إلى إسكات تلك الأصوات التي كانت تدعو حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين، إلى استبدال لغة المستعمر بالعربية، أو اصطناع اللهجات العامية لغة بديلة، حتى إن بعض كتاب الرواية العربية تعتمد خلط العربية الفصحى بالعامية في البناء السردي للرواية، بل ذهب قبل ذلك الكاتب المسرحي مارون النقاش في مسرحيته (البخيل) عام ١٨٧٤م إلى تجسيد عدد كبير من مستويات اللغة على النحو الآتي:

- أنطق الخادمة أم ريشة بالعامية اللبنانية.

- وأنطق غالي ونادر باللهجة العربية التركية.

- وأنطق عيسى بالعامية المصرية.

- وأنطق غيرهم من المثقفين بالعربية الفصحى.

وهي دعوات نشأت قبل اكتمال التعليم المبرمج وتعميمه في الوطن العربي.

أما اليوم فأصبح الاقتناع السائد في أوساط الجماعة اللغوية، هو أن العربية المعاصرة هي الجواز لدخول العربي فضاء الألفية الثالثة، حتى يكون له بين صناع الحضارة المعاصرة موضع يثبت فيه وجود عجلة التطور، بلسان يضاهاى الألسن التكنولوجية دقة وتطويماً للعصرنة.

- تحديات العصرنة:

إن دخول الألفية الثالثة يعد ميقاتاً علمياً لقيام ثورة تكنولوجية ومعلوماتية تواصلية متطورة، بدأت تظهر تحدياتها وتأثيراتها في المجالات الحيوية، وبخاصة في المجال اللغوي والتواصلية.

وتشير الشواهد إلى أن الدفع التكنولوجي آخذ في الاستشراء بلغات محدودة ومعينة، وكأنه يلعن بذلك عن نفوق كثير من اللغات التي لا تقوي على حمل رسالته ومواكبة مستجداته، مما ينبئ عن صراط لغوي تتجسد فيه مقولة البقاء للأقوى.

ولاشك في أن هناك تحولات وقضايا تواصلية قد أفرزها هذا المد التكنولوجي، ولا يمكن لأي لسان أن يتجاهلها، أو يسكت عنها، لأنه ناطقها وإن كان ذلك بلسان الآخر، وهي تحولات سريعة لا تمهل اللسان حتى يستكمل أدواته التعبيرية ومصطلحاته العلمية.

ولا جرم أن العربية المعاصرة تواجه اليوم عدداً من هذه التحديات في شتى المجالات، تأتي في مقدمتها:

- التدريس المتواصل:

إن العربية اليوم تعيش أزمة شيوع الأخطاء التعبيرية والنحوية والمصطلحية، نتيجة عدة أسباب:

- التساهل في تعليم مادة اللغة العربية بالمدارس والجامعات، وعدم منحها القيمة التقديرية في الامتحانات والبحوث العلمية وجعلها مادة أساسية.

وأيضاً عدم إلزام الباحثين الجزائريين - مثلاً - بتحرير أطروحاتهم العلمية باللغة العربية، إذا كانوا منتسبين إلى الجامعة الجزائرية، أو ترجمتها إلى العربية عند انتسابهم إلى جامعة أجنبية.

- عدم توفير البيئة اللغوية لتكوين ملكة التعبير السليم، فقد أثبتت الدراسات النفسية اللغوية (النفسلغوية) أن السماع في التدريس أو الإعلام أفضل طريقة لاكتساب الملكة اللغوية.

ويقصد بالبيئة اللغوية أو (الحمام اللغوي) عزل الملتقي عن سماع أي مفردات أو تعابير لهجية أو أجنبية غير العربية خلال فترة من الزمن، وهي طريقة يمكن تطبيقها في قسم التدريس، وفي وسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسموعة، حتى في المؤسسات الثقافية والعلمية.

- غياب سلطة الدولة عن تعميم استعمال العربية والاقتصار عليها وحدها في المؤسسات الحكومية والمراسلات الرسمية، والندوات الصحفية، والمداومات والملتقيات.

- تفشي ظاهرة الازدواجية اللهجية والأجنبية في المحادثات اليومية والحوارات المتلفزة والمذاعة، إذ يتم الخلط والتداخل بين عدة مستويات في الحديث الواحد (شكراً - صحيت - مرسي - برافو - أكي..) مما لا مسوغ له أبداً.

- المصطلح العلمي:

من المعروف أن المصطلح العلمي أو اللفظ الحضاري وليد اللغة المنتجة للمعرفة، ولكن هذا لا يمنع الباحث من مواكبة مستجدات المعرفة الوافدة في مفهوماتها ومصطلحاتها ترجمة أو تعريباً، طلباً للدقة وتقريب الفهم ونشر المعرفة.

وأرى أن العربية المعاصرة لا تعاني أي أزمة مصطلحاتية، بل لعلها تعاني تضخماً في المصطلحات، إلا أن هذه المصطلحات لا تصل إلى المستهلك، طالباً أو باحثاً أو أستاذاً، إذ تفيدنا إحصاءات مكتب تنسيق التعريب بالربط أن بين يدي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم اليوم ٣٠ معجماً مختصاً يضم زهاء ١٠٠ ألف مصطلح في أكثر التخصصات العلمية والإنسانية، مثل الطب والفيزياء والمعلوماتية والموسيقى واللسانيات، وما إليها.

وهذا يعني أن القضية التي تطرحها مستجدات المعرفة في مجال المصطلح، لا تكمن في انعدام المصطلح أو صعوبة توليده، وإنما تصبح قضية تنظيمية، تتصل بمسألة توحيد هذه المصطلحات وتنميطها، وإصدارها في معجم موحد، وفي أقراص مضغوطة، وفتح عنوان لها على شبكة الإنترنت، وتزويد المكتبات والجامعات والمؤسسات العلمية والثقافية بها، حتى يتاح الانتفاع بها.

إن **المجامع اللغوية والمنظمات العربية** ما زالت تأخذ بمبدأ صحاح اللغة، فلا تسمح بدخول الكلمة المعجم إلا بعد مرور سنوات كثيرة، ولو ضربت شهرتها الأفاق، فمثلاً: نجد المعجم الوسيط لا يسمح بدخول دلالة الفعل (لعب) بمعنى مثل دوراً.

وأزعم أن هذا المبدأ لم يعد يتماشى وسرعة العصر، الذي يفرض تسجيل المصطلح الشائع إذا كان صالحاً، ولم يكن له مقابل، حتى لا يهمل أو تستبدل به كلمة أجنبية.

إن هذا التباطؤ لا ينفع والحياة المعاصرة التي لا تمهل الباحث حتى يصدر المجمع اللغوي قراراته بشأن مصطلح أو لفظ حضاري، وقد تشهره وسائل الإعلام بلفظ لا يمت إلى العربية بصلة.

وفي هذه الحالة يجب على **المجامع اللغوية** أن تسبق سوق وسائل الإعلام عن طريق نشرة شهرية موجهة، أو فتح عنوان على شبكة الإنترنت لتسجيل المواليديومياً أو دورياً، كما سبقت الإشارة، وتعمل على إصدار تشريع شامل في آليات التوليد ووسائله المختلفة يتيح للباحث المنتج للمعرفة توليد مصطلحات اشتراطية يستأنس بها في انتظار توحيدها وتنميطها.

إن وضع دليل تشريعي في آليات التوليد، يلزم الجميع اتباع ضوابطه، كفيل بتجاوز هذا التباطؤ، كما يمكن لوسائل الإعلام أن تستثمره في إشهار المصطلح الجديد على صورته العربية أو المعربة الموحدة.

- الإعلام والمحيط:

يعد الإعلام أخطر وسيلة في نشر المعرفة، وترويج الثقافة وإذاعة اللغة، وإشهار المصطلحات المستحدثة، ويشهد هذا العصر أهم تطور في وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة والمرئية، بما فيها الفضائيات وشبكات الإنترنت.

وإذا كان الإعلام يمثل التعبير الموضوعي عن عقلية الجماهير وميولها وانشغالاتها العامة في الوطن أو الإقليم الواحد، فإن ظهور الفضائيات قد أحدث تداخلاً في هذه الانشغالات، نتيجة اختراقه للحدود الوطنية والدولية، وقدرته على المنافسة والتأثر في الثقافات واللغات المختلفة.

وبغض النظر عن وسائل الإعلام الأجنبية، فإن الإعلام العربي يظل المسؤول الأول عن خدمة اللغة وترقيتها، في جميع ما ينشر في الصحف والمجلات، وما يذاع في التلفزة خلال القنوات الأرضية والفضائية، من أفلام وأشرطة وبرامج وحوارات.

كما توكل إليه مسؤولية اختيار العاملين وتدريبهم، وتزويدهم بدليل لغوي يؤكد سلامة اللغة بوصفهم سفراء المجتمع في لغته الرسمية.

وقد أدركت دول العالم المتطورة أهمية الإعلام في الارتقاء بلغتها الرسمية، وجعلته خادماً للسان من حيث الترويج له، وإشهار المواليد، وتصحيح الأخطاء، وتقويم المحيط، ففي كندا، مثلاً:

هناك ما يعرف بـ (شرطة اللغة) التابعة لحكومة كيبك، تجوب الشوارع وتصحح أسماء المحلات واللافتات وإشارات المرور، وقد كلفها تحويل إشارة Stop الإنكليزية، بمعنى قف، إلى Arret الفرنسية أكثر من ٦٠٠ ألف دولار.

ويذكر هذا العمل بموقف العلامة مولود قاسم، رحمة الله، حين شاهد في طريقه إشارة (حذاري) مكتوبة بإثبات الياء فاشتري عند عودته علبة طلاء وحذف الياء.

- المعلوماتية:

إن نقل المعلومات وتخزينها وتسويقها وتقليص مساحتها المكانية ومسافتها الزمنية باتت من سمات العصر، فانتقلت المعلومة من الكتاب الورقي إلى القرص الإلكتروني، ومن المراسلة البريدية إلى الإنترنت.

إن مكتبة في حجم مقتنيات أبي الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني، التي قال عنها الرواة: إنه كان يرحلها على متن سبعة جمال، باتت اليوم مسجلة في قرص لا يزن غرامين.

إن ظهور المكتبة الحاسوبية وفر لنا اليوم كثيراً من الجهد والمال والوقت، وأصبح إنشاء مخابر لتصنيع البرامج الحاسوبية وبرامج الإنترنت إنتاجاً وترجمة، ومطلباً أساسياً، ومن أجل تطوير بدائل المنافسة اللغوية والتواصل العلمي.

- عوامل مواكبة العربية لمستجدات العصرنة:

إن أي لسان مهما كان راقياً، يظل عرضة للجمود والتجاوز ما لم يعمل أهله على تطويره وترقيته، وجعله مليئاً حاجات الإنتاج المعرفي، ووافياً بمطالب المستهلكين.

ومن حظ اللسان العربي أنه يمتلك جملة من العوامل الداخلية والخارجية التي تمنحه القدرة على مواكبة كل المستجدات وأهم هذه العوامل:

- البعد الحضاري:

وهو بعدد يرتبط بالهوية الحضارية للسان العربي، فالعربية لغة أصيلة ضاربة الجذور في أعماق التاريخ العروبي الأكادي البابلي، وهي لغة حفظت للإنسانية أكثر من نصف تراث الكرة الأرضية في جميع المعارف من الاندثار والضياع، وفتحت للعالم القديم آفاقاً رحبة في العلم والمعرفة، كما أنها لغة القرآن الكريم والدين الإسلامي الذي ينضوي تحت لوائه أكثر من مليار مسلم.

- ثراء الرصيد المفرداتي:

إن عدد الألفاظ الحضارية والمصطلحات العلمية بشؤون المتكلمين حاجاتهم وإنتاجهم المعرفي، ولذلك يمكن أن نقول: إذا أردت أن تعرف حضارة أمة فانظر في معجمها، ذلك أن المعجم دليل على تنوع المعارف التي ابتدعتها أو مارسستها أمة من الأمم، ويكفي في هذا الموقف أن نتصفح معجم تاج العروس للزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ) لنقف من خلال الحقول الدلالية للمفردات على ثراء المعارف وتعددتها في الحضارة العربية.

أما من حيث الثراء المفرداتي فإن تاج العروس يضم زهاء ١٢٠ ألف مدخل، وتقدر أصولها بـ ١١٩٧٨ جذراً.

وإذا وازنا هذا الرصيد باللغات الهند أوروبية وجدنا جذورها لا تتعدى ٥٠٠ جذر، حسب إحصاء اللغوي ميلر Muler.

كما أن أكبر معجم اليوم في اللسان الفرنسي، وهو معجم روبير الكبير في ستة أجزاء، لا تتجاوز مفرداته ٨٠ ألف مدخل، بما في ذلك اللغة والأعلام.

- تعدد آليات التوليد:

يقصد بالتوليد لغةً: إنشاء الشيء من الشيء، وولد الكلام بمعنى استحدثه.

وفي الاصطلاح المعاصر: هو مجموع الوسائل والآليات التي تنتج للباحث وضع ألفاظ جديدة لدلالات مستحدثة، أو وضع دلالات جديدة لألفاظ موجودة.

وقد توافرت في العربية آليات كثيرة تسمح بتوليد كل ما نحتاج إليه من مصطلحات وألفاظ حضارية، ونكتفي في هذه النقطة بالإشارة إلى هذه الآليات في الجدول الآتي:

آليات التوليد

توليد دلالي	توليد ارتجالي	توليد بصوري
نقل مجازي	ليست له آليات معينة	اشتقاق
إحياء القديم		أوزان مأثورة
توسيع الدلالة		نحت
تضييق الدلالة		تفصيح اللهجات
		اختزال/اقتطاع
		تعريب
		ترجمة

- - الإمكانات العلمية:

يعد هذا العامل الخارجي مكماً للعوامل الداخلية السابقة الذكر، بل لا يقل أهمية عنها لارتباطه بالإنتاج المعرفي الذي يسبب إيجاد المفاهيم والدلالات والتراكيب الجديدة في أي لسان من الألسن. وهناك صلة وثيقة بين الإنتاج المعرفي والتعليم المبرمج والبحث العلمي الأكاديمي المنظم، في الجامعات والمراكز العلمية المختلفة.

ويبدو أن وضع العالم العربي في هذا المجال أخذ في التطور، فلم يكن عدد الجامعات في بداية القرن العشرين يتجاوز ثلاثاً: (جامعة الجزائر ١٨٩٧، جامعة سورية ١٩١٣م، جامعة مصر ١٩٠٨م)، وكانت ذات تبعية كاملة للغرب، وأصبح هذا العدد يقدر اليوم بأكثر من سبعين جامعة، تستقبل زهاء خمسة ملايين، وهم نخبة قادرة على إنتاج المعرفة العلمية بلسان عربي مبین.

وأعتقد أن الأوضاع الاقتصادية والسياسية للعالم العربي اليوم أحسن حظاً، ويمكنها أن تستثمر هذه الطاقات العلمية، وتجعلها تؤدي دوراً ريادياً في خدمة اللسان العربي الذي هو في حاجة إلى إرادة حضارية في مواكبة مستجدات العصر، ومغالبة التعولم اللغوي والثقافي.



قوة اللغة العربية في المستقبل

إذا صح العزم منا نحن العرب على تجاوز أديبات المعرفة للدخول رأساً إلى دائرة المعرفة ذاتها يتعين علينا أن نؤكد الميثاق العلمي الصارم الذي أصبح يحكم التفكير الإنساني في موضوع اللغة.

ليس المقصود بالميثاق العلمي أن المعرفة قد حسمت كل القضايا المبسطة على الفكر في أمر اللغة ولا سيما علاقتها بالتفكير، ولكن المقصود هو أن المعالجة اللغوية أصبحت تمر حتماً عبر المعالجة العقلية، ولم يعد الإسهام في الجدل المعرفي مقبولاً إذا ما قام على الظنيات أو التخمينات التقريبية، فالأمر اليوم في شأن اللغة كالأمر في مواضيع العلوم الدقيقة:

إما أن نعرف فنجدال، وإما أننا لا نعرف فأولى بنا أن نستكمل الأدوات الأولية الضرورية.

والسبب الذي دفع إلى هذه الحدة في الحسم، وألغى حق الناس جميعهم في تداول أمر اللغة ما لم يحصلوا علمها الضروري هو ذلك التغيير المباغت في حقول المعرفة، فلقد انفجر مجال جديد يسمى (علم الإدراك). أركانه هي البيولوجيا العصبية وعلوم الحاسوب والعلم اللغوي، وهذا المجال الجديد هو الآن - بعد عقد ونصف العقد من الترسخ - من أشد العلوم دقة ومن أعتها سطوة.

أما ما يشدنا بشكل خاص فهو عكوف اللغويين على إعادة طرح الأسئلة حول كيفية اشتغال الفكر عند تعامله مع اللغة وذلك من خلال مقارنة العقل البشري بالعقل الآلي.

والسؤال المطروح علينا ونحن على عتبة هذا العلم الجديد:

كيف السبيل إلى انخراطنا - نحن العرب - في ميثاق المعرفة آخذين في الحسبان العلاقة الاستثنائية القائمة بيننا وبين اللغة عامة ولغتنا العربية تحديداً؟

- علاقة لغوية متوترة:

إننا حينما حللنا بين الناس وجدنا الواحد منهم يتحدث عن لغته بما عليه لغته الآن، وقد ينتقل إلى الحديث عنها بما هي لغته كما كانت في زمن مضى منذ قرن أو منذ قرون، وفي كلتا الحالتين هو واعٍ أتمّ الوعي أن الزمن قد أقام بينه وبين لغته القومية رابطتين اثنتين:

رابطته تاريخية ماضية، وأخرى راهنة حاضرة، وهو يعيش في هذه الحاضرة ولكنه لا ينكر تلك التي هي الماضية، وإنما يعرف أنها قد فارقت حجاجته، فهو يجلبها ويكرم أهلها ولكنه على يقين بأنه لا يلتقي بها إلا لقاء الدرس أو لقاء لحظة الإبداع الاستثنائي، وهو في كل الأحوال لا يخلط بين النمطين حتى وأن استعصى عليه إفهامنا كيف تنفصل هذه عن تلك، ويكفي أن الحس اللغوي لا يخدعه فترى الواحد من هؤلاء يقول وقد استمع إلى خطيب يلقي كلاماً من غير كلامه وقد فهمه: (إنه يتحدث بلغة شكسبير)، أما

العربي فمهما تباعدت مسافة ما بين درجة الفصاحة التي هو عليها قادر ودرجة البيان التي يأتيه عليها كلام المتكلمين أو تأليف المؤلفين فإنه لا يستشعر أي انفصام زمني يحول بينه وبين اندراجه ضمن دائرة التاريخ، أو يحول بينه وبين استقرار التاريخ في صميم وعيه الذاتي، إنه في كلتا الحالين يتعامل مع اللغة من منطق التسليم بأنه في لحظة الراهنة ينتمي إلى هذه وإلى تلك، وأنهما معا تنتميان إليه، وهذه أدواته التي تثبت له أنه ينتمي إلى التي لا يقدر على أن يأتي بمثلها، انتماءه إلى التي يأتيها وتأنيته.

إن أي مستوى من مستويات غياب الزمن هو في وعي العربي مستوى وارد ومحمتمل ومقبول في هذه اللحظة التي هو فيها من الزمن التاريخي.

فإن كان مستوى طيعا يسير هينا فهو من بعض تلك اللغة التي قص بها علينا عمر بن أبي ربيعة محاورته. وأن هو جاء على أداء صلد جموح عنيد فلا ضرورة أن ننسبه إلى أبي الفرج الأصفهاني ولا إلى أبي حامد الغزالي ولا إلى القاضي عبد الجبار.

الأمران سيان: أن تقول هذا من لغة طه حسين أو هذا من لغة الرافعي أو أن تقول هذا من لغة ابن عربي.

- التاريخ الحاضر:

هناك تلازم وانسجام بين الماضي والحاضر في صيرورة واحدة عبر الزمن باتجاه المستقبل بحيث يمكن القول بفكرة التاريخ الحاضر أو الحاضر التاريخي.. واللغة هي الشاهد على هذا الانصهار لأنها هي المحول الكيماوي للزمن تنقله من زمن فيزيائي إلى زمن حضاري حتى لكأنك تقول: إن المسافة بين تاريخ لغوي وحاضر لغوي تكاد تنعدم، والانصهار بين كل مراتب الأداء اللغوي هو كانصهار هباءة الهيدروجين مع ذرة الأوكسجين تبددت هوية كلتيهما فحلت محلها هوية جديدة شاملة.

فمن أين تستمد اللغة العربية أسرار هذا التميز الذي تفارق به الألسنة الطبيعية الأخرى؟ وكيف استقام لها اختزال مفاصل الزمن واعتصار محامل التاريخ ما لم يستقم لغيرها؟

بل مما لا نظن أنه سيستقيم لأي لسان طبيعي آخر بعد أن دخل الإنسان باللغة عصر النمذجة الآلية، وبعد أن تقيدت حركة التطور اللغوي بما يفرضه عليها عالم الاتصال وبما يسيطر عليها من برمجة التقنيات واستثمار بنوك المعلومات وبما يسعى إليه الباحثون من مساعدات تقدمها الآلة في معالجة النص اللغوي وفي محاولة ترجمته؟

من البديهي - في الإجابة عن السؤالين - أن يتبادر إلى الذهن كل الحصول من ثقافتنا الماضية والحاضرة، وكل المنخول من خزانتنا الحضارية والتاريخية، وكل المستصفي من جدلنا الفكري المتراكم: فللغربية عند أهلها وزن مخزون ليس كمثلها وزن عند الأمم الأخرى: فيها بعد روحاني ومعها إرث إعجازي وعليها هالة

من القداسة، واكتبها فاصطبغت بها عند أهلها، وسلم بأمر قداستها عند أهلها من لم يكونوا من أهلها، ثم أقر الغرباء عنها بأنها عند أهلها تجري بغير ما تجري به على ألسنة الآخرين وبأن على الآخرين ألا يسقطوا عليها ما يجرونه من أحكام على غيرها لأنها على لسان أهلها تنساب بغير ما تنساب به ألسنة الناس على ألسنة الناس الأخرى.

وليس قولنا هذا انحرافاً في غيبات الثقافة ولا هو عدول عن مرصد الوصف ودوائر التشخيص، لأن الظواهر توقفنا بذاتها وتنادي منا العقل الناقد حتى لو تعاضدت على إنشائها مناطق من خارج دائرة العقل الصارم.

وشأن اللغة عند العرب عجب ليس أعجب منه إلا شأن العرب مع لغتهم، فلم الانكشاف من التاريخ بحجة العقل الذي يقسو على التاريخ من حيث ينفي مقومات الذات.

ومع كل ذلك لن نركن في تفسير ما أسلفناه إلى بداية الحقيقة الحضارية، وإنما نحن في تفسير حيثيات اللغة نلتزم باللغة ذاتها.

أمران مهمان في هذا السياق نرى فيهما مرجعيتين تعليلتين لما نحن بصدده وكلاهما مترسخ الحضور في مرابض المعنى الذي هو السؤال الملتف دائماً على كل أسئلة اللغة.

- المعرفة وعلوم اللسان:

إن علوم اللسان عند العرب قد طافت بكل مراتب المعرفة المتعلقة باللغة سواء في تشكلها النوعي الذي هو اللسان العربي أو في تجلياتها الكونية المطلقة بحكم اتساع مجالات علم الكلام.

إن المعرفة عند العرب قد أمسكت بمقابض البنى التكوينية في مستوى التركيب، ولكنهم قد تحاشوا تدوين تاريخ الدلالة فجاءتنا الألفاظ عندهم منزوعة منها ذاكرتها التي هي سجل تطورها عبر الزمن، وغني عن الذكر هنا أنهم لهذا السبب قد قصروا مفهوم المولد على ما كان استحداثاً للدلالة بما تحمله معها من مدلولات، أما إذا تولد مدلول وانزوع في حنايا لفظ قائم فليس هو بمندرج عندهم في باب المولد.

ومن طريف ما حدث في تاريخ الحضارات المقارن أن العربي قد أحكم علوم المعاجم وأتقن صناعتها إتقاناً ولكن تقييد مراسم المعنى في ضبط مادة اللغة كل يتم خارج هاجس التوثيق الزمني.

كانت الدلالة- في الوعي وفي اللاوعي- شيئاً منسرجاً من التاريخ ومنفلتاً من قيود التعاقب الذي يمليه، لذلك ترى عمل المدونين للغة قائماً على مبدأ إرجاع اللاحق إلى السابق وتفسير الطارئ بالثابت وعلى مبدأ التعامل مع المعنى المتولد على أنه فرع يتعين ربطه بالأصل لأنه عرض، والعرض مقيد بالجوهر.. وهذا ما يفسر كيف خلت أمهات المعاجم التي هي مصادر اللغة من رصد الدلالات المتولدة في كل مجالات

الاستعمال اللغوي حتى تلك التي هي قرينة تطور العلوم والمعارف، ويصدق هذا على الموسوعات المتقدمة صدقه على المتأخر منها، لهذه الأسباب كان متعذراً أن يتشكل عندنا مبدأ المعجم التاريخي، ولعل غياب المفهوم ذاته سيجعل من المتعذر استدراك الحاضر على التاريخ.

- العربية وجهازها النحوي:

إن اللغة العربية- بما هي لغة تأليفية تعتمد الإعراب بالمفهوم اللساني الشامل الذي يبني على تغيير أواخر الكلمات عند خروجها من المعجم وحلها في التركيب- تتوافر على آليات في إنتاج الدلالة لا تضاهيها آليات الألسنة غير الإعرابية كالفرنسية والإنكليزية، وبناء على ذلك يكون (النحو) بمجمله مختلفاً في إجراءاته بين اللغة العربية والألسنة الأخرى: **الجهاز النحوي في اللغة الإعرابية** إيدان بخروج المعجم إلى التداول وحلول المفرد في السياق لأنه **كشف للقرائن القائمة بين الألفاظ من داخل أبنية الألفاظ ذاتها**، لذلك كان المعنى وليد **حيثيات الاقتران** بين الكلمات عندما تتوالى في سياق التعبير فضلاً عن أنه- كما في اللغات الإعرابية- **وليد مواقع الألفاظ في نسج التركيب**.

إن المعنى في اللغة الإعرابية ذو ضفيرة مثلثة الأضلاع تتعاون على تخليقه عناصر اللفظ والترتيب والوظيفة. **فالجهاز النحوي هو مكشوف البناء لأن انسجام الأجزاء في نطاق الكل يقتضي تجسيم طبيعة العلاقات القائمة بين العناصر المكونة للمجموع بواسطة تعديلات صوتية ومقطعية**. إن العربي وهو يتكلم بلغته الإعرابية كالعربي وهو يصغي إلى من يتكلم بالعربية: كلاهما واقع في التاريخ لا خارجه.

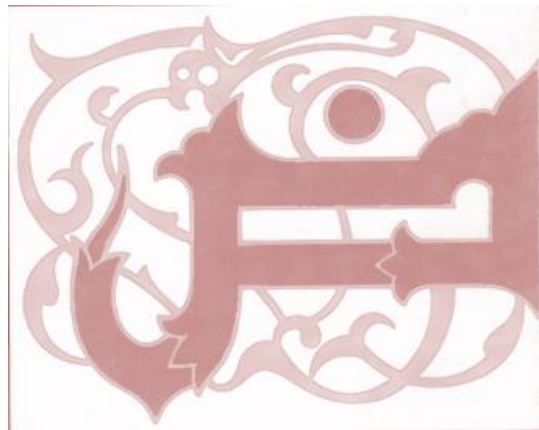
ألا ترى أن الحديث الذي نطق به صاحبه منذ ما يزيد على خمسة عشر قرناً متوجهاً به إلى من حوله قبل الهجرة النبوية الشريفة كأنما هو يتحدث به إلينا يخاطبنا به في أمر معاشنا وسلوكنا ومأكلنا وطرائق اجتماعنا.

ولسنا نعني هنا مضمون ما نطق به عن حكمة وما وجه به أفراد أمته عن بيته وإلهام، وإنما نعني ملفوظه بما هو جمل مركبة من ألفاظ وأصوات تشكلت في نسق إذا أصغينا إليه وتدبرناه أدركنا **امحاء الانفصام الزمني** وأدركنا أيضاً **تبدد الاغتراب التاريخي** اللذين يحس بهما أبناء الألسنة الأخرى إذا ما خوطبوا بالمنوال المعجمي والنحوي الذي عمره لديهم خمسة عشر قرناً.

أن إثارة موضوع اللغة من جانب **قضية الإعراب** الذي هو **نسغ التركيب في لغة الضاد** ومنه **رواؤها الدلالي** قد لا توحى بأبعاد غير أبعادها النحوية الدقيقة، وربما فاضت عن دائرة النحو فأوحت بسياقها اللغوية (**الفيلولوجية**) وقد تومئ إلى مستنداتها اللسانية العامة.

غير أن بعض الإمعان في هذه المسألة مع بعض الحرص على ربط الأشباه بالنظائر ووصل الجانب المهمل من مشاكلنا الحضارية بشواملها سينبهننا إلى أن القضية تتحرك على سطح رجراج من أرض زلوق فالمسألة بحكم تواترها وبمقتضى الأفكار التي تتأسس عليها ثم بفعل المواقف الذهنية التي تحرك المتناولين لها، قد أصبحت مطية يتوسل بها المتوسلين لإثارة قضايا تتصل بالهوية الحضارية، وقد يستخدمها بعض الناس رقعاً لحجب المطاعن التي يراد زرع بذورها للشك في القيم التاريخية المستديمة.

وهكذا تغدو مسألة خصائص اللغة ومسألة ارتباط تلك الخصائص بصياغة المعنى وتوليد الدلالات قضية فكرية ثقافية تتجاوز حدود الطرح النحوي والفيولوجي واللساني فترقى إلى مراتب المسألة الإدراكية المبدئية، وفي هذا سر تأثيرها في كل معرفة وفي كل خطاب تدون به المعارف في الحاضر والمستقبل^{٦١}.



٦١- المجلة العربية، الكويت، عدد ٥٢، جمادى الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، العربية وحقيقتها التاريخية، د. عبد السلام، ص ٨٦-٨٩.

الكتابة بالفصحى موقف حضاري

إذا كانت اللغة -أية لغة- وسيلة للتفاهم وأداة للتعبير بين الشعوب فإن اللغة العربية تتجاوز هاتين النقطتين إلى نقطة ثالثة هي أنها عامل هام من عوامل البناء القومي وركن أساسي من أركان مقومات الأمة. واللغة كائن حي ينمو ويتطور باستمرار تتجدد بعض خلاياها ويموت بعضها الآخر حسب طبيعة العصر والزمان وحسب شدة الاستعمال حيث أن بعض الكلمات قد تموت لقلة الاستعمال أو بعضها الآخر قد يبقى مجرد هياكل حروف مرسومة على صفحات القواميس لأنها تجاوزت المكان والزمان اللذين كانت تعيش في كنفهما تلك الكلمات.

واللغة العربية أكثر اللغات تناسلاً وخصوبة فالكلمة الواحدة تتكاثر وينشطر عنها عدد كبير من المفردات التي تدور في إطار ذلك المعنى لذلك فهي غزيرة المعاني واللفظة الواحدة قد تكتسب عدداً من المعان على مر الزمن.

والذين يتعمقون في علم اللغة واللسانيات يعرفون خصائص العربية وما تميزت به عن سواها من اللغات، لأريد التفصيل في هذه الفكرة لأن ما أرمي إليه من هذه العرض ليس البحث في أصول وفقه اللغة واشتقاقها، وإنما البحث في مشكلة اللهجات المحلية والدعوات التبريرية لاعتماد تلك اللهجات بدلاً من اللغة العربية الفصحى، تحت ستار حجج ذرائعية لا يقبلها العقل أو المنطق.

ولو أخذنا بتلك الدعوات لأصبح لدينا العديد من اللهجات ليس على صعيد الوطن العربي الكبير بل على صعيد القطر الواحد بين محافظة وأخرى.

وهذا بالتأكيد لا يحقق انسجاماً لا فكرياً ولا ثقافياً ولا اجتماعياً على صعيد الواقع، لذلك فإن أية دعوة للكتابة باللهجة المحلية هي دعوة مشبوهة وانفصالية، خاصة وأن أمتنا العربية والإسلامية اليوم تمر في مرحلة حاسمة من أدق مراحل تاريخها الحضاري تستلزم وحدة الفكر القومي العربي وتجديد الفكر الإسلامي، ولا أظن ذلك يتيسر دون لغة مشتركة توحد بين أبنائها إلى جانب العوامل الفاعلة في البناء القومي العربي.

إن السينما المصرية واللهجة المصرية وما سبقها من دعوات للفرعونية واللاتينية القديمة كلها باءت بالفشل ولا يمكن أن نسمح بعودتها من جديد في أدبنا المعاصر، إن التركيز على اللغة الفصحى واعتمادها في لغة الشعر والمسرح والفكر وفي بقية الأجناس الأدبية الأخرى يحدد موقف الشاعر والأديب والباحث إذا كان حضارياً أو متخلفاً.

والذين يتذرعون بالحجج الواهية التي في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب لتكريس العامية هم متخلفون انفصاليون مهما اختلفت هوياتهم السياسية ولمعت ألفاظهم لأن ليس كل ما يلعب ذهب.

في إحدى الندوات الأدبية التي تثنى لي حضورها بدمشق جرى حوار حاد حول إحدى القصص المكتوبة بالعامية بين مؤيدين ومعارضين والتزمت الصمت بادئ ذي بدء ولكن بعد أن توضح خط الحوار في إطار الدعوة للعامية باعتبارها ألصق بالواقع وأكثر تعبيراً عن خصوصية البيئة القطرية أو الإقليمية التي تصوره وجدت نفسي ملزماً بالتأكيد على أن اللغة العربية هي وسيلة التفاهم والتقارب والتوحيد الثقافي والفكري وهي الطريق الأسلم للمساهمة بفعالية عالية في تحقيق وحدة الفكر القومي العربي، وقد واجهت اعتراضاً وخصوصاً كثيرين في تلك الندوة.

إنني لا أدعو للعودة لجذور اللغة والكلمات الدارسة التي عفا عنها الزمن وأصبحت غير مقبولة أو صالحة لهذا العصر ولكن أدعو لاعتماد لغة مبسطة فصحي تعبر عن روح العصر ويفهمها الجميع في مشرق الوطن العربي ومغربه، وتذيب لهجاتنا المحلية وتزيد عرى التواصل فيما بيننا، إن اللغة عامل هام جداً في مقومات الأمة، وموقف أي أديب أو شاعر أو مفكر من اللغة هو الذي يحدد الهوية الحقيقية لذلك الأديب والشاعر أو المفكر، ربما أكون من مؤيدي الدعوة للغة المبسطة الواضحة ولاسيما في مجال المسرح والشعر.

أما أن تنسف اللغة العربية الفصحى من جذورها بحجة الخصوصية والواقعية والتواصل الجماهيري لتحل محلها اللهجات المحلية فتلك دعوات مشبوهة انفصالية رجعية نرفضها على صعيد الأدب والسياسة والفكر والعلم معاً ٦٢.



٦٢ خطرات من دفتر الصحافة، حسين حموي، دمشق، دار ابن هانئ للنشر، ط١٩٩٣، ص١٢-١٣، (بتصرف).

لسان الضاد

فقد النصير وزاد من أحزاني
إني لأسمع كل يوم ناعياً
وأرى حشوداً قد شجاها مصرعي
فأصيح من شبح المخاطر رهبة
فقد كنت في قدم الزمان بمأمن
وبنوا القصور العاليات لخاطري
رحل الكرام وأورثوني عزة
فإذا بخلف ينكرون مكانتي
جلبوا المذلة بعد صون كرامتي
واستبدلوا لفظي بلفظ مهيم
فطغت أعاجم جملة فتساندت
ومضوا جميعاً يؤثرون مذلتي
فرأيت شيباً قد أناخ بعارضي
عشقوا لساناً بين أنياب لها
تغتال رفقا ثم ترسل داءها
عجباً وقد حزت البيان جميعه
أتهاذيا أبناء يعرب بعدما
من بعد ما شمخت دهوراً رايتي
فغدا لسان الضاد بعد شموخه
لا الماء يرويه فيخلف غصنها
حرموا التفيؤ في ظلال ظليلة
قالوا عقيم في حضارة عصرنا
جهلاً وزوراً بل إشاعات، بها
جرم العقوق وسطوة الغيران!
يشدو بحتفي دونما استيقان
لتهد صرحاً شامخ البنيان
هل من مجير يابني لقرآن؟!
في ظل قوم ثبتوا أركان
رفعوا كياني في ربيع زماني
أسموبها دوماً عن النقصان
دعموا بذلك هذر من يشناني!
قطعوا مسير الضاد دون توان
سلب البيان كضجة الخرسان
أما وجهها، واستتعمرت أوطاني
أفبعد عزير ترضون هواني؟!
قبل المشيب ولات حين أوان!
سم سريع الفتك والسريان
بغتاً إليهم، غيلة الثعبان
واليوم أشكو لكنة بلساني!
سمت الفصاحة واستطال عناني؟!
نكست وصارت أسفل الميدان!
كشجيرة أمست بلا أعصان
أوقلعت من أصلها الهجفان
تروي عطاشاً والقطاف دوان
ذبلت أزاهر غصنك الريان!
ما أنزل الرحمن من سلطان

ودلالة الفرقان خير بيان
ومن يرضى بديلاً أن يحل مكاني
هيمات للأضداد نيل بياني
ذوقاً، وإبداعاً، وفيض معان
ثوروا وصونوا مفردات لساني

فأنا الفصاحة، والبلاغة، والعلا
من ذا الذي لا يرتضي الفصحى
لغة العروبة لا مثيل لسحرها
لفظاً، وإعجازاً، وحسن صياغة
يا أيها الأبناء بروا أمكم



دراسة في معجم وصف اللغة الإيبيلية

جوزيف مارتن باجون

عربه وأجزه د. إبراهيم فاضل

- مصارحة:

لو أن طبيباً أعاد الحياة لميت بعد يوم من وفاته لشغل الإعلام العالمي كافة، ولمدة طويلة..؟
فكيف إذا أعيدت الحياة لشعب بحاله وجلاله، بعد أن حرقه الملك الأكادي (نارام سن) منذ حوالي أربعة
آلاف وربع الألف من السنين الشمسية..؟
الطبيب المعالج هو (البروفسور باولو ماتيه)، والشعب المعادل للحياة هو (شعب إيبلا) الذي كانت
ربوعه وحقوله ممتدة من (البحر الأسود إلى العقبة) ومن (جبال زاغروس إلى مياه الأبيض المتوسط).
ذكرت أمام أخي ماتيه يوم عرفني عليه سيادة الوزير وهيب فاضل في مدينة إدلب وكانت في رعايته
كمحافظ لها يكرم مكتشفي إيبلا التابعة إدارياً له.. يكرمهم كما يجب لباعثي حضارة، كان التعليم فيها
خاضعاً للدولة قبل أن تتخذه بها نيارين نارام.
وفي تشرين الثاني من العام الحالي ١٩٩٨م أطلعني سيادته على دراسة جادة للعالم اللغوي جوزيف مارتن
باجون، متوغلة في معجم وصف اللغة الإيبيلية.
يضم الكتاب أربع مائة وعشرين صفحة من القطع الكبير، كتبت باللغة الإنكليزية عارضة نصوصاً وأمثلاً
(إيبيلية وأكادية وسومرية وأوغارية وكيشية.. وغيرها من أخواتها اللغات القديمة العريقة).
ونظراً لأهمية الكتاب، رأيت من واجبي أن أجزه لأنقل ثماره ناضجة، سائغة للقارئ الذي لم تترك له مشاغل
الحياة، ومسؤوليات الأهل وقتاً لدراسة مجلد كبير وبلغات تحتاج إلى اختصاصات شتى.
والآن وبعد شكري واحترامي لكل من سيادة الوزير، وعراقة العالمين الجليلين (باولو وجوزيف)، أقدم خلاصة
ما جاء في الكتاب مرتبة ترتيباً منهجياً يسهل احتواءها..!

- خلاصة دراسة جوزيف:

يبدأ المؤلف بدراسة الأزمنة اللغوية الإيبيلية فيجد فيها أزمنة شتى أعرض منها:

الزمن الماضي: الدال على فعل مضى، كما في الأفعال [الإيبيلية] التالية، مع مراعاة لفظها الإيبيلوي المرسوم
عليها بالشكل:

حبّ بكى [ي تلفظ مثل say]، دعم، دار [التفت]، ذكر [يذكر]

قد [قطع]، جد [صار جديداً]، حنا [يحنو عليه]، حاصر، خبر [من الخبرة]

خبي [خبأ]، طرد، قدس [قدّس]، ترم [قطع]، وضع، زابن [اشترى وباع]..
الزمن الحاضر: الدال على فعل مزامن للقول.

و[الإيلوية] يكسر الحرف الأول من الفعل إذا لم يكن [أجوف أو مشدداً]:

يرق [من البرق]، يكبب [يلف الخيطان كبة]، يموت [من مات وهو أجوف لذلك سكن أوله]، ينظر [أي يراقب ومنه يناظر الحقل]، ينود [يحرك رأسه حركات قلقة]، ينوخ [يستريح]، يذم [ضد يمدح]، ييني، يكبر، ينحر، يفتح، يقنع، يقوم، يردد، يرضى.

الزمن التام perfect: وقد رآه المؤلف مصاغاً في [الصرف الإيلوي] بزيادة ألف أمام الفعل وتاء بين الحرف الأول والثاني للدلالة على إنجاز الفعل بالتدرج المطول:

استمع [سمع ثلاثيها]، استأل [ثلاثيها سأل]، إذكرو [ثلاثيها ذكر+ إذ ت ك ر مع إبدال ت بالحرف د لتسهيل اللفظ]، اترق [ثلاثيها ورق أي أورك بعد سبات+ أ ت و ر ق، وبإبدال الواو تاءاً تحولت إلى أ ت ر ق] ومثلها اتقى [من وقى]..!

الأمر imperative: يأتي بالصرف الإيلوي مسكن الأول إذا كان [صحيحاً] ومحرك الأول إذا كان [أجوف أو مشدداً]: قوم [قم]، كن [استرح أو ربح حالك]، سقى [اسق]، حمض [حمض]، صطر [اكتب].

اسم الفاعل: للدلالة على طول تنفيذ الفعل حتى وكأنه دائم:
راعى، سامع، قايم، بايت [غير طري].

ويهتم الدراس المجد بالضمائر اللغوية فيوزعها توزيعاً مدرسياً مفيداً، بعد أن يستنتج توحد اللهجات السومرية والأكادية والأوغاريتية في قوانين ورودها:

الضمائر المنفصلة: أنا، هنت، [أنت]، هنت [أنت].

هُو، هَو، هوى، هي، هي، هي.

الضمائر المتصلة: ياء المتكلم، كاف المخاطب المفتوح، كاف المخاطبة المتكرر، هاء الغائب المضموم، ها

الغائبة، وقد تنوب عنها أحرف العلى، إذ يقول [الإيلوي]: سمعا [سمعها]، سمعو [سمعه]، سمعن [سمعهن]

ضمائر الملك المنفصلة: التي تقابل في الإنكليزية (mine.Ours ..): كيتي أو كيوتي، أو كياتي [mine]، كيوتنا [ours] وقيس على هذا، وقد تلفظ الكاف جيماً مصرية.!

ضمائر الاستفهام: وتتألف من مقطع مين+ آ أو و ن فيقول [الإيلوي]: مينا [من هي]؟ مينو [من هو]؟ مينين [من هنّ أو هم]؟.

الضمير غير المحدد: مينما، مقابل: everybody. Anybody.

وينتقل المؤلف إلى النفي فيجده سهلاً بمصاحبة [ما] لأحرف الألف والواو والنون والياء: ماني [لا أريد]!، مانا [لا تريد]!، مانو [لا يريد]!، مانن [لا يريدون أو لا يردن]!..

دراسة الظروف: يختار من الظروف الشائعة في [إيلا]:

عَ [ظرف مكان بمعنى فوق]، متى [ظرف زمان]، آخر [بعد] **دراسة حروف الجر:** اختار منها: بلا [بدون without] وكاف التشبيه.

دراسة حروف التوكيد: اختار منها:

لا مثل: هو، لا، لا كيل [هو، حقاً، وكيل]

ما مثل: هو، أب، ما [هو أب بالتأكيد]

ثم يورد الدراس المجد صفات عديدة استخرجها من المعجم الإيلوي اخترت منها: لا [جميلة متقدة]، زهو [الإشعاع جمالاً]، زين [ينور ما حوله]، حسان [حسن أو حسين]، هادي، حي.. ويتمثل المؤلف مراراً بكلمة [آدم] بمعنى إنسان man كمفهوم عام بمعنى رجل.

ولا ينسى الدراس أشهر المصطلحات الدينية: عيل، دايم [بمعنى عائل الكل أبداً] يذكرنا هذا القول المأثور الطيب (الناس عيال الله من الأزل إلى الأبد).

ولا يذكر من الفلك إلا اسم (عطار) قاصداً به [نجمة الصبح].

ويورد للسلوك الفردي: زميل، عازب [منفرد]، عزوب، عزيز، حسن، زينو، جيد، صابر، حبيس [محبوس]، حصين [محصن]..

ومن مفردات الفلاحة أختار: بير [بئر] ومثلها جب، جنى [جنة]، ورق [مورق]، زاهي، ظمي [عطشان]، عود، يم [بحر]، كرم [أشجار من نوع واحد]، وكيل [ناظر الحقل]، صبر [نبات طبي مر].

ومن الحرف: نجار [أخشاب]، فخاري ل[فخار]، ملاح [سفن].

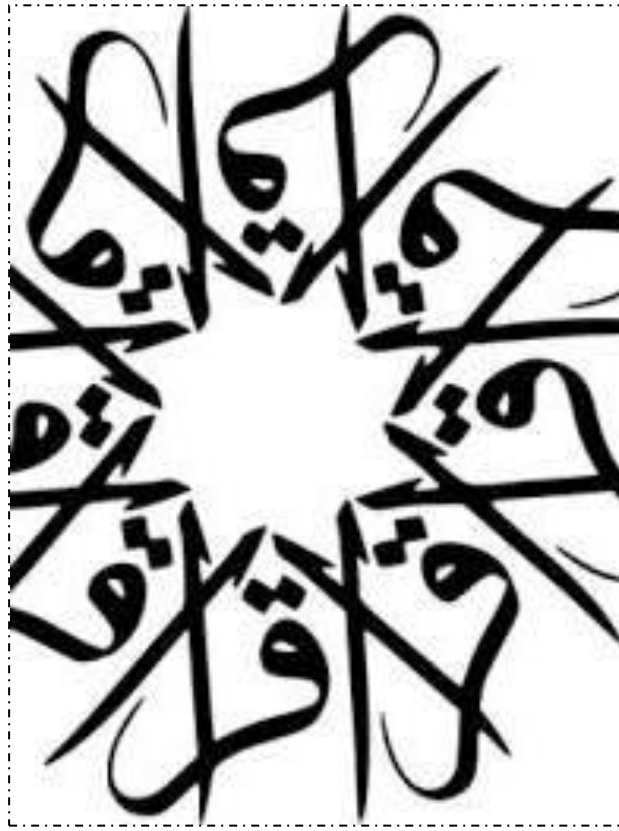
وفي مجال الصحة أذكر: جيد، وهن [ضعيف]، سليم، كرش [بطن]، مخ، راس، يد، سنة [نوم]، بدين [سمين].

ومن أفراد الأسرة أذكر: أب، أبو، أبا، بيبي، بيبو [وكلها بنفس المعنى].

أم، ماما، ميم..، بن [ابن].. أخ، أخو، أخا، أخي، خيبو، عم، عمو.. خال، خالو.. حمو، حماتو.. غلام، بكر [أكبر الأولاد].. عبد [إنسان مستعبد].

ومن الرياضة اخترت: صراع [مصارعة]، صبيدي [اصطياد].

ومن المخلوقات التي كانت معروفة في العهد الإيلوي: أسد، غزال، مهر، جدي، ثور، ذيب، ثعلب، نس، صوص، نون [سمكة]، برغوث [حشرة]، والقائمة طويلة جداً!!
هذا غيظ من فيض، يكفي للبرهان الأكيد على وحدة الجذور اللغوية في القواعد الصرفية والمعجمية بين محكيات [سومر، وأكاد، وكيش، ولكش، وأور، وبابل، وماري، وأوغاريت، وصور، وصيدون وإيبلا] وتحية لكل وحدة تجمع الناس على إنسانيتهم، بما هي حب محض، والتحية والإجلال للبروفسور [باولو ماتيه] مكتشف [إيبلا].
وللأستاذ العالم اللغوي [جوزيف باجون] ولكل من قدم للبشرية خيراً وأمناً على قدر طاقته.



اللسان العربي الطبيعي

(فلسفة الأرسوزي اللغوية)

- اللغة العربية طبيعية:

أي أنها اللغة الأصل، وبالتالي فإن اللغات الأخرى في العالم نسخ مشتقة من اللغة العربية - بعدها طبيعية - موجودة منذ ظهور الإنسان على الأرض.

اللغة العربية أداة بيانية متكاملة.

الشيء واللفظ أمر واحد، فيكفي أن تسمع الكلمة العربية كي تفهم معناها.. وهذه النقطة سنفصلها بعد قليل.

كما أنني أشير إلى أن الأرسوزي سيحذف الأشياء من الوجود على الحقيقة ليثبت وجود الأسماء (اللغة العربية) على الحقيقة.

ومن الأمثلة على نشوء الكلمات من الأصوات الطبيعية وعلى نمط نمو اللسان نحو أداة بيانية متكاملة: (لما طرق صوت خرير الماء أذن العربية تشخص في خياله الماء في مجراه، وذلك لما بين الصوت والرؤية هنا من علاقة اقتران وكلما كان يتلون تأثير الماء في مجراه كان الذهن يعبر عن الحالة المستجدة بإلحاقه صوتاً (خر) مع مراعاته بيان الحرف الملحق.

وهكذا حصل من إلحاق حرف (ب) بـ (خر) فعل (خرب) ومن إلحاق حرف (ج) ومن إلحاق حرف (م) به فعل (خرم) وهكذا وضعت الكلمات المعبرة عن تلون تأثير الماء في مجراه: خرباً، أو خروجاً، أو خرمًا. يقر الأرسوزي هنا مسلمات تقوم عليها نظريته بكاملها.

- وبالتالي نستنتج:

- حذر الفعل جاء بداية عن اقتران الصوت في الطبيعة برؤية العربي وسماعه.

- يتحول الصوت الطبيعي إلى فعل.

- يسلك الذهن العربي أكثر من نهج في إنشاء الكلمات من الأصوات الطبيعية وهي:

١- الإلحاق كما رأينا أعلاه في مثال: خر- خرب، خرج، خرم.

٢- الانتقال من الحرف إلى شقيقه في المخرج، فالتاء شقيق الدال بالمخرج وهكذا ينشئ الذهن العربي من (تر) (در) ومن (در) (ذر) لأن الدال شقيق الدال بالمخرج فالتلون (في الخيال المرئي يدعو إلى إحداث تلون في الصوت).

٣- من صوت الحرف الواحد يستحدث كلمات فمن صوت (ن) استحدثت (أنا) و(أنت) و(أنس) و(إنسان) الخ.

ثم يأتي الإلحاق والإبدال لتتوسع دائرة الاستحداث بصورة كبيرة، والإلحاق هنا يكون بحرف أو أكثر وهكذا، والمهم نظرياً هنا كحامل لكل ما تقدم وما سيأتي هو أن (الحياة) نفسها قد سلكت هذا المنهج في إنشاء أداة بيانها اللغة.

فاللغة أداة بيان الحياة، ولقد استفادت الحياة في ذلك من:

- خضوع الصوت للإرادة، والصوت أحد مظاهر الطبيعة.
- انتقال الصوت عبر المكان حيث أصبح أداة للتفاهم والتعاون بين البشر.
- حاسة البصر، ذات التلون الدقيق مقيمة التعادل بين تلوينات هذه الحاسة وبين الصوت متخذة من الصورة وسيلة لجلاء المعنى.

- الصوت والمعنى في اللغة العربية:

- هناك علاقة ثابتة واضحة بين الصوت والمعنى، فصوت (غ) يوحي معنى الغيوبة، ونجد هذا المعنى في الكلمات التي تبدأ بهذا الحرف: غاب، غاص، غرب.. ونحن نجد هذا المعنى أينما وجدت الفتحة! وذلك ما يوحي بأن جذور اللغة هي في الحياة، إن العلاقة بين الصوت والمعنى في الكلمة العربية علاقة طبيعية، كانت كذلك منذ ظهور الإنسان، وبقيت كذلك في تطورها حتى الآن، بينما العلاقة بين الصوت والمعنى في اللغات الأخرى هي علاقة تقوم على العرف لا على رابطة طبيعية بينهما، وهكذا لا يتبدل معنى الكلمات العربية عبر الأجيال، والبرهان على ذلك أن العربي الآن يستطيع أن يفهم الشعر العربي القديم كما فهمته الأجيال العربية عبر التاريخ، حتى لو كانت القصيدة من العصر الجاهلي، دون أن تختلف سهولة فهمها، وهذا الأمر متعذر على الفرنسي، وغيره من الأمم الأخرى، لأن لغات الشعوب غير العربية تختلف في صورتها الحالية عن صورة نشأتها.

- بنية اللغة العربية:

تتألف الكلمة العربية من: صورة صوتية وخيال مرئي، ومعنى (قوام تألف الصورة الصوتية والخيال المرئي).

فمثلاً كلمة (فقه) فالصورة الصوتية في هذه الكلمة هي صوت (فق) الحاصل من غليان الماء مع إلحاق صوت (ه) بها، والخيال المرئي هو التفتح من الداخل، الخيال الموجود في الكلمات ذات النشأة المشتركة ك(فقاً) الكلب عينيه، وفقص النقف و(فقع) و (قفر).. الخ.

والمعنى هو الحقيقة المتجلية من صميم النفس مستضيئة بنور ذاتها، وذلك ما يجعل الكلمة العربية ذات معالم واضحة لا تقبل الالتباس بغيرها.

والصورة الصوتية لا تقتصر على معنى الصورة عن الطبيعة الخارجية بل إن الذهن العربي استعان بالعبارات الصوتية المجهزة بها الطبيعة الإنسانية والطبيعة الإنسانية يصدر عنها الكلام من:

١- الصورة الصوتية البيانية للحالة النفسانية.

٢- الصورة الصوتية التي ترافق عضلات الفم وتستقطب العمل الذي تنجزه الحركة.

ومثال على الصورة والصوت ذات المنشأ النفساني: (أن) أي الأنين الداخلي - وهي عبارة التوجع، أنشأ الذهن العربي الأفعال والمشتقات التالية:

- **بالحاق الهمزة أنشأ (أنا) وبالحاق التاء:** (أنت) أنتما، الضمائر..

- ومنهما أيضاً (أن) تأوه و(الأنين) و(أنب) عنف ولام- وهي بعكس (أنه) أي ترضاه و(أنس) و(أنف) و(الأنام) و(أنى) دنا وقرب.

- **بتحويل الهمزة إلى إحدى شقيقتها (العين) أو (الحاء) أو (هاء) نجمت أفعال ومشتقات عدة منها:** (عن) ومنها (العين).

عن الشيء: ظهر أمامك (عنب) (عنج) (عند): عارض عنس عنفه (عنا) بتحويل الهمزة إلى (عين).

- و(هن) أي بكى، (هنا) بعكس (عنا) و(هنف): داعب، بتحويل الهمزة إلى (هاء).

- و(حن) ومنها (الحنين) و(حنا) و(حنت) بتحويل الهمزة إلى (حاء).

والمثال على الصورة الصوتية التي ترافق عضلات الفم: (عض) (وقض وبت) و(بد)، اللسان العربي هو لغة أبو البشر (آدم).

يقول الأرسوزي في كتابه **العبرية العربية في لسانها:** (ولا غرابة فلما كان هذا اللسان بدئياً، لسان آدم (المعنى متجلياً في الوجود) فقد استكمل كافة شروط الأصالة)^{٦٣}، آدم كما كان معروفاً في الإسلام (وفي الديانات السماوية التي ظهرت في الشرق الأوسط) أبو البشر، وهذا الأب الأول كان لسانه عربياً، والله نفسه هو الذي علم آدم الأسماء كلها حسب القرآن الكريم (فالمعنى) الذي يكرر الأرسوزي استخدامه يشير إلى: معنى الكلمة، والمعنى المطلق - الله، والمعنى - الغاية، فاللغة العربية ذات منشأ إلهي فكيف تم ذلك حسب الأرسوزي!؟

٦٣ - مؤلفات الأرسوزي الكاملة، ج ١، ص ٢١٩.

يقول الأرسوزي: (فالإنسان كائن بين السماء والأرض، إذ إن بدنه من الأديم (آدم، أديم، إدامة..) وروحة منبثقة عن روح الإله، وهي على صورته (أسطورة آدم)، وما البدن والروح إلا وجهتا من وجهة نظرية المعرفة الإنسانية فقط.

فإذا توجهت النفس نحو تجلياتها وتلققتها بالحواس صارت هذه التجليات بالنسبة إليه عالماً، وإذا هي تفتحت نحو صميمها فأدركت المعنى أصبحت ملاً أعلى والعالم والملاً الأعلى هما (قطبا الوجود) إذ يتحدان بالبصيرة التي رمزت الحياة إليها بالبصر، صورتها الحسية، لما تنطوي عليه هذه من نور ووضوح، وإذا كان البدن يقتات بالإدامة (الغذاء) فينمو بها، وهو من الكون كالبرعم من شجرته، فالنفس أيضاً تقتات بالحقيقة التي تجلى بها المعنى^{٦٤}، نستطيع الآن أن نعيد ترتيب البناء النازل لنظرية اللسان عند الأرسوزي على النحو التالي: أراد الله أن يتجلى من الملاً الأعلى فأبدع الحياة وتجلى بها آية تدل عليه، وأبدع آدم (الإنسان) على صورته، وآدم العبقريه لسانه عربي تجلت عبقريته وعبقرية الأمة العربية: في اللسان العربي، ولذلك فالحياة نفسها تتجلى في اللسان العربي، وعلى ذلك يكون البناء الصاعد يتفتح بالمعنى في اللسان العربي عبر الحياة فيرتقي إلى مصدره المعنى، ويصبح من الملاً الأعلى، هذه النزعة قائمة في صميم البنيان الاشتقاقي في اللغة العربية (والرأي دائماً للأرسوزي) نزعة النفس إلى معناها ومصدرها ومبدعها، فالمعنى نسيج الحياة بها يتجلى، وعالم الشهود (الحياة والطبيعة والاستحقاق والموجودات آيات على المعنى)، وعالم الملاً الأعلى، ملاً المعنى التام الكامل.

- اللسان العربي البدائي و البدئي:

هو من مبدعات الأمة العربية التي (تمتع أبنائها بالنبوغ في هذه الناحية) وهكذا فقد انتشرت اللغة في فجر التاريخ كما انتشرت الديانات السامية، والاختراعات الفنية وهكذا يتبين فضل الأمة العربية على الشعوب السامية والأمم الأخرى (لإيجادها الآلة التي امتاز بها الإنسان على الحيوان والتي شيد بنيانه النفساني والاجتماعي بالاستناد عليها).. فاللغات السامية ترتد في نشأتها الأولى إلى العربية ولكنها اقتربت من شكل اللهجات العامية تحت عاملين:

١- عامل انتقال شعوب عربية فجأة إلى مرحلة مستحدثة من المدينة، بحيث تنفك روابط الاشتقاق، فتشذ الكلمات عن منظومة معاني أسرتها، ويطمس على معظم القواعد النحوية، وتفقد الكلمة والجملة بنيانها، وتقرب حينئذ من شكل اللهجات العامية.

٢- بالإضافة إلى عامل تأثير الشعوب الأعجمية لقد خص العربي لهجته بحق بكلمة لسان هذه الكلمة المؤلفة من الحروف (ل) (س) (ن) الرشيقية، وأطلق على اللهجات السامية (لغة) من (لغا) (يلغو) وما

٦٤- المؤلفات الكاملة، ج، ١، ص ١٣٢.

يتضمن حرف (الغين) لما فيها من غموض وإبهام، وأطلق على اللغات الأعجمية كلمة (بربر) لما فيها من ركاكة، إن الكلمة التي لا يمكن إرجاعها إلى صورة صوتية مقتبسة عن الطبيعة وفي حدود الصناعة العربية، فهي كلمة دخيلة على العربية.

إذن كل لغات الشعوب والأمم مشتقة من اللغة العربية وإذا وجدنا فيها أي مظهر من مظاهر العبقرية فإنه يترد إلى أصله في اللسان العربي، ذلك أن كافة اللغات - غير العربية - اصطلاحية نشأت في التاريخ، ولذلك تتغير في التاريخ، إذا اعترضنا على الأرسوزي وقلنا له: العالم مليء باللغات، وهناك العديد من الشعوب التي استوعبت لغاتها كل مصطلحات العلوم الحديثة: النظرية والتطبيقية، سيقول لنا ذلك يعود لفضل العربية عليها، وإذا قلنا له: إن العربية المعاصرة مقصرة في ميادين عديدة، سيقول لنا: ذلك بسبب تأثير الشعوب الأخرى على أبناء الأمة العربية، وإذا سألناه كيف وصلت اللغة العربية إلى كل أصقاع الدنيا؟ سيقول لنا: كما وصلت الديانات السامية، والاختراعات الفنية.

وأخيراً إذا قلنا له: أنت تحاور اللغات الهندو أوروبية فقط ماذا عن الصينية واليابانية وغيرها من لغات الشرق الأقصى، فضلاً عن الأفريقية والأمريكية؟ سيقول لنا: لا يتغير الأمر فحظوظ الأمم متفاوتة في إيجاد الآلة التي امتاز بها الإنسان على الحيوان، والعربية هي لسان آدم الذي علمه الله الأسماء كلها، والأسماء منزلة من السماء^{٦٥}.



٦٥- المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، ع ٤٦٨، سنة ٤١، جمادى الآخر ١٤٢٣ هـ، زكي الأرسوزي بين فلسفة اللسان العربي وفلسفة القومية العربية، وفق خنسة ص ٣٢ - ٧٦.

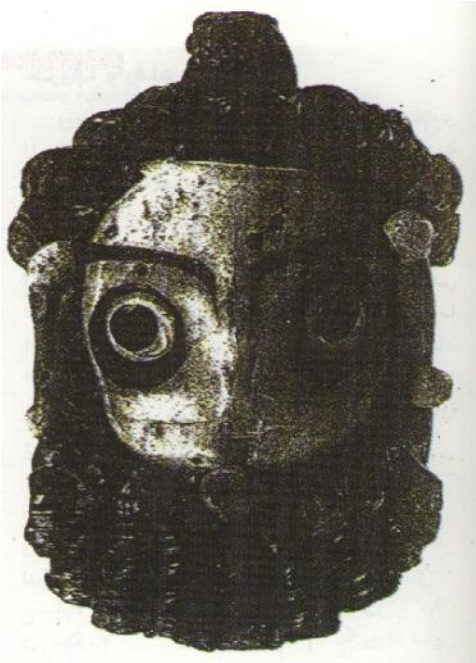
العربية هي أم اللغات !!

ثمة دلائل جديدة على أن اللغة العربية هي أول اللغات التي عرفت شعوب العالم منذ القدم، فبعد سنوات من ليّ الحقائق وتزييفها تأتي الأبحاث والدراسات والكشوف الأثرية الحديثة لتؤكد أهمية لغة الضاد.

يقول العلامة الروماني بليوس صاحب كتاب (التاريخ الطبيعي) الذي قضى نحبه في انفجار بركان الفيزوف سنة ٧٩م: (إن الشعب الفينيقي حظي بالشرف العظيم لاختراعه حروف الأبجدية).

وكان المؤرخ اليوناني هيروdotus قد سبقه بخمسمائة سنة إلى مثل هذا الإقرار في كتابه (التواريخ) حيث يقول: (إن أولئك الفينيقيين الذين قدموا إلى اليونان مع قدموس حملوا معهم الأبجدية التي لم يعرفها الإغريق من قبل)، وإن قدموس الفينيقي العربي ابن الملك أجينور أسس مدينة طيبة اليونانية، نشر فيها الأبجدية وأطلق اسم أخته (أوربا) على القارة الجديدة التي كشفها فعرفت باسم القارة الأوربية.

ومع أن معظم المؤرخين القدامى ينسبون اختراع الأبجدية إلى الفينيقيين، فإن المؤرخ ديودوروس الصقلي الذي عاش في القرن الأول ق.م. ينقل عن مراجع في جزيرة كريت أن الأبجدية هي من ابتكار السوريين الكنعانيين، وربما غيرهم، وأن الفينيقيين قاموا فقط بإدخالها إلى اليونان حيث اقترنت باسمهم وعرفت بالحروف الفينيقية.



قناع فينيقي من الذهب الخالص عائد إلى القرن الثالث عشر ق.م. عثر عليه في أحد النواويس بمدينة جبيل، وقد نهبته العصابات المسلحة من المتحف الوطني اللبناني خلال الاجتياح الإسرائيلي سنة ١٩٨٢ وكان الإسرائيليون قد استأجروا عدداً من المسلحين في الميليشيات اللبنانية أثناء احتلالهم بيروت والجنوب للسطوع على الموجودات الأثرية في المتحف الوطني وتحت العالم الأثرية في مدينتي صيدا وصور. وقد بيعت هذه التحف إلى دول أجنبية وهواة آثار قديمة في الخارج تمكن لبنان من استرداد بعضها، وهو لا يزال عاجزاً عن استرداد معظمها.

بات من المسلم به في الأوساط العلمية كافة أن الفينيقيين هم الذين علموا الأبجدية للعالم القديم، سواء أقال بعض المتضلعين في هذا الموضوع أن أولئك الفينيقيين تعلموا حروف الكتابة من السوريين أو الفلسطينيين الكنعانيين أو من المصريين الذين طوروا الهيروغليفية أي الكتابة بالصورة المعبرة، إلى ما عرف بالحروف السينائية نسبة إلى سيناء، أو قال آخرون إن الحروف الفينيقية تعود جذورها إلى حروف الكتابة المسمارية

التي نشأت في العراق وانتشرت في سوريا الشمالية كما اعتمدت إلى حين في مدينة أوغاريت الساحلية المواجهة لجزيرة قبرص، ومما ترسخت في نهجي التحليلي خلال ربح من العمر صرفته في تفصي المعلومات المتداخلة عبر المؤلفات والموسوعات المتخصصة، هو أن أتقصى منابت الفينيقيين ومهاد نشأتهم قبل أن يستوطنوا الساحلي الشرقي للبحر الأبيض المتوسط من مشارف الإسكندرية إلى خليج الإسكندرون، وبينوا مدائنهم المزدهرة على الوجه البحري لسوريا ولبنان وفلسطين، وهو أمر قلّم حفل به المؤرخون الأوربيون الذين ركزوا اهتمامهم على كشف الفينيقيين وفتوحاتهم في البحر المتوسط وعبر مضيق جبل طارق المعروف عند القدماء (بأعمدة هرقل) وصولاً إلى أوروبا الأطلسية الشمالية وإفريقيا الغربية، واحتمالات ولوجهم (بجر الظلمات) إلى القارة الأمريكية قبل عشرات القرون من رحلة كولبوس، في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وقد تبين لي من خلال تمحيص دقيق لأبحاث العلماء الذين فتشوا عن أصول الفينيقيين أنها تعود إلى جزيرة العرب، وبالتحديد إلى منطقة الخليج العليا المتزامية بين شط العرب ورأس أبي مشاط ورأس العرق على الحدود بين قطر والإمارات العربية المتحدة، بما في ذلك الهضاب النجدية على المنحدر الشرقي نحو الخليج.

- الفينيقية.. عربية:

وتؤيد هذا الاقتناع الذي توصلت إليه، الخرائط الافتراضية التي وضعها بعض المؤرخين الثقات، وخصوصاً الفرنسيين بينوا ميشان في كتابه (ابن سعود أو مولد مملكة)، وغودفروا دي مومبين في كتابه (محمد) حول الهجرات السامية السابقة للإسلام من جزيرة العرب إلى بلاد الشام والعراق، وكذلك الملاحظات التي دونها الرحالون الكبار منذ فجر التاريخ، وعلماء الآثار في الأزمنة المتأخرة. وأستطيع القول بثقة متوافرة إن هنالك موجتين من الهجرة العربية نحو الشمال حملتا معهما رسالتين حضاريتين هما: **الفتح الإسلامي** الذي علم بكتاب الله المبين، وقبله متقدماً في الماضي السحيق، **الفتح الفينيقي** الذي علم بالأجدية العربية !! ففي تقارير العالم الفرنسي الحبير في الآثار جان فرانسوا **سال** الذي أجرى مع فريقه حفريات واسعة في جزيرة (فيلكا) الكويتية سنة ١٩٨٣، أن الحضارة المعروفة باسم حضارة (ديلمون) التي سادت في الكويت والبحرين وقطر وسائر الموانئ الدافئة على الساحل العربي للخليج بين سنة ٢٥٠٠ وسنة ١٥٠٠ قبل الميلاد، هي **حضارة فينيقية مائة في المائة!** وقد تم اكتشاف آثار ناطقة في تلك المدن والمرافئ، وما يليها من الصحارى والجزر المتاخمة لها، هي صور طبق الأصل عن آثار جبيل (بيبلوس) وصور صيدا (صيدون القديمة) وبيروت ورأس شمرا وأوغاريت وجزيرة أرواد وعكا وجبل الكرمل، كما أن **بعثة العلماء الدنماركيين** التي أجرت هي أيضاً حفريات مهمة في جزيرة (فيلكا) ابتداء من سنة ١٩٥٨ كانت قد نوهت منذ العام ١٩٦٣ بالشبه

الخارق بين آثار حضارة (ديلمون) وآثار فينيقيا، ويكاد معظم خبراء الآثار الذين دأبوا على التنقيب في إمارات الخليج يجمعون على أن الكتابات المكتشفة في تلك المناطق تشبه إلى حد بعيد الكتابات الفينيقية القديمة المكتشفة على سواحل الشام، وأهمها حروف الأبجدية المحفورة على ناووس الملك أحيرام في مدينة جبيل والعائد إلى القرن الثالث عشر ق.م.

من هنا أميل إلى الاعتقاد الجازم بأن العربية الفصحى المعروفة بلغة قريش والتي تنزل بها القرآن وكانت منتشرة قبل الإسلام بقرون في جزيرة العرب، هي نفسها اللغة التي جسدها الفينيقيون في حروف ودونها على نظام الأبجدية (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، ثخذ، ضظغ)! وقد دأب هؤلاء الفينيقيون الذين عرفوا بالملاحة منذ فجر التاريخ في مرافئهم الخليجية، على استكشاف جزيرة العرب وسواحل إفريقيا الشرقية وجنوب شرقي آسيا، قبل نشوء حضارة (ديلمون) وفي سياق نموها، فاتجهت قوافلهم البحرية عبر مضيق هرمز إلى باب المندب والبحر الأحمر وأسسوا المستعمرات في جنوب الجزيرة العربية، أمثال مسقط وخلف وسلالة وسيحوت والمكلا وعدن، ثم الحديدية وجازان والليث وجدة وينبع وغيرها على شواطئ اليمن والحجاز، وكذلك حلايب ومرسى علم القصير وسواكن ومصوغ على سواحل مصر والسودان وأريتريا في البحر الأحمر.

- حروف وأرقام:

ويخطئ من يعتقد أن عبد الرحمن النحلاوي المعروف بالبهلول كان أول من رتب نظام الأبجدية ورقم حروفها من ١ إلى ١٠٠٠ لغرض التأريخ بالشعر، فقد دلت الكشوف الأثرية العديدة في القرنين الأخيرين أن الفينيقيين كتبوا الأبجدية قبله في الجاهلية الأولى بترتيب (أبجد هوز) الذي أشرنا إليه أعلاه، وهو أول من اعتمد ٢٨ حرفاً لتلك الأبجدية بحسب مخارجها من الحلق رقموها من ١ إلى ١٠٠٠ لأغراض الحساب الذي تفرضه التجارة وذلك على الشكل الآتي:

٤٠-م	٣٠-ل	٢٠-ك	٣-ج	٢-ب	١-أ
٩٠-ص	٨٠-ف	٧٠-ع	٨-ح	٧-ز	٦-و
١٠٠٠-غ	٩٠٠-ظ	٨٠٠-ض	٥٠٠-ث	٤٠٠-ت	٣٠٠-ش
٦٠-س	٥٠-ن	١٠-ي	٩-ط	٥-هـ	٤-د
		٧٠٠-ذ	٦٠٠-خ	٢٠٠-ر	١٠٠-ق

وقد أسقط الفينيقيون الأوائل الخصائص الصوتية للألف والواو والياء واعتبروا فقط أحرفاً صامتة تعبر عن صورة إخراجها من الفم (صحوة، هيئة، مأسدة)، مكتفين باستعمالها أدوات لمد حركة الصوت عندما تلحق بحرف صامت آخر (زياد، سمير، خلود) ولم يتم إدخال الفتحة والضمة والكسرة والسكون وغيرها من أدوات

الشدة والمد والتنوين، على الكتابة إلا في زمن متأخر، بل كان استعمال هذه الأدوات الصوتية عند القدماء سماعياً فقط.

بيان تطور الحروف العربية الفينيقية بحسب نظام (أبجد هوز) من القرن 13 إلى القرن 4 ق.م.

الحروف الفينيقية	الحروف الإغريقية القديمة	الحروف اللاتينية القديمة	الحروف اللاتينية الحديثة	الحروف العبرية القديمة	الحروف العبرية الحديثة	الحروف العربية القديمة	الحروف العربية الحديثة
𐤀	Α	A	A	א	א	أ	أ
𐤁	Β	B	B	ב	ב	ب	ب
𐤂	Γ	Γ	Γ	ג	ג	ج	ج
𐤃	Δ	D	D	ד	ד	د	د
𐤄	Η	H	H	ה	ה	هـ	هـ
𐤅	Θ	Θ	Θ	ה	ה	و	و
𐤆	Ι	I	I	ו	ו	ز	ز
𐤇	Κ	K	K	ז	ז	ح	ح
𐤈	Λ	L	L	ח	ח	ط	ط
𐤉	Μ	M	M	ט	ט	ي	ي
𐤊	Ν	N	N	ת	ת	ك	ك
𐤋	Ξ	Ξ	Ξ	כ	כ	ل	ل
𐤌	Ο	O	O	ל	ל	م	م
𐤍	Π	P	P	מ	מ	ن	ن
𐤎	Ρ	R	R	נ	נ	س	س
𐤏	Σ	S	S	ס	ס	ع	ع
𐤐	Τ	T	T	ע	ע	ف	ف
𐤑	Υ	Υ	Υ	פ	פ	ق	ق
𐤒	Φ	Φ	Φ	פ	פ	ر	ر
𐤓	Χ	Χ	Χ	צ	צ	ش	ش
𐤔	Ψ	Ψ	Ψ	ק	ק	ص	ص
𐤕	Ω	Ω	Ω	ך	ך	ض	ض
𐤖	Α	A	A	כ	כ	ظ	ظ
𐤗	Β	B	B	ל	ל	ع	ع
𐤘	Γ	Γ	Γ	מ	מ	ف	ف
𐤙	Δ	D	D	נ	נ	ق	ق
𐤚	Ε	E	E	ס	ס	ك	ك
𐤛	Ζ	Z	Z	ע	ע	ل	ل
𐤜	Η	H	H	פ	פ	م	م
𐤝	Θ	Θ	Θ	נ	נ	ن	ن
𐤞	Ι	I	I	ס	ס	س	س
𐤟	Κ	K	K	ע	ע	ع	ع
𐤠	Λ	L	L	פ	פ	ف	ف
𐤡	Μ	M	M	צ	צ	ص	ص
𐤢	Ν	N	N	ק	ק	ض	ض
𐤣	Ξ	Ξ	Ξ	ך	ך	ظ	ظ
𐤤	Ο	O	O	ל	ל	ع	ع
𐤥	Π	P	P	מ	מ	ف	ف
𐤦	Ρ	R	R	נ	נ	ق	ق
𐤧	Σ	S	S	ס	ס	ك	ك
𐤨	Τ	T	T	ע	ע	ل	ل
𐤩	Υ	Υ	Υ	פ	פ	م	م
𐤪	Φ	Φ	Φ	נ	נ	ن	ن
𐤫	Χ	Χ	Χ	ס	ס	س	س
𐤬	Ψ	Ψ	Ψ	ע	ע	ع	ع
𐤭	Ω	Ω	Ω	פ	פ	ف	ف
𐤮	Α	A	A	צ	צ	ص	ص
𐤯	Β	B	B	ק	ק	ض	ض
𐤰	Γ	Γ	Γ	ך	ך	ظ	ظ
𐤱	Δ	D	D	ל	ל	ع	ع
𐤲	Ε	E	E	מ	מ	ف	ف
𐤳	Ζ	Z	Z	נ	נ	ق	ق
𐤴	Η	H	H	ס	ס	ك	ك
𐤵	Θ	Θ	Θ	ע	ע	ل	ل
𐤶	Ι	I	I	פ	פ	م	م
𐤷	Κ	K	K	נ	נ	ن	ن
𐤸	Λ	L	L	ס	ס	س	س
𐤹	Μ	M	M	ע	ע	ع	ع
𐤺	Ν	N	N	פ	פ	ف	ف
𐤻	Ξ	Ξ	Ξ	צ	צ	ص	ص
𐤼	Ο	O	O	ק	ק	ض	ض
𐤽	Π	P	P	ך	ך	ظ	ظ
𐤾	Ρ	R	R	ל	ל	ع	ع
𐤿	Σ	S	S	מ	מ	ف	ف
𐥀	Τ	T	T	נ	נ	ق	ق
𐥁	Υ	Υ	Υ	ס	ס	ك	ك
𐥂	Φ	Φ	Φ	ע	ע	ل	ل
𐥃	Χ	Χ	Χ	פ	פ	م	م
𐥄	Ψ	Ψ	Ψ	נ	נ	ن	ن
𐥅	Ω	Ω	Ω	ס	ס	س	س

مخطط بياني نموذجي يظهر ترتيب الحروف الفينيقية كما اكتشفت في التقنيات الأثرية مندرجة طبقاً لنظام (أبجد هوز)

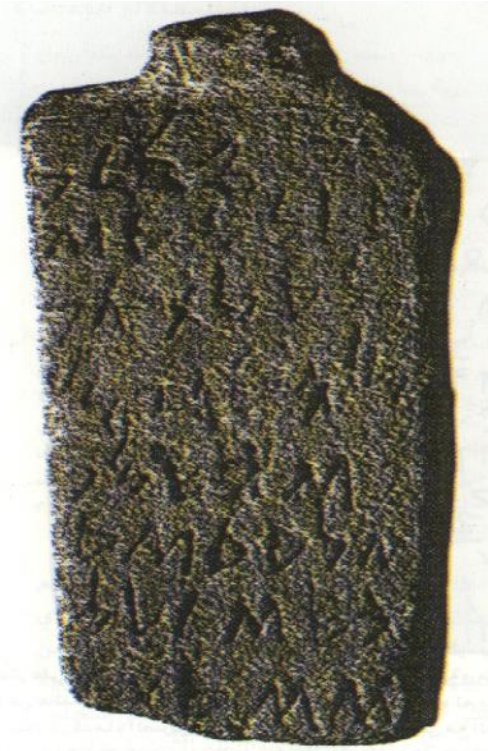
يلاحظ

في هذا المخطط البياني المقارن أسماء الحروف باللغة الفينيقية

مقارنة بين الأبجدية الفينيقية القديمة والأبجدية اليونانية الأولى بحسب نظام (أبجد هوز)

الحروف اليونانية بترتيبها الأبجدي القديم	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا	الحروف الفينيقية العربية القديمة بترتيب الأبجدي مع لفظها العربي من القرن التاسع والسبع قبل الميلاد. وقد عثر على معظمها في جبل وسيدون وصور وقرص وسرايايا
Alpha	Α	𐤀	𐤀	𐤀	𐤀	𐤀	𐤀
Beta	Β	𐤁	𐤁	𐤁	𐤁	𐤁	𐤁
Gamma	Γ	𐤂	𐤂	𐤂	𐤂	𐤂	𐤂
Delta	Δ	𐤃	𐤃	𐤃	𐤃	𐤃	𐤃
Epsilon	Ε	𐤄	𐤄	𐤄	𐤄	𐤄	𐤄
Zeta	Ζ	𐤅	𐤅	𐤅	𐤅	𐤅	𐤅
Eta	Η	𐤆	𐤆	𐤆	𐤆	𐤆	𐤆
Theta	Θ	𐤇	𐤇	𐤇	𐤇	𐤇	𐤇
Iota	Ι	𐤈	𐤈	𐤈	𐤈	𐤈	𐤈
Kappa	Κ	𐤉	𐤉	𐤉	𐤉	𐤉	𐤉
Lambda	Λ	𐤊	𐤊	𐤊	𐤊	𐤊	𐤊
Mu	Μ	𐤋	𐤋	𐤋	𐤋	𐤋	𐤋
Nu	Ν	𐤌	𐤌	𐤌	𐤌	𐤌	𐤌
Xi	Ξ	𐤍	𐤍	𐤍	𐤍	𐤍	𐤍
Omicron	Ο	𐤎	𐤎	𐤎	𐤎	𐤎	𐤎
Pi	Π	𐤏	𐤏	𐤏	𐤏	𐤏	𐤏
Sigma	Σ	𐤐	𐤐	𐤐	𐤐	𐤐	𐤐
Tau	Τ	𐤑	𐤑	𐤑	𐤑	𐤑	𐤑
Upsilon	Υ	𐤒	𐤒	𐤒	𐤒	𐤒	𐤒
Phi	Φ	𐤓	𐤓	𐤓	𐤓	𐤓	𐤓
Chi	Χ	𐤔	𐤔	𐤔	𐤔	𐤔	𐤔
Psi	Ψ	𐤕	𐤕	𐤕	𐤕	𐤕	𐤕
Omega	Ω	𐤖	𐤖	𐤖	𐤖	𐤖	𐤖

كذلك أسقط الفينيقيون بعض الحروف الصامتة غير المنطوق بها في العربية القديمة إلا نادراً، كحرف (G)



كتابة فينيقية عائدة إلى القرن الثامن ق.م. وجدت على شاهد قبر في سردينيا المتحف الوطني للأثار في مدينة كازلياري.

الذي كانت تستعمله تميم بديلاً عن الجيم أو (J) ومازال استعماله معتمداً في وادي النيل، أو حرف (P) أو حرف (V) وغيرها، لحصر حروف الأبجدية في ٢٨ حرفاً ثابتاً، وذلك لكون يعبر عن ظواهر فلكية أو فيزيولوجية أو زمنية ذات أثر في نظام حياتهم وخصوصية معتقداتهم فهو يطابق أيام الشهر القمري، ودورة حيض المرأة، ولو قسمناه على الرقم ٤ عدد فصول السنة لحصلنا بذلك على الرقم ٧ وهو عدد أيام الأسبوع، ويرمز إلى البحار السبعة والسموات السبع، وعجائب الدنيا السبع.. إلخ، ويرى فريق من العلماء أن ترتيب حروف الأبجدية على النظام المعروف لم يتم هكذا بعامل صدفة، بل كان ينطوي على غرض علمي فلكي أو غاية منفعية أو معتقد ديني، وفي طليعة الذين ذهبوا هذا المذهب سنة ١٩٧٨

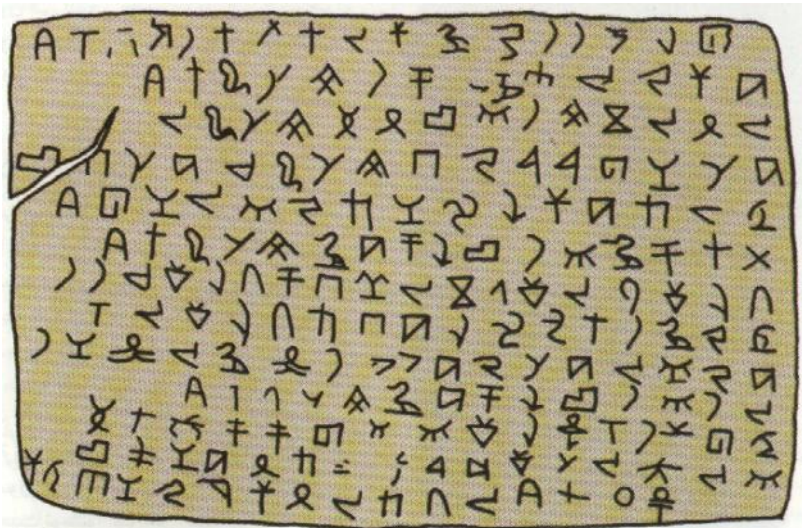
المستشرق الإيطالي الشهير آيسندرو بوزاني الذي تخصص في

الفلكيات الشرقية العربية والفارسية والهندية.. وهو يميل إلى كون رموز الأبجدية العربية ذات علاقة بالظواهر الفلكية، وكون ترتيب حروفها على النحو المعتمد إنما وضع في الأساس لتحديد فصول السنة وطول النهار والليل أو قصرهما بحسب مدار الشمس والقمر ومسار الكواكب شتاءً وصيفاً، ويخلص بوزاني إلى أن الأبجدية كانت شبه روزنامة ثابتة يستدل بها الملاحون في البحر والضاربون في الصحراء على الأحوال الجوية ويتحوظون لعناصر الطبيعة وتبدلاتها في الجاهل والمستصعبات إن الفينيقيين وصلوا إلى سوريا وليبيا وفلسطين براً واستوطنوا سواحل بلاد الشام حوالي القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وأقاموا علاقات جيدة مع مصر الفرعونية ابتداءً من الألف الثالث ق.م. إلا أن الآفاق البحرية التي اقتحموها باتجاه الغرب حيث أنشأوا المدن العامرة والمواقع العسكرية والتجارية المميزة في أوروبا وشمال إفريقيا لم تصرف أنظارهم عن الداخل السوري حيث بسطوا نفوذهم إلى تدمر، وأقاموا تحالفاً مع دمشق وامتدادات سلطتها في البلقاء وحمص، فاتحين أمام قوافلهم الطرق البرية المأمونة لتوفير اتصال دائم مع موطنهم الأصلي في الخليج ونجد. وبقي التواصل على خير ما يرام بين المقيمين هناك في الخليج والمستوطنين في مدن فينيقيا عبر طريقين، إحداها برية مباشرة، والأخرى برمائية تتجه براً إلى العقبة، تحتاز البحر الأحمر إلى المحيط الهندي ومنه الخليج العربي، هذا إلى أن قامت إمبراطورية الفينيقيين البحرية الكبرى في الغرب، وباتت قوافلهم تجوب المحيط الأطلسي

وتنتقل عبر رأس الرجاء الصالح إلى جنوب الجزيرة العربية ثم تجتاز مضيق هرمز إلى بلاد المنشأ، ويقول الرحالة والبحاث الإغريقي سترابون في (موسوعته الجغرافية الكبرى) نقلاً عن أمير البحر نياركوس قائد أسطول الإسكندر المقدوني: (إن الملاحين الفينيقيين هم الذين كانوا يرشدون السفن اليونانية في بحار ديلمون لمعرفة الدقيقة بخصائصها).

- الأبجدية والقبائية:

ولعل أكثر ما يثبت لنا أن الفينيقيين حملوا معهم الأبجدية العربية الأصلية من ديارهم الأولى في الخليج العربي إلى لبنان وسوريا وفلسطين ولوحات الحروف المحفورة على الحجر وبعض نواويس الملوك في جبيل وصور وأوغاريت ورأس شمرا، وهي تعتمد نظام (أبجد هوز) دون نظام (الألف باء) الذي اعتمد في اللغات اللاتينية وانتقل منها إلى العربية المعاصرة في زمن متأخر، ولكن هذه الأبجدية المكتشفة خلال عشرينيات القرن الماضي تتألف من ٢٢ حرفاً بدلاً من ٢٨، وقد سقطت منها أحرف (تخذ وضظغ)، واتضح لنا بعد جهد جهيد في تمحيص الاحتمالات الممكنة لسقوط هذه الأحرف الستة، أن الفينيقيين أسقطوا هذه الأحرف بأنفسهم لأنها كانت بدوية الجرس عسيرة اللفظ غير ملائمة لتداول الشعوب البحرية التي علموها أبجديتهم وتعاملوا معها في الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسط فضلاً عن كونها لا ترد إلا نادراً في اللغات التي تنطق بها تلك الشعوب، وهي مستصعبة الأداء في النطق ثقيلة على أسماع الأمم التي اكتسبت لدانة الحياة البحرية ولم تألف خشونة الصحراء، ولا بد هنا من لفت القارئ إلى النموذج البياني للحروف الفينيقية كما اكتشفت بترتيبها الأبجدي العربي، وهو ترتيب يختلف تماماً عن ترتيب (ألف، باء، سين، دال.. الخ) الذي اعتمد في الكتابة الفينيقية الأصلية، وقد أثبتنا هذا المخطط البياني في موضع آخر من هذه المقالة.



عثر على هذه الحروف التي تتداخل فيها الأبجدية الفينيقية ورموز الهيروغليف المصري الفرعوني في مدينة جبيل (بيبلوس)، وهي عائدة إلى أواخر الألف الثاني ق.م. ويزعم أن العلماء لم يتمكنوا إلى اليوم من تحليل مضمونها المعنوي، فإن بعضهم يعتقد أن قدماء المصريين كانوا يرفضون التعامل الكتابي مع الفينيقيين بالأبجدية التي بدأوا نشرها في العالم القديم، ويصرون على فرض رموزهم الهيروغليفية التي ألفها شعبهم وحكامهم، وقد طاعهم الفينيقيون في ذلك مطاوعة الأضعف للأقوى، للمحافظة على علاقات جيدة مع مصر

التي كانت أعظم قوة على المتوسط في تلك العصور، وأخذوا يقرنون أبجديتهم بالهيروغليف تسهياً لفهم الجانب المصري لخطابهم.

يضاف إلى ذلك أن الكتابة بالحروف الفينيقية كانت تتم من اليمين إلى اليسار وذلك على مثال الكتابة العربية التي احتفظت بهذه الظاهرة إلى اليوم، ولم تكن الحروف العربية القديمة نفسها موصولة في الأساس إلا جزئياً، وقد تم وصلها كلياً بعد أن جمع الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) المصحف الشريف وتبينت مستصعبات قراءته، وذلك تسهيلاً لمهمة المقرئين في التجويد، كما أضيفت إلى الحروف نقطها اللازمة في اللفظ للحول دون أي التباس، وزودت بالحركات الصوتية وغيرها من الأدوات لتفادي العثرات النحوية واللحن والإقواء.



شاهد من الرخام على قبر فينيقي في جزيرة مالطة نقش عليه دعاء إلى الإلهين ملقارت الفينيقية وهيراكليس اليوناني بالكتابين الفينيقية واليونانية القديمة. ويعود هذا الشاهد الموجود في متحف اللوفر في باريس إلى القرن الثاني ق.م. ومعروف أن ملقارت كان أعظم الآلهة الفينيقيين في صور وفي قرطاج، يمثل كما يمثل هيراكليس الإغريقي القوة الخارقة. ويذهب عدد من الباحثين النقات إلى أن الفينيقيين لم ينقلوا كتابة الأبجدية فقط إلى اليونان ومن ثم إلى الرومان، بل نقلوا إليهم نظام الميثولوجيا واختصاصات الآلهة وعلاقتهم بالبشر، باعتبارهم كانوا مع المصريين السابقين في هذا المضمار قبل ظهور الميثولوجيا اليونانية بقرون، ويرى آخرون أن أنصاب اللات ومناة والعزى التي حطمها الرسول ﷺ في مكة هي الأساس من الأصنام التي وضعها الفينيقيون القدامى في الكعبة.

نشير في ختام هذه الدراسة الشاقة والمتشعبة إلى أنه كان لبعض

الأجانب المغرضين ولايزال، حضور تخريبي في الكشوف الأثرية الشرقية، خصوصاً في عملية البحث طيلة القرنين الماضيين عن آثار فينيقيا، وقد عملت أصابعهم الخفية على طمس العديد من المعالم الأثرية اللبنانية والفلسطينية والسورية التي تؤكد أن بعض نصوص التوراة سرقت من ملاحم جلجامش وأوغاريت وأن مدينة بيبيلوس (جبيل) فرضت اسمها على تلك التوراة التي عثر في رأس شمرا على كتابات قديمة تؤكد بما لا يقبل التأويل أن (نشيد الأناشيد) مقتبس منها.. كذلك تسلل الحاقدون على العرب إلى آثار ديلمون، وكثيراً ما أوحوا باطلاً في يومياتهم بأن آثار الخليج والحجاز وتهامة والعسييرين واليمن الجنوبي عائدة إلى العبرانيين، وهو تشويه لمنابع الحضارات القديمة في جزيرة العرب تتيح لهم محاولة الاستيلاء على تلك المناطق في يوم من الأيام زاعمين أنها ملك لأجدادهم كما فعلوا في اغتصاب فلسطين.

هذا بصرف النظر عما نخبوه من كنوز أثرية خلال احتلالهم فلسطين منذ العام ١٩٤٨م واجتياحهم لبنان سنة ١٩٨٢م، وقد حاولوا دائماً أن يثبتوا بأي وسيلة أن الفينيقيين شعب لا علاقة له بالعروبة من قريب أو بعيد، لانتقاص من فضل الأمة العربية على الحضارة وطمس معالم التفوق التي سجلها العرب في ميادين العلوم والنظم الاجتماعية منذ الجاهلية الأولى وفي عصور متقدمة قبل ظهور الإسلام.

للموسيقى في حضارتنا العربية القديمة، تاريخ طويل يمتد إلى أكثر من خمسة آلاف سنة مضت، وهذه الموسيقى كانت الأصل الذي تطورت منه موسيقى شعوب العالم، وأصبحت تشكل تراثاً إنسانياً أكثر منها تراثاً محلياً، صنعته عبقرية الأمة العربية، وطورته من عصر إلى عصر، ومن جيل إلى جيل، وكانت في كل جيل تبذل آلة جديدة، أو تدخل تحسينات على آلة قديمة، فيشيع ذلك، وتلقنه الأيدي والأفهام، وتشدو به الحناجر.

في أرض سورية العربية، ظهرت على ساحلها الجميل، في مدينة أوغاريت (رأس الشمرة) أقدم مدونة موسيقية عرفتها البشرية، وبواسطتها يكون عالم الموسيقى قد عاد إلى /١٤٠٠/ سنة قبل الميلاد، إلى الورا، ويكون عالم الموسيقى الغربية قد عاد مايقارب الألف سنة ليجد جذوره في حضارات سومر وابل وآشور وكنعان، معزوفة على قيثارة (كنارة) سومرية يعود تاريخها إلى ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد.

- تاريخ التدوين الموسيقي:

يعتبر السلم الموسيقي الدعامة الأساسية التي بنيت عليها الموسيقى، والذي يتوقف على قوة بنائه سيرها المتطور رقيماً وتقدماً، فمن دون التعرف عليه تعرفاً يشمل جميع نواحيه الفنية والعلمية والتاريخية القديمة، نكون قد قصرنا في معرفة تطور وأسرار ومكونات الموسيقى.

وتاريخ السلم الموسيقي العربي، يعني تاريخ الموسيقى العربية، وما طرأ عليها من التطورات على مدى الأجيال، ولطالما تشوق الباحثون في الموسيقى العربية إلى معرفة تاريخ هذا السلم، ولو حاولنا الخوض في هذا الموضوع قبل سنوات قليلة، لاستحال علينا المضي في ذلك، نظراً لندرة الوثائق وقلتها وغموضها، ولأن تاريخ ذلك كان يقف عند الموسيقى اليونانية، والسلم الموسيقي الذي أقامه (فيثاغورث) سنة ٥٠٠ قبل الميلاد، واعتبر أساس السلم الموسيقي الغربي، المعروف باسم (السباعي، الدياتوني) وأن أقدم قطعة موسيقية عرفها الغرب هي قطعة (أوريستيس) المسرحية الموسيقية التي ألفها (يوربيدس) أعظم شعراء المأساة الإغريقية، ولكن المكتشفات الحديثة التي تمت في كثير من مواقع حضارتنا القديمة في بلاد الشام وما بين النهرين ووادي النيل قد غيرت الكثير من المفاهيم القديمة حول هذا الموضوع وغيره، وقدمت لنا معلومات جديدة مذهلة، تثبت الدور العظيم، والمستوى الرفيع الذي وصلت إليه موسيقى حضارتنا القديمة، وهي أقدم بأكثر من ألف سنة من الموسيقى اليونانية.

هنا يبدأ موضوع نوبة أوغاريت الموسيقية: في عام ١٩٤٨ اكتشفت البعثة الأثرية الفرنسية التي تعمل منذ عام ١٩٢٩ في مواقع أوغاريت (رأس الشمرة) على الساحل السوري، إلى الشمال من مدينة اللاذقية بنحو تسعة كيلومترات، اكتشفت مجموعة مهمة من الرقم الطينية المكتوبة بخط مسماري، وكان منها رقيم مكون

من ثلاثة أجزاء، مهمشة بعض الشيء، مكتوبة بحروف مسمارية، مدون عليها بعض الرموز.. لم يعرف- حينذاك- مامعناها وما مدلولها، وهذا ما استرعى اهتمام علماء الآثار واللغات الشرقية القديمة، وكان منهم العالم الأثري (عمانويل لاروش) الأستاذ في جامعة ستراسبورغ بفرنسا، الذي قام بدراستها وترجمتها، ونشر عنها دراسة مهمة في المجلد الخامس من مجلة (أوغاريتكا) التي تصدر بالفرنسية، وأفادت الترجمة، بأن هذا الرقيم يتطرق إلى (أنشودة) ربما كانت مخصصة لآلهة (أورخيا) ولعلها (أورفه).

- مجموعة القلب:

لقد تبين من ترجمة الرقيم المسماري الأوغاريتي، أن الجزء العلوي كتب باللغة الحورية، نسبة إلى الحوريين الذين حكموا شمال بلاد الرافدين، وبلاد الشام منذ نهاية القرن الثامن عشر قبل الميلاد، وحتى القرن الخامس عشر قبل الميلاد.. هذا الجزء يحتوي على كلمات يدور محورها حول الإلهة (نيكال) زوجة إله القمر، وتبين من ترجمة كلماتها عبارات رقيقة مثل (محبوبة القلب) و(أنت تضمين لهم الحب في القلب) و(إنما منك ولدنا) (وتتميز بأسلوب شاعري رهيف).

أما الجزء الأسفل من الرقيم، فتبين أن يضم النوطة الموسيقية لهذه الأغنية (الأنشودة) وهي مدونة باللغة الأكادية المقطعية التي كانت لغة التداول الرسمي في ذلك العصر في بلاد ما بين النهرين وبلاد الشام، ونظامها شبيه بنظام الأبعاد الموسيقية التي كانت سائدة في بلاد ما بين النهرين. ولكن هذه الكلمات لم يستطع علماء الآثار واللغات القديمة التعرف على مدلولاتها ونظامها سوى أنها كلمة وبعدها عدد؟!.

ونتيجة البحث والتقصي في لوحات مسمارية اكتشفت في مناطق عديدة من سورية وبلاد ما بين النهرين، استطاع العالم الألماني (كونه) أن يحدد الأبعاد بين الكلمة والعدد.

واتضح من خلال الدراسات الدقيقة أن شعوب بلاد الشام وما بين النهرين، قد عرفوا السلم الموسيقي السباعي، وكان عندهم سبعة مقامات، وهي نفس المقامات المنسوبة إلى (فيثاغورث) اليوناني من أصل سوري.

بعد الدراسة الجديدة، تبين أن لوحة أوغاريت الموسيقية، تحمل في أعلاها أربعة أبيات، تشكل نشيداً باللغة الحورية، يفصلها خطان متوازيان عن ستة أسطر مدرج فيها أسماء أبعاد موسيقية أكادية، يلي كل سطر منها عدد تتراوح قيمته بين الواحد والعشرة.

- آراء ومحاولات:

إن التفسير الذي قدمه العلماء لهذا الشكل، هو أن هذه الأبعاد هي عبارة عن تنويط موسيقي للنشيد الحوري، والسؤال الذي طرح نفسه: كيف تم هذا التنويط؟! لقد كان العالم الإنكليزي (ولستان) أول من قام بتنويط لوحة أوغاريت، ولكنه لم يتمكن من إيجاد التفسير المناسب لبعض مقاطع اللوحة، ثم قامت الدكتورة (آن كيلمر) بمحاولة مهمة ومتقدمة في هذا المجال، فأعدت تنسيق مقاطع اللحن المدون، أي بمعنى آخر، المطابقة بين عدد مقاطع الكلام، وعدد النوتات الموسيقية، واحتاجت للوصول إلى هدفها إلى إعادة أقسام من الأبيات الشعرية، وأقسام من التنويط الموسيقي، وقامت بالتعاون مع (ريتشارد كروكر) بصنع آلة (كناره) قديمة، شبيهة بتلك الآلة المعروفة باسم (كنارة أور) وقام (كروكر) بعد تمارين طويلة، استمرت نحو عشر سنوات بعزف القطعة الموسيقية، في حفل كبير أقامته جامعة (بيركلي) وسجلت على اسطوانة كبيرة، ووزعت في العالم سنة ١٩٧٥، وقد أثارت الإعجاب والدهشة في كثير من دول العالم.

بعد ذلك جرت محاولات أخرى لقراءتها من قبل علماء وباحثين عرب وأجانب، وكانت كل محاولة تضيف أشياء جديدة، وتقارب روح العمل الأصلي وبيئته قبل ثلاثة آلاف وأربعمئة سنة، وأهميتها لم تقف عند هذا الحد، فبالإضافة إلى دورها الكبير في إحداث تغيير أساسي في تحديد عمر وتاريخ الموسيقى العربية، والإجابة على سؤال الكثير من العلماء والمهتمين، فقد ثبت بما لا يقبل الشك أنها أقدم بما لا يقل عن ألف سنة من أقدم قطعة موسيقية عرفها الغرب على أساس السلم الموسيقي الذي ينسب إلى (فيثاغورث) عام ٥٠٠/ق.م. ويثبت العلم أن سورية العربية كانت في تاريخها القديم/ الموغل في القدم، تعرف الموسيقى، وكانت بمثابة مرآة تعكس خصائص راقية، ولغة من لغات التعبير المتقدمة في مسيرة بلد عمر الحضارة فيه أكثر من مليون سنة^{٦٦}.



٦٦- فارس العرب، مجلة العرب الدولية، مجلة اقتصادية- سياحية- اجتماعية- ثقافية متنوعة، تعنى بشؤون المغتربين العرب- تصدر شهرياً، ديم، العدد ٨٦-٨٧ لعام ٢٠٠٣م.

نماذج عربية شعبية مضحكة مبكية

عندما دخلت مع أطفال أحد المقاهي في بلد عربي لتناول بعض المثلجات (الأيس كريم) فوجئت بأن قائمة الأصناف تفصلها على أساس (البولات) ناديت النادل، قلت له: ما هذا؟

قال: ثلاث بولات..!!

قلت: مفردها؟

قال: بولة واحدة.

قلت: لا أدري أنه لفظ مستكره غير مناسب في مجال الطعام.

ضحك.. فأضفت: لماذا لا تستبدلون بها كلمة (كرة) فالكلمة في أصلها إنجليزية Ball.

قال: الإدارة أعرف، لعل اللفظ الأجنبي (أشيك).

وهكذا (أكلنا) ثلاث بولات على طريقة الشاعر القديم:

علفتها تبناً وماء بارداً حتى بدت همالة عينها

ثم علمت بعد أن محلات المثلجات (الأيس كريم) تستعمل كلمة (البولة) مصطلحاً للعرّفة (بفتح الغين) من المثلج.

وإن المصطلح شائع ذائع يعرفه المتعاملون مع هذه المحلات.

إن الجري وراء المسميات الأجنبية أفقدنا الحس اللغوي المستند إلى الذوق السليم فأصبحنا نستسيغ مالا يستساغ كما قال الشاعر:

يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

لقد نسينا أنّ نقل المصطلح من ثقافة إلى أخرى لابد أن يكون متلائماً ثقافياً مع البيئة المنقولة إليها، لأن اللفظ قد يكون مشحوناً بدلالات غير مناسبة في هذه البيئة.

وعلى كل حال فليهنأ المتفرنجون فقد أدخلوا إلى معجمنا كلمة جديدة، ومادامت هذه الكلمة أجمل و(أشيك) من كلمة (الكرة) العربية فإنني أقترح أن ننزلها منزلتها التي تستحقها، فنسمي بها كل ما يطلق عليه (كرة) باللغة العربية.

فكرة القدم نسميها (بولة القدم) وكذلك كرات الألعاب الأخرى.

أما اتحاد الدولة للعبة كرة القدم، فليكن اسمه الاتحاد الدولي للعبة بولة القدم.

بل لماذا نقصر نفوذ هذه الكلمة الجميلة (الشيك) على مجال بعينه؟.

لابد أن نعممها لنسعد بها جميعاً، فلنسم إذن كرتنا الأرضية البولة الأرضية وربما كان هذا اسماً مناسباً، وبخاصة إنها تفوح منها هذه الأيام روائح التلوث البيئي والسياسي والفكري والإعلامي وغيرها، ويسبح معظم سكانها في مستنقعات الظلم والقهر والفساد.. و.. يا أمة ضحكت من جهلها الأمم^{٦٧}.

٦٧- المجلة العربية، عدد، ٣٢٦، السنة ٢٩، ربيع الأول ١٤٢٥هـ/مايو ٢٠٠٤م، بولات، د. أحمد بن محمد الضبيبي، ص ١٢٨

توضيح وتعريف.. عروبي هو عربي

- شعوب ولغات عروبية:

- إن السوريين هم السكان الأصليون لما دعي فيما بعد بـ "سوريا الطبيعية" وشبه جزيرة العرب: وقد شغلوا هذه المنطقة منذ التجمعات الأولى للإنسان العاقل الأول.

وقد أكدت كل معطيات علوم الأنتروبولوجيا، بالإضافة إلى معطيات العلوم الأخرى كعلم الجغرافيا، والمناخ، والمنطق.. أن أرض السوريين هذه هي المهد الأول للإنسان العاقل التي فيها وجد، وتكاثر، وأبدع، ومنها توسع وانتشر بشراً وثقافة إلى شتى بقاع وجوده الأخرى، وقد تميز وجوده في سوريا بأنه: الوجود الأصيل غير الوافد، المستمر والمتواصل دون انقطاع، والأقدم في الزمن.

- إن اللغة التي تكلم بها سكان سوريا منذ التجمعات الأولى للإنسان العاقل الأول وحتى التحرير العربي الإسلامي هي العربية بلهجتها السريانية.

إن السورية أو (السريانية) Syrian هي لغة التخاطب اليومية، ولغة الدولة الرسمية، واللغة المدونة والمكتوبة في كل الوثائق المحفوظة والمكتشفة في كل الحقول والمجالات: الاقتصادية، والدينية، والسياسية، والتشريعية، والتجارية وغيرها.

وهي نفسها اللغة التي حملها معهم السوريون إلى بلدان الانتشار في حوض البحر الأبيض المتوسط، والبحر الأسود، وفي الجزر، ومن وادي السند شرقاً إلى الشواطئ الأميركية غرباً.. وقد جرت عمليات تصويرها في كتابات مختلفة، كما تعرض الكثير من أصواتها، ولا سيما الحلقية منها، إلى عمليات تحوير وتغيير كانت تختلف من مكان إلى آخر ومن بقعة إلى أخرى من بقاع انتشار السوريين، فكانت تختلط في كل بقعة مع اللغة الشفوية للجماعة السكانية الهمجية الأصلية لتكون مع الزمن ما صار يدعى فيما بعد بـ "اللغات الأوروبية" غرباً و "اللغات الهندية" شرقاً.. إن القاسم المشترك بين المجموعتين في الشرق والغرب هو اللغة العربية السريانية التي هي الأصل الحضاري لهما معاً.

إن هذا من شأنه أن يسقط النظرية الألمانية الاستشراقية الملفقة التي اخترعت حديثاً في تقسيم الشعوب عرقياً ولغوياً إلى مجموعتين: "سامية وهند أوروبية"^{٦٨}.

من المعروف أن العربية بلهجتها السريانية والفصحى هي أقدم لغة على وجه الأرض، لأنه صار من الثابت أنها اللغة التي تكلمت بها التجمعات الأولى للإنسان العاقل وفي المشرق العربي أو سوريا القديمة تحديداً، لهذا

٦٨- تاريخ سوريا الحضاري القديم، الجزء ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للنشر، دمشق- مزرعة، ط١، عام ١٤٢٥-٨/٢٠٠٤، ص ٢٤٢.

فقد حملت مع هذا الإنسان كل خبراته، وإبداعاته، وتغييراته، وتفاعلاته عبر العصور الطويلة، فأضحت أغنى لغة، وأكثرها قدرة على التعبير ودقة إحكام بنيان.

إن في العربية الفصحى وحدها ما ينوف على سنة عشر ألف " جذر"، أي فعل. بينما في اللغات الأنكلوسكسونية قرابة ألف جذر إلى اليوم وفي اللاتينية قرابة ٦٠٠ جذر فقط.^{٦٩}

- الدولة العربية السورية:

إن الدولة السورية العربية الكبرى بشتى تسمياتها المرحلية نسبة إلى المركز أو العاصمة، الأكادية والبابلية والآشورية، هي أقدم دولة عرفها التاريخ بالمعنى الشمولي التكاملي للدولة، وبكل جوانبها: السياسي والاقتصادي والثقافي والعسكري والحقوقى والإداري.. فتمكن من خلالها العرب السوريون لأول مرة في التاريخ، من تجسيد مفهوم الأمة، وتجسيد المضمون القومي للدولة.. وكانت رقعة تلك الدولة منذ أن أسسها سرجون الأكادي تمتد من البحر الأعلى "البحر الأسود" إلى البحر الأدنى "بحر العرب والخليج العربي"، ومن وادي السند شرقاً إلى جزر اليونان وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال وفرنسا وحتى السواحل الغربية للمحيط الأطلسي في قارة أمريكا غرباً.. وقد برهن السوريون على تمسكهم بوحدة دولتهم القومية عبر عدة آلاف من السنين قبل الميلاد.. وفي كل مرة كانت تتعرض تلك الدولة للغزو أو للتصدع كانت سرعان ما تنهض وتستعيد وحدتها من جديد.

إن ذلك هو ما حدث زمن أشهر ملوكها بعد سرجون: شولجي، أورنامو، نارام سين، حمورابي، سمير أميس، سنحاريب، نبوخذ نصر، سرجون الثاني، وآشور بانيبال.. أي حتى القرن السابع قبل الميلاد، وفي زمن الاسكندر ومن خلفه من الملوك السوريين حين صارت العاصمة سلوقياً ثم إنطاكية.

إن هذه الحقيقة التي أثبتتها كل علوم الأنثروبولوجيا، بما فيها علم الوثائق والآثار المكتشفة، من شأنها أن تسقط كل تلك التسميات التجزئية المغرضة لتاريخنا القديم مثل "حضارة الرافدين وحضارة ما بين النهرين"، وغيرها من التسميات الشعبية أو التوراتية الأخرى، وصار ملزماً لكل الجهات المشرفة على وضع المناهج التدريسية في المدارس والمعاهد والجامعات أن تصحو من غيبوبتها وتخلفها وجهلها وركودها، وأن يتم تجاوز وجودها المحنط العاجز حتى عن استقبال الحقائق الجديدة وتوظيفها في إعادة الألق إلى وجه تاريخنا المشوه والمغيب، لكل ما يترتب على ذلك من نتائج بالغة الأثر والتأثير في تشكيل وبناء شخصية الجيل الراهن والأجيال المقبلة.

٦٩- تاريخ سوريا الحضاري القديم، الجزء ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للنشر، دمشق- مزرعة، ط ١، عام ١٤٢٥-٨/٢٠٠٤، ص ٣٨٨.

إن سوريا الوطن والدولة والشعب، ظلت طيلة العصور القديمة والعصر الوسيط، محاطة من ثلاث جهات بالهمجية، أو ما دعي بـ "برابرة آسيا وبرابرة أوروبا"^{٧٠}، وبالتالي فإن كل الابداعات والإنجازات الثقافية والحضارية التي تمت على أرض سوريا خلال تلك العصور التاريخية الطويلة إنما هي ابداعات محلية عربية أصيلة.. وهذا تحديداً هو ما يعترف به معظم المؤرخين في الغرب، رغم تعمدهم إخفاء اسم "سوريا"، تارة تحت مجموعة من الأسماء الشظايا مثل بابل وأشور وفينيقيا، وتارة أخرى تحت تسميات جيوسياسية حديثة مثل: الشرق الأدنى، وآسيا، آسيا الصغرى، الشرق القديم وغيرها.

يقول بريستند:

"ماذا فعل الشرق القديم للجنس البشري في هذه الحقبة الطويلة؟ لا مرء في أنه حيا العالم بالصناعات الأولى، بالغة درجة عالية من الاتقان، كالصناعات المعدنية، والنسيجية، والزجاج والورق وغير ذلك من ضروب الصناعات، وبناء أقدم السفن. وقد سبق "الشرق" أهل الأرض طراً في رفع الأثقال، والإقدام على تشييد المباني الكبرى، "فالشرق القديم" قد نفع العالم باختراعات جمّة مهمة لا يفوقها إلا اختراعات هذا العصر.. لقد أخذ الغرب عن الشرق القديم أقدم المباني الحجرية الفنية، والأروقة المعقدة، والأبراج اللولبية الشكل، وأقدم المنحوتات المكتملة الصنعة، من الصور والتماثيل الهامة إلى الأختام النفيسة.. وأخذ عنه أيضاً الكتابة وحروف الهجاء، وأقدم الروايات المنثورة المعروفة، والقصائد الشعرية والأسفار التاريخية، والمباحث الاجتماعية، حتى الروايات الشعرية، التمثيلية، وتقويم السنين الذي لا يزال الغرب يستخدمه حتى اليوم، ومبادئ الحساب، والفلك والطب.. وقد نظم الشرق أول حكومة كبيرة من أمة واحدة عظيمة"^{٧١}.

إنه اعتراف واضح بوجود "الأمة الواحدة العروبية السورية العظيمة" منذ ذلك الزمن، ولن يضير هذه الأمة تجنبهم لذكرها بالأسم، كما لا يغير من جوهرها في شيء إن دعوناها سورية أم عربية أو عربية سورية أو عروبية سورية.

إن السوريين الذين امتلكوا لغة مكتوبة على غاية من التطور والدقة في التعبير منذ ثمانية آلاف سنة على الأقل، أي منذ آدم الرسول وكتابه "كنزا رابا" (الكنز الكبير) المحفوظة نصوصه إلى اليوم، ونظموا بها الشعر ودونوه في ملاحم وأساطير وقصائد وحكم وأمثال، وتدوين للتاريخ وللأحداث وللقصص والمسرحيات، كما

٧٠- بريستند، العصور القديمة، ترجمة داود قربان، ص ٥٩٢-٥٩٣، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٢٣، ٥٠٥، ٦٢٩، ٦٣٠، ٢٨٧. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم، الجزء ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للنشر، دمشق- مزرعة، ط ١، عام ١٤٢٥-٢٠٠٤/٨، ص ٢٤٤.

٧١- بريستند، م.س، ص ٦. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم، الجزء ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للنشر، دمشق- مزرعة، ط ١، عام ١٤٢٥-٢٠٠٤/٨، ص ٢٤٤.

دونوا بها أقدم نظم للشرائع والحقوق والعقود منذ خمسة آلاف سنة، كانوا هم وحدهم أصحاب تلك الإنجازات الثقافية الشعرية والنثرية في كل مواقع انتشارهم شرقاً وغرباً.

إن بلاد الاغريق كانت أول من عرف الكتابة في الغرب، وهي لم تعرفها إلا بعد ٧٠٠ ق.م. ولقد كان أقوام أوروبا جميعها ما زالوا يسكنون الكهوف ويأكلون لحوم البشر، ولم يكونوا قد عرفوا بعد نظام الأسرة وتقاليد الزواج وحياة الاستقرار والتحضر اللازمة لأي إنجاز ثقافي على أرض الواقع.. فكان طبيعياً أن تجيء مثل تلك الإنجازات الأدبية والثقافية والحضارية والابداعية المتطورة من ملاحم وأساطير ومسرحيات وأفكار، مع مجيء السوريين إلى تلك البلاد وإعمارها لأول مرة في التاريخ.

إن السوريين هم السكان الأصليون في سوريا، وإن مدنها في معظمها تعود إلى الألف الثامن والسابع والسادس قبل الميلاد، فهي أقدم مدن على وجه هذا الكوكب، كما أن وجود السوريين أقدم من زمن نوح وطوفانه في جنوب شبه جزيرة العرب بعدة آلاف من السنين، وبالتالي لا تصح نسبتهم إلى سام أو حام أو يافث أبناء نوح، كما لا تصح نسبة الأجداد إلى الأحفاد، إن نوحاً وأبناءه ليسوا إلا أحد الفروع العربية السورية أو السريانية، وجدوا وعاشوا وانتشروا وتكاثروا على الأرض العربية أو السورية، وتكلموا العربية بلهجتها السورية (السريانية) كما تؤكد مصادر التراث العربي كلها.^{٧٢}



٧٢- تاريخ سوريا الحضاري القديم، الجزء ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للنشر، دمشق- مزرعة، ط١، عام ١٤٢٥-٨/٢٠٠٤، ص٢٤٣-٢٤٥.

أكذوبة الآرية وتلفيق السامية استعمارياً

١- إن مصطلح "الآرية" أو "الهندو جرمانية" أو "الهندو أوروبية" تلفيق ألماني حديث، "فبركته" مخيلة اللغويين الألمان في حمأة مستنقع التنافس الاستعماري الإرهابي الإنكليزي الألماني من أجل استعمار الهند ونهب مواردها.. ولما كانت الطغمة الاستعمارية الألمانية تعتمد اللغة أساساً للقومية فقد لفقت ما دعي آنذاك بالتقسيم اللغوي، ومن ثم الشعوي، إلى مجموعتين: آرية، أو هندو جرمانية، وسامية، وجعلت الخط الممتد بخط مائل من ألمانيا إلى الهند -بناءً على ذلك- آريا، أو هندو جرمانياً، ليشمل كل الشعوب والقبائل الواقعة عليه مروراً بتركيا، شمال سوريا، شمال العراق، إيران، وصولاً إلى الهند.. إنه بكلمة واحدة: المشروع الاستعماري الإرهابي الألماني للسيطرة آنذاك على خط النفط الشمالي، في مقابل خط السيطرة الاستعمارية البريطانية الجنوبي المار من مصر عبر قناة السويس، إلى شبه جزيرة العرب، فالهند..

٢- وقد جعلوا المركز البشري واللغوي لهذا الخط اسم "إيران" الذي اشتقوا منه صفة "الآري Iran" فركزوا بذلك على إبراز الحضارة "الإيرانية" أو الفارسية دون كل الحضارات الأخرى في المنطقة.

٣- لقد جاء مصطلح "الآري" دليلاً آخر على الكيفية التي يفسرون بها التاريخ في الغرب، لتعبر عن جهل فادح بالتاريخ ككل، وبأصول السكان، وباللغات، من جهة، وليكشف مدى التعصب الذي كان الطابع الطاغي على معظم كتب التاريخ منذ عصر ما يسمى (النهضة) الأوروبية إلى اليوم من جهة أخرى، بينما يسميه جارودي في كتابه: (صناعة المستقبل)، عصر ولادة الوحوش^{٧٣}..

ولشرح ذلك نورد ما كتبه ول ديورانت حول اشتقاق "آري" و "آرية".

يقول ول ديورانت:

"تروي الأفاصيص الفارسية أن نبياً عظيماً ظهر في إيرانا فيجو (أي موطن الآريين) القديم قبل ظهور المسيح بمئات السنين، وكان شعبه يسميه (زرشتر)٧٤. ويسمى الزرادشتيون وطنهم الأول إيرانا - فيجو أي موطن الآريين، ويطلق استرابون لفظ إيرانا على البلاد التي يطلق عليها الآن هذا اللفظ.. وهو إيران".^{٧٥}

كنا قد ذكرنا فيما سبق أن ما دعوه بـ "اللغة الآرامية" التي هي السريانية كانت هي لغة الناس اليومية من الهند إلى اليونان، وكان الحكام الفرس "يستعملون الآرامية في جميع أعمالهم: فكانوا يرسلون بها أوامر الحكومة

٧٣ صناعة المستقبل، د. روجيه غارودي،..

٧٤ - ول ديورانت، قصة الحضارة، ج ١ من المجلد الأول، ترجمة د. زكي نجيب محمود، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، المقدمة، ط: ط. الفرس، ص ٤٢٤ نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، د. أحمد داوود، دار الشروق للطباعة والنشر، دمشق- مزرعة، ط ١، ٢٠٠٤م، آسيا الصغرى، ص ٣٤.

٧٥- م، ص ١٠٤. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.

حتى إلى مصر وآسيا الغربية".^{٧٦}

وأن الفرس أخذوا كل شيء عن السوريين (أو البابليين): "فكان الرجل العادي أمياً راضياً عن أميته".^{٧٧} ولم يكن للصناعة شأن في فارس، فقد رضيت أن تترك للأمم الشرق الأدنى ممارسة الحرف والصناعات اليدوية، واكتفت بأن تحمل هذه الأمم منتجاتها مع ما يأتيها من الخراج.^{٧٨} ولم يكن للفرس أسطول خاص بهم، بل كانوا يكتفون باستئجار سفن الفينيقيين أو سرقتها والاستيلاء عليها لاستخدامها في الأغراض الحربية.^{٧٩} وكانت الأعمال التجارية تترك لغير أبناء البلاد، للبابليين والفينيقيين.^{٨٠} ولم يكن في هذه الدولة قانون غير إرادة الملك وقوة الجيش.^{٨١} أما العلوم فقد كانت سلعة يستطيعون أن يستوردوها من بابل.^{٨٢}

وأما وقد رأينا كيف أنهم يعترفون بأن كل ما لدى الفرس قديماً، هو عربي سوري، بما في ذلك اللغة والكتابة، فقد كان حرياً بهم أن يعودوا إلى هذه اللغة لتفسير التسميات الفارسية، لا أن يخترعوا بما ينسجم وأغراضهم الاستعمارية الكارثية الفوضوية الوحشية، فماذا تقول اللغة العربية، والسريانية تحديداً، والتراث العربي؟

كان العرب السوريون في غالبيتهم الساحقة هم أول شعب عرف الاستقرار، والأسرة، وبالتالي فقد كانوا أول من عرف النسب واهتم به، وإن لم نقل إنهم كانوا الوحيدين على وجه الأرض الذين حفظوا لنا أنسابهم، ليميزوا بعضهم عن الهمج المحيطين بهم (الذين لم يعرفوا لأنفسهم نسباً، ولم يعرفوا الاستقرار أو نظام الأسرة بعد، وكان الزواج عشوائياً والكهف مسكنهم)، كما أنهم كانوا أول من دوّن التاريخ وحفظه بما فيه سلاسل النسب، وفي كتب الأنساب العربية نجد أن "إيران" هو "إيران بن سام بن نوح الذي ينسب إليه شعب بوان من بلاد فارس، وهو المواضع المشهورة في العالم بالحسن وكثرة الأشجار وتدفق المياه".^{٨٣} و"إيران هو أخو باشل بن آشور الذي منه الجرامقة".^{٨٤}

وقد أكد التراث العربي على التمييز بين "فارس" (بالسريانية بارش) وبين إيران.. فقد كان "إيران" أعجم، أخرس لهذا دعا العرب أبناءه بالعجم، ولم يشتهر منهم أحد، ولو عدنا إلى التعبير السرياني "إيرانا فيجو" لوجدنا أن "فيجو" تعني في القاموس السرياني: أبكم، أعجم، أخرس، و"فيقوت" تعني: بكمة، خرس، عجمة، لثغة، وهكذا، فإن "إيرانا فيجو" لا تعني موطن الآريين! بل: إيران الأخرس، الأعجم، الألتغ. ولهذا

٧٦- بريستد، م.ن، ص ٢٠١. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٧٧- ديورانت، م.ن، ص ٤١٢، نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٧٨- م.ن، ص ٤١٢- ٤١٣. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٧٩- ديورانت، م.ن، ص ٤١٤. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٨٠- م.ن، ص ٤١٨. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٨١- م.ن، ص ٤٤٥. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٨٢- م.ن، نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.
٨٣- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ٢٣٧. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.س، ص ٣٥.
٨٤- م.ن، نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.

دعي أبنائه بـ "العجم".

أما "فارس" فقد جاء عنه في تاريخ الطبري: "فنكح لاوذ بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح، فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس، وولد للأوذ مع الفرس طسم وعمليق، ولا أدري أهو لأم فارس أو لا".^{٨٥} وهكذا تسقط البدعة "الآرية" في لغة "إيران" وعلى أرضه.. يقول بيير روسي بهذا الصدد:

"إنه ليس هناك إنسان ما، أو ثقافة ما، أو مجتمع ما، قد طالب بهذا الارتباط السامي أو الآري.. إن "آري وسامي" ليسا شيئاً، ولا يدلان على شيء".^{٨٦}

أما الأكذوبة الثانية التي اخترعها المؤرخون المحدثون في الغرب من أجل تغييب الهوية العربية، والسورية تحديداً، عن حضارة حوض البحر الأبيض المتوسط، فكانت في هذا الاختراع الآخر "العرق المتوسطي" في الوقت الذي يعترفون فيه بأن كل الحضارات القديمة التي شهدتها عالم البحر الأبيض المتوسط إنما جاءت من الشرق، وأن هذا لا يعني أنها من الصين، أو الهند أو اليابان، أو كوريا أو من فارس أو من الأتراك الذين لم يكونوا قد ظهروا على الساحة بعد.. وبديهي ألا يكون هذا "العرق" قد صعد من قاع البحر.^{٨٧}

إن سوريا القديمة التي غيبت اليوم تحت تلفيق اسم "الشرق الأدنى" و "الشرق الأوسط" هي مهد الحضارة.. وإن السوريين هم الذين مدنوا حوض البحر الأبيض المتوسط، والبلدان الأوروبية ومن وادي السند شرقاً إلى الأطلسي غرباً، وحملوا معهم لغتهم وكتابتها في كل بقاع انتشارهم، أي كانت التسميات الفرعية أو الجزئية التي أطلقت عليهم من قبل المؤرخين في الغرب.

"وكما حملت قوافل البابليين في الأزمنة الأولى قطع الآجر المكتوبة بالخط المسماري إلى أطراف آسيا الغربية، كذلك حملت إليها القوافل الآرامية قوائم حسابات التجار وسندا تم المكتوبة بالحروف الهجائية الآرامية الفينيقية محل العلاقات المسمارية، وانتشرت في جميع أنحاء آسيا الغربية، ثم تجاوزت الفرات إلى بلاد فارس، وأواسط آسيا، حتى بلغت أخيراً إلى الهند، وصارت بعد زمان حروف هجاء للشعوب الشرقية أيضاً".

"وحيثما سار التجار الآراميون كانت لغتهم، بالطبع، تسير معهم.. وأصبحت اللغة الآرامية لغة الهلال الخصيب برمته.. وصارت بعد قرون عديدة اللغة التي تكلم بها المسيح".^{٨٨}

ويؤكد فريدريك ديليتش أن "اللغة البابلية كانت هي اللغة الرسمية في كل الرقعة الممتدة من الفرات إلى النيل

٨٥- تاريخ الطبري، ج ١، ص ١٠٤. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.س.

٨٦- بيير روسي، مدينة إيزيس التاريخ الحقيقي للغرب، ص ١٣. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن.

٨٧- تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق- مزرعة، ط ١، ٢٠٠٤/٨، م، آسيا الصغرى، ص ٣٧.

٨٨- يرستد، م.س، ص ١٥٨-١٥٩. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.س، ص ٣١.

"وكانت سفنهم (السوريين) المنخفضة الضيقة، البالغ طولها سبعين قدماً طرازاً جديداً في بناء السفن، ذلك أنهم لم يحدوا فيها حذو السفن المصرية المنحني مقدمها إلى الداخل، بل جعلوه ينحني إلى خارجها، وينتهي بطرف رفيع يشق الريح أو الماء أو مراكب الأعداء.

" وكان الجندي يقفون على سطح السفينة فوق المجذفين يجرسونها وهم متأهبون للإبحار أو للحرب على السواء.. فتوغلوا في المحيطات.. وطافوا حول إفريقيا.. وكشفوا رأس الرجاء الصالح قبل أن يكشفه فاسكو دي جاما بنحو ألف عام.. وأقاموا لهم حاميات في نقاط منيعة على ساحل البحر المتوسط، وما زالت تكبر حتى أضحت مستعمرات أو مدناً غاصة بالسكان، أقاموها في قادس، وقرطاجة، ومرسيليا ومالطا وصقلية وسردينيا وكورسيكا، بل حتى في إنجلترا البعيدة، واحتلوا قبرص، وميلوس ورودس ونقلوا الفنون والعلوم.. ونشروها في اليونان وفي أفريقيا، وإيطاليا وإسبانيا وربطوا الشرق بالغرب بشبكة من الروابط التجارية والثقافية، وشرعوا ينتشلون أوروبا من براثن الهمجية".^{٩٠}

لقد بقيت لهجة السوريين (السريانية) لغة التفاهم اليومي بمختلف كتاباتها ولهجاتها الفرعية، في شتى أرجاء الوطن العربي القديم، لتغطي بذلك شبه جزيرة العرب والهلال الخصيب، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر العرب جنوباً، كما ظلت اللغة الرسمية، والسياسية والدبلوماسية والإدارية والتجارية والأدبية، وكما سوف يتكشف لاحقاً، في كل مواقع انتشار السوريين من حوض السند شرقاً إلى الأطلسي غرباً، وقد بقيت مضطلة بهذا الدور العمراني والتعليمي والثقافي والحضاري والإنساني.. بكفاءة نادرة حتى ظهور الإسلام، حيث أخذت شقيقتها العرباء (الفصحى) على عاتقها القيام بالدور ذاته، فعممت وانتشرت عالمياً عن طريق القرآن الكريم، لتغطي كل المواقع القديمة للسريانية، وكانت بذلك لغة عربية فصيحة حملت ونشرت مبادئ الإسلام الرشيد والعلم المفيد والحضارة العربية الإسلامية الإنسانية الكونية التي كانت وماتزال رحمة وسلام ومحبة وتعارف ومعاملة حسنة وأمن وأمان وسعادة.. للعالمين.^{٩١}

٨٩- فريديريك دبليتش، بابل والكتاب المقدس، ترجمة إيرينا داود، العربي للطباعة والنشر، ص ٣٣. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.ن، ص ٣٢.

٩٠- ديورانت، م.س، ج ٢، ص ٣١٢-٣١٣. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، م.س.

٩١- تاريخ سوريا الحضاري القديم- ٢، د. أحمد داوود، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق- مزرعة، ط ١، ٨/٤/٢٠٠٤م، آسيا الصغرى، ص ٣١-٣٢.

شتان بين الثرى والثريا

شتان بين ثقافتين، ثقافة إسلامية مستنيرة تدعو إلى المحبة للناس كافة وترى أن الدين محبة وقيم إنسانية:

وما الدين إلا ترك الشرك والأذى ودفعك بالمعروف عن خلك الردى

ثقافة إسلامية تحيتها للناس كافة (السلام عليكم)، ومعيارها (خير الناس أنفعهم للناس) و (المسلم من سلم الناس من لسانه ويده) وبين ثقافة أوروبية أمريكية معادية متعصبة متوحشة تحاول أن تعيد التاريخ البشري إلى عصور ما قبل التاريخ حيث شريعة الغاب والأنياب وتعمل بكل قوتها التقنية والعسكرية والإعلامية على إخماء ثقافتنا وتشويه تاريخنا والتعقيم على حضارتنا^{٩٢}



٩٢ - المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة في سورية، العدد ٤٩٩ - السنة ٤٤ صفر ١٤٢٥هـ - نيسان ٢٠٠٥م، كلمة الوزارة، في الثقافة العربية الإسلامية، د. محمد السيد وزير الثقافة، ص ١٢.

تشويه لغوي مقصود في التوراة

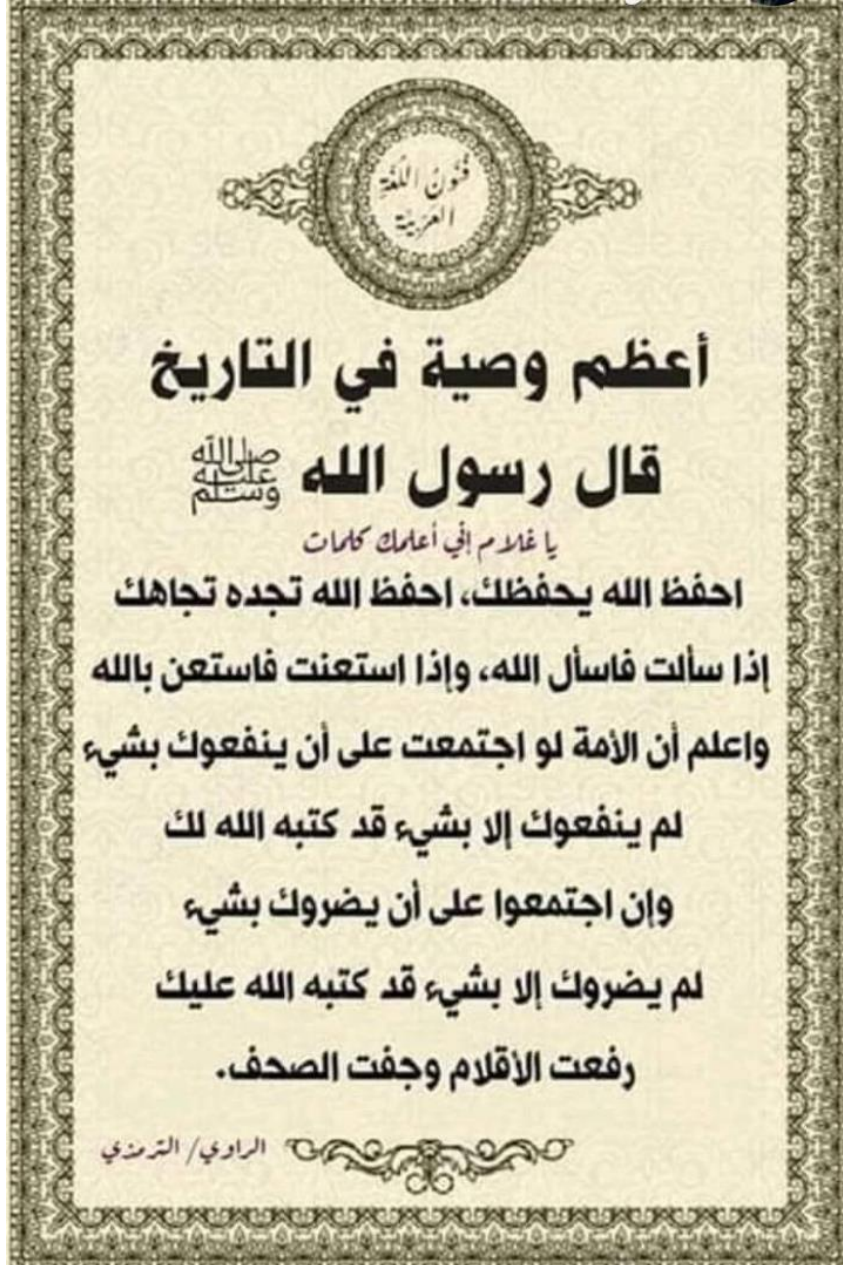
تشوه لغوي مقصود في التوراة أوجده اليهود زوراً وكذباً، وهذا التشويه والتحريف الذي أحقوه بالأسماء حتى خرجت عن معانيها ومدلولاتها، والأمثلة كثيرة نذكر منها:

الاسم كما صاغه محرر التوراة	الاسم في صيغته الصحيحة	مدلوله
أليشايح	ايلي شيع	يكفي الله
ألعازر	ايلي عزر	الله يعين
ألياب	ايل أب	الله يخضر، الله ينضر
أليشمع، أليشاماع	ايلي شمع	الله يسمع
ألياساف	ايلي أسف	الله يعرم، يزيد الجنى
أليفلط، الفالط	ايلي فلط	الله ينجي
الملك، أليمالك	ايل ملك	الله يملك. يتوج
صموئيل	سموئيل	اسم ايل
اليشوع، اليشع	ايل يشع	الله يخلص
أليداع	ايل يدع	الله يعرف
ألحانان	ايل حنن	الله يحن
أليعام	ايل عم	الله معي أو معك
حزقيال	حزق ايل	الله يقوي. يعزز
دانيال	دان ايل	يقضي الله
الناتان	ايل نتن	يعطي الله
أليشافاط	ايل شفط	يقضي الله
ألا سار	ايلي سر	الله يبسر

والأبشع من الغموض والإبهام والتشويه والتحريف، هو **التخرجات التلقيفية** التي مسخت الاسم وأخرجته عن مدلوله الجميل والمعبر، إلى معنى مبتذل وممجوج، ففي تخرجه لاسم (بابل) يقول سفر التكوين " ١١ ": (وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة.. وحدث في ارتحال بني نوح شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار.. فقالوا هلم نبين لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء.. فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينوهمما.. وقال الرب.. هلم نبيل لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض.. فبدهم الرب من هناك.. فكفوا عن ببيان المدينة، لذلك دعي اسمها بابل لأن الرب هناك بلبل لسان كل الأرض).

فصاحبنا المحرر لم يكن يدري أن المجتمع في حوض النهرين كان قد بلغ مرحلة عالية من الحضارة وال عمران قبل أن يظهر آدم التوراة بآلاف السنين، وتيمناً بـ "ايل" - (الله) وتقرباً منه أطلقوا على المدينة التي بنوها اسم بابل (باب ايل - باب الله)، وبعد، فهذه شواهد من عمليات السطو والنهب، والتشويه والتحريف، المسخ والانتحال، والواقع أن الباحث يستطيع أن يصنف مجلداً ضخماً في مثل هذه العمليات تبقى الإشارة إلى الخلط الذي مارسه محررو الكتاب

المقدس بين الصفة التي عبرت بها المجتمعات القديمة في سوريا الطبيعية عن القوة العالية (عل - ايل - إله - الله)، وبين الاسم (يهوه) الذي نسبه موسى أو الأحبار لهذه القوة. فالمعروف أن آباء بني إسرائيل الميثولوجيين (إبرام واسحق ويعقوب) عرفوا (ايل)، وشاهدنا هو كثرة الأسماء التي يدخل " ايل " في تركيبها، والتي نسبها محررو التوراة إليهم وإلى أحفادهم^{٩٣}.



٩٣ - محمد واليهودية، جورج كنعان، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١- ١٩٩٩، شواهد من عمليات السطو والنهب، التشويه والتحريف، المسخ والانتحال، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

الاسامية.. صناعة تليفقية غبية يهودية

من هو السامي Semite؟ هو الإنسان الذي انحدر من أصول تعود إلى سلالة سام بن نوح عليه السلام. وما هي السامية Semitic؟ هل هي تاريخ حضارة شعب سامي متعدد الفئات، امتد واتسع على نحو أصبح تاريخاً عاماً، يخص جميع الناس الذين وجدوا في هذه المنطقة التي كان يعيش فيها سام بن نوح عليه السلام، وحضارة تأخذ بمفاهيمها ومبادئها، وقوانينها، وثقافتها الأمم والشعوب المتحضرة؟ أو هل هي مفهوم عنصري وعرقي خاص بشعب يسعى إلى تجريد الأمم من هذا المصطلح التاريخي أو التسمية ليلحقها بذاته ويخرجها من نطاق التاريخ الإنساني الحضاري؟

إن (السامية) هي صفة ملازمة للشعب أو للشعوب التي اتسمت بمزايا حضارية وثقافية تركت آثارها الرائعة لتخلد في الضمير الإنساني وإذا كان اليهود أو الإسرائيليون يعتقدون بأن السامية نسبة إلى سام، فإنما ليدل الأمر على أن جميع أهل هذه المنطقة المترامية الأطراف ساميون سواء بسواء وفي هذا المنظور يسقط ادعاء اليهود الذين يوظفون معتقدتهم على خصوصية وفردانية ساميتهم دون الآخرين.

ويطلق مصطلح (السامية) على الديانات التي ارتبط ظهورها بشخصيات تنتمي إلى العراق السامي ولا يعني ذلك أن جميع أتباع هذه الديانات ساميون، ووفق هذا التعريف ليس كل اليهود ساميون، وعلى الرغم من أن العرب كعرق يمثلون أحد مكونات العرق السامي فإن الجماعات الصهيونية عملت على احتكار مصطلح السامية واعتباره يخص اليهود وحدهم، وبالتالي فإن مصطلح العداة للسامية، يعني وفق هذا التعريف العداة لليهود، وبمرور الوقت بدأت الجماعات الصهيونية توجه للعرب تهمة العداة للسامية رغم أن العرب أنفسهم ساميون، وتركز هذه المنظمات حالياً على وسائل الإعلام العربية وتقدم مواد منها على أنها (عداة للسامية) ومن أبرز المنظمات الصهيونية العاملة في هذا المجال معهد دراسات الشرق الأوسط Memri وعصبة مكافحة التشهير ADL ومقرها الرئيسي واشنطن وكان الهدف المعلن لها هو متابعة ما ينشر في الصحافة الشرق أوسطية باللغات العربية والفارسية والعبرية وترجمتها إلى اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية والروسية، وإرسالها إلى قادة الرأي وصناع القرار في عواصم العالم الرئيسية ورئيس المنظمة هو العقيد (ايغال كرمون) الذي كان ضابطاً في الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية في الفترة من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٨٨، وعمل بعد ذلك مستشاراً لشؤون مكافحة الإرهاب لرئيس الوزراء إسحاق شامير وإسحاق رابين في الفترة من ١٩٨٨-١٩٩٣ كما كان عضواً في الوفد الإسرائيلي الذي تولى المفاوضات على المسار السوري، ومن بين ست شخصيات رئيسية في المنظمة نجد أن ثلاثة منهم عملوا في الاستخبارات العسكرية الصهيونية، ومما تقدم يتبين لنا أن المنظمة هي عبارة عن نشاط من أنشطة الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية.

أما عصابة مكافحه التشهير ADL فقد بدأت نشاطها في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٣، وقد تأسست على يد محام يدعى (سجموند لفنجستون) وتحت رعاية منظمة (بناي بريت أو أبناء العهد) اليهودية وكانت تركز في البداية على قضايا الأقليات وتعمل من أجل دمجها في المجتمع الأمريكي، وبمرور الوقت بدأت العصابة الإرهابية الماسونية الصهيونية.. تركز على نشاطها على الأنشطة الخاصة باليهود وكل ما يتعلق بمعاداة السامية.

إن المعنى الاصطلاحي للسامية، الذي برز في روسا القيصرية منذ منتصف القرن التاسع عشر، وهو معنى سياسي يقصد به الحركة الأوروبية العدائية الموجهة نحو اليهود، باعتبار أن اليهود ممثلو الساميين الذين كانوا يعيشون حياة مستقرة بين الشعوب البيضاء، القوقازيين أو الآريين وقد بدأت هذه الحركة دينية ثم تحولت إلى سياسية وفي كلتا الحالتين كانت تقوم على مناهضة اليهود، وبعدها تكشف من حقائق فمن المؤكد أن اليهود أنفسهم هم الذين روجوا وأشاعوا هذا الاصطلاح حيث تستروا خلفه كي لا تنعقد العلاقة سافرة وواضحة بين اليهودية وبين الجرائم التي اتهم اليهود بارتكابها في المجتمع المسيحي الأوروبي.

إن نشأة المجتمع وجذور السامية والعداء لها، والصهيونية والحركات العنصرية والعدوانية والماسونية والفلسفات النفعية الإرهابية العنفية.. حبكة إجرامية لصوصية ملفقة أوروبية بدرجة امتياز، حيث نمت بنمو البرجوازية والشيوعية والاستعمار، ومن المؤسف أن المفهوم الاصطلاحي (للسامية) في أوروبا والعالم الغربي كله له معنى عنصري ودلالة تختلف تماماً عن الفهم السائد في الثقافة العربية، والسامية لها سطوة مخيفة على الناس وثقافتهم الاجتماعية المستندة على قوانين سنتها الدول الأوروبية بعد الحرب الأهلية الغربية (العالمية) الثانية بالرغم من المشاعر الحقيقية العدائية للأوروبيين تجاه اليهود، فإن أحداً من الأوروبيين يصعب عليه الجهر علناً بهذه المشاعر سواء لأسباب قانونية أو حضارية وهو ما جعل السامية سوطاً أساسياً مسلطاً على الرقاب في أوروبا حتى يومنا هذا، وذلك منذ أن اعتبر اليهود المقيمين في أوروبا ممثلين للساميين كعرق بشري بمن فيهم العرب.

لقد جعل تيودر هرتزل من فكرة العداء للسامية، أحد أسس المسألة لدى قادة الحركة الصهيونية فهو ينطلق مما تعتبره الأدبيات الصهيونية (حتمية وأبدية معاداة السامية) بهدف دفع اليهود نحو التشكل في كيانية سياسية خاصة، والبحث عن وطن يجمعهم في بوتقته، باعتبار أن اليهود عنصر أجنبي يجب مقاومة اندماجه ودفعه إلى المهجرة.

واقترنت عنصرية اللاسامية العرقية قبل الحرب الأهلية الغربية (العالمية) الأولى على سياسة اليمين المتطرف في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، ورغم ذلك استمرت الأفكار الشائعة ضد اليهود وتصرفاتهم بين غير اليهود، حيث تكونت ثلاثة أسباب خلال ومباشرة بعد الحرب الأهلية الغربية الأولى جذبت اللاسامية

وخاصة العنصرية منها إلى السياسة الأوروبية:

١- بالنسبة للبلدان التي خسرت الحرب كانت المعارك المرعبة ضحية بدون ربح، بدا هذا غير مفهوم إلا عن طريق خيانة داخلية، هناك أسطورة ترجع الانهيار الألماني والنمساوي في الحرب الغربية الأهلية الأولى إلى خيانة من طرف اليهود والاشتراكيين، انتشرت هذه الأسطورة عن طريق قادة الجيش الألماني المهزوم الذي أراد أن يتفادى العواقب التي قد تلحق بسياسته، رغم عدم صحة وثبوت هذه الأسطورة فقد عمل اليهود في القوات الألمانية المسلحة بشجاعة وولاء، رغم أقليتهم بالمقارنة مع بقية الشعب.

٢- تأسيس الثورة البلشفية اليهودية الإرهابية الإجرامية.. في الاتحاد السوفيتي والتجارب الصغيرة مع الدكتاتورية اللصوصية (الاشتراكية) في مقاطعة بافاريا والمجر أرعبت الطبقة الوسطى وكذلك في الولايات المتحدة من الجذب الطبيعي لليهود والاشتراكية العالمية.

٣- أدت وصمه العار التي لحقت بألمانيا والنمسا والمجر التي اتفق عليها في (معاهدة فرساي) إلى تحمل هذه البلدان مسؤولية الحرب ودفع مال الإصلاح للمنتصرين، الشيء الذي أغضب وأحبط السياسيين، وهكذا تمكنت أحزاب اليمين الراديكالية من استغلال هذا الغضب واليأس على مستوى سياسي.

ومن ضمن الأفكار الشائعة المتعلقة بتصرفات اليهود الفاسدة والاجرامية والإرهابية والتي ظهرت حين اندلاع الحرب الأهلية الغربية الأولى والتي تم نشرها عن عمد مع أفكار مسبقة أخرى، ونشأت أيضاً الخرافات التالية:

أ- بدأ اليهود الحرب لجعل أوروبا قابلة (للسيطرة) اليهودية بتخريبها أخلاقياً وثقافياً ومالياً وسياسياً..
ب- استغل اليهود كارثة الحرب للنهب والسرقات والصفقات..، وأطالوها لجعل الثورة البلشفية اليهودية الكارثية ثورة (عالمية).

ت- حُمل اليهود مسؤولية قلق الجيش وهزيمته، واندلاع الثورة الفوضوية الارهابية (الاشتراكية) بسبب جنهم وخيانتهم في الدفاع عن الدولة.

ث- استعمل الديمقراطية الدستورية التي أسسها اليهود كأداة ناعمة ملفقة وكاذبة، لإضعاف الإدارة السياسية الدولية، ولكي تتأثر الدولة باليهودية ولكي يدمروا الدم الآري المتعالي من خلال التشجيع على الزواج المختلط والحرية الجنسية والاختلاط الجنسي..

ج- نجاح اليهود في تكريس انقسام ألمانيا والمجر بواسطة حدود مزيفة، تحكّمهم في المناقشة عن السلام، بينما كان المتآمريين معهم (اليهود الوطنيون)، يقيدوا الدولة إلى الاستلام والاستعباد الدائم.

ح- يسيطر اليهود على مال الدولة لمصلحتهم الإرهابية الإجرامية..

لقد كانت المراحل الدينية والسياسية مجتمعة هي التي أدت إلى حركة مناهضة السامية بين الدول الأوروبية،

لارتباط السبب الديني بالسبب السياسي، فتعاليم (التلمود الإرهابي الخرافي) اليهودي فيها ما يتنافى أو يتناقض مع الأخلاق المسيحية وقيمها، وقد تحول هذا الخلاف إلى صراع ألهب نيرانه فيما بعد اكتشاف الوثيقة التي عرفت بـ (بروتوكولات حكماء صهيون)، وفي هذه البروتوكولات ما يرسم صورة تفصيلية عن المؤامرة اليهودية التي تهدف إلى السيادة على العالم، ومن أهم حقائق الابتزاز الإرهابي الصهيوني على الأمم، ما نشرته وزاره الخارجية الأمريكية في تقرير أبدت فيه واشنطن قلقها من تصاعد المشاعر المعادية للسامية، ولفتت خصوصاً إلى خطورة هذه الظاهرة في أوروبا، وجاء في التقرير الذي قال أنه أسند إلى وثائق أوروبية (إن تزايد أعمال السامية وخطورتها منذ بداية القرن الحادي والعشرين وخصوصاً في أوروبا، دفع المجتمع الدولي إلى الاهتمام بمعادة السامية بقوة متجددة "ذلك أن معاداة السامية في عالم يشهد ترابطاً متزايداً لا يمكن قبولها" وأوضح "إن هذه الظاهرة شهدت تراجعاً بعد الحرب (العالمية) الثانية لكنها باتت محددة الأهداف أكثر في السنوات الأخيرة، ويبدو أن لمنفذيها هدفاً محدداً هو النيل من اليهود واليهودية" وأضاف أن "معادة السامية في أوروبا سجلت زيادة كبيرة في السنوات الأخيرة".

لقد سئم الأوروبيون، وخصوصاً الألمان من تحميلهم مسؤوليات ممارسات النازي، واتهامهم باللاسامية، إنه المنطق الصهيوني المعهود يتكرر، وجوهره تأثيم الضمير الأوروبي لما ارتكب سابقاً بحق اليهود لتبرير سياسات إسرائيلية عنصرية واستيطانية، فهل نحن أمام ظاهرة أوروبية معادية للسامية، أم بداية وعي أوروبي لسياسة إسرائيل العنصرية؟

إن أهم ما أحدثه العدوان الإسرائيلي أواخر عام ٢٠٠٨ وبداية عام ٢٠٠٩ على قطاع غزة على الصعيد السياسي والإنساني، أنها كشفت مجدداً سلوك الجيل الجديد من قادة الأحزاب الإسرائيلية، وأظهرتهم في دور زعماء العصابات الذين افتعلوا (مجزرة دير ياسين) خلال حرب ١٩٤٨م، وقد أدى في حينه السكوت عن تلك المجزرة المروعة إلى مهاجمة قرى فلسطينية عدة، وإحراق منازلها وقتل سكانها، خصوصاً بعدما تدخل بن غوريون لإصدار عفو خاص عن المذنبين من أمثال قائد كتيبة الهاغانا الإرهابية الاجرامية (شمونيل لاجيس) الذي واجه محاكمه شكلية ملفقة كاذبة عقب مصرع ٧٥ فلاحاً احتتموا داخل جامع القرية، وبفضل نفوذ بن غوريون حظي (شمونيل) بعفو ومنحة ساعدته على إكمال دراسة المحاماة، وفي أواخر سنة ١٩٧٠ عين مديراً للوكالة اليهودية أي الجهاز التنفيذي للحركة الصهيونية، ولما أثارت الصحف ماضيه الملوث بالإرهاب والوحشية والإجرام، تدخل الحاخامات لإصدار فتوى (صوابية) سلوكه، مما يدل على إرهابية وإجرامية جميع اليهود في فلسطين المحتلة..

وفي مواجهه المعركة السياسية التي شنها الفلسطينيون ضد مشروع جدار الفصل من فوق منبر محكمة (لاهاي) شنت المنظمات الصهيونية في أوروبا معركة مضادة في بروكسل استخدمت فيها العداة للسامية

لكي تثبت أن المعادين لأعمال حكومة شارون هم أعداء (إسرائيل) والشعب اليهودي. ومن هنا فإن مصطلح (معاداة السامية) لا يستند إلى واقع تاريخي أو أسس علمية أو حتى وجهه نظر لغوية، ومعظم وسائل الإعلام الغربية، تتعامل مع (إسرائيل) على أنها كيان يضم يهود العالم.. وهذا غير صحيح، وصهاينة اليوم يحاولون بكل طرق التزوير والكذب إثبات أنهم (من سلالة بني إسرائيل) ويهود القرن العشرين لا يمتون إلى السامية بأي صلة، والذين احتلوا فلسطين، ومن يجلبونهم ليسوا إلا من سلالة يهود الخزر إلا من تهودوا.

وأخيراً.. إن (إسرائيل) لا تتهم أوروبا فقط بمعاداة السامية، بل تتهم العرب والمسلمين أيضاً، أي تتهم الساميين أنفسهم بمعاداة السامية، ولقد استخدم الصهاينة مصطلح معاداة السامية للتعتيم على جرائم إسرائيل، ووصل الخطاب الصهيوني إلى قمة الإثم حين أعلن أن نضال الشعب العربي الفلسطيني ضد الاحتلال الإسرائيلي (تعبير عن معاداة السامية) فاللاسامية أو معاداة السامية هي في الواقع صناعة إرهابية خرافية كاذبة يهودية، قبل أن تكون صناعة الآخرين ضد اليهود، ومصطلح اتخذته الماسونية الصهيونية سلاحاً لحماية وجودها، لإيجاد موقفاً عدائياً سلبياً من اليهود، مضافاً إلى ترسانتها العسكرية المتطورة، وقناع مهترئ لممارسة الابتزاز والهيمنة والإرهاب الفكري على كل من يعارضها ويتصدى لمزاعمها الخرافية الإرهابية الفوضوية..^{٩٤}.



٩٤ - مجلة صوت فلسطين، تصدر عن إدارة التوجيه المعنوي والسياسي في جيش التحرير الفلسطيني، سورية- دمشق، العدد ٥٢٠، أيار ٢٠١١م، اللاسامية.. صناعة يهودية، محمد حسن داوه، ص ٣٠-٣١ (بتصرف وتعديل).

التلوث اللغوي

إن اللغة تعكس قوة وصحة أبنائها فاللغة الحية هي مرآة للناطقين بها، فهي تتطور وتتقدم وتنحت مصطلحاتها وألفاظها الخاصة بها وتستفيد من كل اللغات العالمية الأخرى في مجال العلم والتقنية والفنون ولكن بشرط الحفاظ على عزة وقوة ومرونة هذه اللغة التي تعكس الثقة بالنفس والشعور بالكرامة لأبنائها.

وكما إن البيئة الطبيعية بمكوناتها الحية والجمادة تتعرض للمختلف أنواع الملوثات الضارة كالمواد الكيميائية والأغذية الفاسدة، والجراثيم الممرضة.. كذلك اللغة تتعرض للتلوث فكيف يتم ذلك؟

إن اللغة العربية الفصحى وبعد ضعف الحضارة العربية الإسلامية في العصور الحديثة والمعاصرة تكالبت عليها الدول الإستخراجية الأوروبية والأمريكية فعملت على احتلال البلدان، وسرقة خيراتها، وتشويه وتمهيش عناصر قوة الشعوب كاللغة العربية والدين الإسلامي، كما أنها أنشأت مراكزاً للتبشير المسيحي وللتعليم باللغة الإنكليزية والفرنسية، مع إبعاد قسري للغة العربية الصحيحة.

وهذا التخریب والتلوث اللغوي استمر حتى بعد حصول الاستقلال لهذه البلدان نظراً لكون المستعمر الغربي زرع مركبات النقص وعقد الدونية عند بعض المتعلمين السطحين بالإضافة إلى تطبيق نظرية ابن خلدون بهم وهي تقليد المغلوب للغالب لدرجة أنهم يفكرون برؤوس غيرهم وليس برؤوسهم، ومن الأمثلة على هذا الاستخراب والتلوث اللغوي:

- تلوين اللغة العربية بتعليم الإنكليزية للأطفال في الروضات وإهمال تعليم اللغة العربية الفصحى، واتباع هذا المنهج المرضي التعليمي في المدارس والمعاهد والجامعات في البلدان العربية والنامية، وما يتبع ذلك من تعليم طرائق التفكير وعادات إجتماعية بعيدة عن مجتمعهم ومتنافرة مع طبيعتهم الثقافية وتربيتهم المنزلية، مما أدى إلى خلق نوع من الجيل المسخ من المتعلمين تابعين فكرياً للغرب فأجسامهم في بلادهم بينما رؤوسهم في أوروبا، فلا هو ينتمي إلى بلاده وهويته العربية الإسلامية بحيث يكون مثله الأعلى النهوض الحضاري لأمته، ولا هو ينتمي إلى البلاد الأوروبية، لأنه يعيش في بلده ومتأثر بثقافته.. فهذا الجيل المسخ لا يمكن أن يقدم تتطوراً وحضارةً لمجتمع بل العكس يساهم في استمرار التبعية الفكرية والصناعية للدول الأوروبية، كما أنه ينفصل بل يعارض أهداف أمته العربية والإسلامية في الوحدة والاهتمام بالمصالح العربية والإسلامية المشتركة.

ومن الأمثلة الإحصائية الميدانية على نتيجة هذا التلوث اللغوي والاستخراب الفكري ما قامت به الجامعة الأمريكية في القاهرة عندما سأل الباحث الغربي ريموند هينيش أبناء وطلبة هذه الجامعة: لأي مجتمع تنتمي؟

كانت إجاباتهم: مسلم ٩,٦%، عربي ١١%، مصري ٧٠,٣%.

إذا أعطت الحرية لتختار جنسيتك ما هو البلد الذي تختاره ؟

العالم العربي ٦,٣%، الولايات المتحدة الأمريكية ٣٥%، مصر ٧٤%.

وحين سألم هل يجب على الفلسطينيين أن يعتمدوا على أنفسهم وأن يتركوا مصر وشأنها ؟

أجاب ٦٦,٤% بنعم^{٩٥}.

— تطعيم كلام بعض من المتعلمين وأنصاف المتعلمين ببعض المصطلحات الأعجمية ظناً منه أنه يعطي قوة لأفكاره ليقنع الآخرين بصحة آراءه.

— قيام بعض المذيعات في الفضائيات العربية بالسلام على جمهورها بعبارات أعجمية: مرسى، بنجور، بدلاً من قولها صباح الخير، مساء الخير مما يدل على عقد النقص عندها.

— تسمية بعض واجهات المحلات والدكاكين والفنادق بأسماء أعجمية حيث يظن أصحابها بأن ذلك يعطيها شهرةً مثلاً: ستي كوفي بدلاً من مركز القهوة.

— في قائمة طعام أحد المطاعم لاحظ الدكتور أحمد الضبيب - كما ورد في مقالة له في المجلة العربية لشهر ربيع الأول الماضي ١٤٢٥هـ، أن المطعم يقدم ضمن قائمة (الآيس كريم) ما يأتي:

- عدد واحد بولة السعر..

- عدد إثنين بولة السعر..

- عدد ثلاث بولات السعر..

فسأل المضيف: لم لا تكتبون كرة وكرتان وثلاث كرات ؟

فقال له: هذا أشيك ومدير المطعم أدرى بذلك.

وبناء عليه اقترح الدكتور الضبيب ساخراً ما يأتي:

- تسمية اتحاد الكرة العالمي (باتحاد البولة العالمي).

- تسمية اتحاد الكرة الطائرة (باتحاد البولة الطائرة).

- تسمية الكرة الأرضية (بالبولة الأرضية)، ولا سيما أنها تلوثت بجميع الملوثات الفكرية والسياسية والبيئية والاقتصادية^{٩٦}.

— كثرة الخادماوات الأجانب في منازل الخليجيين أدت على تربية أطفال بعيدين عن دينهم ولغتهم وعادات بلادهم، لدرجة أن بعضهم كان يتعثر ويجد صعوبة كبرى في نطق اللغة العربية.

٩٥- للتوسع: علماء وجواسيس التغلغل الأمريكي - الإسرائيلي في مصر، رفعت سيد أحمد، دار رياض الريس للنشر، ط١، لندن ١٩٩٠، الجامعة الأمريكية في مصر (جواسيس في ثياب العلماء)، ص ٨٣- ١٣٤.

٩٦- الفيصل، الرياض، العدد ٣٣٧، رجب ١٤٢٥هـ / أغسطس / سبتمبر ٢٠٠٤م، اللغة والإعلام: علاقة الجواهر بالشكل والإطار، عبد المؤمن عبد الله القين، ص ١٧- ١٨ (بتصرف).

— ظهور لغة هجينة مبتذلة (عامية عربية آسيوية إنكليزية) خاصةً في دول الخليج لأن اللغة الرسمية في المشافي وبعض المؤسسات تكون إنكليزية بينما الشعب عربي وبعض موظفيه عرب بينما الكادر الطبي أو الوظيفي عربي أو آسيوي.. الخ، ويستغرب كلُّ من عمل وزار دول الخليج العربية من هذه اللغة الهشة والهزيلة ويمكن أن نسمي هذه اللغة العامية في البلدان الخليجية بالغة البترولية التوليفية (البتروليف) أو اللغة البترولية التليفقية (البتروفيقية)!!

إن استمرار الآليات اللغوية التخريبية في البلدان العربية يؤدي إلى تقزيم وتهميش الأجيال العربية والإسلامية بحيث ترى بعضهم حاملين كسالى وبدنين لا يفكرون إلى في جيوبهم وبناء قصورهم وشهواتهم، بل إن بعضهم الذين يعتبرون أنفسهم ممثلين عن القيم الحضارية العربية الأصيلة والذين يشاركون في مجالس بلادهم، يحصرون تفكيرهم في معارك وهمية وبسيطة تستنزف جهدهم وفكرهم وطاقاتهم العقلية ووقتهم، لدرجة أنهم يقضون أياماً وأشهرًا في بعض المعارك الوهمية البسيطة كما يحدث في إعطاء المرأة حقها في التصويت أو إعطائها رخصة لقيادة السيارات، كما يحدث في دول الخليج العربي، وهذه الأمور قد تجاوزها الإسلام منذ مئات السنين.

فالمسلم رجل كان أم امرأة، لهما نفس الحقوق والواجبات أمام الإسلام والقانون، في عموم القضايا الاجتماعية والحضارية والعلمية والثقافية، وهذا ثابت شرعاً ونصاً.

وعندما شاهدنا هذه المجالس البرلمانية في هذه الدول الخليجية في الفضائيات اعتقدت أنهم يبدون آراءهم ويعملون كل طاقتهم وجهدهم على إنشاء مراكز أبحاث فضائية لصنع الأقمار الاصطناعية، أو بناء مراكز للأرصاد الفلكية أو للدراسات البحرية، أو لكوهم أغنياء مالياً ونفطياً، يودون إصدار قانوناً من هذا البرلمان لكي يعملون جاهدين على عودة العقول العربية المهاجرة من الغرب إلى البلدان الخليجية، لأنهم يودون بناء مصانع لصنع السيارات والطائرات والقطارات، أو إنهم يتناقشون ويصوتون لإخراج الإرهابيين الأمريكيين والأوروبيين من بلادهم!!

- أما كيفية تصفية وتنقية اللغة العربية الفصحى من هذا التلوث اللغوي الهابط

فيكون بعدة آليات منها:

- ١- إعطاء الطالب والمواطن الثقة النفسية والمعنوية بأمته العربية والإسلامية ثم بأمته الفصيحة.
- ٢- تقوية وتعليم وتسهيل اللغة العربية الفصيحة لكل الفئات العمرية في مختلف المراحل الدراسية.
- ٣- دعم انتشار الحروف العربية محلياً وعالمياً وإعلاماً.

- ٤- وضع برامج وجداول لكتابة الكلمات والحروف العربية بلغة عربية فصيحة في كل المنتجات التجارية والصناعية والاقتصادية، المصنعة محلياً ومستوردة.
- ٥- إنشاء وإعمار مراكز لتعليم اللغة العربية لكل المواطنين وبالجمان مع طبع ونشر كتيبات صغيرة الحجم.
- ٦- تطهير الأسماء للمحلات والدكاكين والفنادق في السواق من الملوثات اللغوية الأعجمية وتحويلها إلى رموز وكلمات عربية فصيحة.
- ٧- تعاون الدول العربية على تقوية اللغة العربية الفصحى بينهم، وتوحيد المصطلحات العلمية والتعليمية في مختلف المراحل الدراسية.
- ٨- مطالبة الأنظمة العربية الرسمية بجعل اللغة العربية الفصحى لغة رسمية في كل المحافل الدولية والمؤتمرات الصحفية.
- ٩- مطالبة مجامع اللغة العربية بعقد المؤتمرات والندوات محلياً وعالمياً للبحث في حوار اللغات والثقافات والحضارات، وعلم اللغات المقارن، واستفادة اللغات من بعضها البعض بشكل علمي ومنهجي بحيث يقوم ذلك على العلاقة الندية فلا يوجد استكبار أو تهميش.



**اليوم العالمي
للغة العربية**

أزمة اللغة العربية

عرف الناس خصائص الاستعمار الصليبي الذي أغار على أرضهم خلال الإعصار الأخير. كان غرضه الأهم والأوضح أن يمحو الشخصية الدينية لأمتنا، وأن يقطع جبالها على مر الأيام باللغة العربية، والمرء بعد فقدانه الإيمان واللسان، أو بعد فقدانه أصوله الروحية واللغوية، يمكن حسبانه مؤقتاً في عداد المفقودين، بيد أن الاستعمار لا ينتهي به إلى هذه النتيجة ثم يتوقف.

كلا، إنه يعده سماداً لجيل آخر، له عقيدة أخرى، وورطانة أخرى، كما تتحول الفضلات الحيوانية إلى تربة جديدة لكيان آخر مقطوع الصلات بالماضي القريب والبعيد معاً، والسياسة التي اتبعها هذا الاستعمار المكار تبعث على العجب، فالإنجليزي (سبنكس باشا) يعين قائداً للجيش المصري، والإنجليزي (رسل باشا) يقود شرطة القاهرة، والإنجليزي (دنلوب) يقود سياسة التعليم!

ولا بأس في طريق القضاء على اللغة العربية أن يستعان بأوروبيين يعينون في مؤسساتنا الثقافية، مثل المستشرق الألماني (ولهلم سييتا) الذي وظف بدار الكتب المصرية، وكان أول من دعا إلى نبذ اللغة العربية، وألف كتاباً عن قواعد اللهجة العامة في مصر!

وتبع هذا الموظف في محاربة العربية موظف ألماني آخر هو (كارل فولرس) الذي عين أميناً للمكتبة الخديوية بالقاهرة!، وجاء بعدهما إنجليزي موغل في التعصب كان يشرف على مدرسة الهندسة العليا كلية الهندسة الآن اسمه (وليم ولكوكس) الذي منحته إنجلترا في ما بعد لقب (سير).

وتبنى أفكار الجميع عدد من اللبنانيين والمصريين الحاقدين على الإسلام، وكانت صيحاتهم لهدم المواريث الأولى لا ينقطع صداها.. فتدبر ما قاله (سلامة موسى) في كتابه **اليوم والغد**: (الرابطة الشرقية سخافة والرابطة الدينية وقاحة، والرابطة الحقيقية هي رابطنا بأوروبا).

والذوبان المنشود في أوروبا يعي بدهاءة طرح الإسلام والعربية، وإيجاد نبتة مهجنة تستخف بتكاليف الإيمان وأواصر الفصحى، وقد اتسعت هذه الدائرة، ووجد الداخلون فيها كل تشجيع مادي وأدبي، وأزيحت من أمامها العوائق، بل كثرت من ورائها الدوافع، حتى كادت تستولي على مقاليد الأمة في كل ميدان، لولا أن الصحوحة الإسلامية التي تتجدد بها أمتنا على امتداد القرون تيقظت للخطر الداهم، وردمت منابعه ما استطاعت.

ولا تزال المعركة سجلاً بين الإيمان والإلحاد، وبين العامية والفصحى، مع ملاحظة أن ذلك الصراع أخذ مسارات شتى، بين التقليد والتجديد، أو الرجعية والتقدم، أو الأصالة والمعاصرة.

ثم رأى الماكرون بالإسلام أن يتركوا هذه الموازنة ليكون العنوان الأوحى القومية، أو الاشتراكية، أو العلمانية، ولعل السر أن المسلم مهما بلغ عصيانه يعود إلى دينه فجأة، إذا خير بينه وبين غيره من مذاهب.

ومن هنا حلت النزعة الواحدة الجديدة محل الموازنات المقلقة، على زعم أن هذه النزعة لانتخا صم الدين!
والحق أن الإسلام لحقت به خسائر جمة: عندما ارتفعت راية القومية، عربية كانت أو غير عربية، وعندما
ارتفعت راية الاشتراكية، شيوعية أو غير شيوعية..

ثم جاءت العلمانية أخيراً فكانت ثالثة الأثافي، ففي ظلها هان الإيمان، وسقطت قيم خطيرة، كما أن في
ظلها هبط الأدب العربي، وانتصرت الكلمات الأعجمية، ولوحظ في المسرح والإذاعة والجامعة والصحف،
أن الأمة تنحدر إلى هاوية ليس لها قرار.

وحدثنا الآن عن الأدب العربي واللغة العربية بعامة: يرى الأستاذ الكبير أحمد موسى سالم أن الضعف
العام بدأ من عصر مبكر، وأن فساد الحكم من ورائه، فيقول: (لكن هذه اللغة مع بداية استرخاء الحكام
العرب في القصور، ومع غيبة المجاهدين المرابطين في الثغور، ومع ما أصاب عامة العرب من زوار المدن أو
المقيمين بأطرافها، من فتنة بالمعروض الشهي من المتاع، أو المبذول الطبع من الغواية..)

بدأت تطراً على تراكيب اللغة وعلى وظيفتها وأهدافها تغيرات تعكس ما وقع للناطقين بها، بعد أن فكوا أحزمة
التشدد وبعد أن طافوا طويلاً بالأمم، وبعد أن ساقتهم الأمم إلى ألوان من الذنوب ما عرفها آباؤهم، فإذا هم يعود
وعلى ألسنتهم كلمات جديدة معربة أو غير معربة في مجالس الغناء واللهو والخمر والشذوذ والانحلال.

بهذا الاسترخاء والإقبال على المتع، تراجع القدوة التي كان الأعاجم يجدونها في العرب، ولم يعد العرب
قادرين على استهواء غيرهم لينصر الدين واللغة! ومع أن الحكومات العربية أساءت إلى اللغة ولم تحسن
نصرتها وقعدت بالأدب العالمي تمنح رجاله ما يستحقون من صدارة، إلا أنني أحسب أن المعاهد المتخصصة
في الدراسات اللغوية والبلاغية تحمل وزراً أشد في هذا المضمار.. وإن جمودها وفتورها وقصورها من أهم
الأسباب فيما اعترى اللغة العربية في هذا العصر من ضعف وانزوار.

وإني لأحس غضباً شديداً عندما أرى علماء دين لا يحسنون ضبط الإعراب، أو عندما أرى رجال سياسة
يخطبون خطب عشوائية، ويقعون من دون حياء في شر أنواع اللحن.

ماذا فعلت المعاهد العتيقة والمجامع الجديدة لخدمة العربية في عصر نرى فيه الإنجليزية مثلاً تبتدع
عشرات الأساليب للانتشار والسيطرة؟

ذلك بحث ينبغي من دون حرج أن نخوضه لنعرف مدى تقصيرنا في لغة الوحي، ولنستقبل الأيام القادمة
بعمل نافع وجهد مثمر^{٩٧}.



عجز مزيف يعكس تخلفنا

مازال جيلنا منذ وعى، يسمع دعاوي عن عجز العربية عن أداء العلوم الحديثة، حتى كدنا ننسى ماضيها العلمي في عصر الحضارة الإسلامية وفجر العصر الحديث.

ومنذ عزلت عن الميدان العلمي تدريساً وتأليفاً، صارت دعوى عجزها من المسلمات البديهية التي لا تختمل الجدل، ولم تفلح جهود نصف قرن في رد اعتبارها العلمي إليها حتى عربت موسكو علوم العصر: فهل كنا نحرت في الماء؟! في صيف عامنا هذا تلقيت رسالة من مطبوعات موسكو العربية، حسبتها أول الأمر مما ينشره المجمع العلمي للاتحاد السوفيتي من ذخائر تراث لنا يرى فيه رواد الفضاء أكفان موتى وأحافير أثرية من عصور غبرت، ولا يسمح بأن يجعل من اهتمامه بها موضوع جدل أو مناقشة، فمن قد يتصور أن جهد المجمع العلمي يجب أن يوفر كله للسباق الظافر إلى غزو القمر.

فلما نظرت في كتب هذه الرسالة من مطبوعات موسكو العربية، وجدتها جميعاً من صميم علوم العصر التي وضعت لتكون مرجعاً للدارسين في الجامعات والمراكز العالية للتدريب الفني.

وأوشكت أن أطرح هذه الكتب جانباً، أو أتخفف من عبئها على خزانة كتي، بالتماس من يهتم بموادها التي لا شأن لي بها ولا اتصال.

غير أنني ما لبثت أن ذكرت ما أشتغل به من قضايا حياتنا اللغوية، فأقبلت على هذه المعربات الواردة من موسكو، أحاول أن أستبين إلى أي مدى طوع العلماء السوفييت لغتنا العربية، لأحدث ما وصلوا إليه في المجال العلمي والصناعي.

بعد أن تحدثت في مادتها العلمية إلى عدد من صفوة علماء الاختصاص وفي مقدمتهم عالمنا الحكيم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور أسامة أمين الخولي وكيل هندسة القاهرة.

وكانت مفاجأة لي، أن أقرأ لغتي في هذه العلوم العصرية، سليمة واضحة، دقيقة طيبة ميسرة، لا تتوقف ولا تتعثر.

وأن أمضي في قراءة المواد العلمية التي انزلت عنها طويلاً، مأخوذة بلهفة من يكتشف فجأة أن أسراراً من لغته غابت عنه.

بعد كل ما ضج به أفقنا العربي المعاصر، من دعاوى طنانة رنانة، تؤكد عجز لغتنا عن أداء علوم العصر، وتبرر عذر جامعاتنا في الإصرار على تدريسها بلغة أجنبية.

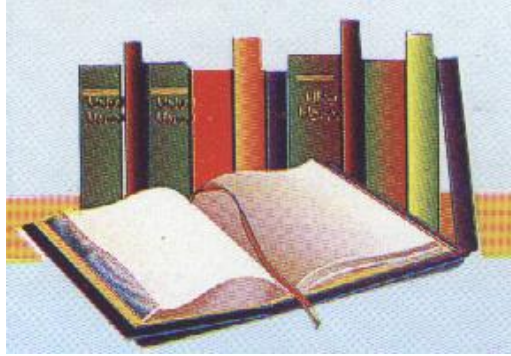
وتندرننا بأن نظل حيث نحن، متخلفين عن العصر علمياً وصناعياً، إن نحن جازفنا بتعريب العلوم استجابة لعاطفة قومية ساذجة، لا مجال لها في عصر العلم! فمبلغ علمي، أن جيلنا ما زال منذ وعى، يسمع هذه

الدعوى تدوي كالطبول. فأما الذين جهلوا منا تاريخ الأمة فأيقنوا أنها حق لا ريب فيه، وأما الذين اتصلوا
بماضي الأمة ودرسوا تراثها العلمي، فقد وقفوا في حيرة من أمر هذه العربية:

— من أين أصابها العقم وهي التي استطاعت منذ عشرة قرون، وأكثر أن تستوعب كل التراث الفلسفي
والعلمي للأمم القديمة، وأن تنقل إلى المكتبة العربية ذخائر الفكر والعلم والثقافة لأعراق الحضارات التي عرفها
التاريخ؟.

— وكيف يعيبها اليوم أن تنقل علوماً كان للعلماء العرب، في عصر الحضارة الإسلامية مجد الزيادة فيها
وتحريرها من المنهج التأملي الفلسفي الذي كان يسيطر على العقلية اليونانية في عصر قيادتها للفكر الإنساني
فيردها إلى غيبيات مما وراء الطبيعة، مترافعاً أو عاجزاً عن التجربة العلمية بمنهجها الاستقرائي الدقيق
وأجهزتها العملية؟

ومن وراء ثلاثة عشر قرناً، مضيت أساير التاريخ العلمي لأمتي، وأنا في أخذة العجب لهذه الكتب العلمية
المطبوعة بالعربية في موسكو!



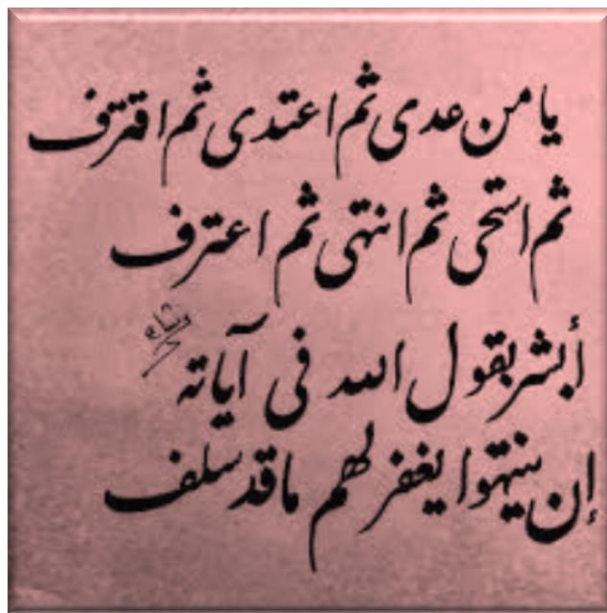
بداية التعريب

من القرن الأول الهجري السابع الميلادي بدأ اتصال العربية بالتراث العلمي القديم، في حركة ترجمة لكتب في النجوم، والفلك، والطب والكيمياء، برعاية أمير من البيت الأموي، هو خالد بن يزيد بن معاوية الملقب بعالم بني أمية.

على أن الترجمة لم تلبث أن أخذت في العصر العباسي الأول، وضعاً رسمياً تدخل به في سياسة الدولة وتعتمد على رصيد سخي من الخزانة العامة، وقد استوعبت الحركة في عصر الرشيد وولده المأمون، ذخائر التراث الفكري والعلمي في الفلسفة والرياضيات والفلك والطبيعة، لليونان والفرس والهند ومصر. ثم ما لبثت العقلية الإسلامية أن هضمت ذلك التراث وتمثلته فأعطته روحاً جديدة على نحو ما فعلت مدرسة الإسكندرية بالفكر اليوناني حين هاجر إليها.

وتلقى معجم العربية رصيلاً ضخماً من المصطلحات العلمية المعربة، إلى جانب الألفاظ العربية التي أمكن تطويعها للمصطلح العلمي..

ولا يذكر التاريخ أن حركة إحياء التراث العلمي قد انتظرت طويلاً ريثما يستقر رأي المختصين على إمكان نقل العلوم إلى العربية، أو صدور فتوى من رجال الدين في جواز تعريبها..



اللغات الأم في مواجهة ثقافة العولمة

إن تهديد الثقافات القومية والوطنية من أبرز نتائج ما يسمى بالعولمة، ولئن كان الغزو الثقافي موجوداً من قبل، فإن ظاهرة العولمة زادت من سطوته وجعلته أحادي القطب إلى حد كبير، حتى باتت ثقافات عالية قوية وعريقة كالثقافات الأوروبية تخشى على نفسها منه، فما بالك بالثقافات العربية الراهنة. لقد أخذ الغزو الثقافي العولمي يهز ويزلزل كثيراً من ثوابت حياتنا الفكرية والاجتماعية واللغوية، ولكن أخطرها هو المنحى اللغوي، وإنني إذا أركز على جبهة اللغة فذلك لأن اللغة العربية هي هوية الأمة، وهي حاملة عقيدتها وخصائصها وقيمها، وإن أهميها هو الأقوى، وربما الأخير من خطوط الدفاع عن وجودنا كأمة وحضارة.

- إن آثار الغزو الثقافي على لغتنا العربية لا تخفى، ولعل من أبرزها:

- أ- شيوع اللغة الأجنبية** لاسيما الإنجليزية لغة تعليم في معظم الجامعات العربية، بل وفي التعليم الإعدادي والثانوي أحياناً، ولغة إدارة في كثير من المؤسسات العربية التجارية والصناعية.
 - ب- اشتراط إتقان اللغة الإنجليزية** في وظائف القطاع العام والخاص دون العربية.
 - ج- تدني الاهتمام بتعلم العربية وإتقانها** ما دامت غير ضرورية في ميادين العلم والاقتصاد، حتى غدت في نظر كثير من أبنائها من الأمور التي معرفتها لا تنفع والجهل بها لا يضر.
 - د- شيوع المفردات والمصطلحات الإنجليزية** على مستوى الخاصة والعامة والشارع، فحتى أسماء المحال جنحت إلى غير العربية، مثل: (سنتر وسناك وشوب وسوبر ماركت وميني ماركت).
 - هـ- الترويج للغة العامية وانتشارها** بحجة أنها تسد حاجات التواصل اليومي والاجتماعي في حين تسد الإنجليزية حاجات التواصل العلمي والفكري فلا يبقى للعربية الفصيحة دور تؤديه، ومن العبث إضاعة الوقت في تعلمها!
- وغني عن البيان أن هذه الآثار السلبية لا تعاني منها لغتنا العربية فحسب، بل هي معاناة معظم اللغات العالمية بما فيها لغات أوروبية قوية فقد (أعلن ج.ب شفمنان) وزير التربية الوطنية الفرنسي أن: (الاحتكار اللغوي الأنكلوأميركي هو بمنزلة إفقار ثقافي غير مقبول).

- أساليب مواجهة الغزو اللغوي:

- اتخذت الأمم في مواجهة الغزو اللغوي أساليب متنوعة تتفق وأوضاعها الخاصة، وأبرز تلك الأساليب.
- ١- تشريع القوانين والأنظمة التي تحمي اللغة القومية**، ومن هذا القبيل ما قامت به فرنسا من سن قانون يمنع استخدام المفردات والمصطلحات غير الفرنسية في التأليف والأبحاث والمقالات والمحاضرات وحتى في

أسماء المأكولات والمشروبات، وفرضت غرامة مالية تصل إلى (٢٥٠٠) دولار على من يخالف هذا القانون، وثمة هيئة متابعة لإنفاذ هذا القانون باسم (الرابطة العامة لمستخدمي اللغة الفرنسية) ولم يأخذ مجلس النواب الفرنسي باعتراضات المعارضين بأن بعض المصطلحات عالمية، وأن تجنبها سينعكس سلباً على مشاركات العلماء الفرنسيين في المؤتمرات الدولية، ولذلك يصر الفرنسيون مثلاً على استعمال مصطلحي (سيدا) و(أرديناتور) بدل (إيدز وكمبيوتر) على الرغم من انتشار هذين الأخيرين عالمياً. ومن هذا القبيل أيضاً ما قدمت به (إيران) من منع استخدام المفردات والمصطلحات غير الفارسية في الإذاعة والتلفزيون، بعد أن زودت العاملين في حقل الإعلام بالمصطلحات الفارسية البديلة عن تلك الأجنبية.

٢- الدعاية للغة القومية والترويج لاستخدامها، فلدى الحكومة الألمانية قسم لترويج اللغة الألمانية ويخصص حوالي (٥٠٠) مليون مارك ألماني لهذا الغرض، كما أنشأت (إيرلندا) وكالة اللغة الإيرلندية، وقد وفرت هذه الوكالة أموالاً ضخمة لعلاج المواقف من الإيرلندية عن طريق حملة دعاية بدأت في العام ١٩٧٨ في الصحافة والإذاعة والتلفزة وبلوحات الإعلانات، وقد نظمت الحملة وكالة إعلان حول موضوع رئيسي هو (لغتنا جزء من كياننا).

وقد وعدت (فرنسا) بإلغاء (١٦) مليار فرنك من الدين على دول أفريقية مقابل أن تستمر تلك الدول في ضمان الدور المتفوق للغة الفرنسية في الحكومة والتعليم، ومما يجدر ذكره أن في فرنسا (٥٢) جمعية لحماية اللغة الفرنسية وبإشراف الرئاسة الفرنسية، كما قامت مثل هذه الحملات لحماية اللغة القومية في كل من أندونيسيا وسنغافورة.

٣- تطوير اللغة القومية وتيسير قواعدها النحوية والإملائية بهدف تسهيل تعلمها، ومن هذا القبيل ما فعلته (اليونان) التي طورت لغتها بإدخال (نظام الكتابة الرتيبة) الذي خفض زمن الكتابة بنسبة ٥٣%، وأمكن تقليل زمن تعلم اللغة الأم بشكل كبير، كما قامت كل من ألمانيا وهولندا والداغمارك بمشاريع لإصلاح الكتابة الإملائية، وعقدت لهذا الغرض ملتقيات ومؤتمرات عدة.



التعريب في مواجهة الغزو الثقافي واللغوي

كانت تلك أهم الأساليب التي اتبعتها بعض الأمم لمواجهة الغزو الثقافي عامة واللغوي منه خاصة، أما نحن العرب فلدينا بالإضافة إلى ما سلف أسلوب آخر أهم منها جميعاً، بالنسبة للغتنا وثقافتنا، وهو (التعريب). والذي نعنيه بالتعريب هنا هو التعريب بمفهومه الشامل الذي يعني جعل العربية لغة تعليم وغدارة ومحيط، وترجمة العلوم والآداب إليها، ولئن كان التعريب في مطلع القرن العشرين وسيلة لاستكمال أسباب الاستقلال والسيادة.

إنه الآن وفي مطلع القرن الحادي والعشرين وسيلتنا الأكثر فعالية للحفاظ على لغتنا التي هي هويتنا، وصوتها من الذوبان في أتون الغزو الثقافي واللغوي العولمي الذي يتهدد الأمم كافة، وفي مقدمتها الأمم الأضعف كما هي الحالة مع الأمة العربية اليوم.

إن العودة إلى طرح مسألة التعريب بعد العام ألفين والحديث عن مسوغاته يجسد مأساة أمة لم توفق في إنجاز أي من قراراتها المصيرية، ففي سنة (١٩٧٥) أطلقت الجامعة العربية شعار: (العربية لغة العلم عام ٢٠٠٠)، ووضعت مؤسساتها الثقافية وعبر مؤتمرات عدة، أكثر من خطة للوصول إلى ذلك الهدف، ويبدو أن الدول العربية لم تستطع الوفاء بالشعار الذي رفعته جامعة الدول العربية منذ ربع قرن، وأن التقدم في ميدان تعريب التعليم الجامعي في الوطن العربي، على الرغم من عشرات المؤتمرات والقرارات والتوصيات التي صدرت حول هذا الموضوع بدءاً من قيادات سياسية عليا وانتهاء بلجان خبراء متخصصين.

وأيا كانت حصة التعريب في الوطن العربي وأياً كانت العقبات الموضوعية أو المفتعلة التي يواجهها فلا مناص من الاعتراف أخيراً بأن مستقبل ثقافة عربية أصيلة وفعالة ومنتجة هو مرتبط بتعريب التعليم والعلوم والإدارة ارتباطاً وثيقاً لا انفكاك لعراه، وللتدليل على ما ذهبنا إليه نذكر بحقيقتين:

الأولى- أنه لا ثقافة عربية بغير اللغة العربية:

قد يتوهم بعضنا أن من الممكن أن يكون لنا ثقافة عربية مميزة ولو كانت بغير العربية، لأن المهم في الثقافة هو محتواها وليس لغتها، وذلك قول داحض لا يؤيده الواقع، وأقرب مثال على ذلك: أن الإنتاج الثقافي الذي كتبه المسلمون من غير العرب يعد من الثقافة العربية مع أن أصحابها غير عرب، وما ذلك إلا أنه كتب باللغة العربية، كما هي حال مؤلفات ابن سينا والخوارزمي والرازي، في حين يعد كتاب (النبي) لجبران من قمم الثقافة الإنجليزية وليس العربية، بخلاف الأدب المهجري الذي أنتجه زملاء جبران من الأدباء العرب في أميركا والذي يعد من صميم الثقافة العربية، مع أنه كتب بعيداً عن الأرض العربية، ولكن باللغة العربية،

كما أن الكُتاب الأفارقة الذين يكتبون باللغة الفرنسية يحسبون على الثقافة الفرنسية لا الثقافات الأفريقية التي ينتمون إليها.

الثانية- أن اللغة العربية ليست أداة تعبير وتواصل فحسب:

بل هي وسيلة التفكير ووعائه، وحاضنة القيم والمعتقدات، ويعسر التفكير والتعبير عن قيم أمتنا بغير لغتها، بل إن التفكير بغير العربية يوقع أصحابه بمحاذير خطيرة، إن عناوين من مثل (المساكنة والشرق أوسطية، والمثلية السامية)، إنما جاءت بتأثير من التماهي في الثقافة الغربية ولغاتها، ومعظم الذين يروجون لها هم ممن تطغى اللغات الأجنبية على تكوينهم الثقافي.

فإذا كان الأمر على ما قدمنا من تلازم بين اللغة العربية والثقافات العربية، فإننا نرى أن المدخل إلى الحفاظ على الخصوصية الثقافية العربية هو الحفاظ على اللغة العربية وتنميتها وتطويرها.

وتنمية اللغة العربية وتطويرها مرتبطان حتماً بنجاح التعريب الذي ليس هو وسيلة لتوطين العلم وتعميمه وتعميقه في التربة العربية فحسب، بل هو الطريق الوحيد لتنمية لغتنا وتطويرها، بما يفرضه هذا التعريب من استحقاقات ويقتضيه من متطلبات أهمها:

أ- قيام حركة ترجمة واسعة تشمل النقل من مختلف اللغات الحية:

بداية عصر النهضة الحديثة، لتوفير الكتب والمراجع العلمية اللازمة لطلبة المدارس المتخصصة والكليات العلمية في مصر والشام، إذا ترجم في مصر ما بين سنتي (١٨٢٢ و١٨٣٥) ما يزيد على مئتي كتاب في مختلف العلوم الأساسية والتطبيقية من هندسة ومعادن وطب وفيزياء ورياضيات.

وما زال تعريب العلوم هو الدافع الأول للترجمة العلمية، لأن الذي يقوم عليه هو مؤسسات علمية بحثية بالمقام الأول.

لقد ترجمت وزارة التعليم العالي في سورية حتى عام (١٩٩٦) ثلاثة وتسعين كتاباً علمياً في العلوم الأساسية والتطبيقية، وترجم مركز المطبوعات الجزائري نحو خمسين كتاباً، والمركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق نحو ثلاثة وخمسين كتاباً، ومثلها المركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية في الكويت، وكذلك مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ومجمع اللغة العربية الأردني.

ولابد من الاعتراف بضعف حركة الترجمة العربية الثقافية عامة والعلمية خاصة، حيث يصنف العرب في مؤخرة الترتيب العالمي.

إذ يترجم العرب (٢٨٥) كتاباً في السنة في حين تترجم تركيا وحدها (١٠٠٠) كتاب وروسيا (٧٠٠٠) كتاب.

ولكن حتى هذا الترتيب المتأخر، وهذا العدد المتواضع كان سيبدو أسوأ بكثير لو لم يكن لدينا حركة تعريب، إن حركة التعريب هي التي تتحمل وحدها الآن عبء الترجمة إلى العربية.

ب- وضع المصطلحات العلمية: ومن أهم مستلزمات الترجمة المصطلح العربي المقابل للمصطلح الأجنبي، ولذلك نشطت المؤسسات اللغوية والأفراد لوضع المصطلحات العلمية التي بلغت ما يزيد على خمسمئة ألف مصطلح هي الآن قيد التداول والاستعمال في كتبنا العلمية والأدبية، والمنهجية والمرجعية، وهذا يعني أن ثروتنا اللغوية قد ازدادت إلى حد كبير، وإذا كنا نعم اليوم بفهم المواد العلمية والطبية التي تقدمها البرامج التلفزيونية والإذاعية فما ذلك إلا لتوفر المصطلحات التي مكنت الباحث من تحرير المادة العلمية، ثم مكنت المشاهد من فهمها والإفادة منها.

ونحن نسأل:

— أليست زيادة الثروة اللفظية والطاقة التعبيرية للعربية واحدة من أهم عوامل تنميتها وجعلها حية مواكبةً لمستجدات العصر؟

- أليست حيوية اللغة واستمرارها ضماناً لمستقبل الثقافة التي تكتب بها؟

- وهل من الممكن تصور ثقافة عربية معاصرة بغير لغة عربية متطورة؟

ج- تنشيط المعجمية المتخصصة: تمخض العمل المصطلحي الذي تطلبه حركة التعريب عن مئات الألوف من المصطلحات في فروع علمية متنوعة، وصار الرجوع إليها في صفحات المجلات الجمعية والدوريات متعذراً، مما دفع إلى جمعها في معاجم متخصصة بحسب فروع العلم، وقد بلغت تلك المعاجم حتى سنة (١٩٨٩) بحسب بعض الباحثين (٩٦٠) معجماً منها (٦٤) معجماً في الطب و(٥٥) في الهندسة و(٤٥) في القانون و(٣٥) في الزراعة، (٢٢) في الفيزياء و(١٥) في الرياضيات.

شارك في تصنيف هذه المعاجم: مؤسسات قومية كالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم واتحاد الأطباء والمهندسين، كما شاركت مؤسسات أجنبية ودور نشر خاصة وأفراد من المعجميين.

وقد أوقع هذا العدد الكبير من جهات الوضع والتصنيف في إشكالية تعددية المصطلح العلمي، مما دفع إلى إنشاء مكتب تنسيق التعريب الذي أوكل إليه مهمة توحيد المصطلح العلمي العربي وجمعها في معاجم موحدة قاربت إلى الأربعين معجماً حتى الآن.

وقد حرضت عملية توحيد المصطلح العلمي العربي على دراسات وبحوث لسانية بهدف الوصول إلى منهجية محددة لتوحيد المصطلحات وتنميتها.

وأياً كان حظ تلك المعاجم الموحدة من النجاح، فلا يسع المرء إلا الإقرار بأن ذلك النشاط المعجمي واللساني والمصطلحي، إنما قام بتأثير من حركة التعريب، وكانت نتائجه إسهاماً فعالاً في التنمية اللغوية والثقافية.

د- التأسيس للغة علمية عربية: استجابة لمستلزمات التعريب واستحقاقاته، قام إلى جانب حركة الترجمة والاصطلاح والمعجمية حركة تأليف علمي تناولت الكتاب المنهجي والمرجعي.

وعلى سبيل المثال: نذكر أن عدد الكتب العلمية المؤلفة في الجامعات السورية بلغ (٦٩٩٣) كتاباً في العلوم الأساسية والتطبيقية، ويمثل هذا العدد ٧٠% من مجموع الكتب المنهجية، في حين تمثل الكتب الأدبية ٣٠% منها كما نذكر أن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي نشرت حتى سنة (١٩٩٤) واحداً وتسعين كتاباً علمياً مؤلفاً، ونشر كل من المركز العربي للتعريب والترجمة والنشر بدمشق، والمركز العربي للوثائق والمطبوعات الصحية بالكويت عشرات الكتب العلمية المؤلفة بالعربية.

لقد أدت حركة التأليف العلمي بالعربية على ضعفها واقتصارها على عدد محدود من الأقطار العربية إلى ظهور لغة علمية عربية قوامها الكلمة السهلة المألوفة والمصطلح العلمي الدقيق، والرمز العلمي المناسب، والجملة الواضحة والعبارة الموجزة.

وقد أسهم في التأسيس لهذه اللغة العلمية العربية الندوات واللقاءات التي عقدت لهذا الغرض.

وغني عن البيان أنه لولا حركة التعريب لما كانت لنا لغة علمية أو على الأقل مشروع لغة علمية عربية. ونسأل مرة أخرى:

- أليس وجود لغة علمية عربية من أهم الضمانات لمستقبل ثقافة عربية؟

- وهل يتصور المرء وجود ثقافة عربية فعالة ومعاصرة دون لغة علمية يطورها التعريب؟

هـ- حوسبة اللغة العربية: بفضل حركة التعريب عامة، وتعريب علم الحاسب والمعلوماتية خاصة، أمكن استخدام هذه الآلة الجبارة في خدمة اللغة العربية، بعد أن بذلت جهود مضيئة لتطويع اللغة العربية للتعاطي مع هذه التقانة العالمية المتطورة وقد أقيمت ندوات ومؤتمرات للغويات الحاسوبية كان آخرها في دمشق سنة (١٩٩٦) وقد انصبت معظم أبحاث تلك المؤتمرات على الترجمة الآلية والفهم الآلي للكلام وصناعة المعاجم.

كما نشطت في هذا الميدان حركة تعريب البرمجيات بنقل ما يمكن نقله منها إلى العربية، وفي إطار حوسبة اللغة العربية أنشئت مصارف المصطلحات العربية، وأهمها (البنك الآلي السعودي للمصطلحات باسم) الذي جعل من أهدافه إعداد معجم آلي لخدمة الترجمة العلمية والتقنية، ويضم هذا المعجم ما يزيد على أربعمئة ألف

مصطلح علمي، ولولا التعريب لما أمكن أن تعمّم معظم الدول العربية تعليم الحاسوب في مدارسها المتوسطة والثانوية، حيث لغة التعليم هي العربية فقط.

نعم هذا ما أنجزه التعريب:

- مصطلح علمي كافٍ إلى حد مقبول.
- أساس للغة عربية علمية.
- حركة ترجمة متواضعة.
- نشاط معجمي متنام.
- حوسبة للغة العربية وإدخالها ميدان المعلوماتية.

لقد حقق التعريب هذه الإنجازات اللغوية الهامة في أجواء حملات ظالمة من تحفظ المتحفظين ومعاداة المعادين.

فكم كانت ستعظم هذه الإنجازات لو أن التعريب سار بخطى حثيثة وثابتة على امتداد الوطن العربي؟ نخلص من كل ما سبق إلى أن مكونات الثقافة جميعها من قيم ومعتقدات، ومن إنتاج علمي وأدبي، لا يمكن أن تكون عربية وفعالة ومبدعة إلا إذا كُتبت ونُشرت وأنجزت باللغة العربية، الأمر الذي لا يتحقق إلا بالتعريب.

تلك الجبهة المنسية من جبهات نزلنا مع الثقافات الأخرى، لتضمن لثقافتنا مشاركة معقولة في الحضارة الإنسانية، لأنه لا مستقبل لثقافة لا تقدم إسهاماً مقبولاً في حضارة عصرها.

ولذلك فإننا نرى:

١- إن مطلب المباشرة في تطبيق التعريب قد أصبح مطلباً ملحاً غير قابل للتأجيل بعد كل تلك الأبحاث والندوات، وفي ضوء اعتماد الأمم كبيرها وصغيرها اللغات القومية في تدريس العلوم الحديثة بجامعاتها دون تردد أو تسويق.

٢- إن على دعاة التعريب وأنصاره العمل على تسييس مسألة التعريب، وذلك بالنضال لإدخالها في برامج الأحزاب العربية والمنظمات والهيئات الجماهيرية، لأن التعريب لا يمكن أن يأخذ طريقة إلى الواقع إلا بصورة قرار سياسي من الدول العربية، وبتشريعات وقوانين ملزمة للتنفيذ.

(ولقد ترددت مراراً في أوساط المثقفين العرب فكرة الحاجة إلى عقد مؤتمر قمة عربي يكون مخصصاً لبحث وتقرير القضايا الثقافية والحضارية الملحة التي تمم الأمة العربية في مسيرتها الراهنة)، والتي سيكون التعريب في المقدمة منها، بل أن الرئيس الجزائري الأسبق هواري بومدين _رحمة الله_ كان متقدماً في هذا الطرح حتى على المثقفين

العرب، إذ (بيّن أن هذا الموضوع _أي التعريب_ له الشأن الأول في حياة الأمة وثقافتها ووجدانها، وأنه سيعرضه في أول اجتماع يعقد لمؤتمر القمة).

٣- إن من أنبل مهام المثقفين العرب والكتاب واتحاداتهم أن يُزكّوا في القراء والناشئة احترام لغة الأمة وثقافتها (وأن يعودوا بالغيرة على العربية إلى ما كنا عليه قبل خمسين عاماً) بل قبل قرن من الزمان، عندما كانت الغيرة عليها والانتصار لها والمطالبة باستعمالها شعار الأمة.

٤- إن الأصل في كل قضايا الحضارية ومنها مواجهة العولمة الثقافية هو الإنسان العربي الحر المبدع المؤمن بأتمته ماضياً حاضراً ومستقبلاً، ودون بناء هذا الإنسان يصعب على المرء تصور مستقبل مضيء لثقافة عربية ٩٨.



ضرورة التعريب العلمي

المفروض أن جهود العلماء في نشر التراث العلمي لعصر ازدهار الحضارة الإسلامية، واستكمال الحركة العلمية في التأليف والترجمة لمطلع العصر الحديث في النصف الأول من القرن الماضي، كانت موجهة إلى تمكين اللغة العربية من استرجاع مكانها في تدريس العلوم والتأليف فيها، ونقل كل جديد مستحدث إلى المكتبة العلمية العربية.

لكن الذي حدث هو أن الكليات العلمية في جامعاتنا ظلت بمعزل عن كل تلك الجهود، وتابعت تدريس الطب والهندسة والطبيعات وكأن الجامعات في وادٍ وجهود العلماء والهيئات في تعريف العلوم الحديثة ومصطلحاتها في وادٍ آخر.

باستثناء كلية الطب في الجامعة السورية، التي تأسست في دمشق سنة ١٩١٩، في عهد الملك فيصل الأول، باسم المعهد الطبي العربي لتحل محل كلية الطب التركية، وصممت من عام تأسيسها على تدريس العلوم الطبية بالعربية.

وكان مجلس أساتذتها أشبه بمجمع لغوي، تدارسوا فيها المصطلحات التي جاءت في تراثنا من مكتب الطب، وفي الكتب المصرية التي ألفها علماءنا، في عهد محمد علي، والكتب التي ألفها أساتذة الطب في جامعة بيروت قبل أن تهجر العربية إلى اللغة الإنكليزية.

واستطاع أساتذة دمشق أن يؤلفوا كتباً عربية قيمة في فروع الطب المختلفة، وفي الكيمياء والفيزياء والرياضيات وكل فروع المعرفة والتخصصات العلمية،

فألف الدكتور مرشد خاطر سفيراً في علم الجراحة من ستة مجلدات، وأوجزها في مجلدين.

وألف الدكتور أحمد حمدي الخياط كتاباً في علم الجراثيم.

والأستاذ محمد جميل الخاني في علم الطبيعة.

والدكتور حسني سبيح في الأمراض الباطنية (٧ مجلدات).

والدكتور محمد صلاح الدين الكواكي في الكيمياء.

ولكن هذه التجربة الناجحة في العربية لم تتكرر، بل لم تستطع، بعد أن طال بها الزمن أربعين عاماً، أن تقنع جامعات مصر وبيروت والخرطوم بتعريب كلياتها العلمية.

وكانت المفارقة العجيبة أن جامعة الأزهر، أعرق جامعة إسلامية، وجامعة الرياض، عاصمة الجزيرة العربية، اعتمدتا اللغة الإنكليزية للتدريس فيما استحدثناه من كليات علمية.

وبدا كأن قضية العربية وعلوم العصر، قد وصلت إلى باب مسدود، ثم كان الفصل الأخير من هذه القصة المعقدة، رسالة من موسكو تحمل مجموعة من الكتب العلمية الحديثة مطبوعة بالعربية الفصحى في دارمير للطباعة سنة ١٩٦٨!

ولم نسمع أن لجاناً عقدت لبحث مشكلات هذا التعريب، أو أن جدلاً أثير حول صلاحية اللغة العربية لاستيعاب علوم العصر!

وإنما خرج كل كتاب يحمل اسم العالم الذي ألفه:

ف. تسيجيلسكي: اللحام الكهربائي.

س. فومين: المرجع لملاحظي عمال الخراطة والعمال الفنيين.

ماليشيف، ونيكولايف، وشوفالوف: أسس الميكانيكا العملية.

أفروتين: أسس تشغيل المعادن.

جلاجوفا: الدوال ومنحنياتها.

ما أقسى الدلالة التي تعطيها هذه الكتب العلمية المطبوعة بالعربية في موسكو بعد كل ما تضخم به

رصيدنا من تقارير اللجان ومؤتمرات الجامع وجهود العلماء، على امتداد نصف قرن من الزمان!

وما أبلغ هذا الفصل الختامي لما طال جدلنا فيه وتعددت أزمئنا به، لقد بدأت القضية: بعزل الاستعمار لغتنا عن العلم، ثم الدعوة إلى هجر لغتنا واستعارة الإنكليزية أو الفرنسية للعلوم الحديثة.

وكأن هاتين اللغتين دون الألمانية أو الروسية أو اليابانية مثلاً، هما المفتاح السحري لكنوز العلم، وانتهت

بكتب (دارمير) للطباعة في موسكو، في عصر غزو القمر، فأين نحن من البداية والنهاية؟ وحين أقول:

انتهت القصة، فإني أعني أنها انتهت، أو يجب أن تنتهي، من حيث هي قضية لغوية ظلت مطروحة أكثر

من نصف قرن، تواجه الأمة العربية بدعوى عجز لغتها القومية عن أداء العلوم الحديثة وقصورها عن نقل

علوم العصر، وتلقى عليها تبعة تخلفنا العلمي وفاقتنا الثقافية.

ويبقى أن يلتمس الباحثون أسباباً أخرى لاستمرار عزل اللغة العربية عن معاهدنا العلمية العالية، بعد أن

خرجت دعوى عقم لغتنا وعجزها، من مجال الخصومة والجدل، وظهر بوضوح أننا في تبرير موقف جامعاتنا

بهذا العقم في العربية، والتماسنا شتى الوسائل لعلاجها، كنا كمن يحرث في البحر.

وإذا كانت العربية قد صمدت لكل هذه الحملات الضارية التي جاءت من الأجناب الغرباء ومن أبنائها

المغتربين، تحاربنا باللهجات العامية حيناً وبالخط اللاتيني حيناً آخر، وتتهمها بالبداءة والعقم فتعزلها عن

الميدان العلمي لتظل نائية بما عن روح العصر.

أقول إذا كانت العربية قد صمدت لهذه الحملات، فلأنها دون ريب تملك من القوة والحيوية والصلاحية للبقاء، ما قاومت به من محاولات المسخ ورفضت نبوءة المنتبئين لها بالموت **فالعجز** يكمن في تخلفنا خاصة على **المستوى النفسي** حيث الشعور بعقدة النقص فيجب أن نغير أنفسنا بإتجاه الفاعلية والإنتاجية والإيجابية ولا نتهم لغتنا العربية التي هي مصدر اللغات العالمية قاطبة^{٩٩}.

المراجع والهوامش:

- ١- خصائص العربية المعاصرة، محمد حسن عبد العزيز، اللسان العربي، عدد ٤٥/١٩٩٨م، مكتب تنسيق التعريف، الرباط صفحة ١٤٩.
- ٢- خير الكلام في لغة الأعلام، ياسر المالح، مجلة مجمع اللغة العربية، دمشق م ٧٤، ١٩٩٨م ص ٦٠٣.
- ٣- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لاروس ١٩٨٩م، أو المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية، دار المعارف في مصر ١٩٧٢.
- ٤- لسان العرب، ابن منظور، دار صابر للطباعة، بيروت، ١٩٦٨م وتاج العروس، الزبيدي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ابن غازي (د.ت).
- ٥- خصائص العربية المعاصرة، محمد حسن عبد العزيز، اللسان العربي، ع ٤٥، مكتب تنسيق التعريف الرباط ١٩٩٨ ص ١٤٨.
- ٦- من هؤلاء سلامة موسى، وعبد العزيز فهمي، وسعيد عقل، ومولود معمري وأنيس فريحة، ومن المستشرقين ولهم أثبت ووليم ولكوكس وغيرهم أنظر: حصاد الفكر العربي في اللغة العربية، مؤسسة ناصر للثقافة، ١٩٨١م ص ٢١، ما بعدها.



٩٩- مجلة الثقافة، دمشق، مؤسسها: مدحة عكاش، شعبان ١٤٢٤هـ / تشرين أول ٢٠٠٣م، اللغة العربية وعلوم العصر، د. عائشة عبد الرحمن، ص ٥٠-٥٦ (بتصرف).

الإسلام منطلق العلم والبحث

وفي طمأنينة واثقة من تأييد العقيدة الإسلامية للعلم وتمجيدها للعقل انطلق علماء الدولة الإسلامية ينظرون في **الظواهر الكونية** بعقلية متحررة من الخصومة العتيقة المبررة بين العلم والدين، فلم يمض قرن على **تعريب التراث القديم** حتى قدّم هؤلاء العلماء جديداً أصيلاً من العلوم الطبيعية والرياضية، ودخلوا التاريخ العلمي رواداً لآفاق لم يستشرف لها من قبلهم.

ومن القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي بدأت **المكتبة العربية** تتلقى أوليات الكتب العربية التي ألفها أولئك الرواد.

فاستطاعت لغتنا أن تؤدي كل مصطلحات العلوم الرياضية في الحساب والجبر والهندسة والفلك، وأن تطوع المصطلحات العلمية في الطب والصيدلة والكيمياء والطبيعة والنبات والحيوان والجغرافيا، كما تلقت المراصد الفلكية والمعامل التجريبية، الأجهزة العلمية التي اخترعها علماءنا الذين تم على أيديهم نقل العلوم الطبيعية والفلكية إلى مجال **البحث العلمي التجريبي**، وكانت في التراث البابلي مختلطة بالسحر، وفي المدارس اليونانية داخلية في نطاق البحوث العقلية والدراسات النظرية والفلسفة التأملية.



الحضارة العربية الإسلامية مرتكز الحضارة المعاصرة

إن المؤرخين الغربيين للحضارة والعلم، قد شهدوا بأن المرحلة الرائدة لعصر العلم الحديث تمت على أيدي علمائنا في العصر القيادي للحضارة الإسلامية، واعترفوا بأن حركة الإحياء (الرينيسانس) التي بدأت أساساً على ما انتقل إلى الغرب الأوربي من تراثنا العلمي الحضاري، على المعابر التاريخية الكبرى في العصر الوسيط الأندلس وصقلية.

كما شهدوا بأن علوم الطب والرياضيات والفلك والكيمياء، سارت في الغرب الحديث على الدروب التي عبدها رواد هذه العلوم من أعلام الدولة الإسلامية، وقد ثبت تاريخياً أن أكثر مؤلفاتهم العلمية والفلسفية كانت تدرس في جامعات أوروبية إلى القرن السابع عشر، في أصولها العربية أو مترجماتها اللاتينية التي تنابت من القرن الثالث عشر الميلادي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر:

— يقرر تاريخ العلم أن رسالة جابر بن حيان (ت ١٩٨هـ) التي ألفها في الكيمياء باللغة العربية في القرن الثاني الهجري، عرفت أوروبا في نصوصها العربية وترجمات لاتينية ثم ألمانية (هولميارد Holmyard ١٦٧٨م) ثم ترجمها إلى الإنكليزية (ريتشارد راسل R.Russel في طبعة لندن ١٩٢٨).

— وكتاب حساب الجبر والمقابلة الذي ألفه أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي (ت ٢٣٦هـ) في أوائل القرن الثالث الهجري، نقله (جيرار الكرموني) على اللاتينية في القرن السادس عشر الميلادي، ثم نشر (روزن F.Rosen) نصه العربي مع ترجمة إنكليزية في طبعة لندن ١٨٥٠.

ونشر ناجل (A.Nagel) ترجمة الأبواب الخاصة منه بالحساب كما وضع (جاندر S.Gandz) كتاباً عن مصادر جبر الخوارزمي.

— وكتاب (الخواوي لصناعة الطب) الذي ألفه طبيبنا أبو بكر الرازي (ت ٣١١هـ) من علماء القرن الثالث الهجري، تحمل أقدم نسخة عربية منه في أوروبا، تاريخ سنة ١٢٨٢ بمخطوطات المكتبة الوطنية في باريس (الناسيونال) وترجمة إلى اللاتينية جيرار الكرموني عام ١٤٨٦ ونص (رينو) في ترجمته الفرنسية لكتاب إدوار براون الطب العربي على أن كتب الرازي التي ترجمت إلى اللاتينية بلغت خمسة وعشرون جزءاً.

والجزء الخاص منه بالتشريح، والمعروف بالمنصوري أهدها إلى المنصور بن اسحاق والي خراسان نشرت ترجمته في طبعة ميلانو ١٤٨١م، ثم نشره (كونينج P.Koning) مع أجزاء من كتاب (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن عباس والقانون لابن سينا في طبعة ليدن سنة ١٩٠٣، وترجمه (برونر W.Bronner) إلى الألمانية في طبعة برلين ١٩٠٠.

ورسالته في الجدري والحصبه وترجمها (فالا E.Falla) إلى اللاتينية طبعة البندقية عام ١٤٩٨م، و(جاك جوبيل J.Goupyl) إلى اليونانية في عام ١٥٤٨م وترجمة إلى الفرنسية (جاك بوليه J.Poulet) في طبعة باريس ١٨٦٦م، و(لوكلير، ولينوار Leclere lenoir) في طبعة باريس سنة ١٨٦٦.

ونشر (جرينهل W.Greenhill) نصه العربي مع ترجمة إنكليزية في طبعة لندن ١٨٤٨م، كما نشر النص العربي مع ترجمة فرنسية عام ١٨٩٦م، وترجمة (كارل أوبنز K.Opitz) إلى الألمانية في طبعة ليزج ١٩١١م.

— وكتاب **علي بن العباس** (ت٣٨٣هـ) **كامل الصناعة الطبية** الذي ألفه بالعربية في القرن الرابع الهجري، ترجم إلى اللاتينية في طبعة البندقية سنة ١٤٩٢م، ثم في طبعة ليدن سنة ١٥٢٣م.

— و**بصريات الحسن بن الهيثم** (ت٤٢٢هـ) التي ألفها بالعربية في كتاب من سبعة أجزاء بعنوان **(المناظر)** عرف مع غيره من مؤلفات **لابن الهيثم** في ترجمات لاتينية بالعصور الوسطى، ونشر (ريزнер Risner) ترجمة كاملة له بأجزائه السبعة عام ١٥٧٣م.

كما نشر (كارل شوي K.Schouy) بالألمانية علم ١٩٢٠ رسالة **ابن الهيثم في استخراج القطب**.

- وكتاب **(الأدوية البسيطة) للطبيب الأندلسي ابن الوفد** نشرت ترجمته اللاتينية نحو خمسين مرة!

— وكتاب **(التصريف) للطبيب الأندلسي أبي القاسم الزهراوي** (ت٤١١هـ) ترجم إلى اللاتينية في طبعة البندقية سنة ١٤٩٧م ثم في طبعين ستراسبورج سنة ١٥٣٢م، وبال ١٥٤١م، والجزء الخاص منه بالجراحة كان أساساً للتعليم الجراحي بأوروبا لبضعة قرون.

وقد نشر نصه العربي مع ترجمة لاتينية في طبعة أكسفورد سنة ١٧٧٨م.

— و**قانون (الشيخ الرئيس ابن سينا)**، **أبي علي الحسين** (ت٤٢٨هـ) في **الطب المؤلف بالعربية** في أوائل القرن الخامس الهجري، من خمسة أجزاء، ترجمه إلى اللاتينية (حيرار الكرموني) ونشر في طبعات ميلانو ١٤٧٣م، و(بادوا Padoa) ١٤٧٦م، والبندقية ١٤٨٢م، ثم أعيد طبعه حتى بلغت طبعاته العشرين في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ونشر نصه العربي في روما سنة ١٥٩٣م.

— وكتاب **(الشريف الأدريسي)** (ت٤٥٧هـ) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** الذي ألفه قس صقلية، في القرن الخامس الهجري كان المرجع الجغرافي الأول في **عصر النهضة**، ونشرت أجزاء منه في لندن سنة ١٨٦٦م، وفي روما مع ترجمة إيطالية سنة ١٤٤٣م، وفي مدريد سنة ١٩٠١م.

وترجمه (دي ويه ودوتز R.Doiz.M.D.Joeje) إلى الألمانية في طبعة أويسالا سنة ١٨٩٤م.

- و**مفردات (ابن البيطار)** (ت٦٤٦هـ) في الأدوية، التي ألفها بالعربية في كتابه **الجامع في الأدوية المفردة** في أوائل القرن السابع الهجري عرفت في نصها العربي بأوروبا في **عصر النهضة**، وترجمت إلى اللاتينية قبل أن

ينقلها (فون زونتهايمر) إلى الألمانية في طبعة (شوتجارت) (١٨٤٠-١٨٤٢م)، و (لوكلير) إلى الفرنسية في طبعة باريس (١٨٧٧-١٨٨٣م).

ثم لا أمضي في سرد ما أحيا الغرب من ذخائر تراثنا العملي الذي صدَّ عنها المتفرنجين من مثقفينا، كونها من حفريات ماضٍ غبر، ومخلفات موتى أفناهم البلى، في الوقت الذي يشهد فيه مؤرخو الحضارة الغربيون، من أمثال:

سارتون، وويل ديورانت، والدوميلي، ونلليو وأماري، وآدم ميتز، ولوبون، ودي بور، وأوليري، وبراون، وكراشكوفسكي، وتويني وسيجيريد هونه..

أن هذه الذخائر في أصولها العربية وترجماتها اللاتينية، هي التي أضاءت للغرب مساره من ظلمات العصور الوسطى إلى عصر النهضة والعلم الحديث.

وأدع تاريخ العصر الوسيط، فأرى لغتنا العربية قد سايرت التقدم العلمي فاستطاعت في فجر العصر الحديث عندنا، أن تأخذ دورها في مدارس العلوم العسكرية والهندسية والطبية والزراعية، في أوائل القرن الماضي.

وحين اقتضت ظروف المرحلة الاستعانة بأساتذة من علماء فرنسا، (كلوت بك) الطبيب، والدكتور (فيجري) عالم النبات، كان المترجمون يعربون مؤلفاتهم، ويحضرون معجم في قاعات الدرس لترجمة دروسهم إلى اللغة العربية التي ظلت لغة التعليم الرسمية إلى بداية عصر الاحتلال، ولم يفكر أعضاء البعثات العلمية الأولى (من العرب) الذين أوفدوا إلى فرنسا لدراسة العلوم الحديثة، عند عودتهم إلى بلادهم، من أن يلقوا دروسهم على طلاب المعاهد العربية العليا بلغة أجنبية، بل قدموا إلى مكتبتنا رصيذاً ذا بال من معرباتهم ومؤلفاتهم.

ألف الجراح الشهير (محمد علي البقلي) كتباً عربية في الجراحة، و(محمد الشافعي) في الأمراض الباطنية، و(محمد ندى) في النبات والحيوان والجيولوجية والطبيعة، والصيدي (علي رياض) في الصيدلية والسموم، و(محمد الدري) في الجراحة والأمراض الباطنية، و(سالم سالم) في الطب الباطني، و(محمود الفلكي) في التقاويم والمقاييس والفلك، و(محمد بيومي) في الحساب والمثلثات والهندسة الوصفية.

وشارك علماء اللغة في هذه النهضة العلمية، فكان منهم خبراء متخصصون في تحرير الكتب العلمية وتصحيحها، منهم:

(محمد عمر التونسي) مؤلف معجم الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية، و(إبراهيم الدسوقي) الخبير بمصطلحات العلوم الرياضية، و(رفاعة رافع الطهطاوي) و(أحمد فارس الشدياق) و(المعلم بطرس البستاني) في ألفاظ الحضارة والفنون.

وكان تراث هذا الجيل من العلماء المصريين، بين أيدي المستشرقين العلماء الذين وفدوا على الشام في النصف الثاني من القرن الماضي، وشاركوا في هذه النهضة العلمية بتدريس العلوم الحديثة والتأليف فيها بالعربية، وقد اشتهر منهم:

- الدكتور (كورنيليوس فانديك): الذي درس في بيروت بالعربية الكيمياء والجويات وعلم الأمراض، وعرفت مؤلفاته العربية الباثولوجية في: مبادئ الطب البشري، والنقش في الحجر في تسع مجلدات صغيرة، كل مجلدة منها موجز في علم من العلوم الحديثة: (كالكيمياء والطبيعة والنبات والجيولوجية والفلك والجغرافية الطبيعية)، وله كتب عربية أخرى في الرياضيات، وأصول الجبر، وأصول الهندسية، وأصول علم الهيئة، ومحاسن القبة الزرقاء، في الفلك.

- و(الدكتور جورج يوسف): قام بتدريس الجراحة والمواد الطبية والنبات باللغة العربية.

ومن مؤلفاته فيها: (المصباح الوضاح في صناعة الجراح)، والأقرباذين والمواد الطبية، ومبادئ التشريح والصحة والفسولوجية، وكتاب من جزأين في مبادئ علم النبات، وقد ألف معجماً قيماً باللغة الإنكليزية في (نبات سورية وفلسطين والقطر المصري وبواديها)، وذيله بفهرس للأسماء العربية، فصحى أو عامية، لمصطلحات المعجم، عددها نحو ألف وخمسة اسم.

- و(الدكتور يوحنا ورتبات): علم في كلية بيروت، التشريح والفسولوجية بالعربية، وألف بها: كتب التشريح، والفسولوجية، وحفظ الصحة، ورسائل عديدة في مسائل طبية، ولا أثر من هذا الجهد السخي المبذول يصل إلى حياتنا العلمية، ودعونا من حياتنا العامة التي التقطت من بعض مصطلحات المعجمين، ما اتخذت منه موضوع فكاهة ومادة تندر.



أزمة المصطلحات الشاملة

(السياسة والإنسان والعالم)

(كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته) حديث نبوي شريف

- أزمة المصطلحات لماذا؟

- **دعونا من السياسة أنا لا أحب السياسة**، كثيراً ما يجري الحديث عن الهم الوطني في الواقع العربي المر وعن ترابط مشكلاته، كأسباب ذاتية وخارجية.

وكحلول تحريرية وأمنية وتنموية وثقافية وديمقراطية، من شأنها خلق القوة العربية الذاتية الرادعة وتفعيل مؤسسات المجتمع المدني وضممان حقوق الإنسان فيه.

أو عن إشراق صفحة بطولات وانتصارات المقاومة في فلسطين وجنوب لبنان ودور الصمود السوري اللبناني في حفظ بعض ما تبقى من الكرامة العربية، وعن أولوية دور الشعور بالانتماء والإدراك لمعطيائها ولمستلزمات المواطنة وبناء الإنسان وتحديث المجتمع والدولة.

فيفاجئك البعض بالقول: (دعونا من السياسية، أنا لا أحب السياسة).

وكثيراً ما يتحول الحديث ليعبر عن هذا **الغضب الإنساني العالمي**، الكامن والظاهر، ضد السياسة الدولية للقوى العظمى المسيطرة، وللدول الصغرى الضعيفة والتابعة، في تهميش الأولى لمنظمة الأمم المتحدة وفي ازدواجية معاييرها وضربها للمشروعية الدولية وكل قيم حقوق الإنسان باسم التمسك بها، وفي استسلام الثانية لمنعكساتها الموجعة في واقع شعوب العالم عموماً، وفي الواقع العربي خصوصاً، فيفاجئك البعض بالقول: أنا لا أفهم في السياسة ولا أتعاطاها أبداً!

- دعونا من التاريخ، فأنا لأحب أن أعيش في الماضي:

وحيث يعتمد الحديث إلى التاريخ في التحامه الشديد مع السياسة، وعلى أنه الوجود الحياتي في كل عمومياته وتفصيله وأنه الذاكرة والهوية للإنسان والوطن والأمة، يفاجئك البعض بالقول: (دعونا من التاريخ فأنا لا أحب أن أعيش في الماضي، ولنتطلع إلى المستقبل)، وطبعاً لا يفهم هؤلاء من مصطلح التاريخ سوى أنه التاريخ الماضي أولاً، وأنه التطور السياسي في المضمون المحدود الضيق للسياسة على أنها متعلقة بشؤون الحكم والحكام ليس إلا..

- تلازم المفهوم السياسي بالتاريخي:

هم يجهلون أو يتجاهلون أن التاريخ هو حركة تطور الكون والحياة الجدلية المستمرة من الماضي عبر الحاضر إلى المستقبل، وفي قوانينها وكل تفاصيلها، في كل جزء من الزمن الذي عاشه الإنسان منذ بداية كينونته، ويعيشه وسيعيشه بالضرورة حتى نهايتها، وبحيث تمتزج، من خلال علاقة وجودية حيثية حتمية، في حركة هذا التاريخ ومعه، نصنعه بالسياسة الذاتية ويصنعنا بقوانينه الموضوعية، وأن المستقبل والسياسة هما داخله، وأنه يُكوّن في مضمونه التاريخي المنطق المعرفي للتراث والمعاصرة معاً، ولكل علم مستقبلي واستراتيجية نهضوية في كل توجهاتها وعلى كل صعيد سياسي، حكومي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي، وأنه متسم بالموسوعية والشمولية الحياتية والزمنية.

ويأتي اهتمامنا الجزئي هذا به بسبب التحامه بقوة بمصطلح السياسة الذي يشكو قصوراً في فهمه، كما رأينا وكما سنرى، والذي هو، لأهميته وخطورته، موضوع بحثنا هذا.

المأساة هي أن هذا البعض _ من أصحاب هذه الرؤية الوضعية الاختزالية أحادية البعد، في فهم هذين المصطلحين، أي السياسة والتاريخ، أو غيرهما الكثير _ هو مؤلف في معظمه من عناصر من أوساط المثقفين العرب ممن هم يصرون على الفصل بين الشأنين الثقافي والسياسي، ومن صاروا، على حد تعبير أحد الإعلاميين، (شركاء في مسؤولية تسطيح الشعوب) و(تصحيرها) وبمن فيهم الأكاديميون، ويلاحظ وجودهم بوضوح في الجلسات العامة والبرامج الثقافية في القنوات الفضائية والفعاليات العربية في المؤتمرات والندوات، وآخرها في مؤتمر الفكر العربي.

وكلما سمعت أو التقيت أحدهم يعود إلى ذاكرتي ذلك الفكر الموسوعي الشمولي الذي كان للعرب في ظل نظامهم العالمي الحضاري الإعماري إن كان قديماً أو وسيطاً في إطار الدولة العربية الإسلامية، فيبرز أمامي اسم ابن خلدون كرائد في علوم التاريخ والانتروبولوجية والاجتماع وغيرها، وابن رشد كرائد في الفلسفة العقلانية والرؤية الجدلية الشمولية التي كان سابقاً لعصره بمئات السنين في معطياتها أو في تقديمه منذ ذلك الحين، لـ (مشروع رؤية جديدة) في نطاق العلاقة بين (نحن والماضي) و(نحن والحاضر) و(نحن والمستقبل) وأخيراً (نحن والغيرة) أو (نحن والآخر) حسب مصطلحنا اليوم.

- أزمة المصطلحات تعكس الأزمة الحضارية وليس اللغوية:

ويغمرنني الأسى لما وصل إليه انحدر العرب وتخلفهم في واقعهم الحالي، مدركة أن هذه الرؤية الوضعية أحادية البعد ليست سوى أحد المظاهر الهامة لهذا الانحدر وهذا التخلف، التي تحكي، من جملة ما تحكي، وجود أزمة مصطلحات لديهم تعكس تأزمهم عموماً وعلى كل صعيد مادي وروحي، فالأداء اللغوي مرتبط

جدلياً بالأداء الحضاري، بحيث إن كلاً منهما يتبادل مع الآخر، فعل التأثير والتأثير، ليكون سبباً من أسبابه حيناً، ونتاجاً من نتائجه حيناً آخر..

هناك تساؤل حول طبيعة هذه الأزمة التي تتعلق بمصطلحات لغة العصر اليوم:

هل هي أزمة وجود تشكيلي لغوي أم هي أزمة فهم؟

وهنا يدعي البعض، جهلاً أو تجاهلاً لخدمة أغراض عدائية لثقافة العرب ومصالحهم وقوميتهم، بأنها أزمة تشكيل لغوي عائد إلى عجز اللغة العربية عن مواكبة تطور ومعطيات العصر، إذا ما عرفنا أن عدد جذور اللغة العربية، أي أفعالها الثلاثية، هو ١٦٠٠٠ جذر، مقابل أن عدد جذور اللغة اللاتينية هو ٦٠٠ جذر، وعدددها في اللغات الأندلوكوسكسونية هو حوالي ١٠٠٠ جذر، أي بفرق ١٥٠٠٠ جذر لأدركنا مدى غنى اللغة العربية، ولأدركنا بالتالي مدى عراققتها الممتدة إلى التجمعات الأولى للإنسان العاقل أو آدم من جهة.. ومدى مقدرتها الاشتقاقية واتساع دائرة إمكاناتها في احتواء كل جديد من جهة أخرى، والتي لا تضاهيها فيها أية لغة في العالم كله.

ولنفترض أن هناك ضرورة أو حتى رغبة في الاحتفاظ بمصطلح ما متداول عالمياً وعريباً للتعبير عن اختراع علمي جديد باللغة الإنكليزية، التي هي اللغة العالمية الأولى اليوم، أو بالفرنسية أو غيرها فما الذي يمنع ذلك؟ ما الذي يمنع من الاحتفاظ بمصطلح الكمبيوتر والإنترنت مثلاً؟ وهل في هذا الاحتفاظ أية إساءة للغة أو للهوية أو للخصوصية القومية؟ وإن كان الجواب بالنفي، وهو حتماً كذلك، فلماذا اختلاق المشكلة؟ من المفيد التذكير هنا بوجود كثير من المفردات والمصطلحات العربية في معظم لغات العالم، شرقاً وغرباً، سواء بلهجتها السريانية التي كانت لغة العالم والحضارة قديماً، أو بلهجتها العبرية التي كانت لغة العالم والحضارة في ظل الدولة العربية الإسلامية وسيطاً، مما يعكس كون شعوبها لم تجرد، وهي في غمرة انشدادها إلى الحضارة العربية وتفاعلها معها واستفادتها منها، وبسبب عجز لغتها عن التعبير عن كثير من معطياتها، نتيجة لمحدودية مقدرتها الاشتقاقية في دائرة جذورها القليلة جداً بالنسبة لدائرة جذور واشتقاقات اللغة العربية الهائلة في اتساعها، أية غضاضة في تبني مفرداتها ومصطلحاتها لتصبح مع الزمن جزءاً من لغتها الوطنية.

طبعاً لم يسئ إليها ذلك ولا بحال من الأحوال، بل سهل عليها التعامل أو التلاقح مع لغة عصرها والتفاعل المفيد مع منجزاته الحضارية.

يحضرنى هنا قول أحد الباحثين اللغويين في لبنان مؤخراً بأن: (اللغة العربية لغة علمية من الطراز الأول)، وأنها (بمنطقيتها وعبقريتها ومرونتها وسهولتها وغناها وقدسيتها هي لغة المستقبل)، وأنه من الضروري، مع هذا تلاقح اللغات مؤكداً أن (على اللغة العربية أن تنقل بأحرفها آلاف الأسماء الجديدة التي ابتكرها الغرب

وهذه مهمة سهلة، وعلى الغرب أن يستوحي من العربية طرقاً لتسهيل واختصار وتطوير لغاته وهذه مهمة صعبة).

نعود ونؤكد أن الأزمة ليست أزمة تشكيل مصطلحي إذن، وإنما هي أزمة فهم خاطئ كلياً لمضمونها، لأسباب عدة أبرزها: القصور المعرفي المتعلق باللغة العربية من جهة، وبلغة المصطلح الأجنبي واستخداماته في تطوره التاريخي من جهة أخرى.

في هذه الأزمة تحديداً تكمن الخطورة، من حيث إن المصطلحات، كأية مفردات، هي مندرجة في الكل البنيوي اللغوي المؤثر، والفاعل بقوة في النظام المعرفي - القيمي (الإيستمولوجي) الذي يحرك الإنسان، تفكيراً وقراراً وقولاً وفعلاً، وأي خلل في فهمها بالتالي لابد أن يؤدي بالضرورة إلى خلل في هذا النظام، وإلى خلل بالتالي في التعامل مع الآخر والمحيط والواقع المعاش، ألا يكون التطرف الديني المتواجد في كل الديان، على سبيل المثال، ومن جملة ما يكون بالطبع، أزمة فهم خاطئ لمفردات نصوص هذه الأديان ومصطلحاتها؟ ألا يساهم الفهم الخاطئ لمصطلحات العقائد المختلفة وكثير من مصطلحات لغة العصر، كالعولمة والديمقراطية والمجتمع المدني والقومية والجدلية والنظام العالمي لدى الكثيرين في الواقع العربي والإسلامي.

أن في أوساط دوله أو مثقفيه أو جماهيره عموماً، في التعامل الخاطئ معها ومع أصحابها وحتى فيما بينهم، حدث ولا حرج عن أزمة التعامل مع مصطلحات العلوم والتقنيات وعن نتائجها الخطيرة، ولقد رأينا جدلية العلاقة بين العامل اللغوي والحضاري، التي تحتم أن فعل التديني أو الارتفاع بأحدهما لا يمكن إلا أن ينعكس في الآخر، وبحيث إن علينا أن نرتفع بأدائنا اللغوي إذا ما أردنا الارتفاع بأدائنا الحضاري وبالعكس.

وبعد هذا كله وإذا ما عرفنا أن كل ما تقدم يندرج في إطار مصطلح السياسة، كما سنرى في بحثنا هذا، ألا يكون للفهم الخاطئ له منعكسات خطيرة في واقع الفرد والدولة والمجتمع، مما يسوغ لنا هذا الاهتمام البحثي به.

- مفهوم السياسة لغوياً واصطلاحياً:

من الملاحظ على ضوء معطيات علوم الأنسنة (الأنثروبولوجية) أن مصطلح السياسة مثل مصطلح التاريخ هو موسوعي ونسبي في آن واحد، وبحيث لا يمكن أن يتم أي تحديد لماهيته بدون تحديد إطاره التوصيفي المعني به.

كأن نقول سياسة فردية أو مجتمعية، داخلية أو خارجية، وسياسة اقتصادية، وسياسة أمنية، وسياسة ثقافية وتربوية، وسياسة الحكم والمؤسسات، وسياسة الانفتاح، وسياسة المجتمع المدني، وسياسة السلم أو الحرب، وسياسة للمرأة والطفل أو للمواطن عموماً.

وسياسة قطرية وقومية وإسلامية ودولية.

من هنا فإن ماهية السياسة مرتبطة حكماً بمضمونها التوصيفي المحدد إن على المستوى الفردي أو على المستوى المجتمعي، والذي يمكن فرزه لغوياً واصطلاحياً في إطار أربعة مضامين أساسية:

أولها- المضمون السلطوي الضيق والجزئي: على أنها فن وعلم (إدارة شؤون الحكم والحكام والدولة).

وثانيها- المضمون الديني: على أنها فن وعلم (استصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل).

وثالثها- المضمون المدني: على أنها فن وعلم (تدبير المعاش على العموم على سنن العدل والاستقامة).

وبلغة العصر يمكن التعبير عن هذا المضمون نفسه بالقول: إنها فن إدارة المجتمع المدني بكل مؤسساته، وبعموم مواطنيه، وعلى سنن حقوق الإنسان والمواطنة وسيادة القانون.

ورابعها- المضمون الحياتي الشمولي: على أنها فن وعلم الإدارة لشؤون الحياة إن على المستوى الفردي أو على المستوى المجتمعي، وعلى كل صعيد، بما فيه صعيد الحكم والدولة وشؤونهما على المستوى الخارجي والداخلي.

- الأسرة هي منطلق السياسة:

تندغم في هذا المضمون السياسي الأخير إدارة الذات على المستوى الفردي، وإدارة الذات على المستوى المجتمعي، بدءاً بدائرة الأسرة، وانتهاء بالدائرة الإنسانية العلمية، مروراً بكل التجمعات الانتمائية الوطنية والقومية، وعلى جميع الأصعدة، الحكومية والشعبية، السلطوية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية المدرسية والمهنية والدينية والمذهبية والنقابية والحزبية، وبالرغم من أهمية كل الدوائر الفردية والمجتمعية هذه للفعل السياسي، التي ترتبط فيما بينها بعلاقة جدلية، فإن الدائرة الأكثر أهمية، التي هي البداية الأساس لكل الدوائر، هي: دائرة الأسرة، بفعلها المؤثر المباشر وغير المباشر وهو المنطلق لدائرة المدبر الأكثر نفوذاً وتأثيراً في كل السياسات العامة، سواء على الصعيد الخارجي أو الداخلي.

إن تدبير وإدارة شبكة العلاقات الاجتماعية المتعددة والفنية بين أفراد الأسرة، تشكل المنطلق المنسجم لفن إدارة شبكة العلاقات على مستوى الفرد والمجتمع والدولة على مستويين:

الأول- على صعيد الفعل المؤثر للبيت على كل عناصر الدولة إن تربية أو واقعاً معاشاً.

والثاني- على صعيد الشراكة في خضوع كل من البيت والدولة للفعل السلطوي المؤثر للعلاقات (البطريكية) الأبوية الذكورية.

وهذا مما يفرز واقعاً خاصاً للمرأة والأولاد.

إن خلف كل أمة قوية حضارياً وثقافياً، نظام تربوي تعليمي متين وإنساني على مستوى الأسرة والمدرسة والجامعة لأن صلاح الأطفال وتعليم النساء وتنقيف الرجال وتوعية الشباب هو صلاح الدولة، لأن نوعية ومناعة وقوة الدولة تعكس الواقع الاجتماعي الثقافي للشعب.

إن كل إنسان، في كل بيت، ذكراً كان أن أنثى، منذ وجد وهو يمارس السياسة بهذا المعنى أو ذاك، هو يُسَيِّس من محيطه من جهة، ويسوس نفسه من جهة أخرى، ليتكيف مع مكونات ظروفه الداخلية والخارجية، المادية والروحية، سلباً أو إيجاباً، بهذه النسبة أو تلك، هو يدير ذاته ويدار، إما بعفوية ونمطية بمعطيات معرفية وقيمية متنوعة تصنع نظامه المعرفي - القيمي - الضميري الذي يحركه فكراً وتفكيراً وقولاً وفعلاً، والذي من خلاله يمارس السياسة مع الذات ومع الآخر في كل الدوائر المجتمعية المحيطة به. نعم المنطلق هو البيت.

- أهداف السياسة:

هي إذن عملية تسييس أو إدارة حياتية مستمرة ترافق الإنسان، امرأة أو رجلاً، منذ البداية حتى النهاية، وطبعاً بدرجات متفاوتة من العفوية والنمطية والوعي.

والسياسة في إطار الوعي، والتي هي محور اهتمامنا هنا، قد تتم لهدف ذاتي فردي لصالح السمو بالأنا إلى عالم المعرفة والقيم والفعل السياسي الصحيح على كل مستوى، فكراً وقولاً وفعلاً، ومنه فعل التطبع بأخلاق الدين الصحيح الحقيقي وليس الزائف، أخلاق المحبة والمساواة والعدالة واحترام العقل والعلم والعمل وحرية وحقوق الإنسان الآخر، ومنها حقوق المرأة والطفل، وقد تتم لهدف إنساني لصالح أمن وسلام الإنسان والبيئة والأرض والمجتمع الدولي والبشري ككل، أو تتم لهدف وطني أو قومي شامل لكل الدوائر الوطنية، كأن يكون لصالح الأسرة وبناء المواطن المجتمعي الصالح، أو لصالح التحرير والديمقراطية وقيم المجتمع المدني والتنمية والتوحيد وبناء الوطن والدولة القومية الديمقراطية الحضارية أو بتعبير آخر لتحقيق المشروع الوطني والقومي والنهضوي.

- تلازم الجهاد والتحرير مع المشروع النهضوي العربي الإسلامي:

إن هذا البناء وهذا التحقيق إذ يرتبطان ارتباطاً وجودياً بالأرض كحامل مكاني، وبالشعب كحامل بشري، إن كأداة أو كهدف له، فإنهما مندغمان، في حالة وجود الاحتلال الاستعماري الاستيطاني للأرض وللشعب، وبالضرورة، في إطار الجهاد الإسلامي والنضال الوطني ضد هذا الاحتلال، سواء بفعله المباشر أو بتأثيره غير المباشر، وكما هي الحال في سياسة المقاومة الصامدة والشاخصة في بطولات الجنوب اللبناني في الأمس وبطولات انتفاضة فلسطين اليوم، نساءً ورجالاً وأطفالاً، ضد المستعمر الصهيوني بكل وحشيته

وتدميره، وكذلك ضرورة المقاومة والصمود والجهاد والنضال بكل الوسائل الممكنة ضد العدو الأمريكي - الأوروبي (قوات التحالف) لأنه احتل القطر العراقي الشقيق وسرق خيراته ونهب آثاره الحضارية وانتهك كرامة وإنسانية الأبرياء من النساء والرجال والأطفال في مدن العراق وكذلك في السجون كما في فضيحة الحضارة الأوروبية الأمريكية المريضة إنسانية وأخلاقياً في سجن أو غريب، وتغدو سياسة المقاومة هذه مؤدية في آن واحد إلى المساهمة في تحقيق هدفين وطنيين مترابطين وجودياً:

الأول- هدف التحرير المباشر من المستعمرين اللصوص المرتزة اليهود والأمريكان والأوروبيين.

والثاني- هدف بناء المشروع القومي النهضوي العربي الإسلامي غير المباشر.

ومن حيث جدلية العلاقة بين جميع معطيات أفعال الهدفين على كل صعيد حياتي، حاضر ومستقبلي، أي تبادلها لفعلي التأثير والتأثير.

وعليه فإن كل ممارسة سياسية واعية للمرأة والرجل، فردية أو جماعية، تندرج بدورها، ولو بنسب مختلفة، في إطار هذا النضال الوطني والجهاد الإسلامي.

- عولمة ووحشية الحضارة الأوروبية الأمريكية الصهيونية:

ولكن السياسة أو عملية التسييس قد تتم أيضاً لأهداف ذاتية ومجتمعية لا أخلاقية ومتناقضة كلياً أو جزئياً مع جميع المعطيات القيمية الإنسانية المذكورة، إن على مستوى الأفراد أو على مستوى الدول في تعدد صراعاتها واختلاف مصالحها، والتي وحدها تفسر سياساتها إن استراتيجياً أو تكتيكاً، والسياسة الاستعمارية بكل مضامينها وأشكالها، ومنها اليوم الممارسات السياسية الهمجية للصهاينة في فلسطين المحتلة، هي المثال الأكثر بياناً هنا، وكذلك ممارسات وانتهاكات اللصوص الأمريكيين والأوروبيين (قوات التحالف) في القطر العراقي الشقيق، من المفترض طبعاً، وهذا حلم إنساني، أن تكون السياسة أخلاقية إيجابية دائماً بحيث يتيح نظامها لكل فرد أن يبلغ آية الفلاح والنجاح وأن يحيا حياة سعيدة عادلة وآمنة، ولقد رأينا كيف ارتبطت في لغتنا العربية (بسنن العدل والاستقام).

لكن الواقع البشري مع الأسف قائم على: سنن شريعة الغابة، شريعة الأقوى، وشريعة (الغابة تسوغ الواسطة) وخاصة منذ خمسة قرون عند نشوء الحضارة الأوروبية التي قامت على القرصنة والنهب وإبادة السكان الأصليين في قارة أمريكا وأستراليا، وفعلت بكل ما في وسعها على استعباد الشعوب لدرجة سرقتهم من السواحل الأفريقية نساءً وأطفالاً ورجالاً بالقوة العسكرية ليعملوا كعبيد في أمريكا وبريطانيا، وكلنا يعرف رواية الجذور الذي أصبحت فعلاً.

والمفكر الغربي روجيه غارودي يعتبر أن عصر النهضة الأوروبية هو عصر ولادة الوحوش الرأسمالية والاستعمار الغربي وإن الولايات المتحدة الأمريكية هي طليعة الانحطاط بكل المقاييس في العالم^{١٠٠}، وهو يشهد في معظم الأحيان هزيمة السياسة الأخلاقية الإيجابية المتوجهة لخدمة مصالح وتكوين المجتمع الإنساني الآمن العادل الحر الإبداعي، لصالح انتصار السياسة اللاأخلاقية السلبية المتوجهة لخدمة أغراض فردية أو سلطوية أو دولية فتوية لاقيمية وعلى حساب هذه المصالح.

حتى أرسطو العنصري الذي عاش مرحلة سيطرة العبودية في اليونان نراه في سياسته وهو يرسخها بإعطائها تسويغها البيولوجي الخلفي إذ يقول: (إن البعض أحرار بالطبع وإن البعض أرقاء بالطبع)^{١٠١}.

هنا يبرز دور نسبية مصداقية الاعتبارات والمعايير القيمية عند الإنسان في تحديد السليبي والإيجابي، الكل في جميع مراحل التاريخ الإنساني، بما فيها مرحلة فظائع وبربرية ووحشية النظام العالمي الأميركي وعولمته التي نعيشها اليوم، يدعو نظرياً وكلامياً إلى سياسة الحرية وقيم حقوق الإنسان والمجتمع المدني وبخاصة الديمقراطية، ولكن تحديد معايير تقويم معطيات هذه السياسة وممارساتها على أرض الواقع البشري المتصارع سلطوياً واقتصادياً وثقافياً وإيديولوجياً، دولياً وقومياً يؤكد شدة الانتهاكات الغربية لأبسط حقوق الإنسان على أرض الواقع كالمترزقة واللصوص (قوات التحالف) الذين يمثلون النظام الغربي السائد في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ارتكبوا أفظع وأوحش الجرائم في البوسنة والهرسك وأفغانستان وفلسطين والعراق.

ولعل سجن غوانتانامو خير مثال على النموذج الغربي للديموقراطية؟!

وسجن أبو غريب خير نموذج للحرية الأمريكية البشعة والإجرامية؟!

ونحن نعيش اليوم استمرارية الصراع الإنساني، الفردي والمجتمعي والدولي، وعلى كل الأصعدة الحياتية، ما بين سياسة وسياسي مصداقية هذه القيم الإنسانية وما بين سياسة وسياسي أعدائها ومزيفيها الذين حولوها إلى قناع تجميل كاذب لبشاعة ممارساتهم الخارجية عنها باسم الدعوة إليها وتحت عناوين مختلفة تدور بمعظمها حول محور أساسي هو عوامة النمط الأقوى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وثقافياً، والذي هو اليوم النمط الأمريكي في سقوطه القيمي الإنساني الكلي.

وتتجسد آخر أبرز تمظهراته بالنسبة للوطن العربي في احتلال الولايات المتحدة الأمريكية للعراق وممارساتها فيه، وفي استمرار دعمها الصفيق لاختراق إسرائيل الدائم لكل معطيات المشروع الدولية وحقوق الإنسان في فلسطين المحتلة.

١٠٠- للتوسع: كيف نصنع المستقبل، روجيه غارودي، أو يراجع كتاب: الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسن فريضة، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سورية، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
١٠١- أرسطو، في السياسة، ترجمة الأب أوغسطينس بربارة البولسي، ط٢، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت، ١٩٨٠، ص١٧.

- الحضارة الغربية المريضة لا تفهم سوى لغة القوة:

ويعيش بشر العالم الحقيقيون اليوم كل مشاعر الغضب والألم لمعاناة البشرية من ممارسات العولمة الأمريكية الاستعمارية في كل مكان، وبخاصة في العراق، ولذابح ودمار المدافع والدبابات والطائرات الصهيونية في فلسطين مقابل حجارة الأطفال وبسالة النساء وبطولات الرجال.

لكن الصوت المسموع والرادع لحكام التحالف الأمريكي- الصهيوني ليس المشاعر الإنسانية التي أيدت الحقوق العربية، والتي يندرج في إطارها تأكيد معظم الأوروبيين على أن إسرائيل وأمريكا هما أكبر مصدر لتهديد السلم العالمي، وإنما هو صوت القوة العسكرية لأسلحة الدمار الشامل، وبخاصة القوة النووية التي حمت كوريا الشمالية بما نفسها مؤخراً، والتي دلت طبيعة التعامل الأمريكي في الأدغال لوجودها الأكيد من جهة، وفي الحرب على العراق بحجة القضاء على وجودها المزعوم فيها من جهة أخرى، ضاربة بعرض الحائط رفض كل شعوب العالم لهذه الحرب، بمن فيها الشعب الأمريكي، على زيف كل الادعاءات الأمريكية في احترام القيم الديمقراطية وحماتها، وعلى استهتارها بالتالي بميثاق الأمم المتحدة والمواثيق الدولية عموماً لصالح شرعنة منطق القوة وشرعية الغاب، وليستمر الصراع العالمي هكذا بين أصحاب هذه القوة وبين حركات التحرر الإنسانية العالمية ومنها حركة التحرر العربية.

- كل ما نفعله في حياتنا سياسة:

لكل إنسان، رجلاً كان أم امرأة موقع في هذا الصراع، زمن السلم والحرب، زمن الاحتلال والاستقلال، زمن الضعف والقوة، زمن التخلف والازدهار.. في كل مكان، في كل زمان. نعم كل ما نفعله في حياتنا هو سياسة، وما نتخلف فيه هو مضمون وهدف فعلنا السياسي أولاً، ومدى اتصافه بقواعد فن وعلم السياسة ثانياً، من حيث عفويته أو نمطيته أو التزامه بالدراسة العلمية والموضوعية الشاملة لأسبابه وكيفيته ونتائجه وتوقيته، وما يحدد الاختلاف أيضاً هو درجة النجاح أو الفشل فيه ثالثاً، والتي يقرها مقدار تحقيق الفائدة الخاصة أو العامة المرجوة منه، والتي تندرج بالنسبة للوطن، وللأمة العربية اليوم في إطار المساهمة في إنجاز المشروع النهضوي العربي على ضوء علم المستقبل العربي.

- السياسة ومسؤولية الواقع العربي الراهن:

هذا الاختلاف في السياسة عند الإنسان، امرأة أو رجلاً، محكوم بطبيعته وظروف عناصر وجوده الفردية والمجتمعة، وبخاصة ما تعلق منها بالواقع الوطني والقومي الخاص، وليبرز السؤال: هل هي سياسة ذاتية فردية تحكمها الظروف والفروق الفردية الإبداعية المعطاءة، قولاً أو فكراً أو فعلاً، وعلى كل الأصعدة الحياتية، بما

يخدم مصلحة واحدة أو أكثر من دوائره المجتمعية، الأسرية أو الفئوية أو الوطنية أو القومية أو الإنسانية..؟

هل هي سياسة حكومية متعلقة بدائرة الحكم والدولة في مجالها الداخلي والخارجي، والتي تتحكم فيها علاقة الخارج بالداخل في اختلافهما وصراعهما وتفاعلتهما، قوة وضعفاً، ازدهاراً وتخلفاً؟

أم هي سياسة اقتصادية متعلقة بدوائر **الفعاليات** المادية المحكومة أيضاً بهذه العلاقة وقوانين وقواعد الحركة الاقتصادية المحلية والقومية والعالمية، وبخاصة منها بآلية ومؤسسات وقوى وعولمة النظام الدولي الرأسمالي العالمي؟

أم هي سياسة اجتماعية متعلقة ب**أنساق المجتمع** في دوائره المختلفة المحكومة بطبيعة البنية الاجتماعية-الاقتصادية والثقافية والحكومية المهنية؟

أم هي سياسة ثقافية متعلقة ب**الدوائر المتعددة** للفعاليات الثقافية، التعليمية والتربوية والأدبية والفكرية، والفنية، والمحكومة بطبيعة خصوصيتها القومية عموماً أو حواراً، تأثيراً وتأثيراً مع المؤثرات الثقافية لجميع الخصوصيات القومية الأخرى إن على الصعيد الوطني أو القومي أو العالمي؟

- جدلية العلاقة بين المفهوم السياسي والحياتي العام:

إن جدلية العلاقة بين كل **مضامين ومعطيات السياسة** تحتم استحالة الفصل بينها، موجبة التعامل معها بالتالي على أنها كل حياتي مبين ومتربط وضعياً وتاريخياً.

وتغدو **الممارسة السياسية** متضمنة لكل مساهمة لنا إن على المستوى الفردي أو المجتمعي، هدماً أو بناءً، ولا تكتسب صفتها **الإعمارية** إلا بشرط اتصافها **بالعطاء المفيد** في تطوير الذات على كل المستويات، من أصغر دوائرها، التي هي دائرة الفرد، إلى أكبرها، أي دائرة المجتمع الإنساني العالمي، ومروراً بدائرة الواقع الوطني والقومي، وبالطبع يرتبط هذا العطاء فيما يخص دائرة الوطن العربي بمقدار **المساهمة الفاعلة** لكل منا في إنجاز **مشروعه النهضوي** التحريري الوحدوي الديمقراطي التنموي التحديثي، ودرجة **الدور المؤثر** والمفيد لهذا **العطاء الإنساني الإعماري**، على كل صعيد سلطوي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي، علمي أو تربوي أو إعلامي أو فني.. هي التي تحدد قيمة وطبيعة هذه الممارسة السياسية سواء في صيغتها المباشرة أو غير المباشرة.

وهنا لا بأس من أن نثمن عالياً أيضاً فعل **الشهادة والفداء** فيها، فعل أمثال: سناء محيدلي وحميدة الطاهر وبطولات الجنوب اللبناني والوطن الفلسطيني والعراقي.

- ضرورة مساهمة الجميع في صنع السياسة:

إن كل أفراد الأمة، رجالاً ونساءً، يساهمون في صنع سياستها، من خلال فعل مباشر أو غير مباشر، ويساهمون بالتالي في صنع تاريخها القومي حاضراً ومستقبلاً، كل في مجاله وحسب فعله وإمكاناته ودرجة عطائه، وعلى مبدأ الحديث الشريف المعروف: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). وعليه فنحن كلنا مسؤولون، بكيفية ما وبهذه الدرجة أو تلك، عن هذه السياسة العربية التي نعيشها اليوم، شعوباً وحكومات.

- درجة المسؤولية مرتبطة طرداً بدرجة المعرفة:

لاشك أن درجة المسؤولية تتعاضد مع تعاضد درجة المعرفة، مما يحمل معظم المثقفين العرب، في انتهازيتهم وتشنتهم، وفي خطابهم التثقيفي الاستعراضى المنفر، والذي يبعدهم عن الجماهير أكثر مما يقربهم منها، ويضيعها ويزيدها بأساً أكثر مما يوعيتها ويشحن قواها ويوجهها نحو ما هو مفيد في إنجاز مشروعها النهضوي، مسؤولية كبرى غير خافية على أحد.

وتتعاضد هذه المسؤولية عند بعض مدعي الموضوعية والانتماء في بعض القنوات الإعلامية الفضائية العربية، والمتابع لها يدرك ذلك تماماً.

يدرك كيف يروج هذا البعض فيها لضياع الوطن العربي هنا وهناك، العراق ثم سوريا ولبنان وبعدهما مصر والسعودية وغيرها حسب متطلبات التنفيذ والحاجة للمخططات الصهيونية، مجملين أنفسهم على الطريقة الأمريكية بإدعاء الحرص على الديمقراطية وحقوق الإنسان العربي، وبإدعاء أنه ما من سبيل إليهما إلا بالعصا الأمريكية- الصهيونية حتماً بدون سياسة أيضاً، ولا بأس بالنسبة إليهم في ضياع الأرض والثروات، والمبادئ والكرامة الوطنية، وفي قتل الآلاف، وزرع الأمراض، وفي تقسيم جديد للوطن بين عملاء أدوات لهذه العصا الأمريكية- الصهيونية وبين شرفاء مقاومين لها، ولا بأس في أن يزوروا الحقائق ليتساوى الغث والسمين، ولتغيب الفروق بين أنظمة العمالة والقمع والتطبيع، وبين نظام المقاومة الوطنية الصامدة لسورية، في توجه الديمقراطية المؤسساتي التحديثي الصادق.

إنهم وحتى لا يكون أحد أحسن من أحد، وباسم احترام الرأي والرأي الآخر، يغيبون في كثير من الأحيان الرأي الوطني المتمكن معرفياً وموضوعياً، كي يسخروا منه ويسفهونه غيائياً، في محاولة لتجسيم فعله المؤثر وجره إلى السكوت الأبدي.

إلا أنه يقوى بقوة الوعي الجماهيري المتنامي الذي يتطلع إليه ويساهم فيه دون يأس أو تئيس متجاوزاً كل ما يرسمون.

- درجة المسؤولية مرتبطة طرداً بدرجة صنع القرار:

ولكن لا شك أيضاً أن المسؤولية عن مرارة هذا الواقع العربي تتعاظم أكثر فأكثر مع تعاظم درجة التحكم بالقرار في رسم وتنفيذ سياسة الدولة على كل صعيد خارجي وداخلي، سلطوي واقتصادي واجتماعي وثقافي، والتي بها تحديداً يرتبط كل تغيير فاعل في المجتمع، تخريباً أو إصلاحاً، هدماً أو بناء إعمارياً وقد أوضحت الأحاديث النبوية الشريفة أهمية وضرورة صلاح العلماء والأمرء لكل ما يصلح المجتمع والشعب والناس.. وكذلك بين علماء الاجتماع بدءاً من أول عالم اجتماع علمي ابن خلدون وحتى اليوم بأن الظلم مخرب للعمران، وإن العدل أساس الملك.

- السياسة الإيجابية قوة معمرة والسياسة السلبية قوة مخربة:

كل ما نعيشه في هذا العالم الأمس واليوم ينطق بصحة هذا القول، أليست سياسة الدولة في الوطن العربي هي التي كانت وراء قيام واستمرار النظام العالمي الإعماري العربي- الإسلامي، الذي قام العرب في ظل وجوده بمواصلة مساعيهم في العالمية التمدنية من خلال فعل إعماري حمل العالم كله مستجدات عناصر حضارتهم العربية- الإسلامية، بالإضافة إلى معطيات حضارتهم القديمة منذ آدم أو الإنسان العاقل الأول بلغة الأنتروبولوجية، زراعة وصناعة وتجارة وأنشطة مصرفية، وعلومياً وفنوناً وآداباً وديانة، وقوانين ونظماً سياسة واقتصادية ونقائية وإدارية وأنظمة شورى عربية- إسلامية ومجتمعاً مدنياً وفلسفة وغيرها، والتي شكلت أسس ومعظم معطيات النهضة في الغرب حسب تأكيد كثيرين أمثال: سيديو وروسي ومونتغمري واط ولوبون وبروي وهونكه^{١٠٢}، وفيما بعد ذلك:

- ألم تكن سياسة الدولة وراء الضعف والانحدار العربي على كل صعيد، وكانت بالتالي وراء سقوط هذا النظام الغربي الاستعماري الذي نعيش اليوم أسوأ مراحلها، وهي مرحلة النظام العالمي الجديد بزعامته وعولمته الهمجية اللصوصية الأمريكية؟

- ثم أليست سياسة الدولة عند معظم الحكام اليوم وراء هذا الضعف والإذلال العربي الذي نعيش؟

- ما الذي يميز اليابان أو ماليزيا أو كوريا الشمالية أو كل الدول الغربية عن الدول العربية؟

١٠٢- بين المؤرخ الفرنسي سيديو فيما يخص العصور الوسطى (أن اصطلاحات الشرقيين العلمية عربية بأسرها) (ل ب. سيديو) تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتير، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٨م، ص ٤٥-٦١ و٤٣٥، ويبين كثير من الباحثين الغربيين الموضوعيين التأثير العربي الواسع والشامل إن في حضارة الغرب قديماً أو وسيطاً أو في نهضته الحديثة، وبالتالي في علومه ولغته ومصطلحاته (راجع على سبيل المثال: Pierre Rossel: La citre dTsis Histoire Vraie des Arabes، 1976، ومونتغمري واط: أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة جابر أبي جابر، وزارة الثقافة، دمشق، Gustave LEBon: la civilisation des Arabes، ed، paris، 1996، وإدوار بروي: القرون الوسطى، المجلد الثالث من سلسلة تاريخ الحضارات العام، ترجمة ي. داغر وف، ط ٢، بيروت، وزبغريد هونكه: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال الدسوقي، الطبعة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.

- أليست الأرض العربية متضمنة لكل الإمكانيات البشرية والمادية اللازمة لخلق القوة الذاتية العربية العسكرية والاقتصادية والثقافية، بما فيها الطاقة البترولية التي بها يرتبط وجود النظام الغربي الاستعماري، وبها ترتبط الحياة اليومية في دوله، وبها تصنع الأسلحة الثقيلة اللاجئة للحكام العرب والقاتلة لشعوبهم هنا وهناك؟
- أليست العلة في معظم الحكام العرب، ألا تبلغ مسؤوليتهم الذروة عند الله الذي يعبدون والدين الذي يؤمنون، وعند جماهيرهم بل وجميع جماهير دول العالم وحكوماته، وعند كل ذي بصيرة؟

- الخلاصة المعبرة (كلنا مسؤولون):

وأخيراً، بعد أن رأينا كيف نمتزج في السياسة ومعها وجوداً حياتياً عاماً وتفصيلاً، نستطيع التأكيد على انه قد يمكن لأحد أن يقول: (أنا لا أفهم في السياسة).

ولكن لا يمكن لأحد أن يوضع نفسه خارج دائرتها قائلاً: (دعونا من السياسة)

أو (أنا لا أتعاطى السياسة)، فحتى موقفه هذا هو في حد ذاته سياسة ولكن أية سياسة ! والسؤال الهام والجوهري الآن: هل يمكن لأحد أن يضع نفسه خارج دائرة المسؤولية عن هذا الواقع العربي المروع؟
ألسنا كلنا مسؤولون بكيفية ما وبهذه الدرجة أو تلك، كدول ومؤسسات ومنظمات أولاً، وكمثقفين وتربويين وإعلاميين ثانياً، وكأفراد أياً كان موضعنا ثالثاً؟ نعم (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)

١٠٣



١٠٣ - المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق، السنة ٤٢ - العدد ٤٨٤ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٤، (السياسة والإنسان والعالم) ومسؤولية الواقع العربي الراهن، د. نجاح محمد، ص ١٨٤ - ١٩٧ (بتصرف).

آراء الخبراء

- الإنسانية أسرة واحدة.
- العلم والتعلم أفضل العبادات في الإسلام.
- أهمية وضرورة تعريب كافة العلوم والمعارف البشرية.
- خبرة استفادة الحضارة اليابانية من الحضارة الصينية والغربية لغوياً وتقنياً.
- ضرورة وأهمية حوار الحضارات.
- النور العربي الإسلامي الذي أضاء ظلمات أوروبا.
- فضل اللغة العربية على اللغة الإسبانية (أربعة آلاف كلمة عربية ما عدا المصطلحات الدارجة على الألسن موجودة ضمن اللغة الأسبانية).



الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

نجم عالٍ في سماء المعرفة والعلم والأدب، بدأ الدكتور عبد الكريم اليافي رحلته في العلم باكراً فبعد أن نجح في دراسته الثانوية عام ١٩٣٥ انتسب إلى كلية الطب ودرس الصف التحضيري (ف.ك.ب) ثم الصف الأول في الكلية ونجح فيهما أي نجاح ثم أوفد عام ١٩٣٧ إلى فرنسا لنيل الإجازة في العلوم الطبيعية (رياضيات عامة، كيمياء عامة، فيزياء عامة) فنال هذه الإجازة بشهاداتها العليا الثلاث عام ١٩٤٠.

كذلك نال الإجازة في الآداب من السوريون بأربع شهادات عليا علم ١٩٤١. واتجه نحو الفلسفة فنال خمس شهادات عليا وهي شهادة علم النفس سنة ١٩٤٢، وشهادة علم الجمال وفلسفة الفن سنة ١٩٤٢، وشهادة تاريخ العلوم وفلسفتها سنة ١٩٤٣، وشهادة الفلسفة العامة والمنطق سنة ١٩٤٣، وشهادة علم الأخلاق، وعلم الاجتماع سنة ١٩٤٤، وأحرز أخيراً درجة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٥.

- بعد هذه الرحلة الشاقة عاد ليدرس في تجهيز حمص من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٤٦ في بداية ١٩٤٧ سمي أستاذاً مساعداً في كلية الآداب في الجامعة السورية، ثم فاز بمنحة دولية للاطلاع على بحوث علم السكان في فرنسا وإنكلترا والسويد عام ١٩٥٢، عاد بعدها لي عين أستاذاً في قسم الفلسفة والعلوم الاجتماعية في جامعة دمشق منذ عام ١٩٦١.

- ألف ما يزيد على ٢١ كتاباً في مختلف الموضوعات العلمية والأدبية فأبدع فيها أيما إبداع وأفاض من نفسه علماً وفناً خالصين.

اليوم وبمحاولة من مجلة المعرفة لنيل القليل من معرفته تستضيفه المجلة أستاذاً لعلم الاجتماع وتناقش معه بعض المحاور الاجتماعية المحلية والعربية والعالمية.

أولاً- على المستوى المحلي:

- كرمت سورية مؤخراً الدكتور عبد الكريم اليافي تقديراً لدوره وجهوده المبذولة في العلم والفكر والمجتمع، حبذا لو تحدثنا عن رأيك في مسألة تكريم الأدباء والفنانين والعلماء، ماذا يقدم؟ ماذا يضيف؟ وعن مشاعرك الشخصية في هذا المجال.

- تكريم الأدباء والعلماء والباحثين ليس في الحقيقة تكريماً لذواتهم أو لشخصهم وإنما هو تكريم لما يمثلونه من جهود قدموها للمجتمع ولأمتهم وهو أيضاً ضرب مثل للأجيال الناشئة من أجل بيان أن الدولة ساهرة دائماً على أعمال أبنائها وتقدر ما كان منها إبداعياً مفيداً للمجتمع وتعطي ما استطاعت جزاء هذه الجهود لتكون قدوة للأجيال وحافزاً لها على العمل الدؤوب والصبر لتحقيق قيم اجتماعية وفكرية مثلى.

هكذا شعرت أنا بأن التكريم لم يكن لي مباشرة وإنما لكل مواطن بذل جهوداً مباشرة وإنما لكل مواطن بذل جهوداً صالحة تصب في خدمة المجتمع وفي تحقيق قيم علمية أو فكرية أو أدبية رفيعة.

— يعتبر الدكتور عبد الكريم اليافي من مؤسسي كلية الآداب في جامعة دمشق وممن أقاموا صروح العلوم الإنسانية فيها كعلم الاجتماع وعلم السكان والإحصاء وفلسفة العلوم وغيرها، ما رأيك بما قدمته هذه الجامعات وتقدمه للمجتمع؟

ولاسيما أن هناك رأياً مفاده أن جامعاتنا السورية لم تفلح في خلق أدباء وفلاسفة وعلماء حقيقيين وإنما درست مناهج قامت على الاستظهار والحفظ فقط؟.

— إن الدولة هي التي أسست كلية الآداب وقد انتسبت إلى هيئة التعليم فيها إبان تأسيسها عام ١٩٤٧ وكانت خالية من جملة العلوم التي تدرس عادة في مثل هذه الكليات فكان علي وعلى زملائي من المدرسين أن نقوم بهذا العبء الكبير وهو إدخال العلوم المدنية المتعارفة في العالم إلى هذه الكلية الفتية الناشئة. لم يكن هناك ذكر في تلك الكلية لعلم الاجتماع ولا لعلم الجمال ولا للفلسفة العربية أو لفلسفة العلوم إلا ما يتناقل من فم لآخر حول بعض القضايا التي تتعلق بتلك العلوم كانت الصعوبة تتمثل في أمرين هامين هما:

- تدريس هذه العلوم الحديثة بكفاية من جهة.

- وكسوتها بتعابير ومصطلحات حديثة لا تأبأها اللغة العربية القويمة من جهة أخرى.

وكنت ممن شارك في أداء هاتين المهمتين الشاقتين، فقد هيأني عملي ودأبي في الدراسة والبحث لأساهم وأشارك في التدريس بكلية الآداب الناشئة معالجاً مختلف الموضوعات وبإذلاً الجهد ليكون ذلك على أفضل وجه وأجود بيان.

درست في جامعة دمشق ماينوف على خمسين عاماً إلا أنني لا أستطيع الحكم على تدريسي فيها لذلك أترك الحكم لكثير من طلابي درست في كلية الآداب، وكلية الطب، وكلية الصيدلة، وكلية العلوم، وكلية الشريعة، فكنت أستاذاً متعدد الشخصيات العلمية وهذا ما اقتضاني أن أبذل جهوداً متنوعة في بيان عربي سليم. تلك الكليات في جميع جامعات سورية خرجت أفواجاً متعاقبة وأجيالاً متعاقبة ومتعددة في شتى المجالات ملأت هذه الأفواج وظائف كثيرة في مختلف أجهزة الدولة كالتعليم الثانوي والمعاهد المتوسطة ودور المعلمين والمعلمات.

كما خرجت أدباء وضباطاً ووزراء تشهد لهم مكانتهم الرفيعة في المجتمع والعلم الواسع والأداء الناجع.

- إذاً يمكننا القول إن الجامعات السورية نجحت فعلاً في خلق أدباء وفلاسفة وعلماء حقيقيين. نعم.

- هل يمكن أن نذكر أمثلة؟

— أخشى أن أذكر أمثلة فتغيب عني أسماء طيبة أخرى لكن يمكنني القول: إن هؤلاء أصبحوا معروفين على النطاق الوطني والإقليمي وبعض جوانب النطاق العالمي، والشعب السوري يعرف أولئك الموهوبين الذين أصبحوا مشاهير وبعضهم لم يصبح مشهوراً بسبب نقص التوجه الإعلامي نحوهم، فمن أجل الشهرة لا بد من تقوية الاتصالات الثقافية والعلمية بين البلاد العربية.

فمثلاً: هناك مشكلة الكتاب العربي الذي يصعب عليه الانتقال من بلد عربي إلى بلد عربي آخر بينما الكتاب الأجنبي يضمن الانتشار في شتى أقطار الأرض بسرعة وبكلفة قليلة أو كبيرة، وأنا أرى أن جدار برلين إنهار في ألمانيا ولكن جدارنا أقوى يقوم بين كل بلد عربي وآخر، فالقضايا المالية والنزعات الفكرية تحول دون حرية الكاتب وجولان كتبه في أحواز الوطن العربي الواحد، أبناء البلاد أنفسهم يضيّقون على أنفسهم الخناق في زمن الحرية والتقدم والتعارف الإنساني الواسع، وكذلك نرى لزوم الثقافة المستدامة بين الأساتذة والطلاب بتنظيم خاص رسمي وغير رسمي بحيث يستطيع كل أستاذ مبتدئ أن يسأل الأستاذ المتقدم عليه في السن والمعرفة عن أمور غامضة يحتاج إلى جلائها وفي المقابل يستعين الأستاذ المتقدم بالأستاذ الجديد الجدير، ونرى ضرورة دعم الأساتذة الجامعيين للاشتراك في ندوات عالمية وإقليمية تبحث قضايا كثيرة **تليدة** وراهنه، وكذلك نرى ضرورة الاهتمام بمكتبات الجامعات وتزويدها بالمراجع الجديدة والإصدارات الدورية الحديثة التي تطلع رواد هذه الجامعات وأساتذتها على المستجدات في كل علم.

وأشير إلى أن طلابنا المتخرجين في جامعاتنا إذا ما أتاحت لهم الفرصة وسافروا إلى بلاد أجنبية شرقية أو غربية للتخصص أو العمل نجدهم يتقدمون تقدماً سريعاً في كسب الثقافة الغربية بما جهزوا به من معلومات في جامعاتنا السورية، ونراهم يتألقون في آفاق تلك البلاد تألق النجوم البديعة في سماوات البلاد العربية.

— تشهد سورية حالياً ثورة معلوماتية وتقنية وثقافية تشكل جميع مناحي الحياة الآنية والمستقبلية وذلك بمحاولة من سورية للنهوض والحقا بركب التطور العلمي العالمي الهائل، برأيك كيف ستنتج هذه الثورة؟

— إن هذه الثورة المعلوماتية والثقافية والحيوية إن صح التعبير تحتاج إلى الدعم الكبير من الدولة والتعاقد بين ممثلي هذه الثورة الإنسانية الهادئة السلمية، والإنسان السوري بطبيعة الحال هو أخو الإنسان عامة ويستطيع بذكائه المشهور أن يتعاون ويعمل بنفسه ومع غيره للخلاص من الصعوبات ولاشك أن الصعوبات التابعة للماضي الذي ركزت فيه الثقافة العربية وركد فيه النمو لاشك أنها صعوبات هائلة، إلا أننا اليوم نحن

جميعاً بأجيالنا المختلفة مسؤولون عن التعاون وعن **أغذاز** المسيرة من أجل تذليل الصعوبات واللاحاق بركب الإنسانية المتسارع.

ولنا في **رشاد حكومتنا** الموقرة ورجاحة آراء المصلحين والأساتذة وهم الشباب والشابات ما يدخل الاطمئنان إلى نفوسنا والثقة بأعمالنا، ويجعلنا ننظر إلى الغد بابتسامة متفائلة، على أمل أن تهدأ غرايب الشعوب الطائشة التي كأنها بنيت على الحقد والتعصب العرقي والكييد للشعوب الناشئة لعل **هجمتها الوحشية** تأنس وتعلم أن **النجاح والتقدم** الخاصين مرتبطان بالتقدم والنجاح العامين الشاملين وأن **الإنسانية** أسرة واحدة فلا يجوز إشعال الحروب وتقتيل الضعفاء والتجني عليهم ونصب المكائد لهم بدلاً من الأخذ بأيديهم والعمل معهم والاستفادة من مواهبهم وإمكانياتهم ومواقعهم السياسية.

ثانياً- على المستوى العربي:

- إذا أردنا أن نصف الواقع الفكري العربي عموماً فماذا نقول؟ وكيف لنا أن نحسن هذا الواقع؟

— البلاد العربية يتم بعضها بعضاً جغرافياً وسياسياً وفكرياً وهذه حلقات متداخلة مترابطة مهمة لذلك يجد أن هذه البلاد ينبغي أن تفكر في الجوانب الإيجابية عندها.

وهذه البلاد تلقت تأثيرات متعددة مختلفة من الخارج فتسببت هذه التأثيرات بردود أفعال وآثار كثيرة إلا أن **البلاد العربية** تستطيع بالتعاون أن تتلافى كل جانب سلبي لتلك التأثيرات **والشعب العربي** شعب فطر على تقدير العلم والفكر، ويكفي أن الدين الإسلامي يرى أن العلم والتعلم والتعليم كلها افضل العبادات، فما من حضارة في العالم رفعت العلم مثل هذه الرفعة.

وبلادنا العربية بموقعها الجغرافي الفريد المتوسط بين شعوب العالم وباعتدال إقليمها قد وهبت أبناءها ذكاء نافذاً وحباً للعمل والثقافة والعلم، ومن أجل **تقدم الوطن العربي** ندعو إلى رفع القيود، وإلى الحرية بأوسع معانيها الفكرية، وندعو الشعب العربي إلى **الثقة بنفسه** وندعو الحكام إلى الثقة بأنفسهم **وبشعوبهم** لرد مطامع وحوش متجبرين يضمرون للبلاد العربية ولكنوزها كل الجشع والحقد بالرغم من كون البلاد العربية تمد أيديها للتآلف والمحبة والسلام إلى جميع الشعوب والأقوام لتكامل نهضتها وتشارك في مسيرة الحضارة العالمية بمناجيتها الثقافية والعلمية والفنية.

سافرت في بلاد كثيرة زرت اليابان في جملة أسفاري التقيت هناك مستشرقاً يابانياً ألح على قضيتين لطيفتين أحب أن أذكرهما:

الأولى- أن الحضارة اليابانية تأثرت عنها الكتابة المقطعية في الأبجدية الصينية وزادت عليها بعض الرموز التي كأنها حركات الإعراب في اللغة العربية وهكذا أصبحت الحضارة اليابانية مدينة بكثير من جوانبها للحضارة الصينية.

وقال: (إن حضارة العرب كانت القمة التي تتصورها في حضارات الشعوب، وإننا أعجبنا بالحضارة الصينية وأخذنا عنها بعض المزايا، إلا أننا كنا ندعو الحضارة العربية (داي شين) أي الحضارة الكبرى التي هي الحضارة الإسلامية.

الثانية- أننا استعملنا الأبجدية الصينية التي هي عبارة عن مقاطع رمزية تدل على أشياء نستطيع قراءتها وفهمها دون أن نتحدث اللغة الصينية أو نعرفها وذلك اعتماداً على هذه المقاطع الصينية التي هي مجرد رموز.

وهكذا نظرنا إلى **الحضارة الغربية** فاعتبرناها رموزاً وكما فهمنا الحضارة الصينية فهمنا رموز هذه **الحضارة الغربية** وأخذنا دلالات هذه الرموز، وفهمنا إشاراتها وتقديرها لأهمية الفكر وأهمية الجهد والتنفيذ والعمل، ثم تجاوزنا التقليد، وهكذا استطعنا أن نؤسس نهضتنا الحديثة.

وأنا أقول: أنتم أيها الأخوة الأحابب العرب ماضيكم المجيد يعطيكم الثقة بأنفسكم ويمكن أن تفهموا الحضارة الأجنبية على أنها مجرد رموز فلا تقلدوا رموزها الشكلية وإنما أنفذوا إلى ما وراء هذه الرموز من أجل الارتقاء بالعلم والقيم الإنسانية والإبداع.

- كان الفكر السلفي في الوطن العربي يمثل تياراً من التيارات النهضوية إن على الساحة العربية أو على الساحة الإسلامية، ومع التغيرات السياسية في العالم برز الفكر الإسلامي باعتباره تياراً ضد الحداثة والفكر الحداثي الغربي مما أدى إلى وسمه بالإرهاب من قبل الغرب خاصة، ما رأيك في هذه المسألة؟
- يقول أمير الشعراء شوقي:

خلق الناس للقوي المزايا وتجنوا على الضعيف الذنوبا

وأنا أرى أن الإنسان العادل في الوقت الحاضر ينبغي أن ينظر إلى: مزايا الشعوب الناشئة، كما ننظر إلى الأطفال والشباب ونتبين إمكاناتهم المستقبلية فنرى في عيونهم ملامح المستقبل والنهوض والتعاون الأممي. الدول المتقدمة وصلت إلى مرحلة الاستكبار والعنجهية التي إذا أصابت الأمة بدأت تدخل الوهن في أوصالها، فهذه الدول حين تتجنى على الدول الضعيفة وتنسب إليها أموراً كثيرة باطلة وتفترى عليها افتراءات جمة، هذه الدول المتقدمة تؤذي نفسها بالدرجة الأولى، ثم كيف يمكن أن نتصور سلفية ضيقة عند المسلمين والإسلام نفسه في حقيقته يأمر بالافتح على الآخرين والتعاون معهم، ألم يأت في القرآن الكريم:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات، ١٣.

أو ليس معنى ذلك أنه لا يجوز أن يتكبر إنسان على إنسان؟

فالناس كلهم من آدم وحواء وأن كلاً منهم قد ولد من أب وأم.

لذلك لانجد في تاريخ الإنسانية دعوة أرحب صدرًا وأعلى آفاقًا من الفكر الإسلامي وأذكر هنا قول شاعر عربي إسلامي كان يهتف في زمن حروب الفرنجة وغارات المغول بهذه الأبيات البديعة:

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان ودير لرهبان

وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

فكيف يفترى المفترون على المسلمين بالتعصب وهم الذين نشروا المساواة بين الأعراق جميعاً، ونادوا بالحب والعمل الصالح والقيم الرفيعة الإنسانية النبيلة؟

ربما كانت السلفية متصلة بإثارة فكرة التراث، والتراث الإسلامي مشرق كل الإشراق ومضيء كل الإضاءة، وإذا أردنا أن نستفيد من تراثنا ومن التراث العالمي فذلك حق لنا على العكس إن التراث الإسلامي يحثنا دائماً على النهل من مناهله العذبة التي تشحذ الفكر وتحفز على الإبداع وتساوي بين الناس والشعوب كافة.

زرت بعض الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) ولقيت مرة أستاذاً كبيراً في الفيزياء فقال لي إنه في تدريسه طلابه يعتمد غالباً على طريقة أبي الريحان البيروني في قياس أوزان الأجسام النوعية، وهو يرى أن هذه الطريقة أكثر نفعاً وأشد قدرة على شحذ الأذهان ودفع الطلاب إلى الاختراع والإبداع.

والأمثلة في ديننا الإسلامي كثيرة جداً: الإسلام دعا إلى التعاون والتسامح، ونادى برفع القيم الإنسانية السامية فوق كل قيمة مادية، ومن الأحرى بنا أن: نفتخر بهذا التراث، وأن ندعو إلى تفهمه ومسح الغبار عنه والتزود بأنواره المشعة المنيرة خلال العصور الماضية، نأمل أن نستفيد منه ومن التراث العالمي خلال العصور المقبلة.

وهذا ما يوضح صورة الفكر الإسلامي للأمم الأخرى ويجعلها تغير مواقفها منه.

إن الفكر السليم والقلب المخلص والإنسان العادل مزايا لدى كل عربي ومسلم تدعوننا للفخر بها وهي

تجعلنا ندعو لتمثيلها في حياتنا وسلوكنا وأعمالنا واتجاهاتها المقبلة

- هناك حديث في العالم اليوم عن حوار الحضارات وحديث عن صراع الحضارات بين مؤيد لهذه الفكرة ومعارض لها فما رأيك في هذه القضية؟

- أحب هنا أن أرجع إلى عهد قريب كان قد شاع في ثقافات الأمم التي تأثرت بماركس مصطلح صراع فكانوا يقولون **صراع الطبقات** وكانوا يقولون **صراع الأجيال** كأن الطبقات والأجيال تتصارع لتنهال جميعاً، وكأن الأجيال بعضها عدو بعض ليفني بعضها بعضاً، واليوم أصبح يقال **صراع الحضارات**، وأنا أجزى لنفسي أن أندد بهذه التعبيرات الموحية بالبغضاء والتباعد بين الشعوب والحضارات واستعمل لفظاً مناسباً فأقول **تعاون الحضارات وتآزرها** بمعنى لا صراعها، وأجزى الكلام على الحوار بمعنى أن الحوار يمكن أن ينتهي إلى التآزر والتعاون، فالحضارة الإنسانية ليست حضارة شعب واحد وإنما هي نتيجة تجارب إنسانية طويلة المدى عبر أحقاب التاريخ الغابرة.

ينبغي على الإنسانية الحاضرة أن تكرم ذكرى أولئك الأجداد العظماء الذين عاشوا في ظلمات التاريخ وأنواره والذين أنشؤوا شيئاً فشيئاً المدنية فتمكنوا من الوصول حتى إلى **العوائم** الخارجية. ونحن نخشع أمام تلك الشعوب التي أنبتت أبناء طبيين صالحين أفادوا الإنسانية بكشوفهم واختراعاتهم واستفادتهم من الطبيعة المحيطة بهم وهيؤوا لنا مناخاً وأجواء جميلة مناسبة فوق كوكبنا الأرضي. ولئن نشبت حروب في التاريخ ومأس مؤلمة للنوع البشري فيجب أن يكون ذلك حافزاً لنا على تلافي تلك المآسي والحروب والشور بين الإنسان والإنسان. ونحن نأسف أن نرى تجدد هذه الجاهلية عند بعض الأقوام الحديثة التي غرها تقدمها وكبرياؤها فأخذت تتجه للأسف اتجاهها منحرفاً عن الاتجاه الإنساني القويم النبيل. نحن ندعو إلى **تعاون الحضارات** بحيث نجني من كل حضارة أطيب ثمراتها وأفضل مجانيها في خدمة الإنسان كي نكون أهلاً للعصر الحاضر وكى نتخلق بأخلاق المصلحين والأنبياء ونرتفع إلى مستويات النبل والمجد والكمال الإنساني.

- هل تودون إضافة شيء أخيراً؟

— ربما كانت الأسئلة والأجوبة ملمة بقضايا متعددة هامة ومثيرة للنقاش والتفاهم يصح أن نكتفي بها الآن مع أن الأسئلة لا تكاد تكون لها نهاية^{١٠٤}.

١٠٤ - مجلة المعرفة، حوار مع الدكتور عبد الكريم اليافي، إعداد: عبير عوض، إصدار وزارة الثقافة، دمشق، العدد ٤٧٤، آذار ٢٠٠٣، ص ٣٣٩-٣٤٧.

خبرة المؤرخ الغربي واشنطن أرفينغ

من خلال كتابه الحمراء

(الحضارة العربية في الأندلس وآثارها في الثقافة لإسبانية)

- مدخل تاريخي:

سنة ٧١٢م دخل العرب إسبانيا عبر المضيق الذي يفصل بين أوروبا وإفريقيا والذي سمي بعد ذلك الفاتح العربي طارق بن زياد فصار مضيق جبل طارق. بعد ذلك انفتحت أمام العرب شبه الجزيرة الإيبيرية كلها ثم اجتازوا جبال البرينيه إلى سهول تولوز، جنوب فرنسا وأواسطها إلى أن وصلوا إلى بواتيه جنوبي باريس حيث وقعت المعركة التي قتل فيها القائد العربي عبد الرحمن الغافقي وتوقف على الأثر المد العربي باتجاه الشمال والغرب، أتراهم كانوا يلمون بإغلاق الدائرة؟

يتجهون نحو الغرب ثم الشمال فالشرق فإذا هم من جديد في دمشق ربما، فقد كان الجهاد أحد أركان الإسلام، إنه باب من أبواب الجنة كما يقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وجيوشهم التي اتجهت نحو الشرق وصلت إلى الصين.

لقد كانوا مؤمنين برسالة يريدون نشرها في العالم كله، لكن هل تجري الرياح دائماً كما تشتهي السفن؟ ذلك الحلم انكسر على كل حال وبدأ الانحسار إلى أن انحصر المد خلف جبال البرينيه الإسبانية ثم ازداد الانحسار إلى أن ذهبت الإسبانية ثم ازداد الانحسار إلى أن ذهبت مدريد وقرطبة وإشبيلية، وحصر العرب بعد معركة العقاب ١٢٣٦ في الجنوب الإسباني الأندلس أنا مملكة غرناطة وهي الأرض نفسها التي كان العرب الفينيقيون الذين أسسوا مملكة قرطاج في تونس، قد دخلوها وأقاموا فيها مملكة هي امتداد لقرطاج دعوها قرطاجين هل يعيد التاريخ نفسه؟ ربما، لكن حتى هذه المملكة الصغيرة جاءها يوم غدت فيه غير قادرة على الصمود في وجه ضغوط شديدة وقوى صاعدة فاستسلمت وخرج آخر ملوك العرب أبو عبد الله الصغير في غرناطة كسيراً حزيناً وصوت أمه يردد: إبك كالنساء ملكاً لم تصننه كالرجال.

كان ذلك عام ١٤٩٢ وبين التاريخين ما يقارب الثمانية قرون، فماذا فعل العرب في الأندلس خلال تلك القرون الثمانية؟ أية حضارة بنوا؟ أية آثار تركوا؟

كثيرون درسوا فتح العرب للأندلس وحكمهم فيها، حضارتهم وآثارهم، على الصعد السياسية، العسكرية، التنظيمية، الدينية، العمرانية، ولكن وحده واشنطن أرفينغ، الكاتب الأمريكي الذي عاش ما بين

١٧٨٣ و١٨٥٩م درس الأثر الثقافي والاجتماعي للعرب وحضارتهم في تلك البلاد وخرج لنا بكتابه الرائع الحمراء.

- كتاب الحمراء:

من هنا كان اهتمامنا بهذا الكتاب ولهذا السبب أردنا أن نقدمه للقارئ العربي لعله يطلع على شهادة دارس موضوعي غير متحيز جاء بدافع البحث العلمي الخالص والضمير المنصف الذي لم يعرف دعاية صهيونية ولا أموال روتشيلد ولا حقداً إمبريالياً على العرب الذين بنوا حضارة في الأندلس بمعناها الكبير إسبانيا لم يستطع أحد في الغرب والشرق إلا أن يشهد بعظمة صروحها وروعة إنجازاتها وكبير تأثيرها.

كتب واشنطن ارفينغ كتابه هذا بين ١٨٢٩ و١٨٣٢م حين عينته حكومته وزيراً مفوضاً لدى الحكومة الإسبانية، فذهب إلى الأندلس وإلى غرناطة والحمراء تحديداً، بحث وتقصى ثم خرج بكتابه الحمراء الذي طبع لأول مرة عام ١٨٥١م، والذي قال في مقدمته لتلك الطبعة: كتبت هذه الحكايات والقصص، آخذ بعين الاعتبار المحافظة على ألوان النظرة المحلية لأظهر هذا العالم الأصغر (الأندلس) حياً ومعبراً تماماً كما ساقني الحظ لأن أجد نفسي فيه.

ولأن العالم يربكه أن ألتقط وأبرز وأعبر عن شخصيته بنصفها الشرقي والإسباني، في ذلك الخليط الأسطوري من البطولة والشعر، متتبعاً كل ما تلاشى في آثاره من العظمة والجمال بهدف تسجيل تقاليد الفروسية التي نبعت منه والتي كانت تجوب في قاعات ذاك الملك بأسطورية خارقة جسدها عرق خليط من الناس والشاهد عليها اليوم هو تلك الأطلال.

في كتابه الحمراء، يصف المؤلف بدقة كبيرة معالم قصر الحمراء وقلعته التاريخية في غرناطة التي هي كناية عن مصيف عذب الهواء بالمقارنة مع جو المدينة الحار، مشيراً إلى أهمية الزخارف الخطية العربية التي أبدعت أول ما أبدعت في دمشق.

كذلك تتبع أصل البورسلين الذي يشتهر به الهولنديون، وهم جالية كبيرة في نيويورك أيامه، وكيف أنهم أخذوه من تلك الأصول الدمشقية عبر الأسبان الذين بسطوا نفوذهم على الأراضي الواطنة ذات يوم.

ثم يشير على أن الحمراء ليست قصراً واحداً، بل هي: قصور وحصون، أبراج ودهاليز، ساحات ومستودعات، بحيث كانت تتسع لأربعين ألف مقاتل عدا عن الملك ونسائه، جواريه وعبيده، رجال بلاطه وحواشيه، وتلك القصور التي بدأ بناءها محمد بن الأحمر أمير غرناطة ومؤسس سلالة بني نصر فيها، في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي لم تنته إلا على يد الأمير يوسف بن الحجاج أي بعد مائة عام أو يزيد.

لقد قامت بالأساس لتجسد التصور الإسلامي لجنة الخلد على الأرض ولتكون حاضرة ملك هو آخر موجة من موجات الامتداد العربي إلى الغرب.

- حضارة العرب:

يعد الكتاب القرون الثمانية من التواجد العربي على تلك الأرض قرون إشعاع حضاري على العالم من الأندلس، قام به رجال فتحوا وحكموا وازدهروا.

لنر ما يقوله الكاتب في هذا الصدد: لهذا كانت مدن إسبانيا العربية منهلاً للغرب الأوروبي المسيحي لتعلم كل الفنون، فجامعات طليطلة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة كانت مقصد الطلاب من الغرب ممن أرادوا تعلم العلم من العرب ليستخرجوا من ذلك الكنز الذهبي العتيق رغادة العيش بالعلم ومن مراكز قرطبة وغرناطة التي انبثقت منها الموسيقى والشعر.

تعرف محاربو الشمال أيضاً على كيفية الاستعمال الأمثل لزخم واندفاع الفروسية.

والكاتب يتتبع عوامل وبواعث ذلك الازدهار الحضاري فيقول: (وارتدادهم عند حدود البرينيه دفعهم، إلى ترك المبدأ الإسلامي في الفتح ليعملوا على توطيد أقدامهم في إسبانيا فقط، وهم كفاتحين لا يضاهاي بطولاتهم إلا عدم تعصبهم، ولقد تضافر هذان العاملان مع الزمان على تشكيل أمة فريدة في مكان تواجدهم في الأرض التي افترضوا أن الله قد أعطاها لهم، لذلك أرادوا أن يزودوها بكل ما يمكن أن يرفد سعادة الإنسان فيها فساعدوا كل علم وفن وحسنوا الزراعة والصناعة والتجارة، مما مكنهم من تأسيس إمبراطورية مسيحية جاذبين إلى فلکهم كل عظمة وإتقان الحضارة العربية في المشرق لذلك كانوا في أوج عظمتهم الحضارية، النور الشرقي الذي اهتدت به ظلمات أوروبا.. في أوج عظمتهم الحضارية هذه، بني قصر الحمراء ليظل على مدى القرون رمزاً لتلك الحضارة وتجسيدا لمطامح قوة كانوا دائماً صانعين للحضارة وكانت بلادهم منشأ الحضارات الإنسانية ومهداً لها).

يقول واشنطن ارفينغ: (ربما ليس هناك اثر يعبر عن عصره وناسه أكثر من الحمراء، تلك القلعة الكالحة خارجاً والقصر الباذخ داخلاً.. الحرب تكشر فوق أسواره، وأنغام الشعر تنسرب في قاعاته الرائعة المعمار).

بلا مقاومة، يجد المرء نفسه وهو ينتقل بخياله إلى تلك الأيام، حين كانت إسبانيا العربية الإسلامية منطقة إشعاع للحضارة والنور وسط أوروبا المسيحية إنما الغارقة في الظلام، لقد كانت الحمراء خارجياً: قوة حربية تقاتل من أجل البقاء، ولكن داخلياً، كانت دولة مكرسة للآداب والعلوم والفنون.

حيث الفلسفة تصقلها العاطفة فتتحول إلى حكمة ومأثورات، وحيث وسائل الترف الحسية تتسامى بها وسائل التفكير والخيال.

لقد درس ارفينغ وطوال سنوات ثلاث الآثار التي تركها العرب في ثقافة الشعب الإسباني طوال تلك القرون الثمانية، فوجد أنها كثيرة تدخل في لحمه وسداة تلك الثقافة إذ يقول: (إن فتح العرب لتلك البلاد قد حمل معه حضارة أرقى وطرزاً أنبل في التفكير إلى إسبانيا القوطية).

ذلك أن الفتوحات العربية كانت قد بدأت قبل حوالي مائة عام تقريباً، والمد الحضاري العربي كان قد انتشر إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب، وكانت الدولة الإسلامية قد تشكلت أحسن تشكل وكانت قد رسخت أسس المجتمع العربي الإسلامي، نظمه وتشريعاته وقوانينه.

فالعرب لم يوفروا جهداً في الاستفادة من تجارب الشعوب الأخرى، الأمر الذي جعلهم يسيطون سيطرتهم على أنحاء واسعة من المعمورة في تلك الأيام وقيمون أكبر إمبراطورية في التاريخ، لماذا؟

يقول ارفينغ: (العرب أناس شاعريون، لامعو الذكاء، سريعو البديهة، أصحاب إباء وشهامة وحكمة وعقل وقد تشربوا بعلوم الشرق وآدابه، وحيثما كانوا يقيمون مركز قوة ونفوذ يصبح على الفور مركز استقطاب للمتعلمين والنابعين، كما كانوا يقومون بصقل الناس الذين يفتحون بلادهم وتشذيبهم، شيئاً فشيئاً كان ذلك الاهتمام بالتعليم والصقل يعطيهم حقاً وراثياً، على ما يبدو، في موطنهم قدمهم ذاك في البلاد ولا يعود أحد ينظر إليهم على أنهم غزاة دخلاء بل جيران منافسون).

هذه النظرة الجديدة التي استطاع العرب أن يحصلوا عليها من الشعب الإسباني عبر الزمن هي التي مهدت الطريق لإيجاد نوع جديد من العلاقات يسمح بالأخذ والعطاء بين الشعبين، بالتأثير والتأثر، أو كما نقول اليوم **الثقافة** ويشرح ارفينغ هذا فيقول: (ذلك أن الأرضية السياسية من الحقد والعداء واختلاف الدين (بين الشعبين) كانت قد فقد حدتها.. والدول المتجاورة، كانت أحياناً، رغم اختلاف العقائد، تعقد فيما بينها **التحالفات، الدفاعية منها والهجومية،** بحيث كان الصليب والهلال غالباً ما يشاهدان جنباً إلى جنب وهما يقاوتان ضد عدو مشترك).

في أيام السلم أيضاً كان شبان الطبقة النبيلة من كلا المذهبين يلجؤون إلى المدن نفسها، مسيحية كانت أم مسلمة ليلتحقوا بالمدارس التي يتعلمون فيها العلوم العسكرية بل حتى أيام الهدنة المؤقتة للحروب الدموية كان المحاربون الذين عادوا لتوهم من العراك الشديد ضد بعضهم بعضاً يلقون جانباً عدواتهم ويلتقون في مباريات ومبارزات ودية ويشاركون في الأنواع الأخرى من الاحتفالات والمهرجانات ويتبادلون المجاملات بروح نبيلة كريمة، على ذلك النحو أصبحت الشعوب المختلفة تمتزج معاً وتختلط بنوع من التواصل السلمي وإذا كان هناك أي تنافس فإنما يكون على درجة عالية من الرقي والنبيل الذي يتناسب مع روح الفارس الشهم النبيل..).

- الآثار:

إذن، كما يقول ارفينغ: (قامت بين الشعبين العربي والإسباني نوع من العلاقات الفريدة جعلت المثاقفة حتمية والتبادل الثقافي أمراً لا بد منه لكن بما أن قانون علم الاجتماع يقول: طبقاً لما عبر عنه ابن خلدون في مقدمته (إن الشعوب المغلوبة تقلد الغالبة والمحكوم يقلد الحاكم والفقير الغني..)).

فقد كان من الطبيعي أن يقلد أهل الأندلس الفاتحين الجدد، سادة العالم يومذاك وأن يحاكيهم ويعجبوا بهم ويأخذوا عنهم، بل إننا بالعودة إلى المخطوطات العربية والكتب التراثية القديمة يمكننا أن نرى أن زيجات كثيرة كانت تحصل بين العرب والأسبان نتيجة العلاقات التي كانت تقوم بينهم في السلم أو في الحرب فثمة الكثير من مصاهرات الجوار وعلاقات الحب وحالات الأسر التي نتج عنها تزواج بين هذين الشعبين مثال **على ذلك**: زواج الأمير نصر الموحد من الأميرة الإسبانية ليندا راكسا، وزواج الأميرة العربية (الست مريم) من الدون بيدرو فينغاس.

نتيجة هذه العلاقات الفريدة نقرأ عن قصص عجيبة حدثت بين هذين الشعبين ووقائع غريبة لا تحدث لغيرهما من الشعوب أبداً.

يذكر ارفينغ العديد من تلك الوقائع أدت الهدنة الطويلة التي أعقبت (معركة سالادو) والتي باءت جهود يوسف (المقصود هنا يوسف الأول أمير غرناطة) لتجديدها بالفشل، مع عدوه المميت (ألفونسو الحادي عشر) صاحب قشتالة، أدت إلى حصار جبل طارق، ودون جدوى، حاول يوسف مراراً رفع هذا الحصار، وفي غمرة هذا التوتر، تلقى نبأ بأن خصمه المميت قد وقع ضحية الطاعون، وبدل أن ينتهز هذه الفرصة، يعيدنا يوسف إلى ماضي العرب المشرق في مثل هذه الظروف، إذ يحزن عليه ويقول: (لقد خسر العالم أحسن أمرائه).

والمؤرخون الأسبان الذين شهدوا على هذا القول، أكدوا أن فرسان العرب، ولتأثرهم بقول أميرهم هذا، أعلنوا الحداد على موت ألفونسو ولم يقيم أي من الذين كانوا قرب جبل طارق المحاصر بأي عمل عدائي ضد المسيحيين أثناء الحداد..).

وبالطبع، هناك في السجلات والكتب قصص وحكايات كثيرة عن مثيلات هذه المعاملة الكريمة والاحترام المتبادل، بل والاعتراف بالجميل والوفاء وحسن المعاملة ورد المعروف، لكن ما يهمنا هو أن نمر مروراً سريعاً، لضيق المجال، بما تركه العرب من آثار ثقافية واجتماعية في الأندلس:

أ- على صعيد الفن: حمل العرب معهم كما يقول ارفينغ حضارة راقية وذوقاً رفيعاً ربما تجلّى أكثر ما تجلّى في فن العمارة، حيث كانوا يقيمون المساجد والقصور والصروح التي لم تعرف الأندلس ولا أوروبا يومذاك مثيلاً

لها قط، لقد حملوا معهم فن (الآرابيسك) وهو على ما عليه من رفعة ورقي، تناسق وتناغم، والأسبان لم يكونوا قد عرفوا هذا الفن، فالزخرفة بالخط والحرف العربي هي من إبداعات دمشق العربية التي صدرتها للوطن العربي كافة، وقد صنعوا، بهذه الزخرفة، روائع فنية كانت وما تزال تسحر، ليس الشعب الأندلسي فحسب، بل العالم كله.

يقول ارفينغ بيدو الآرابيسك للعين غير الخبيرة، والذين يزين جدار قصر الحمراء، أنه مجرد عمل من حفر اليد، لكن التفاصيل الدقيقة فيه لا تظهر إلا للعين الفاحصة التي عليها أن تراعي عمومية الانسجام أن نعمم هذا الأمر على كل النمازق والمنمنمات التي تزينها أو تزين الأواني والأدوات الأخرى فتضفي عليها صفة سماوية سامية وبسبب هذه الصفة السماوية السامية، ربما حافظ الشعب الإسباني على تلك التحف الفنية الرائعة لتكون اليوم شاهداً قاطعاً على شدة إعجاب هذا الشعب بالفن العربي الذي دخل بلاده وترك آثاراً فيها خالدة. ها هو ذا أيضاً يسجل شدة إعجاب الناس حتى يومنا هذا بتلك الرائعة الفنية، إذ يقول: (إن قصر الحمراء هو كعبة زوار إسبانيا، من الذين ينشدون رؤية الجانب التاريخي والشعري الرومانطقي لتلك البلاد، فكم من أسطورة وتقليد صحيح ووهمي، وكم من رقصة وأغنية عربية وإسبانية حول الحب والحرب والفروسية مرتبطة بهذا الركن التاريخي، فهو سرير ملك العرب هناك، المحاط بالروائع والعجائب، من أفخم ما صنعتته يد الفن الجميل بهدف تشخيص وتكريس تصور الجنة السماوية عند المسلمين في إمبراطوريتهم الأسبانية).

ب- على صعيد اللغة: لاشك أن الآثار التي تركتها اللغة العربية على الإسبانية كبيرة وهامة، تحتاج للبحث من أخصائيين في اللغة واللسانيات، لكن ارفينغ يكتفي بأمثلة: كبقاء ال التعريف العربية في اللغة الإسبانية. إضافة إلى أن كل الكلمات التي تبدأ بألـ هي كلمات عربية خالصة، هناك أيضاً الأسماء، فكثير من أسماء المواقع والقرى ما تزال تحمل أسماءها العربية، مثل:

مرسية، الكرز، البسيط، بلدة طريف، الجزيرة، جبل طارق، مدينة سالم، فونتلا لا بيدرا، أي نبع البيدر، وادي دارو أي الدارة، الوادي الذي ما يزال بلفظه الحرفي إلى آخره، لكنني من قراءاتي الخاصة اطلعت على أبحاث قام بها مختصون حديثون أذكر منهم العالم اللغوي الدكتور (رافائيل لايبسا) الذي وضع كتاباً بعنوان (تاريخ اللغة الإسبانية) وهذا بعض ما جاء فيه عن أثر اللغة العربية فيها: (يأتي العنصر العربي في مفردات اللغة الإسبانية في الدرجة الثانية من الأهمية بعد العنصر اللاتيني، وتوجد في لغتنا حوالي أربعة آلاف كلمة عربية ماعدا المصطلحات الدارجة على اللسان المأخوذة من العرب والتي تبناها الأندلسيون بسبب تفاعل الحضارة العربية في أرضهم وفي أسلوب حياتهم)، من هذه المصطلحات التي يذكرها المؤرخ اللغوي لايبسا:

عبارة: ojala إن شاء الله إذا ما عزموا على أمر..

وعبارة: Aole أي الله إذا ما أرادوا أن يعبروا عن إعجابهم بالرقص أو الغناء أو مصارعة الثيران.

أما آلاف الكلمات العربية فبعضها ما يزال كما هو في الأصل مثل:

الضيعة، المخدة، البركة، القطن، الكحل، الفارس.. ومنه ما حرف وتغير لفظه قليلاً بسبب كتابته بالحرف اللاتيني لكن يمكن بسهولة رده إلى أصله العربي.

نجد من ذلك الكثير من القاموس العصري الهام الذي وضعه عدد من المستعربين الإسبان بعنوان VOS.

جـ - التقاليد والعادات: لعل شدة الصراع وطول الاختلاط والتمزج بين الشعب العربي والإسباني ترك طابعه حتى على مزاج الشعب الإسباني وعلى عاداته وتقاليده.

يقول ارفينغ للشعب الأسباني: المزاج الشرقي نفسه في حب سماع الحكايات والغرام بالغرائب فهم يتحلقون حول أكوأخهم في الأمسيات الصيفية أو حول المدافئ بزوايا المحال في الشارع، ليستمعوا بسرور إلى قصص معجزات القديسين ومغامرات الرحالة، ومخاطرات قطاع الطرق واللصوص ولعل هذا المزاج نفسه هو الذي جعلهم أقرب إلى العرب في كل ما يتعلق بمسألة التقاليد والعادات (الشرف والمروءة، النخوة والشهامة) يقول ارفينغ: (كنت أستمتع أكثر وأكثر بسجلات التاريخ الإسبانية القديمة التي وجدتتها هناك، وقد استمتعت على نحو خاص بتلك التواريخ الطريفة التي تتناول العهود التي كان فيها العرب يحتفظون لموطئ قدم لهم في شبه الجزيرة، ورغم كل ما فيها من تعصب أعمى وعدم تسامح أحياناً، إلا أنها مملأة بالفصول النبيلة والعواطف الكريمة، ما يحس فيها المرء بنكهة شرقية رفيعة عبقة لا توجد في السجلات الأخرى لتاريخ شبه الجزيرة حين كانت أوروبا خالصة والحقيقة أن إسبانيا حتى في الوقت الراهن هي بلاد منفصلة مقطوعة تاريخاً، عادات، أعرافاً ونمط تفكير عن بقية أوروبا إنها بلاد رومانسية لكن ليس لرومانسيتها عاطفية الرومانسية في أوروبا المعاصرة.

إنها مستمدة بصورة رئيسية من مناطق الشرق بكل ما فيها من إشراق وألق مستمدة من المدرسة العالية التفكير للفروسية العربية الشرقية.

د- المهرجانات والأعياد: مما لاحظته ارفينغ في جولاته في الأندلس واختلاطه بهذا الشعب الرومانسي

الساحر، كما يقول: أنه يجب المهرجانات والاحتفالات فهم يهتبلون كل عيد أو مناسبة أو فرصة لإقامة الأفراح والاحتفال بالمهرجانات وكل ذلك وفق طقوس محددة وعادات مقدسة لا يجيد أحد منهم عنها قيد أنمله مع أن هذه الاحتفالات والمهرجانات، كما يقول ارفينغ: (تستهلك الكثير من مدخرات هذا المجتمع البسيط وتشكل عبئاً مادياً عليه، وفي مكان آخر يقول: (ومن يوم فتحت الحمرا وصار مجلس الملك فيها

وقاعاتها الإسلامية مسرحاً لعزف الغيتار والكاستانيت يأتي الناس كل سنة ليمرحوا بأزيائهم الأندلسية ويرقصوا رقصات تقليدية موروثية عن العرب..).

هـ الغناء والموسيقى: كذلك يحب الشعب الإسباني الموسيقى والغناء.

لكن إلى أي درجة تأثر هذا الشعب بحب للغناء والموسيقى؟

هذا ما يصعب تحديده، كان العرب كما يقول ارفينغ في كتابه: شعباً أبهج مما هم عليه اليوم. إذ كانوا لا يفكرون إلا بالحب والموسيقى والشعر لذلك عملوا من كل مناسبة فرحاً وكرسوها بالموسيقى، فمن كان يقول أفضل الشعر ومن كانت تغني أفضل الألحان، كانوا المفضلين عند الناس، ولعل بروز ظاهرة الشعراء الجوالين التروبادور تعود إلى الظاهرة نفسها عند العرب، فالشاعر ينتقل من أمير إلى أمير ومن قصر إلى قصر، وربما كان يحمل معه ربابة، كما هي العادة الجارية لدى شعرائنا الشعبيين حتى اليوم، يلقي أشعاره أو يغنيها.

إن الشاعر العربي جوال بطبعه، ألم يقل القرآن الكريم:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ الشعراء، ٢٢٥.

ارفينغ لا يجزم، لكن يشير إلى ذلك، غير أن ما يجزم به هو التالي لهذه الأسباب كلها، ازدهر ذلك العدد الكبير من شعراء الغزل في غرناطة وهذه الأسباب ظهرت أناشيد الحب تلك التي توضع بشذا الحب والحرب.. تلك الأناشيد التي ما تزال تشكل فخر الأدب الإسباني وبهجته إن هي إلا أصداء لقصائد الفروسية والغزل التي كانت في الماضي تبهج بلاط الملوك في الأندلس وتبعث في قلوبهم المسرة والتي كما يدعي مؤرخ حديث لغرناطة، تعود إليها أصلاً قصيدة ريمية القشتالية وذلك اللون من فنون المسرح الذي يقدمه الجوالون في غرناطة..

كما يتكلم عن العلاقة بين الشعبيين في الأندلس في مكان آخر فيقول: أن حوليات تلك الأيام ملأى بالأمثلة التي توضح تلك الحالة من الرقي والنبيل والكرم والرومانسي والرفعة والتركيز على الشرف والكرامة مما ينشر الدفء ويبعث الراحة في النفس حين يقرأه المرء.

إنها موضوعات جاهزة لتكون مادة لمسرحيات وأشعار وطنية هي التي كانت مادة رائعة لتلك الأناشيد والأغاني التي تجدونها في كل مكان في إسبانيا والتي تشكل أنفاس الحياة للشعب الإسباني..

و- الموروث الشعبي: ونقصد به الثقافة وما توارثه الأسبان جيلاً بعد جيل من قصص وحكايات وأساطير عن الصراع الذي دار طويلاً بينهم وبين العرب، البطولات التي حدثت، الوقائع المدهشة التي جرت، وغرائب العلاقة بين شعبيين متجاورين، كان كل منهما يحمل للآخر الاحترام والإعجاب والتقدير.

على هذا الجانب يركز واشنطن ارفينغ في كتابه الحمراء كل التركيز ربما لاعتباره أن اللاوعي الجمعي، حسب نظرية عالم النفس كارل يونغ، هو الذي يجسد مدى تأثير شعب غيره، وهو الذي يوضح أبعاد ذلك التأثير. لهذا، منذ اليوم الأول لدخوله الحمراء شرع يبحث عن آثار الحضارة العربية الثقافية والاجتماعية في سهول الأندلس وجبالها، في أحاديث الناس ومحكياتهم فخرج بالكثير.. إنه يقول: ولعل الصفة الأساسية من صفات الريف الإسباني هو منظر الطاحون العربية القيمة التي تنتصب دائماً على جداول الأنهار الأندلسية مع ما يرافقها من بروج للدفاع، وقد كان توقفنا الثاني في (الفاندول) حيث بقايا قصر عربي آخر مع برجه المصاحب والمطل على سهل الكامبينا.. إن هذه القصور كانت معقل لحماية السهول من الغزو والنهب الذي كانت تتعرض له المحاصيل والماشية.

إذن، حيثما توجه ابن الأندلس، ثمة آثار عربية تذكره بماضي ذلك الريف وتلك المدن التي كانت ذات يوم في غاية الازدهار، الأمر الذي جعل الحضور العربي في موروثه كبيراً.

يقول ارفينغ: (لا يوجد موضوع أكثر شيوعاً من قصص الكنوز التي دفنها العرب عندهم والتي تتناقلها كل البلاد، فكل من ينظر إلى جبال السيرا الموحشة، سيرى الأبراج والقلاع العربية منتصبة فوق القمم، كذلك حين تسأل المكاري سوف يتوقف ويؤخر إشعال سيجارته ليخبرك عن بعض قصص الكنوز الإسلامية المدفونة تحت هذه المعقل، كما لا تجد أي قصر مهديم في أي مدينة إلا وله قصة تقليدية عن كنز كان فيه، يتناقلها الناس من جيل إلى جيل، خاصة من يجاورون هذا القصر من الفقراء).

ولأنه كان يسود الجهل والأمية والكثير من التعصب الديني، فقد اصطبغت تلك القصص بالغموض وأجواء السحر والجن والشياطين إلى درجة تبدو الآن أشبه بحكايات ألف ليلة وليلة، وبأساطير الأقدمين العجيبة الغريبة.

ففي تلك القصص الخاصة ذات الصلة بالشرق، وخاصة في المقاطعات الإسبانية الجنوبية، كل ثروة مخبوءة محروسة (برصد) سحري يحميها، ويكون هذا الرصد الحامي على شكل وحش مرعب أو تين أو أحياناً أخرى روح رعي جالس بجانب كنزه بكامل سلاحه، شاهراً سيفه دون حراك كالتمثال وهو يراقب من عصور دون أن يغفو، على أن ارفينغ لا يترك هذه الظاهرة دون تفسير، فوجود آلاف الأساطير التي تدور حول الكنوز والحكايات والقصص التي ترويها الجدات للأحفاد، والآباء للأبناء، لا بد وأن لها أسساً على أرض الواقع، من هذه الأسس الحفريات التي كانت تحدث أحياناً بين خرائب القلاع العربية أو مساكن العرب السابقة واكتشاف جرار من الذهب أو الفضة على شكل حلي وعملات نقدية وتحف فنية، ويفسر ارفينغ ذلك بقوله: (من خلال الحروب بين هذين الشعبين، كان قدر المدن والقرى تغيير حكامها ومواطنيها

أيضاً فجأة، وخلال الهجوم على السكان أو حصارهم كانوا حتماً يدفنون أموالهم ومجوهراتهم في الأرض أو يخفونها في الكهوف أو آبار الماء كما يحصل في أيامنا هذه في بلاد شبيهة في الشرق أثناء الاحتلال المفاجئ، على أما أن يعود النازحون إلى ديارهم ليخرجوا أموالهم وأشياءهم الثمينة).

من هنا، ربما نبعت الحكايات والأساطير التي تتحدث عن كنوز الذهب والفضة، الحلي والجواهر التي ما تزال مدفونة تحت التراب، الأمر الذي كان يشغل حيزاً كبيراً من تفكير الناس ويلهب حماسهم دائماً للبحث عن تلك الكنوز ويكفي اكتشاف كنز واحد حتى يبلغ هذا الإلهاب أوجه.

مثلاً: ذات مرة وجدت في قصر الحمرا معقل الأساطير التي هي من هذا النوع جرة بها عملة عربية مع هيكل ديك، مما دفع الكثيرين لأن يعتقدوا أنه دفن مع الجرة حياً، وارفينغ في تركيزه على هذا الجانب، يفرد حيزاً كبيراً من كتابه للقصص الحكايات الشعبية التي يبدو أكثرها مسبوكاً سبكاً جيداً إضافة إلى أنه ممنوع ومثير للغاية.

من بين هذه الحكايات: **حكايات حب مثل**: (حكاية الأمير احمد الكامل أو سائح الحب)، حكاية (وردة الحمراء)، حكاية (برج الطفلات: أو الأميرات الحسنات الثلاث)..

وقصص حرب وبطولة: كحكاية (المحارب القديم)، وحكاية (حرب صليبية لسيد القنطرة العظيم)..

وحكايات نبل وشهامة: كحكاية (الدون مونيو ساشودي مينو جاسا)..

وقصص الكنوز والأموال المدفونة وهي كثيرة جداً منها: (قصة ميراث عربي)، وحكاية (التمثالين الحكيمين)، وحكاية (الجندي المسحور).. وقد صاغها الكاتب كلها بأسلوب فني مشوق يصل حد السحر والإبهار أحياناً.

لا تقتصر آثار الحضارة العربية على ما ذكرنا من سعد ومجالات فهناك مجالات أخرى لايسمح لنا ضيق الوقت بالتحدث عنها وهي العلوم، الآداب، المسرح، حتى ملابس الناس وأزيائهم تأثرت في إسبانيا، إذ أخذ الشعب الإسباني من العرب وعطاهم بحيث صار المجتمعان متقاربين إلى حد كبير، متشابهين في كثير من المظاهر والحياة الاجتماعية يقول ارفينغ: (كان الناس من كافة الطبقات يلبسون عباءة قصيرة تدعى الطيلسان وتشبه ما كان شائعاً ارتداؤه في إسبانيا في القرنين ١٦ و١٧ وللطيلسان غطاء رأس أو قبعة أليس هذا هو البرنس المغربي؟)..

كما كان الفارس الإسباني يتجهز للحرب بأسلوب قريب جداً من أسلوب الفارس العربي، كذلك كانوا يستخدمون عوضاً عن العمامة قبعة صوفية خضراء أو حمراء، ولعلها من ذلك النوع الذي ما يزال مستخدماً حتى اليوم في المغرب العربي ويعرف باسم القبعة التونسية أو الفاسية، إذن، حدث نوع من الامتزاج والمحاكاة

جعلت سكان الأندلس، عرباً وأسباناً، في وقت من الأوقات أشبه بعدوين حميمين أو صديقين لدودين إن جاز التعبير، ربما كان من الممكن أن يستمر في التعايش معاً زمناً أطول بكثير لولا **التعصب الديني**، كما يقول ارفينغ، الذي كان قد أشعل الحروب الصليبية التي استمرت ما ينوف على ٣٠٠ عام.

- الخاتمة:

لقد أمضى واشنطن ارفينغ سنوات عدة وهو يبحث ويتقصى المسألة التي شغلته طويلاً: أثر الحضارة العربية الثقافي والاجتماعي على إسبانيا وبالتالي على شعوب أمريكا نفسها التي اكتشفها الأسبان وبسطوا سيطرتهم على معظم أصقاعها في أوج قوتهم وعظمة إمبراطوريتهم.

خلال تلك السنوات زار الناس، التقى بفقرائهم، نبلائهم، أغنيائهم، رعاعهم.. سمع حكاياتهم وقصصهم، شاركهم مهرجاناتهم وأعيادهم وخرج بانطباعات هامة يمكننا أن نورد بعضها هنا: (الإسبان يحبون دائماً الفخامة والعظمة في أفكارهم المتعلقة بالأسلوب: قصور فخمة، حاشية كبيرة العدد من المرافقين والخدم، بطانة ووصفاء كثر وأتباع من كل الأصناف.. وهذا ولاشك يعود بالأصل إلى الضرورة التي كانت تقضي بالاحتفاظ بمجموع كبيرة من الرجال المسلحين خلال الحروب مع العرب..

ثم ينتقل بعد ذلك إلى تأثير الأناشيد والأغاني في الشعب الإسباني فيقول: (لقد استخدمت (أي الأناشيد والأغاني) على هذا النحو لكي تمارس تأثيرها على شخصية الإنسان التي لم تستطع قرون من الانهيار والتراجع تدميرها، بحيث أن الأسبان رغم عيوبهم الكثيرة، ما يزالون حتى الوقت الحاضر وفي جوانب عديدة أكثر شعوب أوروبا رقي وعقل وكبرياء وروح.

صحيح أن رومانسية المشاعر مستمدة من المصادر التي ذكرت (أي المصادر العربية) إلا أن لها **مل كل** رومانسية أخرى تكلفاتها التي تجعل الإسباني أحياناً، ميالاً لأن يتجاوز في مسائل الشرف والكرامة، حدود المنطق والعقل، نزاعاً وسط الفقر والعوز لأن يؤثر التمسك بسلوك الفارس العظيم وأن ينظر بازدراء تام إلى المهن اليدوية وكل سبل كسب العيش لدى الطبقات الدنيا من الشعب، أليس في هذه الصفات صفة قري وشيخة مع صفات العربي؟ ألا يذكر هذا بهجاء الفرزدق لجرير معيراً إياه بأن أباه قين وجده قين أي يشتغل حداداً؟ ألا يغالي العرب في مسألة الشرف والكرامة إلى حد يتجاوز حدود العقل والمنطق؟ أليسوا رومانسيين مثلهم مثل الأسبان يحبون المظاهر والفخامة مثلهم مثل جيرانهم أولئك؟ وفوق هذا وذاك ألا يتميزون كأصدقائهم اللدودين بأنهم من أكثر شعوب الأرض رقي وعقل وكبرياء روح؟

إن البحث في أشكال **المثاقفة والتأثر والتأثير الاجتماعي** بين الشعبين العربي والإسباني لأصعب وأعقد بكثير من أن نحيط به في هذه المداخلة السريعة وبهذه العجالة.

لكن خير ما اختتم به مداخلتني هذه شهادة باحث عظيم هو الدكتور **خوان فيرنيه** أستاذ الأدب العربي والتاريخ في جامعة برشلونة إذ يبحث في كتابه (بم تدين الثقافة لعرب إسباني؟)، بروح عملية وعقل موضوعي هذه المسألة ويقول فيها الكثير لكننا نقتطف ما يلي: **كان الغزو العربي لإسبانيا غزواً ثقافياً وفنياً مذهلاً لسرعته واتساعه وما زال يدهش الباحثين، إذ لم يسبق له مثيل في تاريخ العالم القديم، إنني لا أقصد بها لغة العرب الذين دونوا بها كنوز ثقافتهم ونشروها في إسبانيا كلها إبان وجودهم الطويل فيها وكان يتكلمها الأسبان أنفسهم واليهود وسائر الأقوام الموجودين فيها، إن للغة العربية الفضل الأكبر في نقل العلوم الشرقية القديمة والعلوم الإسبانية إلى اللغتين اللاتينية والقشتالية، وهذا ما كان له أثر كبير في عصر النهضة العربية..**

فهل بعد هذا القول من زيادة لمستزيد..!٢٠٠٥!

- آراء الخبراء

- فضل الحضارة العربية الإسلامية على الحضارة المعاصرة.
- أهمية وضرة تعريب كافة العلوم والمعارف البشرية.
- فضل اللغة العربية على اللغة اللاتينية (الإسبانية).
- خبرة استفادة اللغة اليابانية من اللغة الصينية كرموز فقط.
- انتشار اللغة العربية من مظاهر قوة الأمة العربية الإسلامية.



الفلسفة القديمة العروبية الشرقية

وأثرها على الفلسفة اليونانية

إن الفكر الشرقي كان له تأثير كبير في الفكر الغربي، وقد بين المستشرق (ماسون أورسيل): (إن الفكر الغربي لم يكن في مرحلة من مراحل تاريخه منعزلاً عن سائر العالم) وقد انتقد أورسيل مفهوم الغرب، فقال: (الواقع أن هناك حقيقة واحدة هي أوراسيا أي: الأوروبية الآسيوية، هذه الحقيقة تشكل أوروبا طرفها الغربي، وتكون آسيا طرفها الشرقي، فتصبح الحضارة الغربية مكونة من عناصر هذه الحضارة حول شواطئ البحر الأبيض المتوسط، وفي هذه البقعة وما جاورها، عاشت شعوب تنطق بلغات متعددة: سامية، وهندوأوربية، وبعض اللهجات الإفريقية، فالفكر المتوسطي نتيجة تفاعل هذه اللغات).

ويقول أورسيل أيضاً: (إن كل الإمبراطوريات السامية، التي نشأت في بلاد الرافدين، والعرب في فلسطين، والمملكة المصرية، كلها أسهمت في تكوين الحضارة الأوروبية، لأن جميع طرق آسيا تؤدي إلى البحر المتوسط، بالإضافة إلى طرق النيل الكبرى أيضاً).

كانت مصر في نظر اليونان الأول بلد المعارف، يؤمنها للعلم والاطلاع، فأخذوا عنها الشيء الكثير، ك: الهندسة، التي وجدت أول ما وجدت في مصر، وذلك لتخطيط الأراضي وبناء الأهرامات والهياكل، وأخذوا أيضاً: تقسيم السنة إلى: ٣٦٠ يوم وربيع اليوم، وتقسيمها إلى: ١٢ شهراً، وتقسيم الشهر إلى أربعة أسابيع، والأُسبوع إلى سبعة أيام. وعرف المصريون أيضاً كروية الشمس والقمر، وأن النجوم من عنصر ناري، وفسروا الخسوف والكسوف، وأن العالم مؤلف من أربعة عناصر: (الماء، الهواء، التراب و النار)، فقد أخذ اليونان كل هذه المعلومات وجعلوها انطلاق تفكيرهم المنطقي والعلمي والفلسفي..

أما في المعرفة النظرية، وخاصة الدينية: فإن المصريين هو أول من نظم الآلهة، وحدد العلاقة بينها وبين البشر، وهم أول من آمن بالحياة الأخرى، وأول من أثبت قضية الثواب والعقاب بعد الموت، وجعلوها رهن الطهارة الخلقية والسلوك.

وقد أثبتت الأبحاث العلمية التاريخية: أن الفلسفة اليونانية مدينة للفكر المصري، لذلك يمكن القول: (إن مصر الفراعنة معلمة الإنسانية، وإن إفريقية السودان- التي كان الناس يعتبرونها بدائية همجية- هي التي حملت آثاراً حضارية وصلت من مصر عن طريق الحبشة وليبيا وبلاد النوبة إلى اليونان).

- حضارة بلاد الرافدين (سومر - بابل - آشور):

إن الحضارة المصرية كان لها أثرها في الفكر الأوروبي اليوناني، ولكنه بقي على تخوم تلك الحضارة، أما البؤرة المركزية التي شع نورها إلى الغرب فأضاء العالم اليوناني والروماني ووصل إلى الشرق، ويعتبرها المؤرخون مهد الإنسانية، هي البقعة المنحصرة بين الرافدين التي تسمى: بلاد ما بين النهرين.

تعود هذه الحضارة إلى العصر الحجري: فقد عثر العلماء على آثار للحضارة السومرية اعتبروها ركن الحضارة الآسيوية^{١٠٦}.

- خرافة التصنيف العرقي الكاذب.. (آريون وساميون):

إن النزاع بين الشرق والغرب قديم ومستمر، وهو نزاع حربي، وفكري أيضاً، ويحاول الغرب أن يقلل من قيمة الشرق، ليسود ويستعلي دائماً، وكما أنه استعمل من أجل السيادة المادية الوسائل المادية العسكرية الإرهابية الاستعمارية، فإنه استعمل الوسائل الثقافية والفكرية لإضعاف الروح المعنوية النهضوية الحضارية الإنسانية.. في الشرق، فقسّموا الجنس البشري إلى نوعين:

- الجنس الآري: ويتمثل في أوروبا، وخاصة في شمالها.

- الجنس السامي: ويتمثل في الشرق الأوسط، وخاصة الجنس العربي.

وتخيلوا مميزات كل نوع وجنس، وانتهى بهم الوهم والحماسة والغلاظة.. إلى أن:

الجنس الآري مبدع، والجنس السامي تابع ومقلد، وهو بطبيعته كذلك، وسيكون كذلك أبداً.. حسب دجلهم وعقدتهم المرضية بشعورهم بعقد النقص أما عظمة حضارة الشرق لا سيما العرب.. ويكفيهم فخراً، أنهم علموا البشرية الحرف والأبجدية والرقم وطرائق المنطق والفكر والتحضر والتقدم.. وأنهم هجنوا الغرب البدائي الذي كان يعيش في الكهوف والمغاور ولا يعرف نظام الأسرة ولا المدرسة ولا التعليم.. حتى ولا اللغة الأبجدية، ونقلوه من الحياة الحيوانية البشرية إلى الحياة الإنسانية المتحضرة^{١٠٧} ونتيجة لهذه المقدمات الزائفة، فإن الشرق لم يكن له فلسفة في الماضي لأن الفلسفة هي ابتداء واختراع، وهي من خصائص الجنس الآري، وليس للشرق أيضاً فلسفة في الحاضر، ولن يكون له فلسفة في المستقبل، وما يسمى: فلسفة إسلامية، ليس إلا تقليداً ومحاكاة لليونان، وهو فلسفة يونانية مكتوبة بلسان عربي.

١٠٦ - يُنظر: التفكير الفلسفي الإسلامي، د. إنصاف رمضان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- سوريا، ط ١ ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، الفلسفة القديمة الشرقية وأثرها على الفلسفة اليونانية، ص ١٣ - ١٥.
١٠٧ للتوسع: ١- تاريخ سوريا الحضاري، ج ١، ص ٢..
٢- كتاب إبراهيم فاضل بلاد العرب علمت الغرب الحرف..

وقد تبني (رينان) هذه الفكرة في أواخر القرن التاسع عشر، وكان له أثر كبير بالغ في نشرها ورواجها، وقد أيد المستعمرون الفكرة بجاههم ومالهم، حتى جعلوا هذا السراب كأنه حقيقة، وأيدها أعداء الإسلام أيضاً، فانتشرت شرقاً وغرباً على أنها حقيقة مطلقة.

- انخيار نظرية التفرقة الملفقة بين ساميين وآريين:

لقد انهارت نظرية التفريق بين ساميين وآريين على يد الغربيين أنفسهم، أي: على يد علماء أخلصوا ضمائرهم للعلم وحده، لا على يد المستشرقين من رجال الاستعمار والإرهاب والعدوان والفوضى والدجل وأتباعه. لقد ذكر الغربيون أن هذه النظرية الزائفة في نشأتها ترجع إلى أسباب، منها: العواطف، والتعصب، والهوى، بالإضافة إلى الاستعمار، والحقد والعداوة للإسلام والمسلمين. وبتأخير هذه النظرية انهار كل ما بني عليها من زيف وباطل، لأن العقل والعلم أثبتا بطلانها، لأن دعاة هذه النظرية، التي تقول: بتفوق الجنس الآري على غيره، لم يستطع أحدٌ من هؤلاء الدعاة السفهاء الأغبياء أن يأتي بسند علمي واحد يثبت صحة ما يقول، والذي أثبت أن كل الأمم التي هي من الأسرة الآرية هي خليط من عناصر الأجناس الأخرى، إذ ما من أمة تعتز بأن لها النقاء الكامل^{١٠٨}.



١٠٨ - يُنظر: التفكير الفلسفي الإسلامي، د. إنصاف رمضان، انحراف مؤرخي الفلسفة الإسلامية عن المنهج الصواب، ص ٨٣-

قوة اللغة العربية

رموني بعقم في الشباب وليتني عقت فلم أجزع لقولي عداي
ولدت، ولما لم أجد لعرائسي رجالاً وأكفاء وأدت بناتي
وسمعت كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟!

رحم الله شاعر النيل حافظ إبراهيم وهو يشخص اللغة العربية أمماً ولادة.. غنية سخية ومع ذلك تتألم حسرة لجحود أبنائها.

إن اللغة العربية ليست هي المشكلة ولكن المشكلة تتمثل في الناطقين بها، فإلى متى سنظل مكتوفي الأيدي أمام عبث العابثين بلغتنا الجميلة.

إن اللغات الأجنبية صارت هي لغة مدارس اللغات والمدارس الخاصة وهي العمدة في مدارس الأثرياء والمهيمنة على الخطاب اللغوي في شوارع ومحال الوطن العربي.

وماذلت لغة قوم إلا ذلوا.. وما تقهقرت إلا كان أمرهم في تباب.

إن لغتنا العربية لغة عملاقة، لغة يكفيها شرفاً وخلوداً أن جعلها الله سبحانه لغة قرآنه المعجز أبد الدهر، إنها لغة باسلة.

شهد لها أحد المستشرقين قائلاً: من المدهشات أن تنبت هذه اللغة وسط الصحاري بين بدو رحل، ولم نعرف لها مرحلة طفولة ولا مرحلة شيخوخة، فهي عملاقة!!.

ومع ذلك فإن أبناء العربية مازالوا مبهورين بالآخر القوي الذي يفرض هيمنته وثقافته وأفكاره عبر أجهزة الإعلام المختلفة.

هذا الموقف المتأزم يعبر بصفة عامة عن حالة من (الاستلاب الحضاري) الذي ينبغي أن نقاومه بكل قوة وصلابة.

إننا نحتاج إلى تضافر كافة الأجهزة والمؤسسات وعلى رأسها المؤسسات السياسية لإنقاذ اللغة العربية أو بمعنى أصح، لإنقاذ أبناء العربية من براثن هيمنة الآخر، والإفاقة من سراب الدخيل، ووهم (عقدة الخواجة) فكفانا تقليداً.. فقد صرنا بلا هوية، وبلا لغة، وغداً بلا روح!!^{١٠٩}

علم اللغات المقارن

(عالمية وأفضلية اللغة العربية)

- عالمية الإسلام.. عالمية اللغة العربية:

لقد أعلن نبي الإسلام أنه يحمل رسالة للعالم أجمع، ولا شك أن دعوى عالمية أية رسالة سماوية لا بد وأن يبرهنها علمية لغتها، بمعنى صلاحيتها لحمل الرسالة إلى العالم أجمع، ومن هنا يمكننا أن نفهم من قوله تعالى:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢) سورة يوسف

وقوله: ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ (١٩٥) سورة الشعراء

إن المراد بالخطاب هنا ليس العرب فقط بل العالم كله وكان معنى الآيات:

(إننا أنزلناه قرآناً عربياً) لأن العربية لغة تصلح لأن تخاطب العالم أجمع لأنها لغة مبينة عن أدق المعاني بأبسط الألفاظ وأجملها، ومن ثم كان حري بنا أن نعقل ما ينزل علينا بها من قرآن كريم، ومن لا يعرفها يمكنه أن يتعلمها ومن لم يستطع أو لم يرد فيمكنه أن يعتمد على من يعرفها، فالمهم أن المعنى الموحى به بما يصل إلى الأرض بدقة دون لبس، وبجمال دون عيب..

وهذا ما يؤخذ من حديث الرسول ﷺ: (فضلت علي الأنبياء بست، أعطيت جوامع الكلم..). إلخ الحديث النبوي الشريف.

فإعطائه ﷺ جوامع الكلم يعني فصاحته ﷺ القادرة على توظيف اللغة العربية في حمل الرسالة الخالدة الخاتمة إلى العالم أجمع على أتم صورة وأجملها ولا شك أنه يعني أيضاً قابلية هذه اللغة لهذه المهمة، وهذا ما يبرهنه علم اللغة المقارن، كما أن هذا ما يقتضيه العقل للغة الرسالة الخاتمة، فعلمية الرسالة الإنسانية الخالدة لا بد أن تبرهنها علمية لغتها، وهو ما يقتضي لها الكمال والجمال والجلال والفصاحة.. أو الاكتمال اللغوي الذي يعني كفاءة وانتظام قواعدها الصوتية، والصرفية، وقواعد التراكيب والعبارات كما يعني ازدهار ظاهرة التميز والتخصيص بها: كالتمييز بين المذكر والمؤنث، وبين المفرد والمثنى والجمع، وبين جموع القلة وجموع الكثرة، وبين الصفات العارضة والصفات الملازمة.. الخ.

كما يعني كفاءة أجدبيتها في ضبط الألفاظ في دقة ويسر، كما يعني بساطة ألفاظها وموسيقيتها حتى يسهل تعلمها لمن ليس من أهلها، وتناقل نصوصها المقدسة عبر الزمان والمكان وحفظها في القلوب والسطور..

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) سورة الحجر

وهي جميعاً من المزايا التي تمت للغة العربية، وهو ما أدركه العربي الأول حين جعل الفصاحة علماً على العروبة فجاءت كلمة عرب بمعنى فصيح، وأعرب بمعنى أفصح..

- اللغات الغروية اللاصقة ولغات النحت (اللغة العربية):

فالأبجدية العربية قد جرت زمناً طويلاً في كتابة جميع اللغات من كل أسرة لسانيه فلم تُقصر، أما الحروف اللاتينية مثلاً (وهي من أعظم الأبجديات اللغوية) فتستخدم للكتابة في عائلة واحدة من العائلات اللغوية الكبرى، وهي العائلة المسماة بالهندية الجرمانية، وهذه العائلة هي العائلة التي يقوم فيها تصريف الكلمات على (النحت) أو على إضافة المقاطع إلى أول الكلمة أو آخرها، وتسمى من أجل ذلك باللغات (الغروية) من الغراء اللاصق.

أما الحروف العربية فهي تقوم بأداء الكتابة بهذه اللغات وبكثير غيرها فهي تستخدم لكتابة الفارسية والأوردية وهما من لغات النحت أو من عائلة اللغات الغروية، وتستخدم لكتابة التركية وهي من العائلة المسماة بالطورانية ويرجعون في تصريف ألفاظها إلى النحت تارة وإلى الاشتقاق تارة أخرى، فهي وسط بين اللغة الفارسية واللغة العربية، وتستخدم الحروف العربية بطبيعة الحال لكتابة الضاد المميزة بمخارجها الواضحة الدقيقة، وهي أعظم لغات الاشتقاق التي اشتهرت باسم العائلة اللغوية العروبية (السامية)^{١١٠} وتكتب بالحروف العربية، وتشكل تلك اللغات فروعاً مستقلة لشجرة العائلات اللغوية العربية.

وقد استطاعت هذه الأمم جميعاً أن تؤدي كتابتها بالحروف العربية دون أن تدخل عليها تعديلاً في تركيبها أو في أشكالها المنفردة، ولم تتصرف فيها بغير زيادة العلامات والنقط على بعض الحروف، وهي زيادة موافقة لبنية الحروف العربية وليست بالعربية عنها، لأن العرب أنفسهم أضافوا النقط والشكل عند الحاجة إلى ذلك.

- ضبط اللفظ للحرف في اللغة العربية وبقية اللغات:

على كثرة اللغات والعائلات اللغوية التي تؤديها حروف العربية لم يزل ضبطها للألفاظ أدق وأسهل من ضبط الحروف اللاتينية التي تستخدم لكتابة عائلة لغوية واحدة.

فالأبجديات الأوروبية كثيراً ما لا يتفق فيها نطق الكلمة المكتوبة على ألسنة أمتين ولو كانت لهما أبجدية واحدة وأظهر ما يظهر ذلك في كتابه الأعلام، فاسم Franklin مثلاً ينطق (فرانكلن) بالإنجليزية، وينطق (فرانكلا) بالفرنسية. وهذا ما لا نعهده في نطق الفارسي الذي يقرأ الأوردية أو التركية أو العربية، ولا نعهده في نطق العرب الذي يقرأ الفارسية أو الأوردية أو التركية.

١١٠ - مصطلح السامية: مصطلح تخريبي ملفق و خاطئ تاريخياً وهو من إنتاج المستشرقين، والأصح علمياً وتاريخياً هو عروبي وليس سامي، بمعنى اللغات العروبية وهي جذور وأصول اللغات العالمية وأفضلها اللغة العربية الفصحى.

بل إن من الحروف في الأبجديات الأوروبية ما يلفظ على خمسة أصوات كحرف (T) الذي ينطق في الإنجليزية (تاء) كما في to و(ثاء) كما في Think و(ذالاً) كما في this وشينا كما في Mention بل و(سيناً) كما في الكلمة نفسها بالفرنسية.

وكذلك حرف (S) في الإنجليزية فينطق (زياً) في is و(صاداً) في Salt و(شيناً) في Sure و(جيماً معطشة) في Pleasure.

وكذلك حرف (G) في الإنجليزية فينطق (جيماً قاهرية) كما في God و(جيماً معطشة) كما في Religion وقد يكتب ولا ينطق في right.

وبعض حروف العلة في الإنجليزية تقترن فتنتطق على أربعة أصوات كما في هذه الكلمات: Food, Door, blood, Moon ، وهو غموض لا نجد له مثيلاً في اللغة العربية.

- قواعد النحو والصرف:

أما قواعد النحو والصرف فهي غير منتظمة وشاذة في كثير من اللغات، ولكنها منتظمة ومنسقة وجميلة في العربية، مما يضطر معه المتعلم إلى حفظ كثير من الأفعال لشذوذها في التصريف بين المضارع والماضي وكثير من الصفات والظروف التي لا تجري على قاعدة مطردة في اشتقاق الصفة والظرف، كما هو الحال في الفرنسية والإنجليزية..

- مرونة وسهولة اللغة العربية:

تتفوق العربية كذلك في وجازتها وسهولتها ودقتها على لغات كالإنجليزية والفرنسية، فيجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربية وتفيد معناها المستقل مع تقديره ما ينوب عنه فيجوز مثلاً أن يقال (رجل في الدار) ويفهم منها ما يفهم من قولهم باللغات الأوروبية (رجل يوجد في الدار) أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربية (رجل في الدار)، ولكن في الفرنسية والإنجليزية لا تتم الجملة على وضع من هذه الأوضاع بغير الفعل الظاهر، فكل كلام خلا من الفعل الظاهر عندهم فهو غير مفهوم.

واللغة العربية كذلك تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الفعل بينما الإنجليزية والفرنسية فتدلان على المبني للمجهول بعبارة، ففي العربية قول (يُفتح الباب) بصيغة المجهول ولكن العبارة بالإنجليزية التي تدل على ذلك هي The door is opened وهي تقابل قولنا (إن الباب يكون مفتوحاً) وهو تعبير يخلو من دقة الصيغة العربية لأنه أقرب إلى الوصف وليس الإخبار عن حدث.

وتزيد اللغة العربية صيغة لا وجود لها في الإنجليزية والفرنسية، وهي ما اقتصر على اللغة العربية، وهي صيغة الفعل المطاوع (انفعل) فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالاته الدقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم، وصيغة المبني للمجهول.

واللغة الدقيقة هي اللغة التي تلاحظ مقتضى الحال في كل عبارة من العبارات الثلاث ولا تستخدم عبارة واحدة لموضوعين ملتبسين بل تستخدم كل عبارة لموضوعها الذي لا لبس فيه، وهذه هي صفة اللغة العربية في وفائها بالمعاني المقصودة على حسب إرادة المتكلم والسامع أو على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنين.

كما تبدو عظمة هذه اللغة ووجازتها مع دقتها ودرجة الفاعلية في الاسم، تثبت في اللغة العربية باستخدام صيغ من مادة الفعل نفسه بغير حاجة إلى مادة مستعارة من غيره.

ففي اللغة العربية صيغ للمبالغة تعطينا من مادة الفتح مثلاً كلمة (فتاح) بمعنى كثير الفتح ولا مقابل لهذه الصيغة وأمثالها من صيغ المبالغة في الإنجليزية والفرنسية إلا باستخدام جملة أو عبارة مركبة من عدة كلمات.

أما الصفة المشبهة فهي آية الآيات في توضيح هذه الدقة للغة العربية، حيث تفرق اللغة العربية بين الصفات بفروق لفظية تحيط بأعمق ما بينها من فروق المعنى.

فهناك فرق بين كلمة (كريم) وكلمة (معطي)، وكلمة (معطاء)، فمعنى أعطى مرة واحدة فهو معط أو فاعل لفعل من أفعال الكرم، وإن لم يكن كريماً على الدوام، وكذلك المعطاء الذي يعطي مرات كثيرة، لا يلزم من ذلك أن يكون كريماً أو أن يكون عطاؤه من عنده، فربما كان المعطاء في معنى من معانيه مرادفاً للصراف على هذا الاعتبار، فالكرم صفة لا تحدث في كل عطاء أو كل منحة أو كل صنيع معدود من الصنائع الكريمة، ولكنه صفة ملازمة، ولو لم يحدث فعل الكرم غير مرة واحدة أو مرات معدودة، فإن الذي يعمل عمل الكرماء (كريم) ولو لم تتجدد أعماله أو هباته، **فالكرم** يعبر عن الخلق الثابت الذي لا يتوقف على حدث في زمن محدد.

ومن ثم جاءت صفة الكرم من فعل لازم وجاءت صفة المعطاء من فعل متعدد لمفعولين، واستغنى المتكلم عن صيغة اسم الفاعل من الفعل كرم مع وجود الصفة المشبهة لأن صيغة (الكارم) مع سهولتها على اللسان لو وجدت لا تؤدي المقصود من الفعل (كرم) الذي هو صفة دائمة وليس بعمل متكرر.

- الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة:

الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة موجودة في جميع لغات الحضارة ولكنها في اللغة العربية توجد مميزة ودقيقة ومعبرة وجميلة وواضحة.. حيث يحتاج الأمر إلى التمييز، وبمقدار الحاجة إليه، وكثيراً ما تأتي جزافاً في غيرها من اللغات.

فضمير المتكلم لا يحتاج إلى تمييز بين المذكر والمؤنث، لأن إشارة المتكلم إلى نفسه كافية للتعريف بجنسه، ولكن يحتاج إلى التفرقة في العدد، فالفرد يتحدث إما بلسان نفسه، وإما بلسان جماعة، وهو ما نجده في اللغة العربية كما نجده في جميع اللغات، فنقول (أنا كتبت) للمفرد مذكراً ومؤنثاً، ونقول (نحن كتبنا) للجمع مذكراً ومؤنثاً.

ولكن الضمير في حالة الخطاب والغياب يحتاج إلى التمييز في الجنس والعدد، فميزته اللغة العربية كما ميزت الفعل مع الضمائر المختلفة في العدد وفي الجنس، كما ميزت بين الفعل في حالة التكلم وحالة الخطاب وحالة الغياب، فنقول في حالة الخطاب للرجل (أنت كتبت) وللمرأة (أنت كتبت) وللرجال (أنتم كتبت) وللنساء (أنتن كتبت) وللثني بنوعيه (أنتما كتبتما).

ونقول في حالة الغياب للرجل (هو كتب) وللمرأة (هي كتبت) وللرجال (هم كتبوا) وللنساء (هن كتبن) وللثني بنوعيه (هما كتبا).

بينما الضمائر في اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية فلا تعرف المثني ولا تفرق الإنجليزية بين الضمير المذكر والضمير المؤنث إلا في حالة المفرد الغائب، ويتساوى ضمير المخاطب في الإنجليزية في حالة الأفراد والتثنية والجمع. كما يتساوى الفعل في الإنجليزية مع الضمائر المختلفة في الجنس والعدد سواء في حالة التكلم أو الخطاب أو الغياب. وفي العربية كذلك لا نجد ضمائر مثناه كما أن العربية لا تفرق في صيغة الفعل بين الغائب والغائبين فأصبحت لهما صيغة واحدة تشبه العامية المصرية (فعلوا) هذا مع الفعل الماضي أما مع الفعل في المستقبل فهناك التباس بين مستقبل الغائبات ومستقبل المخاطبات.

ومما يبين دقة العربية كذلك ما نجده في العربية مثلاً من جزافية لا نعهدها في العربية عندما أدخلت أداة التعريف على اسم الإشارة والمشار إليه، بينما أدخلت العربية أداة التعريف على المشار إليه فقط، ولم تدخله على اسم الإشارة باعتباره معرفة ولا تعرف للمعرف.

وتتجلى دقة اللغة العربية حين نلاحظ أنها تفرق بين جموع للقلة وجموع للكثرة فتقول: (أبسط، أزعفة، أفرخ، فئية) للقلة، وتقول: (بسط، ورعفان، وقفول.. الخ) للكثرة، وهذا ما لا نجده لا في الإنجليزية ولا في الفرنسية. كما نجد في اللغة العربية (التصغير) وهو ما لا نجده في لغات كالإنجليزية والفرنسية.

وفي اللغة العربية بخلاف كثير من اللغات نجد كذلك أن التعبير عن اختلاف كفيات الفعل ودرجات متحقق من وفرة الأفعال التي تؤدي معنى كل كيفية ودرجة، فإذا تحدث المتحدث عن هبوب الريح مثلاً ففي وسعه أن يقول: (إنها نسمت أو خفقت أو سرت أو هبت أو عصفت أو قصفت أو تمزمت إلى أشباه هذا الترتيب في القوة والتأثير) كما أن التضعيف والزيادة في اللغة العربية يؤديان معنى افعال على درجات وأشكال شتى يستغني بها المتكلم عن الظروف بعكس كثير من اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية مثلاً، ففي العربية من مادة الفتح- مثلاً- يمكن أن نقول: (فتح وفتح بتشديد التاء، وأفتح، واستفتح، وفتح، وانفتح.. الخ).

واجترئ بما ذكرت في التدليل على ما حظيت به العربية من اكتمال لغوي يهيئها لحمل رسالة علمية خالدة، وهو قليل من كثير لا يتسع المقام لعرضه.

وأضيف هنا أنه كما تحتاج اللغة العالمية لكل ما سبق تحتاج كذلك لكل ما يجعلها رشيقة على اللسان محببة إلى الأذان ومن ثم يسهل على الذهن حفظها واستذكارها.

أما **الرشاقة** فأكثر كلمات اللغة العربية ثلاثياً ولا يتجاوز الاسم بالزيادة سبعة أحرف (وهو الحماسي المزيد بحرفين)، كما أن الفعل لا يتجاوز بالزيادة ستة أحرف (وهو الرباعي المزيد بحرفين)، أما الإنجليزية والفرنسية فلا مقارنة لهما بالعربية في هذا المضمار، انظر مثلاً كلمة (دين) فهي بالعربية مكونة من ثلاثة أحرف أما في الإنجليزية وكذلك الفرنسية Religion فهي مكونة من ثمانية أحرف وكلمة مثل (نبيّ) فهي في العربية مكونة من أربعة حروف أما في الإنجليزية Prophet فهي مكونة من سبعة أحرف، وفي الفرنسية Prophete مكونة من ثمانية أحرف، بل إن كلمة (مشارك) وهي في العربية مكونة من أربعة أحرف نجدتها مكونة من ستة عشر حرفاً في الإنجليزية Associationator وكذلك في الفرنسية Associationniste.

وأما **الموسيقية**: فيعتمد الشعر الإنجليزي في موسيقاه على النبر بينما يعتمد الشعر الفرنسي على عدد المقاطع في كل بيت، أما **الشعر العربي** فيعتمد على التفعيلات التي تكون بحور الشعر العربي التي ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي منها ستة عشر مجزأً، لكل بحر منها عدة صور، بل وللصورة الواحدة عدة تنوعات موسيقية، وهذا بالإضافة إلى ما لم يذكره الخليل من فنون الشعر: كالموشح، والدوبيت، والزجل، والمواليا، والكانوكان، والقواما.. الخ.

أضف إلى ذلك أوزان العروض العربية على إحكامها وإتقانها وسهولة الأداء قابلة للتوسع والتنوع إلى الغاية المطلوبة في كل موضع يتناوله الشعراء، ومن ثمة اختار شعراء اللغات الفارسية والعبرية والأوردية أن ينظموا بلغاتهم في أوزان العروض العربية، وفضلوها على أوزانهم القديمة، لأنها أسهل منها وأجمل في موقعها من الأسماع والنفوس.. كل هذا بعض مما هيأ اللغة العربية لحمل الرسالة الخالدة، يبرهنه علم اللغة المقارن ويقتضيه العقل للغة الرسالة الخاتمة، فصدق حافظ إبراهيم في قوله على لسان اللغة العربية: ^{١١١}

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضقت عن أي به وعظات
فكيف أضيّق اليوم عن وصف آله..
وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدرّ كامن..
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

١١١ - يُنظر: مجلة الثقافة، دمشق، ربيع الآخر ١٤٢٧هـ - أيار ٢٠٠٦م، العربية في سوق اللغات، بقلم: د. جمال الحسيني أبو فرحة، ص ٣- ٨ (بتصرف).

انتشار اللغة العربية في الصين

العالم الصيني المسلم ياسين يانغ شياو بو

الأدب العربي القديم كنز كبير وعميق

الأستاذ الدكتور ياسين يانغ شياو بو، علم من أعلام الثقافة والفكر والأدب في الصين، أستاذ بجامعة اللغات والثقافة ببيكين، يتقن اللغة العربية كتابةً ونطقاً وبحثاً وترجمةً مثل أبنائها العرب المثقفين، ويدرسها للطلبة الصينيين، كما يدرس اللغة الصينية للطلاب العرب في جامعة اللغات والثقافة ببيكين، قدم للمكتبة العربية إسهامات كثيرة من خلال ترجماته للأدب الصيني إلى اللغة العربية، فقد أعد كتاباً بعنوان: (من بدائع الأدب الصيني القديم)، قدم فيه اثنين وستين نصاً شعرياً ونثرياً من أجمل النصوص الأدبية في الأدب الصيني، ابتداءً من عام ٧٢٢ ق.م إلى عام ١٩١١ م.

كما ترجم ديوان: (بصمات الحياة) للشاعر الصيني المسلم تيمور داوامات، نائب رئيس اللجنة الدائمة لمجلس نواب الشعب الصيني، ترجمة جميلة، يشعر القارئ العربي عندما يقرأها، أنه أمام نص عربي ينبض بالدفء والجمال والشفافية العميقة التي تقترب من روح الشعر العربي.

— أرجو أن تقدم نفسك للقارئ العربي، وتحدث عن بدايات تعلمك اللغة العربية، ولماذا اخترت هذه اللغة دون سواها من اللغات الأجنبية الأخرى؟

— إذا كان قضاء وقدرًا أني اخترت شابة مسلمة ثم تزوجتها سنة ١٩٦٦ م، وإذا كان قضاء وقدر أن أعلنت إسلامي قبل ذلك على هدى ربنا، وليس من أجل الزواج فيمكن أن أقول إن اختياري اللغة العربية والأدب العربي على أنه تخصص في الجامعة كان أيضاً قضاء وقدرًا.

كان ذلك في سنة ١٩٥٥ م، حيث تخرجت في مدرسة ثانوية شهيرة بمدينة قريبة من شانغهاي، وأخذت أهبي لأتقدم إلى الامتحان الرسمي الذي تنظمه الدولة لأجل الالتحاق بالجامعة، وكانت رغبتني أن أدخل كلية الأدب الصيني في أي جامعة من جامعات الصين، حيث إنني منذ صغري أحب الأدب حباً جماً، وخصوصاً الشعر القديم، وكنت في المدرسة الثانوية دائماً أحاول نظم الشعر الصيني على صيغة البحور القديمة، وكان مدرس مادة الأدب والنصوص يثني علي، ويشجعني كثيراً بقلمه الأحمر في مفتر إنشائي.

وفي يوم من الأيام، وقبل الامتحان المشار إليه، وإذ بمدير المدرسة يستدعيني إلى مكتبه، وقال لي: (إن جامعة بكين) ستقبلك طالباً في كلية العلوم الشرقية بناء على ترشيحنا، لأنك من الطلاب المتفوقين في مدرستنا.

وما كنت أتصور أنه يمكن أن أدخل جامعة مشهورة في العالم مثلها، حتى وصلت إلي رسالة القبول من جامعة بكين.

وسافرت إلى بكين، ووجدت في كلية العلوم الشرقية أقساماً كثيرة تدرس اللغة الشرقية وآدابها المختلفة، ثم منحتنا الكلية حرية كاملة لاختيار أي قسم من أقسامها. كان كثير من الطلاب الجدد اختاروا قسم اللغة الهندية وآدابها، لأننا نعرف جيداً الشاعر الهندي الفذ طاغور ولقد سمعت أحد الطلاب يقول لزملائه: إن أصعب لغة في كليتنا هي اللغة العربية، ألا يوجد بينكم من له الشجاعة الكبيرة بدراسة هذه اللغة وآدابها؟ وفكرت جيداً كيف تنقصني الشجاعة والثقة بالنفس، والقدرة على دراسة اللغة العربية، حتى لو كانت أصعب لغة في العالم؟

ثم قررت فوراً أن أتحدى تلك الصعوبة، وأدرس اللغة العربية وآدابها، وسرعان ما سجلت اسمي في قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة بكين.

في البداية وجدت صعوبة، وكانت أكبر مما أتصور، ولكن فيما بعد نجحت وتفوقت بعون الله في دراسة هذه اللغة التي يقول بعض زملائي في الأقسام الأخرى عنها بأنها لغة سماوية، وكنت دائماً أنال ثناء من أستاذي العربي في الكلية، فقد كان يطلب مني أن أقرأ موضوعي أمام طلاب الفصل، وكان يقول لي: علامتك عشرة وزائد.

لاحظت أن جميع الأساتذة الصينيين الذين يدرسون اللغة العربية في الجامعات التي تدرس اللغة العربية، وكذلك جميع الطلبة الصينيين دارسي اللغة العربي يحملون أسماء عربية جميلة حدثنا عن هذه الظاهرة.

إن أي طالب صيني يدرس اللغة العربية يحمل بالتأكيد اسماً عربياً، ونجد أيضاً أن الطلاب الصينيين الذين يدرسون اللغات الأجنبية الأخرى يحملون أسماء أصحاب تلك اللغات، فعلى سبيل المثال: قد تجد طالباً صينياً يدرس في قسم الإنجليزية يدعوه أستاذه باسم آرثر، إن هذه الظاهرة قد تكون من الأساليب التعليمية التي يتخذها الأساتذة لتسهيل الحوار باللغة الأجنبية في الفصل من جهة، ومن جهة أخرى، فإنها تساعد الطلاب على حفظ الأسماء الأجنبية التي سيجدونها فيما بعد في النصوص السياسية والتاريخية والأدبية التي يطلعون عليها، ولهذا الظاهرة فوائد أخرى، وعلى سبيل المثال: ربما يوجد هناك في الشعبة طالب جديد يصعب عليه نطق حرف (الراء) فيسميه أستاذه — (رامي) أو باسم آخر يبتدئ بحرف الراء، ونجد هذا الطالب يتمرن كل يوم على نطق حرف الراء، لأن هناك الحرف موجود في بداية اسمه، فعندما يسأله أستاذه صباح كل يوم دراسي: ما اسمك؟ عندها لا بد أن يجيب: اسمي رامي.

وإذا كان كل طالب في الفصل يحمل اسماً عربياً فإننا نجد تقريباً أن جميع الحروف العربية موزعة في أسماء الطلبة.

وهذا يساعد على إتقان نطق هذه الحروف، لأن الطلبة عندما ينادون بعضهم فإنهم يتمرنون في الوقت نفسه على نطقها.

- دعنا نتحدث عن العلاقة بين اللغة العربية والدين الإسلامي في الصين،

هل للدين الإسلامي دور في تدريس هذه اللغة وانتشارها في الصين؟

— لقد بدأ تعليم اللغة العربية في المساجد بعد انتشار الإسلام في الصين، أي بعد سنة ٦٥١م، (قبل ألف وأربعمائة سنة).

وفي ذلك الوقت كان التعليم الديني يقام في بيوت المسلمين عن طريق التلقين الشفوي، وكان بعض المسلمين يكتبون الآيات القرآنية بخط اليد، ويعلمونها لأبنائهم ومع مرور الزمن ظهرت في المدن الإسلامية أعداد كبيرة من مخطوطات القرآن الكريم والتي بقي بعضها محفوظاً حتى الآن. وبعد ذلك بدأت المساجد تفتح أبوابها لأولاد المسلمين، وتحولت إلى حلقات دراسية يجتمع فيها التلاميذ ليتلقوا التعاليم الدينية عن طريق دراسة اللغة العربية.

يوجد بيننا وبينكم كثير من القواسم الروحية والإنسانية المشتركة التي تمجد الحق والخير والصدق ولكن للأسف لا نجد في مكتباتنا العربية الكتب المترجمة التي تتحدث عن الصين وثقافتها وأدبها. ومن هنا فإن المثقفين العرب يجدون أنفسهم غرباء عن الصين وثقافتها.

— ألا ترى أنه من الضروري على الأدباء والمثقفين العرب والصينيين أن يولوا حركة الترجمة أهمية أكبر مما هي عليه الآن؟

— في الحقيقة إن حركة التعريب من اللغة الصينية إلى اللغة العربية محدودة جداً، وحتى تتطور يجب أن يوليها العلماء العرب اهتماماً واضحاً، وهذا الاهتمام يجب أن يكون أكبر من اهتمام العلماء الصينيين، لأن الصينيين قد اسهموا في ترجمة الكثير من الأعمال العربية إلى الصينية، أما العرب فإن إسهاماتهم محدودة جداً في هذا المجال.

إن اللغة الصينية مهما كانت صعوبتها فإنها لن تحد من طموح متعلمها وإن كانت الألفاظ الصينية عسيرة على الألسن الأجنبية، لأن لكل لفظ صيني أربع نعلمات، ومع اختلاف هذه النعلمات يختلف معنى هذا اللفظ أيضاً.

وفي هذه الأيام، يوجد عدد لا بأس به من الشباب العرب قد بدأوا يتعلمون اللغة الصينية في جامعتنا - جامعة اللغات والثقافة ببيكين- وهناك أمل كبير في أن يكون هؤلاء الشباب مستقبلاً من القائمين على ترجمة الأدب الصيني إلى اللغة العربية.

كما أرجو من الأدباء العرب الباحثين أن يتعلموا اللغة الصينية حتى يسهموا في ترجمتها، ويستوعبوا أساليبها الأدبية، وتعبيراتها الشاعرية البديعة.

— من الأدباء العرب الذين قرأت لهم وأعجبت بهم، وما هي أهم أعمالهم التي تركت في نفسك أثراً جميلاً؟

— أرجو أن لا يرجع ظنك بأني أفضل العرب القدماء على رواد الأدب العربي الحديث أو المعاصر (لأنني أعددت وترجمت كتاباً موسوماً ب: (من روائع الأدب العربي القديم).

لقد تبين لي من خلال ترجمتي لهذا الكتاب أن الأدب العربي القديم كنز كبير وعميق، لا يقاس به كبر الأرض ولا عمق البحار، وكم كنت مأخذواً بالنشوة حينما كنت أترجم الأبيات الشعرية الخالدة، والمقالات الأدبية القيمة.

وعلى الرغم من إعجابي بالأدب العربي القديم أرجو أن لا يذهب بك الخيال وتعتقد أن أولئك الأدباء القدامى الذين ترجمت أعمالهم قد نالوا من إعجابي أكثر من غيرهم من الأدباء الحديثين والمعاصرين.

إن الأعمال الأدبية الحديثة والمعاصرة هزت مشاعري، وكم كنت حين قراءتها أتهد كثيراً لجمال حيكاتها ومصير أبطالها وأحب أن أقول: إن الماضي مهما قدرنا آثاره، واستترنا بهذه الآثار فإنه قد مضى ولا يمكن أن نعيشه إلا من خلال الصفحات والسطور المضيئة، أما الحاضر فيواجهك كل يوم بمآسيه ومسراته، بوجوهه الراضية والعايسة، بجميع ما يحدث فيه من الحكايات الكوميديّة والتراجيدية، هذه الحكايات التي نضحك لها يوماً، ونبكي لأجلها يوماً آخر.

ولذا فإن جميع الأدباء العرب في العصر الحديث والمعاصر الذين يلتزمون بتعبية وقائع الحياة، ويرتبطون بمصير الشعب ومعاناته هم محط حبي واحترامي، سواء ترجمت أعمالهم إلى اللغة الصينية أم لم أترجمها، ولكن كما قال أبو تمام:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب إلا للحبيب الأول

لاحظت أن التعاون العلمي والثقافي بين الجامعات العربية والجامعات الصينية ليس تعاوناً قوياً مثلما هو عليه بين الجامعات العربية والجامعات الأوروبية والأمريكية.

- كيف يمكننا أن نرقى بهذا التعاون إلى الأفضل، بحيث يصبح أكثر قوة وازدهاراً؟

- تأسيساً على حديث رسولنا محمد ﷺ القائل: (طلب العلم فريضة على كل مسلم).

فيجب علينا نحن الشعبين: الصيني والعربي أن نستفيد من العلوم المتقدمة، ونطبقها في بناء حضارتنا، وتقدم شعبنا، ويجب علينا أن نستفيد من إنجازات العلماء الغربيين في أوروبا وأمريكا، فالعلم ليس حكراً على شعب دون آخر.

ثم إن التعاون والتبادل الثقافي بين الجامعات الصينية والجامعات العربية، وإن لم يكن قوياً مثلما هو عليه بين الجامعات العربية والأوروبية والأمريكية، فهو ليس ضعيفاً جداً، إذ يأتي كل سنة عدد لا بأس به من الطلاب العرب والأدب الصيني والتاريخ والفن، والطب الصيني والزراعة والسياسة الدولية، وحتى الرياضة البدنية، كما يأتي كل سنة عدد لا بأس به من الأساتذة العرب أساتذة زائرين في الجامعات الصينية.

- ما هي مشاريعك العلمية التي تفكر بإنجازها في المستقبل القريب؟

قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة، ٢٨٦.

وأنا أعرف أن هناك الكثير من الأشياء أجهلها حتى اليوم، وأعرف أو وسعي محدود، ولن يكلفني ربي فوق ما في وسعي، والشيء الوحيد الذي أنا أصارحك به هو أنني لن أبخل بجهودي، ولن أقصر في أبحاثي وترجماتي التي تخدم الثقافتين: الصينية والعربية.

وسأعد مشاريع علمية أخرى جديدة آملاً من الله سبحانه وتعالى أن يوقفني في إنجازها. بإذن الله ١١٢.

عملة ذهبية عربية محفوظة في متحف بكين،

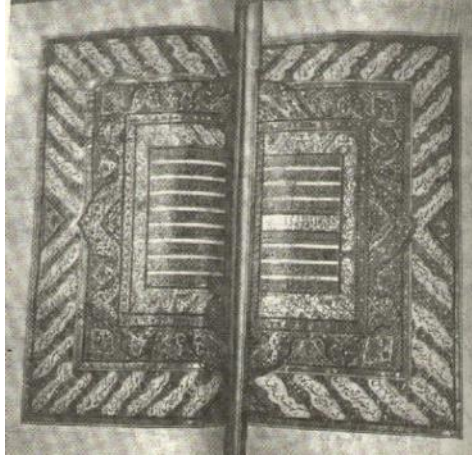
دليل التأثير العربي الإسلامي في الحضارة الصينية.



هذه مجموعة من المنحوتات والخزفيات الصينية عمرها حوالي ثلاثة قرون.

١١٢- المجلة العربية، تصدرها المملكة العربية السعودية، العدد ٣١١، السنة ٢٧، ذي الحجة ١٤٢٣ هـ/ فبراير/مارس ٢٠٠٣ م.

وهي من نماذج تأثيرات الوجود الإسلامي بين الحرفيين الصينيين.



صفحتان من مصحف صيني مخطوط، لا يقل في خطه ورونقه عن جمال وروعة المصاحف التاريخية في الشرق العربي والإسلامي.



البراق كما تصوره الفنان الشعبي المسلم. وهذه الصورة يتهافت المسلمون الصينيون للحصول عليها، وتباع أمام المساجد القديمة للسياح والمصلين.



لافتة مطعم إسلامي في الصين



واجهة صحيفة سينكيانغ، وقد كتبت باللغة الوريغورية وبالحروف العربية، وإن تعذرت قراءتها، نموذج تأثير الحضارة الصينية بالأبجدية العربية.

— كان الكاتب عبد المعين الملوحي في الصين عندما قيل له: إن عالماً من علماء اللغة الصينية في الخامسة والثمانين من عمره قضى حياته كلها في جمع الخطوط الصينية فاستطاع أن يجمع منها ٥٠ ألف خط وبقي عليه جمع ثلاثين ألف خط، فلملم العالم الصيني أوراقه وذهب إلى الدار الآخرة ليجمع ما بقي في اللغة الصينية من خطوط، هذا ما قيل لي، ثم قمت بتدريس اللغة العربية في الصين في جامعة بكين، وقد بلغ الطلاب خلال سنتين أو ثلاث مستوى لاثقاً في دراسة اللغة العربي، وقد لاحظت أنهم يتعلمون العربية في سرعة، بل إن بعضهم بلغ حد الإتقان فكان يكتب دون خطأ ويقراً دون خطأ. وكتب أوصي طلابي وصيتين:

أولاهما: أن يتعلموا العربية الفصحى لأنهم يستطيعون بها التفاهم من الشعوب العربية جميعاً، أما إذا تعلموا لهجة عامية فهي لن تنفعهم إلا في قطر عربي واحد، وربما في مدينة واحدة، وقد فعلوا ذلك وهم الآن يتحدثون بالعربية الفصحى ولا يفهمون اللهجة العامية إلا قليلاً وقد انتشروا ملحقين ثقافيين في كل أقطار العالم العربي.

أما الوصية الثانية: فهي ان يقرأوا بصوت عال عدة صفحات من أحد الكتب أو أحد الدواوين مقدار ربع ساعة ليستطيعوا أداء حق الأحرف العربية عند النطق.

وعندما ودعتهم ليذهبوا ملحقين ثقافيين في أقطار العالم العربي، أهديت كل واحد منهم نسخة من القرآن الكريم وقلت لهم: (إني أهديه إليهم لا لأنه كتاب دين ولكن لأنه كتاب عربي مبين، وطلبت منهم حفظ آياته).

وأسأل الآن: أيكون طلاب الصين وكوريا والباكستان أكثر حرصاً على اللغة العربية من أبناء الأمة العربية.^{١١٣}



شكل اللغة تشكل فكر الإنسان^{١١٤}

١١٣- دفاع عن اللغة العربية والتراث العربي، عبد المعين الملوحي، دار الملوحي للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٥، دفاع عن اللغة العربية وأنواع أعضائها، ص٣٨-٣٩-٤٢-٤٣.

١١٤ - نظرات في الأدب والنقد، عبد الرزاق البصير، كتاب العربي ٢٨، الكويت، ١٥ من يوليو ١٩٩٠، ص ٤٦.

صعود وانتشار اللغة العربية في شبه القارة الهندية

إن اللغة العربية في الهند تدرس في المرحلة الابتدائية كمادة أساسية لأبناء المسلمين الذين يتجاوز عددهم ٣٠٠ مليون إنسان، في الوقت الذي تعتبر فيه العربية لغة التدريس الثانية في مدارس عدد من المدن مثل: حيد أباد، وهناك جائزة سنوية تقوم بمنحها رئاسة الدولة لباحثين متميزين في اللغة العربية تقديراً لخدمات مهمة قدموها لتلك اللغة، أن كل جامعة في الهند تضم قسماً للغة العربية، وأن هذا البلد وحده يملك ما يزيد على خمسين ألف مخطوطة من أبداع واثمن ما كتب بالعربية.

أكد الأستاذ محمد عبد المجيد أن قسم اللغة العربية في الجامعة العثمانية العريقة في الهند تخرج منه الآلاف من الطلاب، قدم خدمات جليلة للغة العربية، مشيراً إلى أن زمرة من كبار الشعراء والأكاديميين من أبرزهم عبد الستار صديقي ومحمد عبد الحق وعبد المعين خان وهم من الشعراء المعروفين في جميع أرجاء الهند، وقد تخرجوا فيه ويكتبون الشعر باللغة العربية الفصحى.

لكنه استطرد قائلاً: إن القسم وإن كانت الدراسة فيه باللغة العربية في جميع مواده، فإن اللغة العربية في الجامعة تعد اللغة الثانية بعد الإنجليزية التي تعتمد في الهند كلغة رئيسية للتعليم بمختلف مراحلها. وأن الأستاذ عبد المجيد بدا متحمساً وهو يؤكد لنا أن متعلمي اللغة العربية في تزايد في منطقة شبه القارة الهندية، والسبب يكمن في القرآن الكريم والسنة النبوية، إذ يسعى المسلمون للتواصل مع مفرداتها عن طريق تعلم العربية.

وتأكيد أن تدريس اللغة العربية في الهند لا يوجد له نظيرة في العالم غير العربي، فالطالب المسلم يدرس منذ نعومة أظفاره اللغة العربية، وفي حيدر أباد هناك المئات من المدارس النشطة للغاية في تدريس تلك اللغة.

هناك عدداً من المدارس في العاصمة الهندية تدرس جميع مناهجها بالعربية منها:

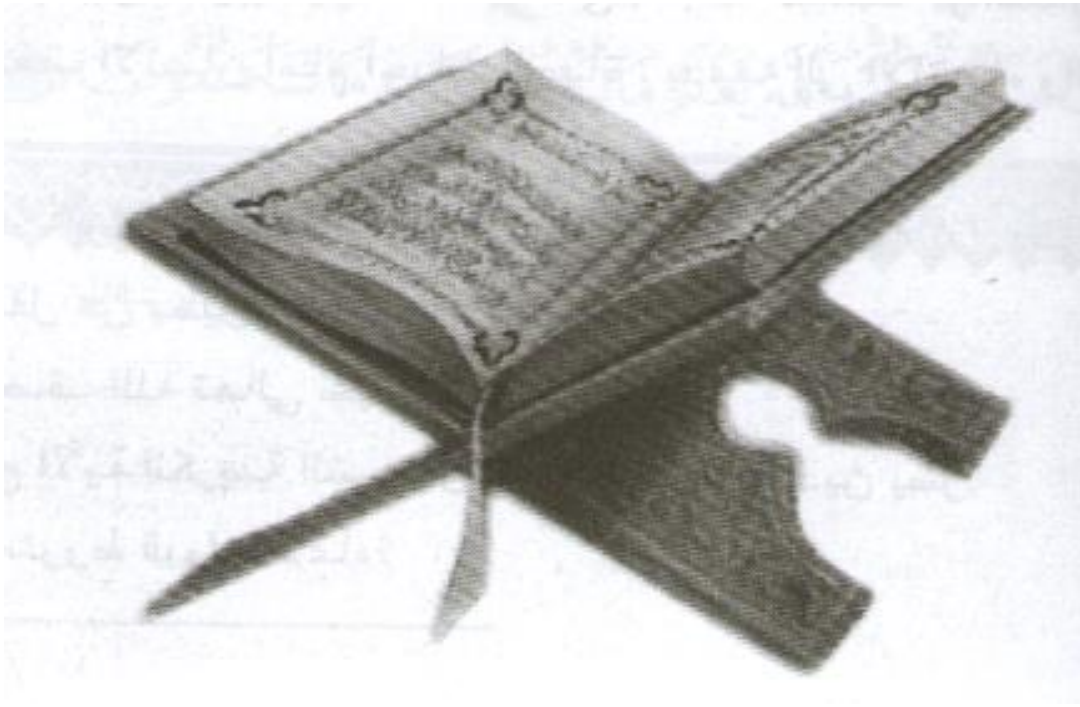
مدرسة (رياض العلوم)، ومدرسة (جامعة السنابل)، ومدرسة (الرحيمية)، ونجد أن الدول التي تحاول النهوض والصعود عالمياً تهتم بلغتنا العربية الفصحى لأهميتها بينما نحن مازلنا بعيدين عنها دائماً، ودائماً نواصل البكاء على اللبن الذي يسكب منا دائماً فيجب ألا نخسر عملاقاً صاعداً في شبه القارة الهندية، تتغلغل ثقافتنا وأوصاله وتتعلق مئات الملايين من مكانه، بل من الواجب الديني والحضاري أن نتواصل معه ونتعاون معه ليكون لنا رصيلاً استراتيجياً بعيد المدى لنصرة قضايا العربية والإسلامية^{١١٥}.

١١٥ - العربي، الكويت، المسلمون والتنمية: عقيدة عالية وواقع هابط!، العدد ٥٥١، شعبان ١٤٢٥هـ / أكتوبر ٢٠٠٤م، دائرة المعارف العثمانية في الهند: قلعة لحماية تراث العرب، زكريا عبد الجواد، تصوير: سليمان حيدر، ص ٧٨ - ٨٥ (بتصرف).

جمالفة اللغة العربية خطاباً

- من خطبة للرسول ﷺ:

وهي أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام: (إن الرائد لا يكذبُ أهله، والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم حقاً، وإلى الناس كافةً والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها للجنة أبدأ، أو النار أبدأ) ١١٦.



١١٦ - الواضح في الإنشاء العربي، تأليف: محمد زرقان الفرخ، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دمشق، أقوال وشعر وحكم، ص ٣١٢-٣١٣.

جمالية اللغة العربية مقالة

سيكارة تتحدث عن نفسها

أنا لفافة من التبغ صغيرة الحجم، أنيقة المظهر، عرفت من قديم الزمان، لي أصدقاء كثيرون في كل مكان مثلاً: في بريطانيا (٥٥ ٪) من السكان مدخنين.

وفي ألمانيا (٦٠ ٪) من السكان مدخنين، بينما في أمريكا (٣٣ ٪) من السكان مدخنين.

ألبس رداء جميلاً من الورق الأبيض وأسكن داخل علبة أنيقة مزينة برسومات جميلة واحتل مركزاً ممتازاً في جيوب أصدقائي واستقر في مكاتبهم نهاراً وتحت وسائدهم ليلاً، أشغل مكاناً كبيراً في واجهات المحلات و الإعلانات.

أصدقائي يخلصون لي أشد الإخلاص فيقدموني إلى معارفهم^{١١٧}، يبالغون في إكرامي فيصنعون لي علباً من ذهب ويضيئون رأسي بولاعات من فضة، ٩٠ ٪ من أصدقائي تعرفوا بي وهم في سن المراهقة، وجدوا في شعباً لغورهم و علاجاً لمركب النقص فيهم أظهرهم بمظهر الرجولة فيتباهون بي أمام الآخرين و لاسيما من الجنس الآخر.

إن أصدقائي على استعداد كامل للتضحية في سبيلي مهما كلفهم الأمر لقد ضحى بعضهم بما له وصحته ومستقبله وحياته أيضاً لكي يرضيني.

أما قوتي وتأثيري: فحدث ولا حرج لأنني أحتوي على:

- ٤٠٠٠ مادة كيميائية سامة: أول أكسيد الكربون و غاز حمض السيانيد..

ومخرشة كمادة النشادر، مسرطنة كالكطران بما يحويه من مادة البنزوبيرين benzopyrene والفنيول، أما النيكوتين فهي مادة سامة ومسرطنة أيضاً.

— أيضاً أكون ساكنة خامدة و عند الشفط تصبح حرارتي عالية تصل إلى ٩٠٠ م بينما تكون في عقب السيكارة ٣٠ م وهذا يسبب جملة معقدة من التفاعلات الكيميائية من تحليل وتركيب وتقطير وتصعيد وهدرجة وأكسدة وبالتالي تكون أكثر من ٢٠٠٠ مركب كيميائي سام ومخرش ومسرطن.

- وبالتالي أتحوّل عند الاحتراق إل: أكبر مصنع كيميائي عالمي للنفايات السامة.

كما أنني أتحوّل إلى أكبر مصنع نووي مشع في العالم نسبة لصغر حجمي لأنني أحتوي على ذرية مشعة مسرطنة أهمها:

١١٧- أحسن وصف لسيجارة التبغ ورد في نشرة (الجمعية السورية لمكافحة السل و الأمراض الصدرية) في العدد الثامن عشر، شهر تشرين الثاني عام ١٩٨٦ م.

البولونيوم 210.214 Po، الراديوم 226 ra، اليورانيوم 238 u، السترونشيوم 90 sr.

— أني أسير في طريق معين فأبدأ من أصابع اليد حيث أضع **وصمتي** عليها، ثم أنتقل إلى الفم حيث أترك أثاري من: **التهابات وتصبغات وسرطانات على الأسنان واللسان والشفة**، ثم أتجه إلى **الحنجرة** فأسبب فيها **التهاباً وورماً**، ومن هناك أنزل في **الرغامى والقصبات الهوائية** حتى أصل إلى **الرئتين** فأحدث **احتقاناً والتهاباً في أغشيتها المخاطية** التي تشكو وتئن بصوت مرتفع يسمونه **السعال**، وأحياناً أتسبب من غير قصد بإصابة بعض **أصدقائي بسرطان الرئة**.

ومن **الرئتين** أشق **طريقي** إلى **الدورة الدموية** حيث أنزل **رواسي** على **جدرانها** فأصيبها **بتقلص الشرايين و تخثر الدم**، ثم أصل إلى **القلب** فأزيد من عدد ضرباته وخفقاته و أقبض **الشرايين الإكليلية** المغذية له و أنقص من **ترويته** و بالتالي أحدث **خناق الصدر وأحتشاء القلب**، وفي **إمكاني** أن أؤثر على **المعدة** فأفقدتها **الشهية** و أصيبها **بالتهابات** قد تصل إلى **درجة التقرح**، وفي **مقدرتي** التأثير على **الجهاز العصبي** وغيره وأجعله **قلقا مضطرباً**، وأصيب **شرايينه** **بالتصلب** فأحدث **النزوف السكتات الدماغية**.

كما أني أثر على **الأنف فتضعف حاسة الشم** وتضخم **القرينات** وتلتهب **الجيوب الوجهية**، وأثر على **الآذن فيضعف السمع** نتيجة **تصلب الأوعية المغذية للآذن الباطنية** و**احتقان نفير أوستاش**، وقد يحدث **الدوار الدهليزي (مرض مهنير)**، فقد لوحظ **شفاء** بعض حالات مه **نيير** تماماً نتيجة **إيقاف التدخين** فقط.

وقد أجريت على **تأثيراتي المرضية** دراسات **إحصائية** عديدة في **كلية الطب** بجامعة **دمشق** منها:

- دراسة **إحصائية** في **الشعبة الآذنة** في **مشفى المواساة** فقد وجد أن **التدخين** يسبب: **٨٧٪** من **سرطانات الشفة**، **٦٨٪** من **سرطانات اللسان المتحرك**، **٨٥٪** من **سرطانات أرض الفم**، **٨٢٪** من **سرطانات باطن الخد**، **٨٥٪** من **سرطانات البلعوم الفموي**، **٨٥٪** من **سرطانات البلعوم الحنجري**، **٩٩٪** من **سرطانات الحنجرة**.

وفي دراسة **أمريكية** فإن **التدخين** يسبب **٩٥٪** من **سرطانات الحنجرة**، بينما كان **مسؤولاً** عن **١٠٠٪** من **سرطانات الحنجرة** في دراسة **فرنسية**.

أما عن فوائدني فهي كثيرة أيضاً أذكر منها:

١- الحد من ظاهر الانفجار السكاني: إذ أني أنقص عدد سكان العالم: (ففي أمريكا وحدها يموت سنوياً نصف مليون شخص بسبب التدخين، وفي بريطانيا ٦٢ ألف شخص، وفي فرنسا ٦٠ ألف شخص). وهذا لأنني أنقص متوسط الأعمار وأزيد **الإمراضية** ومعدل **الوفيات** وانقص **معدل الخصوبة** وأسبب **العقم**.

٢- تأمين عمل مستمر للأطباء من مختلف الاختصاصات، وكذلك للمشافي و مراكز الطب النووي: فمثلاً: السعال المتكرر يزيد الفتوق وتزداد الحاجة إلى الجراحين لأجراء مثل هذه العمليات والتهابات القصبات المتكررة، وانتفاخات الرئة، وأمراض القلب والأوعية والضغط الشرياني تحتاج إلى أطباء الداخلية لعلاجها.

كما أن التدخين عند الأم الحامل يؤدي إلى: تكرر الاسقاطات، وتأخر نمو الجنين داخل الرحم إذ ينقص وزنه بحدود (٤٨٠ غ)، وتزداد نسبة الخداج والاختلالات حول الولادة وهذه تحتاج إلى كادر كافي من أطباء التوليد والأطفال.

٣- دعم اقتصادي لشركات التبغ العالمية.

٤- وفي المستقبل البعيد جداً قد يستفيد علماء الآثار في تحديد العمر النصفى للإنسان من دراسة النظائر المشعة في عظام من كانوا يدخنون وماتوا.
وأنت أيها المدخن هل اقتنعت بإضراري أم بفوائدي؟



الكلمة الطيبة

في قصص (ألف ليلة وليلة) قصة تقول: إن علي بابا وصل إلى كنز الجبل، حين استطاع أن يعرف الكلمة التي تفتح مغاليق الكهف.

كان يكفيه أن يقف عند الصخرة الضخمة، ويردد كلمة السر، فإذا بالصخرة المرصودة تفتح عن الباب الخفي، ثم إذا بجوفها العتم، يشرق بالوهج، ثم إذا بها دفتق من الجوهر، ومن كل حجر كريم. أنا أو من بهذه الكلمة التي تغازل قلب الصخرة فيتحرك، ويتحرك ليعطي أروع ما عنده، وخير ما في ضلوعه من الحجرية، وأكثر من هذا إني أعرف كلمة الرصد، وإنك أنت أيضاً تعرفها مثلي، ولا تدري. وليس من الضروري أن يتوسط بينك وبينها سحر ولا ساحر. أتود أن تعرفها؟ إنها الكلمة الطيبة.

- في كل قلب مهما قسا القلب جانب للحب، والعطف، ركن صغير تزقزق فيه العواطف الحلوة.
- وقد تكون بعض القلوب من الحقد والغل كعقدة الأفاعي:

عقدة من الغضب الراجع لا يجلها إلا ديب الموت. إنك في هذه القلوب تستطيع إذا تمكنت بكلمة الرصد أن تجد طريق الكنز، وليس في النفوس أبداً نفس تأتي على الكلمة الطيبة^{١١٨}.



١١٨ - الواضح في الإنشاء العربي، تأليف: محمد زرقان الفرخ، طبعة أولى ١٤٢٤هـ / ١٩٩٠م، الكلمة الطيبة، أ: شاكِر مصطفى، ص ٢٥٦.

الجمال

(إن الله جميل، ويحب الجمال) حديث شريف

الجمال يعني: أن يكون المرء أنيقاً طيب النفس، صاحب وجه بشوش، لأن البشاشة شمس ثانية تبهج أهل البيت، وتملاً الصدور أملاً وحياءً.

والجمال يعني: أن تأكل ما يعجبك، ولكن عليك أن تلبس ما يعجب الآخرين، لأن العيون لا بد أن تنظر إليك، فإن كنت مبتسماً: فأنت جميل، وإن كنت حيويًا: فأنت جميل، وإن كان ثوبك نظيفاً، ووجهك مشرقاً: فأنت جميل أيضاً.

والجمال يعني: الطهارة في الأقوال، الأفعال.

فإذا وافق قولك ما تقوم به من أعمال فأنت جميل طاهر، وليس ثمة ما يبعث على الغرابة: إذا قلت لك إن الجمال دين الحكماء، وليس هناك ما يدعو إلى الشك إذا وصفنا الجمال بأنه **النور الساطع** الذي يثلج الصدور، ويغرس في القلوب حلاوة التواضع، والقدرة على نبذ الأحقاد، والبعد عن الكبرياء.

إن الجمال يعني: أن تكون للناس ناصحاً، وأن تحفظ أسرارهم، وألا تطمع بما عندهم، وتبذل ما لديك بسخاء، وتنسى أنك صنعت مع أحدهم معروفاً ذات يوم، فإن كنت، فسوف تصبح واحداً مم يشار إليهم بالبنان **رفعةً وعظمةً.**

فإذا أردت أن تكون جميلاً: فتأمل! كيف تشرق شمس الصباح، وكيف يندفع الريح إبان يقظته وهو ينشر الجمال فتنةً للناظرين. أصغ لأنغام الطيور، وحفيف الأغصان، وخرير الجداول، وتعلم الوداعة من الأطفال. كن كالورد! يضم، ويشم، وإذا داعبه النسيم فاح بأزكى روائح العطور، كن نظيفاً أنيقاً، صادقاً مهذباً، مبتسماً، متفائلاً، تألف الناس، وإذا رأوك: ابتسموا إليك تحبباً.

فإن غاية الجمال: أن تحب، وتحب، وأن تتبسم حتى وأنت تعاني مرارة العيش، وقسوة الظروف. ولا أدل على الجمال من قوله تعالى:

﴿لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ آل عمران، ١٥٩.

وهذا يعني أن تكون لذيذ الكلام، لطيف المعشر، حسن السلوك، صاحب نفس متسامحة تحترق الصغائر، وتسمو إلى معالي الأمور^{١١٩}.

١١٩ - الواضح في الإنشاء العربي، تأليف: محمد زرقان الفرخ، ط١، ١٤٢٤هـ/ ١٩٩٠م، الجمال، ص ١٠٦.

كُتَابَات قَدِيمَة مِنْ الْعَالَم



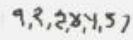
كُتَابَة مِنْ أَمِيرِكَا الشَّالِيَة



كُتَابَة مِنْ الْمَكْسِيك



كُتَابَة نُوبِيَة قَدِيمَة



كُتَابَة هِنْدِيَة قَدِيمَة

大
内
乘
反

كُتَابَة صِيْنِيَة قَدِيمَة

كُتَابَة مِنْ بِيرو



١٢١

الْكُتَابَة فِي الْوَطْنِ الْعَرَبِيِّ



٣٠٠٠ ق.م - الكُتَابَة التَّصْوِيرِيَة الْاُولَى



٢٥٠٠ ق.م - الكُتَابَة الْمَسَارِيَة الْاُولَى



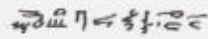
٢٠٠٠ ق.م - كُتَابَة بَابِلِيَة أُولَى



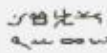
١٥٠٠ ق.م - كُتَابَة أَشُورِيَة



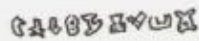
كُتَابَة هِيروغليفيّة



كُتَابَة هِيروتيكيّة



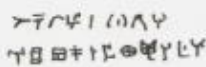
كُتَابَة أَلْفَبِيَّة مِنْ نَقُوشِ سِيْنَاءِ -



كُتَابَة أَلْفَبِيَّة تَعُودُ إِلَى نَقُوشِ جِيْلِ ١٠٠٠ ق.م



كُتَابَة حِمْيَرِيَّة



كُتَابَة مِيْنُوسِيَّة

١٢٢

كُتَابَة كَرِيْتِيَّة ١٣٠٠ ق.م

١٢١ - الأطلَس التَّارِيخِي، م.س، ص ٢٦.

١٢٢ - الأطلَس التَّارِيخِي، م.س، ص ٢٧.

ن	𐤎	ن
تبات البردي	𐤐	ت
السعد	𐤑	ث
طائر السم	𐤒	ج
السان	𐤓	د
المقص	𐤔	ذ
ثعبان ذوق قريته	𐤕	ر
يومه	𐤖	ز
ماء	𐤗	س
فم	𐤘	ش
ساعة	𐤙	ص
ثلاثة خيوط اللسان	𐤚	ض
أعضاء	𐤛	ط
صمة الحيوان	𐤜	ظ
مزلاج الباب	𐤝	ع
فحاش مطوي	𐤞	غ
بركة ماء	𐤟	ف
ثلاثة ارضية	𐤠	ق
سنة ليايد	𐤡	ك
نصفه القاذف أو الرابي	𐤢	خ
الخبز	𐤣	د
رأس العايق	𐤤	ط
البيد	𐤥	ظ
الحية	𐤦	ع

الأبجدية الهيروغليفية وما يقابلها من الأحرف العربية ١٢٣

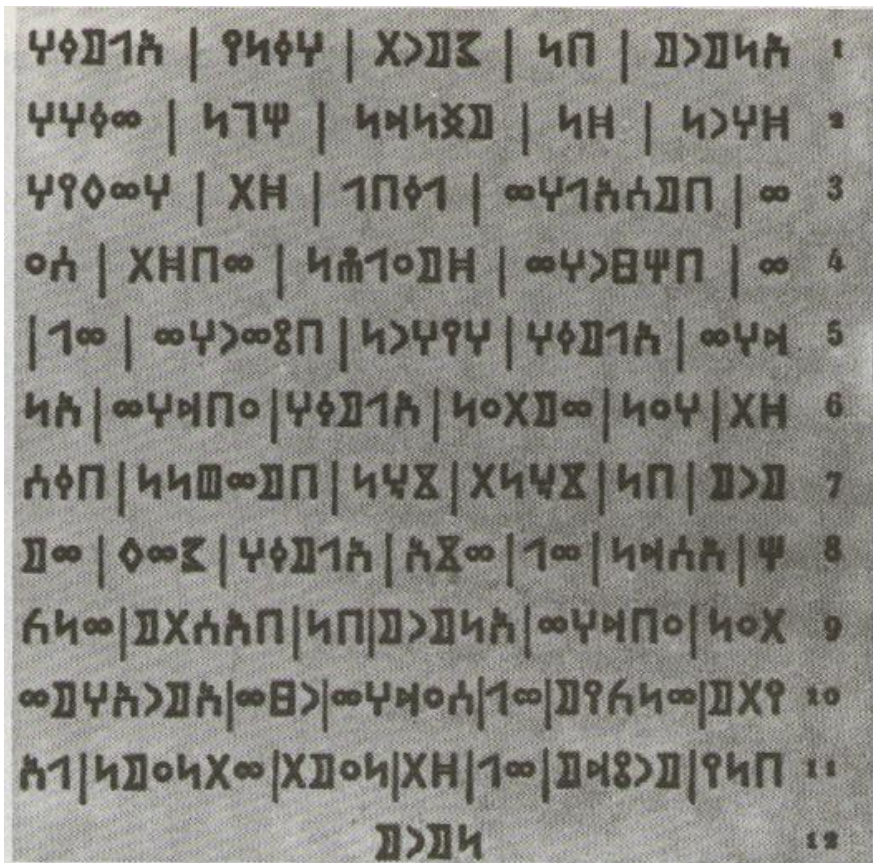
القلم المصري العلم البردي القلم الاحراق السبأي

𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕	𐤖	𐤗	𐤘	𐤙	𐤚	𐤛	𐤜	𐤝	𐤞	𐤟	𐤠	𐤡	𐤢	𐤣	𐤤	𐤥	𐤦	𐤧	𐤨	𐤩	𐤪	𐤫	𐤬	𐤭	𐤮	𐤯	𐤰	𐤱	𐤲	𐤳	𐤴	𐤵	𐤶	𐤷	𐤸	𐤹	𐤺	𐤻	𐤼	𐤽	𐤾	𐤿
𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕	𐤖	𐤗	𐤘	𐤙	𐤚	𐤛	𐤜	𐤝	𐤞	𐤟	𐤠	𐤡	𐤢	𐤣	𐤤	𐤥	𐤦	𐤧	𐤨	𐤩	𐤪	𐤫	𐤬	𐤭	𐤮	𐤯	𐤰	𐤱	𐤲	𐤳	𐤴	𐤵	𐤶	𐤷	𐤸	𐤹	𐤺	𐤻	𐤼	𐤽	𐤾	𐤿

القلم العربي السبأي وفروعه ١٢٤

١٢٣- الأطلس التاريخي، م.س، ص ٢٩.

١٢٤- الأطلس التاريخي، م.س، ص ٤٥.



كتابة سبئية (بمعية قديمة) ١٢٥



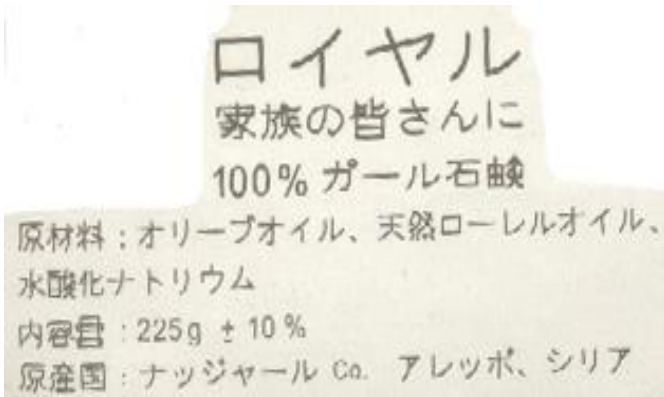
كتابة نبطية ١٢٦

١٢٥- الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، يوهانس بيدرسن، ترجمة: د. حيدر غيبة، ط١، ٢٠٠٠ / ٨ / ١٩٨٩، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص ١٧٩.
 ١٢٦- الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.ن، ص ١٧٩.

Südsomitische Alphabete.									
Transcription	Naschi-ideb.	Süd-arabisch	Libyanisch	Tamudenisch	Safitenisch	Altes	Äthiopisch		
							mit 1	mit 2	mit 3
a	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
b	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
c	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
d	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
e	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
f	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
g	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
h	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
i	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
j	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
k	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
l	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
m	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
n	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
o	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
p	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
q	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
r	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
s	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
t	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
u	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
v	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
w	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
x	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
y	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ
z	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ	Ⲁ

جدول مقارنة لأحرف الهجاء العربية الجنوبية والعربية ١٢٧

نموذج من الكتابة الصينية



يرجع الباحثون في علم اللغات البشرية أصول اللغة الصينية إلى تشبيه آثار التي تركها أقدام وأظافر بعض الطيور على التراب، وكذلك إلى تشبيه شكلي للمظاهر الخارجية للحالات الانفعالية للإنسان (الفرح، الضحك، العبوس، الحزن..)، ولا يوجد أحرف في اللغة الصينية وإنما هناك مقاطع صوتية شكلية ونغمات كلامية وعبر التدرج والانسجام بين هذه المقاطع والنغمات تتشكل الكلمات فالجمل فالنصوص فالأفكار وإن اللغة اليابانية مشتقة من اللغة الصينية.. الخ



كلمة تسونامي باللغة اليابانية وهي لغة مشتقة من اللغة الصينية، وكلمة تسونامي (Tsunami) تعني أمواج الميناء الناتجة عن التيارات البحرية العنيفة التي تنتج غالباً عن الزلازل ولكن قد تنتج عن الثورات البركانية وسقوط الأجسام الفضائية الهائلة والتفجيرات والتجارب النووية وأسلحة الدمار الشامل في البحار والمحيطات كما تفعل الدول الأوروبية والأمريكية المتخلفة إنسانياً ومريضة حضارياً والمتقدمة صناعياً وعسكرياً. ١٢٨

١٢٧ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.س، ص ١٨٠.

١٢٨ - العربي، الكويت، العدد ٥٥٧، صفر ١٤٢٦هـ/ أبريل ٢٠٠٥م، ص ١٥٢.



الأحرف الأبجدية للغة الروسية

نجد تشابهاً في الكتابة واللفظ بينها وبين حروف اللغة اللاتينية واللغات الأوروبية مع بعض الاختلافات اللفظية والكتابية ونجدها تميل نحو التعقيد.

قدسية ومكانة الخط العربي

إن الخط العربي نفسه، وهو الذي كتب به الكتاب المقدس للمسلمين (القرآن) وغيره من الكتب، مقدس في حد ذاته وله مغزى ديني ورمزي عميق.

إن الخط العربي يستخدم في آن واحد للرسم والتزيين والتعبير عن الأفكار.

وهكذا فالخط العربي يتداخل مع المشاعر الإسلامية ومع الفن الإسلامي إلى حد أنه أصبح جزءاً لا يتجزأ من الهوية الدينية والقومية، وذلك بغض النظر عن المكان والزمان الذي يكتب فيه.

إن نسخ القرآن هو في حد ذاته عمل ديني وسحري، ولذلك فإن هذا الكتاب ينسخه كل من يطلب التقرب إلى الله تعالى بعمله هذا.

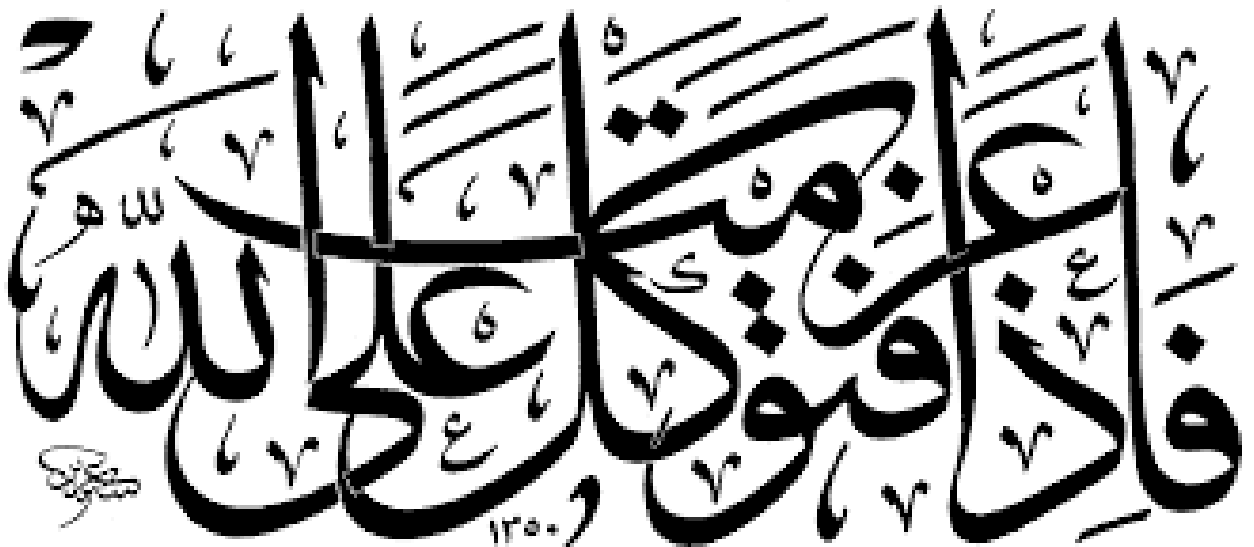
وفي العالم الإسلامي يأخذ شكل وجمال الحروف العربية معنى رمزياً وسحرياً.

وهكذا فإن التفتن في كتابة الحروف أو ابتداء تشكيلات جمالية من الحروف، ما هو إلا عمل مقدس.

ولذلك لا نستغرب أن العرب، والمسلمين بشكل عام، قاموا بذلك النشاط العظيم في نسخ المؤلفات، الشيء الذي لا نجد له مثيلاً في تاريخ الكتاب المخطوط.

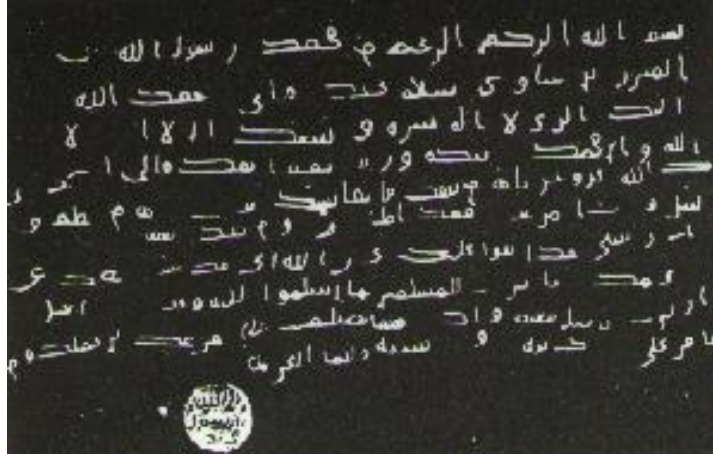
لقد تطور الخط العربي عن الخط النبطي، الذي كان يستعمل منذ بداية القرن الأول الميلادي في شرق الأردن.

وقد كان هذا الخط يستعمل قبل ظهور الإسلام للأغراض الإدارية إلا أنه أخذ سمة مقدسة عندما شرع العرب يدونون كتابهم المقدس.



جمالية الخط العربي

(نص رسالة النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوي)



بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوي.

سلام عليك فأني أحمد الله الذي لا إله غيره واشهد أن لا إله إلا الله وأم محمداً عبده ورسوله أما بعد: فأني أذكرك الله عز وجل فإنه من ينصح فإنما ينصح فإنما ينصح لنفسه وأنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن نصح لهم فقد نصح لي وإن رسلي قد اثنوا عليك خيراً وإني قد شفعتك في قومك فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن أهل الذنوب فاقبل منهم وإنك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية ١٢٩.

علامة الختم

محمد رسول الله

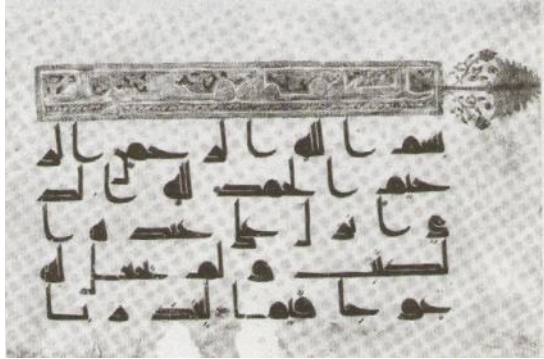


كتابة عربية على ورق البردي، مصر، القرن السابع الميلادي ١٣٠

١٢٩- الأطلس التاريخي، للعالمين العربي والإسلامي- من أقدم العصور إلى اليوم، د. عدنان العطار، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٧١.
١٣٠- الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، يوهانس بيدرسن، ترجمة: د. حيدر غيبة، طبعة أولى ١٩٨٩، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ص ١٨١.



كتابة قرآنية بالنموذج المائل، الحجاز القرن ٣- ٤ هـ ١٣١



جزء من سورة قرآنية على الرقاق من القرن ٣- ٤ هـ ١٣٢



كتابة قرآنية على رفاق من الجلد الزرق في شمال أفريقيا ١٣٣



كتابة نسخية، القاهرة، ١٣٠٠ هـ ١٣٤

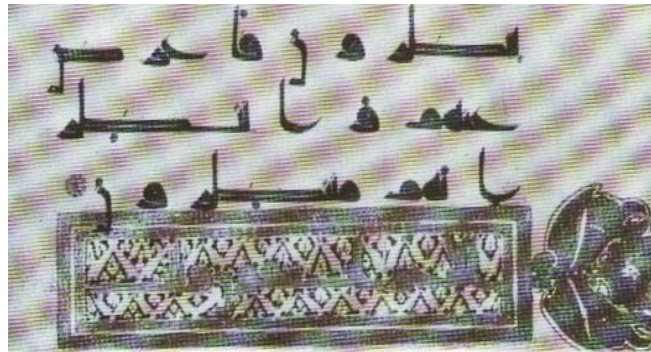
- ١٣١ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.س، ص ١٨٢.
- ١٣٢ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.س، ص ١٨٢.
- ١٣٣ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.ن، ص ١٨٣.
- ١٣٤ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.ن، ص ١٨٤.



خط مغربي، القرن ١٠ هـ ١٣٥



نماذج جميلة عن خطوط عربية متنوعة ١٣٦



صفحة من القرآن الكريم بالخط الكوفي ١٣٧



جمال وروعة الخط العربي

١٣٥ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.س، ص ١٨٤.

١٣٦ - الكتاب العربي منذ نشأته حتى عصر الطباعة، م.س، ص ١٩٠.

١٣٧ - الأطلس التاريخي، للعالمين العربي والإسلامي- من أقدم العصور إلى اليوم، د.عدنان العطار، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط٤، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٨٢.

أسلوب التعبير

التعبير عن الحروف العربية بالحروف اللاتينية عند مستعربي

ومستشرفي أوروبا

حولات الاسلام لكايتاني	تاريخ الأدب العربي لبروكلمان	الموسوعة الإسلامية	الحرف العربي
a, ā, ː	a, ā, ː	a, ā, ː	أ، آ، ٓ
i, u, ʾ	i, u, ʾ	i, u, ʾ	إ، أ، ؀
b	b	b	ب
t	t	t	ت
th	t̤	th	ث
ǧ	ǧ	dj	ج
h	h	h	ح
kh	ḥ	kh	خ
d	d	d	د
dz	d̤	dh	ذ
r	r	r	ر
z	z	z	ز
s	s	s	س

١٣٨

١٣٨- عالم المعرفة، الكويت، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، تأليف: د. محمود المقداد، عدد ١٦٧، جمادى الأولى ١٤١٣هـ/نوفمبر / تشرين الثاني ١٩٩٢م، ص ٢٠٤.

حولات الاسلام لكايتاني	تاريخ الأدب العربي لبروكلمان	الموسوعة الإسلامية	الحرف العربي
š	š	sh	ش
s	s	s	ص
d	d	d	ض
t	t	t	ط
z	z	z	ظ
c	c	c	ع
gh	ġ	gh	غ
f	f	f	ف
q	q	q	ق
k	k	k	ك
l	l	l	ل
m	m	m	م
n	n	n	ن
h	h	h	هـ
u, ū	u, ū	u, ū	و، واء
i, ī	i, ī	i, ī	ي، ياء

١٣٩

مستقبل اللغة العربية

— اثنت علم اللغويات بعد البحث في الوثائق والمخطوطات والقواميس، وبفضل التشريح المقارن للكلمات بين اللغات، أن اللغة العربية كانت الأصل وأن جميع اللغات كالمهروغليفية واللاتينية والإنكليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية والسنسكريتية.. كانت قنوات وروافد منها،

وهذا تطبيقاً للقانون الاجتماعي - التاريخي القائل: بأن يأخذ الفقير من الغني وليس العكس. فاللغة العربية واسعة غنية وتملك ستة عشر ألف جذر لغوي^{١٤٠} وحوالي ألف وخمسمائة من المعاجم اللغوية^{١٤١}.

بينما اللغة اللاتينية مثلاً فقيرة لأنها تملك سبعمائة جذر لغوي فقط وعشرات من المعاجم. ولكن اللغة كائن حي ثقافي متطور وموحد للأمة ويعكس حالة الأمة الحضارية وهذا يحتم رفع مستوانا الحضاري والثقافي والمعلوماتي الشامل بحيث نقوم: بالتجديد اللغوي، وتحوسب اللغة العربية كمياً ومنهجياً لتقليص الفجوة الرقمية للانطلاق عالمياً لأن المستقبل للغة العربية.

إن القرآن الكريم أقر بوضوح أن الناس بمختلف شعوبهم وأجناسهم أصلهم واحد ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات، ١٣.

وطالبهم بالتعارف والتعاون وخاطبهم بلغتهم العربية الطبيعية لكي يتحابوا ليعمروا الأرض ويعيشوا في أمن وسلام ليتمكنوا من السفر الكوني تمهيداً للاستيطان البشري في أرجاء الكون الفسيح وهذا الإجراء العملي والابتكار المعرفي والتقني يتحقق عند قوم يعقلون ويتفكرون ويبحثون..

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت، ٢٠.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف، ٢.



١٤٠- عالم الأسرار، د. مصطفى محمود، دار أخبار اليوم، القاهرة، طبعة عام ١٩٩٢م، اللغة التي تكلم بها آدم، ص ٣- ١٤.
١٤١- معجم المعاجم، أحمد الشرفاوي، طبع دار المغرب الإسلامي بالتعاون مع الجمعية المغربية للنشر، نقلاً عن: التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ٩٣- ٩٤، المحرم - ربيع الثاني ١٤٢٥هـ - آذار- حزيران ٢٠٠٤م، السنة ٢٤، حركة التأليف المعجمي في مفردات القرآن الكريم، أحمد حسين الخميسي، ص ١٣- ٢٦.

حيوية وضرورة التنوع اللغوي العالمي

عن معظم الباحثين في علم اللغويات يعتقدون بوجود أكثر من ستة آلاف كتاب لغة حالياً في العالم، ومن المتوقع ألا يبقى منها حتى نهاية هذا القرن سوى ٢٥٠٠ لغة، ويعود **الخطر الحقيقي** الذي يسبب انقراض وموت اللغات إلى نوع الاختيارات السياسية والاقتصادية والثقافية على المستوى المحلي والوطني في المجتمعات البشرية أكثر مما يعود على العامل الخارجي.

إن اللغة عموماً هي صناعة بشرية حسب تعبير ابن خلدون^{١٤٢}، وبالتالي هي خاصة وظاهرة إنسانية مشتركة وعالمية ومرتبطة بصيرورة الأنظمة الاجتماعية على المستوى الجماعي والفردى عبر اختلاف المكان والزمان وتعدد الأنساق الثقافية والمظاهر الحضارية، وبالتالي فاللغة في تطور دائم عبر تطور المجتمعات كافة وهي تعكس قوة ومناعة أفرادها مما يدل على أهمية امتلاك الإيرادات وتحقيق الإمكانيات الوطنية لكل لغة لكي تتطور وتنتشر عالمياً، وفي حال غياب الإيرادات وسوء الإمكانيات فإن اللغة تضعف وتهمش خاصةً عند وجود عامل خارجي عدواني همجي، كما فعلت بريطانيا ثم أميركا في إبادة أكثر من ٤٠٠ أمة من الهنود الحمر وهم السكان الأصليين في القارة الأمريكية وهذه المجازر الوحشية التي تعكس إفلاس الحضارة الغربية وثقافت العقل الغربي المريض على المستوى الفكري والنفسي والإنساني لأنهم كانت تغمرهم السعادة بعد قيامهم بالقتل والنهب للأطفال والنساء بدون أدنى رادع من ضمير أو أخلاق حتى إن بعض الغربيين كفولتير بنقد نصوصهم وشخصياتهم المريضة والمجرمة بل عمم ذلك على العبرانيين القدامى وعلى كتبهم التوراتية المقدسة التي تضم أبشع الخرافات وأسوأ الخزعבלات الأدبية وأوحش الأساطير.. حيث وصفهم بالآفة الخبيثة التي سممت الإنسانية على مدى آلاف السنين..

وما تزال الدول الرأسمالية الأوروبية والأمريكية تقوم بكل بربرية بشن وافتعال الحروب الساخنة والباردة على البلدان النامية لاسيما في العالم العربي والإسلامي ولم يكفيتها ما قامت به من استعمار واستغلال واستعباد ونهب شعوب المنطقة خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، بل إنها أظهرت وحشيتها أكثر حيث أعادت الواقع الدولي في مطلع القرن ٢١ على شريعة الغاب والأنياب.. فقامت في استخواب أفغانستان واستدمار العراق بالإضافة إلى ولادتها لابنها اللقيط وهو الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

وتزامناً مع تدمير البنية التحتية للشعوب ونهب ثرواته الطبيعية يقوم الغرب بشن الحرب الباردة ضد العرب والمسلمين بالدرجة الأولى حيث يصرحون بأنهم يجب أن يقومون ويدعمون حرب الأفكار حسب تعبير

١٤٢- مقدمة ابن خلدون، تأليف: عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ولي الدين، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب للنشر، ط١، ١٤٢٥ - ٢٠٠٤.

وزير الدفاع الأمريكي رامسفيلد في الإدارة البوشية المسيحية المتصهينة والمحافظة بهدف تسويق المصالح الغربية، فالإستخراب الأمريكي يسوق بالإعمار، وتدمير المنشآت والمصانع.. يسوق بالتحجير، وقصف المدن وقتل الأطفال والنساء وانتهاك حقوق الإنسان وتحويل الأمن إلى فوضى ودمار.. يسوق بالديمقراطية.. فالرسالة التي بعثها أدولف بيريز اسكيفيل الحائز على جائزة (نوبل للسلام) إلى الرئيس (بوش)، قال فيها: (إنك تتحدث عن الله وأنت تكفر به، وتتحدث عن الحرية وأنت تدمرها، وتتحدث عن الديمقراطية والكرامة وأنت لا تتردد في التضحية بهما على مذبح (مولوخ) إله الدمار والدم الذي لا تعبد إلا إياه). وأمام هذه التحديات الخارجية العدوانية يجب علينا كعرب ومسلمين أن نرفع من مستوانا الحضاري الشامل في كافة مجالات الحياة والعلم والثقافة.. وفي المجال اللغوي يجب أن نحاول جاهدين في تطوير لغتنا العربية وجعلها لغة العلم والمعرفة والإعلام والمجتمع.. بالإضافة إلى تعليم اللغات العالمية الحية.

- آليات انقراض اللغات:

هناك ثلاث آليات رئيسية: التحول، الاختفاء، الإحلال.

١- التحول: هو تغير تدريجي على المدى الطويل من لغة لأخرى كاللغة اللاتينية التي تولدت عنها الفرنسية والأسبانية والإيطالية..

٢- الاختفاء: ظاهرة مرتبطة بلا زوال المادي لشعب ما نتيجة إبادة جماعية وحشية أو وباء مرضي، وهذا ما فعلته الحضارة الغربية المريضة بالهنود الحمر، وفي عام ١٩٧٤ توفي آخر متحدث بالمانكسوا وهي من لغات الهنود الحمر فماتت هذه اللغة معه.

٣- الإحلال: وهي ظاهرة اجتماعية وتعني أجراء لغة مغلوبة لصالح لغة غالبية لأسباب اقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية.. وقد أشار الميثاق الأوروبي الذي صدر في ستراسبورغ ١٩٩٢ إلى هذه الظاهرة حيث فقدت أوروبا خلال تاريخها عدداً كبيراً من اللغات الإقليمية.

ولكن أكثر اللغات المهددة بالانقراض موجودة في البلدان الفقيرة فمثلاً:

تضم غينيا الجديدة أكبر عدد من اللغات المهددة فسكانها الستة ملايين الذين يمثلون ٠,١% فقط من سكان العالم يتقاسمون أكثر من ألف لغة أي بنسبة تزيد على لغة واحدة كل ستة أفراد؟^{١٤٣}

إن المستقبل اللغوي ينحصر في أربع لغات عالمية حية واسعة الانتشار وهي: اللغة العربية، الصينية، الإنكليزية والأسبانية.

١٤٣- الثقافة العالمية، الكويت، العدد ١٢٩، السنة ٢٤، مارس- أبريل ٢٠٠٥، في أقول اللغات، بقلم: كارين فيليب، مراجعة: ليلي عبد الحميد بدر، ص ١٣٤- ١٣٩ (بتصرف).

— وقد اعترف الأوروبيون أنفسهم باللغة الإنكليزية أنها ليست اللغة الوحيدة بالمستقبل فالتقرير الذي أصدره المجلس الثقافي البريطاني منذ بضع سنوات بعنوان (مستقبل اللغة الإنكليزية)، ونظراً لأهميته، فقد كتب مقدمته الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، وورد في هذا التقرير أنه من المتوقع أن تظل الإنكليزية اللغة العالمية الأولى في القرن الواحد والعشرين الحالي، ولكنها لن تكون الوحيدة في هذا المجال، أي لن تحتكر هذا الموقع، إذ يتوقع أن تنافسها بعض اللغات الأخرى وتصبح لغات عالمية أيضاً، واللغات المرشحة لأن تحتل هذه المكانة الرفيعة والمرموقة هي: العربية والصينية والأسبانية والهندية/الوردية.

ويعود السبب في ذلك إلى العوامل الديموجرافية (السكانية) والثقافية والتغيرات السياسية والاقتصادية التي يشهدها العالم في الوقت الراهن، وينتظر أن تصل إلى ذروتها في منتصف القرن الحالي^{١٤٤}.

— وقد أصبحت اللغة العربية محل اهتمام دولي حقيقي بعد أن كانت متروكة لأهلها العاجزين عن تطوير إمكانياتها، وللأسبب نفسه أصبح العرب وسط الضوء صارت (العربية) محل الدراسة، حيث امتلأت مراكز جامعية بطلاب يريدون تعلمها، وضوعف مخصصات الدراسات الاجتماعية واللغوية مع ارتفاع الرصد اليومي لما يذاع وينشر، وهناك كم كبير من الكتب والبحوث الجادة، وهي ظاهرة مرتبطة بالحدث وقد لا تدوم طويلاً لكن الأهم هو سعي مؤسسات أوروبية وأمريكية لتطوير أدوات التعامل مع العربية، مثل البحث الإلكتروني والترجمة الإلكترونية، فكل اللغات الرئيسية في العالم تنعم بمرحلة ازدهار بفعل الترجمة الآلية التي منحنتها آفاقاً واسعة أثرت بالعلوم والمعارف الجديدة، أما العربية فقد بقيت متخلفة لسبب واحد هو ضعف الإنفاق على الأبحاث التطويرية للغتنا، في الظروف الجديدة أصبحت المؤسسات العسكرية والأمنية الغربية، وكذلك الاقتصادية، تريد أن تصل إلى العرب، عن طريق أذهانهم وأوراقهم وجيوبهم، وتحاول أن تفهم وتفهم معهم، وتريد أن تتنصت على ما يقولونه أو إسماعهم ما تريد قوله، هذا الاهتمام الطارئ فتح آفاقاً جديدة، موضحاً أنه تم تكليف مؤسسات عالمية لتطوير البحوث التقنية الخاصة باللغة العربية.

وفي أحد المعارض التقنية قدمت نماذج جديدة لتجهيزات صوتية قدرتها على التعرف على الكلمات العربية المنطوقة أكثر دقة من بقية اللغات، وربما جرى تطويرها في الأساس لأهداف أمنية لكنه تحول أيضاً إلى أغراض مصرفية وعلمية وتعليمية وثقافية^{١٤٥}.

١٤٤ - مجلة العربي، قادش مدينة الحرب والسلام، الكويت، العدد ٥٥٧، صفر ١٤٢٦ هـ / أبريل ٢٠٠٥م، هل تقوم لغة عالمية واحدة، د. شعبان عبد العزيز عفيفي، ص ١٧١ (بتصرف).
١٤٥ - المجلة العربية، الرياض، العدد ٣٣٣، السنة ٢، شوال ١٤٢٥ هـ - ديسمبر ٢٠٠٤م، العربية ومستقبل علمي مشرق، عبد الرحمن الراشد، لندن، ص ١٢٨ (بتصرف).

- في عصر عولمة الغرب:

من الملاحظ أن مهندسي العولمة يدرجون اللغة العربية ضمن المرامي الاستراتيجية فهم يحاولون إقصاءها عن جملة اللغات الرسمية، وتواجه العربية وما زالت حرباً واسعة استخدمت فيها كل الوسائل الممكنة من اتهامات بالصعوبة وعدم قدرة على استيعاب العلوم، ومحاولة إضعافها عن طريق دعم اللغات الأجنبية وعلى الأخص دعم الإنكليزية التي تنتشر بقوة العولمة تدل على أن القوة المتحكمة بالعولمة تركز على عوامل مادية أو قدرات عسكرية فحسب، بل على الهيمنة العقلية أي المراجع والإشارات الثقافية وعلى الأخص الإشارات اللغوية.

ومن هنا فإن الإنكليزية التي تلعب دوراً في الهيمنة الثقافية لا تختلف عما يلعبه الدور في الهيمنة النقدية المادية، إن الدراسات اللغوية والعلمية تقول إن اللغة العربية هي من أربع لغات مرشحة للبقاء في ساحة التداول العالمي، وهذه اللغات هي: العربية والصينية والأسبانية والإنكليزية، وهذا الاستشراق اللغوي من قبل بعض الباحثين يجب أن ينبهنا على أن العرب طرفاً من أطراف الصراع الحضاري الأربعة.

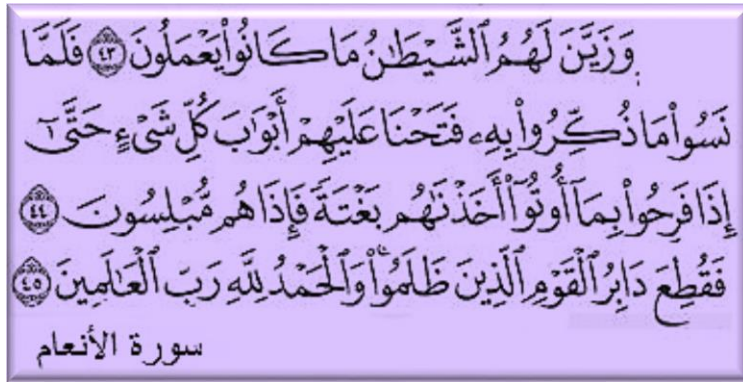
وفي حين تركز التهويمات على أن الإنكليزية لغة تواصل دولي فإن كثيراً من الباحثين الأوروبيين وكثيراً من الدراسات تؤكد أن مفهوم الإنكليزية كلغة تواصل دولي هو سراب أيديولوجي، ولا بد من عالم متعدد اللغات تفادياً لديكتاتورية الإنكليزية.

وأما الأسبانية فإن هناك دراسات حديثة موثقة تؤكد دخول كلمات عربية كثيرة على اللغة الأسبانية وعلى الأخص لغة القشتاليين فثلث كلمات ومصطلحات اللغة الأسبانية هي عربية الأصل والمصدر ولا غرابة في ذلك، فقد كانت اللغة العربية لغة العلم والحضارة في الأندلس لثمانية قرون.

وفي ظل الصحوة الإسلامية اليوم في أسبانية، فإن بعض الأصوات الأسبانية بدأت تطالب بوجوب تعليم اللغة العربية والحضارة الإسلامية في المدارس الأسبانية على غرار اللغات الأجنبية الأخرى، وتلقى هذه الأصوات استجابة كبيرة من طرف سكان هذه المناطق، وأمام هذا الصراع الحضاري اللغوي فلا بد أن تأخذ العربية دورها الحضاري بما حباها الله من اصطفاء فهي لغة: منضبطة القواعد، متأصلة الخصائص، متجددة النمو.

وهي اللغة التي جاءت تلبية لحاجات إنسانية ولم تأت طارئة مفروضة بالقوة كالإنكليزية وغيرها.. فاللغة العربية استجابت لكل ما أنتجته الحضارة القديمة من فكر وثقافة وغيرها، وأنها كانت في القرون الوسطى لغة الحضارة الوحيدة التي لا تضاهيها لغة أخرى، وهي التي لبت دعوة الإسلام الذي شكل منعطفاً في تاريخ العرب والبشرية جمعاء، واستطاعت بغناها وقدرتها على التوليد والتطور أن تفي بكل مستجدات التعبير اللغوي والفقهي والاصطلاحي الذي احتاج إليه الإسلام، ولم تقف العربية يوماً عاجزة

منذ بدايات تعقيدها عن الولوج إلى عالم الاختراع العلمي والتعريب المعرفي في عصر الازدهار الحضاري، واللغة العربية في زماننا، تستخدم في مجالين: أولهما: الكتابة العلمية، وثانيهما: تخزين المعلومات في الحواسيب، وبذلك استجابت العربية لضاغطين حضاريين وهما طبيعة العلم ومستحدثاته والآلة الإلكترونية وتطوراتها، وبهذا تحقق العربية للعلم الوضوح في مفرداته والبساطة في أسلوبه واليسر في تداوله. ولا يخفى ما تعانيه العربية اليوم من عقوق أبنائها ففي هذا العصر الذي تشن فيه الحروب على الخصوصيات الثقافية، وتنتهك فيه الهويات الحضارية وتدار فيه الصراعات الغوية، نرى تهاوناً عربياً في نصرته اللسان العربي فضلاً عن اغتيال للعربية في المحطات الفضائية والأرضية، وإذا أظهروا العربية فإنهم يظهرونها للجمهور بطريقة منفرة، والحرب النفسية متواصلة لإحساس العرب بالهزيمة، التي ولدت الشعور بأهمية اللغة الأجنبية والانبهار بكل ما هو أجنبي، والدعم الزائف والكاذب بأن التقدم لا يأتي إلا عن طريق إتقان اللغة الأجنبية والترجم بمصطلحاتها، مع أن صدر العربية فسيح في استيعاب كل جديد وطارئ وحضاري، لذا فإن الواجب الديني والقومي يدعونا إلى صون العربية وتطويرها وتجديدها وتأصلها ونشرها عربياً وعالمياً وكونياً^{١٤٦}.



١٤٦- المجاهد، البيت الفلسطيني وشرك شرم الشيخ، العدد ٣٨٤، المحرم ١٤٢٦هـ / آذار ٢٠٠٥، اللغة العربية من القومية إلى العالمية، ص ١٢٩ - ١٣١ (بتصرف).

فصائل اللغات البشرية

- اللغة العربية أقدم اللغات:

إذ أفضل نظريات تقسيم اللغات، تلك التي تعتمد على صلات القرابة اللغوية بين المجموعات على أساس البنية والتركيب اعتماداً على الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية فهناك مجموعتين من الفصائل اللغوية:

١- الفصيلة الهندية.

٢- الفصيلة الحامية.

يقول ماكس مولر: **بالتصنيف الثلاثي للفصائل التي لا تخص المجموعتين، حيث اصطلح اسم الفصيلة الطورانية وذلك من الأسباب التي جعلت علماء اللغة يقسمون اللغات الإنسانية التي بقي تعدادها خارج المجموعتين إلى تسع عشرة فصيلة ثانوية تضمها فئتين:**

أ- الفصيلة الهندية الأوروبية: يصعب تحديد موطنها الأصلي حيث يقال (آسيا الوسطى) وأحياناً يقال أوروبا الشرقية أو بحر البلطيق.

وهذه الفصيلة مؤلفة من ثمان طوائف هي:

١- اللغات الآرية الهندية الإيرانية.

٢- اللغات اليونانية (القديمة والحديثة).

٣- اللغات الإيطالية وأهمها اللاتينية ومنها: (أسبانية، فرنسية، برتغالية، رومانية).

٤- اللغات الجرمانية الغربية ومنها: (الإنكليزية والسكسونية والهولندية والألمانية)، والجرمانية الشمالية ومنها: (الدانماركية والسويدية والنرويجية).

٥- اللغات السلافية: سقلبية وبلطيقية ومنها: (روسية - تشيكية - بولونية - بغارية - ليتوانية - بروسية).

٦- اللغات الأرمنية.

٧- اللغات الألبانية.

٨- اللغات الكلتية التي تغلبت عليها الإنكليزية والفرنسية والإسبانية (ولاتزال ظواهرها في إيرلندا وغربي فرنسا (البريتون).

ب- الفصيلة الحامية: ومناطق البلاد العربية وشمال أفريقيا وشرقها (ليس فيها عنصر دخي) وتتألف من مجموعتين:

١- مجموعة اللغات الحامية (المصرية - البربرية - الكوشيتية).

٢- مجموعة اللغات العربية السورية القديمة (السريانية) (وأهمها اللغة العربية).

- فصائل اللغات الأخرى وهي:

٢- الطورانية: (التركية- المنغولية- المنشورية).

٣- اللغات اليابانية.

٤- اللغات الصينية (المتيتية ومنها لغة سيام).

٥- اللغات الكورية.

٦- اللغات القوقازية .

٧- لغات الهنود الحمر بأمريكا.

٨- لغات السودان وغانة وتقسم حسب (دلافوس) إلى ٤٣٥ لغة الملايو (الأندوفوسية- الميلانيزية- (في جزر سليمان- سانت كروز).

هذا وتقسم حسب نظرية التطور والارتقاء المتعلقة بقواعد الصرف والنحو وأشهرها نظرية SCHLEGEL.

وتقسم اللغات حسبها إلى ثلاث فصائل:

١- اللغة التحليلية: (قابلة للصرف).

٢- اللغة الإلصاقية: (مقاطع سابقة ولاحقة تغير المعنى، يابانية، تركية).

٣- اللغات العازلة: (غير متصرفة ولا تقبل زيادات الحروف، كاللغة الصيفية والبدائية) ..

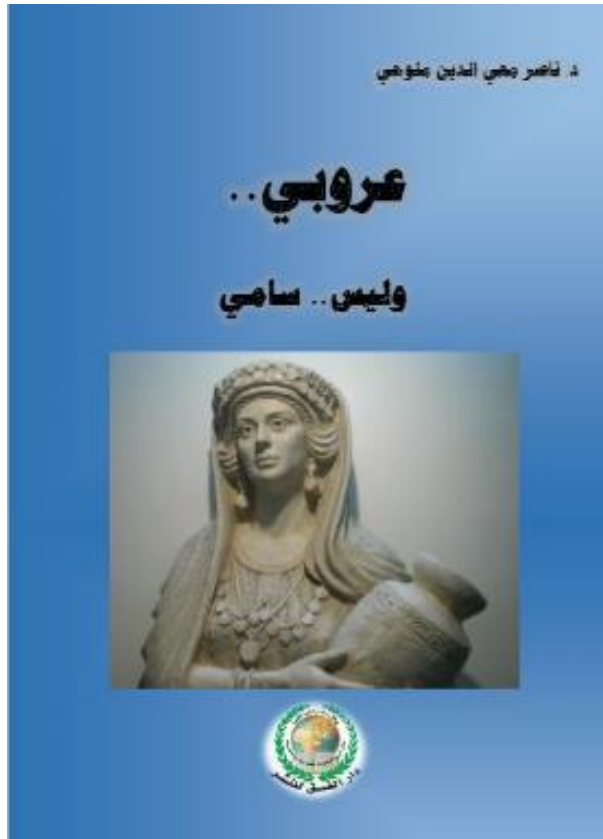
(الساميون): آرميون، فينيقيون، عرب، عرب يمنيون، بابليون، آشوريون.

وأول من أطلق اسم الساميون على هذه الشعوب SCHLEGEL وتبعه باعتبار الشعوب تكونت في أساسها من أبناء نوح عليه السلام (حام، سام، يافث)، وهو تصنيف عنصري سياسي غير موثق ولا يعتمد على الحقائق والوقائع والآثار التاريخية التي تؤكد بأن مصطلح السامي أو اللغات أو الشعوب السامية هو مصطلح ملفق وكاذب ويهدف إلى تشويه وانقاص الدور الحضاري العمراني الإنساني التنموي الشامل للشعوب العربية السورية القديمة^{٤٧}، وتلك الشعوب كالآراميين والفينيقيين والبابليين والآشوريين والسومريين.. هم شعوب عربية كقولنا حالياً السوريين والمصريين والفلسطينيين.. فهم عرب وأصلهم واحد، ولكن التسمية لتلك الشعوب كانت تطلق عليهم غالباً من اسم المدن التي كانوا يسكنوها كبابل وآشور وسومر..

^{٤٧} - للتوسع: عروبي وليس سامي، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م.

ولا يزال المهدي الأصلي للساميين مجهولاً، ويقولونان وبروكمان: بأن الموطن الأول (للساميين) هو القسم الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة العربية ويقول (أولس هازن): بأن اللغة العربية أقدم ومصدر اللغات (السامية)^{١٤٨}.

- عظمة اللغة العربية: (في الحق أن اللغة العربية، من أرقى لغات العالم، فلا تعادلها اللغة الآرامية، فهي تمتاز عن اللغات الآرية: بكثرة مرونتها، وسعة اشتقاقها، فإذا قيس ما اشتق من كلمة عربية من صيغ متعددة لكل صيغة دلالة على معنى خاص بما يقابلها من كلمة أجنبية وما يشق منها، كانت اللغة العربية وستكون دائماً أوفر وأغنى في جذورها ومصادرها وكلماتها ومصطلحاتها وتنوعها واشتقاقاتها واستيعابها لكل العلوم والمعارف والمعلومات الإنسانية قديماً وحديثاً ومستقبلاً..)^{١٤٩}.



١٤٨- إثبات صوت القلب (اكتشاف عمل العقل الرياضي) (نظرية ثبات طور الكلمة)، د. أحمد عبد الرزاق مغربل، طبعة عام ١٩٨٤م، حماه- سوريا، ص٧، (بتصرف وتعديل).

١٤٩- (ضحى الإسلام، ج ١، د. أحمد أمين، ص ٢٨٩) نقلاً عن نظرات في الأدب والنقد، عبد الرزاق البصير، كتاب العربي ٢٨، الكويت، ١٥ يوليو ١٩٩٠، ص ٢٤-٢٥، (بتصرف وتعديل).

تشريح فلسفي مقارنة اللغة العربية وبقية اللغات

من الأمور البينة بذاتها، الثابتة من شواهد الماضي وتجارب الحاضر، في الشرق والغرب على السواء، أن اتصال الناس بعضهم ببعض في المجتمع لا يتيسر حصوله بدون لغة مشتركة يستعملونها، فتكون مجلى لأفكارهم وترجماناً له، أن اللغة توشك أن تكون أعظم قوة تجعل من الفرد كائناً اجتماعياً وبين الألماني (فشته) أن اللغة أثراً بالغاً في تطور الشعوب فقال: (إن اللغة تلازم الفرد في حياته، وتمتد إلى أعماق كيانه، أو تنفذ إلى أخفى رغباته وخطراته، إنها تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً متراسماً خاضعاً لقوانين، إنها الرابطة الوحيدة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان).

ولست أعرف لغة من لغات العالم يصدق عليها قول الألماني أكثر مما يصدق على لغتنا العربية. فما من شك في أن للغتنا العربية أثراً في تكوين عقليتنا وتديير تفكيرنا وتصريف أفعالنا وهداية سلوكنا يفوق كل أثر سواه، وأنا إذا أردنا أن ندعم وحدتنا القومية فواجبنا أن نحافظ بكل ما في وسعنا على خصائص لغتنا وأن نستمسك في الوقت نفسه بالخصائص الفكرية الأصلية التي تجعل لهذه اللغة فلسفة متميزة.

- المثالية الغربية والمثالية العربية:

وأول الخصائص التي تتميز بها اللغة العربية هي أنها تنحو نحواً مثالياً في التعبير لا نظير له في أي لغة من اللغات التي نعرفها.

فلسفة هذه اللغة تفترض لأول وهلة مثالية عميقة صريحة تحسب حساب الفكرة والمثال، وتضعهما في مكان الصدارة والاعتبار.

ومنذ عصر أفلاطون ومفكرو الغرب يجاهدون، من وراء لغاتهم لرفع النقاب عن هذه المثالية، فلم يستطيع استكشافها منهم إلا إثنان من فلاسفتهم المحدثين: (ديكارت) في القرن السابع عشر، (كانط) في القرن الثامن عشر، وكان مؤدي مثالتهما أنه يوجد إلى جانب صور الحس صور ومعان عقلية، وأن حقيقة العالم الخارجي أو عالم الأعيان كما يقول المتكلمون المسلمون - هو كونه مدركاً بالذهن الإنساني.

غير أن هذا الاكتشاف الذي توصل إليه الفيلسوفان الغربيان بعد جهد جهيد لم يثبت بعد في أذهان الناس ولا يزال موضع جدال، ودليل ذلك ما نسمعه من القضايا المعارضة التي يدلى بها أنصار المذاهب المادية والحسية والوجودية والوضعية، وكلها دالة على مغامرات الإنسان الغربي الممزق في العصر الحديث، ومعبرة عن ضراوة خصومتها للاتجاهات الروحية عامة والمثالية خاصة، ولإيضاح مثالية اللغة العربي نقول: إن لغتنا في طبيعة تركيبها لا تحتاج الجملة الخبرية فيها إلى إثبات ما يسمى في اللغات الغربية فعل الكينونة، فنحن نقول في العربي على سبيل الأخبار: (فلان شجاع) دون حاجة مثلهم إلى أن نقول: (فلان هو شجاع).

ونقول: كل إنسان يكون فإن، أو كل إنسان يوجد فانياً، أو كل إنسان كائن فإن، كما هو شأنهم في تركيب كلامهم.

وإذا قلنا مثلاً: أن الأمة العربية واحدة ثبت هذا المعنى في أذهاننا ثبوتاً لا يحتاج معه إلى شيء من الخارج، لا فعل الكينونة ولا أي رمز آخر من رموز اللغة أو أي أمر من أمور الحس والفكرة المفهومة إليها حين يواجه المعنى، فإذا أراد أن يبرزها أو أن يؤكد لها مثلها بلفظ كقوله إنه هو الحق.

ومعنى هذا أن الإسناد إلى اللغة العربية يكفي فيه إنشاء علاقة ذهنية بين موضوع ومحمول أو مسند إليه ومسند، دون حاجة إلى تصريح بهذه العلاقة نطقاً أو كتابة.

في حين أن هذا الإسناد الذهني لا يكفي في اللغات (الهندو أوروبية) إلا بوجود لفظ صريح مسموع أو مقروء يشير إلى هذه العلاقة في كل مرة، وهو فعل الكينونة في اصطلاحهم.

ولعل هذا الاضطراب الفكري اللغوي في اللغات الغربية الحديثة سبب من أسباب ما اعتاده الناس في الغرب من التماسهم شهادة خارجية حسية لكل قضية عقلية تحتمل (الصدق أو الكذب) وكأن معيار الحق عندهم هو مطابقة ما في الذهن لما هو خارج الذهن، خلافاً لما يقضي به المنطق الأصيل للغة العربية.

- شهادة الفكرة أصدق من شهادة الحس:

ومما له دلالة كبيرة في هذا المقام أنني عرضت مرة للمقارنة بين لغتنا وبعض اللغات الأوروبية، في محاضرة ألقيتها على جمهور فرنسي، وكان موضوعها:

(ديكارت واللغة العربية) فخيل إلي حينئذ أن المستمعين قد بدأوا يقتنعون بما ذهبت إليه من أن فلسفة ديكارت هي في نظري أقرب الفلسفات الغربية مطابقة لمنطق اللغة العربي غير أن شيئاً واحداً كان عندهم موضع استغراب، وهو أن تخلو اللغة العربية مما يسمونه فعل الكينونة ولكني بينت لهم فيما بينت أن دلالة الكينونة التي استغربوا خلو العربية منها هي على التحقيق، الأمر الذي أراه ميزة فلسفية امتازت بها لغتنا على غيرها من اللغات.

فالعربية ترى من نافلة القول أن نضطر إلى إثبات هذه الكينونة في كل قضية عقلية لكي نصدق بها. بل أكثر من هذا أن العربية تفترض ابتداءً أن مجرد أخطار المعنى في الذهن ومجرد ثبوت الآنية كما يقول الفارابي وابن سينا: (كاف وحده إثبات هذا المعنى).

وبعبارة أخرى نقول: أن اللغة تفترض دائماً أن شهادة الفكر أصدق من شهادة الحس.

وبتعبير فلسفي شائع لدى فلاسفة العرب ومتكلميهم نقول: أن العربية بطبيعتها بنيتها وصياغتها تقرب أن الماهية متقدمة على الوجود - وغنى عن البيان أن التقدم الذي يقصده فلاسفة العرب هو تقدم الرتبة والقيمة لا تقدم الزمان أو الوضع في المكان.

وذلك هو الأمر الذي انتهت إليه المعرفة الإنسانية حينما ارتفعت إلى مقام العلم أو مقام الفلسفة.

- جوانية اللغة العربية:

واللغة العربية قد امتازت بخاصية أخرى فريدة قد خلت منها اللغات الأخرى التي نعرفها، وأغني بها خاصية ما قد سميت بالحضور (الجنوبي) للأنية الواعية، أي: إدراك معنى الأشياء بنوع من الكشف الداخلي، من غير حاجة إلى الوسائل الخارجية كاللفظ والإشارة وما إليها.

ولبيان ذلك أقول: أن (الذات العارفة) أو (الأنا المفكرة) ماثلة في كل قضية صيغت عربية.

وحضورها حضور روحي داخلي، يسري في الضمائر والأفعال الداخلية في بنية الألفاظ، دون حاجة إلى إثباتها بالرموز والعلاقات الظاهرة: ففي حين أن اللغات الغربية مثلاً تضطر غالباً إلى إثبات هذه (الأنية) عن طريق ضمير المتكلم أو المخاطب أو الغائب، مصرحاً به في كل مرة، بحيث لا تفهم نسبة الفعل أو الفاعل بدون هذا التصريح.

نجد العربية قادرة على التعبير عن الأنية تعبيراً جوانياً، لأن الفعل فيها لا يستقل بالدلالة بدون الذات، والذات متصلة دائماً بالفعل في نفس تركيبه الأصلي، ولا يوجد في العربية فعل مستقل عن ذاته كالفعل (المصدرى) في اللغات الأوروبية الحديثة، وكذلك بالإضافة في اللغة العربية تتم بإنشاء علاقة ذهنية - وبالتالي جوانية - لا تحتاج إلى لفظ يشير إليها.

مثال ذلك قولنا: (كلية الآداب) فهو كاف لإيقاع الإضافة بين (الآداب) و(الكلية) خلافاً للغات الأخرى التي تعتمد إلى إثبات لفظ خاص يدل عليها.

وفي هذا المعنى قال ابن خلدون: (ولما كانت الملكات الحاصلة للعرب في ذلك أحسن الملكات وأوضحها إبانة عن المقاصد لدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني، مثل الحركات التي تعين الفاعل عن المفعول، والمجرور أعني المضاف، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال إلى الذوات من غير تكلف ألفاظ أخرى. وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب.

وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة، ولذلك نجد كلام العجم في مخاطبتهم أطول مما نقدره بكلام العرب).

- الصدارة للمعنى:

واللغة العربية إذا كانت بالألفاظ فذلك من أجل المعاني، أي لكي يقع القول من نفس السامع موقعاً يهيئ له الحالة النفسية التي تحفزه إلى العمل.

ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر إعجاز القرآن الكريم في لفظه ومعانيه من قوة على استنهاض العزائم والسعي إلى بلوغ المطالب.

ويطيب لي ها هنا أن أنقل عبارات من (الخصائص) لابن جني واضحة الدلالة، قال في باب الرد على من ادعى على العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني:

(فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسوها، وحموا حواشيها وهذبوها، وصقلوا غروبها وأرهفوها، فلا ترين أن العناية إذ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة للمعاني وتنويه وتشريف).

ثم قال تأكيداً لرأيه وكأنه عالم من علماء عصرنا يدفع أوهام وأكاذيب بعض المعترضين الحاقدين: (فكأن العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشبهها وترخرفها بعناية بالمعاني التي وراءها، وتوصلها بها إلى إدراك مطالبها.. وقد قال رسول الله ﷺ: (إن من الشعر لحكمة وأن من البيان لسحرا).

فإذا كان رسول الله ﷺ يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصائد وإشراكها للقلوب، وسبباً وسلباً إلى تحصيل المطلوب، عرف بذلك أن الألفاظ خدم للمعاني، والمخدوم أشرف من الخدم.

والأخبار في التلطف بعدوبة الألفاظ إلى قضاء الحوائج أكثر من أن يوتي عليها.. والحق فيما قال ابن جني: فاللغة العربية من أكثر لغات الأرض دلالة معنوية.

بل إن الكثير من ألفاظ العربية قد فقدت الدلالة الحسية: فالفعل (عقل) معناه (فهم) وهو مأخوذ من (عقل الناقة) أي ربطها، والأصل في المعنى (الفصاحة) قولهم: (فصح اللبن) إذا ذهب رغوته، ثم قيل (فصح) بمعنى (وضح) و(الرأي) أصله من (رأى) أي شهد بعينه.

وفي اللغة العربية صيغ وأبينة وقوالب دالة على معان وصفات وأحوال: فصيغة (فعلان) مثلاً: تدل في الأغلب على الحركة والاضطراب: كالنزوان، الغليان، الجيشان، والهيجان.. ووزن (فعلان) يدل على صفات من أحوال: كالعطشان، الشعبان، الريان، الغضبان.. ووزن (فعللة) يدل على حكاية الأصوات: كالصرصرة، القرقرة، القعقعة، الخشخشة..

ووزن (مفعال) يدل في الأغلب على عادات الاستكثار، نحو: مصدام، مضياف، مهذار، مزواج، مئناث..

وصيغ الأفعال وأوزانها في العربية عامل من عوامل ثروة اللغة وقدرتها على الدلالة على فروق وظلال تنضاف إلى المعنى الأصلي دون زيادة في اللفظ، ومع الاحتفاظ بطابع التركيز الذي تميزت به لغة القرآن الكريم فصيغة (فعل) ترد بمعنى المبالغة، وبمعنى النسبة وصيغة (فاعل) تدل على المبالغة..

وصيغة (تفاعل) تدل على المشاركة، وترد أيضاً بمعنى التظاهر بأمر الواقع، وصيغة (تفعل) ترد بمعنى التكلف، أو بمعنى أخذ الشيء أو تلقيه.

وخاصة أخرى تجعل اللغة العربية أكثر مرونة من غيرها من اللغات الحية المعروفة، وهي أنها أكثر اللغات قبولاً للاشتقاق، باب واسع تستطيع به اللغة أن تؤدي معاني الحضارة الحديثة على اختلافها.

ويقوم الاشتقاق في العربية بدور لا يستهان به في المعنى الأصلي وتلويحه، إذ يكتسبه خواص مختلفة من: طبع وتطبع، ومبالغة وتعديدية ومطاوعة، ومشاركة ومبادلة، ومما لا يتيسر التعبير عنه في اللغات الآرية ولا بألفاظ خاصة ذات معان مستقلة، وصيغ ألفاظ العربية تفرق تفرقة واضحة بين: (الجواني) و(البراني).

بين ما هو حركة في النفس وما هو حركة الجوارح العربية تفرق مثلاً بين

(الكبر) و(التكبر)، و(العلم) و(الفقه) و(التفقه) وما إلى ذلك.

وقد التفت المستشرق الفرنسي (كاروادو فو) إلى هذه الظاهرة، فلم يسعه إلا أن ينوه بها في كتابه عن الغزالي فقال: (لقد ميز الغزالي بين الكبر الداخلي والكبر الخارجي).

الداخلي هو استعداد في النفس، والخارجي ناتج من أفعال الجوارح.

ولاحظ (كارادو فو) أيضاً أن هذه الفروق المعنوية الدقيقة التي تحملها ألفاظ اللغة العربية ليس من الميسور نقلها في لفظ واحد إلى اللغات الأخرى، وخلص من هذه الملاحظة إلى التنويه بما تنطوي عليه العربية من قدرة ذاتية على التحليل الفلسفي العميق (مادام أن إحداث تغيير طفيف في بنية اللفظ العربي يسمح لتلك اللغة بأن تميز بين الحالة النفسية وبين العادة التي تطابقها).

- حركية اللغة العربية:

وسمة أخرى تميزت بها اللغة العربية، وهي (الدينامية) أو الحركية: فاللغات الأخرى لا ترى مانعاً من بدء الكلمات بالحروف الساكنة.

أما اللغة العربية ففلسفتها تمنع الناطق بها من النطق بحروف ساكنة، لأنها: تفترض أن كل (قول) إذا كان قولاً جاداً ينبغي أن ينزل منزلة (الفعل) والفعل يقتضي الحركة.

وأي قول لا يكون فيه حركية أو تهيؤ للفعل أهلها عن اللغو والهذر.
فقد كان للكلام عند العرب سلطان وأي سلطان.

وقيمة الكلمة في حياة العرب أعظم وأشد منها في الأمم الأخرى: ذلك أن القول والتفكير والعمل متلازمة في الحياة العربية الواعية، فقول العربي تفكيره، وتفكيره بدء لعمله، ولذلك اعتبره زهير الشاعر الجاهلي أحد شطري الإنسان، إذ قال: (لسان الفتى نصف ونصف فؤاده).

وحركية اللغة العربية وقوتها ظاهرتان لا يخلو من أن يلتفت إليهما الباحثون في علم اللغات الحديث، كما التفت إليهما شعراء العرب وكتابهم قبل ذلك بقرون.

ولم يبالغ أبو تمام في تقديره لدور الشعر العربي في خدمة المجتمع حين قال:

ولولا خلال سنها الشعر ما درى

بناه العلام من أين تأتي المكارم

- تلك بعض سمات اللغة العربية:

- إعلاء من شأن الذهن.

- وتأکید لقوة العقل.

- وصدارة للمعنى.

- ودعوة إلى الحركة.

- واتجاه إلى الفعل.

- وعزة العروبة في المحافظة على الميزات التي تميزت بها لغة العرب:

- إنها لغة ذات فلسفة متميزة.

- تربط القول بالفعل.

- وتوحد بين الفكر والعمل^{١٥٠}.

يجب على العرب والمسلمين أن يستفيدوا من هذا التشریح الفلسفي المقارن للغة العربية مع بقية اللغات وخاصة اللغات الغربية: كالإنكليزية والفرنسية والإيطالية.. في تعاملها معهم على المستوى الفردي والاجتماعي والدولي وخاصة خلال إبرام المعاهدات والاتفاقيات وإقامة المؤتمرات الصحفية والتصريحات السياسية، بأن ألفاظهم وكلامهم وشعاراتهم لا تعبر عن أفكارهم وذاتهم الداخلية ومصالحهم ولا تعبر عن أفعالهم الحالية والمستقبلية وإنما هي مجرد ألفاظ وصف كلام وشعارات كاذبة وخادعة يتشدقون بها أمام الملأ

١٥٠ - الثقافة، دمشق، ذو الحجة ١٤٢٥هـ/ شباط ٢٠٠٥م، الخصائص الفلسطينية للغة، د. عثمان أمين، ص ٦ - ١٠.

لتمير مصالحهم وتغطية سرقاتهم وتحميل خيانتهم وتبرير وحشيتهم ورجعيتهم في حصار وإبادة المدنيين وقتل الأطفال والنساء وحرق المكتبات ونهب الآثار والتحف وتخريب عملاء مثقفين من أوكارهم ومراكز البحوث الغربية والمخابرات الروسية ليكونوا كحمير يركبونها لتسهيل مهمتهم في التدمير والتخريب على مستوى الفكر والثقافة واللغة والبيئة والعمارة المادي والمعنوي.

والتاريخ الحديث يؤكد ذلك، فبينما كان الفرنسيون والإنكليز يخضعون ويدعمون العرب على القيام بالثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين كانوا يضعون مؤامرة اتفاقية المرحومين سايكس وبيكو فيما كان الفرنسيون والأمريكان والإنكليز والإيطاليون.. يحاصرون العراق لأكثر من عشر سنوات بحجة منع صنع المدفع العملاق وأسلحة الدمار الشامل.. كان الأطفال يموتون لدرجة وصل عدد القتلى من الأطفال مليون ونصف طفل.. بل والأوحش من ذلك تقديم وزارة الصحة الفرنسية مساعدات غذائية للعراق خلال فترة الحصار ووفيهها دم ملوث بالإيدز.

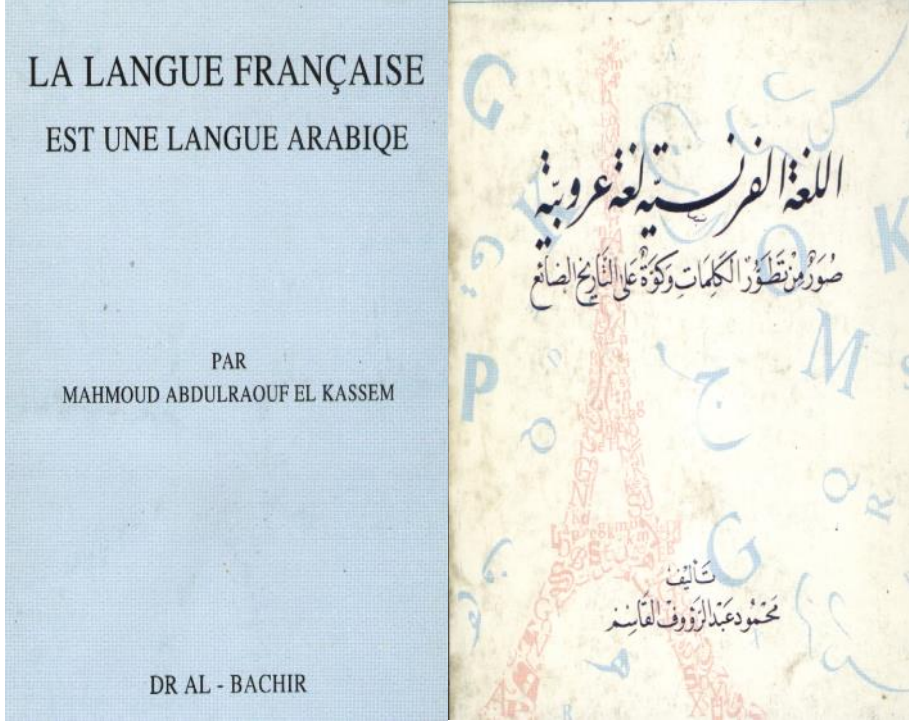
فيا لها ويا سلام من إنسانية على هذه المشاعر!؟!

- استخراب البلدان وشن العدوان، يطلقون عليه الحفاظ على المن القومي الأمريكي.
- القتلى بمئات الألوف، يطلقون عليه منع أسلحة الدمار الشامل.
- مخططات وخرائط وصور لمنشآت، تعرض في المؤتمرات الصحفية وهي كاذبة ومسروقة كما فعل بلير قبل العدوان على العراق يطلقون عليه الإعمار.
- التدمير والتخريب والإبادة وقلع الأشجار وتدمير المنازل واغتيال المدنيين.. التعجيل في السلام.
- القتل وانتهاك حقوق الإنسان وسرقة أعضاء البشرية من الجرحى والشهداء، يطلقون عليه مقاومة (الإرهاب).

- حرق الكتب والمكتبات ونهب الآثار، يطلقون عليه الإعمار.
 - سرقة النفط ونهب الغاز الطبيعي كالتطفيات.. يطلقون عليه فائض مادي للإعمار.
 - دعم المجرمين والصهانية والإرهابيين والإسرائيليين، يطلقون عليه السلام.
- ومن هنا تؤكد أن الحضارة الغربية والأمريكية المريضة وما تفعله بالبلدان العربية والإسلامية كالعراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان.. يحتم علينا بناء مراكز بحث تقوم بإجراء الدراسات العلمية واللغوية والفلسفية والسياسية والاجتماعية لبلادنا وبلادهم وتعددهم لكي نستطيع أن نتعامل معهم بقوة وعزم وعدل وأن لا تكون بمستوى الضعف ولكن نصيغ مشروعاً حضارياً تنتشر فيه الرحمة للعالمين فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف.

اللغة الفرنسية.. لغة عربية

اللغة الفرنسية لغة عربية، تأليف: محمود عبد الرؤوف القاسم، كتاب من القطع الكبير ١٧ - ٢٤، عدد صفحاته ١٦٤ من إصدارات دار البشير للنشر، عمان-الإردن، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، وسوف نعرض أهم أفكاره.



ص (٥): إن اللغة العربية أم للغات أو لهجات، كانت في الأصل لغة واحدة (أو لهجة واحدة) ثم تفرغت بسبب تعدد القبائل والشعوب أو تباعدها عن بعضها جغرافياً وزمانياً. وقد اصطلح بعضهم على تسمية مجموعة هذه اللغات الأبناء (اللغات العربية) ^{١٥١}، ومنها: السريانية (ومنها الآشورية والكلدانية)، الثمودية، الأكديّة، المندائية، الأوسانية، السبئية، الحميرية، المهريّة. كان عندما تتعدّد قبيلة عن أخواتها بسبب ما، يحصل مع الزمن وتعاقب الأجيال بعض التغيرات في ألفاظ بعض الكلمات أو في معانيها، وكلما طال الزمن وتعاقت الأجيال كلما ازدادت التغيرات في الألفاظ والمعاني عدداً وعمقاً.

إن وجود التغيرات في الألفاظ أربعة هي:

- ١- قيام حروفٍ بعضها مقام بعض.
- ٢- حذف حرف أو أكثر من الكلمة.
- ٣- إضافة حرف أو أكثر إلى الكلمة.

١٥١- يطلق عليها الغربيون اسم (السامية) وهو اسم له أساس علمي أو تاريخي.

٤- تعيّر موقع حرف أو أكثر في الكلمة.

ص ١١: وفي العربية حروف لا وجود لها في الفرنسية هي: ح، ط، ع، ص، ق، ث، خ، ذ، ض، ظ، غ، والهمزة في وسط الكلمة أو آخرها.

هذه الحروف يجب (وجوباً) أن تتبدل أو تحذف في انتقال الكلمة من العربية إلى الفرنسية، عبر اللاتينية أو عبر غيرها.

ص ١٦: وفي اللغة السنسكريتية (من لغات الهند) كلمة (بيتاك) = كتاب:

ونرى أنها مقلوب كلمة (كتاب) كما هي كلمة (بطاقة) ذاتها.

إنه بديهي ولازم أن يحصل مثل هذا التبدل في الحروف أو في مواضعها من الكلمة في كل اللغات عندما يتناول عليها الزمان أو يتبدل المكان.

واللاتينية والفرنسية بعدها، ليستا بدعاً في اللغات، فمن البديهي ومن اللازم أن يحصل فيهما مثل ما حصل في غيرهما.

ولزيادة الوضوح في هذا الموضوع، وزيادة المقدرة على التعامل معه معالجة وتحليلاً، أورد أسماء مشهورة تظهر صوراً من تغير اللفظ حين تنتقل الكلمة من العربية إلى الفرنسية: حواء ← eve: الحاء (يجب أن تتحول أو تحذف) تحولت إلى ما يشبه الهمزة وتحولت الواو المشددة إلى ve، وحذف الألف والهمزة.

Palmyre = تدمر - Tigre = دجلة -

Damas = دمشق - Noe = نوح -

Jesus = عيسى - jean = يجي -

Mos = مسجد - AL Hazen = الهيثم (ابن) -

Palestine = فلسطين - Amiral = أمير البحر -

Maravedis = مرابطي - Saladin = صلاح الدين -

I algerie = الجزائر - avempace = ابن باجة -

baldaquin = بغداداي - irh.iben al sa = ابن الصائغ -

- مناقشات واستنتاجات ص ١٣٩: أثناء دراسة الكلمات السابقة وتحليلها، برزت ملاحظات أهمها:

أولاً- من عروبية اللغة اللاتينية: نستنتج أن اللاتين هم شعبٌ أو شعوب عربية نزحت من منطقةٍ أو مناطق عربية، ولنا الحق أن نعتقد أنهم جزء من العرب سموهم العرب البائدة).

ثانياً- اللغة اللاتينية (ومعها ابنتها الفرنسية): ليست منحدرَةً من لهجة عربية واحدة، وإنما من عدة لهجات، هي:

- لهجة أداة التعريف فيها هي (ال) كعربية قریش.

- لهجة أداة التعريف فيها هي (ام) ولها وجود الآن في عسير.
- لهجة تستعمل التنوين للتعريف والتمييز للتذكير: **كاللهجة الأوسانية** التي كانت عاصمة دولتها في ذلك الوقت في اليمن (جنوب الطائف) كما يظن الباحثون.
- وكاللهجة السبئية** التي يرى بعض الباحثين أنها انتقلت من جنوب الشام إلى اليمن حوالي أواسط الألف الثاني قبل الميلاد، أي أنها كانت قبل ذلك إلى الشمال من مدينة الطائف.
- كلماتٌ لاتينية كثيرة، وأقل منها في الفرنسية، تنتهي بمد الألف، وعندني ظنٌ أن بعضها كان في الأصل أداة تعريف، وهذا يعني أن في **الأصول اللاتينية** لهجة أداة التعريف فيها هي مد الألف في آخر الكلمة: **كالسريانية** التي كانت موجودة في الشام (شمال الحجاز) أو لهجة أخرى تشبهها في أداة التعريف.
- لهجة أداة التعريف فيها هي (ها) وهي الثمودية والمصرية الفرعونية (الجزء الشمالي الغربي من الحجاز).
- لهجة أداة التعريف فيها هي (ا د) وهي المندائية، وفي الفرنسية كلمات كثيرة مبدوءة بـ (ad) لكن تعذر علي تمييزها، هل هي (ا د) أداة التعريف المندائية؟ أم هي (ad) البادئة اللاتينية؟
- إن أدوات التعريف هي الأعلام التي يمكن أن تماز بها اللهجات، كما يمكن أن تكون هي العناوين التي تسمى بها اللهجات، فيقال: لهجة (ا ل) ولهجة (ا م) ولهجة (ا د)..
- **اللاتين (latium):** ص (١٤١-١٤٢-١٤٤-١٤٥-١٤٦-١٤٨) هو اسم سكان لاتيوم (latium) إقليم وسط إيطاليا من جهة البحر التيراني، مدينته الأولى هي روما.
- المعجم الفرنسي** Iaruosse يعرف اللاتين القدماء بأنهم فرع من الشعوب الهندية الأوروبية الذين غزوا إيطاليا في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد حيث شكلوا دول مدن تجمعت في اتحادات كان الرئيسي فيها هو **التجمع اللاتيني** (القرن الخامس قبل الميلاد) الذي خضع أولاً **لسيطرة الأترويين**: (كانوا يسكنون إقليم توسكانا الواقع شمال لاتيوم)، ومنذ سنة ٣٣٥ ق.م سيطرت روما على الإقليم كله..
- لكن، من أين جاء الاسم (لاتين)؟ هل هو نسبة إلى (لاتيوم)؟ أم أن (لاتيوم) سمي بسبب اللاتين الذين سكنوه؟ إن **عروبة اللغة اللاتينية** تفرض قبول عروبة اللاتينيين.
- وبناء على هذا، إذا أردنا معرفة أصل الاسم (لاتين، أو لاتيوم) فعلى الرجوع إلى اللغة العربية والتاريخ العربي.

لنرجع إلى اللغة العربية وتاريخها لنرى بوضوح واضح، أن كلمة اللاتين هي:

من (اللات) الإلهة الأنثى التي كان يعبدها العرب قبل الإسلام، والنسبة لها هي (لاقي) للمفرد، وجمعها (لاتيون) أو (لاتيين) تطورت اللفظية جداً لتغدو (latin) أو (latium).

لتفسير هذه الظاهرة، نضع أمامنا الحقائق التي استنتجت في الدراسة الآتية:

١- عروبة اللغة اللاتينية تدل على عروبة اللاتين وهذا يدل على أنهم نزحوا من بلاد العرب في زمن قديم، وليكن كما قرروا في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، أو قبل ذلك بقليل أو أكثر من القليل.

٢- رأينا أن اللغة اللاتينية منحدره من عدة لهجات عربية، وهذا يدل على أن الذين نزحوا ما كانوا قبيلة واحدة، وإنما قبائل مختلفة كانت تسكن أقاليم مختلفة أو منطقة واسعة تتسع لعدة قبائل.

٣- الاسم (لاتين) الذي ليس له في اللغة العربية إلا معنى هو النسبة لللات.

هذه الظواهر اللغوية يفسر بعضها بعضاً، بل هي مرتبطة ببعضها ارتباطاً عضوياً:

أ- فالقبائل، أو الشعوب اللاتينية التي نزحت كانت وثنية تعبد إلهة رئيسة أنثى هي (اللات)، ومن الوكيد، حسب طبيعة الوثنيات، أنه كان مع هذه الإلهة الرئيسة آلهة أخرى هم شركاؤها وأتباعها أو شريكاتها وتابعاتها.

والقرآن الكريم يخبرنا عن شريكتين لها هما (العزى ومناة) كما رأينا أن اسم (عشتر astre) وارد في لغتهم مما يدل على أنها كان لها شأن بين معبوداتهم.

ب- أطلق على هذه الشعوب اسم (اتيين) نسبة إلى اللات كما يطلق اسم (مسيحيين) نسبة إلى المسيح واسم (بوذيين) نسبة إلى بوذا.

والملاحظ أن اللات في العصور الجاهلية المعروفة، وهي الأخيرة، كانت أشهر آلهة الجزيرة العربية، وهذا بدهياً لم ينحدر من فراغ، ويؤكد على صحة الفرضية، أي على صحة أن اللات كانت الإلهة الرئيسة في زمن سابق، وفي عهد ما، لعله من القرون الأولى من النصف الأول من الألف الثاني قبل الميلاد، ولسبب ما، نزح اللاتيون من مواطنهم..

وتقتضي العقلية الوثنية وطبيعة الوثنيات أن يأخذوا معهم إلههم الرئيس الذي هو هنا أنثى، هي اللات، هذا إن لم يمنعهم مانع، كما يأخذون معهم ما يستطيعون من بقية الآلهة التي كان أبرزها من الإناث.

ثم وصلوا إلى إقليم في وسط لإيطاليا أطلقوا عليه اسم (لا توم) نسبة إلى اللات.

ولكن ما هي العوامل التي مكنت لهم السيطرة على هذا الإقليم بالذات؟

ومن اللازم أن يكون قد توفر كل ما يلزم منها، ويمكن أن يكون أحدها أنهم وفدوا إليه من جهة الغرب عن طريق البحر؟

وهو احتمال وارد، وإذا كان صحيحاً فاحتمال آخر يمكن أن يرتبط به، هو أن مسيرتهم كانت، في الشمال الإفريقي، حتى وصلوا إلى المغرب، ومن هناك اجتازوا مضيق جبل طارق الذي كان - كما يقولون - أضيق مما هو عليه الآن، إلى الأندلس، ومن هناك، أو من جنوب فرنسا، ركبوا البحر حتى شواطئ لاتيوم، لأن جبال الألب في تلك العصور كان بالغة الصعوبة.

من المعقول أن تكون اللات قد وصلت معهم سالمة، لأنهم، حسب ما تقتضيه غريزة التدين كانوا يتفانون في الدفاع عنها ويحوظونها بكل ما يستطيعون من رعاية، ومن البديهي أن يعملوا قبل كل شيء على بناء بيت لها يليق بمقامها، ومن التقاليد التي لا خروج عنها إلا ظروف لا حيلة فيها، أن مساكن علية القوم كانت دائماً بالقرب من بيت الإله الأكبر الذي كان هو المعبد الأكبر الذي كان هو المعبد الأكبر والأقدس، وكانت تشاركه المقام فيه بعض الآلهة الأخرى.

هنا تظهر أمامنا ظاهرة جديدة وثيقة الارتباط بالأطروحة هي جبل (بلاطي palatin) وهذا الاسم هو، حسب ما يفهم منه، نسبة إلى (بلات) أو (بالات).

جبل بلاطي هذا هو أحد التلال السبعة التي كانت روما القديمة قائمة عليها.

وتقول الروايات المتوارثة إن أوائل السكان هم الذين عمروه، وكان في عهده الأولى هو الحي الأرستقراطي في روما، ثم كان مقر القياصرة في العهود الإمبراطورية.

الاسم (بلاطي palatin) منسوب، كما يظهر، إلى (بلات) المركبة من البادئة (ب) أو (با) ومن (لات) أو (اللات).

وعروبة اللغة اللاتينية المخلوطة اللهجات توجب علينا أن نبحث عن معنى هذا التركيب في اللهجات العربية، نجد في أسماء العائلات في اليمن ما يشبهها، مثل: (بافقيه، باكثير، باعلوي..)، والتي تعني، كما هو ظاهر (ابن الفقيه، ابن كثير، ابن العلوي) حسب لهجتهم.

كما نجد ما يشبهها أيضاً في أسماء قرى لبنان، مثل: (بحمدون، بكركي، بعبدا، برمانا، بكفيا..) والتي تعني، كما هو ظاهر (بيت حمدون، بيت بكركي، بيت عبدا..).

بما أن (palatin) هو اسم مكان لذلك يقاس على أسماء الأمكنة في هذه الأمثلة، وعليه يكون، أو يمكن أن يكون معنى (بلات) هو (بيت اللات). وأنا انطلاقاً من عروبة الكلمة لا أرى لها إلا هذا التفسير.

إن هذا يجعلنا نقبل أن اللات وصلت معهم سالمة إلى ذلك الاقليم، وأنهم بنوا لها بيتاً فوق ذلك التل سموه (بلات) أو (بالات)، أي (بيت اللات)، ثم جعلوا اسم التل منسوباً إلى هذا البيت فصار (بلاتي palatin). وهذا يجعلنا نظن أن كبير كهنة اللات في ذلك الظرف كان من أهل اللهجة التي أعطت لـ (يحمدون وبكركي وبعبدا وبرمانا..). أسماءها، وقد يكون معه كهنة آخرون من أهل لهجته. وحسب التقاليد الوثنية، بنى عليه القوم وزعماءهم مساكنهم حول المعبد الأكبر وبقربه، فكان الحي الأرستقراطي في روما.

وهذا يدعم قولنا عن اللات إنها كانت موجودة هناك وفي جبل بلاتي.

ولا بد أنهم (اللاتيين) أطلقوا على كثير من الأماكن التي استقروا فيها أسماء قبائلهم أو الأماكن العربية التي كانوا ينتمون إليها، أو أسماء عربية أخرى اختاروها لسبب ما، وطبعاً، لا بد أن يكون كثير من هذه الأسماء قد بدل أو حرف مع تقادم الزمن وتغير الثقافات، ومع ذلك فقد يكون بعضها بقي بلفظه الأصيل، أو قريباً من لفظه الأصيل حتى الآن:

- لاتين، لاتيوم، بلاتي: حيث تصلح كلها أن تكون نسبة للات.

- روما حيث نرى في منطقة السع الشداد:

رم، بئر بمكة قديمة، رم، ماء بالحجار، رومة، قرية بطيرية، رامة، بالعقيق (بالمدينة أو بالطائف أو بتهامة)، ريمة، واد بالمدينة (عن القاموس المحيط)، ورومة، بالمدينة وهي منزل قريش في غزوة الخندق (سيرة ابن هشام). وهناك أيضاً، مما لم يمر في البحث:

نهر (التبر) باللاتينية (Tiberi) الذي يمر في روما ويصب في البحر التيراني، ويوجد أكثر من نهر أو واد يحمل اسم (وادي الذهب)، وهو نفس معنى التبر، فهل سمي نهر التبر، أو (التبري) بهذا الاسم إحياء لنهر في بلاد العرب؟.

وإذا كان موجوداً في منطقة اللاتيوم عدد كاف من الأماكن (قرى، سهول جبال، أنهار، وديان) تحمل أسماء مماثلة، تكون حينئذ دليلاً قوياً، إن لم يكن قاطعاً على صحة الأطروحة.

- الفرنسيونص (١٥٥ - ١٥٦):

لم ينحدر من اللاتينية، وعددداً آخر يوجد في قبول لاتينية بوضوح لا يترك مكاناً للشك إن مئات الكلمات في اللغة الفرنسية هي عربية بألفاظها ومعانيها.

فكيف يتم تحليل هذا التأثير اللغوي فيها؟

إن قسماً من الشعوب والقبائل التي سكنت فرنسا من غير الرومان، والتي شاركت في تكوين اللغة الفرنسية، كانت ذات أصول عربية، وفي مقدمتها قبائل الفرنك، التي يلاحظ أن مفردات لغتها التي مرت معنا هي عربية واضحة العروبة، فهل هذا من الصدفة الغريبة؟ أم أن الفرنكيين ذوو أصول عربية؟

ونهر السين (seine) نهر منطقة هذه القبائل الفرنكية؟

هل توجد علاقة منسية بين اسمه وبين (سين) إله القمر عند عرب الشمال

(العراق وسورية) وفي حضرموت؟ أم هو مجرد صدفة غريبة؟

ومن القبائل الغالية التي هي من جذور الفرنسيين، قبائل الألبروج (allobroges): حيث نرى أن هذا الاسم يحمل علماً يدل على عروبه هو أداة التعريف العربية الحجازية (ال) المدمجة في أوله!

فما هي قصتهم؟ وكيف كان يلفظ اسمهم قبل هجرتهم؟ ومتى كانت هذه الهجرة؟ وكذلك نهرهم، نهر قبائل الألبروج، نهر الايزير (isere)!

هل توجد علاقة منسية بين اسمه وبين الإله القبطي (أوزير) أو (عزير) العربي؟

يظهر أن ذاكرة المجتمعات العربية قبل الإسلام لم تستطع الاحتفاظ بأسماء جميع شعوب العرب البائدة.

فهل كان في تلك الشعوب قبيلة كبيرة اسمها (فرانق) أو بني (فرانق) هاجرت إلى الغرب لتشكّل قبائل الفرنك (francs)؟

وهل كانت هناك قبيلة أو قبائل كانت تسمى (الأبروج) أو (الأبارج) أو شيئاً مما يدور حول هذا اللفظ؟

وكذلك قبائل الغال، أو الغول (gaules) الذين أعطوا اسمهم إلى بلاد الغال، (أو الغول) هل توجد علاقة منسية بينهم وبين عائلة الغول الموجود حتى الآن، وإلى ما شاء الله في الجزيرة العربية، والتي لا أستبعد أن تكون بقية من قبيلة كبيرة جداً كانت في ماضٍ منسي لها وجود واسع في منطقة ما في جزيرة العرب؟

الكلمة العربية	الكلمة العربية	الكلمة العروبية	الكلمة العروبية
		(الفرنسية)	(الفرنسية)
سكة (المحراث)	راش، أريش	Soc	riche
غارة (حرب)	خرط، قرض	Guerre	gratter
بسّ	صقر	pousser	sacre
سفر	فراس (مفترس)	Safari	feroce
فني (انتهى)	كعك	finir	cake
أرث	كبس (حدب-بعج)	irriter	cabasser
شرط	صفر (رقم)	Charte	chiffre
أصر	أسطورة (تاريخ)	Assurer	histoire
فسيلة	عصر	Bacille	essorer
طلسم	كهف	Talisman	cave

couple	قبة	paradis	فردوس
chat	قط	zero	صفر
mousson	موسم (ريح موسمية)	kanglar	خنجر
goudron	قطران	jupe	جِبَّة
sirop	شراب	acheter	اشترى
expert	الخبير	Estivier	اصطاف
fourneau	فرن	Goule	غول
negociier	ناقش (فارض)	Coupe	كوب
cesser	قصّ (قطع)	coupler	كبل
riquiqui	رقيق، ركيك	Azimuth	السمت
aman	أمان	baraquer	برك
iogus	لغة	Bouquet	باقة
coton	قطن	elixir	الإكسير
malade	مريض	Miroir	مرآة
malin	ملعون (خبث)	Noble	نبيل
solide	صلد	radin	ردِيّ (شحيح)
soupe	صبّ (ماء صب)	Sourer	سُرّ (ابتسم)
gourer	غرّ (خدع)	Gens	جنس (ناس)
gamme	مقام (موسيقى)	Chandelle	قنديل
felouque	فلك	Magasin	مخزن

هذه الكلمات السابقة كلمات عربيتها واضحة، وفي الفرنسية غيرها كثير

وفي مايلي كلمات فيها بعض التعقيد أو كثيرة، وتحتاج إلى تحليل بسيط أو معقد: mari في العربية (مرء) ويظهر أن النساء في اللهجة العربية، أو العروبية، التي انزلت منها اللاتينية، كن يستعملن (مرئي) بمعنى (زوجي) كما يستعملن الآن (رجلي) أو (زلمتي) بنفس المعنى، ومع التطور اللاحق، اندمجت ياء المتكلم في الكلمة وصارتا في اللهجة الجديدة كلمة واحدة تحتاج، عند اللزوم، إلى ضمير إضافة جديد (متكلم أو مخاطب أو غائب) وطبعاً، حذفت الهمزة لأنها في وسط الكلمة. (في أوسانية والسبئية.. مرء = سيد).

وفي المعجم الفرنسي (larousse) أن الكلمة منحدره من (maritu) اللاتينية، التي فيها تاء مزداة، والتي لا أشك أنها في الأصل تاء التانيث التي تأصلت في الكلمة كجزء منها، وفي انزلاقها على اللاتينية، تحولت من الدلالة على الزوج الأنثى إلى الدلالة على الزوج الرجل.

على أني أرى أن كلمة (mari) انزلت إلى الفرنسية دون مرور باللاتينية. larouder: فعل منشأ من مزج كلمتين عربيتين (لا) النافية و(بور) أي الأرض غير المزروعة = (لابور) ومنها أنشئ الفعل اللاتيني ثم الفرنسي، وهذا التركيب شيء طبيعي في اللاتينية طراً عليها عندما تحولت من لغة صرفية (تحليلية) إلى لغة

تركيبية، مع العلم أن مثل هذا المزج والإنشاء له وجود في اللغة العربية، كفعل (لا شيء) المنشأ من قولهم (لا شيء)..

Observer: لنكتب هذا الفعل بحروف عربية، فيكون (أبصر) لنحذف الحرف (ف) المقحم عليه، يبقى (أبصر) وهو معنى الكلمة بعد انتقالها من تعميم الإبصار إلى تخصيص المراقبة أو الملاحظة.

Aval: حسب المعجم الفرنسي، هي الكلمة العربية (كفالة) حذفت منها الكاف وثبت معناها.

Lier: باللاتينية: ligare = لاقى (جعلهما يلتقيان) ومعنى الكلمة اللاتينية هو نفسه في العربية وحصل التطور في معنى الكلمة في الفرنسية (ربط..).

Ligue: مشتقة من الفعل اللاتيني ligare نفسه، وهي الكلمة العربية (لقاء) نفسها، وفي العصر الحديث أخذت في الفرنسية معنى (عصبة) أو (رابطة).

Boir: في العربية كلمة (بئر) والواشجة العائلية بينة بين الكلمتين من حيث المبنى ومن حيث المعنى، ويوجد احتمالان، إما أن يكون الفعل (boir) منحوتاً من الكلمة العربية؟ أو تكون كلمة (بئر) هي فرداً من عائلة فعل أهمل فنسي ونسي أفراد عائلته وبقيت كلمة (بئر) شاهداً على وجود العائلة في الماضي.

(علماء اللغة يقولون إن (بئر) مشتقة من فعل (بأر) أي (حفر).

Cidre: من الإغريقية (sikera) = شراب مسكر، انتقل معناها من التعميم في الإغريقية إلى التخصص في الفرنسية لعني (خمر التفاح).

ويلاحظ أن (sikera) هي نفس (سكّر) العربية!

فالكلمة الإغريقية عربية الأصل أيضاً؟

Barde: (بردعة) حذف منها (عة) وهي منزلة (كما يقولون) إلى الفرنسية من الأسبانية التي أخذتها من العربية.

Amer: (مر) وهي على الصحيح منزلة من (المر) أي المعرفة بأل.

Zephir: معناها (النسيم العليل) وهي كلمة (زفير) العربية نفسها وقد انعكس معناها (لننتبه إلى انعكاس المعنى).

Noria: ناعورة، مع تغير في اللفظ قليل، وقد انزلت إلى الفرنسية عن طريق الأسبانية.

Allumer: باللاتينية (Iuminare) (الراء الحيرة مصدرية) يبقى (Iumina) التي هي (منارة) أبدلت راؤها بلام انتقلت إلى أول الكلمة ثم أنشئ منها الفعل، والملاحظ أن الفرق في اللفظ بين الكلمتين اللاتينية وفرعها الفرنسي هو أكبر من الفرق في اللفظ بين الكلمة اللاتينية وأصلها العربي.

كما يمكن أن تكون (Iumina) هي (المع) (متعدي مع) أبدلت (وجوبا) عينها بمد، واحتفظت بلفظها ومعناها وهذا يعني أنها انزلت إلى الفرنسية دون مرور باللاتينية.

Aouk: سوق، لفظاً ومعنى.

Henne: حناء، لفظاً ومعنى.

Europe: غرب، غروب.

Furie: غضبة، هيجان، أي هي كلمة (فورة) نفسها لفظاً ومعنى.

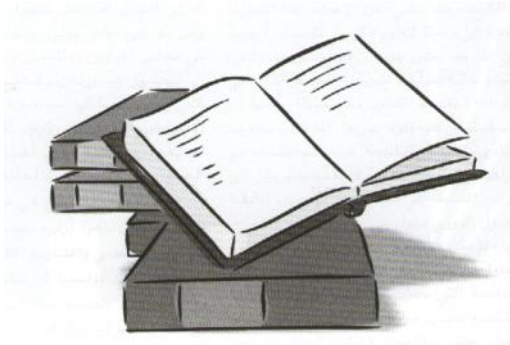
Zone: باللاتينية: Zona = زنار، لفظاً (بعد حذف الراء) ومعنى وفي انتقالها إلى الفرنسية بقي لفظها دون تغير، وأخذت معاني كلمة (منطقة) التي تعني في الأصل (زنار) ثم توسع معناها.

Ressac = (رشق) انتقل معناها إلى (ارتداد الأمواج الشديد عندما تصطدم بحاجز) ونعلم أن الأمواج الشديدة عندما تصطدم بحاجز ما، ترتد على نفسها مع رشق قوي للمياه قد يصل رذاذه إلى أمتار، أي أن المعنى الجديد لم يخرج عن صورة الرشق.

والكلمة انتقلت إلى الفرنسية من طريق الأسبانية.

Subir: صَبَرَ، من الكلمة العربية (صبر).

Sobre: معناها حسب المعجم (قنوع، زاهد فيما يخص الطعام والشراب) وواضح أنها لا تخرج عن معنى جذرها العربي (صابر).



لا وجود للغة (عبرية) في التاريخ

ولغة التوراة هي مزيج من اللغات الكنعانية والآرامية

خبرتك في تاريخ لغات الشرق، برأيك هل توجد لغة عبرية قديمة؟

وهل الصهاينة اليوم هم أحفاد من عاش في الأرض العربية في العصور القديمة؟

أصبح معروفاً في الأوساط العلمية والأكاديمية المهمة بدراسات وطننا العربي القديم، التاريخية منها واللغوية والآثارية والسلافية (علم السلالات والأنساب) (ge-nealogy) وغيرها محاولة المدرسة الصهيونية التوراتية وأنصارها تحريف اسم (خبرو - خبيرو) في بعض حروف، ليتألف مع الأسم (عبرانيين) التوراتي، وليزعموا لاحقاً أن (العبرية) هي لغة هؤلاء، مخالفين نصوص التوراة ذاتها، التي أشارت إلى (عبرانيين) بشكل غامض ومضطرب، ولكنها لم تذكر مطلقاً اسم (لغة عبرية) وتسهيلاً للموضوع، نبدأ بمشكلة (العبرانيين)، كما جاء ذكرهم في الأسفار التوراتية وعلاقتهم بأقوام ورد ذكرهم في النصوص القديمة - عينا بهم (خبرو خبيرو) - وذلك في الوثائق الهلال الخطيب، إضافة لما نجده في مراسلات (تل العمارنة).

تنسب أسفار التوراة اسم (عبرانيين) إلى (عابر) أحد أجداد إبراهيم، وعابر هو ابن شالخ بن أرفكشاد بن سام، وهو الجد السابع لإبراهيم.

وقد زعم أن اسم (عبرانيين) أطلق على من جاء مع إبراهيم بعد أن عبر هؤلاء (نهر الفرات) إلى فلسطين بينما قال آخرون (نهر الأردن)، وعلى كل ما نجده في أسفار التوراة بمعنى (عبر) ليس سوى لهجة كنعانية/آرامية.

وهذه التسميات (عبر، عابر، عبري)، مناطق عبر البحر أو النهر، وكذلك فعل عبر انتقل إلى الطرف الآخر.. الخ، لا علاقة لهذه المفردات التوراتية، لامن قريب ولا من بعيد باسم (خبرو أو خبيرو) الذي نجده في الوثائق المسمارية المحلية القديمة في الهلال الخصيب وتل العمارنة..

ظن بعضهم أن لغبرانيين التوراة صلة بالخبرو/ الخبيرو، ولكن مختلف الدراسات المقارنة للوثائق المسمارية ذات الصلة بالموضوع، والمكتشفة في بلاد الرافدين والشام ومصر (تل العمارنة)، فقد دحضت هذا الزعم.

ظهر اسم جماعات خبرو/خبيرو، لأول مرة في عام ١٨٩٠، بعد فك رموز محفوظات (رسائل تل العمارنة) حاضرة الملك المصري المصلح (أخناتون) جنوبي القاهرة..

ومنذ ذلك التاريخ، ما زالت الأبحاث والدراسات تعالج (الإشكالية) تحت اسمها الأكادي (خبيرو) وباسمها السومري (Iu-sa-gsz) وفي عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥ جمعت نتائج جميع الدراسات في بحثين جامعيين:

الأول بالفرنسية لجان بوترو، والثاني بالإنكليزية لغرينبرغ، تتالت الدراسات فيما بعد، ومن أهمها كتاب (اوزفالد لورتس) بالألمانية، الذي صدر في عام ١٩٨٤ وحوى عرضاً اجتماعياً تاريخياً وثابتاً بجميع الدراسات

السابقة، ويضاف طبعاً إلى جميع ما تقدم، ما نجده عن (الإشكالية) في معاجم الإعلام واللغة الأكاديمية، وقد وجدت إشارات إلى (الخبيرو) في عدد من الوثائق المسمارية، منذ أواخر الألف الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وفي وثائق (سلالة أور الثالث) وفي ماري وتل العمارنة، وما زال حتى يومنا الحلاف قائم حول معنى اسم (خبيرو)، وقد وُجدت في النصوص الأكادية صيغة (إبيار/ خبيار) وتعني الهارب، وهي تقابل (Iu-sa-gsz) بالسومرية و(خبيرو) بالأكادية، التي تعني: (رجل غزو، غزو، سلاب نهاب). وتتضمن مختلف هذه التسميات معاني قذفية.

ولا يأتي الاسم عادة للدلالة على شخص معين بمفرده، بل يشير عادة إلى مجموعة من الناس أو عصابة أو ما شابه ذلك، ولم تحدد النصوص وطناً أو أرضاً أو بلداً باسم (بلاد الخبيرو) وبتعبير آخر لم يشكل هؤلاء كياناً جغرافياً سياسياً بل يظهرون دائماً في حالة تنقل دائم، يشاركون في أعمال عسكرية، كجنود مرتزقة أو لحسابهم الخاص، وظلت صورتهم على مر الأيام كجماعات جواله مرتزقة في الهلال الخصيب.

ومن هنا فصيغة (خبيرو) لا تدل على نسب عرقي أو قبلي أو مدلول سياسي، بل تعني دائماً وأبداً: حالة/ حياة اجتماعية ترتبط بالبدوة والغزو، وما يهمننا هنا، ماورد في الوثائق القديمة من إشارات على هؤلاء الخبيرو وعلاقتهم بمدينة القدس، ونعني بذلك خاصة مراسلات (تل العمارنة)، التي تمت بين ملوك وأمراء، وملوك بلاد كنعان وفراعنة مصر: أمنحوتب الثالث (١٤٠٢ - ١٣٤٦) قبل الميلاد، وأمنحوتب الرابع (١٣٦٤ - ١٣٤٧) قبل الميلاد، وهي عبارة عن رقم بالقلم المسماري، وإضافة إلى أمراء بلاد كنعان، ورد بعضها من بلاطات الممالك البابلية والآشورية والحثية والميتانية، وبعضها أيضاً من حكام (ألاشيا - قبرص)، ونجد مثلاً في الرسالة (٢٨٧) شكوى ملك القدس (عبده خيبا) للفرعون (أمنحوتب الرابع) بأن حكام جزر عسقلان وليكش يقدمون دعماً لمجموعات (الخبيرو) الذين كانوا على عداء مع كل حكام مصر، والذين دخلوا بشكل مباشر في الصراع بين دويلات المدن، الفلسطينية وعلاقتها مع النظام المصري، ويكرر ملك القدس في خمس رسائل أخرى متتالية طلب النجدة من الفرعون ليصد خطر(الخبيرو).

وهكذا فجميع ما ذكرناه لا يدل على علاقة بين (عبرانيين/ عبروا النهر) من ناحية و(الخبيرو/ المرتزقة) الذين تذكرهم وثائق قديمة لمدن ومواقع بعيدة كل البعد عن عبرانيين التوراة، مثل ماري ونوزي وآلاخ وأوغاريت.. كما أننا لا نجد أي أثر للعبرانيين في وثائقنا القديمة، فكذلك الأمر بالنسبة للغة (عبرية)، التي لا نقع على أي ذكر لها في وثائقنا القديمة ولا حتى في أسفار التوراة، التي أشارت بشكل غامض ومبهم للعبرانيين، كما قلنا سالفاً، عندما تشير أسفار التوراة إلى لغة (الإسرائيليين القدماء) فإنها لا تأتي على ذكر (عبرية) بل (كنعانية) أو (يهودية) نسبة إلى (سبط يهوذا).

جاء في سفر أشعيا الإصحاح ١٩ الفقرة ١٨:

(وفي ذلك اليوم يكون في مصر خمس مدن تتكلم بشفة كنعان).

وبالنسبة للغة اليهودية: سفر التكوين الإصحاح ١٨ الفقرة ٢٦: (وكلمنا باللغة الآرامية فنحن نفهمها، ولا تكلمنا باليهودية على مسمع الذين على السور) وكان ذلك في عام ٧٠١ قبل الميلاد عندما حضر الملك الآشوري سنحريب مدينة القدس.

وكذلك في سفر نحemia الإصحاح ١٣ الفقرة ٢٤: (وكان كلام أولادهم خليطاً من لغة أشدود وسواها، وما كانوا يحسنون التكلم باليهودية).

كما نعلم، لا مجتمع دون لغة، ولا لغة دون مجتمع، في الحقيقة، لو كان للعبرانيين (وجود حقيقي) لكانت لهم لغتهم أي (العبرية)، وهذا ما لم نجد حتى في أسفار التوراة.. وكما ذكرنا، لا نجد في تلك الأسفار سوى إشارات مبهمة غامضة بل متناقضة بالنسبة للعبرانيين، وهم مختلفون في اشتقاقهم اللغوي عن (الخبيرو) كما رأينا.. ومن هنا استنتاج البعض أن كل ما جاء في أسفار التوراة عن:

العبرانيين ومملكة داود وسليمان في القدس.. ليس إلا أساطير بأساطير.

ولا يمكن قبول بعض ما جاء في التوراة، إلا بدءاً من مطلع القرن الخامس قبل الميلاد فقط، أي بعد العودة من السبي البابلي.. ويأتي مؤخراً على رأس هؤلاء المشككين بالروايات التوراتية، علم الآثار الأمريكي (تومس إل تومبسون) في كتابه (التاريخ القديم للإسرائيليين).

من هنا نقول: لا معنى للزعم القائل بوجود لغة عبرية، كما يحلو للبعض ترديده.

وفي الحقيقة، فاللغة التي دونت فيها أسفار التوراة، هي وليدة امتزاج لهجة كنعانية عمودية قديمة مع الآرامية بدءاً من القرن الخامس بعد السبي البابلي، والتي كتبت بالخط الآرامي السوري المربع، وما زال سائداً حتى اليوم في الكيان الصهيوني.. نعم، ذكرت بعض المصادر القديمة كلمة (لغة عبرية)

ولكن متى كان ذلك وكيف؟!

وقبل توضيح هذه النقطة، نود لفت الانتباه إلى لغز له علاقة بمرحلة ما بعد السبي وعيننا بذلك ما ورد في: سفر عزرا الإصحاح الأول /العودة من السبي/.. والإصحاح الخامس، إعادة بناء الهيكل، والإصحاح السادس، العثور على أمر كورش ثم داريوس بمتابعة هيكل أورشليم، وكذلك رسالة الملك ارتخشستا لعزرا، وكذلك ما ورد في سفر نحemia الإصحاح الثالث / بناء سور أورشليم..

نقول: عن جميع ما ورد في السفرين السابقين على لسان عزرا ونحميا حول وضع اليهود بعد السبي في أورشليم، لا نجد له أي ذكر أو أصداء لدى شاهد شهير لذلك العصر زار بلادنا ومنها فلسطين ولم يترك أي شاردة أو واردة إلا ذكرها في تواريخه وقصدنا بذلك هرودوتس (٤٢٥ - ٤٨٤)، نعم العجيب بل المدهش والمحير إنه لا يذكر أي شيء من سائر ما ورد في سفري عزرا ونحميا، بل ولا يأتي على ذكر (أورشليم) و(مقاطعة يهوذا التوراتية) وكأنها غير موجودة.

وعندما يأتي إلى ذكر السكان يقول (الكتاب الثاني ١٠٤): (والفينيقيون وسوريو فلسطين متفقون على أنهم أخذوا عادة الختان من المصريين)، وفي حديثه عن الأمم التي قدمت سفناً للأسطول الفارسي في الحرب الفارسية/ اليونانية الثانية (الميدية) يقول هرودوتس: (كان عدد السفن ذات الصفوف المجاذيف قد بلغ ألفاً ومئتين وسبع سفن، وهذه هي الأمم التي استحضرتها: الفينيقيون والسومريون والفلسطينيون قدموا ثلاث مائة سفينة) ولدى حديثه عن السامرة والقدس وغيرها من البقاع الفلسطينية، يقول هرودوتس ثلاثمئة (وهذا القسم من سورية مع كل البلاد التي تمتد إلى تخوم مصر هي فلسطين).

ماذا نستنتج من أقوال هرودوتس: غياب أي ذكر أو إشارة لما ورد في سفري عزرا ونحميا وأي ذكر لمقاطعتي يهوذا والسامرة تظهر التسمية الفينيقية للساحل الكنعاني الأوسط، وهي التسمية التي وجدناها لأول مرة في (الأدوديسية) المنسوبة للشاعر الملحمي هومروس (٨٣/٤، ٢١٩/١٤)، ثم لدى المؤرخ الجغرافي (هيكاتيوس) القرن السابع قبل الميلاد، وذلك إشارة إلى الساحل اللبناني تقريباً فلسطين هي البلاد الممتدة من حدود فينيقية إلى تخوم مصر وسكانها السوريون الفلسطينيون، ولا ذكر ليهود أو عبرانيين أو إسرائيليين، على أنصار مدرسة (القدس أورشليم التوراتية) أن يعللوا أو يفسروا غياب غياب ذكر ما ورد في سفري عزرا ونحميا حول عودة أهل السبي وتحديد بناء الهيكل المزعوم والأسوار.

وعودة من جديد إلى قصة اللغة العبرية: لقد أشارت بعض المصادر إلى (لغة عبرية) وهذه المصادر أو بالأحرى هذه الإشارات جاءت من بعض روايات الأناجيل، بعد سقوط بابل (٥٣٨) قبل الميلاد أضحى، أصبحت اللغة السورية هي الغالبة في مختلف أصقاع وطننا العربي القديم، في الإمبراطورية الفارسية/ الأخمينية (٥٥٠ - ٣٣١) قبل الميلاد بعد تغلبها على ما سبقها من لغات ولهجات شقيقة، أكادية/ بابلية/ آشورية وكنعانية، وذلك لعدة أسباب:

منها: سهولة طريقة كتابتها، المقتبسة أصلاً من أبجدية جبل الكنعان الفينيقية وهنا أيضاً تراجمت اللهجة التوراتية/ الكنعانية، لتحل محلها لهجة جديدة (كنعانية/ آرامية) كتبوا توراتهم ثم تلمودهم (المنشأ بالكنعانية/ الآرامية)، و(الجمارا بالآرامية) ولم يبدأ الربيون بكتابة التلمودين البابلي والأورشليمي إلا بعد دمار الهيكل المزعوم على يد القائد الروماني والإمبراطور اللاحق تيطوس ٧٠ قبل الميلاد، وفشل تمرد باركوخيا/ ابن الكوكب عام (١٣٢ / ١٣٥) وهنا راحت تتطور لهجة جديدة أطلقوا عليها اسم (عبرية) مع بدء الحقبة التلمودية الأولى.

أما مفهوم (عبرية) كلغة، فلم يكن معروفاً قبل المرحلة المسيحية الأولى. وفي الحقيقة، وفي مطلع تلك المرحلة، من ظل على يهوديته كعقيدة، قالوا عن لسانه (عبري)، ومن اتبع الدين المسيحي، أطلقوا على آراميته اسم اللهجة (السريانية)، وهي كالنبطية والتدمرية ولهجت التلمودين البابلي والأورشليمي ومنداعية حران.. الخ لهجات آرامية راحت تتكون بدءاً من القرن الأول قبل الميلاد.

ومن هنا فلأول مرة، نجد ظهور التسمية (العبرية)، في الأناجيل وإيكم الشواهد: بعد أن يذكر كاتب (سفر يوحنا) محاكمة السيد المسيح أمام المجمع اليهودي وظهره أمام بيلاطس وهيرودوس والحكم عليه بالموت، كيف أن جلاديه من الجنود أخذوا يسوع في (الإصحاح ١٩ الفقرة ١٧ - ٢٠) (فخرج وهو يحمل صليبه إلى مكان يسمى الجمجمة بالعبرية جاجثة، فصلبوه هناك وصلبوا معه رجلين، كل واحد منهما في جهة وبينهما يسوع، وعلق بيلاطس على الصليب لوحة مكتوباً فيها (يسوع الناصري ملك اليهود) فقرأ كثير من اليهود هذه الكتابة، لأن المكان الذي صلبوا فيه يسوع كان قريباً من المدينة (القدس)، وكانت الكتابة بالعبرية واللاتينية واليونانية) فيجب أن ندرکها كلغة تطورت بدءاً من القرن الأول ميلادي، وفي الكتابات التلمودية ودراسات الأخبار والرئين التلموديين، إن كان في الوطن العربي أو الأندلس في العصر الوسيط، أو في الأوساط اليهودية الأوروبية، ذوي الأصل المشرقي، وهي بشكل عام سائدة لدى (السفاراديم) أما (الشكنازيم) ذوو الأصل الخزري، فلقد طوروا في أوروبا الشرقية لهجة خاصة بهم، وهي (اليديشية) المكتوبة بالحرف الآرامي المربع، وهي مزيج من البولونية والألمانية مع بعض الكلمات اليهودية التوراتية/ التلمودية، والأمر هنا مختلف تماماً عما كان عليه في المشرق: لغوياً وعرقياً، ويحاولون اليوم في إسرائيل تطوير لغة وسطى مشتقة من اللهجتين التوراتية والتلمودية، دون نجاح ملحوظ، لأن أغلبية اليهود (الأشكنازيم) ذوي الأصل الخزري وهم حكام (إسرائيل) لا علاقة لهم أصلاً بأقوام فلسطين القدماء، في القدس وغيرها، رغم زعمهم بأنهم ينحدرون بأصولهم من الإسرائيليين القدماء.. ونلخص موضوعنا بالنقاط التالية:

- لا علاقة لخبرو (الوثائق القديمة) بعبراني التوراة الغامضين في أصولهم ومصيرهم.
- ولا وجود للغة (عبرية) في فلسطين والقدس ولغة التوراة هي مزيج من الكنعانية والآرامية.
- غياب أي ذكر للعبرانيين أو اليهود أو العودة من السبي البابلي وبناء الهيكل الثاني وأسوار القدس، كما جاء في سفري (عزرا ونحميا) بل نجد دائماً ذكر فلسطينيين وفلسطين كما جاء لدى هرودوتس.
- ظهور التسمية (العبرية) فقط في مطلع المرحلة المسيحية، للإشارة إلى لغة الذين ظلوا على الدين اليهودي، مقابل (السريانية) كلغة المسيحيين، المهتدين إلى الدين الجديد^{١٥٢}.



١٥٢ - المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، السنة ٤٢، العدد ٤٨٥ شباط (فبراير) ٢٠٠٤، حوار مع الدكتور: محمد محفل، إعداد وحوار: عبيد عوض، ص ٢٢٣ - ٢٣٨.

لغات عروبية وليست سامية

- اللغة العربية لغة الإنسان العاقل والمفكر والمتحضر:

أكدت اللغة العلمية الموضوعية الموثقة في أبحاث علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، وبخاصة علوم التاريخ والآثار والأقوام والاجتماع واللغات، حقيقتين تاريخيتين مترابطتين:
الأولى: هي وجود مركز واحد لانطلاق وضخ كل التجمعات الأولى للإنسان العاقل التي شكلت العالم بكل شعوبه وأمه اليوم.

والثانية: هي استحالة أن يكون هذا المركز إلا عربياً وفي المشرق العربي.

ويجزم أحد الآثاريين المتخصصين أنه لم يعد أحد ينكر هذه الحقيقة إلا من كان مدفوعاً باعتبارات حاكمة بعيدة عن البحث العلمي الموضوعي، وذلك لأنها تؤكد استناداً إلى ثلاثة معطيات مثبتة وجوهرياً:

- المعطي الأول: هو أن عرب هذا المشرق هم وحدهم أصحاب الوجود التاريخي المستمر للإنسان العاقل ولتجمعاته، بدون أي انقطاع حتى وقتنا الحاضر، ومنذ الإنسان الأول أو آدم.

- والمعطي الثاني: هو أن لغة الحضارات القديمة الأولى هي العربية بلهجتها وكتابتها المختلفة، وأن هذه اللغة هي متفردة بين كل لغات العالم بكونها اللغة الأم: الأقدم في لهجتها السريانية الأكادية، والأغنى في لهجتها العبرية أي الفصحى، والأكثر حضوراً بتأثيرها الكبير وبمفرداتها في جميع حضارات العالم، من حيث أنها كانت لغة العالم قديماً ووسيطاً..

ويؤكد اللغويون أن: عدد جذور اللغات الأنكلوسكسونية هو حوالي (١٠٠٠) جذر، وعدد جذور اللغة اللاتينية هو (٦٠٠) جذر، وعدد جذور اللغة العربية هو (١٦٠٠٠) جذر، الفرق هو ١٥٠٠٠ جذر.

- والمعطي الثالث: هو تفرد العرب في المشرق العربي القديم بالعطاءات الحضارية حتى قبل أن تبدأ عند جميع الأقوام والشعوب بآلاف السنين، لتكون:

مصر (أم الدنيا)، وبابل هي (الأصول)، ومكة المكرمة (مركز الكون)، وسوريا (مهد الحضارات)..
والوطن الأم لكل إنسان متمدن، حسب تأكيد الباحث الآثاري أندريه بارو: مدير متحف اللوفر سابقاً، والمتخصص بآثار ماري.

حيث يقول: (إن على كل إنسان متمدن أن يقول إن لي وطنين، وطني الذي أعيش فيه وسوريا) ١٥٣.

١٥٣- تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الثالث الثانوي الأدبي، وزارة التربية، دمشق، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

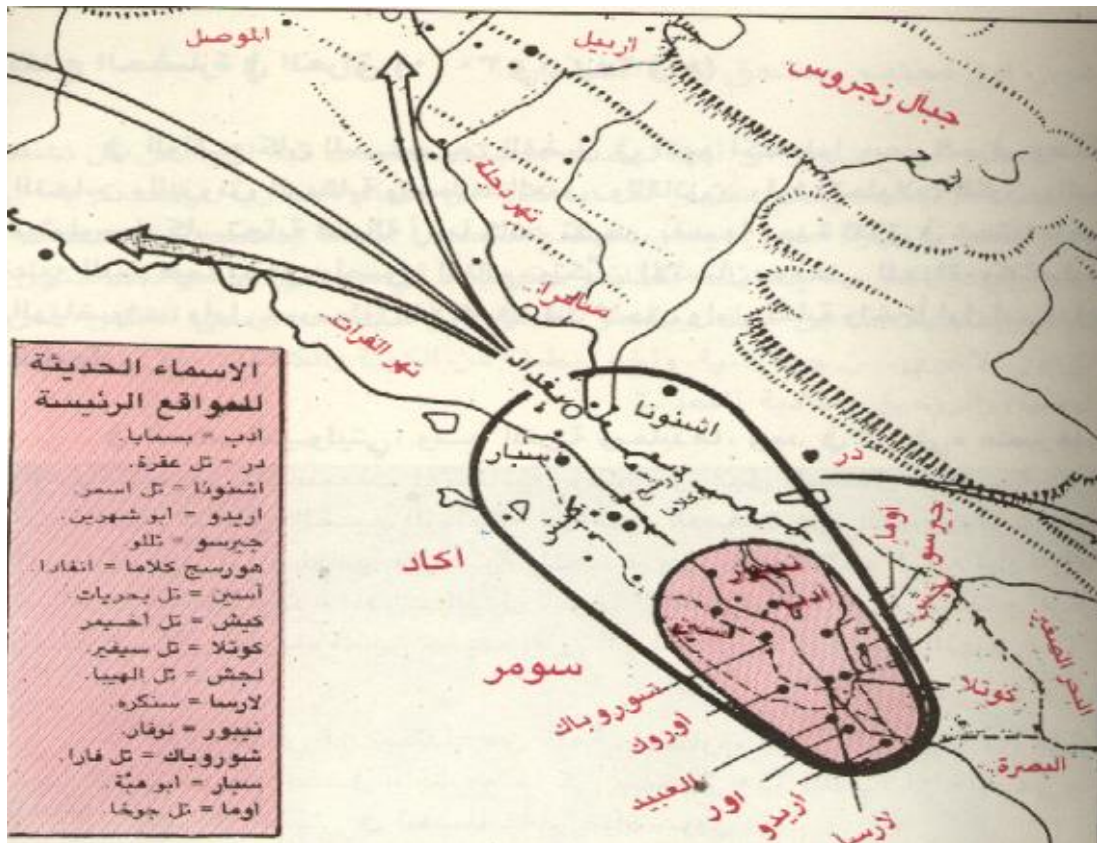
(إن لنا نحن العرب ديناً أنزل على نبي عربي بلغة عربية في امة عربية ووطن عربي، وهو الدين الوحيد الذي يجمع إلى محامد المسيحية محامد العروبة، وهو الدين الوحيد الذي يؤلف بين الفضائل المتفرعة عن الشجاعة والمتفرعة عن المحبة) ١٥٤.

وكان يقول: (إنه لولا القرآن لما بقيت العربية)، وكانت العربية عنده (اللغة الخصبة الخلاقة المطواع، لغة أهل الجنة، اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن. اللغة التي ملكت فصحاها ألسنة أفاذ الدب العربي، والفت بين قلوبهم في كل قطر سحيق، بها التفاهم وبها الألفة وبها الوحدة، فيها القوة فاهية فالسلم فالنعيم المقيم، كل عادل إلى العامية عنها، بشر بها دونها، إنما هو كافر بها وبكم أيها العرب، دساس عليها وعليكم، كائد لها ولكم، عامل على قتلها وقتلكم، فعلموا القرآن والحديث في كل مدارسكم وجامعاتكم لتقوم بالفصحى ألسنتكم، وتتقوى ملكاتكم، ويعلو نفسكم، وتزخر صدوركم بالحكمة، وتشرق طروسكم بساخر البيان) ١٥٥

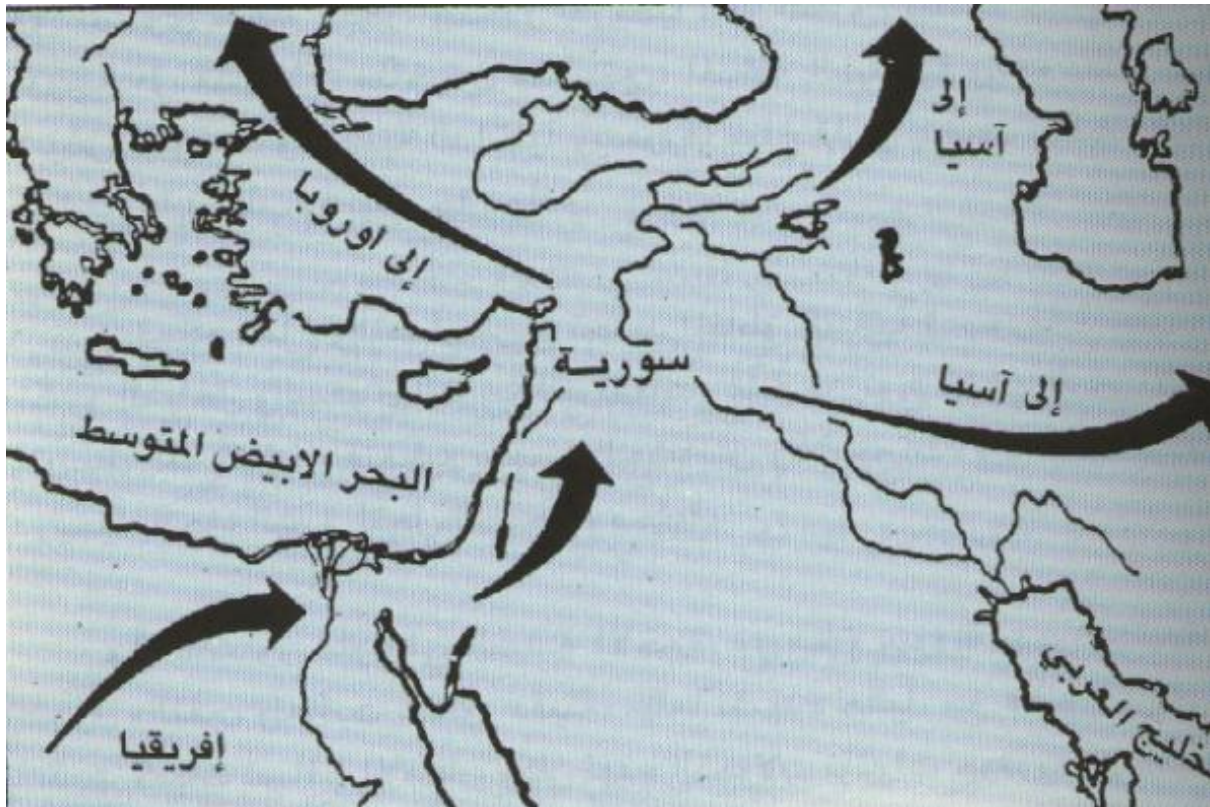


﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات، ١٣.

١٥٤ - مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٢٦هـ / مارس ٢٠٠٥م، ذكرى الشاعر القروي عشرون عاماً على الرحيل، ص ١٩٦
١٥٥ - مجلة العربي، م.س، ص ١٩٦ - ١٩٧.



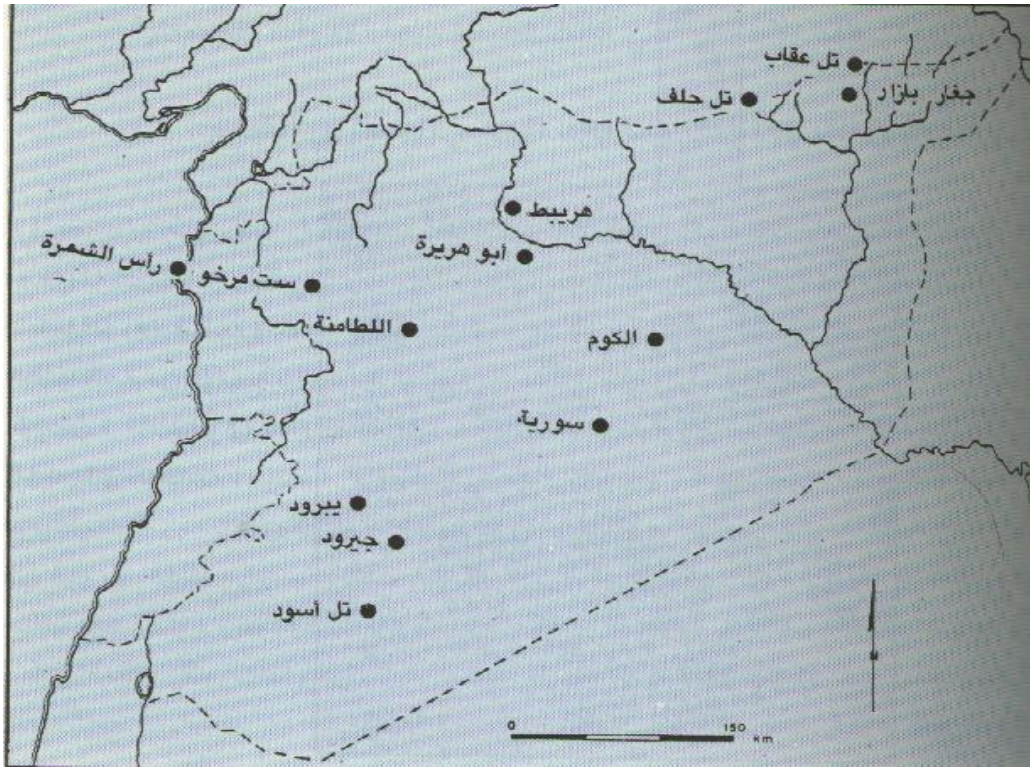
خريطة تمثل (بلاد ما بين النهرين)، الفرات ودجلة، حيث ازدهرت الحضارة السومرية ١٥٦.



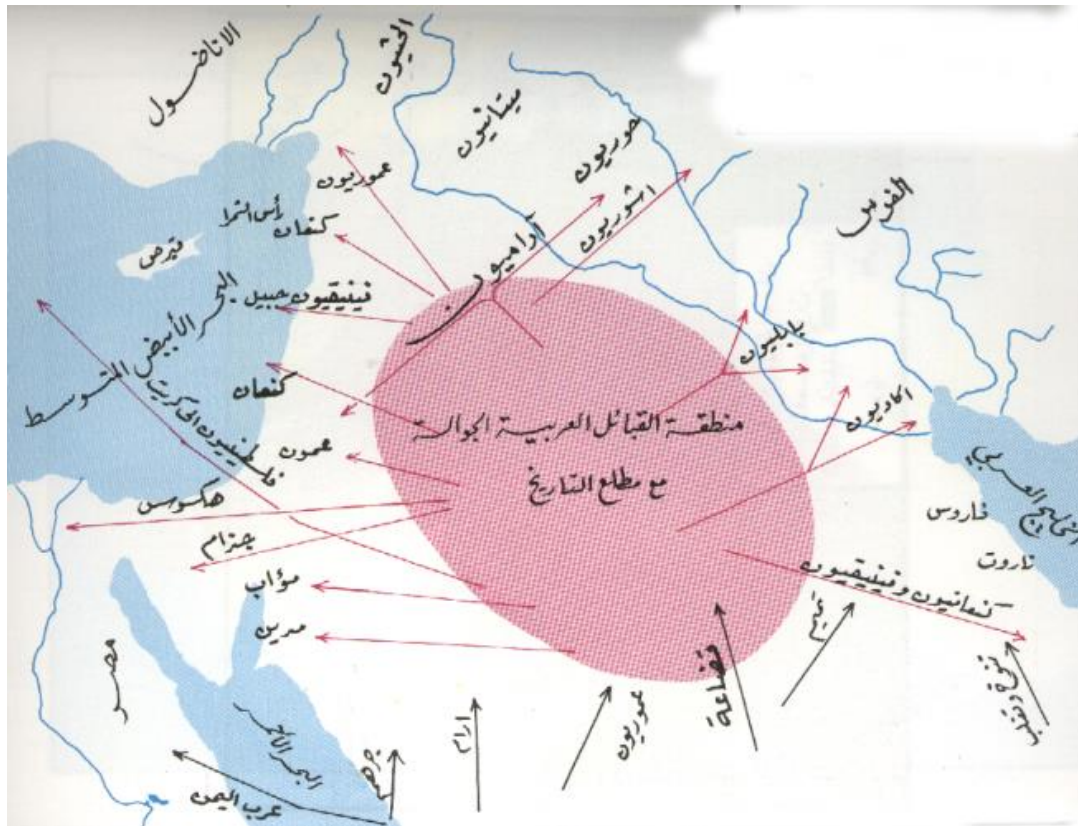
موقع سورية عند ملتقى الطرق الواصلة بين أفريقيا وبقية آسيا وأوروبا ١٥٧

١٥٦- الثقافة العالمية، الكويت، العدد ٤٦، السنة ٨، رمضان ١٤٠٩هـ / مايو ١٩٨٩م، أرض العراق مبدعة الحضارة، مارك برجييه، ترجمة: محمد الدنيا، ص ١٠١.

١٥٧- الثقافة العالمية، م.ن، عصور ما قبل التاريخ في سورية، أندرو م. ت. مور، ترجمة: د. جاب الله علي جاب الله، ص ١١١.



أماكن المواقع ١٥٨



الهجرة والاستقرار وبناء الحضارة للشعوب العربية (العربية)
في مطلع التاريخ العربي (الهجرات العربية) ١٥٩.

١٥٨ - الثقافة العالمية، الكويت، العدد ٤٦، السنة الثامنة، رمضان ١٤٠٩هـ - مايو ١٩٨٩م، عصور ما قبل التاريخ في سورية، بقلم: أندرو م. ت. مور، ترجمة: د. جاب الله علي جاب الله، ص ١١٥.
١٥٩ - الأطلس التاريخي للعالمين العربي والإسلامي - من أقدم العصور إلى اليوم، د. عدنان العطار، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، طبعة رابعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩، قسم عصور ما قبل الإسلام، ص ٣١.

قدموس العربي الفينيقي

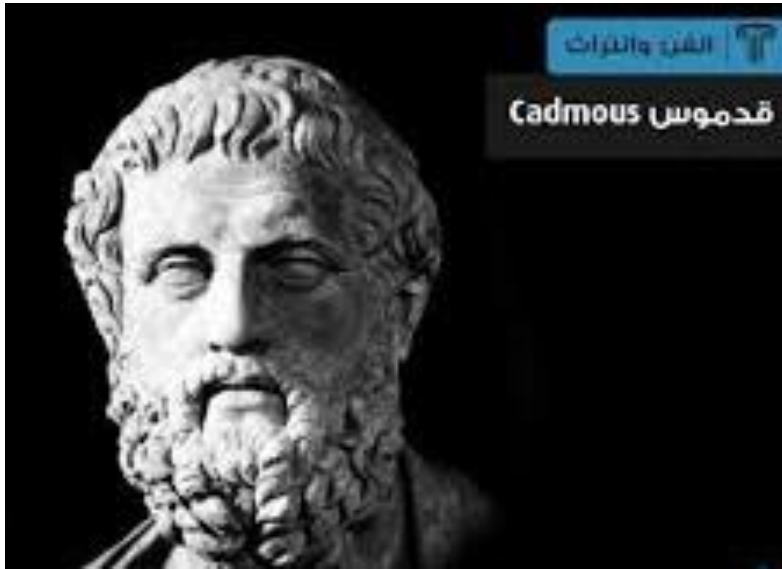
معلم اليونانيين القراءة والكتابة

اليونانيون ورثوا حروفهم الأبجدية وقد حصل في القرن التاسع أو العاشر ق.م. وكان هيروdot قد سجل في تاريخه في القرن الخامس بأن **قدموس الفينيقي** من الساحل العربي السوري هو الذي جلب الحروف الجديدة إلى اليونانيين. وعلمهم مبادئ القراءة والكتابة.

والبعض يقول: بأن **المؤشرات اللغوية** تقود إلى أن عهد الأبجدية اليونانية كان في كريت إلا أن غالبية العلماء يعتقدون بأن اليونانيين في آسيا هم الذين تعرفوا أولاً على الأبجدية العروبية بواسطة التجار الفينيقين الذين كانوا كثيراً ما يزورون بسفنهم موانئ الشاطئ الغربي لآسيا الصغرى.

إلا أن الأمر لا يتعلق بالأبجدية فقط بل بالكثير من المزايا الثقافية الأخرى التي كانت تنتقل من الشرق إلى اليونان.

فقد كان **اليونانيين** مدتهم الغنية على الشاطئ العربي لآسيا الصغرى، حيث كانوا يتصلون هناك بالإنجازات المتقدمة لحضارات وادي الفرات والنيل. وهكذا فقد أخذ اليونانيون من الشعوب العربية التي كانت في الشرق خاصة لحضارات الهلال الخصيب: الإنجازات العلمية، والثقافية، والأبجدية، والأصول الميثولوجية، وفن التصوير الميثولوجي.. بالإضافة إلى سلسلة كاملة من العناصر الثقافية التي أدرجوها في ثقافتهم^{١٦٠}.



١٦٠- تاريخ الكتاب، عالم المعرفة الكويت العدد ١٦٩، القسم الأول، تأليف: د. ألكسندر ستيبيتشفيتش، ترجمة: د. محمد م. الأرنؤوط، رجب ١٤١٣هـ/يناير- كانون ثاني ١٩٩٣ م.

معظم اللغة الأسبانية مشتقة من اللغة العربية

لم تتوقف اللغة الأسبانية عن النهل من لغتنا العربية، وهي تحتوي على آلاف المفردات المشتقة من اللغة العربية، بل إننا في قراءة التراث الشعبي علينا أن نقف أيضاً عند الأمثلة الشعبية التي عرفت الرحلة إلى الأندلس، ألم نقل: (عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة)

هم يقولون: que cien volando Mejor pajar en mano، ألم نسخر ممن (يعملون من الفسيخ شربات).

الإسبان يقولون: Hacer de tripas Corazon، وقد جمعت د. علية العناني قبل عشرين عاماً عشرات الأمثلة والحكم والأقوال العربية التي استقرت بعد خروج العرب: (السن بالسن والعين بالعين والبادي أظلم)، (ابن الوز عوام)، (دوام الحال من المحال)، (وقت البطون تتوه العقول)، (الدين هم بالليل ومذلة بالنهار)، (تراعيني قراط أراعيك قيراطين)، (باب النجار مخلوع)، (يدّي "يعطي" الحلق للي بلا ودان)، (لا قيني ولا تغذيني)، (يصطاد في الماء العكر)، (غاب القط العب يا فأر): Los ratones bailan Cuando no esta el gato وإذا عرفنا كيف تشكل الأمثال الشعبية الحياة اليومية، يتأكد لنا أن هناك عادات وتقاليد لا تزال حية في شرايين المدن التي سبقتها قروناً مياها العربية، بل إن شها كبيراً بين صيحات التهليل والفرحة للمرأة الشامية، والنسوة الأسبانيات، يجزم بأن جذوراً واحدة سقت ثمرة هذا التشابه وهي ضرورة الحضارة العربية والإسلامية^{١٦١}.



أسماء أماكن وأعلام تحمل ما تبقى من مسوح عربية، بني أمية، الميمون، مرسية، وغيرها، استقرت على لافتات المطاعم وفنادق، في مدينة الأندلس (أسبانية)

١٦١- مجلة العربي، الكويت، عدد ٥٥٥، ذو الحجة ١٤٢٥ هـ، فبراير ٢٠٠٥م، قرطبة القلعة الحرة، أشرف أبو اليزيد، تصوير: فهد الكوحي، ٣٦-٥٨.

جداول لغوية مقارنة تؤكد

اشتقاق اللغات من اللغة العربية

(دراسات لغوية عالمية مقارنة)

تؤكد الدراسات اللغوية المقارنة لمختلف اللغات العالمية أهمية وشدة تأثير اللغة العربية الفصحى على هذه اللغات الحية بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر عبر لغات أخرى وقد ذكر الباحثون في علم اللغويات مئات بل آلاف الكلمات التي تثبت اشتقاقها من اللغة العربية، فدائرة المعارف البريطانية وحدها تعطينا **400** كلمة عربية موجودة في اللغة الفرنسية المعاصرة^{١٦٢}.

لقد بحث الإنجليز عن المفردات العربية في لغتهم الإنكليزية كثيراً فأنجزوا في هذا الموضوع كتباً وأبحاثاً عديدة ومنها:

كتابٌ تعاون على تأليفه باحث إنكليزي هو (جيمس بيترز James Peters) وزميل له عربي هو حبيب سلوم Habeeb sallum يتضمن نحو ألفين وخمسمائة (2500) كلمة إنجليزية ترجع إلى أصل عربي.

وأوكلت مؤسسة وبستر Webster الأمريكية إلى الدكتور (فليب حتي) تعقب الألفاظ الإنجليزية التي تنتسب إلى أصل عربي فخرج بنحو خمسة آلاف مفردة (5000) اعتمدها تلك المؤسسة في معجمها المشهور^{١٦٣}، ولمعرفة هذه الكلمات والألفاظ العربية التي أخذتها اللغة الإنكليزية من اللغة العربية وبخاصة في ميادين العلم والأدب والفن.. يفضل الرجوع إلى قاموس المورد الكبير للمؤلف والباحث منير البعلبكي إصدار دار العلم للملايين- بيروت، فمثلاً في طبعة عام ١٩٨٠ يراجع الفصل: ألفاظ إنكليزية ذات أصل عربي، في الملحق، ص: ٩٧-١١٢.

لقد كان العرب الأوجاريتيون أول من ابتكر فكرة الأبجدية في التاريخ البشري بينما الفينيقيون أول من ابتكر الكتابة الأبجدية قبل ابتداء القرن الثالث عشر قبل الميلاد^{١٦٤}.

والعرب الكنعانيون كانوا يعمرون في أوروبا منذ أربعة آلاف وسبعمائة سنة يبذرون الحضارة والثقافة والعلم بمختلف المعارف البشرية من اليونان إلى إيطاليا إلى أسبانية إلى بريطانيا إلى فرنسا.. حتى أنهم قد اكتشفوا ووصلوا إلى القارة الأمريكية وأنشؤوا على سواحلها البحرية البنيان وال عمران المادي والحضاري، وتعايشوا

١٦٢- مراجعات حول: العروبة والإسلام وأوروبا، د. محمود السمرة، كتاب العربي، ٤، الكويت، ١٥ أكتوبر ١٩٨٤م، ص ٨٥.
١٦٣- مجلة التراث الشعبي العراقية، العدد ٩ عام ١٩٧٨، عبد الحق فاضل، ص ١٠-١١. أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، ص ٢٣٠، د. نايف خرما، نقلاً عن: أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٢، ط١، ص ٣٦٧.
١٦٤- دراسات مقارنة في اللغة العبرية، د. الياس بيطار، جامعة دمشق، كلية الآداب، ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٥٣.

وتعاونوا مع شعوبها وتفاعلوا حضارياً وثقافياً معهم وهذا ما تؤكد الأبحاث التاريخية الميدانية والرقم التي كشفت في هذه المنطقة وقد كتبت بحوثاً ومؤلفات عالمية حول هذا الموضوع، مما يدل على كون الكنعانيون هم أول من اكتشف القارة الأمريكية قبل القراصنة الأوربيين الإرهابيين الذين أبادوا الهنود الحمر ونهبوا خيراتهم وسرقوا ذهبهم ثم ادعوا كذباً وزوراً أن عرقهم الأبيض متفوق عليهم..

تعود الوحدة الحضارية في البلاد العربية إلى أكثر من أحد عشر ألفاً من السنين مما جعل الدماغ الجمعي العربي ينمو باتجاهات معينة متأثراً بالتربية الفكرية المتطورة التي تقيس الحضارة بالأمن لا بالحرب، بالقلم لا بالسيف، بالحب لا بالحق.

ومن المشهور عندنا أن التعليم خضع للدولة منذ أكثر من أربعة آلاف ونصف الألف من السنين بينما لم تصل الكتابة لأوروبا قبل ثلاثة آلاف سنة.^{١٦٥}

وفيما يلي نعرض بشكل وجيز بعضاً من النماذج الكلامية اللغوية في بعض اللغات العالمية القديمة والحديثة التي تثبت اشتقاقها من الأبجدية واللغة العربية:

عربي	أكادي	عبري	سرياني
أب	أبو	أب	أبا
ابن	بنو	بن	برا
أخ	أخو	أخ	أخا
أذن	أزنو	أزن	أودنا
أرض	أرصقو	أرض	أرعا
أربع	أربعو	أربع	أربع
اسم	شومو	شم	شما
أم	أمو	أم	أما
أمة	أمتو	أمة	أمتا
بعل	بلو	بعل	بعلا
بنت	بنتو	بت	برتا
بيت	بتو	بيت	بيتا
ثوم	شومو	شوم	توما

١٦٥- جذور الفكر الإنساني، بلاد الشام علمت أوروبا الرقم والحرف وطرائق التفكير منذ 4700 عام، د. إبراهيم فاضل، دار الغدير، سلمية - سورية، ط١، ١٩٩٧م، ص ٢٠-٢١ (بتصرف).

الكلمة العربية	الكلمة الفارسية	الكلمة العربية	الكلمة الفارسية
أهبة	آب بهاء	جلنار (زهر الرمان)	جنار
استبرق	استبرك	جورب	جوربا
اسطوانة	استوانة	جوز	جوز
إيوان	إيقان	خام (نسيج)	خام
باشق (طير)	باشه	خز (حرير)	خز
برنامج	برنامه	خفاش	خفاس
برهان	بار فهان (واضح)	خندق	كنده
تاج	تاك	خيار (خضار)	خيار
تخت	تخت	خيزران	خيزران
تنبل (كسلان)	تنبل	دستور	دستور
تنك (صفيحة)	تنكه	دفتر	دفتر
توتيا (زنك)	توتيا	دكان	دكان
سراب	سرآب	دهليز	دهلة
شطرنج	شطرنك	رزنامه	رزنامه
شمندر (نبات)	شفندر	كوخ	كاخ
صندوق	صندوق	لولب	لوله
طربوش	سريوش	مهر (خاتم)	مهر
فنجان	بنكان	مهرجان	مهرجان
كعك	كاك	شمع	شمع

الكلمة العربية	الكلمة اليونانية	الكلمة العربية	الكلمة اليونانية
أخطبوط	oktapodis	كلس	halix
أسطول	stolos	كوليرا	Holera
إسفنج	spongos	لص	Listis
أطلس	atlas	متر	metron
إقليم	klima	زنانر	zonari
أسطورة	istoriya	سمسم (نبات)	Sisamon
بطاقة	pittakion	سندس	Sindon
بلسم	valsamon	سيماء (علامة)	sima
تراخوما	trahoma	صابون	sapon
ترس	tireos	طغمة (جماعة)	tagma
جنس	yenos	طلسم	Telezma
حوت	kitos	فانوس	fanos
خارطة	hartis	نفت	nafta
دبلوماسي	diploma	هستيريا	isterizmon

الكلمة العربية	الكلمة اللاتينية	الكلمة العربية	الكلمة اللاتينية
إسطبل	stabulum	كوفيه	Cophia
بتروول	petroleum	ميل	Mille
بركان	volcanus	قميص	Camisia
بوق	buccina	قناة	canalis
دينار	denarius	قنديل	candela
رصيد	residuum	قنصل	consul
ريف	ripa	كوب	Cupa
سجل	sigillum	سراط، صراط	Strata
صقر	sacer	فرن	furnus
فيتامين	vita	قبان	Campana

عربي	آرامي	اسباني
البركة	brekto	Alberca
ناعورة	no 'ouro	noria
ترجمان	targmono	dragoman
تنور	tanouro	Atanor
خس	haso	alfase
القصر	qisro	Alcazar
زرافة	zorifo	girafa
الزيت	zayto	Aceite
الزيتون	zaytouno	aceituna
الساقية	soqito	Acequia
رمان	roumono	roman
السوسن	sawsno	assucena
الطاحون	tohuno	atehona
الخياط	hayoto	Alfayate
الطبل	tablo	Atabal
العمود	amoudo	Alamud

عربي	برتغالي	عربي	برتغالي
القطيع	alcateia	الرطل	arratel
الكنية	alconha	الرز	Arroz
الضيعة	aldeia	الطليعة	atalaia
الحلوى	alfeloa	الزحمة	azafama
الحرية	alforria	مساكين	mesquinho
الجوهر	aljofar	المرج	almargem

يوناني	فارسي	عربي
Briki	آبريز	أبريق
Virillos	بلور	بلور
baharika	بهار	بهار
divanion	ديفان	ديوان
sandalon	جندل	صندل
lemoni	ليمو	ليمون
moskhos	مشك	مسك
nerantsi	نارنج	نارنج
yasimin	ياسمين	ياسمين

إنكليزي	فرنسي	عربي
Algebra	Algeber	الجبر
gazelle	gazelle	غزال
felucca	Foleque	فلك (سفينة)
cotton	coton	قطن
alchemy	Alchimie	الكيمياء
magazine	magasin	مخزن
alferes	alfier	الفارس
Minaret	Minaret	منارة
jar	Jarred	جرة
Syrup	Sirop	شراب
cipher	Chiffre	صفر
sugar	sucre	سكر
tass	Tasse	كأس

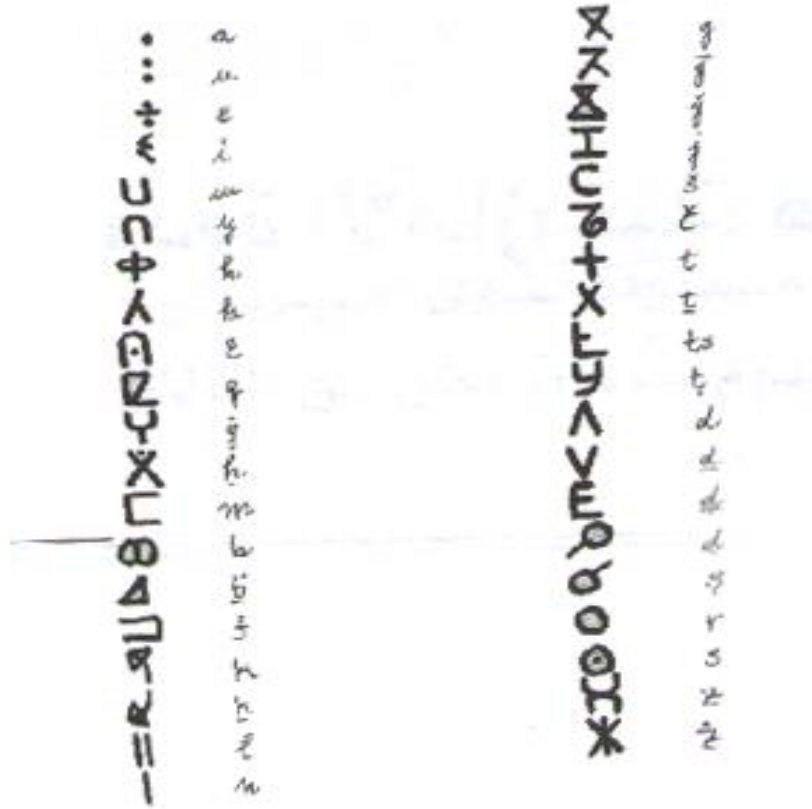
اسباني	عربي	اسباني	عربي
alcazar	القصر	alamud	العمود
alcrebite	الكبريت	alazan	الحصان
aldea	الضيعة	albeitar	البيطار
alema	الماء	albufera	البحيرة
alfabega	الحبق	alcandia	الحنطة
algar	الغاز	alcantara	القنطرة
almazara	المعصرة	azahzr	الزهر
almud	المد	azote	السوط
		azucar	السكر

يوناني	عربي	يوناني	عربي
bostani	بستان	hamami	حمام
bouharida	بخار	handaki	خندق
briki	أبريق	haramis	حرامي
deyleti	دولة	hasnes	خزنة
fili	فتيلة	hayvani	حيوان
kafaci	قفص	maksouli	محصول
karati	قيراط	mertzani	مرجان
kecati	كساد	meydani	ميدان
habari	خبر	zamani	زمان
sakkas	سقاء	zarifis	ظريف
Sedefi	صدف	ziyafeti	ضيافة
sokaki	زقاق	seyizis	سائس

١٦٦ أثر اللغة العربية في لغات العالم



١٦٦- دراسات مقارنة في اللغة العبرية، جامعة دمشق، د.الياس بيطار، طبعة عام ١٤٠٦ هـ/ ١٩٨٦ م، ص ١٨ - ٩١ - ٩٣ - ٩٦ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ - ١٠٢ - ١١١ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥، (بتصرف).



الحروف الأمازيغية ومقابلها في اللغة اللاتينية^{١٦٧}

الحروف الأمازيغية ومقابلها في اللغة اللاتينية وتقدر 40 حرفاً ويغلب عليه صفة التعقد، وقد حاول الاستخراب الغربي الفرنسي خلال فترة إرهابه وعدوانه على القطر الجزائري العربي أن يدمر ويفسد ويشوه كل عوامل القوة المادية والمعنوية والثقافية والحضارية للشعب العربي الجزائري فعمل بكل ما يملك من طاقات حاقدة وهمجية على تخريب وتهميش اللغة العربية وتنشيط اللغة العامية المحلية، واللغة الأمازيغية لكي يفرق الشعب الجزائري فيضعفه فيسود، حتى أنه أنشأ مراكز لغوية وجامعات لهذه اللغات العامية والأمازيغية ما تزال تبث سمومها حتى الآن من فرنسا وخارجها، ولكن أخبت وأوحش أسلوب غربي فرنسي بعد قتله أكثر من مليون ونصف شهيد عربي جزائري خلال فترة استخراجه للجزائر فإنه ما يزال يمارس حتى الآن حربه القذرة وهمجيته المتوحشة ضد الشعب العربي الجزائري عبر طاورها الخامس.

١٦٧- الآداب، بيروت، العدد ١ / ٢ كانون الثاني (يناير) / شباط (فبراير) ٢٠٠٥م، السنة ٥٣، العروبة بعيون أمازيغية، ص ٦٧.

أصول الأبجديات

الكتابة هي أداة ترجمة الفكر الإنساني إلى شكل ولون منذ بدء الخليقة إلى اليوم، وهي واسطة التعبير عن حدث أو قصة أو طقوس عبادة.

بدأ إنسان الكهوف يرسم على الجدران صور بدائية للمخلوقات الحية من إنسان وحيوان ونبات وعناصر الطبيعة كالشمس والقمر والكواكب، يريد بها التعبير بها عن أفكاره بشكل صور تمثل كلمات، فكانت الكتابة التصويرية pictography ثم تطورت أشكال هذه الصور إلى رموز تشكيلية تعكس أفكاراً محددة فعرفت باسم الكتابة بالرموز Ideography، وبمرور الزمن انتقلت أدوات التعبير هذه إلى مرحلة أكثر تطوراً فتحوّلت إلى:

الكتابة المقطعية Syllabic Writing، وهي تقطيع الكلمة إلى مقاطع صوتية، ومن هذه الأخيرة نشأت الأبجدية.. وتعتبر الأبجدية العربية أصل الأبجديات العالمية وأوسعها انتشاراً.^{١٦٨}



نماذج من الكتابات التصويرية والرمزية وهي أفقياً من الأعلى للأسفل:
السينائية، الأوغرتية، البيبلوسية، الهيراطيقية، الموأبية، النبطية.

١٦٨- النقوش الكتابية في أوابد دمشق، د. قتيبة الشهابي، وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٧، ص ١١ (بتصرف).

الطابور الخامس

- كلمة للأفغاني:

(إن أشد وطأة على الشرق، وأدعى إلى تهجم أولي المطامح من الغربيين، وتذليل الصعاب لهم وتثبيت أقدامهم، هم أولئك الناشئة الذين بمجرد تعلمهم لغة القوم والتأدب بأسفل آدابهم، يعتقدون أن كل الكمالات إنما هو فيما تعلموه من اللسان على بسائطه، وفيما رواه من بهرج مظاهر الحلات، وقراءة سير وسير من قطع مراحل من الغربيين في سبيل الأخذ في ترقيته أمته، وبدون أن يسبروا من ذلك غوراً أو يفهموا لتدرجهم معنى.

ويعتقد الناشئ الشرقي أن كل الرذائل ودواعي الحطة ومقاومات التقدم إنما هي في قومه، فيجري مع تيار غريب من امتهان كل مادة شرقية، ومن كل مشروع وطني تتصدى له فئة من قومه أو أهل بلده، ويأنف من أي عمل ما لم يشارك فيه الأجنبي ولو اسماً)^{١٦٩}

- كلمة الشيخ المجاهد ابن باديس:

حياكم الله أبناء العروبة والإسلام وأنصار العلم والفضيلة.

حوربت فيكم العروبة حتى أظن أن قد مات منكم عرقها، ومسح فيكم نطقها، فجتتم بعد قرن تصدح بلبلكم بأشعارها، فتثير الشعور والمشاعر، وتهدر خطباؤكم بشقاشقها^{١٧٠}، فتدك الحصون والمعازل، ويهز كتابكم أقلامها.

وحورب فيكم الإسلام حتى ظن أن قد طمست أمامكم معالمه، وانتزعت منكم عقائده، ومكارمه، فجتتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد، وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد، وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد ﷺ، وكما يرضى الله لا كما حرفة الجاهلون، وشوهه الدجالون، ورضيه أعداؤه^{١٧١}.



١٦٩ - علماء وجواسيس التغلغل الأمريكي- الإسرائيلي في مصر، رفعت سيد أحمد، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩٠، كلمة الأفغاني، ص ٩.

١٧٠ - الشقاشق: الأصوات الهادرة.

١٧١ - إن شخصية الأستاذ عبد الحميد بن باديس غنية معبرة عن أزمنة المجتمع الإسلامي، لا تماثلها إلا شخصية جمال الدين الأفغاني في تراثها، وشمولها، وجرأتها. وقد جاهد وناضل ضد الإستخراب الفرنسي في الجزائر، نقلاً عن: الإسلام وحركات التحرير العربية، شوقي أبو خليل، ط٥، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الفكر، دمشق، ص ٩٤، (بتصرف).

- كلمة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب:

- هل ستعدم اللغة العربية بتهمة الإرهاب؟

والإجابة على هذا السؤال: (شبه مؤكدة)، لأنها مباشرة جداً، وتقول: نعم، حيث بدأت جريدة الاتهام الأوروبية - الأمريكية والصهيونية تتلى، فهي وريثة لغات تكلمت بها شعوب حملت موجاتها الحضارية، وهي لغة دنيوية وأخروية في آن واحد، وهي لغة الشعر، وهي سيدة المنبر، في حروفها وألفاظها ومعانيها يرتل القرآن، ويرفع الأذان، وتقام الصلوات الخمس، ويهدر بصوتها الحجيج.. وينادي بجدها المجاهدون.

هي لغة الـ/لا/ أي هي صوت الرفض، حملت النشيد الوطني لأقطار الأمة، واتسعت لمفردات العلوم ومصطلحاتها، وظلت في شموخها وعنفوانها، من خلالها يتمسك العرب بأديانهم ومللهم وانتماءاتهم، فتعلوا نغماتها، منابرهم، وسوامرهم، وبوساطتها بل في رسومها كتبت دساتيرهم وإيديولوجياتهم وعقائدهم ومعتقداتهم، فتشكلت خصوصيتهم منها وفيها وعليها.

وأخيراً وليس آخراً: هي لا تقبل لبس المعنى، ولا زيف المبني، ولا مخاطر الهجنة وفيها أسرار كثيرة، وفيها قيم كبيرة، وفيها سحر يجعلها أخت الشمس.

أولست تلك الأسباب كافية لإيرادها مورد التهلكة، وبعض من لها الفضل في بنائهم باتوا شهوداً على تثبيت الظنة وتجريمها، وربما؟!!!^{١٧٢}.

يذكرني بالزعيم الهندي العظيم (سياتل) الذي قاتل الأمريكان ببسالة لا نظير لها وفي عام ١٨٧٠ بعث الرئيس الأمريكي آنذاك (فرانكلين) برسالة إلى سياتل يقول: (إلى الرئيس الأمريكي في واشنطن.. أنت تطلب مني أن أبيعك أرض قبيلتي، فلتعلم أيها الرئيس، ولتعلموا جميعاً أيها الأمريكيون أنكم ستموتون محتقنين بقدارتكم وأنتم في أوج عظمتكم، واعلموا أن كلماتي هذه كالنجوم لا تنطفى..)^{١٧٣}.

وقد شبه المجاهد الأديب عبد الله الأديم في مقال له عن أثر الاستعمار في الاقتصاد والعملاء بأنهم عبيد للمستعمر حيث يقول: (ومثلها- المستعمر الإنكليزي في مصر- ومثلهم- العملاء- كمثل لص دخل دار قوم وقال لهم:

(حملوني ما عندكم من أثاث وحلي وآنية)، فأخذوا يحملونه ما يريد من غير معارضة.

فهل إذا دخل عليه البوليس وأهل الدار يحملونه بأيديهم يقول هذا لص^{١٧٤}؟

١٧٢ - الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٤٠٩، السنة ٣٥، أيار ٢٠٠٥، هل ستعدم اللغة العربية بتهمة الإرهاب؟ د. وليد مشوح، ص ٥-٧ (بتصرف).

١٧٣ - المنبر العربي، بيروت، العدد ٢٣، أيار/ حزيران ٢٠٠٥م، لنصر الله.. نصر من الله، بقلم: عادل جبور، ص ١٣.

١٧٤ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد محمد حسين، ج ١، دار الإرشاد، دم، ط ٢، دبت، ص ١٦٨.

الطابور الخامس في الجامعة الأمريكية في القاهرة

مؤتمر الشباب (العربي القومي) مع حقوق الشواذ..

انتشرت ظواهر المهرجانات الخطابية والفنية وإلى غير ذلك من الأسماء المختلفة، ولا نكاد نجد مهرجاناتاً أو احتفالاتاً ما إلا ووجدنا يافطات كبيرة تعلن عن رعاية شركات كبيرة لهذه الاحتفالات والمهرجانات، في ظاهرة باتت تعكس مدى خطورة التدخل الأجنبي وخصوصاً الأمريكي في ثقافة المجتمعات العربية، ومحاولات العبث بها وخصوصاً فيما يخص القيم العربية الإسلامية وعقيدة الإنسان المسلم. فبعد ظاهرة الحوارات المفتوحة في بعض الفضائيات العربية والتي كانت تقدم بعض الشواذ ليعبروا عن آرائهم.

فجاء أخيراً دور الجامعات الأمريكية للتدخل في هذا المجال، من خلال إضفاء صبغة أكاديمية على مجمل الأنشطة المشبوهة في هذا المجال.

ففي خطوة ملفتة للنظر أقدمت الجامعة الأمريكية في القاهرة على عقد مؤتمر نظمته تحت اسم مؤتمر الشباب القومي العربي والذي جاء تحت رعاية شركات أمريكية نشهد لها إعلانات تلفزيونية بشكل دائم وهي (كتناكي، أمريكانا، إضافة إلى شركة تكا).

المؤتمر الذي يفترض به أن يناقش قضايا ذات أهمية اجتماعية وثقافية تمه المجتمعات العربية، مثل: التعليم، البطالة، مكافحة الفقر والبؤس، والتشجيع على التعليم والإبداع والابتكار والتنافس والحوار الحر ودعم المشروعات الاقتصادية الصغيرة..

ابتدأ بعرض أحد الشباب الشاذين أخلاقياً، بادئاً بالحديث حول تجربته ومطالباً بالحوار حول قضايا الشواذ وحقوقهم، وأما ختام الجلسة فقد كان في بيان أصدره المؤتمر بضرورة إقرار حقوق للشواذ، ووضع برامج دراسية تثقيفية بشكل عام في جوانب متعددة.. الخ.

تأتي هذه المطالب تحت بند الحريات وحقوق الإنسان في وقت تحرم فيه جموع الأمة من المحيط إلى الخليج من إبداء رأيها ابتداءً من لقمة العيش التي تدل بها، مروراً بقضايا الأمة الكبرى وتحرير فلسطين، وانتهاءً بالمعتقد والعقائد حيث بات الإسلام مطلوباً قبل كل شيء وضرب هذا البناء الراسخ وإحلال النماذج الغربية والأمريكية الفاسدة مكانه.^{١٧٥}

١٧٥ - مجلة المجاهد، تصدر عن مركز بيت المقدس للثقافة والإعلام، العدد ٣٨٧، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ / حزيران ٢٠٠٥، تقرير الاقتصاد بوابة للتخريب الأخلاقي، ص ٣٨.

— وأرى أن أدعياء التنوير وأسرى الأوهام الغربية وهم ليسوا قليلين هم سبب هذا التراجع المريع على الصعيد الثقافي حيث حددوا مشروعاتنا الفكرية بالاتجاه نحو الغرب وحده، في الوقت الذي يعاني فيه الغرب حالياً أزمة حضارية حادة، مما وضع هؤلاء - الذين ظلوا وما زالوا يبشرون بالغرب- في مأزق كبير أفقدهم مصداقيتهم في الشارع العربي، وفي هذا الإطار أرى أن عدد المثقفين (المتغربين) سيتناقص خلال الفترة القليلة القادمة، في كل أنحاء الوطن العربي، تأسيساً على أن الأجيال الصاعدة من المثقفين يدركون أن القضية أكثر تركيباً وتعقيداً على جميع المستويات، وتحتاج إلى تقويم جذري، فلم يعد الغرب ناجحاً بعد اختفاء تجربته الاشتراكية، وتعثر التجربة الرأسمالية.

إن معظم الدراسات العربية للفكر والمجتمعات الغربية يعتمد على النقل دون التفسير، والنقل نوع من الإذعان يكرس التبعية بعكس التحليل والنقد والتفسير والذي تنتج عنه رؤية مستقبلية تتماشى مع قيم حضارتنا الإسلامية، ولكن المثقفين العرب، للأسف يعيشون حالة على نفايات الثقافة الغربية، وما يكتبه المثقفون عندنا مجرد ترديدات لما يكتب في الغرب، أضف إلى ذلك الثقة الشديدة التي يكتبون بها في قضايا تثير زواجر وأعاصير فكرية في الغرب.

غالبية الكتاب التقدميين عندنا يقولون- مثلاً إن العلمانية هي الحل في الوقت الذي يراجع فيه المفكرون في الغرب فكرة العلمانية مراجعة شاملة، والكثيرون الآن يرفضون قيم الحداثة والعلمانية الغربية التي وصلت بالحضارة الغربية إلى كل هذا التوحش والجذب الروحي والأخلاقي، وأنا دائماً ابتسم حين أتذكر أن دوائر الفكر في الغرب لم تتفق حتى الآن على مفهوم واضح لـ (العلمانية) التي يتحدث عنها الكتاب هنا بكل هذه الثقة^{١٧٦}.

يقول يوهان فك: (إن اللغة العربية الفصحى تعتبر رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية ولقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد لها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر، ولم تخطئ الدلائل، فستحفظ أيضاً بهذا المقام العتيق من حيث هي لغة المدنية الإسلامية ما بقيت هناك مدنية إسلامية)^{١٧٧}.

١٧٦- مجلة الكويت، تصدر عن وزارة الإعلام الكويت، العدد ٢٦١، ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ - ١/ يوليو ٢٠٠٥م، حوار مع عبد الوهاب المسيري: من يتحدث العربية عربي.. حتى لو كان أمازيغياً، محمد رضا حبيب، ص ٢٠- ٢١، (بتصرف).
١٧٧ - مجلة العربية، يوهان فك، ترجمة عبد الحلیم النجار، دار المعارف، القاهرة ١٩٥١، ص ٢٣٤، نقلاً عن: دراسات استراتيجية، تصدر عن مركز الدراسات والبحوث الاستراتيجية جامعة دمشق، العدد (١٢-١٣)، ٢٠٠٤، دور كلية الآداب في إثراء الهوية الوطنية والقومية في الجزائر، د. الشيخ بو قربة عميد كلية الآداب بجامعة وهران، ص ١٨٢- ١٨٣.

المستعمرون واللغة العربية الفصحى

جاء في مذكرات الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية (مستر همفر) ما يلي نقلاً عن كتاب وزارة المستعمرات..

(وبعد تفصيل جميع الجوانب الدينية الرامية إلى هدم الإسلام أضاف في الفقرة ٩ من الصفحة ٧٨ مايلي: (منع اللغة العربية حسب الإمكان، وتوسيع اللغات غير العربية مثل السنسكريتية والفارسية والكردية والبشتو وإحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعة عن العربية، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة).

فماذا يختلف مشروع الجاسوس البريطاني ووزارة المستعمرات عن مشروع دعاة العامية والأحرف اللاتينية ١٧٨؟!.

- تشوه مقصود اللغة العربية إعلامياً:

الحال مع معلمي اللغة العربية الذين جعلت منهم الأعمال الفنية مادة للسخرية والفكاهة بينما يبدو في صورة معاكسة معلمو اللغات الأجنبية كرجال مهذبين شديدي الأناقة والوسامة، حتى رأينا كثيرين من الشباب يأخذون موقفاً شديداً العداء من لغتهم الأصلية.. حتى " المأذون " وهو الشيخ الذي يقوم بتوثيق عقود الزوج لم تسلم صورته من الأذى والتشويه فرأيناه مسخاً سخيفاً يتقعر ويلوي لسانه بالفصحى، وكل ما يعنيه أن يقبض الثمن ويملاً بطنه بأطياب الطعام، وباختصار جرى تشويه متعمد أو جاهل لكل ما يمت للإسلام بصلة فترسخت في الأذهان تلك الصورة البالغة السلبية والقبح أو التشويه كان ولا يزال يتم عبر محورين أساسيين هما: الإسلام واللغة العربية لارتباطهما الوثيق معاً حتى يمكن القول: (إن هذا التشويه لم يكن ثمرة للمصادفة وحدها) ١٧٩.



١٧٨- دفاع عن اللغة العربية والتراث العربي، عبد المعين الملوحى، دار الملوحى للنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٥، دفاع عن اللغة العربية وأنواع أعضائها، ص ٤٣- ٤٤.
١٧٩ - مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٤٨٢- السنة ٤٢- شوال ١٤٢٦هـ- نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٥م، حوار هادئ مع سيدة مثقفة!!، نبيلة عبد العزيز حويجي، ص ٧٨ (بتصرف).

- التغريب:

من أكثر المصطلحات المثيرة للجدل التي يكثر ويشيع استخدامها في حياتنا الفكرية الراهنة.. مصطلح (التغريب)!

ففي (الصراع) بيننا وبين الحضارة الغربية.. بل وفي مناطق وميادين (الوفاق) بيننا وبينها، يكثر استخدامنا لمصطلح (التغريب)!

في المعارك الفكرية التي شهدتها حياتنا الثقافية، منذ بدء الغزوة الاستعمارية الحديثة التي شارك فيها أنصار التبنى الكامل لهذا النموذج، والقائلون بالوسط بين هذين المذهبين، شاع ويشيع الاستخدام لمصطلح (التغريب)!

- شيوع وغموض:

ومع هذا الشيوع.. يعجب المرء لبقاء هذا المصطلح محملاً بقدر كبير من التعميم والإبهام والغموض.. الأمر الذي يدعو إلى تأمل: ماذا يعنيه؟ وماذا مثلت مقولاته؟

وما هي آثاره التي تجسدت في واقع أمتنا، منذ أن هيمن عليها الاستعمار الغربي، وحضارته قبل نحو قرنين من الزمان؟

لقد جاء الغرب إلى بلادنا في غزوته الاستعمارية الحديثة، وقد وعى دروس غزوته الصليبية في العصور الوسطى فلقد كان في الغزوة الصليبية، مجرداً من الفكر والحضارة، ليس لديه ما يغري أهل البلاد التي سيطر عليها فرسانه الصليبيون، الذين كانوا كما قال الفارس المؤرخ أسامة بن منقذ (٤٨٨ - ٥٨٤هـ - ١٠٩٥م): كانوا بجائهم ليس لديهم سوى (فضيلة القتال) فلما استفزت فروسياتهم الهمجية فروسيتنا الإسلامية، واندحرت غزوتهم واستسلمت حصونهم، لم يخلفوا وراءهم - بعد قرنين من الزمان - أي أثر في عقل الأمة الإسلامية، يغري بالإقتداء والاستلهام والتقليد.. فكان جلاء قوات الغزو انجازاً كاملاً للاستقلال الوطني الكامل.. جاء الغرب في غزوته الحديثة، وهو على وعي كامل بهذا الدرس.. وكان عازماً على أن يلحق عالم الإسلام بالمركز الغربي إلحاقاً مؤبداً، فخطط منذ البدء، لتلافي مصيره في غزوته الصليبية.. فالاحتلال العسكري، لا بد يوماً أن يستفز الحس الوطني فيجلبه.. والنهب الاقتصادي لا بد وأن يستنفر المصالح القومية فتنتزع الأمة ثرواتها من مغامريه وشركاته.. والأيدي العاملة الرخيصة التي تعتصر احتكاراته جهودها، لا بد وأن يوقظ الاستغلال حسها الطبقي فتثور على هذا الاستغلال.. إذن.. كيف السبيل لتأييد تبعية علمنا الإسلامي للغرب وحضارته؟

- المركز والهامش !

لقد بدأ فأطلق على بلادنا أسماء فقبلناها، دون أن نفطن إلى أنها (طعم و طعام) يؤدي تناوله إلى ترسيخ فكرة: أن الغرب هو المركز وما عداه فهو الهامش - التابع فالشرق الأدنى هو كذلك لأنه الأدنى من المركز الغربي.. وكذلك الأوسط والأقصى، إنه وحده وحدة القياس، ثم مضى على هذا الدرب، حتى غدت مفاهيمه وتجاربه ومذاهبه، بل وتقاليعه التي تغربت، كمعايير ووحدات قياس، عندما يذكر أمر من الأمور.. فليبراليتها هي النموذج للبراليتنا، وشموليتها هي النموذج الشموليين منا.. ومذاهبه الأدبية والفنية هي الغاية والنموذج.. وفلسفته هي الفلسفة.. والروح المادية الحاكمة لعلوم الإنسانية هي التي سرت في دراساتها لهذا العلوم الإنسانية.. وكل ما هو غربي فهو المتحضر، وما عداه رجعية وتعصب وتخلف متلكيء في مجرى تطور التاريخ.

وعلى درب " التغريب " هذا، وفي ميادينه يستطيع الباحث أن يرصد الكثير من المعالم والشواهد التي مثلت - وما تزال - " جهوداً ومعارك وأفكاراً ودعوات " حاول بها الغرب وعملاؤه، والذين خدعوا بمقولاته أو اندهشوا وانبهروا بزخرف دعاويه، إغواء أمتنا بالالتحاق بحضارته الغربية والتخلي عن دري " التواصل الحضاري " الذي يجعل نهضتنا المأمولة ذات امتداد متطور لحضارتنا المتميزة.. فـ " بالتبشير " خلق لمذاهبه الدينية ركائز وكنائس في بلادنا، انتزعت أرضاً التحقت بمراكز اللاهوت في بلاده.. وكان ذلك على حساب إسلامنا حيناً، وعلى حساب كنائسنا الوطنية الشرقية في أغلب الأحيان.

- جانب من دور الاستشراق:

و" بالاستشراق " الذي ارتاد أعلامه ميادين تحقيق مخطوطات تراثنا، والكتابة عن مذاهبنا وفرقنا ومجتمعاتنا.. سلط الضوء على كل ما يؤدي إلى ضعفنا وتشرذمنا، لتسهيل التبعية ويتيسر الإلحاق.. فتوجهت جهود كثيرة من الدراسات الاستشراقية، لتسليط الأضواء على لفرق الشاذة، والأقليات النافرة، والمذاهب الدخيلة، تعطيها أكثر من حقها، وتضفي عليها جمالاً لا تملكه.. وبثبت أغلب هذه الدراسات في عقول قرائها، إن أسلافنا ل يكونوا غير نقلة وحفظة لتراث اليونان، ليتولد فذ هذه العقول اقتناع باستحالة إبداعنا لمستقبل متميز ونهضة مستقلة، طالما أن التميز والاستقلال ليسا أكثر من خرافة، حتى في تاريخنا الحضاري وتراثنا الذي نفخر به ونتيه.. وحتى الدراسات التي لم تقل ذلك، ولم تقصد إليه، جعلت معاييرها في تقييم تراثنا معايير غربية، فأسهمت هي الأخرى في تكريس روح التغريب في ثقافتنا المعاصرة.

وانطلاقاً من المعايير الغربية التي جعلت حضارة الغرب، وتطوره التاريخي وحدة القياس في كل شيء، شهدت ساحات الفكر في بلادنا - تحت هيمنة الاستعمار ودعاة التغريب - الكثير من الدعوات التي قامت حولها

المعارك الفكرية.. فالمستشرقون يدرسون مقدساتنا كتاريخ بشري، لا قداسة له.. وفي هذه الدراسات غير الخطأ والجهل والمغالطات، غمز ولمز كثير.. وعلى هذا الدرب سار منا نفر، تناولوا بعضاً من مقدساتنا بنفس الروح وذات المعايير.

واللاتينية عندهم قد أخلت المكان للغات القومية.. فأيناهم يدعون إلى دفن العربية، وإحلال العاميات المحلية مكانها.. متجاهلين الفروق الموضوعية التي تميزنا عنهم في هذا الميدان.. فنحن أمة واحدة، أما هم فقوميات وأمم عدة.. وأن العربية، فضلاً عن أنها رباط الوحدة القومية للأمة الواحدة، فهي لسان "الإسلام- الدين" ولم تكن كذلك لاتينيتهم في علاقتها بالمسيحية.. والذين دعوا إلى ذلك، لقصور زعموه في وفاء العربية بمتطلبات النهضة العلمية الحديثة، لم يقولوا لنا: كيف استطاعت العربية يوماً أن تكون لسان العلم العالمي؟.. ولم يقولوا لنا- أيضاً هل ستنهض بهذه المهمة- خيراً من العربية- العاميات المحلية؟ ولم يقولوا لنا- أيضاً هل ستنهض بهذه المهمة- خيراً من العربية- العاميات المحلية؟ لم يقولوا شيئاً من ذلك، فلقد كان الهدف واضحاً: إزاحة العربية لمصلحة اللغات الغربية الوافدة، واستخدام التعددية في اللهجات العامية، لتفصم عروة وثقى من عرى وحدة الأمة.. وفوق ذلك وقبله، جعل العلاقة منبته بين حاضرنا ومستقبلنا، وبين تراثنا الحضاري المكتوب بالعربية، وذلك حتى لا يكون هذا الحاضر والمستقبل الامتداد لماضي الأمة الحضاري، وإنما الهامش التابع للمركز الغربي وحضارته الغربية، فلما فشلت هذه المعركة، خاضوا معركة أخرى دعوا فيها إلى الإبقاء على العربية مع كتابتها بالحرف اللاتيني، لتغرب الأمة وتغرب عن دينها وتراثها.. تحقيقاً لذات الأهداف المبتغاة من "التغريب"!

- التحديث:

وحتى يوهننا بأن "تقدمنا" لا بد ولأن يكون "تحديثاً" على النمط الغربي، وأن خيارنا في الخلاص من مشكلاتنا لا بد وأن يكون "خياراً" غربياً ذهبوا يوهموننا بوحدة نمط التطور في تاريخنا وتاريخهم، منطلقين من الاستعلاء الذي يريد أن يفرض على الأمم والشعوب "النمط الغربي" لا للمستقبل فقط، وإنما للماضي وتطوره الحضاري أيضاً!، فكما كانت علاقة دينهم بدولتهم "كهانة وثيوقراطية وتفويضاً إلهياً وحكماً بالحق الألهي" زعموا أن إسلامنا كان كذلك، وأنه قد جعل خلافتنا الإسلامية حكماً مطلقاً، الخليفة فيه يستمد سلطانه من الله، لا من الأمة.. وولايته على دين الناس وديانهم عامة ومطلقة كولاية الله سبحانه، ورسوله ﷺ، على الناس ولما كانت مسيحياتهم قد طلبت أن يدع الناس ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، لأنها رسالة روحية مهمتها خلاص الروح وتنظيم مملكة السماء، ولا دخل لها في سياسة الدولة، وتنظيم المجتمع، وتنمية العمران المدني.. فلقد حاولوا تصوير إسلامنا مسيحية، ليجردوه من جوانبه المدنية، فزعموا

(أن محمداً ﷺ، ما كان إلا رسولاً لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك، ولا دعوة لدولة، وإنه لم يكن للنبي ﷺ ملك ولا حكومة، وإنه ﷺ لم يقم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتهما، وإنه ما كان إلا رسولاً كماخوانه من الرسل، وما كان ملكاً ولا مؤسس دولة، ولا داعياً إلى ملك). وهم بذلك لا ينكرون حقائق التاريخ وحدها، بل ويتنكرون لحقيقة التمايز بين الحضارات والأمم في أنماط التطور.. فإذا كانت هيمنة الكنيسة على الدول والمجتمعات الغربية، قد أصابتها بالجمود والجهل والتخلف في كل الميادين، فإن احتكام أمتنا إلى شريعتها هو الذي أثمر أزهى عصور ازدهارنا الحضاري، وقمة استنارتنا، ولم تدخل أمتنا إلى طور التراجع والتخلف والجمود إلا عندما أزاحت دول العسكر المماليك الصبغة الإسلامية عن قطاعات من الواقع، وعن القانون الذي ينظم حركة هذا الواقع.

- دوائر الولاء:

ولما كانوا قد حلوا مشكلة استبدال كنيستهم بدولتهم وفق " المعيار الإنجليزي ": " دع مالقيصر لقيصر، وما لله لله "، فلقد أرادوا أن تكون " علمانيتهم " التي تفصل " الدين عن الدولة "، هي النهج الذي يحكم علاقة الإسلام بالسياسة في بلادنا، فارتبط تزايد نفوذهم الاستعماري بين طهرانينا، باستبدال قانونهم المعبر عن فلسفة حضارتهم- بفقهاء المعاملات الإسلامي، الذي هو القانون الطبيعي للأمة الإسلامية، المتسق مع عقيدتها والحقق لمقاصد شريعتها، والذي تكن له الاحترام.

وعلى عكس مفهوم حضارتنا " للأمة "- وهو المفهوم الذي برئ من عصبية العرق- حتى لقد وفق وجمع وألف بين الولاء للدوائر " الوطنية " و" القومية " دونما تعارض أو تناقض.. على عكس هذا المفهوم رأيناهم يزرعون في واقعنا الفكري والسياسي " المفاهيم القومية " للحضارة الغربية فقامت، تبعاً لها، في عقول البعض وتوجيهاتهم وبرامج أحزابهم التناقضات بين هذه الدوائر، ورأينا من يقف عند الدائرة " الوطنية " دون " القومية " ومن يهمل، بل وينكر الدائرة " الوطنية " و" الإسلامية " معاً، مانحاً ولاءه فقط للدائرة " القومية " لأن المفاهيم والمعايير الغربية لهذه المصطلحات، وتطبيقات تلك المفاهيم، قد صنعت ذلك في التطور القومي للأمم الحضارة الغربية.

- الميراث والحقيقة:

نعم.. لقد نجح الغرب الاستعماري، مستخدماً سلطانه السياسي والعسكري والاقتصادي، ومستفيداً من هيمنته الاستعمارية على ميادين التأثير الفكري وأدواتها في بلادنا، ومستنداً إلى الإنجازات الرائعة، التي حققتها نهضته الحضارية الحديثة.. نجح في خلق " نخبة " و " صفوة " متغربة من أبناء أمتنا، أغلبها سلك

هذا السبيل عندما انبهر بروعة الحضارة الغربية وهو يقارنها بتخلفنا الموروث عن نظم وأحقاب دول العسكر الترك والمماليك، ظاناً أن هذا " الميراث " هو حقيقة الإسلام وحضارته، فاعتقد- " مخطئاً - ومخلصاً " أن السبيل إلى التقدم وغلى كغالبية الغرب، والانعقاد من قيوده الاستعمارية، هو في استعارة الحضارة الغربية بحلوها ومرها، بخيرها وشرها، فدعا إلى أن نكون غرباً، نصيب كما يصيبون، ونخطئ كما يخطئون.. وحتى يدعم من منطلقات هذه الدعوى ويجمع لما المبررات، ذهب ليوهم الأمة أنها والغرب يجمعهما جامع حضاري واحد هو حضارة البحر المتوسط، وأن هذا الجامع هو أكثر الجوامع الحضارية أصالة ومتانة وجدوى في تاريخنا، وأن غيره من التأثيرات الحضارية- أفريقية- أو آسيوية " إسلامية " - إنما هي عابرة وسطحية وموقوتة.

وإنصافاً للحقيقة، ولهذا الفريق من النخبة و " الصفوة " المتغربة، فإن الكثيرين من أعلام هذا الفريق، قد عاد- بعد مرحلة الانبهار- فراجع موقفه، وانحاز إلى الخيار العربي الإسلامي، ومنهم من انتقد مرحلة " تغربه الفكري " ومنهم من قال ذلك، عملياً من خلال، الاهتمامات التي ركز عليها في إنتاجه الفكري الجديد.. لكن فريقاً آخر من الذين تغربوا لم يكن دافعهم إلى تبني هذا (الخيار) و الدعوة إليه(خطأ المخلصين) المنبهرين بالحضارة الغربية، والساعين إلى إنحاض الأمة كي تتحرر من هيمنة استعمارها.. وإنما كان دافعهم الكراهية للإسلام و الرغبة في إزاحة نمطة الحضاري عن النهضة المنشودة، فكان النموذج الغربي في الحضارة هو البديل، الذي ليس لديهم سواه، كي لا تصطبغ نخصتنا بالإسلام الذي يكرهون.

- جهد على الجبهة الحضارية:

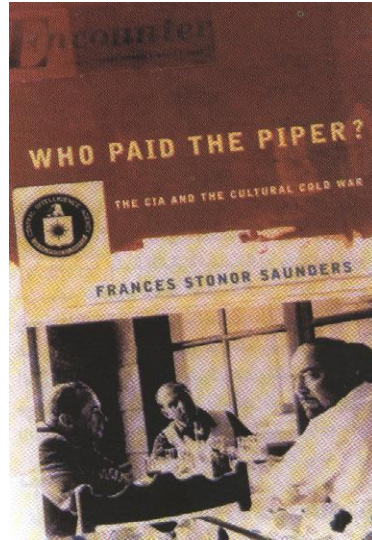
وهذا الفريق من المتغربين هو الذي تكون من عدد من المسيحيين الشاميين، الفارين من تسلط الدول العثمانية، فتبلور تيارهم المتغرب على أعتاب دار المعتمد البريطاني في مصر، ثم جعلوا من صحيفة المقطم سنة(١٨٨٩-١٩٥٢م) مدرسة لهذا اللون من فكرية التغريب.. ولقد نحنا نحوهم وسار على دربهم نفر ضئيل من أبناء مصر وغيرها، حمل للإسلام العدا الذي يحملون.. وكان سلامة موسى سنة (١٨٨٨-١٩٥٧م) الصوت العالي لهذا الفريق.. فهو القائل: إنه إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة، لأنها تقوم على أصل كاذب، فإن الرابطة الدينية وقاحة، إننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا.. ونحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان.. وحكومة ديمقراطية برلمانية، كما هي في أوروبا، وأن يعاقب كل من يحاول أن يعلها مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون، أو " توراتية " ودينية، وكلما ازدادت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضه.. يجب عاينا أن نخرج من آسيا، وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهيتي له وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد حبي لها وتعليقي

بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي سراً وجاهراً، فأنا كافر بالشرق مؤمن بالغرب. هكذا أرادوا بالتغريب، نفي " الإسلام الحضاري " عندما أنكروا التمايز الحضاري تاريخياً، والتعددية الحضارية للأمم العريقة في مواريتها الحضارية، ومن ثم أنكروا التمايز في سبيل اليقظة والنهضة الحديثة، وأرادوا بـ " الخيار الغربي و التحديث " بتأييد تبعية أمتنا العربية الإسلامية للمركز الغربي والهيمنة الغربية.

وهكذا وجدت دعوات اليقظة الإسلامية وحركاتها وجماعاتها منذ أواخر القرن التاسع عشر أن التحديات والعقبات التي تواجهها وتجاهها، قد أضيفت إليها مخاطر "التغريب" فكان عليها أن تبذل جهداً ملحوظاً على الجبهة الحضارية، لصياغة مشروع حضاري عربي إسلامي، يكون دليل اليقظة الإسلامية إلى النهضة المستقلة استقلالاً حقيقياً عن الحبال والشراك التي صنعها ويصنعها الاستعمار على جبهة " فكرية التغريب"، ومنذ تلك المرحلة أضيف هذا التحدي إلى المهام الأولى لليقظة الإسلامية.. مجابهة الجمود بالاجتهاد والتجديد.. والتصدي للغزوة الاستعمارية بالجهاد والتحرير^{١٨٠}.



١٨١



كتاب: من الذي دفع للزمار؟ ال (سي. آي. إيه) والحرب الباردة الثقافية^{١٨٢}

١٨٠ - مجلة العربي، الكويت، العدد ٣٤٥- السنة ٣٠- ذو الحجة ١٤٠٧هـ/ أغسطس (آب) ١٩٨٧م، التغريب، ماذا يعني؟، د. محمد عمارة، ص ٣٠- ٣٤.

١٨١ - جريدة الدبور، دمشق- سوريا، العدد ٣٨- الثلاثاء ٢٢ آب (أغسطس) ٢٠٠٦، سعدو وجنبلاط ينبحان.. والقافلة تسير، ص ٧.

١٨٢- مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٢١، محرم ١٤٢٣هـ/ أبريل ٢٠٠٢م، من الذي دفع للزمار؟ ال(سي. آي. إيه) والحرب الباردة الثقافية، تأليف: فرانسيس ستونور سوندرز، عرض: كامل يوسف حسين، ص ١٨٨- ١٩٣

نماذج من الغباء الحاقق الأوروبى والتبعية الغبية فى الطابور

الخامس فى موقع الهجوم على اللغة العربية العظمى

شهد القرن العشرين زحف أوروبا الاستعماري إلى المنطقة العربية خاصة، مغرباً ومشرقاً، وعلى الإمبراطورية العثمانية عامة، واختتم هذا الزحف فى العقد الثانى من هذا القرن بالقضاء على الإمبراطورية واحتلال الأقطار العربية فى المشرق وتقاسمها بعد الحرب (العالمية) الأولى (١٩١٤-١٩١٧) بموجب معاهدات أهمها (سايكس- بيكو) ويصدر وعد بلفور / ٢٩ تشرين الثانى ١٩١٧/ الذى أسس لإنشاء "إسرائيل" كما هو معروف.

وفى ظل انتشار الأمية فى الوطن العربي، وتراجع اللغة العربية وضمور الشعور القومي، وسيطرة اللغة التركية، وتسلب القومية الطورانية، وانتشار دعوات التبشير الدينى المسيحى والجهود الاستشراقية الموظفة استعمارياً فى الوطن العربي، ووجود النفوذ الغربى بشكل مباشر أو غير مباشر فى معظم الأقطار العربية، وشيوع موجة دعوة إلى اليقظة والتحرر عربياً على أساس تقليد الغرب والاعتماد عليه، وانبهاراً بقوته وانخداعاً بوعوده، فى ظل هذه الظروف قامت دعوة صريحة لنبد العربية الفصحى والاستعاضة عنها بالعامية- لاسيما فى مصر- ودعوة لاستبدال الحرف العربى بالحرف اللاتينى فى الكتابة، هذا فى المشرق العربى أما فى المغرب فكانت الخطة موضوعة لإحلال الفرنسية محل العربية بشكل مطلق والنظر إلى تلك المنطقة على أنها حوض ثقافى فرنسى لا يجوز أن تتراحم اللغة الفرنسية فيه لغة أخرى.

ولكن إذا نظرنا إلى أفق المخطط فى ضوء الأهداف البعيدة والمرحلية فإن الغاية تظهر لنا جلية.

فقد كان كرومر يصرح ببعض أهداف المخطط منذ زمن فى مصر، وقد جعل القرآن الكريم العقبة الكؤود فى طريق ارتقاء مصر والأمة الإسلامية، ويقول كرومر: (وهو المسئول عن تفهقها^{١٨٣}).

وكان وليم غلادستون رئيس وزراء بريطانيا، وقد رفع القرآن بيده فى مجلس العموم البريطانى، قد قال للنواب: (ما دام هذا الكتاب بيد العرب والمسلمين فلن تقوم لنا بينهم قائمة).

لقد كان هذا هو التوجه العام والموقف المحدد من العربية فى نهاية القرن التاسع عشر.

وجاءت الدعوة إلى العامية والتمصير والحرف اللاتينى أول ما جاءت على لسان مستشرق ألماني يعمل فى مصر، التى كانت تحت سيطرة النفوذ الإنجليزى.

١٨٣ - الفكر العربى الحديث ص ٨٢، تأليف منير مشابك موسى، منشورات دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٣، عن جريدة المؤيد المصرية ١٩٠٨م، وكذلك شبلى شميل. نقلاً عن: مجلة الكتاب العربى، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، السنة ١٨- العدد ٤٦- كانون الأول- ديسمبر- ١٩٩٩، الفصحى والعامية ولغة الحوار المسرحى، د، علي عقلة عرسان، ص ٩- ١٠.

فقد وضع فلهم سبيتا D.R Wilhilm Spitta مدير دار الكتب المصرية آنذاك كتاباً في عام ١٨٨٠م بعنوان: " قواعد اللغة العربية في مصر " ومن هذا الكتاب انبثقت الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة أدبية، ومن هذا الكتاب انبثقت الشكوى من صعوبة الفصحى، وفي هذا الكتاب أيضاً وضع أول اقتراح لاتخاذ الحروف اللاتينية لكتابة العامية، تلك الحروف التي نودي بها فيما بعد لكتابة العربية الفصحى وقد ناصر هذه الدعوة وعمل لها وتابعها بنفس استعماري تخزيني للثقافة العربية والعقيدة الإسلامية، وللانتماء القومي معاً، مستشرقون استعماريون، وتلامذة وأعوان لهم سائرون في ركبهم أو مأخوذون به، من أبناء العربية ومن أبناء الأمة الإسلامية الذين يكتبون لغتهم بالحرف العربي، وقد كان لهم تأثير، وكان تأثير بعضهم أخطر في دعواه من الأجانب وأشد فتكاً في جسم العربية منهم.

فقد عمل كل من كارس فوللرس DR. K. VOLLERS مدير دار الكتب المصرية أيضاً، وسلدون ولور SELDON WILMOR الذي كان قاضياً في المحاكم الأهلية بالقاهرة، وباول A. PAWEL الذي عمل قاضياً أيضاً.. ووليم ولكوكس WILLIAM WILCOKS الذي كان مهندساً للري، وفيلوت D. C. PHILLOTT وجميعهم من البريطانيين، عمل هؤلاء على تكريس العامية لغة في الأدب- تأليفاً وترجمة- وعلى تحميل الفصحى مسؤولية التخلف العربي والإسلامي، واعتبارها لغة خارج العصر، خربت العقل، لا تصلح للعلم، وتسببت في جميع المشاكل للمصريين.

وحين نقف على نماذج من دعاوى أولئك وحججهم، وعلى ما ركزوا عليه وأرادوا تثبيته في العقول والنفوس، ندرك أن وراء دعاواهم وأفعالهم خطراً ومخططات تخريبية للثقافة والعقيدة والروح القومية، وتوجهاً نحو تدمير كل تطلعات الأمة العربية نحو الوحدة والتحرر والحرية، وأنهم يرمون إلى قطع ساق شجرة الثقافة العربية عن جذرها الأصيل، وتكريس التفتيت والفرقة وتثبيتهما على أسس صلبة، قطعياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً.. وفي مقدمة جهودهم كان أمر فصل مصر عن الأمة العربية، لغة وثقافة وصلات قومية ومصالح وتطلعات، وجعلها في حالة تبعية تامة للغرب.

- نموذج على الغباء والحقد الأوروبي:

يقول وليم ولكوكس وهو يعبر عن الغباء الأوروبي في التحليل- في محاضرة له بعنوان: " لم لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن " ألقاها في القاهرة عام ١٨٩٣م يقول:
(عشت في مصر أربعين سنة، فلم أجد فيها مصرياً يفكر تفكيراً حراً، فإن قوة المصريين الذهنية يستنفدها على الدوام جهدهم في أن يترجموا ما يقرأونه باللغة الفصحى إلى اللغة المصرية المألوفة، ثم هم عند الكتابة يترجمون ما فهموه بهذه اللغة إلى الفصحى، وهذا العمل ضربٌ من السخرية العقلية).

ووصف ولكوكس العرب بأنهم: (كسالى، قتلة، لصوص، قطاع طرق، جناء)، وأنذر سلدون ولمور J.SELDON WILMORE المصريين بأنه: (إذا لم تتخذ طريقة جديدة للكتابة- وأقترح اتخاذ الحروف اللاتينية للكتابة بالعامية- فإن لغة الحديث ولغة الأدب ستنقرضان وستحل محلها لغة أجنبية نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوروبية).

وقد أراد المستشرقون إحداث الشرخ الثقافي في جسم الأمة العربية بأنه وسيلة، وتحويل اللغة العربية- لغة القرآن الكريم والثقافة العربية كلها- وكل ما تحمل إلى لغة متحفية، ومقبرة للمعلومات وللتراث العربي الإسلامي كله، وعزوا نهجهم هذا بشكل مستمر وبالوسائل كلها.

يقول ولكوكس في محاضراته المشار إليها: (ومصر ستتخلص بدورها من لغتها العربية الأكاديمية، وستستخدم لغتها القومية، وستنهض جميعها كما ينهض الرجل القوي بعد سبات، وستجدد شبابها الذي عرفه العالم، وستتمتع في عالمها الجديد بفكر مبتكر، وستأخذ نصيبها الكامل من ثروة العالم العقلية، وهذا لن يحول بين الباحثين وبين دراسة العربية الكلاسيكية ولكنه سيتيح لمصر أن تأخذ مكانها بين أمم العالم المتقدمة في الأعمال وفي التجارة وفي المهنة)^{١٨٤}.

واتخذ ولكوكس من مجلة الأزهر، التي أصبح رئيساً لتحريرها، منبراً يدعو منه إلى العامية في مصر، ولم يلبث أن أعلن إفلاسه نتيجة وقوف أنصار الفصحى له بالمرصاد وعدم تجاوب الكثيرين مع دعوته، ولكن هذا لا يعني أن دعوته ماتت، بل أن حملتها تغيروا، فبدلاً من قيام المستعمرين والمستشرقين المرتبطين بهم بهذا العمل مباشرة، قام به آخرون من أهل البلاد وأهل اللغة والثقافة، اقتنعوا " بسلامة " الدعوة، وكان أولئك أحد فريقين:

- فريق مخلص للعربية ولمصر، انساق وراء الدعوة إلى القومية المصرية والتمصير، ووراء فكرة " تطوير اللغة العربية " ولو على حساب النحو والصرف وأسلوب رسم الكلمات وإدخال الجديد من الكلام كما هو، واستعمال الكلمات الأجنبية بالرسم العربي للحروف، ووصل بعض هؤلاء إلى المناداة بوضع قواعد للعامية، ودرج هذا الفريق على درب التنازلات المطلوبة بشيء من التحفظ، أو الشعور بشيء من القلق، وكان دافعه، أو دافع قلة منه، الحرص على التقدم بسلامة نية، والتعلق السياسي بالقومية المصرية، ومن هؤلاء: لطفى

١٨٤ - تاريخ الدعوة إلى العامية وأثارها في مصر ص ١٨ ؟ تأليف د. نفوسة زكريا سعيد، منشورات دار المعارف بمصر ط ١، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م. ص ٤٢، لقد طبقت تركيا الكتابة بالحرف اللاتيني واستعاضت به عن الحرف العربي عام ١٩٢٩م فانقطعت عن تراثها السابق المكتوب بالحرف العربي، وكان ذلك ثمرة لجهود وجهت ضدها وضد حرف العقيدة الإسلامية، الحرف العربي، وكان الألباني " سامي فراشيري دعا إلى استبدال الأبجدية العربية بأخرى لاتينية، وكانت لهذه المحاولات أثرها على اللغة الألبانية أولاً، التي أصبحت باللاتينية رسمياً منذ استقلال ألبانيا أولاً، التي أصبحت تكتب باللاتينية رسمياً منذ استقلال ألبانيا ١٨١٢م مما شجع لاحقاً الكماليين في تركيا الحديثة. " عن: الوجه الآخر للاتحاد والترقي- تأليف: د. حسن كلش- ترجمة: د. محمد أرناؤوط ص ٣٦. نقلاً عن: مجلة الكتاب العربي، مصدر سابق، ص ١١.

السيد ورفاعة الطهطاوي ومحمود تيمور وأمين الخولي، وقاسم أمين الذي قال: (إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم أما نحن فنفهم لكي نقرأ)، وربما كان على حق؟ -! فلم يكن عربياً - وهذه صيغة من السخرية التي تكلم عليها ولكوكس؟!.

- وفريق تبني الاستشراق الاستعماري بحماسة ووضوح أهداف واختيار مناهج وأساليب، فدعا إلى نبذ الفصحى بعد أن حملها مسؤولية التخلف واتهمها بالجمود والفقر والبدائية والتحجر والعقم والموت. ويتمسك نفر من هذا الفريق بالعامية وبكتابتها بالحرف اللاتيني، ودعا أفراد من ذلك الفريق إلى نبذ العروبة صراحة وكل ما تحمله العربية ضمناً، ومن هؤلاء: عبد العزيز فهمي وسلامة موسى وأنطوان يزيك ونجيب الريحاني، ومما قاله نجيب الريحاني وهو يعبر عن نموذج دعم الغباء الحاقدي في الطابور الخامس في هذا المجال: (اللغة العربية لا تصلح ليس فقط للتمثيل والمسرح بل هي لا تصلح أيضاً لأن تكون أداة تفاهم في الحياة، وليست اللغة العربية لغتنا إنما نحن متطفلون عليها وقد سرقناها من العرب أصحابها.. أخيراً اللغة العربية لغة يجب أن نحوها من قواميسنا وصحفنا ولا ننطق أو نتكلم بها مطلقاً فلا هي تصلح لنا ولا نحن نصلح لها). جريدة "الصباح" المصرية ٢١/ يولييه ١٩٢٩م.

ومن هذا الفريق أيضاً زكي رستم وجورج زنايري وأمين شميل وأسكندر المعلوف وجورج الكفوري ومارون غصن، والقس يوسف حبيقة وبطرس حبيقة وميشال فغالي وفيليب حتي، وأخيراً أنيس فريجة وفارثيل نخلة اليسوعي، وتلامذة هذا التيار ما زالوا يعملون ويأملون، ومن لا يعرف جهود سعيد عقل في دعواه وكتبه التي أصدرها بالحرف اللاتيني: يارا، وترجمة مكبث، وشعراء فينيقيا، وآيات وصور؟!.

ويكاد يلخص دعوة الفريق الأول تقريباً قول لطفي السيد: (نريد أن نرفع لغة العامية إلى الاستعمال الكتابي، وننزل بالضرورة من اللغة المكتوبة إلى ميدان التخاطب والتعامل، فلا تكون النتيجة إلا أننا نكتب مفهوماً ونتحدث الأحاديث العربية الفصيحة)، وقوله هذا فيه اعتدال الفريق ووعيه بالمشكلة واجتهاده لحلها، وليس كل أفرادهم ذهبوا هذا المذهب، ولا كل مراحلهم في التفكير والتعبير كذلك.

ويكاد يلخص دعوة الفريق الثاني وخلفياته وأعراضه ما يقوله سلامة موسى، وما يقوله هو في جوهرة ترديد تام لأقوال سبيتا وولكوكس من موقع تأثير مغاير، حيث يدعو موسى معبراً عن نموذج التبعية الغبية والحاقدة في الطابور الخامس إلى: (اصطناع العامية لغة أدب، والكتابة بالحروف اللاتينية، لأن هذه الكتابة تضمننا إلى مجموعة الأمم المتعدنة، وتكسبنا عقلية المتمدنين).

ويوضح رأيه ورأي فريقه بشكل أفضل بقوله: (فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح العرب ويعجب بأبطال بغداد بدلاً من أن يشرب الروح المصرية ويدرس تاريخ مصر، فنظره متجه أبداً إلى الشرق، وثقافته

كلها عربية شرقية، مع أننا في كثير من الأحيان نحتاج إلى الاتجاه نحو الغرب، والثقافة تقرر الذوق والنزعة وليس مصلحة الأمة المصرية أن ينزع شبابها نحو الشرق).

ولا يترك سلامة موسى وفريقه غطاء ولا سترأ على دعوتهم التي هي استمرار لدعوة الاستشراق الاستعماري، وترديد لأفكارهم ومقولاتها، حين يقول عن اللغة العربية الفصحى في كتابه: " **البلاغة العصرية واللغة العربية** ": (تراث لغوي يحمل عقيدة اجتماعية يجب أن نحاربها) ويهزأ في موضع آخر منها قائلاً: (ليست لغة الديمقراطية والأتومبيل والتلفزيون، بل لغة القرآن وتقاليد العرب).

وهل بعد هذا التصريح من حاجة للاستيضاح والتوضيح؟.

وفي مقابل هذا التيار، وفي طرفه المتمايزين، وقف كثير من الكتاب والمجمعين والصحفيين يذودون عن **الفصحى والعروبة والإسلام**، ويفندون مزاعم **الداعين إلى العامية**، ويردون على حججهم وأقوالهم وآرائهم، ومن أبرز أولئك: مصطفى صادق الرافعي وعبد الله النديم وعبد العزيز جاويش ومحب الدين الخطيب و خليل اليازجي ولويس شيخو اليسوعي وأنور الجندي وطه حسين وعباس محمود العقاد وعمر فروخ وزكي الأرسوزي وساطع الحصري ومحمد رضا الشبيبي، الذي أعلن في مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٥٧ انتصار الفصحى في معركتها مع العامية- ولكن يبدو أن المعركة تستأنف!؟

وتلا أولئك كثيرون جداً، ولكن لا تفوتنا الإشارة إلى نفوسة زكريا سعيد، ود. بنت الشاطئ (عائشة عبد الرحمن) وشوقي ضيف وعبد الله العلايلي وسعيد الأفغاني وراتب النفاخ وعبد الغفور حسين، من المتأخرين. ويكاد يلخص قول عباس محمود العقاد توجه هذا التيار وآراءه، وما أغزر الآراء التي قدمها هذا الفريق وما أقدرها، إذ يقول العقاد: (ومن واجب القارئ العربي- إلى جانب غيرته على لغته- أن يذكر أنه لا يطالب بحماية لسانه ولا مزيد على ذلك، ولكنه مطالب بحماية العلم من خسارة فادحة تصيبه بما يصيب هذه **الأداة العالمية** من أدوات المنطق الإنساني، بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال، وأن بيت **القصيد** هذا أعظم من القصيد كله، لأن السهم في هذه الرمية يسدد إلى القلب ولا يقف عند الفم واللسان، وما ينطق به من كلام منظوم أو منشور)، ويمكن أن نرصد في نقاط بعض خلاصيات آراء أنظار الفصحى وحججهم بوجه عام.

- أنصار الفصحى لأنها:

- ١- لغة القرآن والتراث العربي الإسلامي، ومقوم رئيس من مقومات وحدة الأمة العربية.
- ٢- وسعت كل شيء، وفيها قدرة على الاشتقاق والنحت تمكنها من أن تستوعب كل جديد وتواكب تطور الزمن، ولأن مرونتها وتمثلها للمعرفة، وقدرة أهلها على التعريب، كل ذلك يمنحها حيوية كبيرة.

٣- لغة بلغت الكمال منطقاً وقواعد، ودقة مفردات، وغزارة مخزون، وبلاغة وشاعرية ودلالة، وما يستعمل من مخزونها قليل قياساً على غناها وما تملك من مخزون.

٤- ما يظهر من عجزها هو عجز في أبنائها، وتطويرها مطلوب وضروري في إطار السلامة والفصاحة والحفاظ عليها في خصوصيتها وخصائصها جميعاً.

٥- لا بديل عنها عند أبنائها بوصفها لغة للتخاطب والكتابة والعلم والفكر والأدب والفن، فهي تجمع الأمة، وتضم مراحل تاريخها المعرفي، وتحمل جوهر الصالة، وتمكن من التأصل، وتحمل قدسية العقيدة وتصونها بصيانة القرآن الكريم لها.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (٩) سورة الحجر

٦- أطول اللغات عمراً، وأقدرها على التعبير، وأكثرها اتصالاً قديماً بجديد، وتمكن المتعامل معها من فهم أقدام النصوص بيسر.

٧- ليست جامدة ولا مغلقة ولا عقيمة، ولا تعرف التحجر، وإذا فرض شيء من ذلك عليها بسبب الجهل فلا يعني هذا أنه جوهر فيها.

٨- الدعوات المناهضة لها والحملات التي تشن عليها والهجوم المستمر ضدها، كل ذلك مرتبط بشأن آخر غير اللغة والعلم والحياة، إنه يتصل بأغراض سياسية استعمارية، وبغزو صليبي مستمر، وغزو ثقافي يتناول ليصل إلى الشخصية الثقافية العربية والإسلام.

٩- ما من لغة في العالم إلا وفيها صعوبات لمن يريد إتقانها، والعربية ليست استثناء في هذا الباب، وليست استثناء أيضاً من حيث كون فصاحتها هي لغة العلم والأدب الرفيع والشعر والفن والفكر والفلسفة، فكل اللغات فيها هذه الإزدواجية بين دراجة ولغة ثقافية وكتابة وعلم.

١٠- العامية يصنعها الجهل وتستمد وجودها منه ولا يمكن أن تكون لغة علم ومعرفة دون أن يكون لها رصيد من العلم والمعرفة.

١١- إذا تم ضبط العامية ووضع قواعد لها، مع صعوبة ذلك أو استحالتة، فلا بد من بذل جهد ضخم جداً لتعلمها، وستغدو مع الزمن موضع شكوى، وستولد منها أيضاً عاميات يبنها الجهل، وتسعى لتحل محلها، وستحتاج بدورها إلى قواعد، ولا نهاية لهذا، فضلاً عن انعكاساته السلبية على المخزون الثقافي والحضاري الذي تحمله اللغة ويمكن أن يتداوله الناس.

١٢- إن المخزون المعرفي والأدبي، والمكنون العاطفي والروحي والقومي، الذي يحمل تراث الفصحى وما تمثله في الوجدان العربي والإسلامي، سيضعف أو يزول بضعفها أو بزوالها، وسيؤثر ذلك سلبياً وبشكل كبير على التكوين العام لشخصية الأمة وذاكرتها، وعلتكوين أجيالها.

١٣- إن لكل قطر عربي عامياته، بل لبعض المدن العربية عامياتها، فأية عامية تسود وتصبح لغة المدينة أو البلد أو القطر أو الأمة، وما مردود ذلك وجدواه؟؟

١٤- إن الدعوة إلى العامية دعوة مرتبطة بتكريس التجزئة، وبقطع صلة الأمة بتراثها وماضيها وعقيدتها، وهي دعوة موجهة لتمزيق العروبة وللنيل من القرآن الكريم والإسلام.

١٥- إن العامية فقيرة في مفرداتها، متغيرة في رسمها الذي يتبع نطقها المتغير، ولا مجال لضبطها على منهج، فلا يصح أن تكون لغة علم وأدب وفنون ومعارف.

١٦- إن العامية مصدرها الجهل وعدم التمكن والأمية والخطأ في استعمال اللغة وعلومها، والتقصير عن طلبها، فكيف تكون لغة مصدرها الجهل وقانونها الفوضى وأساسها التقصير، لغة علم وتقدم وحضارة؟!

وأضيف في الختام تساؤلاً: كيف يحيى عدونا الصهيوني لغة ميتة ويجهل منها لغة أدب وعلم وفن وعصر، مع امتلاكه للغات كثيرة في تكوينه الهجين، ونعمل نحن على إماتة لغة حية وسعت كل شيء، وتسع ما وسع علمنا ووعينا ومعرفتنا من أشياء إذا ما أخلصنا لها، فكيف يتم ذلك ومن أجل ماذا وتحقيقاً لأية أهداف؟^{١٨٥}

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلَّا عَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ (٤٤) سورة فصلت



الصفحات للماقدين على اللغة العربية الفصحى

إن اللغة العربية الفصحى أصل اللغات العالمية ؛ لها جذورها وأصولها، وألفت في علومها مئات الكتب والمصنفات عبر قرون عديدة؛ بأقلام باحثين متخصصين، لم يتركوا فيها كبيرة أو صغيرة إلا وأشبعوها دراسة وتأصيلاً..

لقد أثبتت وجودها كلغة عريقة عميقة الجذور، إنها صرّحٌ طبيعيٌّ شامخٌ، حفر عليه، وبه تاريخٌ وأنسابٌ وأحسابٌ وأصولٌ وفكرٌ وعاداتٌ وتقاليد، ووجدان، إنها رابطةٌ لأمة كان لها دورها الواضح وأثرها العميق في التاريخ الإنساني، وهي المعيرة عن شخصية هذه الأمة، وهي تضاهي أكثر اللغات العالمية شهرةً وسيادةً، كالإنكليزية والصينية والاسبانية واليابانية^{١٨٦}.

بل تتفوق على كل اللغات، وأية واحدة من تلك اللغات العالمية ما هي إلا لغةٌ فصحي للناطقين بها، هي اللغة الأساسية الأم عندهم، يتمسكون بها، والعديد من أصحاب تلك اللغات، خاصة علماء اللغات الأوروبية الماقدنين والمتعصبين كلُّ فريق منهم يعتبر أن لغة أمته هي اللغة الإنسانية الحقيقية الصحيحة، أما لغات الأمم الأخرى أياً كانت، فما هي بلغات حقيقية، بل هي أصوات كأصوات الطير أو الحيوان أو الريح.. حسب زعمهم.

ومع أن لكل أصحاب لغةٍ من تلك اللغات لهجات محلية، عامية، لا تعرفها إلا جماعات قليلة محدودة بقرية أو قبيلة أو مدينة صغيرة، لكن، لا يخطر في بال أحدهم أن يطعن باللغة الأم، أو أن يحاول إحلال اللهجات العامية مكانها، بل ويعملون جاهدين على تدعيم أسس اللغة الأم، وتوسيع رقعة البلاد الناطقة بها، وتعميمها كما يفعل الإنكليز عن طريق ما يسمى بدول (الكومونولث)، أو الفرنسيون، عن طريق ما يسمى (الفرانكوفونية).

وكثيرون غيرهم يعملون على بعث لغاتهم الأساسية الأمّات بعد أن انقرضت أو كادت تنقرض كاللغة العبرية.. لأنهم يعرفون ويدركون تماماً معنى أن تكون لهم لغة تجمعهم، وتحوي فكرهم، وتعبر عن وجدانهم الجماعي، وتجعل لهم مكاناً تحت الشمس بين شعوب العالم.

هل يتخيل أحد أنه من الممكن أن يتخلى الإنكليزي عن أنكليزته الفصحى، أو الفرنسي عن فرنسيته الفصحى، أو الألماني أو الروسي أو الصيني..!؟

إن الأمثلة والشواهد على الخطأ مثل هذا التخيل كثيرة، لا مجال لذكرها، والمتخصصون باللسانيات وفقه اللغة من كل شعوب الأرض يعرفون ذلك تماماً.

١٨٦- اللغة اليابانية: مشتقة من اللغة الصينية.

ومع ذلك يأتيك باحث حاقد ومتعصب مدفوع بدعوى أعداء العرب، أو مأجور، ومدفوع له راتب محدد من الدولارات فيكرس كل جهده ويبدل كل طاقته للطعن باللغة العربية الفصحى، ولتلميع وتبرير ترويح اللهجات العامية العربية وإحلالها محل العربية الفصحى، مدركاً أو غير مدرك لخطورة دعوته على كيان الأمة وفكرها ومعتقداتها ووجدانها، ووجودها، وأنه، بدعوته تلك، إنما يدعو إلى تفكيك رابط من أهم روابط أفراد وجماعات أمة بكاملها، وإلى تفكيك وتحويل أمة عظيمة إلى عشائر صغيرة أو طوائف ضعيفة فقدت هويتها، واغتربت في أرضها، اضمحلت وتلاشت مكانتها بين كتل أمم ضخمة.

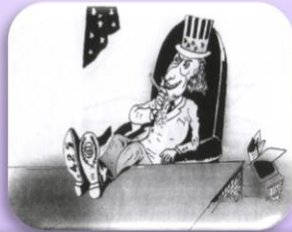
إنها دعوة للقضاء على الأمة، والذي يدعو إليها ليس باحثاً نزيهاً، ولا يشبه العلماء في شيء، ولو أن ألمانياً أو فرنسياً أو إنكليزياً أو.. دعا إلى مثل دعوته تلك بين شعبه، لما تلقى جواباً إلا الصفعات، ولن يدري من أين تأتيه اللكمات، ويستحق ذلك، لأنه في الحقيقة، ليس إلا عدواً لأُمته..^{١٨٧}.

اللغات السرية عند الجماعات اليهودية

وكان أعضاء الجماعة اليهودية يستخدمون اللغة السرية لمناقشة الأمور التي تهمهم دون أن يفهم أحد من المحيطين بهم، خصوصاً في الأسواق، مما كان **يسهل عملية الغش التجاري والاحتيال**، وكثيراً ما كان اللصوص يتعلمون هذه اللغة لاستخدامها بين الناس دون أن يفهمهم أحد.

ولذا، حينما قام موظف روسي بإعداد معجم عن لغة اللصوص السرية في أواخر القرن الثامن عشر، ظهر أن كثيراً من الكلمات ذات جذور عبرية أو أصلها عبري.

وقد أخذ هذا دليلاً على اشتراك أعضاء الجماعة اليهودية وتورطهم في عالم الجريمة..



١٨٧- الإلحاد والإيمان بين المادة والروح، المنارة، الصفحات للحاقدين على اللغة العربية الفصحى، د.ط، د.ت، ص ٢١٤ - ٢١٦، (بتصرف).

الدفاع عن اللغة العربية هو الدفاع عن الوطن والأمة

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ يوسف، ٢.

كما هو حال الأمتين العربية والإسلامية، تتعرض اللغة العربية إلى هجوم ساحق من قبل بعض اللذين أضخوا يستعملون الأسلحة المدمرة كلها والتي تستعمل لقتل الذات العربية، وسحق القيم الإسلامية. قد يبدو السؤال - الذي يفرض نفسه في هذا المقام - بسيطاً إلى حد السذاجة، ولكنه يظل وارداً ومشروعاً في الوقت عينه.

لماذا تتكاثر الهجمة الشرسة من قبل الحضارة الأوروبية الأمريكية المريضة إنسانياً وطابورها الخامس في المنطقة العربية الإسلامية على اللغة العربية، وتنحصر غاية الشعبويين والتغريبيين في إزاحتها بل وإخراجها من الحياة؟!

وهل تشكل خطورة على أمن أولئك الخائفين على أمنهم من العرب والمسلمين حتى كان توجههم نحو إلغائها وإحلال (لغاتهم) محلها؟!

وللإجابة عن ذلك التساؤل، لا بد من الاستشفاع بالتاريخ، والمعنى الحيوي والأخلاقي لماهية اللغة العربية وغاياتها الدنيوية والأخروية سواء بسواء، فاللغة العربية هي التطور المعنوي وبالتالي الشرعة الحضارية للغات المجموعات البشرية بحيث شكلت الحافز التاريخي للتسلسل الحضاري الذي قامت عليه إنسانية الإنسان وبالتالي حضارته في أنماطها المختلفة، فهي التطور الفعلي للفينيقية والآرامية والآشورية والكلدانية، وباختصار شديد هي عصارة أو زبدة الحراك الحضاري الذي شهدته الشرق في مجال (العقل، العاطفة، الفكر والأدب والفلسفة والعلم..).

فهي تجذر الوجود البشري منذ فجر التاريخ، وهي أزلية الوجود الذي أعطى الإنسان هويته الجوهرية التي يقوم عليها إنسانيته، لذا فهي القيمة الأخلاقية الناظمة للعلائق المجتمعة في توجهها نحو الأمن والطمأنينة والسلام.

وقد عز من شأنها أن تكون - حصراً - في هذا الحيز الجغرافي المثل الذي أخذ خصوصيته منها، وعليه ومن أجلها كان هذا (الحيز) مهبط الديانات ومنبع الرسائل التي عنيت بالإنسان انطلاقاً من كونه شكلاً تمثل من عنصر واحد، وهو - بجوهره - الوارث الأوحده والممثل الأسمى للذات الإلهية على هذا التراب الطهور.

أما إذا ما غادرنا المرقب التاريخي، واختصرنا أعصرنا وأزمنة، لنقف على المرقب العقائدي (وهنا مرتبط الفرس كما يقال)، فهي الجملة الأخيرة التي شكلت دستوراً كونياً مثالياً، تحددت بوساطته اكتمالية القيمة الأخلاقية والوجدانية.

وهي الجملة الأولى في أنسنة مكونات الطبيعة، وتثبيت علاقة المخلوق في معطيات الخالق، بدءاً من الكون وانتهاءً بضرورات تنميته والحفاظ على البيئة فيه..

بسم الله كان المفتتح، والحمد لله كانت القناعة، وصدق الله كان الإيمان بعظمة الخالق وفضله على المخلوق (جماداً، نباتاً، حيواناً، إنساناً)، يضاف إلى (المتقدم المتعجل)، هي أيضاً لغة التحرك نحو الحق والعدل، نحو الخير والانتصار للقيم الإنسانية، في جملة (باتت ترهبهم):
الله أكبر.. حي على الجهاد.. الله أكبر.. حي على الفلاح..

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ الأنفال، ٦٠.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ الأنعام، ١١.

العزة لله ولرسوله والمؤمنين..

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ آل عمران، ١١٠.

وإذا جاز لنا أن نطوي المسافات، ونتجاوز الكثير من التفاصيل الكلية الضرورية، والجزئية الرابطة، فإننا سنتوقف عند كونها أهم الروابط العقائدية والمعتقدية لمليار ونصف يشكلون حوالي ربع البشرية من المسلمين ينطقون باسم الله في كل شيء من حياتهم اليومية وواقعهم الاجتماعي والثقافي..

وهكذا نطمئن إلى حقيقة كونها الهاجس القدسي للمسلم أنى كانت مواطنه، وأنى كان لونه، أو عرقه، لأن القرآن الكريم نزل بمعناها ومبناها ورسمها ولغتها: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ يوسف، ٢.

وهي من أهم المقومات التي تقوم عليه الذات العربية بعرقها وحسبها ونسبها وإرثها وعاداتها وتقاليدها.

أي أنها الأرضية الصلبة التي يقوم عليها معمار الأمة العربية في حيزها الجغرافي الذي يعتبر - بحق - الهدف الأساس لتوجه الإنسان العربي - وهذا حق تاريخي أملتته ضرورات الوجود - نحو امتلاك هويته.

إن ما تقدم مع تفاصيل كثيرة فيها الكثير من الخصوصية والفردانية، يتنادى أعداء العرب والمسلمين لتغيب اللغة العربية، لإلغائها، لمصادرة خصوصياتها، لتغيير هيأتها، لاحتلال مساحات كبيرة من معانيها وتوجهاتها، بغية طمس الذات العربية والإسلامية، والحول دون توجه تلك الذات نحو غاياتها المثلى، العقائدية والمعتقدية، وإحداث الفوضى في تراتبيه العقل العربي، إنه الخطر الداهم القادم.. لقد حل البلاء على الجغرافية والتاريخ.. وهو متوجه نحو اللغة العربية كونها الخندق الأخير.

وهكذا نرى الدفاع عن اللغة العربية، هو الدفاع عن الوطن، ومن هلك دون الحفاظ عليها، فهو شهيد، لأن الدفاع عنها، هو دفاع عن الحق والعدالة والكرامة والعقيدة^{١٨٨}.

١٨٨ - الموقف الأدبي، دمشق، العدد ٤٠٢، السنة ٣٤، تشرين الأول ٢٠٠٤، اللغة العربية الخندق الأخير، د. وليد مشوح، ص ٥-٧، (بتصرف).

العرب.. مادة الإسلام

إن المسلمين هم ورثة الإسلام وحضارته، وإذا كان المعلمون والعلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الخلف لمتابعة الطريق وحمل الرسالة، فلا بدّ لكي يتحقق البيان من معرفة اللسان^{١٨٩}، قال تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ إبراهيم، ٤.

وقال تعالى:

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء، ٣٦.

فمن هنا وجب على المسلم وإن لم يكن متخصصاً أن يلم على الأقل باللغة العربية، فإن أجاد غيرها إلى جانبها فذلك مستوجب في حقه، وهو مأمور به.

ولابد من النظر على هذه القضية بالجدية الكاملة الواجبة، ذلك أن معرفة اللسان يتيح وضوح البيان، تمهيداً للعمل بالأحكام، وأن معرفة لسان الآخرين من مقاصد الدين، لأنه يفتح نافذة على حياتهم، وهو وسيلة للتعامل معهم، وقد أصبح في عصرنا ضرورة يقتضيها الحال، فضلاً عن كونه سنة رسول الله إلى العالمين، فالأخذ به واجب، خاصة أن علوم ووسائل المدنية الحديثة تكاد الآن أن تكون حكراً على أقوام لا يتكلمون العربية ولا يعرفونها قراءة ولا كتابة، ولأن الحكمة ضالة المؤمن، أينما وجدها فهو أحق بها، فتعلم اللغات ضرورة لمخاطبة الآخرين، والتعلم منهم، والنقل المفيد عنهم، ومعرفة أسرار علومهم وأحوالهم.

أن اللغة العربية من الدين، وأنه لا سبيل إلى فهم العقيدة والتزام الشريعة إلا بإتقان العربية، وفي ذلك يقول أبو إسحاق الشاطبي في كتاب الموافقات: (إن هذه الشريعة المباركة عربية، فمن أراد أن يتفهمها فعن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى أن تطلب فهمها من غير هذه الجهة).

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (تعلموا العربية فإنها دينكم).

لذلك رأينا علماء الأصول يفردون في كتبهم مباحث نفيسة للغة العربية ودلالاتها، باعتبارها وسيلة لفهم الشريعة.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله وهو أول من أصل الأصول: (فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ومن التسبيح والتشهد وغير ذلك).

والرسول صلوات الله عليه يقول: (من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية، فإنه يورث النفاق).

١٨٩ - العربية لسان القرآن، أحمد إسماعيل يحيى / البحث المقدم للمؤتمر الدولي الثامن للدراسات الاجتماعية والإحصائية المنعقد بجامعة عين شمس، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. يُنظر أيضاً: كلمة الأمة، مجلة الأمة، صفر ١٤٠٤هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة واجب وفرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)..

والدعوة إلى العربية من أمر العقيدة، يستوي فيها موقع المسلم العربي والمسلم غير العربي، على الرغم من ردود الفعل والإساءات التي حملها دعاة النزعات الإقليمية والعرقية والقوميات وأرادوا بها حبس لغة العلم والحضارة والعقيدة ضمن أسوار النزعات الإقليمية.

ولا شك عندنا أن اللغة كائن حي، يقوى بقوة الأمة ويضعف بضعفها، وأنه الوعاء الذي حفظ للأمة عقيدتها وتراثها، وهو الحصن الذي حمى قيمتها من الاضمحلال والذوبان أمام الموجات والهجمات الاستعمارية.

وأن تراجع العربية ما هو إلا ثمرة ضعف الإسلام في نفوسنا، وأن العلوم الحديثة التي تهتم بوسائل الإنسان جاء معظمها باللغات الأجنبية، وإن تخلفنا الحالي لا يسمح لنا بأن نكون من روادها، وأن عجزنا اللغوي يقصر بنا ترجمتها إلى العربية، لذلك فإننا نتعلم من جانب ونتعجم من جانب آخر.

والخطورة هنا أن عجمة اللسان تقود في النهاية بالضرورة على عجمة القلب، ومن ثم إلى عجمة الفكر، ويبقى تعلم اللغات الأخرى حاسة إضافية، وضرورة للفرد المسلم- وهو قول صحيح- لكنه لا يجوز مع ذلك بحال من الأحوال أن يلغى الإنسان حواسه الأصلية، أو أن تكون الحاسة التي أضافها لحواسه بديلاً عنها.

ذلك أن اللغة العربية هي مستودع شعوري هائل يحمل خصائص الأمة وتصوراتها وعقيدتها وتاريخها، وهذه الخصائص هي التي تمثل روح الأمة^{١٩٠}.



١٩٠ - الإسلام بين الواقع والتحديات والمستقبل، أحمد إسماعيل يحيى، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط١، ربيع الأول ١٤٢٣هـ / مايو ٢٠٠٢م، مدينة نصر - القاهرة، المبحث الأول، الإسلام في مواجهة التحديات، ص ١٣٦ - ١٦٩ (بتصرف).

استنهاض اللغة العربية واجب ديني وحضاري

(إن الأمم ذات الثقافات المترسخة لا تستطيع

النهوض دون الاعتماد على لغاتها)

علم اللغة الاجتماعي

يعيش العالم في الحقيقة الراهنة مرحلة متميزة من تاريخه بفعل الدمج القسري الذي تم للأمم المختلفة والثقافات المتباينة في بوتقة النموذج الغربي الوافد والمتفرد.

ولقد كان لآليات العولمة دور كبير في التأريخ الجبري الذي تعرفه الشعوب المغلوبة اليوم بين عالمين مختلفين: عالم ترى فيه نفسها وهويتها، وآخر يغزوها ولا تجد عنه محيداً ممثلاً في وسائل الاتصال العاتية التي تمثل اللغة أساسها الركين.

وفي هذا السياق تعرف اللغة العربية في وضعها الراهن حالةً مقلقة من الضعف والقصور عن الوفاء بمتطلبات العصر واحتياجات متكلميها التصويرية والتعبيرية لم تعرف له نظيراً في سابق عهدها إن على مستوى نظامها النبوي أو على مستوى مهاتها الثقافي والاجتماعي كما تعرف بلبلة وخطأً في حقولها الدلالية، وعدم انتظام في معجمها وقصوراً عن الأداء على مستوى أبنيتها التركيبية وطاقاتها الاستيعابية والإبلاغية.

ولا غرابة أن تكون اللغة على ما هي نظراً لطبيعة البيئة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية التي تتداول فيها، فالمجتمع العربي يعرف هو الآخر اليوم حالة شاذة من تاريخه على مختلف الأصعدة وفي شتى الميادين، تعود هذه الحالة إلى جزء كبير منها إلى منزلته في العالم الذي يعيش فيه، ومدى استيعاب أبنائه للسيل المعلوماتي الحديث وما يحمله في طياته من معارف ونظم وتقنيات، فالتخبط أو الوجوم الذي يعرفه متكلمو العربية في وجه هجمة حضارية تأتي على الأخضر واليابس، لا بد أن يمثل عقبة كؤوداً أمام مشروع الانطلاقة الحضارية الذي تطمح له اللغة العربية وأبناؤها، من أجل ذلك تحتاج هذه اللغة الآن إلى المزيد من العناية من حيث:

درس ووصف أنساقها الداخلية لا لغرض نحوها بشكل أكثر كفاية بل، وهو الأشد إلحاحاً، من أجل تفجير طاقاتها التعبيرية والتواصلية لتواكب حركة المصطلح العلمي، وتصبح أداة في المسيرة التنموية التي أصبحت اليوم أهم تحدٍ فعليٍّ للغات البشرية عموماً، بل للشعوب التي تريد لهويتها أن تبقى، ولمجتمعاتها أن ترقى في عالم أصبح متشابكاً كقرية واحدة أو يكاد، أن نتجذر في العصر، ذلك ما يأمرنا به واقعنا العسير، وإذا لم نشبع بروح الحاضر العلمي الرشيد والتقني الصحيح الإنساني نصبح ضعيفين سياسياً وحضارياً أمام التحديات العاتية، وليس لنا إلا أن نكون مطمئناً للاستعمار الجديد يفترسنا بضراوته التكنولوجية، أو متحفياً لإمتاع متذوقي العتيق، أو لوحة فولكلورية لتسلية السياح.

فلا بد أن نضبط حياتنا على ساعة العصر حتى نخرج من سلبية المفعول به تاريخياً إلى إيجابية الفاعل، ونثبت حضورنا دولياً في مراكز النفوذ ومواطن الخلق: خلق الأشياء والقيم والفنون والعلوم.

وذلك شرط وجودنا الأكمل في هذا العالم الذي نحن فيه، ولا نملك اليوم أن نؤثر في سيره بملء وزننا. فلنكشف أنفسنا من جديد وإن اقتضى ذلك منا أن نخلع الثوب القديم ولكن دون أن ننسلخ من هويتنا لنغرق في الآخرين، فالحدثة أن نستوعب أسباب التقدم في كافة المجالات حتى نمي مجتمعاتنا تنمية شاملة ونفجر فيها طاقات الخلق المدفونة لنصبح قادرين على الإسهام النشط في صياغة مصير العالم. ولقد كان من المفترض للغة العربية بما لها من ميراث ثقافي ضخمة أن تكون بمنأى عن سيرورة الإحياء أو التبعية التي شهدتها أغلب لغات وثقافات الشعوب المغلوبة حالياً..

فبرامج التعريب في أغلبها تعثرت ولم تعط ما كان منها متوقعا، وتدریس اللغة نفسها مادة في البرامج التعليمية يكاد يكون مهملًا، وتعليمات وقرارات المجمع اللغوية لا تؤخذ بعين الاعتبار في التعليم والتداول، وعمليات الاقتراض من اللغات الأخرى تتم بفوضى لا تنسجم وآليات اللغة نفسها في التوليد والتوسع، ومن المتداول بين المختصين في علم اللغة الاجتماعي أن الأمم ذات الثقافات المترسخة لا تستطيع النهوض دون الاعتماد على لغاتها، وأن للغة دوراً بارزاً في عملية النهوض وأثراً بالغ الواقع في التنمية بمفهومها الشامل. فكلما اتسعت قاعدة استعمال لغة ما، وتداولها بين صفوف متكلميها كانوا أقدر على الفهم والإفهام، وأكثر وعياً بالأشياء والأفكار، وأسرع إلى الاختراع والابتكار. ويتأيد هذا الزعم بتجاوب بعض الأمم الحاضرة التي سلكت هذا السبيل في النهوض، ولذا يظهر أن بين اللغة والمجتمع رحماً موصولاً وتعاضداً لا غنى لأبي منهما عنه.

- مفهوم اللغة:

ليست اللغة أداة للتواصل فقط وإنما هي كيان ثقافي أساسي منسجم مع التطور الحيوي العصبي للفرد البشري ضمن إطار اجتماعي معين وحضاري.

فهل اللغة ظاهرة تخص الإنسان؟ وما العلاقة بينها وبين الدماغ؟ وكيف يتم اكتسابها لدى الأطفال؟ وما العلاقة بينها وبين الفكر؟ وما مدى تحديدها لنمط التفكير؟ وما العلاقة بينها وبين المجتمع؟

إن العملية الذهنية الفكرية التي تسبق النطق والكلام توضح الارتباط الجوهرية بين العقل البشري والمحيط الثقافي.

إن من الفرضيات المؤسسة في حقل العلم المهتم بنشأة المعارف اللغوية تؤكد أن اللغة إحدى أهم الخصائص التي تقيم تمييزاً نوعياً بين الكائن البشري والكائنات الأخرى.

إن اللغة ليست للخطاب والتواصل فحسب بل هي حالة ذهنية لدى الإنسان يولدها من دماغه، إنها جزء من المقدرة البيولوجية الخاصة التي يتصف بها الإنسان وهي صفة تخصه وتخصه، وهكذا إذا كانت بنية اللغة تعكس الخصائص الأساسية لطبيعة الذكاء البشري فينبغي أن نخلص إلى ضرورة وجود نحو كلي مبرمج قبلياً في دماغ الإنسان، وإذا كانت عملية اكتساب اللغة تتم بفعل التورث البيولوجي الفطري فإن كل مولود يأتي إلى الوجود وهو يحمل برنامجاً كلياً يعرف **باللغة الكلية**، ولكنه لا يستطيع ممارسة اللغة إلا بعد احتكاكه بالمحيط الاجتماعي الذي يعمل من خلاله على تثبيت مجموعة من الوسائط هي التي تخوله بالفعل لإتقان وممارسة لغته الأم، وبالرغم من كل هذا تبقى اللغة السبيل الأول لنقل الفكر والتجربة عند الإنسان بل للتعامل مع المعطي الخارجي سواء بأخذ صورة عنه وفهمه أو بإعطائه تنظيمياً ومعقولة، ومن المعلوم في هذا الإطار أن هذه المؤهلات التي لا تسمح للإنسان أن يفكر ويعقل الأشياء إلا انطلاقاً من اللغة ترجع في أساسها إلى طبيعة تكوين عقولنا.

- القدرات النبوية والحضارية للغة العربية:

إن اللغة العربي تمتلك قدرات واسعة يمكن إذا حسن استغلالها أن تسهم في انتشالها من الوهدة التي تتردى فيها، وأن ترفعها سريعاً إلى مختلف اللغات الحية تتجه نحو العالمية.

ويمكن أن نقسم هذا الآفاق إلى مجموعتين:

١- القدرات النبوية: تأتي من داخل اللغة من مثل الاشتقاق والقياس وإعمال المهمل، والنحت والاقتراض والمجازات والاستعارات بشتى أنواعها مما سنزيده فضل إيضاح في مكانه.

وقد عبّر عن هذه القوة الكامنة في اللغة العربية الشاعر المصري **حافظ إبراهيم** فقال على لسان اللغة العربية:

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي

وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

٢- القدرات الحضارية: تأتي من تضافر مختلف جوانب حياة الأمة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية في رفد اللغة بالمفاهيم والتصورات كما تأتي من استلهاهم وتثمين التراث الغني الذي حملته هذه اللغة عبر ما يزيد على خمسة عشر قرناً، والذي أثر في ثقافات وحضارات العالم بعطائه الممدود، فمن بديهيات العلم أن ما يميز لغة من أخرى لا يكمن في الطاقة التعبيرية فقط وإنما يتعلق أساساً بسعة تجربة أصحابها البشرية ومدى شموليتها.

تقدير معنى الكلمة في اللغة

إن الكلمة محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى داخل الحقل اللغوي فإن أنواع العلاقات التي تربطها بالكلمات الأخرى إما أن تكون:

١- **الترادف**: فنقول إن (أ) أو (ب) مترادفتان إذا كانت (أ) تتضمن (ب) و(ب) تتضمن (أ) وذلك مثل الفعلين: ذهب ومضى.

٢- **الاشتمال**: فنقول إن (أ) مشتملة على (ب) حين تكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي والتعريفية وذلك مثل الفرس الذي ينتمي إلى فصيلة أعلى هي الحيوان.

٣- **علاقة الجزء بالكل**: وهي مثل علاقة اليد بالجسم. والفرق بين هذه العلاقة وعلاقة التضمن أو الاشتمال هي أن اليد ليست نوعاً من الجسم ولكنها جزء منه.

٤- **التضاد وينقسم إلى ثلاثة أقسام**:

- **التضاد الحاد**: وهو الذي يكون فيه نفي أحد طرفي التقابل يعني الاعتراف بالآخر، مثل لفظتي: ميت وحي.

- **التضاد المتدرج**: وهو الذي يكون فيه إنكار أحد حدي التقابل لا يعني الاعتراف بالآخر، أي أن الحدين لا يستوفيان كل حالات المقال مثل: حار وبارد.

- **التضاد المتضاعف**: وهو الذي يعني عدم تصور أحد الحدين دون تصور الآخر مثل زوجة وزوج.

٥- **التنافر**: ويكون في الحقل المعجمي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) و (ب) لا يشتمل على (أ) ومثاله طاولة ومحمد.



تعلم اللغة العربية وتعليمها

ضرورة تبني خطة تربوية شمولية ناجحة في تعلم اللغة وتعليمها:

أثبتت الدراسات التربوية أن الطالب يكون أكثر وأسرع فهماً واستيعاباً للمادة لو أتيحت له دراستها بلغتها الأم، فالمعرفة تتراكم تجانساً مع معطيات المجتمع، وتقل حيث تتناقض معه أو تفترق عنه.

ذلك أن العرف والمعرفة بعدان متلازمان عند الإنسان إذ إن هناك علاقات وثيقة بين استعمال اللغة وشكلها من جهة، وبين سير المجتمع وبنائه من جهة ثانية، وتبدو مثل هذه العلاقات بينة في مستوى المعجم مثلاً: فالكلمات والأساليب التي تستعملها أمة معينة تعكس بما لا يقبل الشك بنيات اجتماعية محددة.

ولما كان وجود الفكر يتوقف على وجود اللغة ولا يمكن أن يكون بدونها، إذاً اللغة هي التي تقطع وتفصل الواقع الخارجي للإنسان، فإن ضرورة تنشئة الأطفال بواسطة لغتهم الأم يبدو ضرورة كبرى فقد تدنى اليوم بشكل ملحوظ مستوى التعليم في البلاد العربية نظراً لهذا التردد بين لغتين فأكثر.

فحسب الإحصائيات التي قيم بها تبين أن: الدارسين بالعربية يتحصلون على ٨٠٠ مدرك مقابل ١٥٠٠ مدرك يحصل عليه أطفال البلاد المتقدمة في المرحلة التعليمية نفسها.

ولقد أرجع جل الباحثين هذا النقص إلى سوء وعدم صلاحية عملية التعريب.

إن الرهان الأساسي في التعريب هو أن تتحول طاقة لغة المواطن العربي إلى التعبير عن حاجاته ومشاكله وهمومه، وضمنها المفاهيم العلمية والحضارية والفنية التي تنشأ أو تظهر في اللغات الأخرى.

إن التعريب هو: القدرة على التفكير بالعربية والتعبير بها عن المفاهيم الموجودة وقدرتها هي على استيعاب الحضارات والثقافات الموجودة بآلياتها الخاصة.

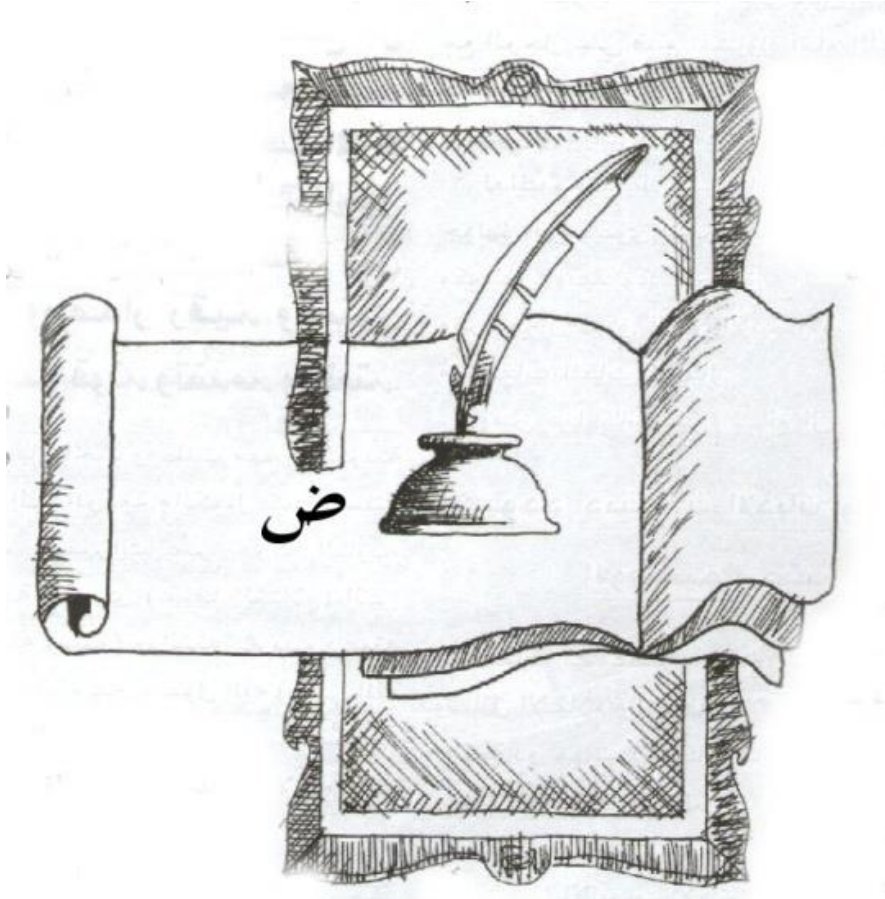
بيد أن معركة التعريب تظل ضيقة بأطر خارجية اقتصادية واجتماعية وسياسية تجعل الشروع فيها يقتضي إصلاحات وتغييرات كبرى على مستوى الشأن العمومي، وتقتضي عملية التعريب من جهة أخرى تبني خطة تربوية ناجحة يتم فيها التركيز على إبداء مواطن الاختلاف مع اللغات الأخرى سواء على مستوى الأصوات والبنية المقطعية والإعراب والإحالات التضميرية أو على مستوى الخصوصية الثقافية وكيفية تقطيع المعطى الخارجي..

هناك ضرورة حضارية قصوى لتعلم لغة أجنبية عالمية أخرى على الأقل بالإضافة إلى التمكين والقوة في معرفة لغتنا العربية الأم، حتى أننا يمكننا القول بأن هناك أمية لغوية عند المثقفين والمفكرين إذا لم يتعلموا لغة أخرى بحيث يستطيعوا أن يتقنوها عبر أحد أو كل الأساليب التالية: قراءة، كتابة، محادثة، ترجمة، بحثاً..

فتعلم لغة أخرى هو عملية اكتساب طريق ربما جديد في النطق والتفكير والشعور.

إن قدرة العرب على تعلم وتعليم لغتهم سواء لأبنائها أم لغير الناطقين بها - هي السبيل الأفضل لكسب الرهان الحضاري.

وتعليم العربية بصورة ناجعة وفعالة يتطلب قبل كل شيء تطوير طرائق وأساليب تدريسها باستمرار لكي تتماشى ومقتضيات العصر الحاضر عصر العلم والتقنية وانفجار المعلومات، عصر التحولات والتطورات السريعة، وهذا التطوير لا بد أن يعتمد على فروض نظرية مؤسسة عن اللغة أولاً وعن نظريات اكتسابها.



نماذج تطبيقية من غنى اللغة العربية في التعبير عن الظواهر الحياتية والكونية

- ساعات الليل والنهار:

وقد أطلق العرب على كل ساعة من ساعات الليل والنهار اسماً خاصاً. فأمّا ساعات الليل فهي: الشاهد، فالغسق، فالعتمة، فالفحمة، فالموهن، فالقطع، فالجوسن، فالهتكة، فالتباشير، فالفجر الأول والفجر الثاني والفجر والمعتض. وأمّا ساعات النهار فهي: الذرور، البزوغ، الضحى، الغزالة، الهاجرة، الزوال، الدلوك، العصر، الأصيل، الصبوب، فالحدور، فالغروب^{١٩١}.

- معاني المرض:

يقال في طبقات المرض:

- ١- عياء: إذا لم يستطع الأطباء علاج المرض.
- ٢- عُقام: إذا كان المرض لا دواء له.
- ٣- عُضال: إذا كان المرض يشتدّ على الأيام: أي يزداد.
- ٤- مُزمن: إذا أتت عليه الأزمنة.

وأما عندما يقوم المريض من مرضه، ففي ذلك عدة أسماء، ولكل اسم حالة:

- ١- متمائل: إذا همّ المريض بالانتصاب.
 - ٢- مُفرق: إذا قارب أن يبرأ.
 - ٣- ناقه: إذا تماثل للشفاء، ولم تعد إليه تمام قوته.
 - ٤- مُبيل: إذا تكامل برؤه.
- وتقول: أبلّ من مرضه، وبَلّ: شفي، عوفي، برأ، صحّ، أفاق.



١٩١ - صبح الأعشى ج ٢، ص ٣٥٨، نقلاً عن: قصة الأيام. الشهور. الأرقام وتسمياتها، شحادة الخوري، دار الطليعة الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠٠١، ص ١٨.

التطبيقات العلمية والتقنية في اللغة العربية

إن اللغة العربية تبدي مطاوعة كبيرة لاستيعاب المصطلحات بكل أنواعها، والتعامل مع المناهج المختلفة والآليات الجديدة في البحث العلمي والدراسة اللغوية.

ولعل من القضايا التي تبدي فيها اللغة العربية مطاوعة كبيرة وانقياداً فائقاً: قابليتها للاستخدام العلمي، أو بتعبير أدق قابليتها للصياغة العلمية، أو للأنساق العلمية.

- مظاهر الاستخدام العلمي للغة العربية:

أولاً- المعادلة: إن استخدام المعادلة في تحليل النصوص العلمية والفكرية لا يخرج عن وظيفة أساسية، وهي وظيفة التلخيص، حيث يمكننا أن نلخص جملة من القضايا والمفاهيم في نسق رياضي موجز، هو المعادلة، إضافة إلى إضفاء الطابع العلمي للتحليل، إذ النقد في مرحلته الحاضرة يسعى إلى اكتساب الطابع العلمي والموضوعي، من أجل تحقيق ما يسمى بعملية النقد.

لكن مما نأسف له أن هناك بعض الباحثين أو الدارسين يلتزمون بالأنساق العلمية، ومنها المعادلة، كما وردت في الدراسات الغربية، دون محاولة ترجمتها، أو استبدال عناصرها الأجنبية بعناصر عربية، علماً أنه لا توجد صعوبة أو عقبة تبعدها عن فعل ذلك، فاللغة العربية كما أشرنا سلفاً، قابلة للتعبير بتلك الأنساق، حيث تمدنا بكل ما يسهل علينا صياغة النسق ونسخه.

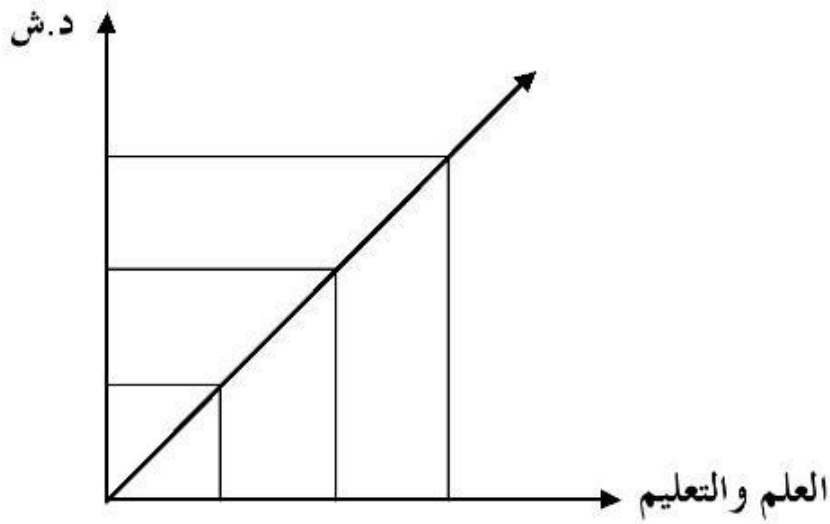
ثانياً- الإحصاء: إن الإحصاء تقنية منهجية شاعت كثيراً في الدراسات العلمية والاجتماعية والثقافية، التي تميل إلى الإحصاء، كإجراء يُسهّل إصدار الأحكام من جهة، ويعطيها صرامةً علميةً وموضوعيةً من جهة أخرى.. كما أن الباحث يضطر إلى استخدام هذه التقنية في حالة حراسته لجملة من النصوص، فيعمد إلى الإحصاء من أجل الكشف عن الظاهرة الطاغية لينتقل إلى تفسيرها.

ثالثاً- الرسم البياني: يمكن التعبير عن كثير من الأفكار والمفاهيم العلمية والأدبية والفلسفية والسياسية والثقافية بواسطة الرسوم البيانية التي توضح العلاقات الطردية أو العكسية بين المفاهيم والأفكار والسلوكيات المتنوعة والمتغيرة في الزمان والمكان، فمثلاً يمكن إثبات اللغة العربية الفصحى بالأسلوب البياني:

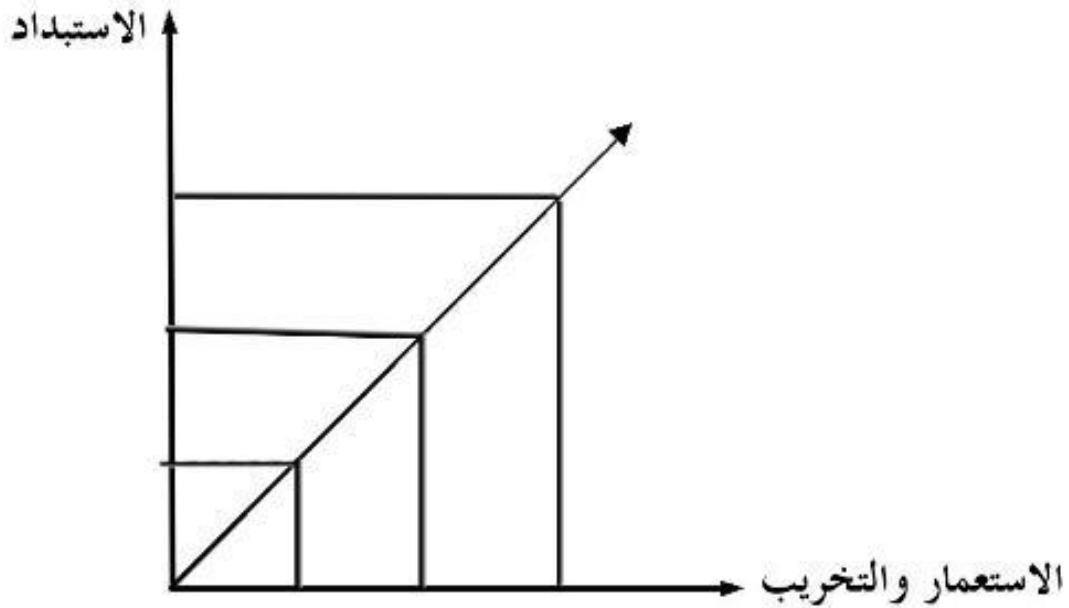
- التحليل العلمي الرياضي للترابط العضوي والوظيفي بين درجة ونوع الديمقراطية والشورى مع العناصر الثقافية والحضارية في المجتمع بشكل رياضي وبياني.

- العلاقات الطردية مع العناصر الثقافية والحضارية الإيجابية، مثلاً:

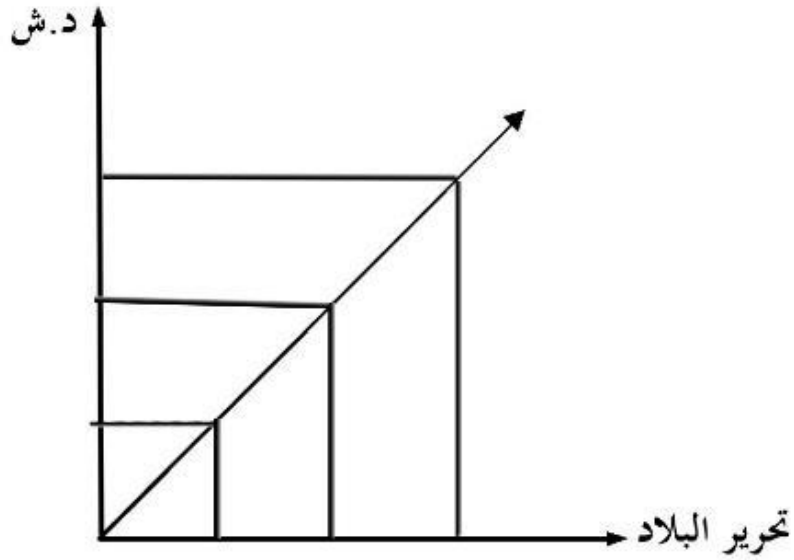
- كلما زادت درجة الديمقراطية والشورى في المجتمع، كلما تطور التعليم وأثمر العلم وكثر الاختراع وانتشرت المعارف وازدهرت صناعة الكتب وسمت الثقافة وتقدمت هندسة المعلومات.



- كلما زاد الاستبداد والاستعباد ضعف الجهاز المناعي للأمة وبالتالي زادت فوعة الجرائم والطفيليات الممرضة خارجية المنشأ (كالأوروبيين والأميركيين والصهاينة..) في إضعاف الأمة وارتكاب الجرائم الوحشية، على مستوى البشر والثقافة والحجر والشجر والحيوان كما يحدث يومياً في فلسطين المحتلة والعراق الشقيق..

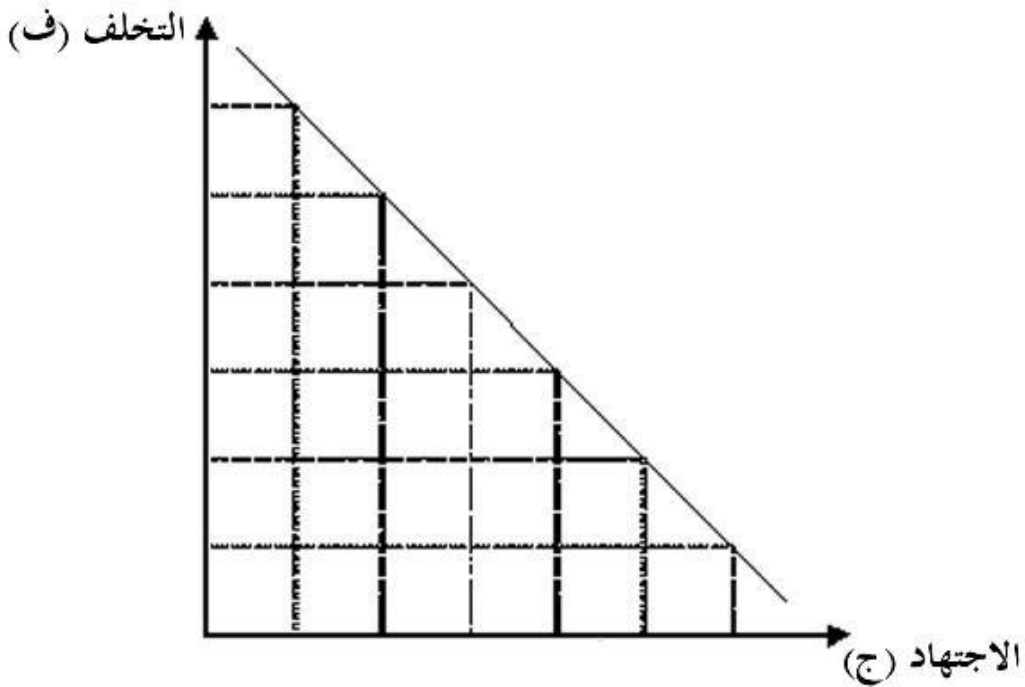


- كلما زادت درجة الديمقراطية والشورى كلما زادت قوتنا وارتفع مستوانا الحضاري واستطعنا بسهولة تحرير البلاد من اللصوص (الأوروبيين والأميركيين والصهاينة..)



- العلاقات العكسية بين المفاهيم الاجتماعية وبعض السلوكيات الحضارية ونأخذ مثلاً: علاقة الاجتهاد بالتخلف الحضاري العام: هناك علاقة عكسية بينهما، بمعنى كلما زاد الاجتهاد (ج) نقص التخلف (ف) وبالعكس.

$$ج \times ف = ثا$$



العلاقة العكسية بين الاجتهاد والتخلف

وعندما يكون الاجتهاد صفرأ (إغلاق باب الاجتهاد) فإن التخلف يكون في أعلى درجاته.

العربي مربّي ومعلم للأوربيين

قام العرب بمواصلة مساعيهم في العولمة التمدينية والعمرانية، في فعلٍ إعماريٍّ حمل إلى العالم كله مستجدات عناصر حضارتهم العربية الإسلامية، بالإضافة إلى معطيات حضارتهم القديمة: زراعة وصناعة وتجارة وأنشطة مصرفية، وعلومًا وفنونًا وآدابًا وديانة، وقوانين ونظمًا سياسية واقتصادية ونقابية وديمقراطية، ومجتمعًا مدنيًا وفلسفة وغيرها.. والتي شكلت أسس ومعظم معطيات النهضة في الغرب حسب تأكيد كثيرين أمثال برّوي وهونكة، راجع براستد (العصور القديمة، ص ٦٦٣ - ٦٦٨).

- ويقول الفرنسي لوبون (حضارة العرب، ص ٥٧٩): (إن العرب هذبوا البرابرة، فتحوا لأوروبا ما كانت تجهله من عالم المعارف فكانوا ممدنين لنا، وأئمة لنا).

- يؤكد بيير روسي (في كتابه: مدينة أيزيس التاريخ الحقيقي للعرب): (أن الحضارة العربية قد بسطت منذ فجر الزمان معرفتها الحياتية) (ص ٩ - ١٣).

(.. وأن كل حضارات الشرق والغرب القديمة، بما فيها اليونانية والهيلينية والرومانية والبيزنطية هي انعكاس لهذه الحضارة العربي وبعض منها) (انظر بخاصة ص ٢٤ و ٣٦ - ٤١ و ١٩٣ - ٢٤٢).

— أسفر الحكم العربي الإسلامي (عن إمبراطورية جديدة ولا أوسع، وعن حضارة ولا أسطع، وعن مدينة ولا أروع، عوّل عليها الغرب في تطوره الصاعد ورقية البناء) (أدوار برّوي، القرون الوسطى، الترجمة، ص ١٠٩).

- حول هذا الاعمار العربي يقول شارنيي: (إن العرب أهدوا العالم أغنى ما أهدته عبقرية) (الرواة المشريقون، باريس، ١٩٨٠).

— بين هيرودوت قديماً دوران الفينيقيين سنوياً حول رأس الرجاء الصالح، وبينت آثارهم المكتشفة في أميركا اليوم وصولهم إليها قبل الأسبان وكولومبس بزمن طويل.

— تؤكد هونكة في كتابها (شمس العرب تستطع على الغرب) أن العرب (منذ البدء أدهشوا العالم بالحرية الموضوعية والشجاعة العلمية) ص ١٤٣، ويبين سيديو (تاريخ العرب العام ص ١٣ - ١٤) أن ما شيده العرب من المدارس في أرجاء دولتهم (كان يوقد مصباح الحضارة فيما بين الشرق الأقصى وعمد هرقل، ناشراً آثار الفن العربي الرائعة في كل مكان).

— يقول روسي: (لم تكن الحضارة اليونانية أبدا سوى شرفة وملحق لبناء العرب في الشر). المصدر السابق، ص ٤١.

يقول لوبون: إن جميع الأمم التي اتصل العرب بها اعتنقت حضارتهم (حضارة العرب ص ٥٦٤).

ويؤكد سيديو: (كان العرب وحدهم حاملي لواء الحضارة في القرون الوسطى وكان عندهم معظم الأفكار والمبادئ التي تباهي بها أوروبا الحديثة وإن اصطلاحات الشرقيين العلمية عربية بأسرها)^{١٩٢}. (تاريخ العرب العام ص ٤٥ - ٦١ - ٤٣٥).

يقول الشاعر القروي (رشيد سليم الخوري):^{١٩٣}

أنا العروبة لي في كل مملكة
إنجيل حبّ ولي قرآن إنعام
سل عهد شامي وبغدادى وأندلسي
عن عمق فلسفتي عن عدل أحكامي
ما أخضوضر الشرق إلا تحت أقدامي
وازهوهر الغرب إلا تحت أعلامي
تمشي البطولة والسحر الحلال معي
فالأرض ملعبُ آسادٍ وأرام

- قراءة التاريخ وتعرف أخبار الماضي وآثارهم تزيد عمر الإنسان عمراً آخر، ألم يقل شاعرنا العربي:

مَنْ لم يعِ التاريخ في صدره لم يدرِ حلو العيش من مره
ومَنْ وعى أخبار من قد مضى أضاف أعماراً إلى عمره

ونقطة الإنطلاق في معرفة الماضي أن نعرف من نحن؟ ما تاريخنا؟ ما حال إنساننا منذ وجد الإنسان على أرضنا؟

لقد دلت نتائج حفريات (كالتون كون) قرب تدمر على أن الإنسان العاقل، جد الإنسان الحالي، قد نشأ في البادية السورية، وقد شبهها بخزان بشري، انساحت أواجهه إلى مختلف بقاع الأرض، ولذلك أطلق بارو مكتشف مدينة ماري مقولته المشهورة (أيها الإنسان أينما تكن فإن لك وطنين ووطنك الحالي حيث تعيش، ووطنك الثاني سورية مهد الإنسانية والحضارة).

ولا يخفى على أي منا إبداعات أمتنا الحضارية، فعلى أرض سورية بدأت الزراعة منذ أكثر من عشرة آلاف سنة، وكانت زراعة القمح قد عرفها إنساننا على أرضنا لأول مرة في تاريخ البشرية، وفي سورية تم اكتشاف النحاس في الألف الخامس قبل الميلاد.

وفي سورية تم اختراع الأبجدية الأولى في أوغاريت فقدمتها أمتنا هدية للبشرية ونقلت معها المعرفة والقيم الإنسانية والتعامل الحضاري، ومن أرض سورية انطلقت الرسائل الإنسانية، وعبرها انتشرت الرسائل

١٩٢ - تاريخ العرب الحديث والمعاصر، الثالث الثانوي الأدبي، وزارة التربية، دمشق، طبعة عام ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤ م.
١٩٣ - العربي، الكويت، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٢٦ هـ/ مارس ٢٠٠٥ م، ذكرى الشاعر القروي عشرون عاماً على الرحيل، ص ١٩٦.

السماوية التي يعتز بها كل إنسان مثقف في هذا العالم، وهي تروم الخير والمحبة والسلام واحترام كرامة الإنسان أنى كان، وفي منأى عن أي تعصب أو تزمّت أو طغيان^{١٩٤}.

فأوروباً كما جاء في كتاب **تحولات** للشاعر الروماني أوفيد هي أخت قدموس التي اختطفها الغاليون، وسميت أوروبا باسمها وقدموس في رحلته لاسترداد أخته نشر هناك حضارتنا وأبجديتنا التي أضاءت مدن البحر المتوسط وموانئه بأنوار المعرفة الكنعانية.

وحضارتنا العربية الإسلامية هي وارثة للأديان التوحيدية من جهة العقيدة، والعلوم والفلسفة والطب والمعمار والتشريع والإدارة والشعر والفن، من جهة الحضارة الإغريقية والرومان والفرس والهنود^{١٩٥}.



١٩٤- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٤٩٦، السنة ٤٣ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ/ كانون الثاني ٢٠٠٥م، جمعية العاديات، د. محمد السيد، ص ٧-٨.

١٩٥- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، سورية، العدد ٤٩٦، السنة ٤٣ ذي القعدة ١٤٢٥ هـ/ كانون الثاني ٢٠٠٥م، من الاستشراق إلى العولمة فرنسيس فوكوياما أنموذجاً، د. نذير العظمة، ص ٢٩٣.

لامية الشنفرى.. ١٩٦

من قصيدته اللامية:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل
ولي دونكم أهلون سيدّ عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيال
هم الأهل لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جرى يخذل



بائية الهوارى

أضيؤوا بني قومي صدور بيوتكم فإني إليكم من سواكم لأقرب
أنا الشنفرى، لكنني لست مثله ألوذ بكم لا منكمو أتهرب
متى كان فرخ الغيم ينكر أمه؟ وهل للذي ينأى عن الأهل مذهب!
وداعاً.. ولكنني إليكم مسافر عصافري الثكلى كواها التغرب
حملت عناقيدي معطرة اللمي أباريقها نار من القلب تسكب
إذا هي لم تذهب إليكم حمائي لتطلب عشقاً عاجلاً أين تذهب؟
ألا فاسكبوا فوق الخميرة زيتكم ولو كان مرأً زيتكم، فهو طيب؟



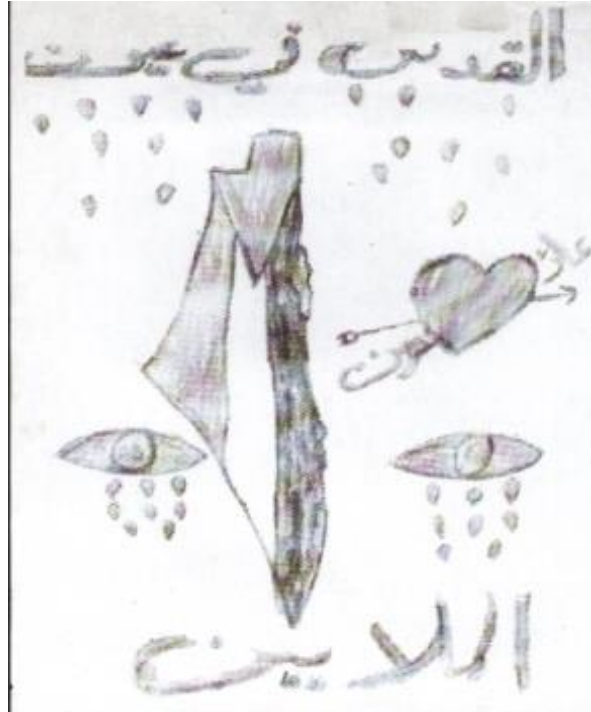
فلسطين اسمي صيغ من شجر الضحى وحبر دمي تاج الزمان المذهب
ولي قامة يمشي البخور بنسغها وكف من الأمطار تهمي.. لتشربوا
بنيت من الريحان عاصمتي، وفي أزقتها شمس العروبة تلعب
فكيف تركتم للغزاة جدائي على حبلهم مشنوقة تتعذب
فهل غيمكم ما عاد ينجب برقه وهل نبضكم شريانه متخشب!!
كأن قميصي من دخان خيوطه فأين هو الريش الذي جئت أطلب!!
صنعتم من الفخار باخرتي، ولم يكن نوح فيها.. غائب أم متغيب!!
دمي شمعدان الله في وضح الدجى بمصحف زيتوني المصابيح تكتب
فكيف يجر الموت صوف قصاندي وفي برتقال اللد جمري معلب!!
سعيد نجا، يا سعد انج من الردى مقال قديم قد رواه المهلب
هي القدس معراج الدماء إلى الضحى فإما انطفاء أو شروق مخضب
خدتم بماء السلم ضاء سرابه ألم تعلموا أن السراب مكذب!!

١٩٦ - الشنفرى: شاعر جاهلي يمانى من الشعراء الصعاليك، أسره بنو سلامان وهو صغير وأساؤوا معاملته، وأهمله أهله بعد مقتل أبيه، فنشأ حاقداً على قومه الأزدي، وعلى بني سلامان معاً. واعمل فيهم الفتك والانتقام. وأثر أن يعيش بين الوحوش على أن يعيش بين قومه. - أما أنا فليس لي إلا أهلي أعيش على زيتهم ولو كان مرأً.

طلبتم من الأعراب ثوب حماية
 بزرقة أجزاني أسلح رملكم
 أنا وردةً جنسياتي كل طلقة
 خلقت أحب السلم يحمله الهوى
 وحسبي أطفال إذا ما رموا رمت
 أذافع عنكم كيف تخبو حجارتني
 تباركت يا شعبي بغزة نازفاً
 إذا نسفوا بيتاً تناسل غيره
 قطفت عن الأيام أجراس ثورتني
 وهذا رصاصي الكرملني نبينه
 وزيتونتي شعبية ضاء زيتها
 هو الموت مصباحي ألوذ بناره
 وأشرف ما في الأرض زنبقة بها
 إذا انتسب التاريخ للعرب نجمة
 ألا فاسكبوا فوق الخميرة زيتكم
 لنا.. هل يرد البرد ثوب مهرب!!
 ورمل سقاه الحزن يوماً سيعشب
 من النور في وجه الظلام تصوب
 رسائل عشق، لا بنادق ترعب
 ملائكة في كفها الحق يغلب
 وفي بيت لحم وردة الله تصلب!!
 إذا أنت لم تنزف فكيف ستخصب
 وفي كل يوم " أم أحمد " تنجب
 وفي حطب الأعداء جمري مجرب
 على سكره التاريخ يصحو ويغرب
 إذا مسها جرح الفدائي تلهب
 ولولاه لم يبرزغ بقلبي كوكب
 دماء الفلسطينيين تزكو وتعذب
 إلى نجمتي كل الكواكب تنسب
 ولو كان مرأاً زيتكم فهو طيب

197

شباط ٢٠٠٢



ضرورة تعريب العلوم كافة في جميع مراحل التعليم

أن نمو اللغة وتطورها يتم ضمن أطر الحاجة إليها بالاستعمال والإهمال..

وهذه الأطر هي: الإطار الاجتماعي، والثقافي، والسياسي، والديني، والاقتصادي العلمي.

وبالنسبة للغة العربية، فقد كان للإطار الديني ولا يزال أثر كبير في: انتشارها وتطورها، وكذلك في الحفاظ عليها من الاندثار على مدى أربعة عشر قرناً على الرغم من انهيار الجانب السياسي، وتراجع الجانب الاقتصادي والثقافي والعلمي.

وبسبب هذا الإطار كان الاتجاه لضرب العربية وإضعافها من أجل إضعاف الدين وضربه، فالعربية هي وعاء الدين الإسلامي، فإذا انكسر هذا الوعاء ضاع الدين.

وهذا التطور لن يستوعبه العلمانيون العرب، لذلك فإن التباكي على العربية دون النظر إلى الأطر السابقة لن يغير من الموضوع شيئاً، وذلك أن معاناة العربية الحالية لم تعد بسبب ظروف ذاتية من أصحابها العرب فحسب، ولكنها أيضاً بسبب توجه عالمي شرس ومنظم للقضاء عليها، ولا مبالاة من العرب إلى جانب تعاون بعض العرب في ذلك التآمر العالمي.

ومن الأمثلة على الهجمة الشرسة على اللغة العربية أن محمد علي باشا كان قد أمر بتدريس الطب والعلوم العسكرية باللغة العربية، ونشأت نتيجة لذلك حركة من الترجمة في مصر أفرزت ١٣٥ كتاباً علمياً، و ٦٦ كتاباً عسكرياً، وقد انتهت مرحلة استخدام العربية بمدرسة الطب التي أسسها محمد باشا باحتلال الإنكليز لمصر مباشرة عام ١٨٨٢م، وحذت حذوتها مدرسة المبشرين البروتستانت الأمريكيين والتي سميت فيما بعد (جامعة بيروت الأمريكية) والتي بدأت الدراسة فيها بالعربية منذ تأسيسها عام ١٨٦٦م حيث بدأت التدريس باللغة الإنكليزية وما زالت تدرس بها حتى الآن.

وهكذا نلاحظ أنه فور دخول الإنكليز إلى مصر باشروا بتحويل التعليم إلى الإنكليزية، وفي المغرب العربي كان التحويل إلى الفرنسية.

وبسقوط الخلافة العثمانية تم اقتلاع الحرف العربي من تركيا وكذلك الأمر في الهند وشرق إفريقيا، وحل محل الحرف العربي الحرف اللاتيني، حتى في الصومال التي اتجهت إلى استخدام الحرف اللاتيني ابتداء من عقد الستينات وما زالت حتى الآن، وتأكيد لما أقول نذكر الأدلة الآتية:

أولاً- أن الجامعة العربية (الإدارة الثقافية أولاً، ثم المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة) قد تنبعت إلى أهمية التعريب فدعت إلى عقد مؤتمرات عدة، شاركت في هذه المؤتمرات الدول العربية جميعاً، وأعد مكتب تنسيق التعريب في الجامعة العربية مشاريع المعاجم.

- وهذه المؤتمرات هي:

١- مؤتمر التعريب الأول، الرباط ٣-٧ أبريل ١٩٦١م.

٢- مؤتمر التعريب الثاني، الجزائر، ديسمبر ١٩٧٣م.

٣- مؤتمر التعريب الثالث، طرابلس (ليبيا) من ١٨-٢٧ صفر هـ/ ٧-١٦ فبراير ١٩٧٦م.

٤- مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي: بغداد ١٩٧٨م.

وقد أجمع المتحدثون في المؤتمر الأول على: أهمية اللغة في بناء المستقبل العربي الموحد، وأشادوا بقدرة اللغة العربية على مواكبة الحضارة.

وكان من أبرز توصيات المؤتمر الثاني في الجزائر: توصية يناشد فيها (الحكومات العربية جميعاً أن تباشر بتطبيق برنامج مرحلي مرسوم لتعميم التدريس باللغة العربية في مراحل التعليم كلها للمواد العلمية والأدبية بدءاً من العام الدراسي المقبل)، أي من العام ١٩٧٤م.

كما ناشد المؤتمر الملوك والرؤساء العرب أن يتخذوا أقرب الوسائل وأن يضعوا إمكانات المنظمات العربية والجامع العربية لتحقيق أسباب نجاح هذه الأمنية.

ثانياً- إضافة إلى المؤتمرات السابقة الذكر، فقد عقدت عدة ندوات منها:

- أسبوع التعريب في المغرب من ٣-٩ يناير ١٩٦٣م.

- ندوة الثقافة العربية للتعريب في طرابلس ٢ فبراير ١٩٧٥م.

- ندوة التعريب وقضايا اللغة العربية في التعليم الجامعي، الخرطوم يناير ١٩٧٩م.

- توصيات:

وكانت أبرز توصيات هذه الندوات: التوصية التي طالبت بتوحيد الجهود التي تبذلها الجامعات العربية، وأن من المهم أن تصب في مجمع عربي واحد.

كما طالبت القيادات السياسية في الوطن العربي بإصدار قرارات لجعل التعليم بالعربية في جميع مراحلها وأنواعه، وعلى الأخص التعليم الجامعي.

إن جميع المؤتمرات السابقة الذكر، وكذلك الندوات لم تؤت ثمارها، لسبب بسيط هو أنها تظاهرات سياسية أكثر منها علمية عملية يراد لها النجاح.

وإلا لماذا تنجح دولة الملك عبد الله في دمشق في الثلاثينيات في تعريب التعليم، وهي دولة صغيرة وفقيرة؟

كما أن إسرائيل استطاعت أن تجعل التعليم في جميع مراحلها، وفي جميع التخصصات حتى في أدق التخصصات باللغة العبرية (اليهودية)، مستفيدة من جذور الكلمات العلمية للغة العبرية القديمة (تسرق أرضنا ولغتنا) وذلك لقرب العبرية من العربية، وقد أحييت إسرائيل اللغة العبرية التي ماتت منذ ألفي عام وأكثر، وكذلك فعل محمد علي باشا عندما فرض تعليم الطب باللغة العبرية.

فلماذا لا تستطيع ٢٣ دولة عربية أن تتعاون على تعريب التعليم في العلوم التطبيقية والطبيعية؟

ثم كيف تم التعريب في العلوم الإنسانية وفيها تفاصيل وكلمات أكثر تعقيداً من العلوم التطبيقية منذ الستينات، مع ما تحويه من مذاهب وعقائد فكرية وفلسفية تخالف العقيدة الإسلامية، عقيدة الأمة العربية؟ ألم يكن من الأنفع للأمة العربية أن تترجم كتب العلوم الطبيعية والتطبيقية، كالطب والهندسة والزراعة وغيرها؟

وهي علوم ليس فيها ما يضر بعقائد الأمة وأخلاقها، إلى جانب أن العلوم التطبيقية سوف تجعل الدارسين يلاحقون كل جديد وبالعبية، ويدرسون بها.

إن الدول والشعوب العربية تخسر مليارات الدولارات من أجل نشر الإنكليزية والفرنسية بين العرب، فلماذا لا تدفع بريطانيا وأمريكا وفرنسا مقابل ذلك؟

كما أن الإنكليز والفرنسيين قد ربطوا الشعوب المستعمرة خلال فترة الاستخراب الأوروبي للبلاد النامية برباطتي (الكومنولث والفرانكفونية)، كل هذا حماية للغتين وإبقاء عليهما بين تلك الشعوب.

أوليس من حق العربية وعاء الإسلام أن تنتشر بين الشعوب الإسلامية؟

حتى أن بعض وزراء خارجية الدول الإسلامية عندما يلتقون في مؤتمراتهم يتحدثون بالإنكليزية أو الفرنسية سبحان الله وأين لغة القرآن؟

لماذا لا تكون العربية لغة ثانية في الدول الإسلامية؟

وأين موقع (منظمة المؤتمر الإسلامي) في حثّ الدول الإسلامية لأن تكون العربية لغة ثانية؟.

إن وضع لبنة واحدة لبناء صرح مؤسسة عربية تعنى بالعربية لنشرها، والترجمة من اللغات الأخرى إليها، ومتابعة احتياجات المؤسسة لدى الجهات المعينة في الحكومات العربية، عن طريق مندوبين لها في كل بلد عربي، خير من ألف خطاب أو مؤتمر دون نتائج، أو أفضل من مليون مقالة نكتبها.

- حلول مقترحة:

ومن الحلول التي اقترحها في هذا المجال:

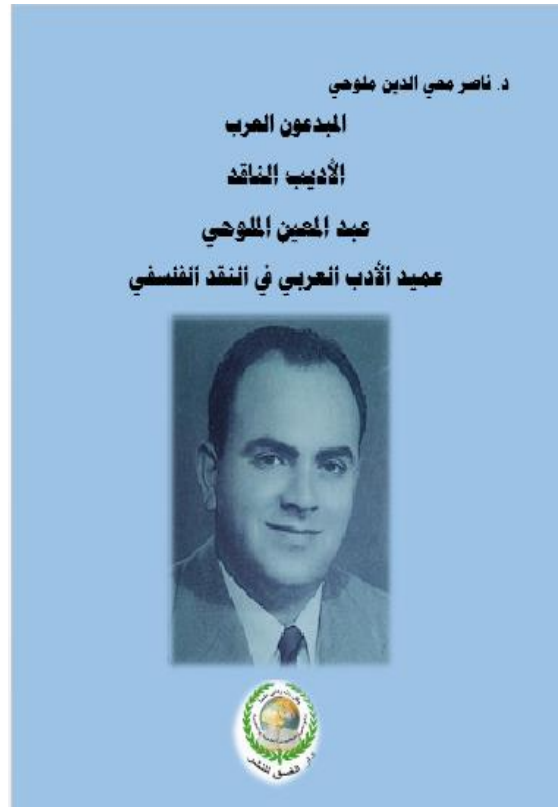
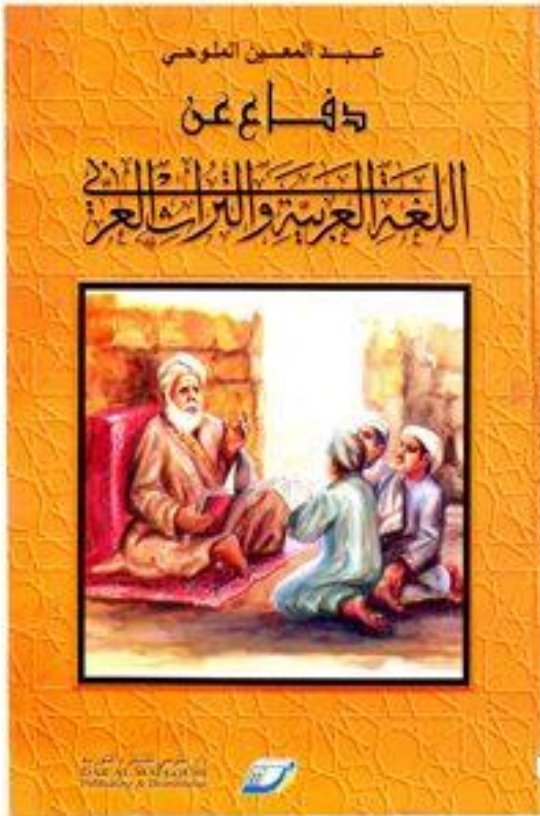
- إنشاء مؤسسة عربية تعنى بالعربية، لها فروع في جميع العواصم العربية إلى جانب المركز الرئيسي، يكون من مهامها: الإشراف على المجامع العربية الحالية، والعمل على تطوير أدائها، وربطها بشبكة اتصالات سلكية أو لاسلكية شبيهة بشبكة الانترنت.
- يكون في كل فرع قسم للترجمة يعمل على ترجمة كل جديد في العلوم.
- ولكي لا يكون هناك تكرار في الترجمة بين فرع وآخر لابد من التنسيق وذلك بفهرسة الكتب المترجمة أو المؤلفات بالعربية في كل تخصص، وفي كل ضوء ذلك تتم الترجمة لكل جديد بتكليف من المؤسسة.
- في المراحل الأولى لاختيار أعضاء هيئة التدريس الذين يمكن أن يرشحوا للترجمة، يمكن إجراء مسابقات لترجمة فصل معين من كتاب لاختيار أفضل الترجمات وأن تخضع الترجمات للمراجعة والتصحيح من ذوي الاختصاص.
- أن تخصص مبالغ مشجعة من ميزانية المؤسسة للمترجمين في كل تخصص، ويحدد عدد الكتب في كل سنة التي يمكن ترجمتها بحسب المبالغ التشجيعية المرصودة لتلك السنة.
- إلزام جميع الجامعات العربية ومراكز البحوث بشراء عدد من نسخ كل كتاب مترجم حسب الإمكانيات وبسعر تشجيعي، ويمكن للجامعات ذات الميزانيات الكبيرة أن تهدي لأخواتها الفقيرة عدداً من نسخ الكتب المترجمة.
- أن يتم بيع نسخ من الكتب المترجمة للطلاب بزيادة قليلة عن سعر التكلفة لتشجيعهم على شراء الكتب العلمية ونشر العلم بينهم.
- حث رجال الأعمال والصناعيين العرب على تشجيع هذا التوجه، وعلى دعم مراكز البحوث العلمية في الجامعات، وربط هذه المراكز بالصناعة، وتوعية رجال الأعمال والصناعة باستمرار بأهمية ذلك حاضراً ومستقبلاً.
- هذه بعض الحلول وليست كل الحلول، وهي ستبقى حلولاً نظرية، وترفاً فكرياً لا قيمة له، ما لم تتحول إلى واقع وعمل، ولن تعجز أمتنا برجالها ونسائها عن إيجاد تفاصيل أوسع لهذه المقترحات، ولغيرها، والمهم من سيبدأ بوضع حجر الأساس والمتابعة بعمل دؤوب وصبر وجدية؟
- إلى جانب ما ذكرت من مقترحات، أرى أن تكون المؤسسة مستقلة تماماً ولا تخضع لأي نظام عربي رسمي.^{١٩٨}

١٩٨- ضرورة تعريب العلوم كافة في جميع مراحل التعليم، مجلة العربي، العدد ٥٤١، شوال ١٤٢٤ هـ / ديسمبر ٢٠٠٣م، من ص ١٦٠ - ١٦٢ فقط، (بتصرف).

المبدعون العرب.. عبد المعين ملوحي

عميد الأدب العربي في النقد الفلسفي^{١٩٩}

الأديب عبد المعين الملوحي (١٩١٧-٢٠٠٦)، ناقد ومفكر إنساني عالمي مسلم آسيوي شامي سوري حمصي، عميد الأدب العربي في النقد الفلسفي لأنه شكّل ميزاناً ومعياراً للقرن العشرين وما فيه من تطورات أدبية ومدارس فلسفية ونقدية وفنية و تحولات اجتماعية وحروب باردة وساخنة وتغيرات سياسية وعلمية وإبداعات تقنية.. فكان شاهداً على قرنه وناقداً له على المستوى الوطني والإقليمي والدولي في مقالاته وأبحاثه ودراساته وترجماته وأسفاره ومناصبه وكتبه التي بلغت أكثر من مئتي كتاب^{٢٠٠}، كان يريد أن يزيد عدد كتبه المطبوعة عن عدد سنوات عمره، وقد حقق ما أراد فأغنى المكتبة العربية والعالمية بمؤلفاته وترجماته وتحقيقاته ودواوينه.. التي تجاوزت أكثر من ضعفي سنين عمره..



١٩٩ - المبدعون العرب، عبد المعين ملوحي، عميد الأدب العربي في النقد الفلسفي، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.
٢٠٠- يُنظر: دفاعاً عن اللغة العربية والتراث العربي، عبد المعين ملوحي، دار الملوحي للنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ص٥٠.

- محتوى كتاب: المبدعون العرب، عبد المعين ملوحي، عميد الأدب العربي في النقد الفلسفي

محتوى	
الصفحة	الموضوع
١	صفحة قرآنية
٢	مقى تتحرر البلاد العربية من الاستعمار الكارثي والاستبداد المأساوي.
٤	القدس عربية.. (ألا إن نصر الله قريب).
٥	المحتوى
٨	الأديب عبد المعين ملوحي.. عميد الأدب العربي في النقد الفلسفي
١٧	الملوحي.. سوف أبقى في فم الدنيا.. حديثاً عبقرياً
١٩	يا قوم الكواكبي يناديكم
٢١	لا بد لليل.. أن ينجلي ويشرق الصباح
٢٢	أصل عائلة الملوحي
٢٤	- الصحابي الجليل غالب عبد الله الملوحي.
٢٥	- الشيخ زكريا إبراهيم الملوحي.
٢٧	- الصفحات الطبية السورية، د. محمد منقذ الملوحي.
٢٩	- المبدع الاخصائي بالبصریات حسين محمد الملوحي.
٣٢	- الفنان الموسوعي الدكتور مهيار عدنان الملوحي.
٣٤	- الأستاذ الدكتور قتيبة الملوحي.
٣٦	- الأديب المبدع الأستاذ مظهر الملوحي.
٣٩	- لقاءات اجتماعية لعائلة الملوحي.
٤١	الرتاء عند عبد المعين الملوحي:
٤١	- عبد المعين الملوحي يرثي نفسه
٤١	- عبد المعين الملوحي يرثي زوجته
٤٢	- عبد المعين الملوحي يرثي ابنته ورود
٤٤	الملوحي أديب الشام الكبير في سيرته الذاتية
٤٥	الشاعر عبد المعين الملوحي.. رمز وطني خالد
٤٧	ثورة فلسطين
٤٨	كلمات للحياة والتقدم.. من خبرة الملوحي
٥١	تمهيد كتاب.. شظايا من عمري
٥٤	مقتطفات من كتاب.. شظايا من عمري:
٥٤	- تقديم

٥٤	-الإهداء
٥٥	-حمصي في القاهرة
٥٦	- فلسفة الموت
٥٧	-الشيخ الخولي يحترم الطالب الملوحي
٥٩	-الأستاذ شوقي ضيف والملوحي
٦١	-كيف عرف الملوحي دستوفسكي
٦٣	-ليس بالصدقات يحيا الشعب
٦٥	-سياسة الاستعمار والاستبداد في تجويع الشعوب.
٦٦	من آثار عبد المعين الملوحي:
٦٦	-التحقيق.
٦٨	-التأليف.
٧٠	-الإشراف.
٧١	-الترجمات.
٧٥	محبة الوطن العربي عند عبد المعين الملوحي:
٧٧	-الاستعمار الثقافي أخطر من الاستعمار العسكري.
٧٨	-عبر من التاريخ..رسالة من القاضي الفاضل(عبد الرحيم بن علي البيساني).
٨٥	-بماذا نفتخر؟ ولماذا نفتخر؟
٨٩	-للاتنصار.. يجب مقارعة الحضارة بالحضارة.
٩٠	زيتونة الملوحي الشامخة:
٩٤	-عبد المعين الملوحي.. الموسوعي معرفةً وتأليفاً.
٩٩	-الأديب عبد المعين الملوحي..في رحلة الألم والإبداع.
١٠٥	عبد المعين سعيد الملوحي...بين المادية والروحانية:
١٠٥	-البيئة والنشأة.
١٠٧	-أزمة الصراع بين الداخل والخارج.
١١٣	-دوافع الشك.
١٢٣	-الموقف الإنساني.
١٢٨	عبد المعين الملوحي.. تسعون كتاباً ومئة مخطوطة..وينبوع دفاق بالعطاء.
١٣٠	ملخص تجربة الملوحي الحياتية والإبداعية (الإبداع هو الذي يجمّل الكون ويحقق الخلود)
١٣٧	المراجع والمصادر:
١٣٩	من كتب المؤلف.

دفاع عن اللغة والتراث العربي عند الكاتب

عبد المعين الملوحي

أحببت وطني العربي، شعبه وأرضه وسماءه وأنهاره وجباله وصحراءه، أحسست أني حبة رمل في صحرائه، شظية نجم في سماءه، بذرة قمح في ترابه، قطرة دم في شرايين شعبه، قطرة ماء في أنهاره، ذرة ثلج في جباله، ورافقتني هذا الشعور حتى في طفولتي قبل ان أعرف أن لي وطناً، وزاد ونما بعد أن عرفت أن لي وطناً، وسيصحبني هذا الشعور إلى قبري.

علمت لغته العربية خمسين سنة، وكتبت له أكثر من مائتي كتاب، نشرت منها حتى الآن ٨٠ كتاباً، واستطعت أن أنشر حب لغتي وأمتي في الصين والهند والباكستان، واشعر مع ذلك أني لم أفعل شيئاً يليق بخدمة هذا الوطن الرائع وتلك اللغة الراقية^{٢٠١}.

- لغة محمد ﷺ لا لغة سيبويه:

يحلو للشعوبيين والمستشرقين والمقلدين والسفهاء من دعاة العامية والأحرف اللاتينية أن يرددوا حين يتحدثون عن اللغة العربية الفصحى أنها لغة (سيبويه) في لهجة هي أقرب إلى السخرية وأبعد ما تكون عن الواقع. فاللغة العربية هي لغة محمد ﷺ، أما لغة سيبويه فهي الفارسية، ولكن هذا الإنسان الفارسي العبقرى أحب اللغة العربية حباً جماً- أسوة بكثير من العلماء والأدباء والشعراء الذين يمتنون بأصلهم إلى الفرس أو الروم، والذين أحبوا اللغة العربية الفصحى، وكتبوا بها كتبهم، ونظموا بها أشعارهم- وقد استطاع هذا المستعرب الفارسي أن يدرس اللغة العربية وقواعدها دراسة عميقة وأن يكتب بها كتابة الخالد الذي سمي لجلالة قدره (الكتاب) والذي ما يزال المرجع الأول لكل عالم عربي، والذي لم يعرف منذ تأليفه إلا عدداً محدوداً من التعديلات.

إذن فإن اللغة العربية الفصحى، ليست لغة (سيبويه) بل إنها لغة عدنان وقحطان ومحمد ﷺ إنها لغة أجدادنا وآبائنا وأمهاتنا منذ قرون وقرون.

ونحن متمسكون بها، حريصون عليها رغم كل المحاولات في الشرق والغرب المحوها من ضمائرنا وكمسها في حبات قلوبنا وحرمان ألسنتنا منها^{٢٠٢}.

٢٠١- دفاع عن اللغة العربية والتراث العربي، عبد المعين الملوحي، دار الملوحي للنشر والتوزيع، دمشق، ط١- ١٩٩٥، المقدمة، ص ٥.

٢٠٢- دفاع عن اللغة العربية والتراث العربي، عبد المعين الملوحي، م.س، دفاع عن اللغة العربية وأنواع أعدائها، ص ٣٣.

- اللغة العربية لغة العلم:

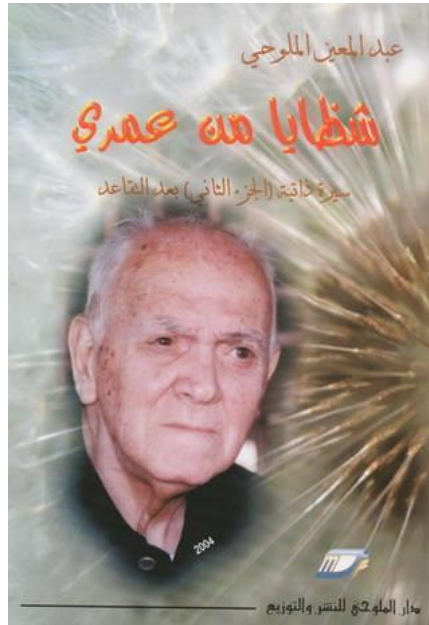
إن تطور الحضارة الحديثة يجري بشكل أساسي في طريق العلم والتقنية، فالمخترعات والمكتشفات متلاحقة والأسماء الجديدة في هذه المخترعات والمكتشفات تملأ أفواه الناس وبطون الكتب، واللغة تصبح شيئاً بعد شيء لغة العلم، فهذه اللغة ستكون لغة المستقبل، وكل لغة يريد أصحابها حمايتها واستمرارها تدعوهم إلى العناية بالعلوم والفنون العملية.

وأول ما نلاحظه على اللغة العربية أنها- وبالأسف- لا تدرس في أكثر الجامعات العربية في مواد الطب والعلوم، وإنما الدراسة في أكثر الجامعات العربية باللغات الأجنبية، وهذا يدل على تراكم مركبات النقص النفسية عند أصحاب القرار في بعض البلدان العربية.

إن تعريب التدريس في الجامعات لا يقل عن تعريب التعليم في مراحل التعليم الابتدائي، فهو أولاً يحفظ علينا لغتنا ويغنيها، فلغة المستقبل هي لغة العلم لا الأدب.

- اللغة العربية.. لغة عالمية وكونية:

اللغة العربية تفرض وجودها على العالم كله، الأمم المتحدة تتخذ قراراً يجعل اللغة العربية لغة رسمية فيها إلى جانب خمس لغات أخرى.. إن اللغة العربية هي لغة أمة.. وهي بناء يشمل المجتمع العربي كله، وإن نمو النفوذ السياسي للأمة العربية، وزيادة وزنها الاقتصادي، وانتقالها إلى صف الدول المتقدمة، هو نمو للغة العربية، وزيادة لنفوذها وتشجيع للناس على تعلمها.. إن تقدم اللغة مرتبط بتقدم أهلها ٢٠٣.



٢٠٣- دفاع عن اللغة العربية والتراث العربي، عبد المعين الملوحي، م.س، اللغة العربية والعلم، ص ٥١- ٥٢، اللغة العربية وتجدد (الحملات) عليها، ص ٥٣- ٥٤، (بتصرف).

المبدعون العرب.. الشاعر عبد الهادي الملوحي

ألم وأمل.. ديوان شعري^{٢٠٤}

*الشاعر عبد الهادي الملوحي.. شاعر الالتزام الوطني والمبادئ الإنسانية:

يُعالجُ "عبد الهادي" في أشعاره جميعَ المواضيع والقضايا: السياسيّة، الوطنيّة، القوميّة، الوجدانيّة والغزليّة.. هو يكتبُ بصدق وحرارةٍ وبحسٍّ عاطفيٍّ وطنيٍّ جيّاش.. وهذا ما يلمسه القارئُ عندما يقرأ شعره، ومن أهمِّ ما يميز شاعرنا الصِّدق في الأحاسيس والمشاعر والتعبير، بعمق عن التجربة والمعاناة الشخصيّة والذاتيّة والتجارب الحياتيّة، إضافةً إلى تمتعه بثقافةٍ واسعة.

هو إنسان قبل كلّ شيء مُترعٌ بالمثُل والقيم والمبادئ السّامية والالتزام الوطني يكتبُ بحرارةٍ وصدقٍ لشعبه الذي عانى وذاق ويلات الحرب والتشرّد، ونراه في أشعاره لا يُهادنُ ولا يُجاملُ أحداً.. بل ينتقدُ بعنفٍ كل ما هو سيء وغير صحيح وفي شعره ينابيع فن تتفجر بالأمل والتفاؤل، وأشعاره تنطلقُ من مفهومٍ ومنظارةٍ إيجابيّةٍ تُشرقُ نُوراً وسناءً في دنيانا المظلمة المليئة بالحقد والكراهية والمؤامرات والفساد.. في كونٍ وعالم مات فيه الضميرُ وتلاشت واختفت المبادئ والقيم، كما يتهدى ويتراءى أمامَ أعيننا الفجرُ القادم الذي يوشي دنيانا بشلالات من النور المتدفق من مداد قلب شاعرنا الكبير لينير دروب السائرين إلى فجر الحرية والخلاص..

ومن قصائده الجميلة في هذا الديوان، والتي تدل على حقيقة انتماء شاعرنا إلى القيم العربية والإسلامية الأصيلة، وإلى افتخاره بهذا الانتماء قصيدة: (أنا من بلاد الشمس)



أنا من بلاد الشمس شمسي لم تحد
عن طبعها الأزلي والإشراق
أنا من بلاد الشمس والعز الذي
وهب الحياة مكارم الأخلاق
أنا لست من مدن الصقيع ولم أكن
أهوى الدمار وسرقة الأرزاق

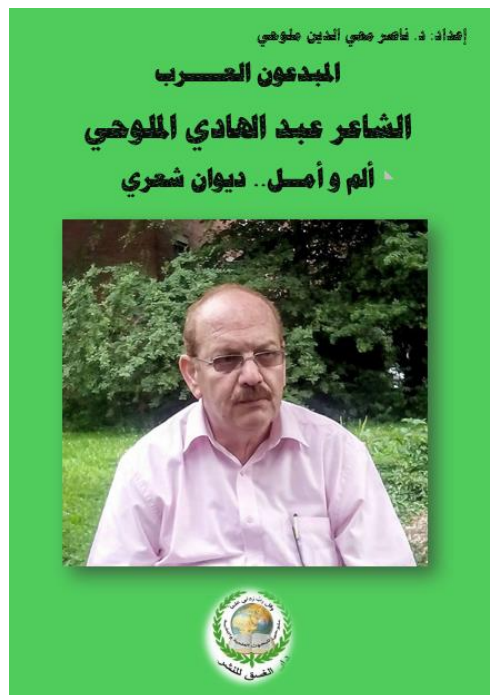
٢٠٤- المبدعون العرب.. الشاعر عبد الهادي الملوحي.. ألم وأمل ديوان شعري، تقديم: الشاعر طريف الشيخ عثمان، إعداد وتعليق: د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية سوريا، ٢٠١٩م-١٤٤٠هـ، ص ١٤٣، ق.ص ١٧×٢٤

- الشاعر عبد الهادي الملوحي.. عميد الشعر العربي في المهجر:

الملوحي.. شاعر حمصي سوري عربي عالمي أصيل، شعره عربي موزون فصيح، يلعب كالذهب العتيق ويتألق كالبرق العميق في الظلام العريض، شعره.. بليغ المبني وحكيم المعنى ونبيل الهدف، من أمواج ورياح الأمل.. ينشد سحب وأمطار الأمل، لشعره.. طموحٌ مرهف عمراني وطني إنساني عالمي، يهتم بالإنسان.. بحياته ومعاشه وواقعه وعذابه وشوقه وحبه وحنينه ومستقبله.. وعلاقته إيجابياً بأخيه الإنسان محلياً ووطنياً وعالمياً، وانسجامه متوازناً مع الموجود من طبيعة وبيئة وأكوان.. مليئة بالحياة والجمال والجلال والروعة.. في حيوية وحركية شبكة العلاقات الحياتية الطبيعية الكونية.

إنه بحق منارة للشعراء لاسيما الشباب في التأمل والرصد والبحث والتحليل والتعليق والحب والشوق والحنين والتأصيل والتوثيق.. وخاصة في زمن التسطح الفكري والفقر العقلي والقصور النقدي والضمور الإبداعي.. كأحد مخرجات التخلف الحضاري الاستبدادي وعمولة الفوضى الكارثية للتقنية الحربية - المتفلسفة وحشياً والملفقة كلامياً - للاستعمار الإرهابي الأوروبي الأميركي وأسياده وأذنابه..

له ديوانان.. هموم محفورة على جسد الريح وآخر هواجس تحتفل بالأحزان نُشرا بالجزائر بولاية جيجل والديوان الثالث: ألم وأمل في سلسلة المبدعون العرب الصادرة عن دار الغسق في سورية بمدينة سلمية بلد الفكر، وهو يذكرنا بالشعراء الكبار من أمثال المتنبي وأبي فراس الحمداني وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد الفراتي.. إنه سراج وهّاج في فن الشعر العربي الأصيل الخالد.. إنه عميد شعراء العرب في المهجر.



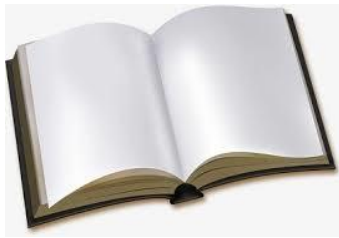
الشيخ زكريا الملوحى^{٢٠٥}

الشاعر الفنان والخطيب البليغ والقارئ المجيد المرحوم الشيخ زكريا الملوحى (١١٨٥-١٢٦٥هـ). وبالاستناد إلى وقائع حياته وشهرته بين الناس وراثته للمرحوم الشيخ أمين الجندي الشاعر الحمصي المشهور عند وفاته فإن ولادته كانت في الربع الأخير من القرن الثاني عشر في سني ١١٨٢ إلى ١١٨٥ هـ ووفاته في الربع الثالث من القرن الثالث عشر في سني ١٢٦٠ إلى ١٢٦٥ هجرية على وجه التقريب.

هو المرحوم الشيخ زكريا بن إبراهيم بن علي الملوحى، ويقال بأن أصل عائلة الملوحى من قرية السفيرة بحلب وأن مملحة الجبول الكبيرة ذات المصدر الاقتصادي الغني كانت بتصرف هذه العائلة، ويظهر أن اللقب غلب عليها فلقت باسمها. وقامت الحكومة في وضع يدها عليها لأنها مصدر ثروة عظيمة لها، وكانت النتيجة أن خرج جدهم الأعلى المرحوم (علي الملوحى) وأقام في حمص، فمن أبناء علي الملوحى من استقر في حمص، ومنهم من تركها، وتوزعوا في مختلف بلاد الشام والعالم، ومنهم من نزح إلى جسر الشغور حيث توجد هناك عائلة كثيرة العدد معروفون باسم عائلة الملوحى ويوجد في دمشق، حلب، حماه، طرطوس.. عوائل كثيرة من آل الملوحى.

لقد درس الشيخ الملوحى على أفحل علماء زمانه شتى العلوم فكان عليمًا باللغة العربية وقواعدها وأصول الفقه، وهبه الله الصوت الشجي ويسر له فحفظ القرآن العظيم عن ظهر قلبه فكان قارئاً ممتازاً لا يبارى ولا يجارى في علم التجويد، وكانت له حلقة خاصة لتدريس العلوم في الجامع النوري الكبير في حمص وتسمى مشهد الملوحى وما زالت معروفة بهذا الاسم وموروثة حتى الآن.

وقد وضع نفسه وعلمه لخدمة الناس وأغراهم على محبته بفضله وعلومه فاشتهر بما أفاد. وقد أخبر بعض المؤرخين بأن كلمة الملوحى قد تكون مشتقة من المـلاحـة، لأنهم يملكون جمالاً في الخلق وجلالاً في الخلق، فمنهم الشخصيات المتعلمة المثقفة والجميلة، فهناك الأشقر والأبيض والأسمر، يملكون النفوس الأبية والعقول النيرة والعقائد المعتدلة والسلوك الإيجابي والأعمال المنتجة والفعاليات النشيطة المتنوعة..



٢٠٥ - أعلام الأدب والفن، أدهم الجندي، ج ١ ص ٣٤-٣٥ سيرة الشيخ زكريا.

أهمية التعريب و غنى اللغة العربية

(تعلموا العربية فإنها من دينكم)

الفاروق عمر بن الخطاب ؓ

إن نجاح **تعريب العلوم** يمثل أحد الشروط الجوهرية لتحقيق نهضة علمية وتقنية غرست جذورها في تربتنا الثقافية، ومجتمعنا العربي، فإن التقنية - وأي نوع من المعرفة - لا بد أن يكون بلغة الوطن الذي يسعى لنقلها، أي أن **توطين التقنية** يحتاج:

- **أولاً إلى "تعريب" العلم:**

وهذا التعريب مرتبط ارتباطاً مباشراً بقضية **البحث العلمي وتطويره**، لذا أصبح من أهم القضايا المطروحة للمناقشة والإسهام والحوار بين المفكرين والعلماء العرب نظرياً ومنهجياً، من أجل الوصول إلى معنى شامل للتعريب لا يقتصر على **تعريب المفردات والمصطلحات** وما في مستواها، وإنما يتعداها إلى: تعريب المفاهيم، والتصورات الرئيسة التي قام ويقوم عليها العلم، إن اللغة من **خصائص الإنسان**، بها يتميز عن غيره من المخلوقات، كما أنها جزء لا يتجزأ من الشخصية، والسيادة والكرامة، وهي عامل أساسي من عوامل وحدة الشعوب، والحفاظ على الهوية، كما أنها تتعلق بأصل الوجود بأبعاد ثلاثة: **الماضي** بمخزونه الثقافي، **الحاضر** وعلاقته به، و**المستقبل**، ودور هذا المخزون التاريخي في تشكيله، هذا بالنسبة لأي لغة تخص أي أمة.

أما بالنسبة للغة العربية فإنها- فوق ما تقدم- هي اللغة التي اختارها الله ﷻ لينزل بها آخر كتابه (القرآن الكريم)، فقال سبحانه:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت، ٣.

لذلك تبوأَت قمة العناية والاهتمام من المسلمين منذ بداية شروق الشمس دعوة الإسلام، حتى قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ؓ: (تعلموا العربية فإنها من دينكم).

واستمرت العناية والاهتمام بهذه اللغة تسير بخطى واسعة، وراسخة ومتينة تساير، وتيسر انطلاقة الإسلام والمسلمين في الآفاق شرقاً وغرباً، حتى أصبحت اللغة العربية بجمالها وروعيتها تاج الحضارة العربية الإسلامية التي امتدت من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، وامتصت اللغة العربية إرث حضارات الهند والفرس واليونان وغيرهم، من العلم والفكر والأدب، وهضمته وأخرجته للإنسانية خالصاً سائغاً للشاربين.

غير أن اللغة العربية، عبر مسيرتها، لم تتعرض لمحنة مثل التي تتعرض لها كفاءتها، وإقحام لغات أخرى لحصونها، وبخسها حقوقها، وتعريب أبنائها، وبث الشكوك والدعاوى الزائفة حولها، لإنزالها من فوق عرشها، وهز مكانتها لذلك وقف أبنائها، والعارفين لقدرها ليزجوا ستائر الزيف والجهل التي تحجب نورها ليعيد إشاعة الضياء والهداية والعلم.. ومن بين الجهود في هذا الشأن تلك الصحوه المتمثلة في المؤتمرات العلمية للتعريب، بإنشاء المراكز المتخصصة في التعريب، وكذلك الجمعيات العربية المهتمة بقضية تعريب العلوم.

- بدايات التعريب:

- **التعريب هو:** تحويل الفكر غير العربي إلى فكر عربي، وتعريب المصطلحات وصياغتها صياغة صوتية وصرفية مقبولة في اللغة العربية، وترجمة علوم ومعارف الآخرين حتى يتم التفكير والكتابة والتأليف والمحاضرة والتعليم والبحوث والإنتاج العلمي باللغة العربية، ومن أهم ما يلزم ذلك إتقان اللغة العربية من منابعها الأساس.

وهنا يقفز سؤال مهم: ما ملابسات إبعاد اللغة العربية عن العلوم في أغلب الدول العربية وتدريسها بلغات أخرى؟ وما أثر ذلك على التقدم العلمي بها؟.

ولكي تكون الإجابة واضحة ومحددة سنختار نموذجاً يتم تدريس العلوم فيه باللغة الأجنبية، وليكن المصري فبداية التعليم العالي في مصر كانت طيبة ومبشرة للغاية، فعندما أنشأ (محمد علي باشا) مدرسة الطب عام ١٧٢٧م، كان التعليم فيها باللغة العربية، مع أن أوائل أساتذتها كانوا من الفرنسيين والإيطاليين والأسبان والألمان، فلم يحاول هذا الرجل الذكي - وهو تركي الأصل - أن يجعل التدريس فيها بلغة أولئك الأساتذة، ولا حتى بالتركية أو الألبانية اللتين انحدر منهما، وكذلك لم يفعل رئيس مدرسة الطب الفرنسي "كلوك بك" الذي حاول أن يعلم الأساتذة الأجانب اللغة العربية، أن يعلم الطلاب اللغة الفرنسية، وظل التعليم العالي معرباً في مصر ستين عاماً، حتى وقع الاحتلال الإنجليزي لمصر، وفرض المستعمر الإنجليزي تعليم الطب باللغة الإنجليزية عام ١٨٨٧م، وقبل هذه النكسة كان اليابانيون يبعثون إلى مصر من أجل التعرف على الوسائل التي اتبعتها في نهضتها الحديثة الرائدة إذ ذاك، ولا شك أن لغة التعليم قامت بدور كبير في هذه النهضة.

- إجهاض التجربة:

لقد كانت مصر مؤهلة لبلوغ ما حققته اليابان من تقدم مذهل فيما بعد، لولا أن وأد الاستعمار ذلك الأمل بتحويل لغة التعليم إلى لغة أجنبية، وقضى على قوة الإبداع والاختراع، فقضية التعريب قضية ضرورة ملزمة، ولها منافع مؤكدة، والاعتراضات عليها مفندة وغير منطقية، فما يتهم به الجاهلون العربية اليوم من

العجز عن الوفاء بمتطلبات العلم الحديث، إنما هو في واقع الأمر تعبير عن عجزهم في العلم والعمل واللغة جميعاً، فبعضهم يدعي أن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب معطيات النهضة العلمية الحديثة، وهذا ادعاء كاذب.

إن اللغة العربية غنية وقادرة، فعلم المنطق مثلاً ترجم العرب ما ألف فيه، واستخدموا لقواعده ألفاظاً عربية مثل: (الموضوع، والمحمول، النتيجة)

وليس ذلك فقط، بل طوره ثم أخذوه الغرب عنهم، وهذا يدل على أن هذه اللغة لغة ثرة، والإحصاءات تؤكد ذلك، فاللغة الفرنسية مثلاً بها ٢٥ ألف كلمة، أما العربية فيها ٨٠ ألف مادة، وفي المادة عدد من الكلمات، كما أن اللغة العربية لغة اشتقاق أيضاً..

وبعقد مقارنة بسيطة بين اللغتين العربية والإنجليزية، يتضح الفارق الكبير بينهما، ويوضح ثراء اللغة العربية، فمثلاً كلمة: أخ، أخت، ابن أخت، ابن أخ، بنت أخت.. الخ، نجد أن ثلاثة أحرف فقط مستعملة في كل هذه الكلمات.

أما في الإنجليزية فنجد أخ: Brother، وأخت Sister، ابن أخت Nephew، بنت أخت Niece، كما نجد أنه لا صلة بين هذه الكلمات تشير إلى علاقة الأخوة.

وينطبق ذلك أيضاً على كلمة: كتب، كتاب، مكتب، مكتبة، كاتب، مكتوب.. الخ، مقارنة بمثيلاتها الإنجليزية، فاللغة العربية تحتاج إلى من يستعمل ذلك، والعلماء حينما كانوا يسجلون أفكارهم وسائر العلوم التطبيقية باللغة العربية جعلوا الآخرين يتعلموها.

وأذكر جيداً عندما كنت مشاركاً في أحد المؤتمرات العلمية التي عقدت في موسكو أيام الاتحاد السوفيتي سابقاً، أن تحدث السوفييت عن أحد كبار علمائهم القدامى بفخر عظيم واصفين إياه بأنه "أبو العلوم" وقد وصل إلى هذه الدرجة لتعلمه اللغة العربية كما يقولون، وقد قال أحد المستشرقين عن اللغة العربية: (إنني لم أجد لغة من بين اللغات التي تخترق القلوب والعقول إلا اللغة العربية).

والدليل على غنى اللغة العربية أننا لو أردنا مثلاً أن نحصي الكلمات التي تعبر عن حركة السير لوجدناها تزيد على ٣٠ كلمة منها مثلاً: يمشي، يسير، يسعى، يهرول، يدور.. الخ..

- الخوف من التعريب جهل مريب:

التعريب إذاً أمر مهم جداً، بل أصبح قضية حيوية أمام الموقف المتردي لوضع اللغة العربية في النظام التعليمي العام، الذي يساوي بينها وبين اللغة الأجنبية في عدد ساعات الدرس في المدارس الحكومية بما لا يتطابق مع نصوص الدستور والقانون من وضع أصيل للغة العربية في المجتمع، ولا يفوتنا أن نشير إلى أن إنشاء المدارس التجريبية- وهي مدارس لا يتطابق مسماها مع واقعها، لأنها مدارس لتعليم المواد العلمية بغير اللغة العربية، وليست تجريبية في نظامها التعليمي- يعد مخالفة للنظام الإسلامي، بل والدستوري العام الذي ينص على أن العربية هي اللغة الرسمية للدولة، وإذا كان هناك مسوغ ملح لتعليم اللغة الأجنبية، فلا يجب أن يطغى على اللغة القومية وعلى الأساس العلمي للمؤسسات التعليمية، كما أن الدراسات أثبتت أن كفاءة خريج هذه المدارس أقل في مستواه العلمي من خريج مدارس التعليم الحكومي الذي يكون فيه تدريس مختلف المواد العلمية باللغة العربية عدا اللغة الأجنبية، ناهيك عن المخاطر التي تتعلق بهوية طلبة هذه - المدارس التجريبية، ومدارس اللغات الخاصة، والمدارس التي لا تخضع للنظام التعليمي العربي، في تلك المراحل المبكرة، التي لا تكون العربية لغة تعاملهم العلمي.

كما ظهرت أيضاً ممارسات لغوية لبعض المؤسسات العامة تقصر عن التطابق مع نصوص القانون وروحه بالنسبة للغة العربية، حتى أنني رأيت بعض مصارف القطاع الحكومي بدأت تخاطب عملاءها بغير العربية، كما أن قانون الاستثمار سمح للمؤسسات الخاضعة لأحكامه بالتعامل بغير العربية، بل إن هناك مؤشرات تشير إلى مخاطر وشيكة من جراء تغريب أوجه الحياة العامة، كل ذلك يتعارض مع القوانين المؤسسة للنظام العام، ويجب التعامل مع هذا الوضع قبل أن يستفحل.

- سعادتك في سمو أهدافك

ليكن لك هدف نبيل راقٍ وطموح ايجابي بعيد على المستوى الفردي والوطني والعالمي والكوني، واعمل جاهداً وبعزم ونشاط وبقوة وتوكل على الله سبحانه وتعالى. فأهدافك سوف تحققها تدريجياً وعمراً ما كانت مرتفعة المنسوب، لأن الصخور تسد الطريق أمام الضعفاء، بينما يرتكز عليها الأقوياء ليصلوا إلى قمة المجد والحضارة والقوة..

﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾ النجم- الآية ٣٩

- وهم يجب كشفه:

أيضاً هناك من يزعم أن تعريب العلوم سيؤدي إلى انقطاعها عن مصادر العلم، وعدم متابعة التطورات العلمية المتسارعة من حولنا.

ولا شك في أن مجرد انقطاعنا عن مصادر العلم العالمي المتجددة حماقة، بل انتحار!! ولكن الصلة بين طلابنا وبين تلك المصادر ينبغي أن تتوثق من خلال أساتذتهم أولاً، ومن خلال تعريفهم بالمصطلحات العلمية العالمية، ومن خلال الصفوة المختارة للدراسات العليا التي تحدد دورها في القيام بواجبات الريادة، ومن ثم تعد لها إعداد خاصاً من الناحيتين العلمية واللغوية، وهذه الصفوة ستقوم عند نضجها بالترجمة والتأليف للقاعدة العريضة، ولذلك لا نقطع عن مصادر العلم، ويؤدي ذلك إلى توطين العلم، وقيام النهضة العلمية على أساس وطني.

ولا يعني تعريب العلوم عدم الاهتمام باللغات الأجنبية بل يعني الاهتمام بها، والإعداد الجيد للمترجم، فالترجمة أساس هام من أسس التعريب.

- التعريب المفقود:

ونحن لا نقصد أن تكون الترجمة أو التعريب منصب على مجرد تعريب المفردات والمصطلحات وما في مستواها - رغم أهمية هذا الجانب وأساسياته - وإنما نقصد أيضاً تعريب المفاهيم والتصورات الرئيسية التي يقوم العلم عليها وهي دون ترتيب: مفاهيم التوحيد القياسي للتجربة، والتجريب، والملاحظة، والاستنتاج استناداً إلى وقائع فعلية محددة ومتكررة، والقياس الكمي، الحسابي والرياضي، والفصل بين الموضوعي والذاتي، وبين القابل للحساب كميًا، وبين القاصر على التأمل الذهني أو الاستدلال المنطقي، إلى آخر ما أنتجته فلسفات العلم من مختلف المدارس والتيارات.

كما نقصد بالتعريب أيضاً، تعريب تاريخ العلم، فإن فلسفة العلم دون تاريخه هي روح بغير جسد، وتاريخ العلم دون فلسفته جسد بلا روح، كما يقولون، فاستيعاب تاريخ العلم من مختلف المنظورات التي يكتب بها هذا التاريخ، وفلسفته في لغتنا العلمية - عقلانية الإدراك الموضوعي للعالم، والسعي إلى الاستثمار الأمثل للموارد- (الطبيعية والمعرفية والبشرية)، وهو شرط ضروري لترسيخ مبدأ أن العلم والعقلية العلمية لا يعرفان القطع النهائي الجامد، رغم أن المعرفة العلمية توفر الأساس الكافي اللازم لبناء نوع من اليقين العملي المتمثل في أن كل معرفة ينتجها العلم بمناهجه المتعمدة ووسائله المجربة التي صمدت للاختيار هي معرفة صحيحة

حتى إشعار آخر أي أن يكشف العلم ذاته ما يزيد هذه المعرفة دقة، أو ما يفتح باباً جديداً تدخل منه إلى العالم، أو نافذة جديدة تطل منها عليه. ٢٠٦

ألم وأمل .. في الوجود



البحر الهادئ .. لا يصنع أبداً بحاراً ناجحاً، ففي الأمواج والأعاصير تظهر مهارات وقدرات وإرادات وابتكارات واختراعات .. الرجال، فالصعوبات والتحديات والأزمات .. تسد الطريق أمام الضعفاء ، بينما يدوسها ويرتكز عليها الأقوياء كحال الصخور .. ليصلوا إلى قمة النمو والسمو والرقى والتحضر والقوة .. والمجد.

٢٠٦- المجلة العربية، الرياض، العدد ٣٢٧، السنة ٢٩، ربيع الآخر ١٤٢٥ هـ / يونيو ٢٠٠٤ م، أهمية التعريب وغنى اللغة العربية، تأليف أ. د نبيل سليم، ص ٥٠ - ٥٢، (بتصرف).

ضرورة تطوير اللغة العربية

إن اللغة العربية هي الوطن الروحي للعرب جميعاً، وهي سجل تاريخهم العظيم وربطتهم المتينة الوثقى، ومرآة تقدمهم في الحاضر وسرّ إبداعهم في المستقبل.

وإن من أفضل الأعمال الاجتماعية والثقافية والسياسية رعايتها والنهوض بها بجميع الوسائل لبلوغ أعلى الغايات.

ولا ريب أن تقدم اللغة العربية في العصر الحاضر منوط بتقدم المجتمعات العربية وسمو الزاد الفكري والعلمي لديها، إن اللغة العربية هبة أرضية وسماوية بين أيدي أهلها تتقدم بتقدمهم، وتنكص بنكوصهم. لقد تبين في الماضي سخاء هذه اللغة وسناها ورفعتها والشأن الواسع والسامي الذي بلغته تأليفاً وشعراً وعلماً.

وهذه الهبة السخية الرائعة تتعرض لأخطار متعددة من مشككين في صلاحها للحضارة الحديثة، ومن متقاعسين في إتقانها، ومن غافلين عن تلك الأخطار التي تهاجمها بها عامياتها في كل صقيع من الداخل، كما تهاجمنا من الخارج اللغات الزاحفة المتقدمة ذات البهرج الظاهر والضعف الذاتي القاصر. وكما سيكون العرب في المستقبل ستكون اللغة التي هي مرآتهم، وأداة تعبيرهم وتفاهمهم وتفكيرهم وتربطهم، إن خيراً فخير، إن شاء الله.

- الاهتمام باللغة العربية واجب وطني وقومي وعالمي.

اللغة العربية بين سائر اللغات مدعوة لأن تتبوأ مكانتها الحقيقية على صعيد اللغات القليلة الحديثة المتقدمة مع الاعتماد على التقنيات اللغوية الجديدة لكي تكون عوناً لهذه اللغات، لما تشتمل عليه من حيوية فائقة وتجارب طويلة، ومرونة عجيبة، وغنى زاخر، وطواعية بديعة تلائم شتى المجالات، وتتسع لأرحب الآفاق، وتوحي بأبداع الممكنات، ولا سيما أن طائفة كبيرة من اللغات التي تأثرت بالحضارة العربية تحتاج في الوقت الحاضر في مجال المصطلحات والألفاظ الحديثة إلى عون تلك اللغة الجميلة الخالدة.

لا شك أن اللغة العربية سوف تتطور تطوراً بالغاً في المستقبل، تطوراً يذكّرنا ما نبّه عليه قديماً هيراقليطس، ولكننا نأمل مع هذا التطور أن تحافظ على وجودها الأصيل وجوداً يذكّرنا ما أشاد به مواطنه بارمنيدس، وكلاهما وقبلهما يتجاوزهما جدّ العربية القديم سيدنا إبراهيم باسمه العربي الصميم الذي هو أبو الأرهام أي أبو الخصب، وهو أيضاً أبو القرى وإكرام الضيوف.

وإذا كنا نؤهنا في صدر هذا الحديث بماضي اللغة المجيد فلنكي نؤكد واجباتنا تجاهها في الحاضر، ولكي تلتهب نفوسنا معها شوقاً إلى تحسين المستقبل، أولاً يسوغ لنا في الختام، بعد تلك المقدمة السالفة والشرح

المتداني الوافي، أن نتغزل بجمال هذه اللغة ومحاسنها تَعزُّل العاشق بحبيته التي لا كفاء لمحاسنها ولا شبيه
لجمالها ولا مثيل لجمالها ولا نظير لاستعدادها لتشرق شمساً جديدة في مستقبل جديد شريف عادل.

لساننا في حسنها كالجمال
كل لغات الأرض مهما تكن
علوية المنشأ قدسية
ترى المعاني بين ألفاظها
ريحانة الأنفيس في المنتدى
صانت علوم الأرض في حينها
أخت الجديدين ولكنها
قيثارة أصداء الحانها
فيا لها معشوقة خامرت
تيمني منذ الصبا حبُّها
كم ساهرت عيناى نجم الدجى
لم يعتلج في خلدي خاطر
وكل شياو لمحبه غامض
في السر والجهر ونجوى المنى
مهما طغا الدهر أخيراً فما
أبناؤها ناموا طويلاً فهل
لا بد من يوم لنا نعتلي
لساننا كالشمس في وقدها

خالدة الأركان وجه الزمان
قاصرة عن شأنها في البيان
راسخة أساسها في الجنان
براقة مثل الدراري الحسان
سيدة الألسن عند الرهان
لنعم ما صانت، ونعم الصوان
إن قدما فهي الكعاب الرزان
في الشرق والغرب وأقصى مكان
روحي وعظمي وسواد الجنان
فزانني ذاك الهوى حين زان
ورق لي في سهرى الفيرقدان
إلا غدت وهي له ترجمان
يبرز التعبير نصب العيان
والفكر والدين لها أي شأن
مست مجاليتها يد للهوان
آن لإيقاظ النجوم الأوان
أيضاً سنام المجد والصولجان
حياتنا وبيتنا والأمان

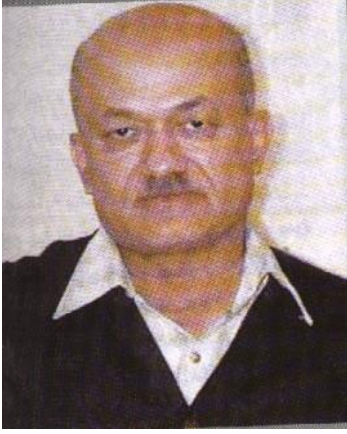
٢٠٧



علم العروض العربي الرقمي الرياضي

حوار مع المهندس المري "خشان الخشان" المبتكر طريقة جديدة لتعليم علم العروض العربي الرقمي:

جميل أن نجد من يهتم باللغة العربية من غير أبنائها المتخصصين في اللغة، والمهندس "خشان الخشان"



تخصص في الهندسة المدنية ولكن هذا لم يمنعه أن يبرع في هندسة اللغة ويوجد

طريقة جديدة في علم العروض، وهي طريقة (العروض الرقمي) لكي تسهل

على المهتم بها دراستها بشكل مبسط وسريع، وكان لـ "المجلة العربية" هذا

اللقاء من الأستاذ المهندس خشان الخشان:

- هل لنا في البداية أن نتعرف على سيرتك الذاتية؟

- أنا مهندس مدني، تخرجت من الجامعة الأمريكية في بيروت ومعظم خبرتي في

مجال المقاولات في المملكة العربية السعودية.

- أنت مهندس مدني ولك اهتمام باللغة العربية فكيف استطعت أن تمتاز بين المجال العلمي والأدبي؟

-فيما يخص موضوع العروض الرقمي -الرقمي هنا صفة لعلم العروض وإن أردنا وصف كلمة العروض قلنا

الرقمية - فإن نظرة متفحصة إلى دوائر الخليل تثبت الطبيعة الرقمية العلمية لعلم الخليل، وتبين أن التفاعل

والبحور ما هي إلا طريقة لفظية لوصف جزئيات المنطق الكلي للخليل المتمثلة في البحور والتفاعيل وما

يطرأ عليها من تغيرات.

- والعروض الرقمي صلة وصل بتفكير الخليل.

- هل لنا أن نتعرف على علم العروض بشكل موسع؟

- لا يذكر علم العروض إلا ويذكر معه الخليل، وهو من أعظم العبقريات العربية في تاريخ الحضارة الإسلامية.

(وهو خليل بن أحمد عمر بن تميم الفراهيدي البصري العربي، من أزد عمان، ولد سنة مائة للهجرة وتوفي

على الأغلب سنة ١٧٥ هـ، وهو أول من نهج مسالك جديدة في علم العربية فهو المؤسس الحقيقي لعلم

النحو العربي الذي وضعه تلميذه سيبويه بعد أن تلقاه عنه وهو واضع معجمه المشهور (العين)، ومبتكر

علم العروض (اكتشافاً ليس له سابقة ولا تدانية لاحقة) بشكل يحمل ما يشهد بإتقانه لنظريات العلوم

الرياضية في عصره علماً وفقهاً وتحليلاً وخاصة في نظريتي المعادلات والتوافق والتبادل"، وعلم العروض هو

(ميزان الشعر، به يعرف صحيحه من سقيمه).

- ما الطريقة التي أوجدتها في علم العروض وهل هناك أحد شجعك على هذا الأمر وما الذي أضفته لهذا العلم؟
- طريقي أسلوب لا غير في تناول علم الخليل، وكونها رقمية يفتح آفاقاً كثيرة للتأمل، كما أنه يقدم مادة العروض كجوهر لا تعدو التفاعيل والبحور وأحكام الزحاف والعلة أن تأتي في السياق كتفاصيل واضحة.

- وهنا تقديم موجز لهذه الطريقة كما يلي:

فالعروض الرقمي أسلوب مبسط للتعبير عن عروض الخليل، يكاد يخلو من المصطلحات ولو رمزنا للمتحرك مثل ل، ب بالرمز (١) وللساكن مثل م والممدود (أ-ي) بالرمز (٥) فإن للعروض الرقمي مفردتين لا غير هما، (الرمز يساوي عدد الحروف المتحركة والساكن الذي لا بد أن تنتهي به فيما لا يزيد عن ٣).

لا يبدأ الكلام في العربية بساكن، ولكنه ينتهي به، وهذا ينطبق على مفردتي العروض الرقمي وهما ٢ و ٣ فلا بد أن تكون بداية كل منهما بحرف متحرك وأن تكون نهايته بحرف ساكن.

- متحرك + ساكن = مثل م، لا = ٥١ = ٢ وهو ما يسمى في العروض بالسبب.

- متحرك + متحرك + ساكن = ٥١١ = ٢١ = ٣ وهو ما يسمى في العروض بالوتد.

وتمثيلاً لذلك هذه الكلمات حيث نعتد في تقطيعها على ما تلتقطه الأذن دون اعتبار لقواعد الإملاء:

فاعل ← ف = ٢ و علن = ٣ ← فاعل = ٣ ٢

السنا ← أس = ٢ و سنا = ٣ ← السنا = ٣ ٢

هل لكم ← هل = ٢ و لكم = ٣ ← هل لكم = ٣ ٢

لنأخذ البيت التالي كمثال:

الخليل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرّمح والقِرطاسُ والقلمُ

الصدر = ال ٢ - حَي ٢ - لُول ٣ - لِي ٢ - لُول ٣ - بِي ٢ - د ٢ - ع ٢ - نَع ٣ - ر ١ - فُي ٣

= ٣ ١ ٣ ٢ ٢ ٣ ٢ ٣ ٢ ٢ = ويمكننا اصطلاحاً جمع ٢٢ = ٤ فيصبح الوزن = ٣ ٢ ٣ ٤ ٣ ٢ ٣ ٤

والعجز = وس ٢ - سِي ٢ - فُور ٣ - رُم ٢ - حُول ٣ - قِر ٢ - ط ٢ - سُول ٣ - ق ١ - لَمو ٣ =

= ٣ ١ ٣ ٢ ٢ ٣ ٢ ٣ ٢ ٢ =

كما أننا نرمز ل ٣١ في الكامل والوافر ب ٤

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهن منك أواهل

ل ١ - كيا ٣ - منا ٣ - ز ١ - أفل ٣ - قلو ٣ - ب ١ - منا ٣ - زلو ٣

= ٣ ٣ ١ ٣ ٣ ٢ ٣ ٣ ١ = ٣ (٤) ٣ (٤) ٣ (٤)

أق ٢ - فر ٢ - تان ٣ - ت ١ - وهن ٣ - نمن ٣ - ك ١ - أو ٣ - هلو ٣

= ٣ ٣ ١ ٣ ٣ ١ ٣ ٢ ٢ = ٣ (٤) ٣ (٤) ٣ (٤)

- ولتسهيل الإحساس بالعروض رقمياً أسوق ما يلي:

ماذا لو نقرت بإصبعك عند كل حرف أزرق وتوقفت عند كل حرف أحمر..؟
ستجد نفسك تنقر بهذه الصورة الجميلة حيث:

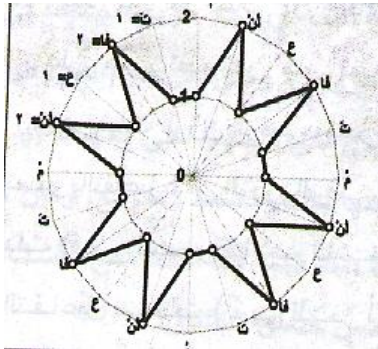
(دُ) ترمز في الشعر للمتحرك، وترمز في الموسيقى للنقرة أو الضربة.
(مُ) ترمز في الشعر للحرف الساكن، وترمز في الموسيقى للصمت أو السكوت.
دُم = ٢ دُ دُم = ٣

دُم دُدُم دُم دُم دُدُم دُم دُم دُدُم
٢ ٣ ٢ ٢ ٣ ٢ ٢ ٣
فا علا تن فا علا تن فا علا تن
فا علن مس تف علن مس تف علن

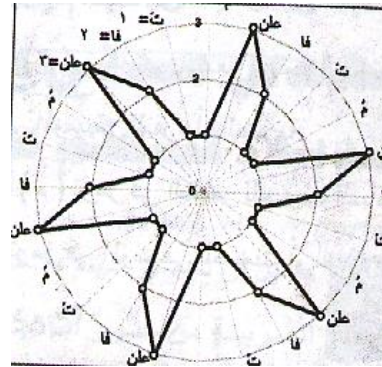
- في ثبات الوزن الرقمي وتغير طرق التعبير بالتفاعيل:

- أن الوزن الرقمي أقرب للذات (فهو للبحر كالاسم للشخص)..
- والتفاعيل صفات (فهو للبحر أشبه بالكنى للشخص قد تتعدد) حيث يمكننا أن نعتبر وزن الرمل:
فاعلاتن فاعلاتن فاعلا أو فاعلن مستفعلن مستفعلن أو حتى فا مفاعيلن مفاعيلن علن.

ولمزيد من التأمل فيها هنا تمثيل لبحر الكامل في ثلاثة أشكال: ٢٠٨

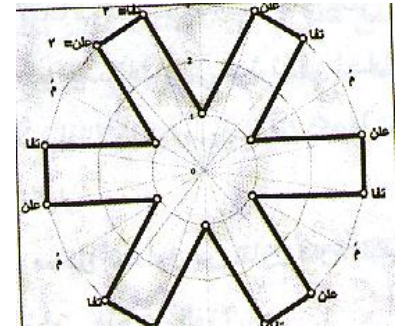


م ت فاع لن = ٢١٢١١



الشكل الأوسط باعتبار

مُ تفاعلن = ٣٢١١



مُ تفاعلن = ٣٣١

وأما فوائد هذه الطريقة التي يمكن أن تعتبر إضافات فهي مبثوثة في إجابات الأسئلة الأخرى، فأتوقف عن ذكرها منعاً للتكرار.

- هل أنت أول من تناول فكرة التعبير الرقمي هذه عن الوزن ؟

- بدأت هذا الموضوع قبل أن أطلع على أي سابق فيه حوالي سنة ١٩٩٣ م وقد نشرت الطبعة الأولى من الكتاب سنة ١٩٩٧ م.

بينما طلعت قبيل نشر الكتاب على كتاب الشيخ جلال الحنفي (العروض وإعادة تدوينه) وأثبت ذلك في الصفحة ٢٣٧ من الطبعة الأولى.

وهنا أبين أن الشيخ استعمل الرقمين ١ و ٢ للدلالة على التفاعيل وزحافاتهما فحسب، ولم يتطرق لخصائص هذين الرقمين في الإيقاع واستعمل الرقم ٣ للدلالة على السبب المتلو بسكون.

فمثلا باب = ٣ لديه، بينما أرمز لها بـ ٥ ٢، فعلان لديه = ٣ ٢ وأنا أرمز لها ٥ ٢ ٢ يقول الشيخ جلال الحنفي في كتابه ص - ٢٤: (وكنت تنبعت إلى هذه الأرقام وما في استعمالها من جدوى وفائدة أن أطلع على (بدائع العروض) للأستاذ ميخائيل الله الذي قد يكون هو مبتدع هذه الطريقة من تلقاء نفسه، فإني لم أعثر عليها من المصادر العروضية الكثيرة).

ثم تبين لي فيما بعد أن الهنود هم أول من استعمل الرقمين ١ و ٢ كما هما معرفان هنا قبل آلاف السنين. ٢٠٩
- هل وضعت كتاباً لهذا العلم وما مدى انتشاره ؟

- نعم وضعت كتاب (العروض رقمياً) العام ١٤١٨ هـ، ولم أعهد بنشره لناشر ولعل هذا هو سبب قلة انتشاره.

- هل قمت بعرض هذه النتائج الجديدة في علم العروض على مجمع اللغة العربية؟ أو أحد المهتمين في هذا العلم.

- كلا، ولكني ألقيت محاضرة في نادي الرياض الأدبي وكان استقبال معظم من حضر من المختصين غير مشجع، لأن التفاعيل تغني - في رأيهم - عن الأرقام.

- ما الذي تود أن تقوله في ختام هذا اللقاء وما الذي تتمناه ؟

- إن علم العروض الرقمي صلة بتفكير الخليل وهو جدير بالعناية لما يبينه من جماليات اللغة العربية ومن تنمية للتفكير بشكل عام.

كما أنني أتمنى أن يطلع عليه رجال التعليم، ويقتنعوا بتدريسه، وفي رأيي أن ساعة واحدة أسبوعياً لمدة فصل واحد كفيلة بترسيخ مبادئ هذا العلم في ذهن الطلبة في المرحلة الإعدادية، ووضع أساس متين لمن يريد منهم أن يتوسع فيه مستقبلاً. ٢١٠.

٢٠٩ - للمزيد حول هذا في الرابط: <http://www.geocities.com/alarud/albairouni.html>

٢١٠ - المجلة العربية، الرياض، العدد: ٣٢٥، السنة ٢٩، صفر ١٤٢٥ هـ / أبريل ٢٠٠٤ م، حوار: منيرة حسن المشخص مع المهندس خشان الخشان حول علم العروض العربي الرقمي، ص ٨٦ - ٨٨.

يا قوم.. الكواكبي يناديكم

(يا قوم، هون الله مصابكم، تشكون من الجهل ولا تنفقون على التعليم نصف ما تصرفون على التدخين، تشكون الفقر ولا سبب له غير الكسل، ترضون بأدنى المعيشة عجزاً تسمونه قناعة، وتهملون شؤونكم تهاوناً وتسمونه توكلاً يا قوم، أهتمكم الله الرشد، متى تستقيم قاماتكم، وترتفع من الأرض إلى السماء أنظاركم وتميل إلى التعالي نفوسكم؟ يا قوم، جعلكم الله من المهتدين، كان أجدادكم لا ينحنون إلا ركوعاً لله، وأنتم تسجدون لتقبيل أرجل المنعمين، وأجدادكم ينامون الآن في قبورهم مستوين أعزاء وأنتم أحياء معوجة رقابكم أذلاء، النبات يطلب العلو وأنتم تطلبون الانخفاض لفظتكم الأرض لتكونوا على ظهرها وأنتم حريصون على أن تنغرسوا في جوفها... وأنت أيها الشرق الفخيم رعاك الله، ماذا أدهاك؟ ماذا أقعدك عن مسراك؟ أليست أرضك، تلك الأرض، ذات الجنان والأفنان ومنبت العلم والعرفان؟ وماؤك تلك السماء، مصدر الأنوار ومهبط الحكمة والأديان وهوأوك ذاك النسيم العدل لا العواصف والضباب؟ وماؤك ذاك العذب الغدق لا الكدر ولا الأجاج؟) ٢١١

إن الدافع للعمل الدؤوب والنشاط الاجتماعي والعلمي والثقافي المستمر متضمن في الحديث النبوي الشريف:

(من وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)

والآية القرآنية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ يونس، ٤٤.

هذه صرخة قوية لنا للمساهمة في تطوير ما توصل إليه العلم في مختلف فروع المعرفة عن طريق الاستفادة من إيجابيات كل الثقافات والحضارات البشرية وفي كل زمان ومكان، بالإضافة إلى انتشار مؤسسات علمية



متعددة الاهتمامات ومجهزة بالكوادر الفنية والفكرية والبحثية لنقوم بإجراء الدراسات والأبحاث العلمية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية المحلية، وإن هذا السبيل يضعنا في موقع نكون فيه قادرين على الانتقاد والتعديل والإبداع بالإضافة إلى التوصل إلى فهم أدق للأزمات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية.. التي يعاني منها أفراد مجتمعنا ومعالجة عواملها والوقاية منها، وبالتالي المساهمة في مشروع حضاري نتصدر فيه موكب الإنسانية، وبهذا المعنى العلمي العملي نكون شهوداً على الناس أجمعين ٢١٢.

٢١١- طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، عبد الرحمن الكواكبي، تقديم د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط٣ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ١١١-١٣٢.

٢١٢- يا قوم الكواكبي يناديكم، د.ناصر محي الدين ملوحي، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم للصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦١، كانون الأول ٢٠٠٩، ص ٢٩.

لماذا نزل القرآن الكريم باللغة العربية ؟

هذا السؤال كثيراً ما كان يطرح في الدول الأوروبية وأمريكا، إذا نزل القرآن الكريم للناس كافة..

فلماذا نزل باللغة العربية !؟

الإجابة موجودة في سورة فصلت:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَلْعَجَمِيُّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً
وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ فصلت، ٤٤ .

فالقُرآن هو:

هدى وشفاء للناس بصرف النظر عن جنسيتهم ولغتهم، والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر بصرف النظر عن البلد الذي ولدوا فيه ولو كان مكة نفسها، فهم في آذانهم وقر لا يسمعون، والقرآن يصل إلى قلوب المؤمنين بصرف النظر عن جنسيتهم أو لغتهم.

لقد قارنا اللغة العربية مع خمس لغات علمية، فوجدنا أن اللغة العربية هي فعلاً بدون تحيز أكفأ وأجود وأفضل لغة في العالم لسن القوانين، فالقرآن الكريم أتى بالقوانين النهائية، القانون الرباني الذي يشاؤه الله سبحانه وتعالى لهذه الأرض، ولا بد أن يكون القانون واضحاً دون لفٍّ أو إبهام، أعطيكُم مثلاً الآية الكريمة:

﴿ وَالْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبِعَوْلَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ البقرة، ٢٢٨ .

في اللغة الإنكليزية عندما نريد أن نتكلم عن مجموعة من الناس فإننا نقول: (They) (هذه الكلمة لن تفيدنا ما إذا كانت المجموعة إثنان أو أكثر، ذكور أو إناثاً، ولكن نجد في اللغة العربية: هم، هن، هما، هاتان..

هذه الآية نقول: ﴿ إِنْ أَرَادُوا ﴾ البقرة، ٢٢٨ .

وليس (إن أردن)، ففي اللغة الإنكليزية التعبير واحد عن هاتين الجملتين.

آية أخرى نقول: ﴿ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ القصص، ٢٣ .

كلمة قالتا كلمة واحدة، أي لغة ثانية تعبر عنها بأربع كلمات على الأقل، قالتا معناها، اثنتان من النساء يقلن كذا، باللغة الإنكليزية نقول: The tow women sead هذا ما قصدته بالكفاءة والجودة والمعرفة العلمية في الصياغة اللفظية^{٢١٣}.

٢١٣ - عليها تسعة عشر (الإعجاز العددي في القرآن الكريم)، د. رشاد خليفة، ط١، دار الإرشاد بحمص- سورية، ص ٣٤ - ٣٦ (بتصرف).

وللتوضيح أكثر نشرك رأي الكاتب أحمد حسن الزيات فيقول: (إن لكل لغة عبقرية تستكن في طرق الأداء، وتنوع الصور وتلاؤم الألفاظ، هي من حيث طريقة الأداء تستكن في الإيجاز ومن حيث تلاؤم الألفاظ تستكن في السجع والأزدواج).

ثم يفصل القول في هذين الفصلين الكبيرين فيقول: (إذا كانت الوجازة أصلاً في بلاغات اللغات، فإنها في بلاغة العربية أصل وطبع وروح).

وأول الفروق بين اللغات العربية^{٢١} واللغات الآرية أن الأولى إجمالية والأخرى تفصيلية.

يظهر ذلك في مثل قولك: قُتِلَ الإنسان!

فإن الفعل في هذه الجملة يدل بصيغته الملفوظة وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل، وهي معان لا يمكن التعبير عنها في لغة أوروبية إلا بأربع كلمات أو خمس، وطبيعة الكلمات الإجمالية الاعتماد على التركيز والاختصار على الجوهر، والتعبير بالكلمة الجامعة، والاكتفاء باللمحة الدالة، كما أن طبيعة اللغات التفصيلية العناية بالدقائق، والإحاطة بالفروع والاهتمام بالملايسات والاستطراد إلى المناسبات والميل إلى الشرح، ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل إلا بعد اتصالها بالآرية في العراق والأندلس..

(وإن هذا الاختلاف اللغوي هو اختلاف جنسية وعقلية ومزاجية..)^{٢١٥}

- القرآن الكريم عامل وحدة لغوية عربية:

من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم أن يأتي للعرب أولاً ثم للعالم بأفصح تنتهي إليه لغات العرب جميعاً وهي لغة قريش ولكن قال بعض العلماء وقد كانت في القرآن ألفاظ من لغات أخرى كقوله:

﴿لَا يَلْتَمِسُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ الحجرات، ١٤.

أي لا ينقصكم بلغة بني عبس، ونقل الواسطي في كتابه الذي وضعه في القراءات العشر، أن في القرآن من أربعين لغة أو لهجة عربية، وهي: قريش، وهذيل، وكنانة، وختعم، والخزرج، وأشعر، ونمير، وقيس عيلان، وجرهم، واليمن وأزد شنوءة، وتميم، وكندة، وحمير، ومدين، ولخم، وسعد العشيرة، وحضرموت، وسدوس، والعمالقة، أثمار، غسان، ومذحج وخزاعة، وغطفان، وسبأ، وعمان، وبنو حنيفة، وثعلب، وطيء، وعامر بن صعصعة، وأوس، ومزينة، وثقيف، وجدام، وبللى، وعذرة، وهوازن، والنمر، واليمامة.

٢١٤ - لفظ السامية: كلمة وضعها المستشرقون وليس لها أساس علمي أو تاريخي، والأصح منها مصطلح عروبية.

٢١٥ - جمالية العربية، كتاب العربي ٥٢، ١٥ أبريل ٢٠٠٣، ط١، ١٥ / ٤ / ٢٠٠٣، فاروق شوشة، ص ٥٣ - ٥٤.

ولا سبيل إلى تحقيق ذلك، لدروس هذه اللغات وتداخلها وتقطع أسباب المقارنة بينها وبين لغة قريش التي مضوا على استعمالها بعد القرآن وأطبقوا عليها، والعلماء إنما يذكرون من أكثر اللغات في القرآن الكلمة والكلمتين^{٢١٦}.

وفي صفة القرآن الكريم قال رسول الله ﷺ: (فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل)^{٢١٧}

- عالمية لغة القرآن الكريم:

احتوى القرآن الكريم بعض الكلمات من اللغات العالمية السائدة خلال عصر النبوة تأكيداً على عالمية وكونية القرآن الكريم وإن بعض علماء اللغة العربية قد درسوا الكلمات الغريبة الأعجمية المعربة في القرآن الكريم، حيث ذكر ذلك السيوطي وغيره مما أخرجه ابن جرير بسند صحيح عن أبي ميسرة التابعي الجليل قال: (في القرآن من كل لسان)، وروى مثله عن سعيد بن جبير ووهب بن منبه، وقال: (والقرآن احتوى على جميع لغات العرب وأنزل فيه بلغات غيرهم ومن الروم والفرس والحبشة شيء كثير).

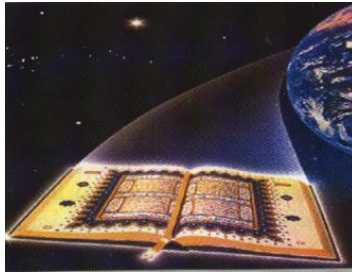
ثم قال في موضع آخر: (في القرآن من اللغات خمسون لغة: لغة قريش وهذيل وكنانة..

ومن غير العربية: الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريانية والعبرانية والقبط..)^{٢١٨}.

ومن هذه الكلمات المعجمية المعربة: سجيل، المشكاة، سندس، استبرق، اليم، الطور، أباريق^{٢١٩}

وحكمة ذكر هذه الكلمات الغريبة المعربة في القرآن الكريم هو:

التأكيد على أهمية التبادل اللغوي بين الشعوب، وبالتالي التواصل الثقافي والتعاون الحضاري والتعارف البشري بشكل دائم، مما يعطينا قاعدة للإنتلاق للحوار الحضاري العالمي على أساس الندية وتبادل الخبرات بين الشعوب بشكل سلمي وإنساني وتجاري.



٢١٦ - تاريخ آداب العرب، ج ٢، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م، لغة القرآن، ص ٦٤.

٢١٧ - يفهم العربي في هذا الحديث أن في القرآن تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً. تاريخ آداب العرب (الجزء الثاني)، مصطفى صادق الرافعي، م.ن، آداب القرآن، ص ١١٣.

٢١٨ - الاتقان في علوم القرآن: ١/١٣٦، ١/٣٧ وحتى ص: ١٤٠، وانظر ما نقله الجواليقي من مثل ذلك على الأئمة في كتابه (المعرب): ٥٢-٥٣، نقلاً عن: أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، طبعة أولى ١٩٨٢، ص ٩

٢١٩ - أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، ط ١، ١٩٨٢، ص ٧٢

- لماذا نزل القرآن الكريم بلغة العرب؟

من مقتضى سنة الله تعالى في خلقه ألا يعذبهم حتى يبعث فيهم رسولاً أو نبياً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويوضح لهم ما يهم حياتهم في الدنيا والآخرة.. يقول تعالى:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ (١٥) سورة الإسراء

ومن مقتضى دعوة الرسل والأنبياء مراعاة لسان المخاطبة وبيان الدعوة، فكانت السنة في كل رسول ونبى، المخاطبة بين المبعوث وقومه بلسان القوم أنفسهم ليحدث الفهم والتفهم.

ولسان المخاطبة لدى الرسول محمد ﷺ لم يكن بدعاً عن سنة الرسل والأنبياء الذين سبقوه في المخاطبة، وإن كانت دعوته ﷺ تتميز بنهج الشمول والكمال لبقية الناس والأمم خارج نطاق الجزيرة العربية، فإن من سبقه من بعض الرسل كانت دعوته تتميز بهذه الشمولية، باستثناء الجان، فكل من سبقه من بعض الرسل كانت دعوته تتميز بهذه الشمولية، باستثناء الجان، فكل من كان رسولاً فدعوته عامة إلى قومه، وقد قرر المولى جلّ ذكره لسان المخاطبة للرسل بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٤) سورة إبراهيم

فهذا تقرير رباني في ماهية اللسان المخاطب المبلغ، فإنه بلسان القوم والأنبياء الذين يعيish الرسول معهم وفيهم، وفي تقرير اللسان العربي، يقول تعالى:

﴿ الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (١-٢) سورة يوسف

﴿ وَإِنَّهُ لَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ

مُبِينٍ ﴿٥﴾ (١٩٢-١٩٥) سورة الشعراء

ولحكمة يعلمها الله تعالى كان القرآن بلغة العرب، بل بلغة قريش التي بها نزل، وكأني بهذه الحكمة، السبب تتوضح مع الأيام والسنين، انطلاقاً من منطوق القرآن ومفهومه، فلنتأمل قوله تعالى:

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) سورة فصلت

ولنتدبر معها آية أخرى:

﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٣) سورة الزخرف

وما بين العلم والعقل من روابط القربى وعوامل الألفة ومن أسرار، جدير باللغة التي تحمل هذا النص الرباني، أن تكون على مستوى تلك الأسرار نفسها، ومن غير العربية أولى بحمل هذه الأمانة، أمانة العلم وأمانة العقل في زواج بينهما لا يعرف الطلاق إليه سبيلاً.

ولكن رب معترض يقول: ماذا يتغير فيما نزل القرآن بغير لغة العرب؟

فالكلام نفسه قد يقال: ونرد على المعترض قوله من وجهتين:

الأول من القرآن الكريم نفسه حيث يقول تعالى:

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً

وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ (٤٤) سورة فصلت

وكأني بالقرآن- وهو كلام الله، ومن أصدق من الله قيلاً- ينفي عن غير العربية، أيأ كانت تلك اللغة، قدرتها على تحمل الأمانة التي أشرنا إليها سابقاً بدليل أن اللسان الأعجمي، وبتقرير القرآن نفسه، لا يستطيع التفصيل، بينما أسند ذلك التفصيل للغة العرب، وما ظاهرة الإعجاز بكل صورها اللغوية والبيانية إلا دليل على صحة ما نذهب إليه.

والوجه الثاني ما قرره علماء اللغات والألسنيون من أن لغة العرب من أكثر اللغات العالمية اتساعاً في التعبير وأقدرها على التعامل مع المعاني، وأساليب التعبير فيها خير شاهد على ذلك.

وللتذكير فقط، وحتى لا تساء محبتنا للغة الضاد والغيرة عليها من عبث العابثين وفتنة المفتونين، فيظنها البعض عصبية وما هي بعصبية، ولكنها كلمة حق تقال، نسأل: مَنْ مِنَ اللغات حوى أو تعامل في أساليب التعبير بالمنطق نفسه الذي تعاملت به لغة العرب من مجازر وحقيقة، وتشبيه وكناية واستعارة، وتقديم وتأخير، وفصل ووصل، وحذف ومضاف، وتنوين وبناء، واستخدام للضمائر المتصلة والمنفصلة، المرفوعة منها والمنصوبة، فضلاً عن النعت والحال والتمييز، وعوامل الإعراب المختلفة من ضم وفتح وكسر وسكون وجزم، وعلة ومدّ إضافة للمشتقات الإسمية والفعلية وغير ذلك من مباحث يطول ذكرها.. ولن نزيد في الكلام أكثر، ولكن نخيل القارئ الكريم على الفصل اللاحق المتعلق بترجمة القرآن وأحكام الترجمة، ورحم الله الشاعر إذ يصف اللغة العربية بقوله:

أنا البحر في أحشائه الدرّ كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدقاتي^{٢٢٠}

٥٩

حافظ إبراهيم (على لسان اللغة العربية)

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم... أنوح كما ناح الحمام المطوق

إن المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب، بل في رجولتهم نقص كبير ومهين أيضاً

٢٢٠- كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها، سلسلة العلوم القرآنية الكتاب الأول، تأليف: د. كامل موسى، د، علي دحروج، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ط٢- ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، بين التفسير والتأويل، ص ٥٦-٥٨، (بتصرف).

ترجمة القرآن الكريم إلى ٣٠ لغة

قد بلغ عدد الترجمات التي قام بها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة حتى عام ١٤٢٠هـ، أي بعيد انتهاء القرن الرابع عشر الهجري وبداية القرن الخامس عشر الهجري، إلى ثلاثين

ترجمة^{٢٢١}، شملت لغات عالمية، واسعة الانتشار، منها:

- اللغة الأردنية ويتحدث بها أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة في آسيا.
- اللغة الأرومية ويتكلمها حوالي ٣٠ مليون نسمة في منطقة الحبشة.
- الأسبانية ويتكلمها أكثر من ٣٠٠ مليون نسمة.
- الألبانية ويتكلمها حوالي ١٧ مليون نسمة.
- الأندونيسية ويتكلمها حوالي ٢٥٠ مليون نسمة.
- الإنجليزية ويتكلمها أكثر من ٦٠٠ مليون نسمة.
- لغة الأنكو (البمبارا) لغة أفريقية تنتشر في غرب القارة الأفريقية، ويتكلمها حوالي مليوني نسمة.
- اللغة الأويغورية وهي لغة تركستان أقليم في الصين.
- اللغة البراهوية وهي لغة البلوش.
- لغة البشتو في أفغانستان وباكستان وما يجاورهما.
- اللغة البنغالية في بلاد البنغال.
- اللغة البورمية في بورما وما يجاورها.
- اللغة البوسنوية أو الصربوكرواتية في بلاد البلقان.
- اللغة التاميلية في جنوب الهند وسريلانكا.
- اللغة التايلاندية في تايلاند وجوارها.
- اللغة التركية.
- اللغة الفلبينية (التغالوغ).
- اللغة الزولو بجنوب أفريقيا.
- اللغة الصومالية في شرق أفريقيا.
- اللغة الصينية.

٢٢١ - مانع بن حماد الجهني، عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، ص ١٦٩١. نقلاً عن: كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها، سلسلة العلوم القرآنية الكتاب الأول، تأليف: د. كامل موسى، د، علي دحروج، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ط٢- ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م، ص ١٧٩.

- اللغة الفارسية.

- الفرنسية.

- اللغة القازاقية في جمهوريات آسيا الوسطى.

- اللغة الكشميرية.

- اللغة الكورية.

- اللغة المقدونية في مقدونيا وبعض بلاد البلقان واليونان.

- اللغة المليبارية في الهند.

- لغة الهوسا في أفريقيا.

- لغة اليوروبا في نيجيريا وبنين وبعض الدول الأفريقية.

- اللغة اليونانية^{٢٢٢}.

وما تزال الجهود تبذل على أكثر من صعيد تنفيذاً للأهداف المنشودة حتى تترجم معاني القرآن الكريم إلى كل لغات الأرض، مكتوبة ومنطوقة، بإذن الله تعالى^{٢٢٣}.

ترجمة القرآن الكريم إلى ١٢٣ لغة

أحصى الدكتور محمد صالح البنداق^{٢٢٤} في دراسته القيمة عن المستشرقين وترجمة معاني كلمات القرآن الكريم ما يزيد عن مائة وثلاث وعشرين لغة.



٢٢٢ - عناية المملكة العربية السعودية بتفسير القرآن الكريم وترجمة معانيه، ص ١٧ - ٢٤. نقلاً عن: كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها، سلسلة العلوم القرآنية الكتاب الأول، مصدر سابق، ص ١٨٠.
٢٢٣ - كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها، سلسلة العلوم القرآنية الكتاب الأول، تأليف: د. كامل موسى، د، علي دحروج، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ط ٢- ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، ص ١٧٨ - ١٨٠.
٢٢٤ - المستشرقون، وترجمة القرآن، البنداق، محمد صالح، ص ١٥٣ - ٢٣٢. نقلاً عن: كيف نفهم القرآن دراسة في المذاهب التفسيرية واتجاهاتها، سلسلة العلوم القرآنية الكتاب الأول، مصدر سابق، ص ١٨٤.

اللغة العربية وانتشار الإسلام عالمياً

أين ما انتشر الإسلام عمت اللغة العربية وأصبحت هي اللغة الرسمية، فحيثما سار الإنسان بين المحيط الأطلنطي في الغرب والمحيط الهادئ في الشرق وعلى سواحل المحيط الهندي فلا يرى إلا اللغة العربية يكتب بها ولا يسمع نطقاً إلا بها وكذا حديث الناس، ومع هذا فقد بقيت اللغات المحلية لكل شعب ولكنها كانت في ضمور ولكن اضطرت اللغات المحلية التي ليس لها أبجدية، أي لم تكن مكتوبة، أن تستعمل الحرف العربي في كتابتها لانتشاره وتعود الناس على رؤيته في الكتابة العربية، ولكن اللغة العربية بدأت تنحسر عن رقعته التي كانت تحتلها فيما مضى، وذلك بتحريض من أعداء الإسلام في الخارج وغير المسلمين في البلاد الإسلامية المتواجدين فيها، فقاموا يدعون إلى العصبية بأسلوب ماكر طلي على الناس والجهلة وما أكثرهم في تلك الأيام، وقام دعاة العصبية يدعون إلى لغاتهم المحلية تمشياً مع دعوتهم وانسجاماً مع فكرتهم إلا أنهم أبقوا الحرف العربي هو المستعمل في تلك اللغات لاتخاذ القرارات الفورية وعدم الانتظار لإيجاد حرف جديد أو تعلم الحرف اللاتيني، فقامت تركيا بعد الحرب العالمية الأولى بقليل بتغيير الحرف العربي انطلاقاً من حركتها العلمانية، وتبعها في ذلك الدول الأجنبية التي كانت تسيطر على أجزاء من العالم الإسلامي مثل هولندا في أندونيسيا، وروسيا في مناطق التتار والقفقاس والتركستان، ومع ذلك فما زالت اللغات تستعمل الأبجدية العربية منها: الفطاني في شبه جزيرة الملايو، والأوردو في باكستان، والفارسية في إيران، والبشتو في أفغانستان، ولغات بعض الشعوب الأفريقية مثل: الفولاني والولوف والماندنيج وغيرها، ولكن أقر في المؤتمر الأفريقي ١٩٨٥ استخدام الحرف اللاتيني بدلاً من الحرف العربي للدول الأفريقية^{٢٢٥}.



٢٢٥- في جغرافية العالم الإسلامي، د. سارة حسن منيمنة ود. محمد الإسكندراني، دار بيروت المحروسة للطباعة والنشر، لبنان- بيروت، ط٣- ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م، ص ٩٦- ٩٧.

محورية النص القرآني في ثقافتنا وديننا

قال الزمخشري في (كشافه) يصف القرآن الكريم: (كتاباً ساطعاً بياناً، قاطعاً برهانه، وحياً ناطقاً بينات وحجج، قرآناً عربياً غير ذي عوج، مفتاحاً للمنافع الدينية والدينيوية، مصداقاً لما بين يديه من الكتب السماوية، معجزاً باقياً دون كل معجز على وجه كل زمان، دائراً من بين سائر الكتب على لسان، في كل مكان، أفحم به من طولب، بمعارضته من العرب العرباء، وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء، فلم يتصد للإتيان بما يوازيه، أو يدانيه، واحد من فصحاءهم، ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم).

إن أخطر ما يصيب الفكر هو أن نستسلم للكلمات، بل يجب أن نداوم على الإبداع والتجديد والتطوير في جميع علوم القرآن الكريم اللغوية والبلاغية والفكرية، والعلمية. إن الأجدى لنا والأجدر بنا هو تأصيل الوضع العالمي للغة العربية، من خلال: الدراسات المقارنة والتقابلية، والبرامج الحاسوبية والتقنية، واستغلال التنوع الثقافي واللغوي على مدى العالم الإسلامي لإغناء الثقافة العربية والثقافات الإسلامية، وزيادة الترابط بين شعوب الأمة العربية والإسلامية، ثم بين المجتمعات البشرية خاصة.

٢٢٦

زهرة اللوتس..

إحدى الظواهر العجيبة والرائعة في الحياة، وتعتبر في المشرق رمزاً للتحول الفكري والروحي والرمزي الإنساني، فهي تنمو من الوحل الذي يفوح برائحة كريهة.. إنها رمز للتحول والتغير من الحالة السلبية إلى السمو والنمو والتكيف الإيجابي، فهي تعبق عطراً وتعطي جمالاً وجلالاً.. وتنبه الإنسان العاقل والمفكر والمتأمل أن يثق بنفسه ويحول كل الصعوبات إلى مثيرات للتحضر والرقى والتقدم، فالتحديات والأزمات من جميع أشكالها هي كالصخور تسد الطريق أمام الضعفاء بينما يركز عليها الأقوياء ليصلوا إلى قمة المجد، ففي الأعاصير والأمواج العاتية تظهر قدرات ومهارات وإرادات الرجال في توجيه الفوضى بجميع أشكالها إلى نظام حضاري عمراني.. خذ العبر أيها الإنسان من مخلوق جميل خلقه الله سبحانه وتعالى ليعطيك القوة الرمزية الفعالة لتحويل وتغيير كل الواقع الرديء إلى التحضر والرقى الحضاري الشامل..



٢٢٦ - الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٧٦،، طبعة ثانية، ديسمبر ٢٠٠١،، تأليف: د. نبيل علي، ص ٤٥٨ - ٤٦١ - ٤٣٧، (بتصرف).

واجب علماء العرب و المسلمين

في تطوير اللغة العربية

د. فاروق الباز

يجب إتباع عدة أساليب في العمل العلمي والمعرفي لكي يبدع العالم العربي المسلم ويطور لغته العربية ويقدم الحضارة البشرية وأهمها:

- أولاً- التفاني في العمل:

عندما هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وشاركت في مشروع أبوللو للقمر، أدركت أنني لا بد أن أعمل أكثر من أحسن علمائهم حتى يكون لي صوت بينهم، لأنني أجنبي ومن بلد غريبة وبعيدة عنهم، وبخاصة أنني قد هاجرت في العام ١٩٦٦ م، حيث كانت العدائية تعد طابعاً للعلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية وبلدي مصر، ومن ثم كان إيجاد موضع قدم بين هؤلاء العلماء القائمين بهذا المشروع الرائد أمراً في غاية الصعوبة، ولكن التفاني في العمل وإتقانه منحني مكانة بينهم، لدرجة أن وقع على الاختيار لأكون رئيساً للمجموعة التي تدرب رواد الفضاء، وكذلك كنت سكرتيراً عاماً للجنة التي اختارت مواقع الهبوط على سطح القمر، ولم يكن ليتم ذلك لولا إدراكهم أنهم سوف يستفيدون من علمي حين يضعوني في المواقع الرئيسية.

- ثانياً- إبراز الوجه الحقيقي للإسلام:

كنت - ولازلت - كثيراً ما أحدث رواد الفضاء عن الإسلام والحضارة الإسلامية، وأطلعتهم على الآيات التي جاءت في القرآن، والتي تتناول الكون والكواكب والسيارة والنجوم ومساراتها ومواقعها، ورأيت فيهم صدوراً رحبة واسعة، وكان لي الشرف أن اللغة العربية الوحيدة - إلى جانب الإنجليزية - التي نطقت على سطح القمر، لأنني لقيت رواد الفضاء التحية باللغة العربية، فقال أحدهم من على سطح القمر بلغة عربية سليمة: مرحباً أهل الأرض، من أندفر (اسم السفينة)، إليكم سلام.

كما أنني - بحكم عضويتي في لجنة تسميات سطح القمر التابعة للهيئة العالمية لعلوم القمر - كنت وراء إطلاق أسماء عدد كبير من علمائنا الأفاضل على بعض المواقع في سطح القمر، مثل: جابر بن حيان، والخوازمي، والبيروني، والبياتي، وأبو الفداء، وابن سينا وغيرهم، إذ بلغ عددهم ثمانية عشر عالماً.

- ثالثاً- تمثيل حلقة الوصل بين الحضارتين الإسلامية والغربية:

بالنسبة إلى هذه النقطة، فإنني أنقل علمي وخبراتي التي اكتسبتها في الغرب إلى زملائي العلماء العاملين في فرع تخصصي في العالم العربي كله، حتى إن لي رحلة كل شهر إلى إحدى الدول الإسلامية، لإلقاء المحاضرات في الجامعات والمؤسسات والمراكز البحثية.

أما بالنسبة للنقطة الأخيرة والمتعلقة بالمشاركة الفعلية في عمليات التنمية، فإنني دربت كثيراً من المتخصصين من أقطار الوطن العربي، إذ تدرّبت في معامل جامعة بوسطن علماء من مصر والسعودية وقطر والكويت والأردن والسودان.. وغيرها، إضافة إلى أن كثيراً من الوزراء والعلماء في عالمنا الإسلامي يتوسمون فيّ الخبر، فيسألوني عن مسائل تتعلق بتخصصي، حين يريدون اتخاذ قرار بشأنها، وهم سلفاً يدركون أنني لن أبخل عليهم بما منحني الله تعالى من علم، لأنه يسرني كثيراً أن أضع علمي وخبراتي في خدمة عالمنا الإسلامي وبلدانه، كما أنني أجوب الصحراء المصرية منذ أكثر من عشرين عاماً. ٢٢٧



د.فاروق الباز

٢٢٧ الفيل، السعودية، العدد ٢١٩، السنة ١٩، رمضان ١٤١٥ هـ / شباط (فبراير) ١٩٩٥ م، حوار مع الدكتور فاروق الباز، أجراه حسين حسن حسين، ص ٥١-٥٣ (بتصرف).

د. مصطفى شاهين

إن العالم العربي الفيزيائي والفلكي الكبير **مصطفى شاهين** ما زال متشبثاً بلغته الأم، اللغة العربية الفصحى؛ رغم عيشه أكثر من أربعين سنة في أمريكا، وفي أوساط أرقى المراكز العلمية في العالم حيث تولى شاهين عام ١٩٨٤ م منصب رئيس العلماء في مراكز الأبحاث الفضائية بحيث أشرف على بناء وإطلاق المسبار الفضائي (ماجلان) الذي التقط لأول مرة في تاريخ علم الفلك صوراً لكوكب الزهرة. كذلك تولى الإشراف على بناء وإطلاق المركبة الفريدة (غاليليو) التي استكشفت أكبر كواكب المنظومة الشمسية المشتري، سنة ١٩٩٨ م. وكان يقول:

(ما زلت أقرأ بالعربية حتى الآن؛ للعربية جمالها الخاص، وأقرأ بالعربية لأتذوق جمالها الخاص).

لأنه يرى في لغته الأم جمالاً خاصاً؛ ويقرأ بها ليتذوق جمالها..

بينما نرى بعض صغار المتعلمين، أو بعض المدفوعين بدعوى أعداء هذه الأمة؛ يجهدون للنيل منها، ولإحلال اللهجات العامية محلها مع كل ما في تلك اللهجات من تشوهات قبيحة من جهة، ومخاطر جسيمة على تماسك أمةٍ بأكملها من جهةٍ ثانيةٍ .. ٢٢٨.



العالم مصطفى شاهين

٢٢٨- الإلحاد والإيمان بين المادة والروح، المنارة، د.ب.، د.ب.، اللغة العربية لغة العلم، ص ٢٥٦ - ٢٥٧، (بتصرف).

العالم الباحث الدكتور أحمد زويل

إن شخصية الباحث، وما يصدر منها من سلوك وأفعال وأقوال وتحليلات علمية ومصطلحات لغوية، تعكس ثقافة الحضارة التي ينتمي إليها والدليل:

عندما اخترع العالم العربي أحمد زويل أصغر كاميرا، تستطيع تصوير تفاعلات كيميائية بزمن ضئيل جداً يقدر بالفمتوثانية، ونال جائزة نوبل عليها، لأن هذه التقنية صورت حركة تفاعل الذرات للعناصر الكيميائية لتشكيل الجزيئات، قال: (إن هذه الذرات تسلك سلوكاً محبباً، حيث تتغازل فيما بينها عندما ترتبط وتلتقي الالكترونات من كل عنصر، لتكوين وتوليد المركبات الكيميائية المختلفة)، وهذا يدل على الطبيعة السلمية والتعاونية والإنسانية لثقافته العربية الإسلامية.

بينما معظم الباحثين الأوروبيين والأمريكيين، يعبرون عن الظواهر الكيميائية والفيزيائية والكونية، بمصطلحات تدل على الصراع، العنف، بقاء الأقوى، وفناء الأضعف، ولو كان الأحسن فكراً وعملاً، فالمهم المصلحة والمنفعة، فمثلاً يشبه الأوروبيون (أشعة الضوء كموجات البحر التي تتصارع فيما بينها، تتفانى أحياناً وتتصافر أحياناً أخرى)^{٢٢٩}، ويمكن أن يكون التشبيه أكثر جمالاً لو قالوا: (إن أشعة الضوء كموجات البحر تتعاون فيما بينها، وتلتقي وتتداخل مع بعضها لتعطي موجة قوية عالية أو يحدث تضحية فيما بينها)، ولكن كلمة تتصارع تعكس الحالة السلوكية والفلسفية للغرب، كإبادة السكان الأصليين في (العالم الجديد)^{٢٣٠}.



د. أحمد زويل

٢٢٩ - البحث عن اللانهاية حل أسرار الكون، غوردون فديزر، إيغيل ليلستول، إنجة سيليفاك، تقديم: ستيفن هوكينغ، ترجمة: د.مكي الحسيني، د.أحمد حصري، مراجعة: أدهم السمان، دار طلاس للنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٧م. ص ١٩.
٢٣٠ - للتوسع: الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسن فريضة، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٢٦/٢٠٠٥.

علم الأتوتنانية (فيزياء الأتوتنانية)

- فيمتوتنانية = 10^{-15} ثانية، وهو زمن رصد حركة الذرات والجزيئات خلال التفاعلات الكيميائية (كيمياء الفيمتوم).

- أتوتنانية = 10^{-18} ثانية، وهو زمن رصد سباحة وحركة الالكترونات ضمن الذرات (كيمياء الأتوم).

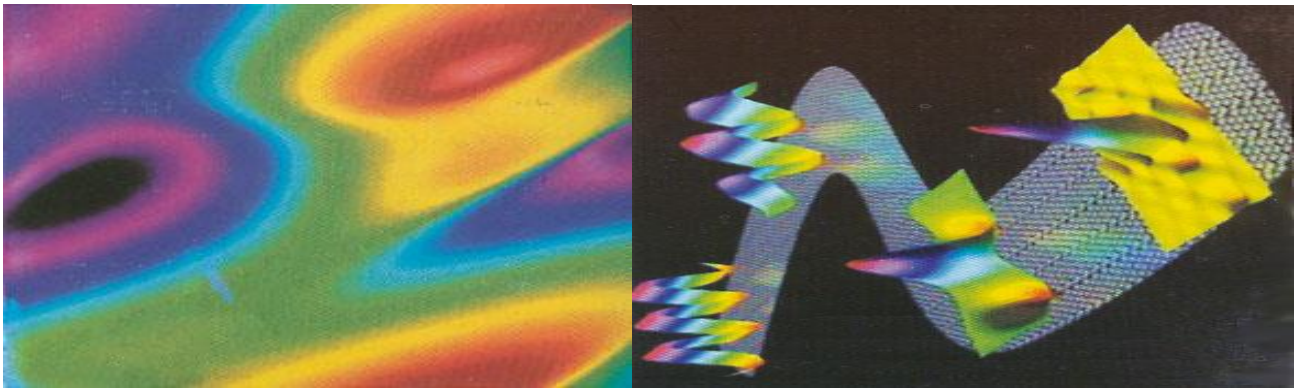
- الزيتوتنانية = 10^{-21} ثانية، وهو زمن رصد سباحة وحركة الكواركات داخل البروتونات والنترونات في نواة الذرة (كيمياء الزيتوم).

تم توليد ومضات أشعة سينية منفصلة تستمر لمدة تقاس بالأتوتنانية، حوالي ٦٥٠ أتوتنانية، كامنة في الأشعة السينية بالطيف الكهرومغناطيسي، أثمرت فيما بعد عن أخذ قياسات بالأتوتنانية لظاهرة فيزيائية معينة، هي انفصال إلكترون عن ذرة، إثر ضربها بفوتون من الأشعة السينية، وأصبحت فيزياء الأتوم، تتعامل مع أصغر وحدات قياس للزمن، كما أن كيمياء الأتوم ظهرت حديثاً، بعد كيمياء الفيمتوم التي ابتكرها عالمنا العربي د. أحمد زويل، ونال عليها جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩، بعد نجاحه في إجراء سلسلة من التجارب التي أوضحت، كيف يتم تحطيم الروابط الكيميائية، ثم إعادة تكوينها خلال فترة زمنية تتراوح بين ١٠٠ - ٢٠٠ فيمتو ثانية.

وكما يمكن للمصباح الومضي بآلة التصوير، أن يعطي لقطات ساكنة لقطرة ماء ساقطة، فإن نبضات الفيمتو ثانية ترصد السرعة الفائقة بين الجزيئات المتأثرة مع بعضها البعض، أما نبضات الأتوتنانية فإنها ترصد الحركات الأكثر سرعة للإلكترونات داخل الذرة، ونجح الباحثون في توليد نبضات من الأشعة السينية فائقة القصر، بحيث ترصد السلوك الزئبقي- أي الصاعد الهابط- للإلكترونات داخل الذرة، وفور إمساك الفيزيائيين لنبضة أتوتنانية، تأكدوا من فائدتها لهم، عندما أثارت نبضة الأتوتنانية ذرات الكربون وانتزعت منها إلكتروناتها، ثم تمكن العلماء من الحصول على قياس دقيق للغاية، في حدود بضعة أتوات ثانية، للمدة



التي يحتاج إليها الإلكترون لكي يضمحل، وهو تحول يقترن بانبعث طاقة، ولم يكن ممكناً أبداً من قبل دراسة الخصائص الديناميكية (القوى المحركة) للإلكترونات من خلال مقياس زمني ضئيل. حولت تلك التجربة، عالم الفيزياء إلى خلية نحل، إذ أصبحت الإلكترونات الآن مجالاً لبحث الأسرار الغامضة للمادة، وبدأ عصر فيزياء الأتوتانية ليس فقط في تتبع تلك العمليات، ولكن أيضاً في السيطرة على استرخاء الذرة بعد إثارتها (أي زيادة طاقتها نتيجة لامتصاصها فوتونات أو نتيجة لحدوث تصادم بها)، وهذا مثير جداً لإمكانية تصميم جهاز ليزر يستخدم أشعة إكس من خلال مقياس الأتوتانية، كما أن صناعة أشباه الموصلات والترانزستورات والمعدات الإلكترونية كرقائق الحواسيب التي نحتاج دائماً إلى زيادة سرعتها، سوف تستفيد من مقياس الأتوتانية فائق الصغر، وتتيح تطبيقات كيميائية الأتوتانية اكتشافات مذهلة في المجال الطبي والوراثي والدوائي والكيميائي، بعد دراسة دقيقة لتفاعلاتها مع الخلايا بوساطة تقنيات الأتوتانية ٢٣١.



أول صورة مباشرة لسلوك الإلكترونات داخل الذرة.

حركية وسباحة الإلكترونات داخل الذرة والكشف عنها بوساطة تقنية الأتوتانية، ونلاحظ السلوك الزئبقي الحلزوني للإلكترونات داخل الذرة.

٢٣١- مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٥٥، ذو الحجة ١٤٢٥هـ / فبراير ٢٠٠٥م، ما بعد زويل لإطلاقة على عالم "الأتوتانية"، رعوف وصفي، ص ١٥٣-١٥٤.

الباحث المبدع منير نايفة.. عالم عربي حرك الذرات

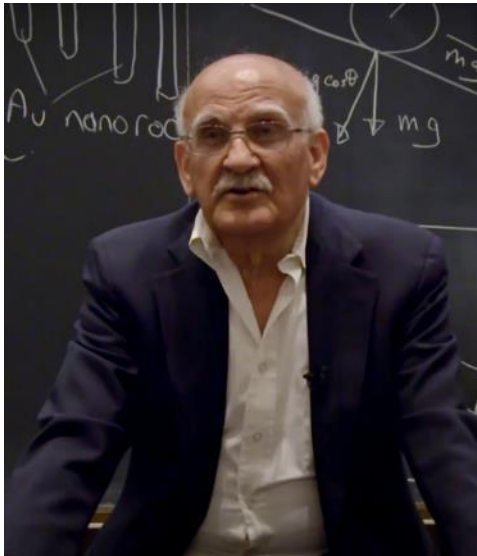
ولد البروفسور منير نايفة في كانون الأول ١٩٤٥ بقرية شويكة بجوار طولكرم في فلسطين، عمل من عام ١٩٧٧ وحتى ١٩٧٩ باحثاً فيزيائياً في معامل "أوج رج" بجامعة كنتاكي الأميركية، ثم التحق عام ١٩٧٩ بجامعة إلينوي، وفي نفس العام حصل على جائزة البحث التصنيعي في الولايات المتحدة، وتبوأ بعدها منصب بروفيسور الفيزياء في جامعة إلينوي في أوربانا شامباين (UIUC)..

إن الطفرة التي أحدثتها أبحاث العالم منير نايفة لم تتوقف على مجال الطب فقط، بل تتعدى إلى ميادين الحياة الأخرى مثل الزراعة والغذاء والبيئة والإلكترونيات، فضلاً عن تطبيقاتها العسكرية والأمنية والاستكشافية في الفضاء.. فقد ظهرت مؤخراً وعلى سبيل المثال منتجات رياضية تحتوي على مواد نانوية، وزجاج مطلي بمواد نانوية لمنع تبللها أو التصاق الأوساخ عليها.. ويمكن استنتاج تلك القفزة التي ستحققها التكنولوجيا النانوية (النانوتكنولوجي) وتطبيقاتها بتلك التي أحدثتها (الميكروتكنولوجي) والتي أنتجت الكمبيوتر والترانزيستور.. وكل المعدات الإلكترونية الحالية، وفي هذا الإطار يشير الكتاب السنوي الصادر عن الموسوعة البريطانية (بريتانیکا) إلى أن تقنية نايفة سوف تزيد من كفاءة أداء الآلات ما بين ١٠٠ مليون و ١٠ آلاف مليون مرة على الطريقة التقليدية، ويملك نايفة في جعبته ٢٣ اختراعاً في صنع جزيئات النانو سيليكون، إضافة إلى براءات الاختراع المشتركة مع علماء في المملكة العربية السعودية والأردن.

وعن أحوال البحث العلمي في العالمين العربي والإسلامي، يرى نايفة أنه ما زال في مرحلة الطفولة، وأنه يعاني من ضعف الإنفاق في وقت تحتل فيه الدول العربية المراكز الأولى في مجال الإنفاق على الأسلحة.

كما أشار نايفة إلى أن العرب ينفقون نحو ستمئة مليار دولار على الأسلحة وفقاً لعدة إحصائيات، بينما حجم الإنفاق على البحث العلمي لا يتجاوز ستين مليون دولار في كل الوطن العربي.^{٢٣٢}

نشر نايفة ما يزيد على ١٨٠ مقالاً وبمحتاً علمياً، وشارك مع آخرين في إعداد وتأليف العديد من الكتب



عن علوم النانو والليزر والكهربية والمغناطيسية، وتقديراً لعلمه ونبوغه حصل على ١٠٠ جائزة، كما وردت الإشارة إلى اسمه في العديد من موسوعات العلماء والمشاهير، أبرزها موسوعة «بريتنیکا» الشهيرة، وموسوعة «ماجروهيل» وقائمة رجال ونساء العلم الأميركيين، وقائمة رجال الإنجازات.

٢٣٢ - حوار أجرته معه الجزيرة نت، ونشر يوم ٢٤ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠١٦.

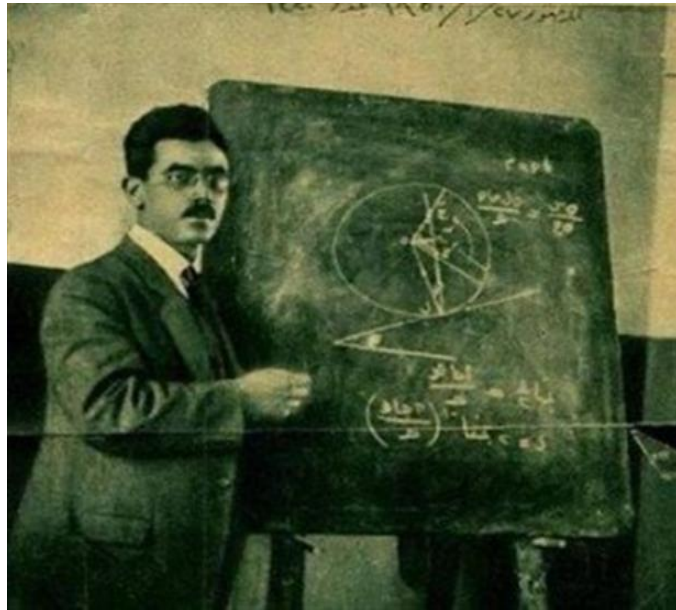
علي مصطفى مشرفة ٢٣٣

ولد علي مصطفى مشرفة في ١١ من يوليو عام ١٨٩٨م في مدينة دمياط، وكان الابن البكر لمصطفى مشرفة أحد وجهاء تلك المدينة وأثريائها.

تناولت أبحاث مشرفة نظرية الكم، وتكوين الذرة والإشعاع، والميكانيكا، وكان موضوع أبحاثه العلمية الأولى التي نشرها بين عامي ١٩٢٢ و ١٩٢٥ للحصول على درجتي الدكتوراه، الطيف في الفيزياء الكمية، أي تأثير المجالين الكهربائي والمغناطيسي على ذرات المادة.

فقد كان معروفاً في البحوث الطيفية أن المادة إذا تعرضت لمجال كهربائي تغير طيفها، وظهر مكان الخط الواحد خيطان طيفيان أو أكثر، وهي الظاهرة المعروفة بظاهرة ستارك Stark Effect. ويحدث مثل ذلك إذا تعرضت المادة لمجال مغناطيسي، وهي الظاهرة المعروفة بظاهرة زيمان Zeeman Effect.

وقد نشر النتائج التي حصل عليها في (المجلة الفلسفية) وفي مجلة إحدائيات الجمعية الملكية، ولا بد من الإشارة إلى أن أبحاثه بدأت تأخذ مكانها في الدوريات العلمية وكان لم يتجاوز ٢٥ عاماً..



٢٣٣ - للتوسع: المبدعون العرب.. علي مصطفى مشرفة، مبدع في الفيزياء الذرية ونظرية الكم والنسبية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ص ٩٥، ق.ص ١٧×٢٤.

وفي قسم آخر من أبحاثه التي نشرها عام ١٩٢٩ تناول موضوع موجات المادة والإشعاع (Material and Radiation Wves)، فكان أول القائلين بإمكان اعتبارهما صورتين لشيء واحد يتحول أحدهما للآخر، وكان ذلك تمهيداً للبحث المهم والمبتكر الذي ألقاه في المؤتمر الدولي لعلماء الرياضيات الذي عقد في زيوريخ بسويسرا عام ١٩٣٢ وعنوانه:

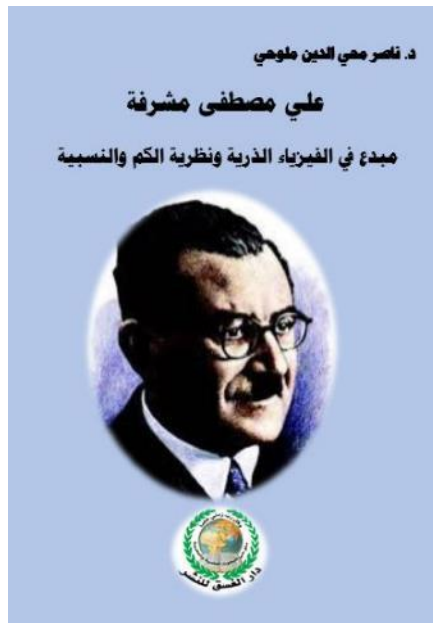
هل يمكن اعتبار المادة والإشعاع صورتين لحالة كونية واحدة؟

.Can Matter and radiation be regarded as two aspects of same world condition

وله مناظرة شهيرة مع د. طه حسين حول أهمية العلم والأدب للمصريين، فقد كان مشرفة يرى أن العلم لا يمكن أن يظل حبيسا داخل الجامعات بل هو ثقافة عامة وهو ما جعله يتقدم للإذاعة ببرنامج إذاعي شهير عن أهمية العلم مازالت الإذاعة المصرية تحتفظ به في أرشيفها، كما كان حافظا للقرآن الكريم..

ونذكر من أهم كتبه الآتي:

- الميكانيكا العلمية والنظرية ١٩٣٧
- الهندسة الوصفية ١٩٣٧
- مطالعات علمية ١٩٤٣
- الهندسة المستوية والفراغية ١٩٤٤
- حساب المثلثات المستوية ١٩٤٤
- الذرة والقنابل الذرية ١٩٤٥
- العلم والحياة ١٩٤٦
- الهندسة وحساب المثلثات ١٩٤٧
- نحن والعلم ١٩٤٥
- النظرية النسبية الخاصة ١٩٤٣



العالمة المبدعة.. سميرة موسى

الدكتورة سميرة موسى، عالمة عربية مصرية في مجال علم الذرة والفيزياء النووية، وهي تلميذة د. علي مصطفى مشرفة، وقد امتلكت هدفاً سامياً في تحرير بلادها من التهديد النووي العالمي، وأرادت أن تحمي مصر والبلاد العربية والإسلامية وكل الكوكب الأرضي من شبح وإرهاب القنابل النووية، بامتلاك طاقة نووية مدنية مصرية، واستحداث هيئة للطاقة النووية السلمية في مصر، بالإضافة لأبحاثها حول استخدامات الطاقة النووية في المجال الطبي، كمعالجة السرطان والأمراض الخبيثة.. واستخدامها في الحياة اليومية كبديل عن الوقود في التدفئة وعمل المحركات وغيرها.. هذا بالإضافة لبحثها حول تفتيت المعادن الرخيصة واستخدامها في التفاعلات النووية، عبر معادلات رياضية ومخططات بيانية توصلت إليها بعد جهد حثيث، وكانت بذلك الطاقة النووية ستصبح في متناول جميع الدول الغنية والفقيرة على حد سواء.. إلا أن طموحها العظيم لم يتفق مع أهداف المستعمر الإرهابي الوحشي الغربي ومرزقته من جميع الأنجاس والجنسيات، الذي يسعى جاهداً لإبقاء الدول النامية في حالة تبعية وعبودية مستمرة.. والذي لم يكن ليسمح بأحلام العالمة الشابة أن تتحقق، خاصة بعد رفضها العديد من الإجراءات من مال وجنسية وتجهيزات مصانع و عقود.. فقاموا باغتيالها بطريقة لا تقل دناءة عن سياستهم.. وأصبحت العالمة الدكتورة سميرة موسى شهيدة العلم والحلم العربي المدني النووي الذي لم يكتب له النجاح حتى الآن..



العالم الباحث الدكتور مصطفى السيد

الدكتور مصطفى عمرو السيد ولد في (٨ مايو ١٩٣٣)، عالم كيمياء عربي مصري يعتبر أول مصري وعربي يحصل على قلادة العلوم الوطنية الأمريكية، التي تعتبر أعلى وسام أمريكي في العلوم لإنجازاته في مجال النانو تكنولوجي، وتطبيقه لهذه التكنولوجيا باستخدام مركبات الذهب الدقيقة في علاج مرض السرطان.. وهو واحد من أفضل عشرة علماء في الكيمياء في العالم، وهو أستاذ الكيمياء بجامعة جورجيا الأمريكية للتكنولوجيا.. وصُنف في ٢٠١١ في المرتبة ١٧ ضمن تصنيف تومسون رويترز لـ "أفضل علماء الكيمياء في العقد الماضي" .. وهو معروف في علم المطيافية بـ "قاعدة السيد".

ولد في مركز ومدينة "أبو كبير" بمحافظة الشرقية وكان أصغر اخوته، انتقل مع والده إلى القاهرة عندما كان في مرحلة الدراسة الثانوية، ثم التحق بأكاديمية المعلمين العليا، ولم يمض على بدء الدراسة سوى شهرين إلا واعتصم الطلاب وطالبوا بتحويل دبلوم المعلمين إلى بكالوريوس، ووافق الدكتور طه حسين على تجميع كل المعاهد العليا للمعلمين في جامعة عين شمس، وتحويل معهده لكلية العلوم بجامعة عين شمس أول دفعته عند تخرجه عام ١٩٥٣، مما أتاح له ولإثنين من زملائه العمل بوظيفة معيد بكلية العلوم بجامعة عين شمس.

تخرج من أكاديمية المعلمين العليا دفعة ١٩٥٣ وكان ترتيبه الأول.. وبعد قراءته لإعلان صغير في جريدة الأهرام المصرية لأستاذ في ولاية فلوريدا الأمريكية عن قيامه بإعطاء منحة علمية لاثنين من الشباب المصريين للدراسة في فلوريدا، تقدم الدكتور مصطفى للحصول عليها وحصل عليها بالفعل وسافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٥٤ للحصول على الدكتوراه، وكان في نيته العودة والاستقرار في مصر بعد حصوله على الدكتوراه، وذلك الذي لم يتحقق حيث تزوج الدكتور مصطفى من فتاة أمريكية وأُتيحت له فرصة إجراء الأبحاث، فاندمج فيها وقرر أن يكمل حياته في الولايات المتحدة .

وقد سعى هو وزوجته للعودة إلى مصر، وهو ما لم يحدث رغم تقدم زوجته بأكثر من مائتي طلب للالتحاق بعمل في مصر، وذلك لرفض مصر للأجانب في ذلك الوقت (الستينات وبداية السبعينات)، درّس في العديد من الجامعات المرموقة في الولايات المتحدة، مثل ييل وهارفارد ومعهد كاليفورنيا للتكنولوجيا، وأخيرا معهد جورجيا للتكنولوجيا، حيث يتربع على كرسي جولوبوس براون هناك .

أصيبت زوجة الدكتور مصطفى السيد بسرطان الثدي، وتوفيت بعد حوالي خمس سنوات من إصابتها بالمرض، وكانت هي المدة التي حددها الطبيب المعالج كحد أقصى لبقائها على قيد الحياة .

تمت عن طريق حقن الأوردة الدموية بدقائق نانوية من الذهب، تذهب هذه الدقائق من الذهب إلى الجزء المسرطن من الخلايا، ثم بتسليط الضوء على الذهب تتولد حرارة تميمت الخلية السرطانية.. لاحظ الدكتور

مصطفى السيد أن حبيبات الذهب النانوية تلتصق بالخلايا السرطانية ولا تلتصق بالخلايا السليمة، لهذا فعند تسليط الضوء عليها فإن الخلايا السرطانية هي التي تتأثر بحرارة حبيبات الذهب فتموت ولا تتأثر الخلايا السليمة.

أجريت تلك التجارب على حيوانات صغيرة مثل الفئران وعينات تحت الميكروسكوب، أما تطبيق تلك التجارب على جسم الإنسان فيشترط تصريح الإدارة الصحية الأمريكية، وقد اشترطت إجراء بحوث عن مصير حبيبات الذهب عند بقائها في جسم الإنسان، أي يجب أن يتبين أن تلك الحبيبات لا تضر الإنسان على المدى الطويل إذا ما تركزت مثلاً في الكبد والكلى، ولا تزال الأبحاث جارية في هذا المضمار.

تم تطبيق هذه النتائج بمشاركة الدكتور أيمن مصطفى السيد أستاذ جراحة الأورام بجامعة كاليفورنيا - نجل الدكتور مصطفى - على خلايا سرطانية من حيوانات التجارب حيث لم يتم تجربتها على البشر حتى الآن.

وقد أسس الأستاذ الدكتور مصطفى السيد مجموعة علمية بمصر تقوم بأبحاث في هذا المجال، ويشرف عليها بنفسه ويزور مصر بين الحين والآخر لمتابعة عملهم، وهو يمدح ما يقومون به من عمل في مجاله العلمي ويقول أنهم يحققون نتائج حسنة.

كان الدكتور مصطفى السيد أول عالم مصري وعربي يحصل علي قلادة العلوم الوطنية الأمريكية الذي ترشح له ثمانية من العلماء البارزين في الولايات المتحدة، وقد أقام البيت الأبيض يوم الاثنين ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨ حفلاً كبيراً سلمه الرئيس الأمريكي جورج بوش خلاله قلادة العلوم الوطنية الأمريكية، التي تعتبر أعلى وسام أمريكي للعلوم لإنجازاته في مجال التكنولوجيا الدقيقة وتطبيقه لهذه التكنولوجيا باستخدام مركبات الذهب الدقيقة في علاج مرض السرطان.

ذكر في مراسم منحه القلادة في أمريكا إلى أنه يأتي تقديراً لإسهاماته في التعرف على فهم الخصائص الإلكترونية والبصرية للمواد النانوية وتطبيقها في التحفيز النانوي -تقنيه النانو- والطب النانوي وجهوده الإنسانية للتبادل بين الدول ولدوره في تطوير قيادات علوم المستقبل.

الجوائز التي حصل عليها

- جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم عام ١٩٩٠ - السعودية
- زمالة أكاديمية علوم وفنون السينما الأمريكية - الولايات المتحدة الأمريكية
- جائزة إرفينغ لانغموير ٢٠٠٢
- قلادة العلوم الوطنية الأمريكية ٢٠٠٨ - الولايات المتحدة الأمريكية

- وسام الجمهورية من الطبقة الأولى في ٢٨ يناير ٢٠٠٩م - مصر
- دكتوراه فخرية من جامعة المنصورة في ٢٨ يناير ٢٠٠٩م - مصر
- الدكتوراه الفخرية من جامعة بني سويف (كلية العلوم) ديسمبر ٢٠١٠ - مصر
- قلادة بريستلي (٢٠١٦)

المناصب التي شغلها

- رئيس كرسي جوليوس براون بمعهد جورجيا للعلوم والتكنولوجيا.
- رئيس مركز أطياف الليزر بذات المعهد.
- انتخب عضوًا بالأكاديمية الوطنية للعلوم بالولايات المتحدة عام ١٩٨٠.
- تولى علي مدي ٢٤ عامًا رئاسة تحرير مجلة علوم الكيمياء الطبيعية، وهي من أهم المجلات العلمية في العالم.
- عضويه الجمعية الأمريكية لعلوم الطبيعة.
- عضو الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم.
- عضو أكاديمية العالم الثالث للعلوم.
- باحث أكاديمي بكلية الهندسة بشبرا.



المبدعون العرب.. الدكتور المهندس سعيد السيد بدير

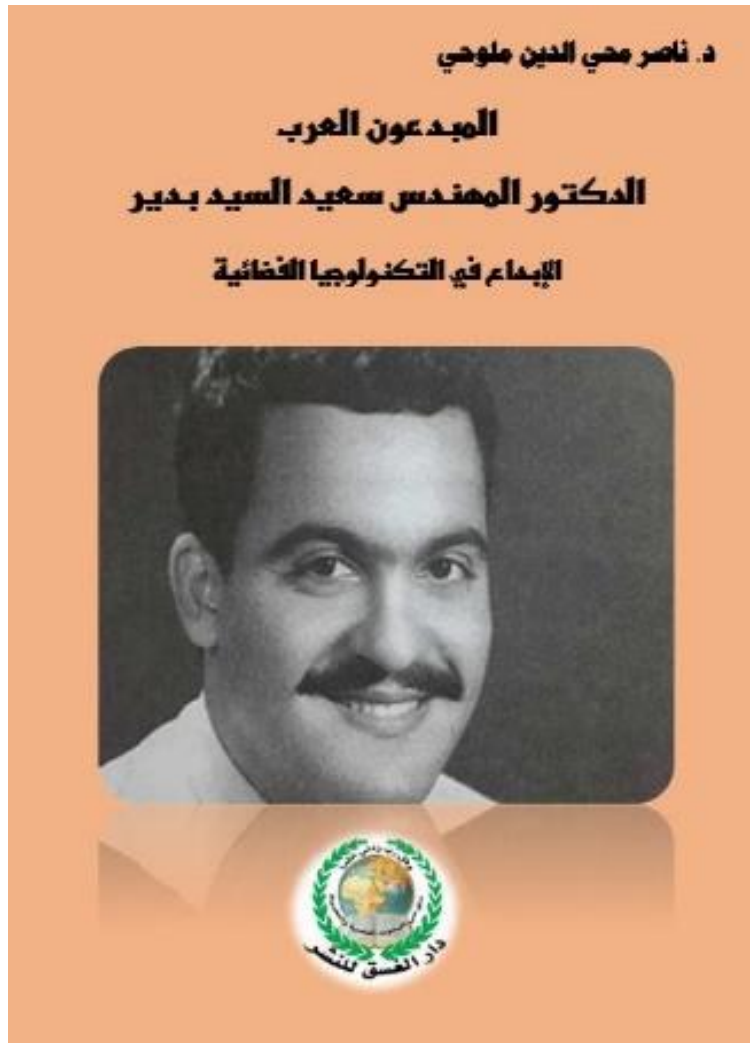
الإبداع في التكنولوجيا الفضائية^{٢٣٤}

نتحدث عن أحد النوابغ الفكرية من مصر الحبيبة، اختصاصه بأبحاث إلكترونية ودراسات نظرية وتقنية استراتيجية عالية الحساسية، تدور حول التحكم بالأقمار الصناعية المدنية والتجسسية المعادية للدول العربية وخاصة مصر، وكيفية إرسال أوامر لها، والتحكم بالمعلومات التي ترسل من القمر الصناعي إلى القاعدة الأرضية، وقد توصل لفك الشيفرة بين الأقمار الإسرائيلية وقواعدها الأرضية، بل استطاع أيضاً التشويش عليهما، تمكن الدكتور سعيد سيد بدير من التوصل إلى اختراعات تقنية إلكترونية واستراتيجية في مجال إمكانية الاتصال والسيطرة بكافة السفن الفضائية والأقمار الصناعية ذات الطابع المدني والتجسسي والعسكري والعدواني، وإمكانية الحصول على كل المعلومات الخاصة بالتجسس والرصد والتشويش على هذه الأقمار والسيطرة عليها، فبالرغم أن المشروع كان في مرحلته النظرية إلا أن أهميته الدولية كانت شديدة الوضوح والخطورة نظراً لكون الدول الاستعمارية الأوروبية والأميركية الصهيونية ومرزقتهم.. تعتمد في استعمارها وعدوانها ولصوصيتها واستخراجها للدول النامية - وخاصة بعض الدول العربية والإسلامية - على معلومات التجسس والرصد التي تحصل عليها من أقمارها الاصطناعية العسكرية التي ترسلها للتجسس والاستخبار الكارثي مع العلم بأن الدول النامية لا تمتلك تلك التقنية الفضائية التجسسية ولا تستطيع أن تناورها، فكيف بعالم عربي واحد استطاع أن يفك شيفراتها التجسسية التي ترسلها لقواعدها الاستعمارية الأرضية؟..

والأخطر من ذلك أنه استطاع أن يشوش على تلك الاتصالات بل استطاع أن يسيطر إلكترونياً على قيادة وتوجيه تلك الأقمار الاصطناعية التجسسية العسكرية للدول الاستعمارية، وهذا مما دوّخ عقول الاستعمار والإرهاب والعدوان الغربي الصهيوني فاستنفرت غرائزهم العدوانية الوحشية على العض والافتراس والمهجمة فقاموا باغتيال ذلك العالم العربي المصري الذي كان سيقدم خدمات واختراعات وتقنيات ودراسات علمية إلكترونية استراتيجية للبشرية جمعاء وخاصة إمكانية السيطرة الإلكترونية على الأقمار الاصطناعية مهما كان نوعها التي تدور حول الكوكب الأرضي عندما تتعطل أو تخرج عن السيطرة، فبدلاً من أن تنفجر وتلوث الغلاف الجوي الأرضي

٢٣٤ - المبدعون العرب، الدكتور المهندس سعيد السيد بدير، الإبداع في التكنولوجيا الفضائية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م. ق.ص: ١٧×٢٤، ع.ص: ٦٦.

فيمكن السيطرة على تلك الأقمار المعطلة وسحبها إلى القواعد الأرضية أو توجيهها إلكترونياً لمنع انفجارها بتطبيق اختراعات وابتكارات ذلك العالم المصري الذي استطاع التشويش على القمر المتجسس، أو التحكم به وتفجيره، أو إعطائه معلومات مزيفة، أو استخدامه لصالح مصر. العالم العربي سعيد بدير هو مناضل من مستوى رفيع، تحمل العديد من الضغوطات من أجل رفع اسم بلده الحبيب مصر، وضحي بالكثير ليُدخل مصر ميدان الصواريخ الفضائية والهندسة الإلكترونية والكهربائية وصناعة وإطلاق الأقمار الصناعية والمركبات الفضائية، ضحي بالكثير وكان نهاية ما ضحي به هو حياته..



المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني

الإبداع في طب المخ والأعصاب 235

تقول سامية ميمني: "فائدة اختراعي ستعم العالم كله وليس جهة بعينها فقط"، وهي مولودة بالمملكة العربية السعودية في ٨ أغسطس من العام ١٩٥٥م، التحقت بكلية الطب بجامعة الملك فيصل (الأحساء - المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية) بعد تأثرها بالوفاة المأساوية لوالدها عبد الرحيم ميمني، الذي توفي على الفور في حادث سيارة عنيف تسبب في كسر جمجمته.

كانت أول جراحة سعودية تتخصص في مجال جراحات المخ والأعصاب، فبالإضافة إلى الصعوبات المجتمعية في مجتمع يرى المرأة عاراً، واجهتها صعوبات علمية أخرى، حيث لا يوجد دراسات متقدمة في مجال جراحات المخ والأعصاب في المملكة العربية السعودية، فراسلت إدارة الدراسات العليا في جامعة تشارلز درو "Charles Drew" (كاليفورنيا-الولايات المتحدة الأمريكية) وبالفعل استطاعت أن تجتاز اختبارات القبول بدرجة امتياز، ثم انضمت للجامعة وعملت بالفعل في مستشفى "مارتن لوثر كنج" العريق بلوس أنجلوس.

تركز جل اهتمامها على الوصول الى طريقة تساعد في ترتيب معايير الإصابات والنوبات الدماغية وبالتالي الوصول إلى طرق أفضل لعلاجها، استطاعت الدكتورة سامية أن تصل إلى أبحاث واختراعات قلبت موازين طب وجراحة الأعصاب ظهراً على عقب، وبدا في الأفق مشروع علمية فذة سيستفيد العالم أجمع من أبحاثها ودراساتها. بدأ الصراع عندما عرضت عليها واحدة من كبرى شركات تصنيع الأجهزة الطبية التنازل عن براءة الاختراع في المقابل المعتاد، الملايين الخضراء العديدة، الحياة الرغدة الكريمة، المعامل المتطورة المتاحة، وجواز السفر الأزرق الذي تحُرُّ من هيئته الحكومات المستضعفة الغبية.

قابلت الدكتورة سامية هذه العروض المغرية بالرد الإنساني، رفضت بعنف قائلة "فائدة اختراعي ستعم العالم كله وليس جهة بعينها فقط".

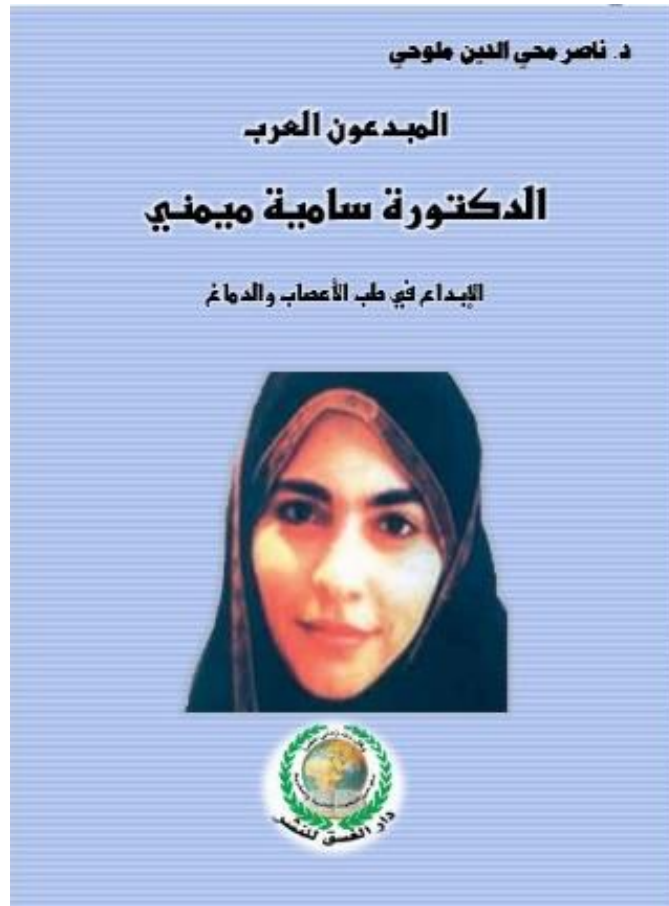
واستمرت في تطويرها وتقديمها وتميزها العلمي التقني الصحي رغم الضغوط العديدة عليها، لكنها لم تصب باليأس واسترسلت في دراساتها وإنجازاتها، وهي تحلم بأمراض تنهزم أمام مخترعاتها، بيد أنها لم تقدر الأمر حق قدره، هناك من لا يرغب في الشفاء الفعلي للأمراض قدر رغبته أولاً في جمع المليارات، وهدفه التجارة في البؤس البشري وتكريس الأمراض عند الناس وتفاقمها لسحي فلوسهم كما تفعل المافيات الدوائية العالمية في الدول الاستعمارية الرأسمالية والشيوعية والصهيونية ومرتزقتهم.

٢٣٥ - المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني، الإبداع في طب المخ والأعصاب، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ١٧×٢٤، ع.ص: ٥٢.

وعلى أثر هذه المفاوضات والضغوط الفاشلة عليها تم اغتيال العاملة الشابة في مدينة بلام بيتش في ولاية فلوريدا الأمريكية عام ١٩٩٧م، من قبل المافيات الدوائية الغربية.

أهم اختراعاتها التقنية الطبية، جهاز الاسترخاء العصبي، وهو عبارة عن وحدات من أجهزة الكمبيوتر المحاكي، الذي من خلاله تستطيع التحكم في الأعصاب، وخاصة الأعصاب الدماغية المصابة بشلل حيث يستطيع الجهاز تحريكها، ومن ثم معالجتها، وكذا جهاز "الجونج" الذي يقوم بالتحكم بالخلايا العصبية في وقت محدد وصعب جداً هو وقت فتحها وإغلاقها، وهذا الجهاز يعتبر الوحيد في العالم، كما حصلت على براءة اختراع لجهاز يحمل اسم "Mars" والذي يقوم بالاكشاف المبكر للسرطان، وجميع اختراعاتها الفريدة حصلت على براءة الاختراع من المجلس الطبي الأمريكي P.C.T. ..

وقد صُنفت من قبل "مجلة أرابيان بيزنس" ضمن "قائمة أقوى ٣٠ امرأة سعودية" لعام ٢٠١٤، ومازالت الدكتورة سامية ملهمة ومؤثرة في العديد من السيدات السعوديات على رغم من ظروف وفاتها المؤثرة^{٢٣٦}.



العالم العربي حسن كامل الصباح

٢٣٧ (ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً)

ولد حسن كامل بن علي الصباح في عام ١٨٩٥ في مدينة النبطية في جنوب لبنان من أسرة متعلمة ومؤمنة، وكان والده يعمل في تجارة الماشية، بدأ دراسته في الكتاب ثم انتقل إلى الابتدائية، وظهر اهتمامه بالرياضيات والهندسة باكراً، وينقل عن والدته تذكراً لتجاربه الأولى، مثل نفخ البالون بالغاز وتطيره في السماء، وصنعه مجسماً للكرة الأرضية، كما كان يخبرها عن أحلامه باستخراج النفط من بلاد العرب ليساعدهم في بناء حضارتهم، وبرز تفوقه في الرياضيات والعلوم والفلك والفيزياء خلال مراحل دراسته، وفي عام ١٩١٦ انخرط إلزامياً في الخدمة العسكرية العثمانية، فالتحق بقسم اللاسلكي وفيه اختلط بالمهندسين الألمان فتعلم منهم اللغة الألمانية وتابع معهم أبحاثه في الكهرباء، فرقي إلى رتبة ملازم أول وتسلم قيادة مفرزة التلغراف وبعد انتهاء الحرب غادر إلى دمشق ودرس فيها عام ١٩١٩، ثم انتقل إلى بيروت ليعمل مدرساً في الجامعة الأميركية وليشبع نهمه في متابعة التحصيل في الهندسة الكهربائية، فراسل مكنتات في برلين طالباً مجموعة من الكتب العلمية، ثم رغب بالسفر إلى فرنسا لمتابعة تخصصه ولما فشلت محادثاته مع المفوض السامي الفرنسي، سافر إلى بوسطن وانتسب إلى جامعتها .

وفي أمريكا تابع دراسته حتى حاز على شهادة الجدارة في العلوم، وهو يكابد الظروف الصعبة في محيط غريب، وبين مجموعة من الحاقدين على "الأجنبي الذي تفوق عليهم"، هذه الظروف أجبرته في ٢٠ آب ١٩٢٣ على توقيع اتفاقية محففة مع شركة جنرال الكتريك إحدى أكبر الشركات الأميركية، وقضت بضرورة أن تكون مخترعات الصباح ملكاً للشركة بحيث يتقاضى هو دولاراً واحداً مقابل كل اختراع! مع ذلك واصل عمله وعطاءه حتى برز بين أقرانه وذاع صيته، فعين مهندساً أصيلاً في الشركة ومنح في ٢٥ - ١٢ - ١٩٣٢ رتبة فتي العلم الكهربائي .

آراؤه العلمية ونقده للنظرية النسبية :

لم يقتصر نبوغه على مجال الاختراع فهو امتاز بشخصية ذكية، و متمسكة بالمبادئ الدينية والتقاليد العربية الإسلامية، وعرف بلطفه وأدبه وتواضعه ودعوته إلى الثورة ودعمه للمجاهدين الثائرين على الاستعمار، وصاحب فلسفة محكمة بقواعد فيزيائية ورياضية، حتى قال أحد العلماء الأميركيين: (كان الصباح بيننا كالمعلم بين أطفاله

٢٣٧ - المبدعون العرب .. العالم حسن كامل الصباح (ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

يلعب بأرائنا ونظرياتنا كما يشاء)، ويقول عالم آخر: (كان الوحيد بيننا الذي تجرأ على مناقشة آراء أينشتاين ونقدها والتحدث عن النسبية كأنه أينشتين نفسه).

والمعروف أن نظرية النسبية كانت نظرية حديثة مجهولة صعبة على الفهم إلا للقليلين في وقتها، فما بالك بالصباح الذي فهمها بسرعة ثم انتقدها! فهو من الرياضيين العرب الأوائل الذين درسوا نسبية أينشتاين ونقدوها، وتجراً على مناقشة آراء أينشتاين الرياضية وانتقادها بشكل علمي فيما يتعلق بالوقت النسبي والمكان النسبي والكتلة والطاقة، ومما قاله في إحدى مقالاته: (إن ما جاء به أينشتاين من معادلة التساوي بين الكتلة والطاقة كان صحيحاً، إلا أن المساواة المطلقة التي أوجدها تحمل في ثناياها بعض الخطأ، فقد دلت التجارب على وجود فرق بين الحسابات النظرية التي تعود إليها تلك المعادلة والتطبيق العملي التجريبي في المختبر).

وكان أيضاً من السباقين إلى استيعاب النظرية الذرية والدعوة إلى استغلال هذه القوة في سعادة الإنسانية ورفاهية الجنس البشري، وكان دائم الدعوة للطلاب إلى التفكير في عظيم خلق الله عز وجل بالتجارب العلمية .

ثمانون اختراعاً في الهندسة الكهربائية والإلكترونيات:

انصرف الصباح للبحوث والدراسات الرياضية والكهربائية والإلكترونية، خصوصاً في ميدان التقويم الكهربائي وتحويله وانعكاسه وتعديله وتوزيعه، وسجلت له مكاتب تسجيل الاختراعات في واشنطن وأوتاوا حتى وفاته عام ١٩٣٥ نحو ثمانين اختراعاً في حقول الهندسة الكهربائية والإلكترونيات، من بينها أجهزة مختلفة للتلفزة وبطارية شمسية لتحويل أشعة الشمس إلى طاقة كهربائية بالاعتماد على المفعول الكهروضوئي، واختراع آلة كهربائية خاصة بالبخار، وجهازاً لقياس ضغط البخار داخل أنابيب التفريغ الكهربائي في الفضاء، وتصميم طائرة تحلق في طبقة من الغلاف الجوي يبلغ ارتفاعها ٣٠ كم... ويعتبر من مؤسسي علوم الإلكترونيات الحديثة وفيزياء الحالة الصلبة وأنصاف الموصلات، وكان لنظريته عام ١٩٣١ حول التحويل الكهربائي نتائجه الباهرة في التقنية الكهربائية والإلكترونية خلال الحرب العالمية الثانية، وقطفت التقنية الأميركية ثمار اختراعات الصباح وأفكاره، ونشر الصباح عدداً من الأبحاث المعمقة في دورية جنرال إلكتريك العلمية، وأجرى بحثاً واسعاً بموضوع المحولات الساكنة المتعددة الحلقات والأطوار، ومثل شركته في المؤتمر الكهربائي العالمي في باريس عام ١٩٣٢، ليلقي فيه دراسة حول تأثير المدارات الكهربائية على الأقواس المنعكسة في مقومات القوس الزئبقي، وانتخب عضواً في معهد المهندسين الكهربائيين والإلكترونيين عام ١٩٢٤.

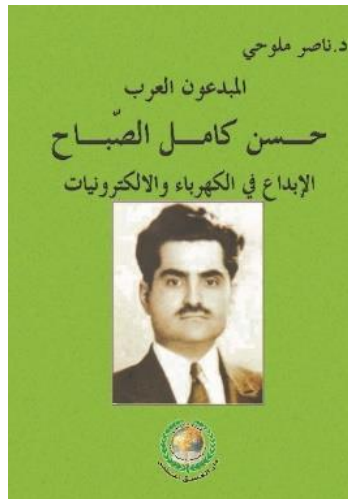
فحفلت الصحف بأخباره ومحاضراته ومقالاته، وسجلت جنرال إلكتريك معظم اختراعاته في كبرى دول العالم، كي لا يحق لأحد استغلالها، وهكذا اشتهر عالمياً، وانحالت عليه العروض والدعوات والشهادات من كبرى الشركات والجامعات والشخصيات العالمية، وعندما بدأ نجمه يتألق في سماء المعرفة عالمياً، انطفأ بصورة فجائية، حيث دبر له حادث سير في الولايات المتحدة الأميركية بالتعاون والتواطؤ الأميركي - الصهيوني، في ٣١ آذار

١٩٣٥، قبل ٢٤ ساعة من الموعد المحدد لسفره إلى السعودية، لتجربة بطارته الشمسية التي تحول الطاقة الشمسية إلى طاقة كهربائية في صحراء الربع الخالي بهدف تحويلها إلى جنة خضراء، ولاسيما أنه كان يتفاوض حينها مع أحد الزعماء العرب على بناء هذه المزارع التقنية للاستفادة من الطاقة الشمسية، فقد انحرفت السيارة التي كان يقودها عائداً إلى منزله بسبب تعطيل مقصود لفرامل سيارته، وزيادة السرعة عن طريق دفع متواصل للبنزين مما أفقده السيطرة عليها، ووقع بها من علو شاهق وقتل، وكان لموته صدئ مؤلم وخسارة فادحة للشركة التي عمل فيها وللإنسانية، ويعتبر موته خسارة كبيرة للعالم في مجال الاختراعات العلمية الفضائية والكهربائية، وتم اغتياله من قبل الموساد الصهيوني، وكالعادة، ما أكثر أن تعجز المخابرات الأميركية عن تحديد هوية بعض القتلة المجرمين!؟

ونقل جثمانه في ٢٥ مايو ١٩٣٥م إلى لبنان، وجرى تشييعه بشكل رسمي وشعبي، ودفن في مسقط رأسه بالنبطية، وأقيم له متحف، وسميت مدارس رسمية وشوارع وأحياء باسمه، والغريب في الأمر أن الاختراعات التي تركها الصباح لم تستطع أدمغة عباقرة القرن العشرين استيعابها، والدراسات الكثيرة التي أجريت لتطبيقها لم تتوصل إلى النتيجة المرجوة منها، مما زاد قيمة تلك الاختراعات .

وقد وصف مدير الشركة جنرال الكتريك جون مارسي نبوغ الصباح في رسالة موجهة إلى والده يقول فيها: (إن ولدكم كان يزداد شهرة كمفكر لامع في حل المعضلات الهندسية والرياضية، وإن تقدمه السريع كان يبشر بمستقبل زاهر، وقد برهن ولدكم أثناء عمله في شركتنا أنه من أعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الأميركية، وأن وفاته تعد خسارة كبرى لعالم الاختراع).

وإن شركة جنرال الكتريك سرقت اختراعاته الكهربائية والإلكترونية، وسجلتهم باسمها، وهذا يضعنا أمام مسؤولية أخلاقية وقانونية ووطنية في المطالبة بدفع التعويضات المادية والمعنوية من الشركة السارقة لهذه الاختراعات إلى أهل ووطن العالم حسن كامل الصباح، ويجب تشكيل لجنة مختصة لبحث ومعرفة هذه الاختراعات ثم مطالبة الشركة بالوسائل الدبلوماسية والقانونية بدفع التعويضات كاملة.



قوة التفكير قوة حضارية منتجة^{٢٣٨}

- "د. الفقي يعتبر هدية من الله لمساعدة البشرية جمعاء"
كريم سليمان، مدير مالي، الكشافة الاسلامية الجزائرية، الجزائر.
- "قمة في العلم والروعة والابداع.. ود. الفقي أكبر مما كنا نتصور والعطاء قد انتقل به للسخاء".
إيمان صبري عثمان، مديرة مدرسة الواحة للغات بالمقطم، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
- "د. الفقي عالم كبير واستاذ جيل، مهما تحدثنا عنه فهو يستحق الكثير من التقدير"
حسن علي كيال، الخطوط الجوية السعودية، جدة، المملكة العربية السعودية.
- "د. الفقي طاقة فكرية ونفسية وخلقية وروحانية متجددة فواحة بحسن الالقاء وروحه مرحة".
ندى علي عبد الله غلوم، مدرسة، البحرين.
- "نقطة تحول في حياة كل إنسان يرغب أن يكون متميزاً.. ود. إبراهيم الفقي حضور قوي وأسلوب فريد وأب حنون".
كمال محمد عمارة، رئيس الموارد البشرية والشؤون الادارية، دبي، الإمارات العربية المتحدة.
- "د. الفقي من أقوى المحاضرين في العالم وفقه الله لما فيه رضاه"
حمد بم حمود بن سليمان الفافري، رئيس قسم الأنشطة، جامعة الملك قابوس، مسقط، سلطنة عمان.
- "أعطاني د. الفقي خبرة عشرين عاماً في مكان واحد.. فهو محاضر رائع يدخل العقل والقلب".
ريبوا محمد أمين رشيد، إمام وخطيب وطالب ماجستير في أصول الدين، العراق.
- "د. الفقي محاضر عالمي لا توفيه الكلمات حقه".
أحمد علي محمد سعيد، مهندس، امستردام، هولندا.
- "لم أكن متوقفاً هذا الكم من المعلومات والمهارات التي اتقنتها.. ود. الفقي متمكن ومحترف جداً بدرجة تفوق التصور".
محمد أحمد العطن، مهندس، شركة النيل للكابوتشوك والبلاستيك، الاسكندرية.
- "د. الفقي هدية من الله سبحانه وتعالى".
سامي غطاس، طبيب، تونس.

٢٣٨- قوة التفكير، د. إبراهيم الفقي، دار التوفيق، دمشق- سوريا، ط١، ١٣٤٠هـ/ ٢٠٠٩م، ماذا يقول الناس عن الدكتور ابراهيم الفقي، ص ٥-٦.

في كتابه "خواطر" كتب فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي: "إن الفكر هو المقياس الذي يميز فيه الإنسان البدائل، ويختار ما يراه أحسن لسعادته، وأحفظ لمستقبله ومستقبل أسرته".

"بواسطة الفكر يستطيع الإنسان أن يقيم خياراته".

وفي علم النفس الاجتماعي عرف العلماء الفكر أنه من أهم الأشياء التي تميز الانسان عن الحيوان أو النبات أو الجماد بواسطته يستطيع الانسان أن يقيم بين ما هو مفيد أو غير مفيد، ما هو حلال أو حرام، وما هو إيجابي أو سلبي وبذلك يستطيع أن يختار ما يناسبه من الأشياء ويكون مسؤولاً عن اختياره.

وفي كتابي د. إبراهيم الفقي "قوة التحكم في الذات" كتبت عن حكمة قرأتها في الفلسفة الهندية القديمة تقول: "أنت اليوم حيث أتت أفكارك وستكون غداً حيث تأخذك أفكارك" وفي ذلك حقيقة، فلكي يحدث إحساس أو سلوك يجب أن يبدأ بالفكر، فالفكر هو جذور كل سلوكياتنا وأيضاً نتائجها وهو السبب في حالتنا النفسية والعضوية وصورتنا الذاتية وتقديرنا الذاتي، وأيضاً في الثقة في النفس أو عدمها!! ومن خلال أبحاثي وقراءاتي وجدت معلومة أثارت انتباهي وهي أن الانسان يستقبل أكثر من ٦٠٠٠٠ فكرة يومياً، كل ما تحتاجه هذه الكمية الهائلة من الأفكار هو الاتجاه، فلو كان الاتجاه سلبياً أخذ معه ملفات وأفكاراً من مخازن الذاكرة تعادل ٦٠٠٠٠ فكرة من نفس نوعها، ولو كان إيجابياً أخذ معه نفس العدد من ملفات وأفكار إيجابية من مخازن الذاكرة من نفس نوعها!!.

ووجدت في بحث لكلية الطب في سان فرانسيسكو عام ١٩٨٦ أن أكثر من ٨٠% من أفكار الإنسان سلبية وتعمل ضده، وهذا يدعم ما نعرفه عن النفس وأنها أمانة بالسوء.. ولو قمنا بإجراء حاسبة بسيطة وأخذنا نسبة ال ٨٠% من الستين ألف فكرة نجد أن محصولنا اليومي من أفكارنا هو ٤٨٠٠٠ فكرة سلبية كل منها تسبب أحاسيس وسلوكاً وأمراضاً نفسية وأيضاً عضوية! ألا يستحق ذلك منا أن نكون حريصين كل الحرص قبل أن نضع أي فكرة في ذهننا؟ والآن دعني أسألك:

لو أحسست بالجوع ووجدت أمامك ثلاثة خيارات، الأول طعام من بيت العائلة، والثاني من فندق خمس نجوم، والثالث من سلة المهملات.. فماذا يكون اختيارك؟

كلما سألت هذا السؤال في أمسياتي ودوراتي حول العالم لم أجد من قال: والله أنا أفضل أكل القمامة! بل على العكس اختار البعض طعام البيت واختار البعض الآخر طعاماً من الفندق، لماذا؟ لأن كلاً منا حريص على حياته، فلن يختار أي شيء يؤثر على بقاءه أو على حياته، أليس كذلك؟ لو كان ذلك فعلاً صحيحاً ولو كان الانسان حريصاً ألا يضع في جسمه شيئاً يؤذيه، فلماذا إذن يضع في ذهنه أفكاراً قد تؤثر على كل أركان حياته بما في ذلك صحته النفسية والجسمانية؟ ولماذا يضع في ذهنه غذاءً فكرياً من

سلة المهملات؟ ويرجع ذلك إلى البرمجة السابقة التي تبرمجنا بها من الوالدين ثم من المحيط العائلي ثم المحيط الاجتماعي ثم المدرسة ثم الأصدقاء ثم وسائل الإعلام.. وبذلك لم يكن لنا في الحقيقة اختياراً لأسلوب تفكيرنا ولا برمجتنا، لذلك أظن أن الوقت قد حان كي نختار أفكارنا بحيث تكون إيجابية وفعالة وجميلة ومنتجة.. كما اختيار الطعام الطيب الذي نأكله والثياب الأنيقة التي نلبسها، ولكي يحدث ذلك يجب أن نتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم نبدأ بمعرفة كل ما نستطيع أن نعرفه عن الأفكار وقوتها، لأن المعرفة قوة وقد فرق الله عز وجل بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون في كتابه الكريم حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٩) سورة الزمر ٢٣٩

- الفكر الإيجابي يعطي:

طاقة مرتفعة إيجابية وقوة فعالة عندما تملك مشروع حياتي ووطني وعالمي وكويتي وعمراني وانساني فعندما يكون عندك هدف محدد وتعرف لماذا تريد تحقيقه ومتى تريده في حياتك وأيضاً كيف تستطيع الحصول عليه وتشعر برغبة قوية وتخطط له ثم تبدأ في تنفيذ خطتك ووضعها في الفعل وتشعر بالإنجاز في كل خطوة تخطوها نحو تحقيق هدفك، تستخدم أفكاراً إيجابية تفتح لك ملفات إمكانياتك ومصادرك وأيضاً تفتح لك ملفات طاقة من نفس نوع الأفكار فتجد الأدرينالين يرتفع في جسدك مما يعطيك حماساً وقوة ونشاطاً فتجد نفسك مستعداً لمواجهة أي تحد من تحديات الحياة مهما كان صعباً بشجاعة وقوة حتى تغلب عليه وتسير في طريقك بتركيز تام على هدفك. ٢٤٠

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالَمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١٠٥) سورة التوبة

(لن تنجح أبداً إذا لم تبدأ الآن، ولا تجعل أي مشكلة تكون حجة لعدم التصرف.. فبعد العاصفة تطلع الشمس.. والإشراق يأتي دائماً بعد الظلم، والشتاء يتحول دائماً إلى صيف). ٢٤١

- المفاتيح العشر للنجاح:

- الدوافع.
- التوقع.
- الفعل
- الطاقة.
- الالتزام.
- الصبر
- المهارة.
- المرونة.
- الانضباط
- التصور. ٢٤٢

٢٣٩- قوة التفكير، د. إبراهيم الفقي، دار التوفيق، دمشق- سوريا، ط١، ١٣٤٠هـ/٢٠٠٩م، قوة الفكر، ص ٨-١٠.
 ٢٤٠- قوة التفكير، د. إبراهيم الفقي، دار التوفيق، دمشق- سوريا، ط١، ١٣٤٠هـ/٢٠٠٩م، الفكر يرفع أخفض الطاقة، ص ٦٩.
 ٢٤١- المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، دار التوفيق، دمشق- سوريا، طبعة ٢٠١١م، الفعل "الطريق إلى القوة"، ص ١٠٤.
 ٢٤٢- المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، دار التوفيق، دمشق- سوريا، طبعة ٢٠١١م، المفاتيح العشر للنجاح، ص ٢١.

(العقل السليم في الجسم السليم، ولا بد من رفع مستوى كليهما حتى تعيش حياة صحية سليمة).^{٢٤٣}

(ما يوجد أماننا وما يوجد خلفنا يعتبر ضئيلاً جداً بالمقارنة بما يوجد بداخلنا).^{٢٤٤}

(نصيب الإنسان موجود بين يديه). فرنسيس بيكون^{٢٤٥}

(الصبر هو أفضل علاج لكل مشكلة).^{٢٤٦}

(عش كل لحظة كأنها آخر لحظة في حياتك، عش بالإيمان، عش بالأمل، عش بالحب، عش بالكفاح، وقدر

قيمة الحياة).^{٢٤٧}

(الحكمة أن تعرف ما الذي تفعله، والمهارة أن تعرف كيف تفعله، والنجاح هو أن تفعله).^{٢٤٨}

التفاؤل والثقة بالنفس والتوكل على الله ﷻ، قال د. إبراهيم الفقي:

(إذا أغلق أحد الأبواب يا بني، فإن الله يفتح دائماً باباً آخر).. وعندئذ سأله نفسه: "ما الذي يمكن عمله في هذا الوضع؟ وكيف يستطيع تحويل هذه الحالة من سلبية إلى حالة إيجابية؟" .. وبدأ يبحث عن مصادر الشخصية وقيمها، وعاد إلى مجموعة من الأفكار التي كان يدونها باستمرار كلما خطرت على باله.. فوجد أنها مجموعة ممتازة وكافية لأن تكون موضوع كتاب يساعد كثيراً من الناس، فبدأ فوراً في تأليف أول كتاب له، ولكن رفض الكثير من الناشرين نشر هذا الكتاب، فقرر أن يقوم هو بنفسه بنشره بما أمكن من مدخراته البسيطة، وفعلاً طبع الكتاب على نفقته، وباع من هذا الكتاب خمسة آلاف نسخة في أقل من ثلاثة



شهور، وبدأ في التدريس وتأليف كتب أكثر، وأصبح بعدها أنجح في حياته من أي وقت آخر، وعنده بعض الكتب التي تعتبر من الكتب الأوسع انتشاراً في العالم، ولديه مجموعة كبيرة من الأصدقاء الذين يمكنه حقاً اعتبارهم أصدقاء، وتوسعت دائرة معارفه على مستوى العالم، وأصبحت أساليبه تستخدم في أرقى

الشركات في العالم.^{٢٤٩}

٢٤٣ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.ن، ص ٤٧.

٢٤٤ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.ن، ص ٣٧.

٢٤٥ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.ن، ص ٢٥.

٢٤٦ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.ن، ص ١٤٧.

٢٤٧ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.ن، ص ١٤٩.

٢٤٨ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.س، ص ٩٦.

٢٤٩ - المفاتيح العشر للنجاح، د. إبراهيم الفقي، م.س، ص ١٦-١٧.

ضرورة تعليم اللغة العربية للجنين والطفل^{٢٥٠}

توضع اللغة عادة على قمة الهرم الإدراكي البشري، فاللغة تطورت لتعزيز النمو الثقافي حيث مكّنت الإنسان من تصور وتخطيط وتنسيق وتقييم النشاط الاجتماعي.

وإن اللغة والظواهر النفسية في جوهرها هي ظواهر ثقافية اجتماعية تشكلت من خلال عمليات اجتماعية ونفسية تفاعل الفرد والمجتمع ضمن منظومة فكرية ثقافية لكل شعب وهذا موضوع علم النفس الثقافي Cultural Psychology.

ويعد النشاط الاجتماعي عاملاً أولاً في زيادة القدرات النفسية، ونمو المخ بالإضافة إلى نموذج التفاعل الوراثي البيئي حيث توجد عمليات وراثية داخل الفرد وعمليات اجتماعية خارجة وكل منها يؤثر في السلوك البشري^{٢٥١}.

وإن التعليم يؤثر بصورة مباشرة على الكيمياء الحيوية والوظائف العضوية للمخ^{٢٥٢}.

وذلك اعتباراً من المدرسة الرحمية حيث يكون التأثير في ذروته خاصة قبيل الولادة وبعدها بقليل خلال الأيام والأشهر الأولى، لأن الجنين يمتلك أنظمة حسية توفر له معلومات عن محيطه حيث يستقبل الجنين إشارات ومنبهات وهو في رحم أمه، ذلك لأن أغلب هذه الأنظمة الحسية تنشط قبل الولادة، فنظامه السمعي يتبلور حوالي الشهر الرابع قبل الولادة، وهو يمتلك نظام ذوقي يدفعه للاستجابة إلى المذاقات الحلوة وإلى بعض التوابل التي تتناولها الأم والتي تمر عبر السائل الأمينوسي، كما يمتلك الحساسية للمسية والبصرية والتي ثبت وجودها في عدة تجارب، كما توجد حاسة شم قبل الولادة حيث يذهب بنيوا شال Benoit Schall - من مختبر علم النفس الإحيائي للطفل في المركز الوطني للبحوث العلمية في باريس - إلى أن الجنين يتمكن من إدراك وشم العطر الذي تتعطر به أمه، وبالتالي فإن كمية المعلومات والمنبهات الملتقطة من طرف الجنين أو الوليد أو الرضيع تساهم في دعم استراتيجية الجنين أو الوليد لتكوين صورة منسجمة وصحيحة عن العالم المحيط به.

- وتبدأ عملية اكتساب اللغة بالنسبة لأي كائن بشري قبل الولادة..

٢٥٠- للتوسع: علم نفس الجنين، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سورية، ط١، ٤٢١ هـ/ ٢٠٠١م، التعليم في المدرسة الرحمية، ص ٧١- ٨٣.

- علم نفس الجنين (مشروع فتح روضات لتعليم الأجنة)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط٢، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٥١- الثقافة العالمية، الكويت، العدد ١٠١، ربيع الآخر - جمادى الأولى ١٤٢١هـ/ تموز - آب ٢٠٠٠م ثلاثة تيارات في علم النفس الثقافي، دراية نقدية، كارل راتنر، ترجمة: د.كمال شاهين، صفحة ١٤٣- ١٦١.

- الثقافة العالمية، الكويت، العدد ٥٦، السنة التاسعة، رجب ١٤١٣هـ/ يناير ١٩٩٣م، لماذا اختلاف الجنسين؟ تأليف كريستين جورمان، ترجمة: شوقي جلال، ص ٢٤-٤١.

٢٥٢- الثقافة العالمية، م.ن، ص ٢٤-٤١.

وإن نظام معالجة الإشارة الصوتية عند الجنين يبدأ نشاطه انطلاقاً من الأسابيع الأخيرة للحياة الرحمية، ومن المدهش أن يميز الرضيع باكراً جداً، لغته الأم من أية لغة أخرى.

فالرضيع الذي تصل أعمارهم أربعة أيام يميزون بين الفرنسية والروسية، وقد تم الحصول على نتائج مشابهة بالنسبة للإنجليزية والإيطالية، ثم بالنسبة للإنجليزية والإسبانية مع مواليد في يومهم الثاني حيث يلجأ الباحثون إلى رضاعة موصولة إلى جهاز إلكتروني يسجل شدة المص، وتعطى هذه الرضاعة للوليد ويجري إسماع الرضع أصواتاً منطوقة أو ملفوظات من كل لغة حينئذ ترتفع شدة المص التي تنخفض حينما يكون هناك تعود على مقاطع اللغة لترتفع فجأة حينما ينتبه الطفل إلى إشارة تبدو له مختلفة عن الإشارات الأخرى، وهذا ما أثبتته فريق مختبر العلوم الإدراكية والنفسية اللسانية في باريس حيث استنتج بأن **الطفل مبرمج بيولوجياً لتجزئ** المؤشر الصوتي الذي يصل إلى مسامعه، فيستطيع الرضيع أن يفرق بين حرف **B** و **P**، بل هو قادر على التمييز حتى بين وحدات صوتية ملتبسة في لغته الأم، فالياباني لا يمكنه أن يدرك الفرق بين **r** و **i** لأن هذا التمييز غير موجود في لغته بينما يتمكن **الرضيع الياباني** من ذلك، حوالي السنة الأولى من عمره يفقد دماغه هذه الدقة في التمييز لكي يندمج بالسلوكيات الثقافية في محيطه الاجتماعي.

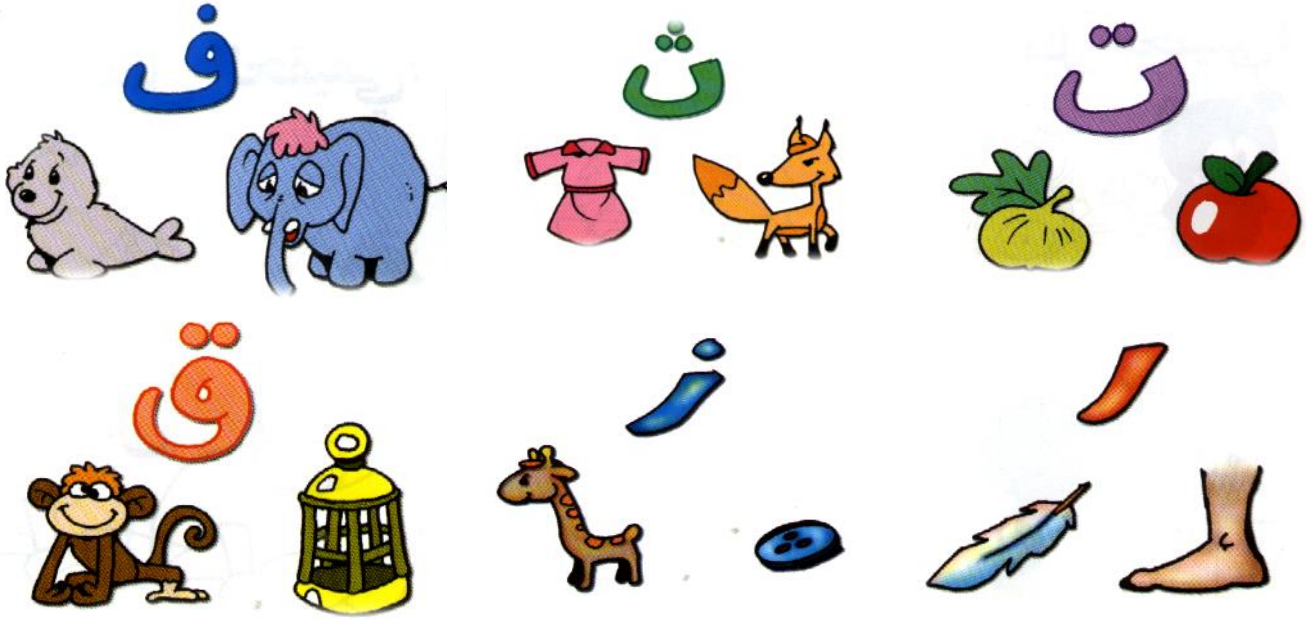
ومما يدعو لمزيد من الدهشة أنه طلب من نساء حوامل أن يقرأن بصوت مرتفع حكاية معينة أثناء الأسابيع الستة الأخيرة من حملهن، تتميز هذه الحكاية برنين خاص، ويجري التركيز فيها على بعض الأحرف الصوتية (حروف العلة) لتيسير تعرفها، لقد تم تسجيل تباطؤ واضح في نبضات القلب لدى الأجنة عند استماعهم إلى هذه الحكاية المألوفة لديهم مقارنة مع ما يمكن أن تقدمه حكاية أخرى غير معروفة ولوحظ عند الولادة أن المواليد أظهروا القدرة على تمييز قصصهم من القصص الأخرى غير أن الرضع لا يكتفون باستقبال اللغة فقط بل يبتونها أيضاً، فحتى الصراخ وهو **التجلي الصوتي الأول للوليد** ليس مجرد آلية عضوية وإنما هو أيضاً **الحبل السري السمعي** حيث يقوي البنيان الاجتماعي والنفسي مع الأم فضلاً عن استطاعة الأبوين تمييز بكاء وصراخ وليدهما عن صرخات المواليد الآخرين وعندما لا يصرخ الرضيع فإنه يثغغ وحوالي الشهر الخامس تغني القائمة الصوتية للرضيع بالعديد من الحروف الساكنة الجديدة، ولا يعتمد الرضيع في هذه السن أبداً إلى الثغغ حينما يتوجه إلى من حوله بل يستخدم شبه لغة لكي يلفت الانتباه حيث ينظم الأصوات التي يرسلها في سلاسل لفظية يستدعي نظمها الكلام وبعد الشهر السادس يتطور ملفوظ شبه اللغة بسرعة خلال أشهر عديدة حتى يستطيع الرضيع أن يحكي ويتكلم^{٢٥٣}.

٢٥٣- الثقافة العالمية، الكويت، العدد ٦٧، السنة ١١، جمادى الأولى ١٤١٥هـ / نوفمبر ١٩٩٤م، الرضع يتكلمون، تأليف: إزابيل بورديال، ترجمة: عبد السلام الطويل، ص ٥١-٥٩.

إن جنين الإنسان هو جنين البناء والنمو والتطور كمخلوق بشري ثقافي لغوي:

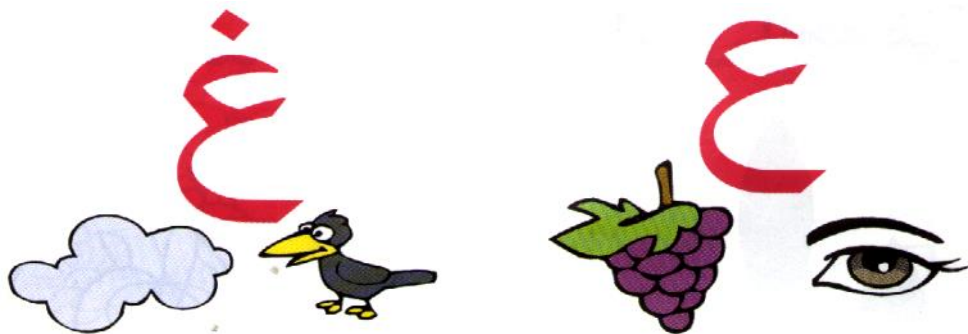
١. وفقاً لبرنامج الوراثة المنظم لتطوره البيولوجي، فالكائن البشري هو ثمرة ماضيه، والإنسان وريث شفرات وراثية مسجلة في صبغياته حتى قبل أن يولد.

٢. وفقاً لبرنامج الحضاري في بيئته الخارجية بما يحويه من منظومة لغوية ثقافية وشبكة علاقات اجتماعية وعوامل نفسية وعائلية.. حيث يعتبر الجنين تلميذ داخلي فعال في المدرسة الرحمة علينا أن نحترمه ونعلمه.

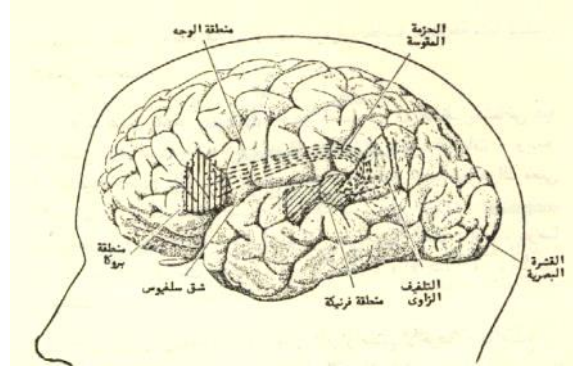


واعتماداً على قدرة الجنين على التعليم اللغوي والتأثير بالمحيط الاجتماعي يمكن أن تقدم الأم الحامل بعد الشهر السادس أنغام خفيفة للجنين على شكل دمدمة أو يقدمها الأب بصوته فيهدئ الجنين ويتواصل مع أبويه، أو يمكن أن يحكى للجنين مجموعة من القصص الصغيرة المعبرة لتدريبه على الاكتساب اللغوي أو يقدم للجنين أناشيد خفيفة للأحرف الأبجدية بأسلوب التسجيل أو يقدم له مجموعة أناشيد تربوية أو دعاء أو صور قرآنية كريمة صغيرة للارتقاء إلى مستوى التربية الفاضلة والأخلاق السامية،

﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ فاطر، ١٠.



المراكز العصبية اللغوية المرسلة والمستقبلة

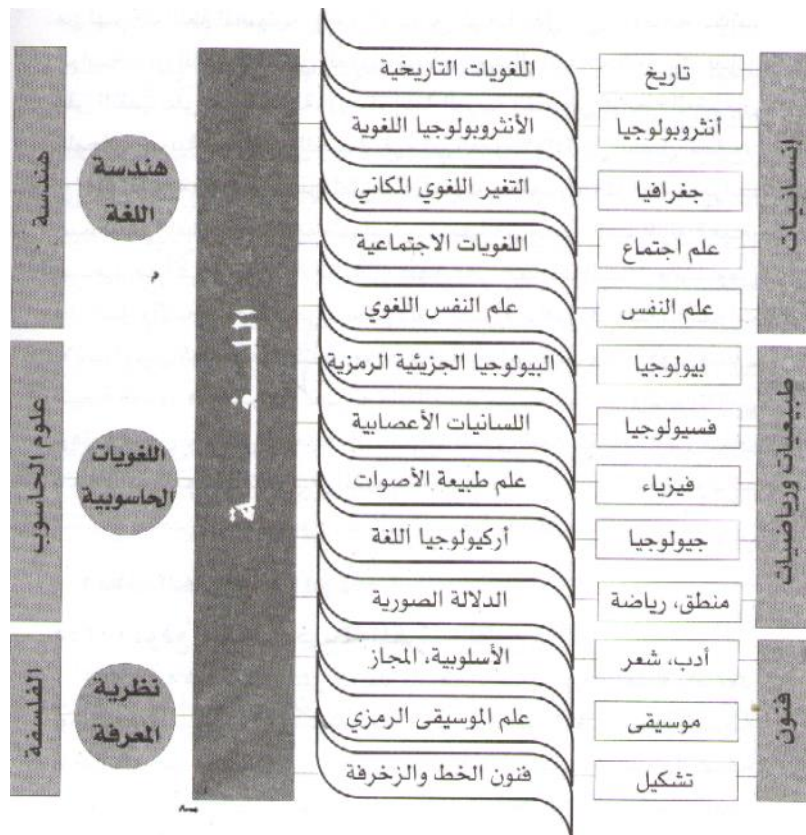


المراكز العصبية الدماغية المسؤولة عن استقبال وفهم الكلام وتقع حول الشق المركزي (شق سيلفيوس) وتشمل الناحية اللغوية المستقبلة (منطقة فربنيك) والتلفيف الزاوي والحزمة المقوسة والناحية اللغوية المرسلة (منطقة بروكا)، يعتقد أن المركز العصبي الاستقبالي (منطقة فربنيك) للغة البشرية يتوضع في الفص الصدغي، إذ يتلقى المعلومات العصبية الواردة من المراكز السمعية المجاورة فيقوم بتحليلها وفك رموزها ويفهم محتوياتها، ثم تنتقل المعلومات العصبية الصادرة إلى المركز العصبي اللغوي المرسل (منطقة بروكا) في الفص الجبهي أمام القسم السفلي للقشرة الدماغية الحركية عبر الألياف العصبية للحزمة المقوسة حيث يقوم هذا المركز المرسل بإصدار الأوامر العصبية اللازمة إلى الناحية الحركية التي تنظم وتسيطر على الجهاز الحركي العضلي الناطق عند الإنسان ٢٥٤.



عجبت لمن يدعي العلم، ويجهل اللغة العربية الفصحى

أينما يكن مسلكك في دنيا المعرفة، فابحث عن اللغة: قمة العلوم الإنسانية ورفيقة العلوم الطبيعية، وركيزة الفلسفة عبر القرون، ورابطة عقد الفنون، ومحور تكنولوجيا المعلومات، وهندسة معرفتها ولغات برمجتها ٢٥٥.



موقع اللغة على خريطة المعرفة

٢٥٥- الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٧٦، ٢، ديسمبر ٢٠٠١، تأليف: د. نبيل علي، ص ٢٤٠.

تعلم اللغة العربية لغير الناطقين بها

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات، ١٣.

إن التعارف البشري بين جميع المجتمعات الإنسانية واجب شرعي ومقدس وهذا لا يتم إلا عبر التثاقف والتبادل اللغوي بين كافة الحضارات، وهو بالدرجة الأولى يتم عبر اللغات البشرية لكون اللغة مرآة الفكر أصحابها ومستودع لعقليتهم ومظهر لتفكيرهم ونظراً لكون اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم كتاب الله المقروء بينما الكون هو كتاب الله المنظور بالإضافة أن اللغة العربية هي أصل اللغات البشرية لذلك يجب نشرها عالمياً في جميع الجغرافيا الأرضية، وكونياً في جميع الجغرافيا الكونية. وهذا الهدف الطموح يحتاج إلى فعالية إيجابية فردية واجتماعية التي تبنى على جودة الإرادة التي تنظم عنصري الإرادة والإمكانات المادية والطبيعية، فالإمكانات العربية المادية والطبيعية متوفرة بكثرة بينما الإرادة فقيرة والإدارة هزيلة.

إن تحقيق أي هدف يسير عبر المعادلة الرياضية العملية التالية:

الإدارة

الإمكانات + الإرادة ← الفعالية المنتجة ← تحقيق الهدف

ونستنتج من هذه المعادلة إلى أهمية تنمية العامل البشري عقائدياً وثقافياً واقتصادياً لكي نستطيع أن تكون أعماله منتجة وأفعاله دائمة ونشيطة وبالتالي نحقق أهدافنا مهما كانت صغيرة وكبيرة ومن هذه الأهداف:

- التعارف البشري والتثاقف اللغوي:

في المرحلة الأولى: بين جميع شعوب وحضارات وثقافات الأرض قاطبة.
وفي المرحلة الثانية: بين البشر وبين الكائنات الحية في منظومتنا الحيوية الأرضية في البر والبحر والجو.
وفي المرحلة الثالثة: بين الحضارات البشرية الأرضية وحضارات الكائنات الحية في الكون الفسيح عند اكتشافها.

وفي المرحلة الرابعة: بين البشر والجوامد في الأرض الكون.

فالتواصل اللغوي في المرحلة الأولى هو أمر حضاري وعادي ويجب أن يتم بشكل علمي وإنساني بين الشعوب ولكن قد يتفاجأ المثقف أو القارئ من التواصل اللغوي من بقية المراحل الثلاث ويعتبره نوعاً من الخيال العلمي، وهنا نؤكد على الحقيقة التاريخية العلمية التي تقول: (بأن وراء كل تطور علمي وتقدم تقني

خيال علمي مبرمج)، وقد يتم التبادل اللغوي في هذه المراحل وفق الآليات الكيميائية، أو الهرمونية، أو الفيزيائية، أو الكهربائية، أو الضوئية، أو الراديوية، أو الإشعاعية، أو المغناطيسية، أو الرقمية المعلوماتية، أو الموسيقية.

وهنا نستخدم مجموعة ضخمة من المنظومات التقنية ذاتية العمل التي تعمل وفق الذكاء الاصطناعي التفاعلي التلقائي.

- بالإضافة إلى مجموعة ضخمة من الحواسيب الصغيرة المزروعة في البر والبحر والجو، وذلك بعد برمجتها باللغة العربية الفصحى مثلاً بعد تبسيطها وتصنيفها وترميزها وتحويلها إلى شيفرات ورموز قد تكون رموز صوتية عند مخاطبة الطيور، أو رموز إشعاعية حرارية عند مخاطبة الزواحف، أو رموز ضوئية أو مواد كيميائية عند مخاطبة الحشرات كالنمل والنحل^{٢٥٦}، أو رموز فوق صوتية (الإيكو، أو الصدى) عند مخاطبة الدلفين أو الحيتان أو الخفاش أو الأسماك، أو رموز كهربائية ضوئية عند مخاطبة بعض أنواع الأسماك، أو رموز مغناطيسية عند مخاطبة بعض الطيور أو الكائنات الحية التي تعيش في الأعماق، أو وإطلاق وتوجيه وتركيز سيل من الفوتونات (الليزر) أو الألكترونات (الأشعة المهبطية) أو النترونات، للتعامل والتخاطب مع الكتلونات ونوى الذرات للجوامد بمختلف حالاتها الغازية والسائلة والصلبة، لمعرفة أسلوب التخاطب العلمي واللغوي بين البشر والجوامد يمكن الاستفادة علمياً من تأثيرات الأشعة الكونية على الأرض تلك الأشعة المؤلفة من مجموعة متنوعة من الجسيمات الذرية ذات الطاقة الشديدة كالبروتونات والنترونات.

ولعل أهمها جسيمات النترينو التي: تسير بسرعة الضوء وتخرق الكرة الأرضية بكل سهولة، وهي لا تحمل أي شحنة وبدون كتلة سكون، وأن النترينو يخترق الكواكب والنجوم والمجرات، في الأجواء والسطوح والأعماق وهو سيكون له أهمية قصوى في العلوم المستقبلية، فلا يمكن فصل العالم الموضوعي الخارجي عن إدراكنا له فهو: يتبدل ويتغير ويتفاعل معنا حسب تفسيرنا وفهمنا له.^{٢٥٧}

ومن الوسائل الأخرى المعاصرة للتعامل والتواصل مع الجماد: إرسال موجات اهتزازية إلى جوف القشرة الأرضية ثم استقبال الموجات الارتدادية وتحليلها حاسوبياً لمعرفة نوع وثخانة الطبقات الصخرية والجيولوجية وما تحويه من تجمعات:

٢٥٦- للتوسع: لغة الكيمياء عند الكائنات الحية، عالم المعرفة الكويتية، العدد ٩٣- ذو الحجة ١٤٠٥هـ / أيلول ١٩٨٥م، تأليف: د. أحمد مدحت إسلام.

أما للتوسع في معرفة الآليات التي يمكن بها تحويل اللغة العربية إلى رموز وشفرة كيميائية فيراجع: المنظومة الحاسوبية السمعية البصرية (رؤية جديدة لتسهيل مهمة الإنسان في السفر الكوني)، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، (قيد الطبع).

٢٥٧- للتوسع: اجتهاد في الجهاد، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

كالغاز الطبيعي أو المياه أو البترول، وكذلك يمكن تخاطب ومعرفة حركة الجوامد عن طريق رصد وتسجيل الموجات الزلزالية التي تحدث يومياً في القشرة الأرضية نتيجة تحرك الصفائح القارية المختلفة، إن الحجارة تهب وتتحرك من خشية الله تعالى وهذا دليل على فهمها:

﴿ تَمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ البقرة، ٧٤.

﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَّمَاءِ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ هود، ٤٤.

يقول عبد القاهر الجرجاني: (ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض، ثم أمرت، ثم في أن كان النداء (ديبا) دون (أي)، نحو "يا أيتها الأرض"، ثم إضافة (الماء) إلى (الكاف)، دون أن يقال "إبلعي الماء"، ثم إن اتبع نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها، ثم إن قيل: "وغيض الماء"، فجاء الفعل على صيغة "فعل" الدلالة على أنه لم يغيض إلا بأمر أمر وقدرة قادر، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى: ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ هود، ٤٤.

وذكر ما هو فائدة الأمور وهو "استوت على الجودي"، ثم إضمار "السفينة" قبل الذكر، كما هو شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن، ثم مقابلة "قيل" في الخاتمة "بقيل" في الفاتحة؟
أفترى لشيء من هذه الخصائص التي تملوك بالإعجاز روعة، وتحيرك عن تصورها هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقاً باللفظ من حيث هو صوت مسموع وحروف تتوالى في النطق؟ أم كل ذلك لما بين معاني الألفاظ في الإتساق العجيب؟^{٢٥٨}

- ضرورة وحيوية ابتكار تقنية التخاطب اللغوي بين الكائنات الحية والجماد:

نستعرض نموذجاً حديثاً لأهمية التبادل اللغوي بين البشر والكائنات، والذي نعتقد أنه يدخل ضمن الأبحاث الاستراتيجية ذات القيمة الحضارية والاقتصادية العظمى، فمثلاً: لقد نتج عن حادثة التسونامي الأخيرة - سواء كانت صناعية المنشأ بفعل تفجيرات نووية أمريكية في خليج البنغال في المحيط الهندي قريباً من الدول الآسيوية وبعيداً عن استراليا، أو كانت ظاهرة طبيعية وهو الاحتمال الضعيف الذي تروج له وسائل الإعلام وتلوكة المحطات الفضائية الأوروبية والأمريكية تغطيةً لجرائمهم المستمرة ضد الحياة والدول النامية والبيئة -

٢٥٨- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٩، نقلاً عن: جنور، تصدر عن النادي الأدبي الثقافي بجدة، السنة ١٩، محرم ١٤٢٦هـ/ مارس ٢٠٠٥م، ص ١٥٣.

أكثر من نصف مليون قتيل من الأبرياء بالإضافة إلى عشرات الآلاف من الجرحى ومئات الآلاف من المشردين، في الدول الآسيوية كإندونيسيا وجاكرتا والهند وتايلاند.

فضلاً عن خسائر اقتصادية في المنشآت والمؤسسات والبنية التحتية للمدن والقرى، تقدر بمليارات من العملة الصعبة.

ولكن الملاحظة الهامة التي لاحظها عمال الإنقاذ والطوارئ وهي **عدم وجود أية جثة لحيوان أو طائر في أي من الأماكن التي ضربها التسونامي (حتى ولا فيل ولا أرنب) على حد تعبير أحدهم^{٢٥٩}**، بالرغم أن الأمواج العنيفة ضربت حديقة الحيوان في سيريلانكا، مما يؤكد عملياً وميدانياً بأن هذه الحيوانات والطيور تتحسس وتشعر بالشم أو بالسمع، بقرب حدوث الزلزال والكوارث الطبيعية فتُرسل رسائل منذرة بقرب حدوث الخطر تفهمها الحيوانات والطيور فتهرب.

ولو توصل الإنسان لمخاطبة هذه الكائنات الحية بواسطة ابتكار منظومات فكرية واختراعات تقنية بحيث تشفر وترمز اللغة البشرية الحية كاللغة العربية إلى رموز وإشارات تفهمها الكائنات الحية، لأمكننا الاستفادة من الإحساس المبكر لدى الكائنات، وبالتالي أخذ الحيطة والحذر لدى البشر مما يؤدي إلى منع الأضرار المادية والبشرية أو حصول أضرار مادية فقط.

مثلاً: يمكن لشخص واحد مدرب -حارس حديقة حيوان - ومزود بأجهزة تقنية من هذا النوع أن يصور سلوك الحيوان ويحلل رموزه الصوتية وسلوكه الحركي.. لمعرفة وجود أي تغيرات مفاجئة من ظواهر طبيعية. وبتراكم الأبحاث النظرية والدراسات العملية والاكتشافات التقنية يتولد لدينا علماً جديداً نختنا مصطلحه: **علم التخاطب اللغوي الكوني** بين البشر والكائنات الحية والجوامد واللغة فيه قد تكون صوتية، أو تحت صوتية، أو فوق صوتية، كيميائية، رقمية، كهرومائية، مغناطيسية، كهرومغناطيسية، إشعاعية، حرارية..

ومن الأمثلة عن المعرفة الأولية الشعبية المتداولة بين الناس من القديم وحتى الآن والتي تؤكد وجود تخاطب وتواصل لغوي بين البشر والحيوانات بشكل مباشر أو غير مباشر:

- يذكر البدو الرحل الذين يعيشون في أطراف المدن والبادية.. إنهم يلاحظون ويشاهدون تحرك وصعود القوارض كالقوارض والجرذان من السهول إلى قم الهضاب والأماكن المرتفعة في أيام فصل الشتاء، وهذا ينذر بأمطار غزيرة وكثيرة وإمكانية حدوث طوفان، وقد استفاد البدو الرحل خلال الزمن من هذه الملاحظة الميدانية الأولية بأن يأخذوا حذرهم من تقلب الطقس وحدوث الأمطار الغزيرة.

٢٥٩- مجلة الجيل، بيروت، المجلد ٢٦، العدد ٣، آذار ٢٠٠٥، ص ١١، التسونامي الذي أغرق العالم بالحزن، إعداد: مي باسيل، ص ٤- ١٧.

- من المعروف للناس قديماً وحتى الآن وجود إمكانية للتخاطب مع الحيوانات كالغنم والماعز والكلاب والقطط والخيل والدجاج.. بواسطة ألفاظ وكلمات ومقاطع صوتية متداولة بين السكان.. وذلك عند الطلب من هذه الحيوانات لكي تأكل أو تشرب أو تأتي أو تذهب أو تنام..

وهذه المعارف الأولية والظواهر الطبيعية بحاجة إلى تفعيل نشاطنا العلمي والعملية لبناء مراكز بحث علمية لغوية تقوم برصد هذه العلاقات بين الظواهر الطبيعية والحيوانات، بالإضافة إلى معرفة كيفية تعرف الحيوانات على الأخطار الطبيعية قبل الإنسان، ثم تحليل وبحث وتصنيف ونقد وبرمجة وتنظيم وصياغة علمية منهجية تقنية لهذه الآليات والعلاقات بحيث يمكن استثمارها عملياً وعلمياً واقتصادياً وحتى عسكرياً.. من قبل البشر.

وقد أفردنا لهذا الموضوع كتاباً مفصلاً^{٢٦٠}، فيجب أن نعمل جاهدين لرفع مستوانا الحضاري والعلمي والتقني لنكون بمستوى هذه الأهداف الكبرى، فهل أنتم فاعلون؟

﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ ص، ٨٨.

ونحن نؤكد قدرة الإنسان على تحقيق هذا الهدف النبيل في تعامله مع الكائنات الحية والجوامد وذلك بعد تعارفه وثاقفه مع أخيه الإنسان بشكل إيجابي وسلمي، وقد استنتجنا ذلك من عدة أمور أهمها:
- إشارات لغوية عامة واضحة وصريحة من القرآن الكريم إلى السير والتفكير في جميع مخلوقات الله تعالى في الآفاق والأنفس:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ العنكبوت، ٢٠.

﴿سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ فصلت، ٥٣.

- أشارت لغوية خاصة واضحة وصريحة من القرآن الكريم التي تؤكد على تخاطب الإنسان مع الكائنات الأخرى كالنمل والطير كما ورد في سورة النمل:



٢٦٠- للتوسع: المنظومة الحاسوبية السمعية البصرية (رؤية جديدة لتسهيل مهمة الإنسان في السفر الكوني)، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سورية، (قيد الطبع).

وقد يظن القارئ الكريم أن هذا التواصل اللغوي هو معجزة للنبي سليمان حصراً ولكننا نؤكد ونستنتج من نفس سورة النمل إن هذه الظواهر تأتي وتتحقق أيضاً **بالعلم والعقل والتطور التقني** عموماً بدليل أن الشخص الذي عنده علمٌ من الكتاب قد أتى بعرش بلقيس قبل أن يترد طرفه.

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآه مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾
النمل، ٤٠.

- من الإشارات اللغوية الخاصة في مخاطبة الجوامد من القرآن الكريم نستعرض قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فصلت، ١١.
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ الأحزاب، ٧٢.

وهذا يدل على أن هناك لغة خاصة للتعامل مع الجوامد يدعو القرآن الكريم الإنسان الفعال أن يكتشفها ويطورها بشكل علمي تقني إنساني.

- قدرة العقل البشري على التطور والتقدم والابتكار في جميع مجالات العلوم والمعارف البشرية.

قدرة العلم على اكتشاف المجهول في الحياة والأرض والكون، فمثلاً: العقول العلمية المبدعة في جميع المجتمعات البشرية الفعالة تبحث في سبل اتصال الكائن البشري مع الإنسان وبقية المخلوقات الحية، ونلاحظ علمياً إن التواصل اللغوي بالمعنى العام بين البشر يتم بواسطة:

أ- التواصل اللغوي العادي بالنطق والكلام.

ب- التواصل الكهرومغناطيسي بين أدمغة البشر عبر الخلايا العصبية للمرسل والمستقبل.

ت- التواصل الكيميائي الهرموني بين الرجل والمرأة عبر حاسة الشم.

ث- التواصل البصري بين الرجل والمرأة عبر حاسة البصر (لغة العيون).

ج- التواصل الكيميائي بين الأم والرضيع عبر حاسة الشم والذوق.

بينما التواصل اللغوي بالمعنى العام بين البشر والكائنات الحية يكون عبر الأمواج الكهرومغناطيسية للدماغ البشري، أو عبر المجال المغناطيسي للجسم البشري، أو عبر المجال الكهربائي للجسم البشري، أو عبر المجال الحراري للجسم البشري، أو عبر المجال الكيميائي للجسم البشري.^{٢٦١}

٢٦١ - للتوسع:- علم نفس الجنين، د. ناصر محي الدين ملوحي، ط١، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، دار الغسق للنشر / سلمية، سورية.
- علم الظواهر الخارقة للعادات تحت المجهر د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، (قيد الطبع).

وما يهمننا في تعليم العربية لغير الناطقين بها في هذا البحث هو المرحلة الأولى بين البشر، بينما ذكرنا المراحل الثلاثة الأخيرة لكي نفعّل أدمغة المبدعين والعلماء والمتقنين لنركز اهتمامهم في هذا الموضوع الحيوي والهام للبشرية جمعاء ليطوروه وينقدوه.

أما تعليم العربية في المرحلة الأولى فيهدف إلى تمكين الإنسان مهما كانت ثقافته وموطنه وعقيدته، في أن يتعلم ويتقن اللغة العربية كتابةً وقراءةً ومحادثةً وترجمةً، ويكون عبر الوسائل التالية:

أ- بناء الإنسان العربي والمسلم حضارياً وثقافياً وعقائدياً وعلمياً في موطنه الأصلي لكي يشع لأن فاقده الشيء لا يعطيه، فلا يمكن تحقيق هذا الطموح في نشر اللغة العربية الفصحى محلياً وعالمياً وكونياً بينما نجد أن الواقع العربي حالياً غير لائق بهذا الهدف، فهناك حوالي 60 مليون عربي يعانون الأمية، و73 مليون عربي يعيشون تحت مستوى خط الفقر، مع وجود 10 ملايين عربي لا يحصلون على الغذاء الكافي، إلى جانب حرمان نصف سكان المناطق الريفية العربية من المياه النقية، وعدم حصول ثلثي سكان هذه المناطق على الخدمات الصحية الأساسية.^{٢٦٢}

فيجب أولاً: رفع المستوى الحضاري الشامل للإنسان العربي مادياً ومعنوياً.

ويكون ذلك بتغيير مافي النفوس من كسل وخمول وذل وجهل، عندئذٍ تتغير الظروف الاجتماعية والاقتصادي والثقافية للشعب العربي والمسلم باتجاه السمو وال عمران، ويكون ذلك حسب منظم حضاري وثقافي عام ونموذج إرشادي عقائدي عام، وهذا ما أسميناه الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية^{٢٦٣} التي تستمد منظومتها الفكرية وقوانينها الفلسفية من روح الأمة وجوهر الإسلام، أسوةً بالحضارة العربية الإسلامية التي انتشرت قديماً في أقل من قرن جغرافياً إلى ثلثي الكرة الأرضية وتألفت هذه الحضارة عالمياً لمدة عشرة قرون وكانت تقوم على التوحيد الذي يؤدي إلى الإيمان بعظمة وعزة الإنسان ومحبهه أينما كان وفي كل زمان بحيث يصبح الإنسان لله عبداً ولكل ما عداه نداً.

ب- إن تعليم اللغة العربية للآخرين واجب حضاري وشرعي مقدس على كل الأفراد والمجتمعات العربية والإسلامية كلاً حسب طاقته

﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة، ٢٨٦.

٢٦٢- المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، العدد ٢٩٠، السنة ٢٥ / ٤ / ٢٠٠٣، مجتمع التهميش.. إلى أين؟ مهمشو المدينة العربية نموذجاً، اسماعيل قبيرة، ص ٧٠.
٢٦٣- للتوسع: الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية، رؤية جديدة لسمو العمران الأرضي والاستيطان الكوني، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية، سوريا، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

وهو واجب مقدس على الحكومات العربية والإسلامية بالدرجة الأولى لنظراً لكون اللغة العربية الفصحى تمثل لغة القرآن الكريم وهوية الشعب العربي.

جـ تقوية تعليم اللغة العربية لأبنائنا من المدرسة الرحمية إلى الشيخوخة، لبناء كادر علمي متمكن من

لغته الأم، بالإضافة إلى تمكنه من بقية اللغات العالمية الحية واحدة على الأقل، وهذا يستلزم:

١. إعمار و نشر مراكز تعليم اللغة العربية الفصحى محلياً ودولياً..

٢. تفعيل مجامع اللغة العربية إعلامياً ومحلياً ودولياً.

٣. إعمار وإحياء دور نشر عربية محلية وعالمية مختصة في إصدار المطبوعات اللغوية الجميلة والأنيقة والملونة باللغة العربية ومقارنتها ببقية اللغات العالمية.

٤. نشر وتبسيط الثقافة العلمية بكافة فروعها باللغة العربية الفصحى عالمياً.

٥. إنشاء وإعمار محطات فضائية عربية مختصة بتعليم اللغة العربية الفصحى لغير الناطقين بها ومقارنتها بلغاتهم الأصلية.

٦. تلازم تعليم اللغة العربية بنشر الدين الإسلامي عالمياً بأسلوب الحكمة والمعاملة بالحسنى.

٧. قيام حركة ترجمة واسعة وتعريب لكل الآداب والعلوم العالمية.

٨. ضرورة تعريب التعليم في كافة المراحل التعليمية.

٩. ضرورة جعل اللغة العربية الفصحى لغة رسمية في المؤسسات والمستشفيات العربية التي يعمل بها موظفون وأطباء أجانب كما في الخليج العربي.

١٠. ضرورة تعليم اللغات العالمية الحية لأبنائنا كالإنكليزية والصينية والأسبانية.

وهذه المشاريع والمراكز لتعليم اللغة العربية الفصحى تحتاج إلى تمويل مادي ومعنوي وهذا واجب الحكومات العربية الرسمية، ولكن يمكن للأفراد أن يقوموا بذلك ويساعدوا حكوماتهم مادياً في إعمار هذه المؤسسات والمراكز محلياً وعالمياً حيث يمكن صرف جزء من الزكاة والصدقات لتعليم اللغة العربية الفصحى لكل إنسان على وجه الكرة الأرضية، كما إن المتعلم والمتقف عندما يبذل جهداً أو يسافر أو يكتب مقالاً أو يدير حواراً أو يؤلف كتاباً حول ضرورة و قدسية تعليم اللغة العربية الفصحى، يعتبر ذلك صدقة وعبادة ويجازيه الله تعالى بالحسنات يوم القيامة، لأن الصدقة بالمفهوم الإسلامي الواسع ليست مالاً فقط وليست قيمةً عينية فقط، وإنما تبسّمك في وجه صاحبك صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وعمل المعروف صدقة، وتعليم اللغة العربية لأبنائنا ولغير الناطقين بها صدقة، وكذلك إن مفهوم الفقر أو المسكين من الناحية اللغوية والإسلامية لا

يقتصر على الناحية المادية فقط، فالجاهل فقير ومسكين ولو ملك الملايين من الدراهم، والأحمق فقير ومسكين ولو ملك العقارات، والأمي فقير ومسكين ولو ملك القصور.

وعليه نستنتج ونجتهد بأنه يجوز صرف جزء من الزكاة والصدقات في تعليم الفقراء والمساكين الجاهلين والأمين، وكذلك في إحياء وإعمار مراكز ومؤسسات ومحطات فضائية لتعليم اللغة العربية الفصحى وتفضيلها على اللغات العالمية وجعلها أهم لغة للعلم والحياة البشرية محلياً وعالمياً، عملاً بقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ

اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النوبة، ٦٠.

وهذا رأينا فمن اجتهد وأخطأ فله أجر، أما إذا أصاب فله أجران.

ونرجو من العلماء والفقهاء المختصين في علوم الشريعة والفقهاء توسيع هذه الأفكار والمفاهيم الضرورية والمناسبة لمتغيرات الزمان والمكان والمناصرة لخدمة اللغة العربية الفصحى لغة القرآن الكريم لازدهار وانتشار السمو والرقي العلمي والتعليمي واللغوي بين الشعوب بحيث تكون اللغة العربية الفصحى هدفاً أسمى لهم لتعليمها وجعلها لغة المعرفة والحياة والأدب.

- مستوى حياتك من مستوى أهدافك:

إذا غيرت أفكارك ستتغير حياتك، حول أفكارك السلبية إلى أفكار إيجابية مقوية للذات، وانظر لنفسك ومن حولك وما يحيط بك على مستوى الكوكب الأرضي والكون بإيجابية واحترام وتقدير لتمكن من النظر إلى العالم من منظور عمراي جديد، إن حياتك الحالية هي من صنع نفسك وأفكارك وطموحك..

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾

صدق الله العظيم.

- تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.. الواقع والآفاق

تفرض الألفية الثالثة على إنسان هذا العصر أن يكون فاعلاً بمقدار عدد اللغات التي يعرفها، لتتسع نظرتة وتزداد خبرته وتتضاعف معلوماته- والمعلومات أساسية في اتخاذ القرار- ويتعمق استماعه بما يسمعه أو يقرؤه أو يشاهده، لأن كل لغة يتم تعلمها هي خبرة جديدة، وتعلم اللغة العربية كلغة ثانية ليس إضافة جديدة فحسب، وإنما هي حياة أخرى أكثر ثراءً وأبهى جمالاً، كما أنها لغة القرآن الكريم التي نزلت بلسان أمة لتكون:

﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ آل عمران، ١١٠.

وهذا رافئيل بيتي يعبر عن آرائه ومشاعره الخاصة نحو اللغة العربية، كمتحدث جيد لتسع لغات هي: العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية والهندية والآرامية والعبرية والفارسية والهنغارية، يقول: (إنني أشهد من خبرتي الذاتية، أنه ليس ثمة من بين اللغات التي أعرفها- وهي تسع لغات- لغة تكاد تقرب من العربية، سواء في طاقتها البيانية أم في قدرتها على أن تحترق مستويات الفهم والإدراك، وأن تنفذ- وبشكل مباشر- إلى المشاعر والأحاسيس، تاركة أعمق الأثر فيها، وفي هذا الصدد فليس للعربية أن تقارن إلا بالموسيقى). وقد أصبحت اللغة العربية لغة رسمية في عدد من المؤسسات العالمية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، فقد جاء في القرار رقم ٢١٩ عام ١٩٧٣ أن الجمعية العامة إذ تدرك ما للغة العربية من دور مهم في حفظ حضارة الإنسان وثقافته، وتقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الجمعية العامة، ولجانها الرئيسية.

كما أن اللغة ليست مجرد أداة أو وسيلة للتعبير أو التواصل، أو مجرد شكل لموضوع، أو مجرد وعاء خارجي لفكرة أو عاطفة، أو إشارة إلى فعل، إنها وعي الإنسان بكينونته الوجودية وبصيرورته التاريخية، وبهويته الذاتية والاجتماعية والقومية، وكليته الإنسانية، إنها السجل الناطق لهذه الأبعاد جميعها، واللغة الحية هي الجهاز العصبي للمجتمع، أو الشبكة التلفونية التي يتخاطب بها، ويتفاهم بها أفرادها، فإذا عجزت عن تأدية هذا التخاطب والتفاهم فهي في الانفتاح على العالم، وتحقيق طموحاته وأهدافه، في ظل كسر الحواجز الدولية، وزيادة القنوات الفضائية.

يحار الباحث وهو يفتح شبكة الإنترنت، فيجد فيها حوالي ثمانمائة موقع، يتصل بالعربية من قريب أو بعيد وفيها كم هائل عن اللغة العربية كلغة ثانية، والكثرة تولد الحيرة.

- أهم الأسباب التي تدعو إلى الإقبال على تعلم العربية:

لعل من هذه الأسباب ما يلي:

١- أن تعلم العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، لأن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، بل إن من العلماء من قرر أن الصلاة لا تجوز إلا باللغة العربية، وإن ما أجازته أبو حنيفة في هذا الشأن كان على سبيل الترخيص، وحتى لا يحرم المصلي من مناجاة ربه ودعائه، ولكن أبا حنيفة قد عدل عن هذا الرأي، حين تبين له صواب غيره.

٢- إن كثيراً من المسلمين الذين لا يعرفون العربية يلجؤون إلى حفظ القرآن الكريم كعبادة اعتماداً على العادة الحركية المكتسبة عن طريق تدريب أعضاء النطق، وربما يؤدي هذا الحفظ إلى التعامل مع العربية لا على أنها لغة عبادة، بل على أنها لغة فهم وإفهام وتواصل مع الآخرين، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى كسب أرض جديدة للعربية، واتساع التعامل بها، إلى جانب اللغة الأم لهؤلاء المسلمين ومهما قل عدد هؤلاء الذين يلتفتون إلى ذلك فإن ذلك في صالح العربية في النهاية.

٣- إن تعلم العربية اكتساب قبل أن يكون انتساباً، فقد جعل النبي ﷺ لها مكاناً أثيراً، فحين سمع أن هناك منافقاً نال من عروبة (سلمان الفارسي)، دخل المسجد غاضباً، وقال: (أيها الناس، إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب أو أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم العربية فهو عربي)، ويبدو أن المسلمين ساروا في هذا الطريق، وعلى حد ما نعرف أن الحجاج بن يوسف الثقفي حين قال لأهل الكوفة لا يؤمكم إلا عربي، وثب البعض على يحيى بن وثاب وكان مولى - فما كان من الحجاج إلا أن أنبهم قائلاً: (ويحكم إنما قلت عربي اللسان).

٤- إن هناك إقبالاً متزايداً من أبناء الجاليات العربية الإسلامية المقيمة في كثير من بلدان العالم على دراسة العربية، من منطلقات تراثية ودينية وتزداد أعداد هؤلاء الطلاب عاماً بعد عام، إلى جانب دخول اللغة العربية في الوقت الحاضر إلى وعي معظم الأمريكيين المثقفين ورجال الإعلام والأعمال بسبب الربط بينها وبين القضايا الاقتصادية والتجارية من ناحية، والقضايا المهمة في المنطقة العربية والإسلامية، كالنفط والقضية الفلسطينية والمشكلة اللبنانية.. وما يسمونه في أمريكا (بعودة الإسلام) من ناحية أخرى.

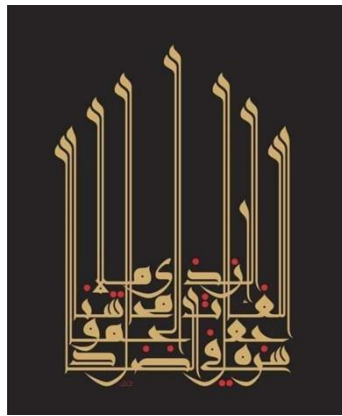
٥- إن وجود كثير من القنوات الفضائية والتي تقدم برامجها باللغة العربية فيها ما يطمئن العرب على لغتهم، إذ إنه بالتأكيد أن هذه القنوات تتحرى استخدام العربية الميسرة، لاستقطاب أكبر عدد ممكن من المشاهدين، الأمر الذي يمكن رفع مستوى هذه اللغة أو تعلمها، حتى عند الذين لم ينالوا قسطاً وافراً من التعليم، لأن بعض القضايا المطروحة تم شريحة معقولة من الناس، وتحظى بمتابعة شديدة لأنها تمس جانباً

ثقافياً، يدخل في دائرة الاهتمام.

٦- إن اللغة العربية أصبحت لغة رسمية في عدد من المؤسسات العالمية يأتي في مقدمتها الأمم المتحدة، فقد جاء في القرار رقم ٢١٩ في عام ١٩٧٣ أن الجمعية العامة إذ تدرك ما للغة العربية من دور مهم في حفظ حضارة الإنسان وثقافته، كما تدرك- أيضاً أنها لغة تسعة عشر عضواً من أعضاء الأمم المتحدة، آنذاك تقرر إدخال اللغة العربية ضمن اللغات الرسمية ولغات العمل في الجمعية العامة ولجانها الرئيسية.

٧- اتساع دائرة القراءة باللغة العربية سواء أكانت هذه القراءة ناشئة عن ميول حقيقية أم كانت اضطرارية تفرضها طبيعة العمل، ويبدو أن هذا الاتجاه هو الاتجاه السائد لأن الظروف السياسية والاقتصادية التي فرضت نفسها على البلاد العربية أملت على متخذي القرار- أيا كان مستواه- استخدام العربية، سواء بنفسه أو بغيره، خاصة الصفقات التجارية، وما يتبعها من السفر وتبادل الرسائل، ودعم ذلك من استخدام وتبادل الرسائل، ودعم ذلك من استخدام للإعلام، والإعلان، ناهيك عن الخطاب السياسي للملوك والرؤساء العرب، الذين يتحرون استخدام لغة عربية دقيقة ومعبرة.

٨- إن مجال مراجعة العربية وبرامجها والتأكيد من سلامتها أصبح اليوم أكثر إلحاحاً، سواء في لغة الكلام، أو في لغة الكتابة، خاصة أن جمهور المتلقي زاد وكثر أكثر من ذي قبل، فالشاعر العربي القديم كان يتأنق في قصيدته ويخضعها للتأني والمراجعة لأنها ستعلق على جدران الكعبة، أو سينشدها أمام الخليفة، أو الأمير، أو سيلقيها في محفل، وفي كل الحالات فهو وسط ضيق ومحدود، أما اليوم فقد زاد الجمهور على الملايين، سواء في الإذاعة أو التلفاز أو في الصحافة، وهذه المواجهة ألقت على المتكلم والكاتب بالعربية مسؤولية أكثر، حيث يتحتم عليه إما من نفسه أو من الجهات المسؤولة تحري الدقة في التعبير والسلامة في التراكيب، لأن اللغة الخالية من الأخطاء تجبر السامع والقارئ على احترامها، وعلى احترام من ينشرها، وبالمثل فإن اللغة مليئة بالأخطاء نحوية أو صرفية أو صوتية أو غير ذلك يعاب صاحبها وقد يقابل بالانصراف عنه وعدم الاكتراث بما قدم.^{٢٦٤}



٢٦٤ - مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٤٩، السنة ٤٨، جمادى الآخر ١٤٣٠هـ/ حزيران ٢٠٠٩م، تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها.. والواقع والأفاق، دفايز حداد، ص ٨٣- ١٠٠، (بتصرف).

اللغة العربية لغة الحياة والكون

في الحياة البيولوجية والظواهر الكونية والبيئية منظومات بالغة التعقيد، ففي الحياة هناك الخلايا الحية وما تقوم به من تفاعلات كيميائية هائلة العدد وعميقة المضمون مبرمجة بشفرات وراثية بحيث تنظم مجمل الاستقلاب الخلوي الحيوي لتحقيق وظائف أجهزة الكائن الحي المختلفة بشكل متوازن ومنسجم مع المنظومات البيئية للكرة الأرضية والكون، وهذه الآليات والتصميمات الحية والطبيعية والتي تتصف بالتعقيد والتغير والتطور عبر الزمان والمكان بالإضافة إلى عالم الصغائر وما يحويه من منظومات فيزيائية تحاول أن تشرح حركة وعمل الجسيمات الذرية الأولية في الذرة ونواتها.

وهذا التعقيد النبوي الحيوي والمادي والكوني بحاجة إلى لغة غنية ومرنة وأصلية ومطاوعة بحيث تقوم بالوصف والتحليل والتصنيف والتعبير بأبلغ صورة فهمية وأدق وأوجز عبارة لفظية، لكي يتمكن العقل البشري من معرفة قريبة للواقع العملي في عالم الصغائر والكبائر.

فكل عمل غني بالتفاعلات والتحويلات والتغيرات في مجال الحياة والكون، لا يمكن فهمه عقلياً واستيعابه فهمياً إلا إذا كان هناك وضوح في التعبير عنه لفظياً أو رياضياً أو فلسفياً في كل مراحل حدوثه، وليس هناك أجود وأفضل من اللغة العربية الفصحى في هذا المجال الحيوي والضروري للتطور العلمي والتقدم التقني بعد فهم ما يجري عملياً في المنظومات المعقدة في الحياة والبيئة.

فاللغة العربية غنية بمفرداتها ومرنة في اشتقاقاتها لمصطلحات جديدة وكلمات متطورة بواسطة النحت أو الاشتقاق أو التوليد أو التركيب..

ولعل من أحد الأسباب الهامة في عبثية العلم وفوضويته لاسيما العلوم الكونية خاصةً حسب مفاهيم النظرية الكوانتية حيث تسود عبارات لا معنى لها معبرةً عن قصور في فهم الطبيعة والفيزياء والحياة مما يعكس تهاوتاً للعقل العلمي الغربي السائد فمثلاً تكثر عبارات نشوء الكون من العدم، أو مبدأ اللاتيين الكوانتي، أو فقاعات افتراضية تنشأ من لا شيء وتذهب إلى لا شيء، أو ولادة نجم من العدم الكلي، أو الكون كله نشأ من بذرة كوانتية مفردة صفيرية الأبعاد وهائلة الكتلة، أو مسافات لا نهائية كونية، أو القول بوجود الجسيمات الافتراضية التي تؤثر على الجسيمات الحقيقية كاعتبار مثلاً الإلكترونات محاطة بسحابة من الجسيمات الافتراضية تؤثر في تفاعلاتها مع الحقول الكهرومغناطيسية بشكل كامل.

فمثلاً: في كتاب الكون في قشرة الجوز، تأليف: ستيفن هوكنج الذي يقول في ص ١٧٥: (يتيح مبدأ عدم اليقين لعوالم البران أن تظهر كفقاعات من لا شيء، حيث البران يشكل سطح الفقاعة بينما داخلها هو الفضاء ذي الأبعاد الأكثر.

ستنحو الفقاعات الصغيرة جداً إلى أن تتقلص ثانيةً إلى لا شيء..^{٢٦٥}.

في إحدى المقالات العلمية الكونية حسب المفاهيم الفيزيائية الغربية المعاصرة يقول أحد الباحثين: (يمكن لفقاعة من الطاقة أن تتهز متخلقة من لا شيء أي من العدم تماماً شريطة أن تتهز منسحبة من الوجود في الوقت الذي يتجه اللايقين الكوانتي، أي قبل أن تلحظ بقية الكون وجودها..)^{٢٦٦}.

عند تأمل هذه الأفكار والمفاهيم العلمية الفيزيائية المعاصرة نجد أنها كأنها نوعٌ من الطلاسم والتلاعب بالألفاظ والكلمات لوصف ظواهر كونية بالغة التعقيد مما يعبر عن إفلاس اللغة الإنكليزية في تعبيرها عن المنظومات الكونية المعقدة الذي يعكس قصور العقل الغربي في فهم هذه المنظومات البالغة التعقيد، وعبثيته في الحياة خاصةً بعد تعرض الإنسان الأوروبي والأمريكي لحربين عالميتين أولى وثانية جعلته يعيش ضائعاً وبلا هدف في الوجود وأراد أن يعكس ذلك على العلم والكون مما أدى إلى تهاوته وإفلاسه إنسانياً وروحياً على الرغم من قوته العسكرية والمادية.

ويلاحظ أي مثقف مهتم أن معظم الكتب العلمية الكونية الفيزيائية والمقالات العلمية النظرية في المجالات العالمية لاسيما التي تصدر من أرقى المراكز البحثية الفضائية والفيزيائية في الدول الأوروبية والأمريكية، تتصف بكونها كسيحة ولا يمكن أن تسير وتمر إلا بالإعتكاز على نظرية الكوانتم والنسبية^{٢٦٧} مراراً وتكراراً.

لكون وجود قصور في فهم هذه العلوم الكونية والفيزيائية كما هي في الواقع وعدم استطاعة الباحثين تجاوز عقدة النقص المتكونة لديهم لغلبة الإعلام الأوروبي والأمريكي الذي ما يفتأ يلوك هذه النظريتين بحيث يثبط الابتكار مع العلم أن هاتين النظريتين الكوانتية والنسبية مضى عليهما حوالي مائة سنة.

وهذا نوع من الإرهاب الفكري العلمي الذي يمارس على عقول الباحثين والذي هو أحد مظاهر الإرهاب الغربي الأوروبي الأمريكي.

فمن المفروض علمياً تطوير ونقد هاتين النظريتين وإبداع نظرية كونية علمية متطورة متناسبة مع التجارب العملية ونتائج الأرصاد الفلكية.

٢٦٥- الكون في قشرة الجوز، شكل جديد للكون، تأليف ستيفن هوكنج، ترجمة: د. مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة الكويتية، عدد ٢٩١، ذو الحجة ١٤٢٣هـ/ مارس ٢٠٠٣، ص ١٧٥.

٢٦٦- مجلة الكويت، العدد ٢٥٦- ٢١ ذي الحجة ١٤٢٥هـ/ ١/ فبراير ٢٠٠٥، هل نشأ الكون من عدم؟ تأليف: جون جرين، ترجمة: محمد جمول، ص ٨٢- ٨٥.

٢٦٧- للتوسع: أنشتاين أكذوبة القرن العشرين، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سورية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

وقد أفردنا لهذا الموضوع الحيوي كتاباً مفصلاً^{٢٦٨}، وقد ينقضنا بعض المثقفين والمتعلمين ويقولون: كيف تنقض النظرية الكمية والنظرية النسبية، مع أن جميع الأبحاث الفضائية والذرية وجميع التقنيات الإلكترونية والاختراعات الحاسوبية تقوم عليهما؟.

ونحن نقول: إن هذه الدراسات الفضائية والابتكارات التقنية تقوم على منهج علمي موضوعي رصين، بينما منظومات الافتراض والتفسير لما يحدث في أعماق الذرة ونواتها والفضاء ونجومه والكون وحركته، هي التي يغلب عليها صفة اللامعقول والعشوائية والشواشية والفوضوية والاحتمالية، وهذه الميزات يذكرها أصحاب تلك الفرضيات كما في نظرية الكم مثلاً، حتى إن بعض المقلدين لأبحاث الأوربيين يعرفون العلم بالأسطورة^{٢٦٩}، إن أي منطق عقلي بسيط ومنهج علمي أصيل لا يقبل ولا يقتنع بأن هذه السفن الفضائية والأقمار الاصطناعية والمسابر الفضائية والمرصد الفلكية التي توجد في الكرة الأرضية والمنظومة الشمسية، يمكن لها أن تسير وتنطلق، حسب مبادئ الفوضى والعشوائية، بل هي تعمل وفق قواعد علمية- تقنية ومبادئ نظرية أصيلة، ولذلك نؤكد على وجود احتمالين:

١- الاحتمال الأول:

وجود منظومات علمية فيزيائية فلكية وإلكترونية رزينة وأصيلة وموضوعية ومنهجية تسير عليها البحوث العلمية وتبتكر الاختراعات التقنية بناءً عليها في مراكز الأبحاث العلمية الفضائية والالكترونية في الدول الصناعية المتقدمة، وهذه تعتبر من البحوث الاستراتيجية والسرية محتكرة من قبلهم بينما ينشرون ويصدرون إعلامياً وعالمياً فرضيات ونظريات علمية فوضوية واحتمالية وشواشية لا يمكن لأي نهضة علمية تقنية أن تقوم عليها في البلدان النامية مثلاً.

٢- الاحتمال الثاني:

هو قيام الأبحاث الفضائية والدراسات الفيزيائية والابتكارات التقنية وفق آليات عملية منطقية مجهول معظمها ولكنهم يحاولون لقصورهم المعرفي صياغة فرضيات ونظريات قاصرة ومضطربة التفكير والمنطق كنظرية الكم، وهذا الاحتمال الأقوى، ولكي لا يندش بعض المتعلمين من هذا القول نذكرهم بالحقيقة التاريخية العلمية: لقد كانت جميع الأبحاث النظرية والدراسات الكونية والأرصاد الفلكية تشاهد وتفسر على أساس نظرية بطليموس (نظرية مركزية الأرض) لمدة أكثر من 1500 سنة في العالم وأوروبا مع أنها كانت خاطئة ومع ذلك كان الباحثين يجربون ويناورون ويخادعون ويجورون نتائج المشاهدات الكونية والتحليلات النظرية

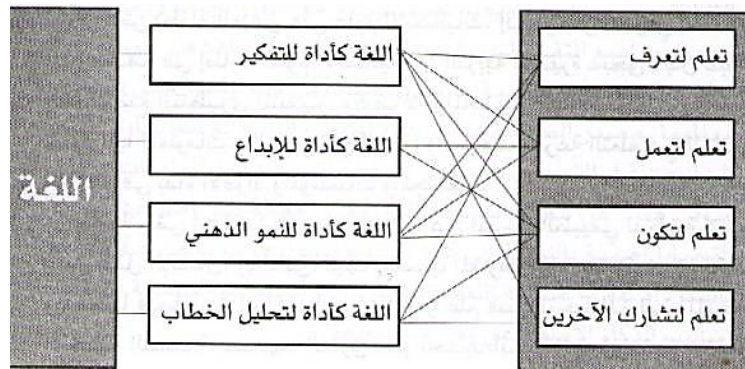
٢٦٨- للتوسع: النظرية الحلزونية الكونية التوحيدية (رؤية جديدة لواقع ومستقبل العلوم)، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٩- للتوسع: ماهو الكون شعرياً العلم، المهندس: فايز فوق العادة دار علاء الدين للنشر، ط٢، ٢٠٠٣، ص ٥ - ٢٩.

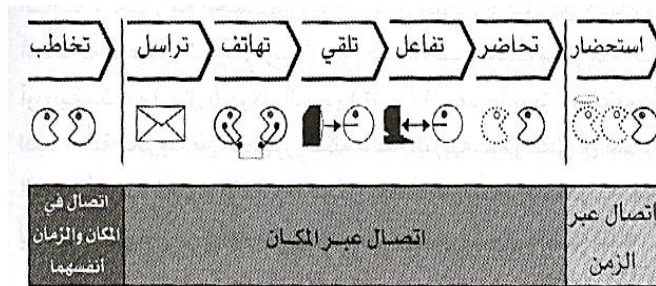
للتفق مع مركزية الأرض، حتى شك بذلك العالم العربي الفيزيائي ابن الهيثم في كتابه الشكوك على بطليموس، وجاء العالم العربي ابن الشاطر الدمشقي ورصد الكواكب والنجوم واخترع بعض الآلات الفلكية واقترح نموذج نظرية مركزية الشمس، التي سطا عليها البولندي كوبرنيكوس بعده بحوالي 150 سنة.

وقياساً على هذه الحقيقة العلمية التاريخية نؤكد بأن العلم لا يبني إلا على المنطق المنهجي والبحث العلمي وإن الابتكارات التقنية لا تقوم إلا على خطوات عملية مدروسة ومنظمة، فلا مجال للفوضى والعشوائية وعدم اليقين، وهذا ما سوف نبثه تفصيلاً في نظريتنا العلمية الكونية الحلزونية التوحيدية التي أفردنا لها كتاباً مفصلاً.

وما يهمنا هنا هو الإبداع والابتكار لتجاوز التقليد العلمي بحيث نكون منتجين للعلوم والتقنيات عبر لغتنا العربية الفصحى الغنية بمفرداتها والأصيلة بتاريخها والمرنة باشتقاقاتها، ونشر هذه الابتكارات عالمياً لما فيه خير البشرية جمعاء.



نحن نبدع لغوياً نتعلم ونعلم ولنعمر ولنفهم الآخرين والحياة والواقع والكون^{٢٧٠}



قال الأديب والشيخ أمين الخولي: (ما من علة في فكرنا، إلا ووراءها علة لغوية)^{٢٧١}

٢٧٠- الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٧٦، ط٢، ديسمبر ٢٠٠١، تأليف: د. نبيل علي، ص ٣٢٤.
٢٧١- الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢٧٦، ط٢، ديسمبر ٢٠٠١، تأليف: د. نبيل علي، ص ٢٤٦.

الأصل العربي للأرقام العالمية ومعناها اللغوي العربي

اللغة العربية القديمة	الأرقام الغبارية العربية	الأرقام الهندية العربية (الأرقام البغدادية)	المعنى اللغوي العربي	اللغة السريانية	اللغة اللاتينية	اللغة الإيطالية	اللغة الإنكليزية	اللغة الفرنسية
واحد	1	١	أول الأعداد	حد Had	Unus	Uno	One	Un
اثنان	2	٢	من ثنى (طوى) وطوى الشيء جعله اثنين	تريين	Duo	Due	Two	Deuy
ثلاثة	3	٣	كثرة، كومة	تلوثو	Tres	Tre	Three	Trois
أربعة	4	٤	ربض، قعد الحيوان أو بسط قوائمه الأربعة	أربعو	Quattuor	Quattro	Four	Quatre
خمسة	5	٥	قبض على الشيء بيده	حمشو Hamsho	Quinque	Cinque	Five	Cinq
ستة	6	٦	عدد صحيح بين الخمسة والسبعة	شتو	Sex	Sei	Six	Six
سبعة	7	٧	سبع وشبع الإكتفاء والتمام	شبعو	septem	Sette	Seven	Sept
ثمانية	8	٨	عدد صحيح بين السبعة والتسعة	تمنو	Octo	Otto	Eight	Huit
تسعة	9	٩	عدد صحيح بين الثمانية والعشرة	تشعو	Novem	nove	Nine	Neuf
عشرة	10	١٠	الكثرة والجمع	عسرو (عشر)	Decem	Dieci	Ten	Dix

الأصل العربي للأرقام العالمية ومعناها اللغوي العربي^{٢٧٢}

٢٧٢ - قصة الأيام والشهور والأرقام وتسمياتها، شحادة الخوري، دار الطلعة الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، ص ١٤٥-١٥٢ (بتصرف).

أنساب إبراهيم

تاريخ الميلاد بعد خلق آدم	مدة العمر	تاريخ الوفاة بعد خلق آدم	
٠٠	٩٣٠	٩٣٠	١. آدم
١٣٠	٩١٢	١٠٤٢	٢. شيت
٢٣٥	٩٠٥	١١٤٠	٣. أنوش
٣٢٥	٩١٠	١٢٣٥	٤. قينان
٣٩٥	٨٩٥	١٢٩٠	٥. مهلائيل
٤٦٠	٩٦٢	١٤٢٢	٦. يارد
٦٢٢	٣٦٥	٩٨٧	٧. أخنوخ
٦٨٧	٩٦٩	١٦٥٦	٨. متوشالغ
٨٧٤	٧٧٧	١٦٥١	٩. لامك
١٠٥٦	٩٥٠	٢٠٠٦	١٠. نوح
١٥٥٦	٦٠٠	٢١٥٦	١١. سام
١٦٥٨	٤٣٨	٢٠٩٦	١٢. أرفكشاد
١٦٩٣	٤٣٣	٢١٢٢	١٣. شالغ
١٧٢٣	٤٦٤	٢١٨٧	١٤. عابر
١٧٥٧	٢٣٩	١٩٩٦	١٥. فالج
١٧٨٧	٢٣٩	٢٠٢٦	١٦. داعو
١٨١٩	٢٣٠	٢٠٤٩	١٧. سروج
١٨٤٩	١٤٨	١٩٩٧	١٨. ناحور
١٨٧٨	٢٠٥	٢٠٨٣	١٩. تارح
١٩٤٨	١٧٥	٢١٢٣	٢٠. إبراهيم

اللغات السامية الحامية

الترتيب	الشهر السرياني المعرب	الشهر العبري	الشهر البابلي
١	تشرين قديم (الأول)	تشري أو ايثانيم	تسريتو
٢	تشرين جراي (الثاني)	مرحشوان أو بول	أرح سمننا
٣	كانون قديم (الأول)	كسليو أو كسليف	كيسليمو
٤	كانون جراي (الثاني)	طبيث أو طبييث	طبتو
٥	شباط	شباط أو شفط	سباتو
٦	آذار	آذار أو آذر	ادارو
٧	نيسان أو نيسن	نيسان أو أبيب	نيسانو
٨	أيار	أيار أو زيو	أيارو
٩	حزيران	سيوان أو سيون	سيمانو
١٠	تموز	تموز أو تمز	دوزر
١١	آب	آب أو أوب	أبو
١٢	أيلول	أيلول أو أيلول	اولولو

ويلاحظ أن ثمة تماثلاً بين أسماء ثمانية أشهر من الأشهر السريانية المعربة، وبين الأشهر العبرانية والبابلية، وأن هذه السماء موعلة في القدم، إذ أن السريان قد اقتبسوها عن البابليين مثلما اقتبسوا منهم المقاييس والمكايل والطقوس الدينية والزراعية.

ولا غرابة، فإن هاتين اللغتين هما من طائفة اللغات السامية الحامية التي تشمل: المصرية القديمة، الحبشية، القبطية، البربرية.

كما تشمل على اللغات: الأكادية أو البابلية الآشورية، الكنعانية، الآرامية أو السريانية، العبرانية والعربية.

ويذكر العلامة مصطفى الشهابي^{٢٧٣}: (أن هذه اللغات متقاربة في ألفاظها وصرفها واشتقاقاتها).

وقال البطريك زكا الأول عيواص^{٢٧٤}: (وكانت اللغة السريانية التي هي إحدى اللغات الشرقية القديمة التي تعرف باللغات السامية، تسمى اللغة الآرامية، وكانت قد انتشرت في العالم انتشاراً واسعاً وصارت حروفها حروف هجاء للغات شرقية عديدة، بل أمست لغة دولية في الشرق كله زمناً طويلاً).

٢٧٣- مصطفى الشهابي: كتاب (المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث)، ط٢، ١٩٦٥، ص ٨-٩.
٢٧٤- البطريك زكا الأول عيواص بطريك السريان الأرثوذكس، دراسة له منشورة في المجلة البطريركية بدمشق، العددان ١١٤-١١٥، نيسان وأيار ١٩٩٢.

ومن المعروف أن السريان هم في الأصل سكان سورية الأصليين، استوطنوا منذ القرن السادس عشر قبل الميلاد بلاد آرام الشام وآرام النهرين، وامتزجوا ببقايا الشعوب السامية القديمة من سومريين وبابليين وآشوريين وكنعانيين وفينيقيين، وتأثروا بحضاراتهم ومعتقداتهم ولغاتهم). هذا وبين اللغة العربية واللغة السريانية بالذات، وفي مراحل ومواطن عديدة، قبل الإسلام وبعده، تقارض لغوي واسع بسبب التقارب الإثني^{٢٧٥} والثقافي واللغوي^{٢٧٦}.

اللغة العربية أصل اللغات السامية

قال الأمير مصطفى الشهابي: (وإذا جارينا بعض علماء الغرب القائلين: إن الساميين ليسوا سوى عرب أقدمين كانوا يقطنون بعض أنحاء الجزيرة العربية، تكون اللغة المصرية والآرامية، وابتناها السريانية والكلدانية، وكذلك العبرانية والفينيقية وغيرها، كلها لهجات للغة عربية جد قديمة كانت أصلاً لها جميعاً)^{٢٧٧}.



٢٧٥- الإثني: العرقي أو الجنسي.

٢٧٦- قصة الأيام.. الشهور. الأرقام وتسمياتها، شحادة الخوري، دار الطلعة الجديدة، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، ص ٦١ - ٦٢ (بتصرف).

٢٧٧- قصة الأيام.. الشهور. الأرقام وتسمياتها، شحادة الخوري، م.ن، ص ٤٨ - ٥٨ (بتصرف).

التعريب اللفظي الأبجدي والنصي للغة الإنكليزية

الأحرف الإنكليزية		اللفظ الإنكليزي	المعنى العربي
الكبيرة	الصغيرة	بالحرف العربي	
A	a	إئي	أ
B	b	بي	ب
C	c	سي	س
D	d	دي	د
E	e	إ	ء
F	f	إف	ف
G	g	جي	ج
H	h	إتش	ش
I	i	آي	=
J	j	جه	ج
K	k	كه	ك
L	l	إل	ل
M	m	إم	م
N	n	إن	ن
O	o	أو	و
P	p	بي	ب
Q	q	كيو	ك
R	r	آر	ر
S	s	إس	س
T	t	تي	ت
U	u	يو	ي
V	v	في	ف
W	w	دبليو	و
X	x	إكس	كس
Y	y	واي	ي
Z	z	زد	ز

- ترجمة أبجدية عربية لفظية للحروف الإنكليزية

المقطع الصوتي الإنكليزي	اللفظ الإنكليزي للحرف العربي	المعنى العربي
Ch	تش	ت+ش
Sh	ش	ش
Ph	ف	ف
tion	شن	ش+ن
ssion	شن	ش+ن
Sion	شن	ش+ن
th	ذ، ث	ذ-ث

- ترجمة أبجدية عربية لفظية للمقاطع الصوتية الإنكليزية

المثال		الكلمة	التعليل	التعريب اللفظي	الأحرف الصوتية الإنكليزية
التعريب	اللفظ				
قبعة	هات	hat	.	آ	a
طويل	تول	tall	متبوعاً بالحرف الساكن	أو	
اسم	نيم	neme	كلمة رباعية منتهية بـ e	إي	
شعر	هير	hair	مرافقته للحرف i	إي	
أحمر	رذ	red	مرافقته بحرف صوتي آخر	فتحة	e
ثلاثة	ثري	Three	التكرار	ي	
نظيف	كلين	Clean	ترافقه بـ a	ي	
شفة	لب	Lip	لم ينته بـ e	كسرة	i
حبر	إنك	Ink	جاء في أول الكلمة	كسرة	
زوجة	وايف	Wife	توسط الكلمة المنتهي بـ e	أي	
يذهب	كو	Co	مفرداً	و	o
لوح	بورده	Board	مرفقاً مع الحرف a	و	
فوق	أب	Up	أول الكلام	فتحة	u
يغلق	شت	Shut	توسط حرفين صوتيين	فتحة	
بخصوص	أبوت	About	يسبقه حرف o	أو	

- الترجمة الأبجدية العربية اللفظية للأحرف الصوتية الإنكليزية

الأحرف الساكنة	التعريب اللفظي	التعليل	المثال	
			الكلمة	اللفظ
c	س	خاصة إذا لحق بـ e	Face	فيس
	ك	معظم الحالات	Came	كيم
g	ك (جيم مغربية)	يأتي بعده أحد الأحرف r,u,o,A	great	كربت
K	-	يهمل لفظه بعد الحرف الساكن n	knee	ني
q	كو	يرافقه دوماً الحرف الصوتي u	question	كُوسشن
	كوي	وسط الكلمة	Liquid	ليكويد
w	.	يهمل لفظه قبل r	wrinkle	رينكل

- جدول الأحرف الساكنة

الضمائر الشخصية (المنفصلة)		
الضمائر الشخصية الإنكليزية	التعريب اللفظي	الضمائر الشخصية العربية
I	أي	أنا
You	يو	أنت
he	هي	هو
She	شي	هي
It	إث	هو أو هي لغير العاقل المفرد
We	وي	نحن
You	يو	أنتم
They	ذي	هم، هن ولغير العاقل الجمع

الضمائر المتصلة		
الضمائر المتصلة الإنكليزية	التعريب اللفظي	الضمائر المتصلة العربية
Me	مي	ني
You	يو	ك
Him	هم	هـ
Her	هير	ها
It	إث	هـ أو ها لغير العاقل
Us	أس	نا
You	يو	كم
Them	ذم	هم، هي ولغير العاقل

- الأفعال

الأفعال العربية	التعريب اللفظي	الأفعال الإنكليزية
فعل الوجود		
(الزمن الحاضر)		
أكون	آي ام	I am
يكون	هي إز	He is
(الزمن الماضي)		
كنت	آي واز	I was
كنت	يو وير	You were
(المستقبل)		
سأكون	أي شال	I shall
ستكون أنت	يو ول	You will
فعل التملك		
(الزمن الحاضر)		
عندي	آي هاف	I have
عنده	هي هاز	He has
(الزمن الماضي)		
كان عنده	هي هاد	He had
كان عندي	آي هاد	I had
(المستقبل)		
سيكون عندي	آي شال هاف	I shall have
سيكون عنده	هي ول هاف	He will have

- الأعداد الأصلية

الأعداد العربية	التعريب اللفظي	الأعداد الإنكليزية
١٠ عشرة	تن	10 Ten
عشرون	تونتي	20 Twenty
٢١ واحد وعشرون	تونتي وان	21 Twenty one
٣٠ ثلاثون	ثورتي	30 Thirty
٣١ واحد وثلاثون	ثورتي ون	31 Thirty one
٤٠ أربعون	فورتني	40 Forty
٤١ واحد وأربعون	فورتني ون	41 Forty one
٩٠ تسعون	ناينتي	90 Ninety
١٠٠ مائة	هندرد	100 Hundred
١٠٠٠ ألف	ثوزند	1000 Thousand
١٠٠٠٠٠٠ مليون	مليون	1000000 Million

- أمثلة عن التعريب اللفظي للغة الإنكليزية

المقطع الإنكليزي	التعريب اللفظي	المقطع العربي
Twenty degrees	توينتي ديكريز	عشرون درجة
The weather became warm	ذ ويذر بكيم وورم	الطقس أصبح حاراً (دافئاً)
How are you?	هاو آر يو؟	كيف حالك؟
.Very well thank you	فيري ول ثانكيو.	حسن كثيراً ز أشكرك.
Good by	كود باي	وداعاً، مع السلامة
Welcome	ويلكم	أهلاً وسهلاً
Does any one here speak Arabic?	دز أي ون هير سبيك أربك؟	هل من يتكلم العربية هنا؟
Please speak slowly	بليز اسبيك سلولي	أرجوك أن تتكلم ببطء
What happened?	وات هاييند؟	ما الذي حصل؟
Do you like your tea strong?	دو يو لايك يور تي سترونغ؟	هل تحب الشاي قوياً؟
What is the name of this village ?	وات إزذ نيم أوف ذس فيليج؟	ما اسم هذه القرية؟

- تجربة نقل المعارف العربية والإسلامية من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية:

طرح بعض المشتركين في المؤتمر الدولي العاشر للمستشرقين، المنعقد في مدينة جنيف (بسويسرا) سنة ١٨٩٤، فكرة إنشاء موسوعة تبحث موادها في الحضارة الإسلامية وفي مختلف الشؤون المتعلقة بالعرب تاريخاً وجغرافياً ولغةً وأدباً وفناً وعلماً وفلسفةً، بغية تغطية ثقافتهم تغطية تامة في كل ميدان وبحسب آخر ما توصلت إليه بحوث المستعربين وعلماء الإسلاميات، لا في فرنسا وحدها، وإنما في بلدان أوروبا والغرب عامة. وتم إنجاز الطبعة الأولى من (الموسوعة الإسلامية) في أربعة مجلدات مع جزء ملحق على التوالي، بدءاً من سنة ١٩١٣ وانتهاء بسنة ١٩٤٢، بثلاث لغات مستقل كل منها عن الآخرين، وهي: الفرنسية، والألمانية، والإنكليزية.

ولما كانت لغات هذه الموسوعة، في طبعتها الأولى، الفرنسية والألمانية والإنكليزية، وفي طبعتها الثالثة الفرنسي والإنكليزية فقط، نظراً لغنى اللغة العربية بالمفردات والكلمات وحركات الإعراب ولوفرة نغمات الأصوات العربية، ولقصور اللغات الفرنسية والإنكليزية.. و فقرها في اللفظ والحركة والمحتوى.. كان لابد من مواجهة مشكلة كتابة بعض الأصوات العربية، التي لا مقابل لها في هذه اللغات، بالحروف اللاتينية والتعبير عنها تعبيراً دقيقاً لا لبس فيه: كاهزمة، والثاء، والحاء، والخاء، والذال، والصاد، والطاء، والظاء، والعين، مما أدى إلى التعقيد وصعوبة في التعبير عن المعارف العربية والإسلامية بحروفهم اللاتينية المعربة خاصة من قبل الشعوب الأوروبية^{٢٧٨}.

٢٧٨- عالم المعرفة، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، العدد ١٦٧، جمادى الأولى ١٤١٣ هـ / نوفمبر // تشرين ثاني ١٩٩٢ م، ص ٢٠٠ - ٢٠٣، (بتصرف).

الموسوعة الإسلامية	الحرف العربي	تعديل الحروف اللاتينية	الحرف العربي
<u>sh.ch</u>	ش	<u>a, a</u>	ء، أ، إ
s.c	ص	a; a <u>u</u> <u>i</u>	أ، أ، إ
d	ض	B	ب
t	ط	T	ت
z	ظ	<u>th</u>	ث
c	ع	<u>dj</u>	ج
<u>gh</u>	غ	h	ح
F	فا	<u>kh</u>	خ
K	ق	D	د
k	ك	<u>dh</u>	ذ
l	ل	R	ر
M	م	Z	ز
n	ن	S	س
h	هـ		
<u>u.u, u, wi, wu, wa</u>	و، ؤ		
<u>l, i, l, yi, yu, ya</u>	ي، ئ		



أهمية حوار الثقافات واللغات

إن التمسك بـ **حوار الثقافات** والسعي إلى إرسائه على قواعد الندية لمطمح نبيل والذي يزيده نبلاً وشرفاً، ويجعله مثلاً يقتدى به، أن العرب يرفعون شعاره من **موقع العزة الحضارية** التي تمكنهم من كل مقومات الهوية الثقافية المتميزة.

وهل من أمة أولى من أمة العرب، بأن تعلن لواء المساواة الثقافية والموضوعية الفكرية والإيثار المعرفي؟! وقد أشهدوا التاريخ على فعلهم حين شيدوا حضارة كانوا فيها على مدى القرون سادة القول، وبلغوا فيها سنام الريادة، ولم ينجحوا خلالها في يوم من الأيام إلى الإقصاء من أي نمط كان: لا الإقصاء العرقي ولا الإقصاء المعرفي ولا الإقصاء اللغوي!.

ويكفي أن فيهم رواد تألقوا على سنام الفكر الموضوعي برؤية إنسانية جامعة، وكان فيهم من صور من الحقائق الدائمة ما يحضنا على استذكار أقواله: (إن اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليها، فإنما يقيد لغة الأمة قوة دولتها، وأما من تلفت دولتهم، وغلب عليهم عدوهم، واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخواطر، وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم، وهذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل والضرورة).

هذه الحقائق دونها باقتضاب ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ)، وسيستأنفها ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨) باستفاضة باهرة، وبعقلانية تخرج كل العرب المعاصرين: من المثقفين صناع الأفكار، إلى السياسيين صناع القرار^{٢٧٩}.



٢٧٩- العربي، الكويت، العدد ٥٦٠- جمادى الأولى ١٤٢٦هـ/ يوليو ٢٠٠٥م، July، من أسرار السياسة واللغة، د. عبد السلام المسدي، ص ٩٩.

تاريخ يهودي.. عابر ومزور

- هناك أبحاث توراثية متأخرة أو حديثة كتبها علماء غربيون، أمريكيون على التحديد، تقول إن التاريخ اليهودي، كما يتحدث عنه اليهود، ليس سوى لحظة عابرة في تاريخ طويل اسمه تاريخ فلسطين، إنه حتى المرويات والمآثورات اليهودية المسجلة في التوراة ليست في معظمها سوى مرويات غير مسندة إلى تاريخ، أو غير تاريخية أصلاً، لذلك تبدو عملية الاستناد إلى حق تاريخي للعودة إلى فلسطين، أو حتى على حق ينعت بالحق الإلهي، إنما هي عملية مزورة وكاذبة.

فكتابها بشر، وقد رروا في هذه الكتابات حكايات وتلفيقات، كما بثوا فيها طموحات عدوانية وأهداف إرهابية ولصوصية..

- أجاب شيخ المؤرخين العرب د. نقولا زيادة:

أنا ذكرت ما يؤمن به اليهود على أساس ما جاء في التوراة، أي العقيدة اليهودية القديمة، أنا أجييك بشيء من التفصيل في هذه المادة التاريخية، هذه المادة التاريخية جاءت من العهد القديم من الكتاب المقدس. والعهد القديم يروي تاريخاً يبدأ من القرن الثامن قبل الميلاد، أي بعد نحو أحد عشر قرناً من المفروض أنه يتحدث عنه، هذه واحدة، أمر آخر، إذا كان هذا يحفظ عن طريق الرواية في أساسه أو في تفاصيله، فالرواية هذه لم تقتصر على ما كان عند اليهود، دائماً دخلتها كل أنواع الروايات التي كانت معروفة في المنطقة، من حوالي ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف قبل الميلاد.

على سبيل المثال: في سفر التكوين الذي هو أول أسفار العهد القديم، هناك شيء عن الخليفة، قصة الخليفة الموجودة في سفر التكوين، منقولة شفويّاً وتماًماً عن الأسطورة السومرية لخلق العالم التي تعود على حوالي الألف الرابع قبل الميلاد.

وقد دونت هذه الأسطورة في أيام حمورابي وسميت الأسطورة البابلية، لكنها رويت شفويّاً كل هذه الفترة، من هنا يجب القبول بأن هذه الأشياء الموجودة في العهد القديم ليست تاريخاً لشعب معين، إنها خلاصة ما كان معروفاً في المنطقة..

قصة الطوفان الموجودة في العهد القديم، هذه أسطورة بابلية سومرية دونت في أيام بابلية بتفاصيلها، كل ما هناك أن لم يذكر أنه دخل أو أمر أن يدخل إلى الفلك زوجان من كل أنواع الحيوانات، لكن الفكرة موجودة: الطوفان عم الأرض، وكنتيجة لهذا واحد فقط، يمثل نوحاً أو يمثله نوح، ونجا من الطوفان، ومعناها أنه صارت له الحياة الأبدية، فكان أن ملك نيبور السومرية ذهب ليجث عن هذا الرجل ليطلب منه هذه الوصفة ولم ينجح، فالخليفة والطوفان موجودان قبل مجيء اليهود بما لا يقل عن ٢٥٠٠ سنة.

- إذن التاريخ اليهودي.. مزور:

نعم، التاريخ اليهودي مزور، لكن الفكرة التي كانت عندهم فيما يتعلق بالعقيدة، فكرة موجودة، هناك من يقول، مثل وايمان وكمال الصليبي وزياد منى: (إن هذه الأحداث التي تروى عن فلسطين، لم تحدث في فلسطين، بل حدثت في الخارج).

وعلى كل حال، ومهما أخذنا منها، فإن جزءاً كبيراً في التاريخ اليهودي مزور وملفق.

هو مزور، ولكن هذا التزوير عندما يصبح عقيدة ويثار باستمرار، يتحول إلى تاريخ متين وثابت، إلى الآن، والآن خصوصاً، الدولة المهيمنة في العالم هي الولايات المتحدة، والولايات المتحدة تؤيد إسرائيل طوال الوقت، ولا تهتم حتى بالعرب.

وإذا تخلت الولايات المتحدة في يوم من الأيام عنها لأي سبب كان، هل تستطيع إسرائيل أن تبقى هنا؟

إسرائيل ستذوب مع الوقت، ولكن ليس عن طريق الاجتثاث، بل عن طريق منع التطور.

العرب- إذا استطاعوا أن يقوموا بهذا العمل- فهم عندئذ الذين سينقذون البلاد.

هذه البلاد لم ينقذها أحد من خارجها، لن ينقذها من اليهود إلا أبناءها، أبناء المنطقة.

فإذا تخلى الأوروبيون والأمريكيون في يوم من الأيام عن إسرائيل، وكان العرب قد دفعوا بأنفسهم إلى الأمام، عندئذ تصبح القضية قضية أقلية يهودية في مجتمع عربي قوي وناهض، عندها تنعكس الآية وتزول إسرائيل، تزول من الوجود سياسياً.. ٢٨٠

- بطلان العهد القديم.. علمياً وتاريخياً :

لكل بناء أساس، وعلى الأساس اعتماد البناء، وقد أثبت العلم الصحيح بطلان تسعين بالمئة تقريباً من كتاب العهد العتيق، فليس في العهد العتيق من الصحيح سوى التوراة، والتوراة ليست الأسفار الخمسة، فإن تلك الأسفار قد جمعت الغث والسمين، قد جمعت الموضوع والمصنوع، وضمته إلى التوراة عصابة تتبع هواها حسب إملاء التعصب اليهودي والكره الطائفي والغباء المنطقي.. فلو قدرنا التوراة فلا تزيد من تلك الأسفار عن ثمانية بالمئة وهذا كثير، وبقيته قصص توافق زمن كتابتها كونت من الحبة قبة، ومن الوهم والخيال حقيقة، والله سبحانه وتعالى بريء منها، فالعنصرية والعدوانية والارهابية والوحشية والاجرامية واللصوصية.. ممتنها ولحمتها.

لقد ذكر كتاب العهد العتيق أن خلق آدم كان من قبل الميلاد بثلاثة آلاف وسبعمئة وخمس وثلاثين عام، وأن الطوفان كان قبل الميلاد بألفين وتسع وتسعين عاماً.

٢٨٠ - العربي، الكويت، العدد ٥٥٨، ربيع الأول ١٤٢٦هـ / مايو ٢٠٠٥م، وجهاً لوجه، د. نقولا زيادة وجهاد فاضل، (٧% فقط من سكان فلسطين كانوا يهوداً ومع ذلك أخذوا وطناً قومياً)، ص ٦٨ - ٧٥.

وتوجد أبنية في مصر من قبل ستة أو سبعة آلاف من الميلاد، فما هو رأي العهد العتيق بها؟
وهذه ملحمة جلعامش السومري، وقد أزاحت الطوفان وأنه قبل خلق آدم بآلاف السنين؟
وأن آثار تل المريط في سوريا من قبل الميلاد بثمانية آلاف وخمسمائة عام^{٢٨١}.

إن العهد القديم يتكون في معظمه من مجموعة من المؤلفات الأدبية والروايات الملفقة والقصص المفبركة والتعليمات الوحشية البهائية العدوانية الإرهابية.. أنتجت على مدى تسعة قرون تقريباً، وهو يشكل مجموعة متنافرة جداً من النصوص عدل البشر من عناصرها عبر السنين، وقد أضيفت أجزاء لأجزاء أخرى كانت موجودة من قبل، بحيث إن التعرف على مصادر هذه النصوص اليوم عسير جداً في بعض الأحيان وهذه النصوص مليئة بالتناقضات والأمر الخرافية والمضحكة والشاذة والكاذبة.. غير المعقولة والمتعارضة مع معطيات العلم الحديث^{٢٨٢}.

فالنصوص الأدبية العبرية- المعتمدة على تعاليم التوراة - على اختلافها، ركيكة البنية، متداعية الأسلوب، باهتة الجمال، إرهابية الهدف، سفيهة المضمون.. بسبب:

- غياب السمو التعبيري الخالص..

- وغلبة التفكير العقائدي المفعم بالعدوانية والعنصرية والهمجية والاجرامية تجاه الغير^{٢٨٣}.

الهرم الماسوني!



٢٨١ - يُنظر: الحق والباطل بين للإنسان وللإنسان مسيرة الدهر، موسى شحادة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ٤٧١ - ٤٧٢.

٢٨٢ - يُنظر: القرآن والتوراة والإنجيل والعلوم، موريس بوكاي، دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، طبعة عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ (بتصرف).

٢٨٣ - العربي، الكويت، المسلمون والتنمية: عقيدة عالية وواقع هابط! العدد ٥٥١ - شعبان ١٤٢٥هـ - أكتوبر ٢٠٠٤م الأدب العبري المرجعيات- المصطلحات- الرؤى، تأليف: حسن حميد، عرض: د. ياسين الأيوبي، ص ١٨٧.

النبي إسماعيل عليه السلام...عربي

سيدنا إسماعيل عليه السلام هو الابن البكر لإبراهيم عليه السلام، وهذا ما اتفقت عليه التوراة والقرآن، وإبراهيم عليه السلام ولد في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، في عهد الإمبراطورية البابلية الأولى - الكلدانية - والتي أسسها الكلدانيون، وهم قبائل عربية نزحت من شبه الجزيرة العربية، وكانت تتكلم الآرامية، وهي لهجة من لهجات القبائل العربية التي اتجهت نحو العراق والهلل الخصب..

وعصر إبراهيم الخليل عليه السلام، هذا عصر عربي قائم بذاته، وليست له أية صلة بعصر موسى عليه السلام الذي يقع بعد زمن إبراهيم الخليل عليه السلام بسبعمئة عام.

أما نعت إبراهيم الخليل عليه السلام (بالعبراني)، كما ورد التوراة، فيراد به معنى العبريين، وهي القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرامية العربية، التي ينتمي إليها إبراهيم عليه السلام، وبهذا المعنى وردت كلمة (عبري وعبيرو وخبيرو) في الكتابات القديمة التي اكتشفت، وهي تعود إلى ما قبل ظهور النبي موسى عليه السلام بعدة قرون. وبهذا الصدد يقول د. أحمد سوسة في كتابه القيم (العرب واليهود في التاريخ):

(تعد دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام إلى وحدانية الله الخالصة، أول دعوة عامة للتوحيد في تاريخ البشرية بالمعنى الدقيق لمصطلح التوحيد (Monotheism)، وهي عربية لغة ووطناً، ثم جاءت رسالة محمد عليه الصلاة والسلام النبي العظيم خاتم الأنبياء، وقد نزلت عليه باللغة العربية أيضاً، لأن اللغة التي كان يتكلم بها إبراهيم الخليل عليه السلام اللغة العربية الأم، ووطنها الأصلي الجزيرة العربية، وكانت في تلك الأزمان لغة واحدة تتكلم بها جميع القبائل العربية النازحة من الجزيرة إلى الهلال الخصيب، وذلك قبل أن تتفرق هذه اللغة الأصلية على لهجات مختلفة ضمن كتلة اللغات العروبية..

ويؤكد د. أحمد سوسة أن اليهود جعلوا تاريخهم يرجع إلى عهود قديمة لم يكن فيها أي وجود لأحد، وساروا على هذا النحو في إرجاع لغتهم العربية على عهود قديمة لم يكن لهم أي وجود فيها، فقد اعتبروا وجود لغتهم العبرية قبل دخولهم أرض فلسطين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وأطلقوا عليه اسم عبرية التوراة (Biblical Hebrew) في حين أن العبرية لم تظهر إلا بعد مرور أكثر من ستمائة عام على دخول اليهود أرض فلسطين، فكتبوا العهد القديم بها، والغريب أن أكثر الباحثين قد اخذوا بهذا التزييف للواقع التاريخي، وعليه فاللغة العبرية بصيغتها الحالية لم يكن لها وجود في زمن إبراهيم وأولاده وأحفاده الذين هاجروا إلى مصر، ومكثوا فيها لما يقارب أربعة قرون، وقد تأثرت لغتهم الآرامية باللغة المصرية، فنشأت اللغة العبرية وهي لهجة أكثر من كونها لغة قائمة بذاتها، ثم تأثرت هذه اللهجة باللهجات الكنعانية في فلسطين وما جاورها فنشأت

العبرية الحديثة، وفي هذا الصدد تقول الباحثة ألكار السقاف في كتابها (إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة):
 (إن اللغة العبرية حديثة العهد نسبياً لأنها لم تبتكر إلا بعد موسى عليه السلام ببضعة قرون..)
 لقد وقع المقال في تناقض آخر، عندما ذكر أن القرآن يرجع العرب إلى جد واحد هو إسماعيل بن إبراهيم،
 وإن إبراهيم عليه السلام هو أبو العرب مستنداً إلى الآية:

﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (٧٨) سورة الحج

وهو تفسير غريب لمفهوم الآية، فالأبوة هنا عامة للمسلمين كافة، وهي مقترنة بالاجتباء الديني المقترن
 بعقيدة التوحيد (الإسلام) وليس له أي صلة بعلم الأجناس، أو تخصيص الخطاب للعرب فقط..^{٢٨٤}

كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ۖ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ
 ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ، فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي
 وَنُذُرِي ۖ ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٢٨﴾ فَذُوقُوا
 عَذَابِي وَنُذُرِي ۖ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٠﴾
 وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٣١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِلَافًا فَآخَذْنَاهُمْ
 أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّتِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ
 فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ ﴿٤٤﴾ سَيَهْزَمُ الْجَمْعُ
 وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ ﴿٤٦﴾
 إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى
 وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

٢٨٤ - العربي، الكويت، العدد ٥٥٩ - ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - يونيو ٢٠٠٥م، النبي إسماعيل عربي وليس عبرياً، سعد سعيد الديوه
 جي، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

التوراة.. اختراع بشري

يقول ديورانت في (قصة الحضارة) ويؤيده كثير من المؤرخين: (إن أول ما وجد مكتوباً من التوراة هو سفر شريعة موسى الذي زعم حلقيا للملك يوشيا أنه وجده في الهيكل وأنه هو السفر الذي كان يقضي به موسى بين الأنبياء والكهنة حينما كانوا يختلفون فإذا علمنا أن (يوشيا) ملك على يهوذا بين ٦٤٠ - ٦٠٩ ق.م قام لدينا اقتناع بأنه حتى ذلك السفر في هذا التاريخ لم يكن مكتوباً من التوراة غير ذلك السفر الذي زعم (حلقيا) وجوده، حتى ذلك السفر تعنوره.. العوريات التالية:

- بعد حلقيا بمائة وثمانية وسبعين سنة دعا الكاهن (عزرا) اجتماع عام وشرع يقرأ في سفر زعم أنه وجده في الهيكل وأن اسمه (سفر شريعة موسى) الذي كان موسى يفصل فيه بالنزاع بين الأنبياء والكهنة.
- إن عزرا ظل يقرأ هو وزملاؤه اللاويون سبعة أيام في ذلك السفر مع أن حلقيا كان قد أنهاه بيوم واحد.
- لا يوجد هذا السفر في التوراة الحالية.

نخرج مما تقدم:

إن التوراة التي تتداولها الأيدي اليوم لم تكن موجودة.

وهذا الاستنتاج الذي توصل إليه المؤرخون بعد قراءة معمقة للتوراة، يؤكد أن التوراة لم تكن قد كتبت بعد، وأن كتابتها المتأخرة كانت استدراراً سياسياً وطموحاً عدوانياً وسلوكاً ارهابياً.. دفعت به الظروف التي كان يمر بها اليهود، وخير ما يقال في خصوص الدوافع السياسية التي دفعت إلى إيجاد التوراة الحالية هو ما كتبه وول ديورانت، المؤرخ الأمريكي اليهودي في ص ٣٥٦ وما بعدها من المجلد الأول حيث قال بالحرف: (كان أهم أثر للأنبياء في معاصريهم كتابة التوراة وكان سبب كتابتها أن الشعب شرع يرتد عن عبادة يهوه إلى عبادة الآلهة الأجنبية فأخذ الكهنة يتساءلون: ألم يأن لهم أن يقفوا وقفة قوية يمنعون بها تدهور العقيدة القومية؟ فاعترفوا أن يبلغوا الناس رسالة من الله نفسه في صورة سنن إلهية تبعث النشاط والقوة في حياة الأمة الخلقية..

وسرعان ما ضموا إلى جانبهم الملك يوشيا فلما كانت السنة الثامنة عشرة أو نحوها من حكمه.. أبلغ الكاهن حلقيا أنه وجد في سجلات الهيكل ملفاً عجيباً قضى فيه موسى نفسه في جميع المشكلات التاريخية والخلقية التي كانت مثار الجدل العنيف بين الكهنة، والأنبياء.. وكان لهذا الكشف أثر عظيم في نفوس القوم فدعا يوشيا كبارهم إلى الهيكل وتلا عليهم (سفر الشريعة) في حضرة آلاف من الشعب وأقسم ليطيعن من ذلك الوقت ما جاء في هذا السفر..^{٢٨٥}

٢٨٥ - الثقافة، مجلة شهرية فكرية جامعة تصدر في دمشق، ربيع الثاني ١٤٢٦هـ - حزيران ٢٠٠٥م، الكذب وغطرسة القوة نقد أفكار نتنياهو.. بقلم د: أحمد عمران الزاوي، ص ١٤ - ١٧.

- تعميق المستشرقين للروح الاستعمارية الإرهابية عندهم بكذبهم وتزيفهم للتاريخ.
- ما بني على باطل فهو باطل..
- فاقد الشيء لا يعطيه..



من المتحف الوطني بحلب

السرقات اليهودية من اللغة الكنعانية

تكلم الكنعانيون لهجة أو لغة خاصة بهم مشتقة من العربية الأولى.. ووجد ضمن حفريات مملكة أوغاريت نماذج من الأبجدية المسمارية الخاصة التي كان الكنعانيون يستخدمونها، وهي أقدم أبجدية عرفت في تاريخ البشرية.

وقد دلت الحفريات أيضاً على أن هناك مقارنات ومشابهات من حيث اللغة والأفكار بين أدب أوغاريت الكنعاني وبين كثير من أسفار التوراة.. من ذلك نجد التشابه في المفردات والأوزان الشعرية والتراكيب الأدبية بين الأدب الأوغاريتي والمزامير العبرانية.

يقول العالم (جون جراي) عن وثائق أوغاريت الثرية: (إن الدراسة التفصيلية لهذه الوثائق تكشف عن نقاط اتصال غزيرة بينها وبين التوراة.. وفوائدها في دراسة التوراة جمة.. فهي تسجل بصورة وثائقية عبادة الخصب عند الكنعانيين التي تأثر بها العبرانيون.. كما تسجل العادات الاجتماعية والعلاقات العائلية والفضائل المتبعة عند الإسرائيليين المقتبسة من الكنعانيين).

وفي هذا المعنى يقول المؤرخ (فيليب حتى): (إن كثيراً من خير ما تركه التراث الأدبي الكنعاني اقتبسسه العبرانيون ودخل في كتاباتهم المقدسة.. وينطبق خاصة على القطع الغنائية والحكم التي استعارها كسفر (الأمثال) و(المزامير) و(نشيد الإنشاد)، وعلى الأخبار الخرافية التي دخلت في سفر التكوين وفي قصص الأنبياء.. ولم يكن هذا الأمر معروفاً إلى أن اكتشفت مدينة (أوغاريت)، إن ما حصل بالنسبة لكتابة أجزاء كثيرة من أسفار (العهد القديم) أو (التوراة)، كان أشبه بعملية اقتباس قام بها كتبة هذه الأسفار.. ونقول عملية اقتباس تخفيفاً.. ولكنها في الحقيقة كانت سرقات أدبية منتظمة ومقصودة.. وإن الربانيين اليهود الذين أخذوا على عاتقهم مهمة تدوين (العهد القديم) نسبوا (لتوراتهم) كل ما سرقوه وأخذوه من آداب وفنون المنطقة.. لأن فاقده الشيء لا يعطيه.. حتى أنهم عندما نزلوا أرض كنعان جعلوا لغته لغة كنعانية.. قال إشعيا وهو يتنبأ بغلبة قومه على أرض مصر: (في ذلك اليوم يكون أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان) (سفر إشعيا ١٩: ١٨).

وهكذا يتضح لنا أن الكنعانيين العرب أسسوا حضارة متقدمة و مزدهرة في فلسطين وما حولها قبل أن يظهر الإسرائيليون على مسرح التاريخ.. وعندما دخل هؤلاء الإسرائيليون أرض كنعان في وقت لاحق وجدوا تراثاً حضارياً غنياً متكاملًا.. سرقوه من جوانبه المختلفة وضمنوه أسفارهم المقدسة ونسبوه لأنفسهم وهم لا يمتنون له بأي صلة.. لأنه مسروق من ثقافة الكنعانيين العرب.. ولكنهم أضافوا له عنصريتهم وحمافتهم وعدوانهم وشذوذهم وخرافتهم وسفالتهم وإرهابهم..

وتختتم أقوال هؤلاء العلماء بما قاله العلامة (غوستاف لوبون) عن المجتمع اليهودي:
(لم يكن لليهود فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء تقوم به حضارة.. واليهود لم يأتوا قط بأي مساعدة صغرت
أو كبرت في شتى المعارف البشرية.. واليهود لم يتجاوزوا مرحلة الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ..).
ويقول في موضع آخر: (إن تاريخ بني إسرائيل لا يبدأ في الحقيقة إلا في عهد ملوكهم، فقد كانوا أقل من أمة حتى زمن
شاؤول.. كانوا مجموعة غير منسجمة تتألف من قبائل بدوية صغيرة، تقوم حياتها على الغزو والنهب وسرقة القرى
الصغيرة حيث تقضي عيشاً رغيداً بضعة أيام تعود بعدها إلى حياة النهب والتهب والبؤس..)^{٢٨٦}.

- مثال على سخافة علمية أمريكا في معجم وبستر:

والدليل على سخافة ما يسمى النهج العلمي الموضوعي الأمريكي ما ذكر في معجم وبستر في طبعته الثالثة
المزيدة والمنقحة، والتي أطلع عليها أعضاء الكونغرس الأمريكي وباركوها، الإنسان العربي بأنه (يمثل العداء
للسامية والدين اليهودي).

وإن كل الصفات التي أطلقت على الإنسان العربي تنطبق على صفات الإنسان الغربي، وكما يقول المثل
الشعبي: (كل وعاء بما فيه ينضح)
وحسب قول المتنبي:

وَإِذَا أَتَيْتَكَ مَدْمَتِي مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلٌ

بالطبع فإنه لا يتوقع من أي دولة أو نظام أو شعب عربي أن ينتفض لكرامته، أو على الأقل، ليدفع عن
نفسه ودينه تلك التهم التي أقل ما توصف به أنها غير علمية أو موضوعية، على اعتبار أن القاموس
الأمريكي (وبستر)، هو قاموس علمي موضوعي.

يبقى أن العامل الديني الذي يحاول الكثير منا اليوم، وبضغط على عصا الحرب على ما يسمى (الإرهاب)،
وتهميشه والتنكر له ولدوره في توحيد الأمة وكلمتها وفي سعيها لاستعادة دورها الحضاري المفقود، يبقى هذا
العامل والمتمثل في الإسلام عقيدة ومنهجاً للحياة

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الروم، ٣٠.

متعالياً بذلك على جميع الدعوات والعوامل الأخرى على اختلاف أطرافها^{٢٨٧}.

٢٨٦ - يُنظر: فلسطين.. وروح العرب الممزق، كتاب العربي ٥٦، الكويت، ١٥ أبريل ٢٠٠٤م، ص ٣٣- ٣٥.
٢٨٧- مجلة المجاهد، تصدر عن بيت المقدس للثقافة والإعلام، العدد ٣٨٧، ربيع الآخر ١٤٢٦هـ/حزيران ٢٠٠٥م، انتفاضة
الغضب لحرمانات الله، عبد الحكيم المقدسي، ص ١٠٩.

- بابل والإفساد اليهودي:

كثير من الباحثين والدارسين في علم التاريخ والآثار ينفون وقوع السبي البابلي والذي أشارت له التوراة التي كتبها عزرا، واعتبر بسببها مبتدع العقيدة اليهودية، ولعل لهذه المجموعة من الباحثين مبررات وأسباب تستند في مجملها على عدم اعترافهم بالتوراة المتداولة كون التحريف دخل فيها ولحقها التزوير على مدى التاريخ. لكن الذي لم يلتفت إليه بعض هؤلاء وجود اليهود في بابل والعراق بشكل عام.

فعدم وقوع سبي ما لليهود كحدث في التاريخ لا يعني أن اليهود غير موجودين آنذاك في تلك المناطق ولا سيما مدينة بابل.

وما يلفت النظر في هذه المسألة أن كتاب التوراة تحدث عن هذا السبي الذي جرى لليهود على يد من الملوك البابليين.

وما يلفت النظر أكثر أن التوراة تورد بعض الأناشيد التي كان ينشدها المسييون اليهود على ضفاف نهر الفرات.

وهي تظهر مدى عذابهم وقهر البابليين لهم.

فهل حقاً كان اليهود المسييون في عذاب وقهر أم أن لهم دوراً خطيراً جداً توقفت عليه مصائر البابليين من ملوك وجيوش وشعب؟

هذا ما يجيبنا عليه القرآن الكريم بشكل واضح ومكثف وموجز.

يقول تعالى:

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ البقرة، ١٠١-١٠٢.

لقد جاءت الآية الثانية ورقمها "١٠٢" في سياق سورة البقرة أولاً وهي أكبر سورة في القرآن تحدثت عن بني إسرائيل، والآيات السابقة على هذه الآية تحدثت عنهم بإسهاب، وكذلك الآيات التي جاءت بعدها. والموضوع الخاص ببني إسرائيل في هذا السياق هو حديث شمولي مترابط ترابطاً عضوياً من حيث مادة الموضوع وأبعادها الدينية.

لابدّ أولاً من الإشارة إلى سبب نزول هذه الآية حتى نستوضح المعاني الشمولية لها فقد أخرج ابن جرير عن شهر بن حوشب قال: (قال اليهود انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل يذكر سليمان مع الأنبياء غنما كان ساحراً يركب الريح فأنزل الله قوله: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾

وقد أخرج النسائي وابن وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: كان آصف كاتب سليمان وكان يعلم الاسم الأعظم، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجته الشياطين فكتبوا بين كل سطرين سحراً وكفراً، وقالوا هذا الذي كان سليمان يعمل به فكفره جهال الناس وسبوه. ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونهم حتى أنزل الله قوله:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾

وهناك عشر روايات مختلفة عن طرق متعددة أيضاً تتفق على هذا.

أما ما يتعلق بالآية فإنها أعطتنا عدة مفاتيح دينية وتاريخية ندرک، إذا استخدمناها بشكل صحيح، ذلك العالم القديم وما كان يدور فيه من حيل اليهود وفسادهم وإفسادهم، لقد نبذ اليهود كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما بثه الشياطين من السحر لأنه صار باعقادهم أهم بكثير من كتاب الله، وراح هؤلاء يعلمون غيرهم السحر حتى انتشروا وانتشرت آثاره السيئة المدمرة.

إذا هم اتبعوا ما ابتدعه شياطين الجن والإنس وخالفوا بذلك أبسط قواعد العقيدة، ولكن ما شأن بابل في هذا الموضوع؟ لماذا لا تذكر مدينة أخرى في هذا السياق؟ لقد قال تعالى:

﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾

إذاً هناك علمان اشتغل فيهما اليهود للضرر بالناس، السحر وما أنزل على الملكين هاروت وماروت ببابل، وما تعلمه اليهود من الملكين هو التفريق بين المرء وزوجه ولكننا نتوقف عند قوله تعالى:

﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾

وقد أورد سعيد بن منصور عن خصيف أن الملكين لا يعلمان أحداً معارفهما حتى يقولوا له إنما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات، وقد أثر اليهود أخذ السوء من هذه الفتنة وهذا يدل على شدوذ طبعهم. فالطبيعي أن يأخذ المرء ما يصلح به شأنه وشأن الناس، لكن اليهود أخذوا ما يفسد الناس ويفرق بين أقرب البشر إلى بعضهم وهما المرء وزوجه.

وقد أوضح القرآن الكريم في عدد كبير من السور والآيات فساد نفوس هؤلاء الذين كفروا من بني إسرائيل، وقد لعنوا على لسان داود عليه السلام، وداود كما هو معلوم والد سليمان عليهما السلام.

حيث تربي الإبن في كنف أبيه، وكان موقفه منهم مثل موقف أبيه من الأخذ على أيديهم وردعهم الدائم عن الإفساد، وعندما مات النبي سليمان قال حسب ما ورد في القرآن الكريم

﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ ص، ٣٥.

وحسب ما ورد في القرآن الكريم أن ملك سليمان عليه السلام كان متعدد الوجوه، ومن هذه الوجوه حكمه على الجن وشياطينهم، وقد كثر في عصره أعمال السحر لضرر الناس فراح يجمع كل ما كُتب فيه ويخفيه تحت كرسیه، حتى إذا مات احتالت شياطين الجن بالتعاون مع بعض زعماء الكفر من اليهود على ما كان يخفيه، واستطاعت الوصول إليه وسرقته، وراحوا يدسون فيه جميع أنواع الشر ويضرون به الناس حتى في بني قومهم وعقيدتهم، وقد ورد ذلك في كتاب التوراة بشكل واضح، لم يمض وقت طويل بعد موت النبي سليمان حتى عم الفساد بين بني إسرائيل وراحوا يقتلون أنبياءهم ويسجنونهم كما فعلوا مع إرميا وإشعيا ودانيال وحزقيال وغيرهم.. ولم يمض وقت طويل حتى سَلط الله عليهم البابليين فأخذوهم بذنوبهم وإفسادهم وسفكهم دماء أنبيائهم وشردوا من شرودوا منهم..

ولما كانت بابل عاصمة الإمبراطورية البابلية آنذاك، كان لابد من أن تتحرك نفوس اليهود الخبيثة لينتقموا من البابليين، باعتبارهم ضعفاء لا حول لهم، وباعتبارهم تخلوا عن دين الله ووجدوا في وسيلة السحر وتفريق الأزواج طريقة إفسادية لتدمير بابل وأسرها ومجتمعها، ونلاحظ في هذا السياق قوله تعالى:

﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ﴾

وقوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾

فأصبح لديهم وسيلتان السحر الذي اخترعه شياطين الإنس والجن، وكذلك المعرفة الخارقة التي أنزلها الله على الملكين وهي في كل أحوالها فتنة فمن فسدت عقيدته - كاليهود - استخدموها في السوء والضرر وخاصة ما يفرق بين الرجل وزوجه، إنهم يتعلمون ذلك الجانب الأسود السيء الذي يضر ولا ينفع. لقد أوضح لنا القرآن الكريم مفاتيح هذا الموضوع فأدركنا أن لليهود علاقة سيئة ببابل، وهي علاقة الإفساد والتدمير الاجتماعي لمقومات الوجود البابلي.

ويجدر بنا هنا أن نتذكر هذا التاريخ اليهودي القاتم، ونسير معه حتى وقتنا الحاضر، فالكثير من المصادر تشير إلى أن هجمة يهودية صهيونية استشرت في العراق من خلال الاحتلال الأمريكي لتهجم بكل قواها الفاسدة على آثار العراق لسرقته، وخاصة تلك التي تنسف كل ادعاءات اليهود بشأن إذلالهم في بابل.

والواقع كما أشار الدكتور أحمد سوسة أن هناك من الآثار البابلية ما يشير إلى إفساد اليهود وفسادهم في المجتمع البابلي، بل الأدهى من ذلك أن آثاراً تشير إلى تعاون خبيث بين اليهود والفرس الإخمينيين لتدمير الحضارة البابلية وشعبها وهذا هو سبيل اليهود الذي لا يتغير^{٢٨٨}.

- فضح كذبة بناء هيكل سليمان مكان المسجد الأقصى، ولاسيما ما يتعلق بخرافة حائط المبكى (طوله ثلاثين متراً) وهو جزء لا يتجزأ من الجدار الغربي للحرم القدسي الشريف (طوله مئة متر وعلوه عشرون) وهو المعروف بحائط البراق^{٢٨٩}.

وقد أكدت حفريات اليهود أنفسهم بطلان مزاعمهم حتى صرح العالم الإسرائيلي في الآثار (إسرائيل فلنكشتاين) في آب لعام ٢٠٠٤م، بأنه لا صلة لليهود بالجدار وأن الهيكل خرافة توراتية وكان عالم الآثار اليهودي (بنيامين مازار) قد كتب مثل ذلك في تقرير له أصدرته الجمعية الأثرية الإسرائيلية سنة ١٩٧١م^{٢٩٠}.

- القيام بحملة واسعة ومدروسة لوضع حد لاستغلال مفهوم العداة للسامية وكشف المغالطات السياسية والدينية للربط بين المسيحية واليهودية^{٢٩١} وكشف عملية استغلال مفهوم الحرية والديمقراطية، فقد راج استعمال هذا المفهوم للسيطرة على الآخرين، على الرغم من أنه لا يمثل إلا ديمقراطية الذئاب^{٢٩٢}.^{٢٩٣}



٢٨٨- مجلة المجاهد، تصدر عن بيت المقدس للثقافة والإعلام، العدد ٣٨٧، ربيع الآخر ١٤٢٦ هـ/ حزيران ٢٠٠٥م، بابل والإفساد اليهودي، حسن الباش، ص ١٦ - ٢٠.

٢٨٩- يُنظر: الموسوعة الفلسطينية ١/ ٢١٩-٢٢٢ و ٢/ ١٣٦ وأسطورة هر مجدون ١٢٨.

٢٩٠- يُنظر: مجلة فلسطين المسلحة، مقال: محمد جمال القدسي، عدد أيلول ٢٠٠٤م.

٢٩١- يُنظر: الموسوعة الفلسطينية ٢/ ٥٤١ والإيديولوجية الصهيونية ٢/ ١٣٢-١٣٣ وأسطورة هر مجدون ٣٧-٦٦ والصهيونية غير اليهودية ٦٠-٦٤ و ١١٦ و ١٤٦ و ١٦٩ و ٢٤٤.

٢٩٢- يُنظر: المشروع الصهيوني ٨٠.

٢٩٣- الفكر السياسي، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، شتاء ٢٠٠٥، السنة ٨، العدد ٢١، انتفاضة الأقصى: أبعاد ونتائج وآفاق، د. حسين جمعة، ص ٢٥ - ٤٧.

خرافة العداء للسامية

كان سكان فلسطين دائماً شعباً واحداً، كان الجميع على دين موسى، حتى جاءت المسيحية، فأصبح منهم اليهودي ومنهم المسيحي، ثم جاء الإسلام فأصبح منهم اليهودي والمسيحي والمسلم، وبقي من في فلسطين: لم يخرج منها شعبٌ قديمٌ، ولم يدخلها شعبٌ جديد، إلا ما حدث من هجرة جماعية لليهود إليها في العصور الحديثة هرباً من اضطهاد بلاد الغرب لهم في عدد من الدول الأوروبية خاصةً.

(كان آخر تأكيد لهذه الحقيقة ما جاء على لسان أحد كبار أعضاء الوفد اليهودي إلى المؤتمر الذي عقد أواسط شهر شباط/فبراير ٢٠٠٤ في مركز الاتحاد الأوروبي ببروكسل لمناقشة مشكلة تزايد العداء لليهود في أوروبا، حين قال: إن معاداة السامية هو مرض أوروبي).

إذاً كيف اخترعوا للعالم بدعة ما أطلقوا عليه (العداء للسامية) ما دام كل سكان فلسطين ساميين، وما دام كل الغربيين كذلك أيضاً، إذا كان جميع البشر حقاً قد انحدروا من أولاد نوح الثلاثة كما جاء في التوراة: (وكان نوح ابن خمسماية سنة، وولد نوح ساماً وحاماً ويافثاً) (سفر التكوين: ١: ١٠) ويؤكد الحديث الشريف أن يافث هو أبو الصينيين والمغول والترك، وحام هو أبو السود، وسام هو أبو من تبقى من سكان الأرض: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

(قال رسول الله ﷺ: ولد نوح ثلاثة: سامٌ وحامٌ ويافثُ، فولد سام: العرب وفارس والروم، والخير فيهم، وولد يافث: يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة، ولا خير فيهم، وولد حام: القبط والبربر والسودان)

/ رواه البزار وابن أبي حاتم والخطيب/.

ويقول سعيد بن المسبب: (كان ولد نوح ثلاثة، والناس كلهم من ولد نوح، فسام أبو العرب وفارس والروم واليهود والنصارى، وحام أبو السودان من المشرق إلى المغرب: الهند والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم...، ويافث أبو الصقالب والترك والخزر ويأجوج ومأجوج وغيرهم..) ولا ندري إن كان لأمریکا رأي آخر في توزيع الأجناس البشرية على أولاد نوح الثلاثة مختلف عن هذا التوزيع، ومن سيكون جد الغربيين في هذه الحالة يا ترى ٢٩٤٢

فَالْأَمْرُ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ
فَالْأَمْرُ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ

٢٩٤- الفكر السياسي، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، السنة ٨، شتاء ٢٠٠٥، العدد ٢١، أمريكا: صناعة الحب وصناعة الكراهية، د. بسام ساعي، ص ١٤٩-١٥٠.

فقه اللغة التاريخي المقارن

إن العرب الفينيقيين ابتكروا الأبجدية لأول مرة في التاريخ البشري منذ حوالي خمسة آلاف عام والأبجدية هي الأولى في العالم والأساس المتين والحصن المنيع.

- اللغات العالمية مصدرها اللغة العروبية القديمة:

ما من لغة يملك أهلها أسباب الزهو بها والحرص عليها كاللغة العربية، ذلك أنها هي اللغة التي اختارها الله تعالى لينزل بها القرآن الكريم، هدى للناس ورحمة، وعندما رتل سيدنا محمد ﷺ القرآن على الناس بلسان عربي مبين، توثقت الرابطة بين لغته والدين الجديد، مما جعل هذه اللغة لغة الدين والثقافة والدبلوماسية، وإذا تتبعنا الأبحاث التي أجريت في فقه اللغة التاريخي والمقارن وجدنا أن اللغة العربية أقرب الصور إلى اللغة "السامية" الأم التي اندثرت وتفرعت عنها مجموعة (اللغات السامية)^{٢٩٥}.

وأول من استخدم هذا الاصطلاح هو العالم الألماني شلوتسر في عام ١٧٨١م، وقد استخلص هذه التسمية من الجدول الخاص بأنسب نوح ﷺ والموجود في التوراة (سفر التكوين- الاصحاح العاشر)، ذلك الجدول الذي يسجل الصلات بين الشعوب المختلفة في صورة سلاسل انساب تنحدر من أبناء نوح (سام وحام ويافث).

وقد جاء جدول الأنساب لافتاً للنظر، وهو أن مؤلفه قد بنى تقسيمه على اعتبارات عنصرية وسياسية وجغرافية، أكثر من اعتماده على صلات القرابة والرابطة الشعبية، والحقيقة الواقعية التاريخية. لكن العالم بروكلمان يرى أن بني إسرائيل هم الذين اقصوا الفينيقيين عن نسبهم إلى سام لأسباب عنصرية وتلفيقية وسياسية ودينية..

نلاحظ إن معظم المؤرخين يؤيد النظرية التي تقول: "إن شبه الجزيرة العربية، هي المهد الأصلي للهجرات العربية ومنها تدفقوا عبر التاريخ إلى المناطق الزراعية في بلاد الرافدين وسوريا وفلسطين والحبشة، ووجود (الساميين) في شبه الجزيرة العربية أدى إلى المحافظة العنصرية واللغوية".

ومؤدى هذا كله أننا نتوقع العثور على أقدم الحضارات هنا، واللغة العربية شاهد على صدق هذا الحكم، فهي تشتمل على عناصر لغوية قديمة جداً بسبب وجودها في أماكن بعيدة في شبه الجزيرة العربية.

٢٩٥- الساميون ولغاتهم، د. حسن ظاظا، ص ١١٩. نقلاً عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، الكويت، المجلد ١٥، العدد ٤، يناير فبراير- مارس ١٩٨٥، الكتابات القديمة، سيد فرج راشد، ص ٢١٩.

وقد وقفنا على نص هام جداً رواه عن الخليل بن أحمد (المتوفي عام ١٧٥هـ) الأندلسي في معجمه المخصص في القسم الخير الخاص بأسماء الأعلام من أن كنعان بن سام بن نوح، ينسب إليه الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة عربية قديمة تماثل اللغة العربية الفصحى.

وكذلك أدرك الإمام ابن حزم الأندلسي (المتوفي سنة ٤٥٦هـ) أن اللغة العربية والعبرية والسريانية متفرعة من أصل واحد، وهو اللغة العربية السورية (السريانية) القديمة، فقال ما نصه: (إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً، أن السريانية والعبرية والعربية، التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرس..).

كذلك قال الإمام السهيلي (المتوفي سنة ٥٨١هـ): " وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ "٢٩٦.

وكان اليهود الأندلسيون المعاصرون لهؤلاء المسلمين، يتفوقون معهم في هذا الرأي كما يبدو ذلك جلياً في مقدمة "كتاب اللمع" في النحو العربي لأبي الوليد مروان بن جناح القرطبي المعاصر لابن حزم. ومؤدى هذا مله هو أن العربي في نظرتهم إلى تاريخ اللغات وتنقسمها، أقدم بكثير من مفهوم البعض بأن تقسيم اللغات كان يرجع في أوروبا إلى القرن التاسع عشر الميلادي.

- وتنقسم اللغات العروبية بصفة عامة إلى مجموعات على النحو التالي:

أولاً- العروبية الشرقية وهي الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري وهي عبارة عن نقوش مكتوبة بالخط المسماي ومن أهم هذه النقوش قانون حمورابي، وموطن هذه اللغة ما بين النهرين.

ثانياً- العروبية الغربية الشمالية تنقسم إلى اللغتين الكنعانية والآرامية:

أ- اللغة الكنعانية ويتفرع عنها أربع لغات هي اللغة المؤابية واللغة الفينيقية واللغة العبرية واللغة الأوجاريتية.

ب- اللغة العروبية الآرامية وتنقسم إلى:

١) الآرامية القديمة:

- آرامية النقوش: أقدم نص فيها هو نقش زنجيري ويرجع إلى القرن ٩ ق.م.

- الآرامية الدولية: التي استعملت أيام امبراطوريات آشور وبابل وفارس (من القرن السابع حتى القرن الرابع ق.م)، وقد عثر على نقوش منها في شمال شبه الجزيرة العربية في تيماء ومدائن صالح "الحجر" وفي مصر.

٢٩٦- رمضات عبد التواب: م.س، ص ٤٣- ٤٤. نقلاً عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، م.س، ص ٢٢١.

٢٥) الآرامية الغربية (الآرامية النبطية): وتمثلها نقوش مدائن صالح (الحجر) والعلا، وسلع (البتراء) (من القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادي)، وكان الأنباط قد أخذوا الأبجدية الآرامية ثم طوروها وحولوها من كتابة منفصلة الحروف إلى كتابة متصلة، وعنهم أخذ العرب الكتابة التي نستعملها اليوم.

- الآرامية التدمرية: وتمثلها نقوش تدمر (من القرن الأول ق.م إلى القرن الثالث الميلادي).

- الآرامية اليهودية: ويمثلها ما كتبه اليهود من الترحوم والتلمود الأورشليمي والمدارش (من القرن الثاني إلى القرن الخامس الميلادي).

- الآرامية المسيحية: التي كان يستعملها نصارى فلسطين بين القرنين الخامس والثامن الميلادي.

٣٥) الآرامية الشرقية:

- آرامية التلمود البابلي (من القرن الرابع إلى القرن السادس الميلادي).

- آرامية الصائبة وهي تسمى اللغة المندائية أو المندعية (من القرن الثالث إلى الثامن الميلادي).

اللغة العروبية السريانية (من القرن الثالث إلى القرن الثالث عشر)، وهي لهجة آرامية قديمة نشأت في الرها بالقرب من حدود سوريا وهي أهم اللهجات الآرامية وأعناها في الإنتاج الأدبي والعلمي والفلسفي.

ثالثاً- العروبية الغربية الجنوبية: وتنقسم إلى:

١٥) اللغة العربية:

العربية الشمالية: وهي لغة وسط وشمال شبه الجزيرة العربية، وأعرقتها وأخلدها العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم ومن لهجاتها اللحيانية والتمودية..

العربية الجنوبية: وتضم اللغات السبئية والمعينية والحميرية القتبانية.

٢٥) اللغة العروبية في الحبشة (الأثيوبية أو الجعزية) (اللغة القديمة المقدسة): وهي تعتبر من أحدث اللغات العروبية وقد تطورت هذه اللغة، وتفرعت عنها لهجات الأمهرية (اللغة الرسمية) والتجربة والتجريدية (وهما لغتا الحديث في المناطق الشمالية من الحبشة).



- الخصائص المشتركة بين اللغات العروبية:

تتميز مجموعة اللغات العروبية عن غيرها بخصائص وصفات مشتركة، لعل أهمها:

الخصائص اللغوية، فبين اللغات العروبية تشابه كبير في الأصوات والصيغ والتراكيب والمفردات، وهذا يرجع إلى الأصل المشترك لهذه اللغات.

ويقوم الأصل العروبي في الغالب على أساس الصوامت (الحروف الساكنة)، ويرتبط معنى المادة اللغوية في اللغات العروبية بمجموع الصوامت التي تكون كل مادة، ومعظم الكلمات فيها تتكون من ثلاثة أصوات ساكنة، وإنك إن عرفت الأصل الثلاثي عرفت كيف تفجر منه شجرة المشتقات على كثرة فروعها. فإذا عرفت كلمة (كتب) التي تقوم وحدتها على أساس وجود الأصوات الصامتة الثلاثة (الكاف والتاء والباء)، بهذا الترتيب، لأخرجت منها (كاتب وكتاب وكتابة ومكتوب..). وكان ذلك بإضافة مقاطع من حروف في صدر الكلمة أو وسطها أو آخرها لتتكون الصيغ الأسمية والفعلية السامية على حسب الجذور.

كما أنه لهذا السبب أيضاً تميز الفعل في اللغات العروبية بسلسلة من الأوزان المزيدة المشتقة من المعنى الأصلي.

والإعراب ظاهرة أصيلة في اللغات العروبية القديمة اندثرت في معظمها واحتفظت به اللغة العربية، ويلاحظ في الجر بالإضافة، ان يكون المضاف خالياً من أداة التعريف التي تدخل على المضاف إليه. واحتفظت اللغات العروبية الجنوبية والعربية الشمالية والعربية الجنوبية القديمة والأثيوبية بنمط خاص من الجمع وهو جمع تكسير بالإضافة إلى الجمع السالم الذي يتميز بلاحقة في نهاية الأسم. كما تتميز اللغات العروبية بأصوات الحلق (في العربية الحاء والحاء والعين والغين والهاء والهمزة)، وهي الأصوات التي تخرج من الحلق، كما تتميز بأصوات الإطباق أو التفخيم (ففي العربية القاف والصاد والطاء والضاد والظاء).

وتتميز أصواتها في اتخاذ اللسان شكلاً مقعراً منطبقاً على الحنك الأعلى مع رجوعه إلى الخلف قليلاً^{٢٩٧}، لأن التفخيم أو الإطباق يحدث بتوسعة التجويف الهوائي الذي يرن فيه الصوت، مما يسمى في علم الصوت من العلوم الطبيعية **حيز الرنين** مثل علبة العود وصندوق البيانو.

واللغات العروبية لغات اشتقاقية يندر فيها استعمال السوابق واللاحق مثل الإنجليزية describe de + scribe بمعنى وصف^{٢٩٨}.

٢٩٧- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص ٥١. نقلاً عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، م.س، ص ٢٢٣.

٢٩٨- دراسات في فقه اللغة، يعقوب بكر، ص ١٢. نقلاً عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، م.ن، ص ٢٢٣.

ومن خصائص اللغات العروبية في التراكيب وجود الجملة الاسمية المركبة من مبتدأ وخبر ليس بينهما فعل رابط، إنما يحصل ارتباط الإسناد بعلامات الإعراب والتعود العقلي، ويبدو أن اللغة العروبية الأم لم تكن ذات جمل طويلة، بل كانت الجملة بسيطة التركيب وتتميز بقصرها، وتوضع الجمل بعضها إزاء بعض مع ربطها عن طريق الواو، وهذا واضح في العبرية القديمة والعربية في نصوصها القديمة، ولكن بمضي الزمن تعقدت الجملة في اللغات العروبية الحديثة.

وهذه الكثرة الغالبة من الخصائص اللغوية للغات العروبية التي أوردناها يفترض فيها _طبقاً للمنهج المقارن_ أنها ظواهر موروثية عن اللغة العروبية الأم، يصدق هذا على الأصوات وعلى الأبنية الصرفية وعلى التراكيب والمفردات، فتلك الخصائص المشتركة ميراث عروبي قديم^{٢٩٩}.

وقد عاشت اللغة العروبية في الجزيرة العربية، وانتقلت إلى بادية الشام والعراق واليمن والحبشة مع الهجرات التاريخية المتتالية للشعوب العروبية الأولى من المهد الأصلي لهم^{٣٠٠} (الجزيرة العربية)، وفي هذه المناطق تكونت اللغات العروبية المختلفة.

وهكذا استنتج المستشرقون- وفي مقدمتهم بروكلمان ورايت- أن العربية ناطقة بما كان في نطق العروبية الأم، ومؤدى هذا كله أن أوفي هذه الأبجديات وأشدها انطباقاً على مخارج العروبيين الأول هي أبجدية العربية الفصحى^{٣٠١}.



- ٢٩٩- راجع: ١- فقه اللغة للدكتور عبد الواحد وافي، ص ١٢- ١٧.
 - ٢- الساميون ولغاتهم، ص ١٧- ٢١.
 - ٣- علم اللغة العربية للدكتور محمود حجازي، ص ١٣٩- ١٤٨.
 - ٤- دراسات في فقه اللغة للدكتور يعقوب بكر، ص ١٠- ١٤.
- نقلًا عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، م.س، ص ٢٢٣.
- ٣٠٠- علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، ص ١٥٠. نقلًا عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، م.ن، ص ٢٢٣.
 - ٣٠١- الساميون ولغاتهم، ص ١٩. نقلًا عن: عالم الفكر، الظاهرة الإبداعية، م.ن، ص ٢١٩- ٢٢٤.

اللغة العربية أم اللغات

في المقابل هناك من يرى أن اللغة العربية هي أم اللغات وأفضلها ويقول: (عندما وصف اللغة العربية بأنها أم اللغات فليس في هذا الوصف أيّ تعصب لها أو افتئات على غيرها من اللغات الأخرى في العالم، وإنما هو تشخيص حقيقي وواقعي وتاريخي بحكم ما توفر لها من خصائص وسمات لم تتوفر لغيرها من اللغات الأخرى، وما يدفعنا إلى تقرير هذه الحقيقة والتأكيد عليها ما تلوكه بعض الألسنة من ادعاءات وافتراءات على هذه اللغة الشريفة، تارة برميها بالصعوبة، وتارة باتهامها بالشيخوخة والعجز عن مواكبة روح العصر والتعبير عن منجزات العلم، وأصبح نفرٌ غير قليل لا سيما من الشباب ينظرون إلى لغتهم الكريمة نظرة دونية، حتى كادت الثقة تنعدم لدى البعض في قدرة العربية على البقاء في ظل مزاحمة اللغات الأجنبية لها في عقر دارها)^{٣٠٢}، مثل هذا القول يحمل روح الصراع وريح الخصومة، ويخالف المنهج العلمي الموضوعي الذي يقر بالأخوف على لغة من لغة وإنما قانون البقاء للأقوى يفرض الغلبة لقوم على قوم بفضل أعمالهم وأنشطتهم الفكرية واللغوية، فإذا نزل قوم نزلت معهم لغتهم وإذا صعدوا صعدت معهم، فوضع العربية اليوم من وضع متكلميها السياسي والحضاري، وليس بسبب غزو اللغات الأخرى لها في عقر دارها، وهذه الأفكار لا تخدم اللغة العربية في شيء وإنما تزيدها إقصاء وعزلة وابتعاداً عن المشاركة في الحياة العالمية بشتى نواحيها ومختلف جوانبها لاسيما ونحن نرى الدول الكبيرة والمتعلمة تتعلم وتعلم في جامعاتها ومؤسساتها التعليمية أبنائها لغات الأمم الأخرى التي تستعد لأن يكون لها معها مستقبل على كوكب ما، ولنسبّ هذا إذا شئنا بغزو اللغات الأجنبية للغة العربية في عقر دارها، فالدار للحي وليست للميت، واللغة الحية تحيا في الألسنة والأفكار والأقلام والتحضر، وتقوى بقوة متكلميها وتنتقل بهم وتوسع وجودها المكاني والزماني، ولا تتنافس أو تتجادل اليوم في أم اللغات نقاشاً قائماً على أسس علمية أو دينية لأنه لا يقدم للسانيات شيئاً غير وجع الرأس، ولكن ينبغي أن نتكلم عن اللغة الأم التي يتعلمها الفرد من دون معلم وإنما يكتسبها طبيعياً في المراحل الأولى من حياته من مجتمعه اللغوي الأول، واللغة الأم ليست اختيارية كاللغة الثانية في أغلب الأحوال، فالإنسان كما أنه لم يختار أباه وأمه فكذلك لا يختار لغته الأم، ومع ذلك فإنه يتعلق بها أكثر من غيرها كما يتعلق بوطنه الأم لا لشيء إلا لأنها أول لغة فتقت لسانه، واندمج بها في مجتمعه، وهو يدافع عنها ويعتبرها أحسن اللغات وأفضلها ولا عجب إذا وجدنا الولد يفضل والديه على العالمين، وكل فتاة بأبيها معجبة^{٣٠٣}.

٣٠٢- مدخل إلى اللغة، د. سعيد حسن عبد العزيز، دار الفكر العربي، ط١، عام ١٩٨٨، ص ١٠٣. نقلاً عن: مجلة المعرفة، تصدر عن وزارة الثقافة، دمشق، العدد ٥٣٧، السنة ٤٧، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ / حزيران ٢٠٠٨، الترجمة والتنمية اللغوي، أحمد سعدي، ص ١٨١.

٣٠٣- مجلة المعرفة، تصدر عن وزارة الثقافة، دمشق، العدد ٥٣٧، السنة ٤٧، م. س، ص ١٨٠-١٨٢.

انتفاضة الأقصى.. رجاء العرب والمسلمين (إلى أبطال انتفاضة الأقصى)

بجواركم لكننا لا نقدر...!
ونراكم وسط اللهب ونحنى
يا سادة التاريخ يا أبطالنا
إنا هنا، وهناك نجلس في أسى
يا سادة الشهداء يا دمنا الذي
خجلون نحن وأنتم قرباننا
أحجاركم، قاماتكم، صرخاتكم
يا أعين الأطفال يا بسماتهم
بجواركم.. بجواركم.. أعناقنا
يا أهلنا إن ذات يوم جاءكم
أنتم قضاة العدل في آماننا
أنتم لكم كل الكلام تكلموا
أنتم فلسطين التي أحجارها
ها إنكم و(جهنم) من فوقكم
ماذا لنا نحن الذين وراءكم
ما في الأكف سوى الأسى وعيوننا
وقلوبنا فيها تصب دموعكم
وتدق في آذانكم صيحاتنا:
هذي هي الأحوال أنتم في اللظى
ما من ملب للنداء لأننا
هذا الذي شأوا لنا أو قدروا
لصمودكم وقلوبنا تتفطر
أنتم جبين العرب حين نفاخر
وزنودكم بوجوههم تتفجر
يجري على أزكى ثرى ويزمجر
خجلون أنا من بعيد نزفر
دستورنا، وهي الرجاء الأكبر
من كل ثغر مثل شهد تقطير
تمتد في لهف الضعيف تغفروا
متخاذل لا تصفحوا أو تغفروا
وسلامنا، فتبصروا وتفكروا
أنتم لكم كل القرار فقروا
نبئت بأيديكم وظلت تزهر
و(جهنم) من تحتكم فتحرروا
إلا حناجرنا التي تتذمر
خجلى ومن بعد لكم تتحسر
فتغص بالأحزان أو تتكدر
لا تخمدوا النيران أو تتقهقروا
تتحرقون ونحن نهتف: أصبروا
الكل مصفود اليدين مسير

وكما الأسود تنام في أقفاصها
يا أهلنا يا جرحنا، يا صرخة
قد يطلع القمر الحبيب ورتوي
فهناك في الأفق القريب بشائر
وهناك رعد يستفز دويبه
لا بد من فجر يطل ورتدي
لا بد من زحف يكون نهاية
يا أهلنا ذاك النهار بضوئه
مذلولة نمنا وصرنا نشخر
مجروحة تحتدّ فينا وته در
من نوره والليل هذا يدحر
وهناك غيم قد يجيء ويمطر
صفو السماء وبرقة يتوتر
أثوابنا، وقيودنا تتكسر
وتهب فيه عواصف وتدمر
سيذيب أقفاص الأسود ويصهر،^{١٠}



٣٠٤- الكتاب العربي، الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب- دمشق، السنة ٢١، العدد ٦٣- ٦٤، آذار - حزيران ٢٠٠٤، خجلون، شعر: يوسف حمدان، الأردن، ص ٢٢٦- ٢٢٧.

اللغة العربية

- اللغة وظهور الإدراك البشري:

إذا كان هناك مظهر واحد فقط من مظاهر الوظيفة العقلية البشرية يرتبط بشدة بالعمليات الرمزية أكثر من غيره، فإن هذا المظهر هو بالتأكيد استعمالنا للغة.

إن اللغة بحق هي الوظيفة الرمزية العقلية النهائية، وإنه من المستحيل تماماً أن نتصور عملية التفكير، كما نعرفها، في غياب اللغة، ويرجع هذا إلى أن الكلمات تقوم بوظيفة وحدات الفكر البشري كما نفهمه على الأقل، إن الكلمات هي بلا شك الوسط الذي نشرح به أفكارنا ومن خلاله نؤثر في عقول الآخرين، لحكم مخلوقات اجتماعية.^{٣٠٥}

- كل محاولة لاستبدال الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية مقتضى عليها

بالإخفاق:

لسنا نحن نقول هذا بل ينادي به المستشرق: (قد تجاوز بعض الناس الحق إلى الباطل، فاقترحوا استبدال الحروف اللاتينية بالأبجدية العربية، ولكني أعتقد أن مثل هذا المشروع مكتوب عليه الفشل، لأن العربية غير التركية، وأيقنت أن الخط العربي سيدوم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها)^{٣٠٦}.
إنست كونل يؤكد (أن الإسلام منح العرب اللغة والخط، وانتشر الخط العربي في العالم الإسلامي فأصبح رابطة لجميع الشعوب الإسلامية رغم الحدود الحاضرة).^{٣٠٧}

- اللغة العربية مصدر اللغات العالمية:

لا يرتاب أحد من الباحثين اللغويين، قدامى ومحدثين، شريقين وغربيين، في أن العربية من أقدم اللغات وأقواها أصالةً وأوسعها تعبيراً، بل يتصدى بعضهم اليوم عن طريق ما يسميه بالتأثيل والترسيس^{٣٠٨}.
فالحقائق اللغوية تؤكد القانون الاجتماعي اللغوي التصوري حيث يحدث تبادل العلاقات اللغوية بين اللغات العالمية ولكن اللغة العربية لها الفضل على جميع لغات الإنسان، فهي أعطت الكثير الكثير ولم

٣٠٥ - مجلة العلوم، الترجمة العربية لمجلة ساينتفيك أمريكان تصدر شهرياً عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، المجلد ١٨ - العددان ١٢ / ١١ نوفمبر / ديسمبر ٢٠٠٢، كيف صرنا بشراً، I. تاترسال، ص ٤٦.
٣٠٦ - المستشرق شارل بيللا، الأستاذ في جامعة السربون، (اللغة العربية والعالم الحديث) نقلاً عن: دراسات في فقه اللغة، تأليف: د.صبيحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨، كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠، العربية في العصر الحديث، ص ٣٥٥.
٣٠٧ - دراسات في فقه اللغة، م.ن، العربية في العصر الحديث، ص ٣٥٧.
٣٠٨ - اللسان العربي، العدد الرابع، ص ١٤ (لمحات من التأثيل اللغوي) الأستاذ عبد الحق فاضل، والعدد الخامس - ص ١٨ (علم الترسيب) للكاتب نفسه، واللسان العربي مجلة دورية للأبحاث اللغوية يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي (جامعة الدول العربية) الرباط - المغرب الأقصى.
(التأثيل: الأثر يعني الأصل - علم أصول الألفاظ). (الترسيس: الرس يعني البداية - رد الألفاظ إلى بدايتها، نقلاً عن: دراسات في فقه اللغة، م.س، العربية في العصر الحديث، ص ٣٤٧.

تأخذ إلا القليل القليل فما اقتبسته العربية من مختلف اللغات لا يتجاوز ثلاثة آلاف لفظ على أكبر الاحتمالات^{٣٠٩}، على حين دخل تلك اللغات من العربية وغيرها شيء كثير لم يحصه حتى اليوم الراسخون في علم اللغات^{٣١٠}.

- في القرآن من كل لسان:

وورد في القرآن كثير من معربات الجاهلية حتى قال ابن جرير: (في القرآن من كل لسان!)^{٣١١}. ولقد ذكر السيوطي في (المتوكلي) نماذج مما ورد في القرآن بالرومية^{٣١٢} والفارسية^{٣١٣} والهندية^{٣١٤} والسريانية^{٣١٥} والحبشية^{٣١٦} والنبطية^{٣١٧} والعبرية^{٣١٨} حتى التركية^{٣١٩}، ومع أن بعضها ليس صحيح النسبة إلى إحدى اللغات المذكورة، كان للسيوطي في جمعه فضل التنسيق والتصنيف، وتوجيه الأنظار وجهة جديدة لا ترى في تعريب القرآن للأعجمي خطأً، بل ترى في ذلك مزية له على الكتب السابقة، فـ (من خصائص القرآن على سائر كتب الله المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أنزلت عليهم، لم ينزل فيها شيء بلغة غيرهم، والقرآن احتوى على جميع لغات العرب، وأنزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيء كثير)^{٣٢٠}.

- سعة اللغة العربية:



حين نصنف العربية بسعة التعبير، وكثرة المفردات، وتنوع الدلالات، وحين نتجرأ أكثر من هذا فنزعم أن لغتنا في هذا الباب أوسع اللغات ثروة، وأغناها في أصول الكلمات الدوال على معانٍ متشعبة، قديمة وحديثة، فقد أتيح للغة القرآن من الظروف والعوامل ما وسع من طرائق استعمالها، وأساليب اشتقاقها، وتنوع لهجاتها، فانطوت من هذا كله على محصول لغوي، لا نظير له في لغات العالم^{٣٢١}.

٣٠٩- قارن بكتاب (غرائب اللغة العربية) للأب رفايل نخلة اليسوعي.

٣١٠- دراسات في فقه اللغة، مصدر سابق، من مقال العربية في العصر الحديث، ص ٣٤٨.

٣١١- (ما وقع في القرآن من المعرب للسيوطي)، وقد رجعنا إلى نسخة الصديق الكريم الأستاذ أحمد عبيد، أحد أصحاب المكتبة العربية بدمشق، وسنرمز إليها بـ (المتوكلي) لأن السيوطي سماها بهذا الاسم في المقدمة.

٣١٢- كالفستاس، فإنه بلغة الروم: الميزان.

٣١٣- كالإستبرق، فإنه بالفارسية: الديباج الغليظ.

٣١٤- مثل طوبى: اسم الجنة بالهندية.

٣١٥- مثل السري: النهر، بالسريانية.

٣١٦- مثل الأرائك: السرر، بالحبشية.

٣١٧- مثل (عجل لنا قطنا): كتابنا، بالنبطية.

٣١٨- مثل (كفر عنهم سيئاتهم): امح عنهم، بالعبرية.

٣١٩- مثل (عساق): هو البارد المنتن، بلسان الترك.

٣٢٠- نسب السيوطي هذا القول إلى الإمام ابن النقيب في تفسيره (قارن بالمتوكلي ١/٢)، نقلاً عن: دراسات في فقه اللغة، م.س، تعريب الدخيل، ص ٢١٦-٢١٧.

٣٢١- دراسات في فقه اللغة، م.ن، اتساع العربية في التعبير، أ- الترادف، ص ٢٩٢.

عروبي وليبس سامي

يقول الباحث الدكتور أحمد داود في كتاب تاريخ سوريا الحضاري- ١ المركز ص ٥٤٦ - ٥٤٧: أن الغرب كان قد زور جغرافياً أحداث التوراة والإنجيل، فنقلها من مواقعها في مغاور جبل غامد من شبه جزيرة العرب إلى فلسطين لأسباب وأغراض سياسية واستعمارية مكشوفة، ثم لما بدأ يدرس هذه الجغرافيا المزورة لم يستطع تقبل ما يزدحم فيها من تناقضات قبيحة تبرك كل عقل صحيح، وعضواً من أن يعود إلى تصحيح ما سبق أن زوره فقد أخذ يعلن لا معقولية الأحداث.

ففي منتصف القرن التاسع عشر أسست (الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية) بهدف دراسة طبيعة ومناخ الأرض التي ترغب بريطانيا ضمها لمستعمراتها.

وهذه الجمعية ما لبثت أن تطور عملها من المسألة المناخية والجغرافية إلى خدمة الصهيونية، فقد أسس اليهودي الثري (شايرا) (البنك الملّي اليهودي) الذي انبثق عنه العديد من الهيئات المالية مثل (صندوق اكتشاف فلسطين) الذي بدوره تعاقد مع الجمعية الجغرافية البريطانية لدراسة مناخ وجغرافيا بلاد الشام: سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن، كما ساهم بتمويل تكاليف الدراسات الجغرافية التي قامت بها الجمعية البريطانية بغاية وضع (جغرافيا الكتاب المقدس)، ووضع خارطة للأماكن التي دارت فيها أحداث الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، وتغيير أسماء المدن والقرى العربية في فلسطين وغيرها إلى أسماء ما دعوه حديثاً بـ (عبرية) أو إسقاط بعض الأحداث على أسماء المواقع التي تتشابه مع الأسماء الواردة في التوراة. ونتيجة لتقرير الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية وضع (أطلس وقاموس الكتاب المقدس)، وبذلك ثبتت المفاهيم التوراتية بذهن الغرب، مما خلق أساساً معنوياً لأن يأخذ دعم الغرب لليهود بعداً جديداً هو ما دعي بالبعد التوراتي.

لقد اعتدنا على (وقفات) الباحثين في الغرب في الطريق المسدود أمام ما قاموا هم أنفسهم بتزويره. ولقد صححنا في كتابنا الثاني (العرب والساميون والعبانيون وبنو إسرائيل واليهود) الجغرافيا المزورة لأحداث التوراة والإنجيل. ٣٢٢

- المستشرقون الحاقدون الكذابون:

إن المستشرقين الحاقدين جعلوا بذلك (أرام) بن سام بن نوح هو الأصل للسكان وللغة فقد اقتطعوه عن جسد آباءه وأجداده، ونسبوا إليه السوريين (أو السريان) نزولاً عند التزوير السكاني والجغرافي في تفسيرهم

٣٢٢ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١ - (المركز)، د. أحمد داوود، دار الصفا للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٣، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، السيد المسيح وإشكالية الزمن عند المؤرخين، ٥٤٦ - ٥٤٧.

لأحداث التوراة، وردد رجال الدين المسيحيون هذا التزوير دوغماً أي تفكير، فتحول الفرع إلى أصل والأصل إلى فرع، ومازال كتبة التاريخ المسيحي يرددون هذه المقولة حتى اليوم.

إن آرام ابن سام بن نوح لم يخترع شعباً أو لغة، بل تكلم لغة أبويه وأجداده التي هي العربية السريانية الموجودة قبله لعشرات الآلاف من السنين، ثم إن إبراهيم العربي الآرامي، وكذلك جميع أولاده، وإن موسى وعيسى من بعده، تكلموا العربية السورية (السريانية) التي ظلت هي السائدة في كل مواقع انتشار العرب السوريين من الهند شرقاً إلى جزر الأطلسي غرباً، إلى بحر العرب وشواطئ أفريقيا، إلى أن بعث الله محمداً ﷺ في منطقة العربية العراء، فحلت هذه محل شقيقتها، وعمت عن طريق القرآن الكريم.^{٣٢٣}

- شرح خلق الإنسان في التوراة:

(وهذه مبادئ السموات والأرض حين خلقت، يوم عمل الرب الإله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد في الأرض، وكل عشب البرية لم ينبت بعد، لأن الرب الإله لم يكن قد أمطر على الأرض، ولا كان إنسان ليعمل الأرض، ثم كان ضباب يطلع من الأرض ويسقي وجه الأرض، وجبل الرب الإله آدم تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة فصار آدم نفساً حية)^{٣٢٤}.

ونلاحظ بكل جلاء كيف أن كتبة التوراة نقلوا لنا تلك الأفكار نفسها التي كانت متداولة في التراث العربي حول عملية الخلق، إن هذه الصورة التي نقلها لنا كهنة التوراة هي صورة من الفهم متخلفة عن الحقيقة التراثية العربية القديمة كما هي عند قدامى العرب السوريين والمصريين، فالجبل من الطين لم يكن يعني غير الخلق من الطين، لأن فعل (جبل) في العربية القديمة (السريانية والفينيقية) يعني فطر وخلق، و(جابول) الفاطر، الخالق، وإن (النفخة) لم يكن يقصد بها نسمة الحياة، أي أنه كان جامداً كالتمثال فلما نفخ (في أنفه) دبت فيه الحياة، إن هذا فهم بدائي متخلف يعبر عن المستوى الفكري الساذج عند كهنة عشيرة بني إسرائيل، أما الآخرون من سومريين وأكاديين والقدامى من سكان وادي النيل فقد بينوا لنا أن النفخة هي نفخة الروح وليست نفخة النفس، فالنفس تعني الحياة والتنفس، وقد كان البشري البهائي موجوداً، حياً يتنفس.. أما الروح فشأن آخر، وهي التي جعلت من هذا المخلوق الجديد إنساناً لا بشراً بهائياً، وهذا ما لم يفهمه كهنة التوراة من التراث العربي.

فاعتقدوا أن الرب صنع تمثالاً من الطين ثم نفخ فيه نسمة الحياة، وهذا ما صار شائعاً عند كل الفئات العامة أو الجاهلة من شعوب الأرض قاطبة^{٣٢٥}.

٣٢٣ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، التاريخ والأنتوجرافيا، ص ٦٤٦ - ٦٤٧.
٣٢٤ - تكوين ٢: ٤ - ٨. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.ن، ص ٢٤٤.
٣٢٥ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، المركز وقصة خلق آدم الإنسان، ص ٢٤٤ - ٢٤٥.

تصحيح معاني المصطلحات المعاصرة للديمقراطية

هو أساس النظام الذي ابتدعه العرب السوريون -السادة المعلمين أبناء الآلهة - في أوروبا من أجل تنظيم عملية الجنسية والمواطنة، دعوه (ديمي قراطي) أي الناس المسجلين.

إن (ديمي) هي في القاموس السرياني جمع (ديمو) وتعني: شخص، إنسان، و(قراطي) جمع (قراطيو) أي مكتوب، مسجل.

وهي في القاموس السرياني من الفعل قرط = رقم، كتب، نقر، حفر، نقش في الحجر.. قاروط: مناقش، مرقم، قلم، مداد، حبر، لكن الباحثين والمؤرخين الغربيين الذين لا يعرفون كيف يخترعون مجداً عنصرياً قديماً، حولوا هذا الواقع كما أرادوا هم أن يفهموه إلى عكسه، وفسروه حسبما أملت عليهم نزعاتهم، لا اللغة الإغريقية المزعومة، على أنه (حكم الشعب)! وألصقوه بالجنس (الإغريقي) العظيم!

وبالرغم من التناقضات الكثيرة التي أحدثتها هذا التفسير العجيب المختلق لكلمة (ديموقراطي) وصارت عنواناً لكل نظام يريد أن يتباهى بـ (عصريته) اليوم فإن أموراً كثيرة - كالعادة - بقيت صعبة وعصية على الفهم نتيجة لهذا التزوير اللغوي، فالديموقراطية كما يفهمونها اليوم ينبغي ألا يبحثوا عنها في تاريخ اليونان بل في المشرق العربي من عهد سومر (حيث مجلسان للشيوخ وللشباب) إلى عهد زنوبيا (مجلس الشورى في تدمر). أما في شبه جزيرة المورة فقد كانت (الشورى) في (دار الندوة) مقتصرة على المواطنين السوريين وحدهم دون غيرهم، وهم (الأناس المسجلون)، وهذا أمر مبرر لهم تاريخياً، إذ أن الهوة بينهم وبين سكان البلاد الأصليين الأوروبيين كانت كبيرة وشاسعة، لقد كان عليهم أن يعلموهم أولاً كل شيء: اللغة، والكتابة، والزراعة، وبناء المساكن، والتخلي عن سكن الكهوف وأكل لحوم البشر، والدين، والحرفة، وهي الرسالة التي نخص بها السوريون هناك وفي كل بلدان أوروبا المتوسطة^{٣٢٦}.

وهناك في بلاد اليونان القارية، حيث يهيم سكان الكهوف في البراري، من كهف إلى كهف، ومن نبع ماء إلى آخر، يجولون في الغابات، رجالاً ونساءً، كثيراً ما كان أولئك السادة العرب السوريون يلتقون بنساء الكهوف اللاتي يتمتع بعضهن بجمال بكر طبيعي أخاذ، فيطاردوهن ويضاجعوهن سراً عن زوجاتهم النبيلات، وينجبون منهن أبناء وبنات يطلقون عليهم أسماء غريبة قديمة.

إن ما سجلته أخبار اليونان في أساطيرهم عن زيجات (زيو) الكثيرة، ومغامراته الكثيرة أكثر من أن نحصيها، ولقد أطلق أولئك الأرباب (السادة) السوريون على تلك النساء الهائيات بين الكهوف والغابات اسم (حواري) وهي في العربية القديمة جمع (حواريا) أي ساكنة الكهف أو المغاور الذي هو بالفينيقية والسريانية

٣٢٦ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٩٩- ٧٠٠.

(حورا)، وصارت بالعربية الحديثة (حورية) وتجمع على حوريات، وقد أغفل أصلها العربي القديم، وهي غير (حوراء) التي تعني شديدة سواد العينين مع شدة البياض، أما تلك السلالة الجديدة الناتجة من الآباء العرب السوريين ومن حوريات الكهوف والغابات فقد أطلق عليها السوريون اسم (اجريق) وتعني أولاد الزنا، أبناء الحرام، الأنغال، والكلمة في القاموس السرياني من الفعل العربي القديم (أجر) " كانت الجيم تلفظ مثل الجيم المصرية " ويعني: جار، تغرب، فسق، فجر، زنى.
 جير = نسب إلى قوم غريب، جعله يزني ويفسق.
 جيور = فاجر، فاسق، زان.
 جور = فجور، فسوق، زنا.
 برجورا = ابن زنا، ولد الونية، نغل.
 جيورا = غريب، أجنبي، دخيل على النسب.
 (اجريقا) هي الأسم العام الذي يطلق على السلالة.
 والنهاية (يقا) هي نهاية عربية قديمة انتقلت إلى اللغات الأوروبية^{٣٢٧}.

- المنطق:

إن (لوجو) مثلاً، تعني: نطق، لغة، قول.
 ومنها لوجيقا = منطق، وقد انتقلت إلى اللغات الأوروبية كلها Logica = منطق^{٣٢٨}.

- الإغريق:

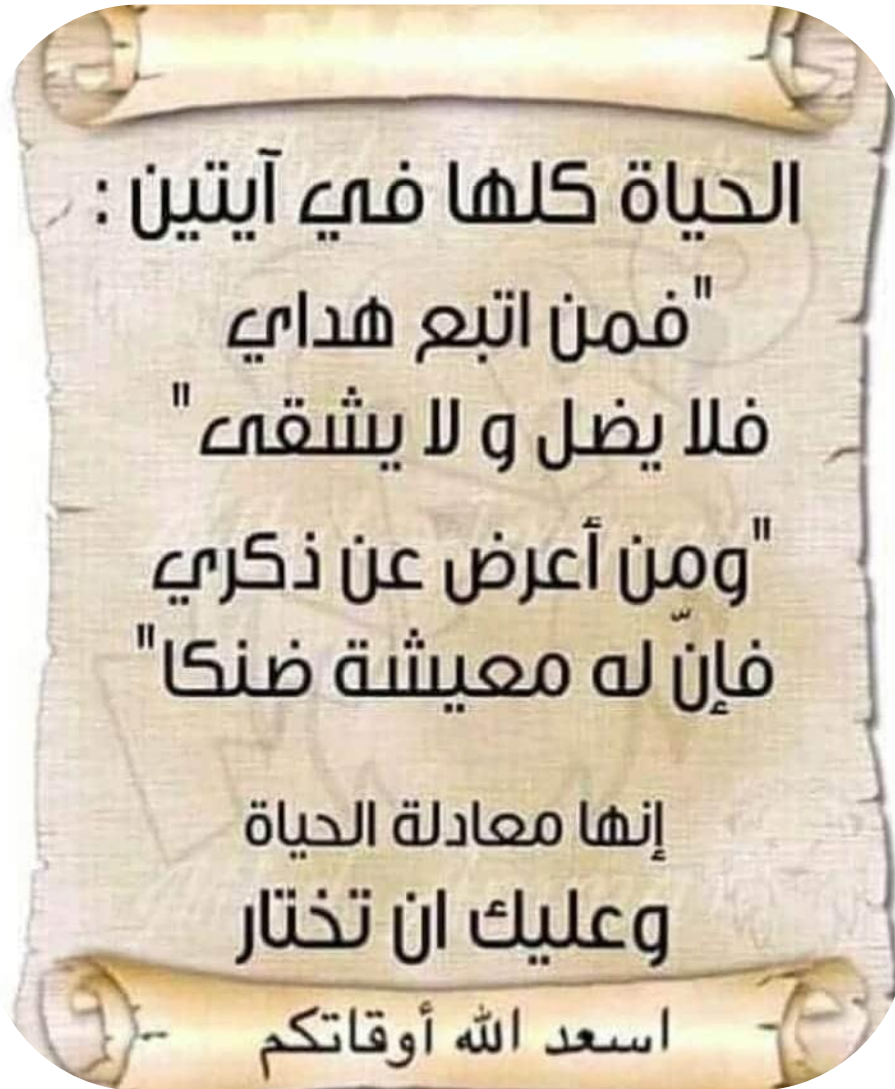
إن جهل معظم المؤرخين في الغرب الذين كانوا ينطلقون دائماً في كتابة التاريخ من نظرة عنصرية تعصبية ضيقة، فأغمضوا أعينهم عن كل الحقائق الباهرة التي تؤكد الأصول السورية للحضارة التي دعيت فيما بعد (إغريقية)، وإن تجاهل البعض الآخر للحقائق، جعلهم يعمدون إلى التزوير و(الاختراع) فطمسوا بذلك كل شيء، وأصبح المزور هو المعمم اليوم في كل الجامعات ومعاهد الدراسة، مما أحدث مع الزمن، عملية غسل حقيقية لأدمغة معظم الناس في الشرق والغرب.
 ولا تقل عملية طمس الهوية للغة اليونانية القديمة، التي هي إحدى الفروع من اللغة العربية القديمة، بشاعة في هذا الميدان.

إن عملية الخلط بين (اليونان) و (الإغريق) هي عملية تزوير أخرى أساءت إلى التاريخ العربي بخاصة، وتاريخ العالم ككل، فالتسمية الأولى:

٣٢٧ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٩٧-٦٩٨.

٣٢٨ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٩٨.

يونان: هي تسمية أطلقت على أفراد عشيرة " يونا " ابن حيللا، الذي هو من أبناء يافث بن نوح كما أجمعت كل المصادر، والنون هي للجمع في العربية القديمة، كما نقول: عُربان، سريان، طليان، أرمان (آراميون) وخاصة مع الأسماء الثلاثية الأحرف..، ثم عممت التسمية على بقية العشائر الأخوات. أما التسمية الثانية (الإغريق) فموضوع آخر مختلف تماماً، ومن أجل إيضاح فحوى هذه التسمية لا بد من التمهيد بلمحة عامة، عرفنا كيف أن العرب السوريين القدامى كانوا ينطلقون في شتى الاتجاهات حاملين معهم مشاعل الحضارة الأولى متمثلة في الزراعة والاستقرار المدني مع كل ما يرتبط بها من عقائد، وطقوس، ومعابد، وفنون، وتقاليد، ولغة، في الوقت الذي كان فيه سكان أوروبا مازالوا يعيشون همجية العصور الحجرية الأولى، يسكنون الكهوف ويأكلون لحوم البشر^{٣٢٩} ، وهذا ما سنعرضه بشكل موثق ودقيق في البحث التالي وهو أوروبا كيف تحضرت قديما واحتضرت حديثاً؟



٣٢٩ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، مصدر سابق، ص ٦٩٣ - ٦٩٤.

أوروبا.. كيف تحضرت قديماً واحتضرت حديثاً^{٣٣٠}

نحن الآن زمنياً ما بين الألفين الثاني والأول قبل الميلاد، إن نظرة واحدة نلقيها على الخارطة السكانية والحضارية للعالم القديم في أوروبا وآسيا تكشف لنا الصورة التالية: إنسان أوروبا يسكن المغاور والكهوف، يعيش على الصيد وعلى أكل Syclop لحوم البشر، وقد دعت المصادر الكلاسيكية القديمة بـ«الصقلاب» (وبعني الشخص الشره الغليظ الأكل).

إن إنسان الكهف الهمجي هذا هو الذي اصطدم به قدموس العربي الفينيقي السوري وجماعته في أرض اليونان خلال بناء مدينة طيبة أولى المدن في اليونان.

وإن ما تحدثت به الأساطير السورية القديمة، التي صارت تدعى «إغريقية» حول إنسان أوروبا آكل لحوم البشر زمن قدموس وبعده، أكدته المكتشفات الأثرية حديثاً، «ولقد كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت مؤخراً أن الألمان وسائر الشعوب الأوروبية كانوا يأكلون لحم البشر، وذكرت «أبناء الشرق الأوسط» أن الأبحاث التي أجريت في جنوب ألمانيا كشفت أن الشعوب الأوروبية كانت منذ ألفين وأربعمائة سنة (أي في القرن الرابع قبل الميلاد) تعيش في العصر الحجري وتأكل بعضها بعضاً، وقالت هذه الأبحاث إنه في الوقت الذي كان فيه السوريون والمصريون قد بلغوا درجة عالية من الثقافة والتقدم والتحضر فإنه كان من عادة القبائل التي سكنت جنوب ألمانيا تعليق قلائد حول أعناقهم من الجماجم البشرية وعظام الأعداء الذين كانوا يأكلونهم»^{٣٣١}، ويؤكد ول ديورانت «أن سكان إيرلندا وإيريا وبريطانيا والدانمارك ظلوا من أكلة لحوم البشر حتى القرن الحادي عشر بعد الميلاد»^{٣٣٢}.

وفي الوقت الذي يتبين لنا فيه أن شبه جزيرة المورة كانت أبعد الأمكنة لأن تكون صالحة لقيام تجمع سكاني حضاري، وأن أوروبا كلها كانت، حتى زمان بزوغ ما دعي بـ «المعجزة الحضارية اليونانية»، فإننا نرى السوريين (الفينيقيين) يملأون حوض البحر المتوسط بما فيه حوض بحر إيجه، والبحر الأسود بمدنهم ومستوطناتهم، وبمنجزاتهم الحضارية الزاهرة عمرانياً، وزراعياً، وثقافياً، وصناعياً، وتجارياً، وغير ذلك.. فالحضارة قادمة من الشاطئ الشرقي للمتوسط إلى الجزر أولاً، فشبه جزيرة المورة، وليس من أي اتجاه آخر.. فالسوريون (أو كما يحب المؤرخون أن يطلقوا عليهم «الفينيقيون») كانوا وحدهم سادة البحر المتوسط دونما منازع، وأصحاب الحضارة الوحيدة على شطآنه في الوقت الذي كان إنسان أوروبا ما يزال فيه قابلاً في

^{٣٣٠} - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- «المركز»، للدكتور أحمد داوود، ط٣، دار الصفدي للنشر، دمشق عام ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ص٦٠٢، ٦٠٤، ٦٠٥.

^{٣٣١} - صحيفة تشرين السورية، العدد ٥٥٥٥ تاريخ ١٩٩٣/١/٢٦.

^{٣٣٢} - ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء ١، ص١٩، ٢٠.

أعماق الكهوف يخشى الظهور حتى لا يفترس بعضه، إن هذا هو ما يؤكد جميع المؤرخين الذين تمهمهم الحقيقة ويسعون إليها، «فمنذ حوالي ١٢٠٠ ق.م أضحى الفينيقيون سادة البحر المتوسط، وكشفوا رأس الرجاء الصالح قبل أن يكشفه فاسكو دي جاما بنحو ألفي عام.. ولقد أقاموا لهم حاميات في نقط منيعة على ساحل البحر المتوسط مازالت تكبر حتى أضحت مدناً غاصة بالسكان، أقاموها في قادس، وقرطاجنة (في اسبانيا) ومرسيليا، ومالطا، وصقلية، وسردينيا، وقورسيقا، بل وفي إنجلترا البعيدة، وقبرص، وميلوس، ورووس، ونقلوا العلوم والفنون.. ونشروها في اليونان، وفي افريقيا، وإيطاليا، واسبانيا، وربطوا الشرق بالغرب بشبكة من الروابط التجارية والثقافية، وشرعوا ينتشلون أوروبا من براثن الهمجية والوحشية وازدهرت المدن الفينيقية التي كانت تغذيها هذه التجارة الواسعة، والتي كانت تحكمها طبقة من التجار الأثرياء خدمت فنون السياسة الخارجية والمالية، وضنت بثروة البلاد أن تتبدد في الحروب الخارجية، وأصبحت هذه المدن على مرّ الأيام من أغنى مدن العالم وأقواها»^{٣٣٣}.

لقد ساد الفينيقيون جزيرة قبرص وأسسوا فيها مدينة كيتيون Kition^{٣٣٤}.

وقد عثر في كيتيون على الآثار السورية التي تعود إلى ما بين القرنين العاشر والثامن قبل الميلاد، وانتشر السوربون حضارياً على جزر البحر الإيبي مثل Oliaros واليارو Melos وميلو Theara وثيرا Cyclades جزر السقلاقي.

وعلى شبه جزيرة المورة، وكانت لهم مراكز متنقلة في كل من طيبة وأثينا^{٣٣٥}، وورد في شعر هوميروس بأن المراكب الفينيقية كانت تؤم بلاد اليونان محملة بالأطياب الفينيقية، ومن مدينتهم قادش في اسبانيا انطلقوا إلى جزر القصدير (بريطانيا) وكورنوال جنوب بريطانيا بحثا عن القصدير والرصاص^{٣٣٦}، وفي الحوض الغربي للمتوسط كانوا يسيطرون على جزيرة سردينيا، وقد اكتشفت كتابة «حجر نورا» في الجزيرة والتي قدر أولبرايت أن زمنها يعود إلى القرن التاسع قبل الميلاد»^{٣٣٧}.

فوق هذا وذاك فقد دلت المكتشفات الآثارية على أن العرب السوربين كانوا أول من أسس طرق التجارة الدولية في البر والبحر، وأنهم مؤسسو كل موانئ أوروبا، وأنهم اكتشفوا القارة الأمريكية قبل كريستوف كولومبوس بما ينوف عن ثلاثة آلاف عام، تشهد على ذلك آثارهم المنتشرة في القارة كلها وكتاباتهم العربية الفينيقية^{٣٣٨}.

^{٣٣٣} - ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء ٢، ص ٣١١، ٣١٢، ٣١٣.
^{٣٣٤} - فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة ونقولا زيادة، مؤسسة فرنكلين^{٣٣٤} للطباعة، بيروت ١٩٥٨، ص ١٨.
^{٣٣٥} - p.360 Carthage·Warmington
^{٣٣٦} - p. 171، The Phoenicians·Harden
^{٣٣٧} - p. 164، avec le Phoeniciens، Jean Mazel
^{٣٣٨} - فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٢٤، ٢٢٥.
يُنظر: فان دين برانندن، مجلة (Melto) الصادرة عن جامعة الروح القدس، العدد الثاني، ١٩٦٤؛ وجوزي داكونيا بربوزا، مجلة التاريخ والجغرافيا البرازيلية، المجلد الأول، عام ١٩٣٩، ص ٦٦.

إن «الديموقراطية» كما يفهمونها اليوم ينبغي أن لا يبحثوا عنها في تاريخ اليونان بل في المشرق العربي من عهد سومر (حيث مجلسان للشيوخ و للشباب) إلى عهد زنوبيا (مجلس الشورى في تدمر)، أما في شبه جزيرة المورة فقد كانت «الشورى» في «دار الندوة» مقتصرة على المواطنين السوريين وحدهم دون غيرهم، وهم «الأناس المسجلون»، وهذا أمر مبرر لهم تاريخياً، إذ أن الهوة بينهم وبين سكان البلاد الأصليين الأوروبيين كانت كبيرة وشاسعة، لقد كان عليهم أن يعلموهم أولاً كل شيء: اللغة، والكتابة، والزراعة، وبناء المساكن، والتخلي عن سكن الكهوف وأكل لحوم البشر، والدين، والحرفة، وهي الرسالة التي نهض بها السوريون هناك وفي كل بلدان أوروبا المتوسطة وأوروبا.. منذ ٥٠٠ عام تحتضر ببطء، وقد وصلت إلى الإفلاس والانهيار والانكسار علمياً وعقلياً وفلسفياً وثقافياً وعقائدياً وأخلاقياً وبيئياً وتقنياً.. فهي عجوز شماء مكروهة الشم والتقبيل، تودع حياتها بالحروب والفتن والإرهاب والإجرام والخراب والتدمير للحياة والناس والحضارة والثقافة والهويات والدين والأخلاق والحكومات والدول والمجتمعات.. مما تجعل الكوكب الأرضي كله في حالة خطر وطوارئ وقد قتلت من البشر أكثر من مليار إنسان بمئات الحروب والفتن والإبادة بآليات الاستعمار والإرهاب وتجارة المخدرات والعبود ونهب الموارد من آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا.. ولعل أخطرها الآلية المعولمة المعاصرة بصنع الإرهاب ومكافحته فلأوروبا وأسيادها من الماسون والصهيون وكلاهما من المرتزة المختلفة الألوان والمتعددة الأجناس، لها تكنولوجيا فوضوية خبيثة في تدمير البلدان والدول والحكومات والمجتمعات ونهب الموارد والخيرات.. وذلك بدعم الاستبداد والاستعباد والفساد وتجارة البشر والمخدرات والتجارة بالسلاح والدواء والفقراء والمهلوسات.. ونشر البؤس البشري والقهر الإنساني والقتل للناس وتشريد السكان وتدمير العمران والبنيان والتاريخ والحضارة بصنع عشرات بل مئات من العصابات الإرهابية المجرمة مثل داعش وأخواتها حالش وعامش وماحش وكادش.. وكلها أدوات تخريبية لتدمير المدن العريقة لاسيما العربية والإسلامية، فيكفي أن تنزل بالمظلات أو تنقل بالسيارات أو بالباصات مئات من الدواعش المطبوخة في مدينة عريقة كالموصل والرقعة ودير الزور لكي يدمرها التحالف الاستعماري الأوروبي الأمريكي وأذنا به بحجة طرد الدواعش، فتكون النتيجة مدينة مدمرة منهوبة وملايين من السكان مشردة وعشرات الآلاف من الشهداء والجرحى والمعاقين.. ثم يأتي الدور الثاني من المسرحية الإرهابية الملفقة الكاذبة وهو إعادة الإعمار بواسطة سلسلة من المعاهد والمؤتمرات الكاذبة لتجارة البؤس البشري.

إنها.. أوروبا ومخلفاتها، إنها تحتضر بل وصلت وقاحتها إلى مطالبة الدول الإفريقية بدفع ضريبة فوائد الاستعمار إلى فرنسا مثلاً.

فقد ولدت أوروبا ومررتقتها كوحوش مفترسة.. واحتضرت كقروء مفلسة تهوى ألعاب السيرك والقفر من جريمة إلى أخرى ومن حرب إلى أخرى..
إن الأرض.. تتسع للجميع، يا سادة عليكم بتعميرها ونشر المحبة والسلام والأمان والإيمان والعمران والرحمة للعالمين.

إرهاب وحقارة الغرب في صيد التماسيح بالأطفال الرضع

حتى عام ١٩١٩م كان صيادو التماسيح في أميركا يستعملون الأطفال الأفارقة السود كطعم لصيد التماسيح.. وكانت هذه الطريقة رائجة جداً في ولاية فلوريدا التي يكثر فيها التماسيح حيث كان الصيادون البيض يحتطفون الأطفال الرضع من الأمهات السود المستعبدات واللاتي كنَّ يعملن بالحقول، ومن ثم يتم وضع الطفل بالقرب من البحيرات أو المستنقعات مع ربطه بجبل طويل ويترك الطفل ليكي لساعات طويلة حتى يجلب التماسيح إليه، وما إن يتلع التماسيح الطفل الصغير حتى يتم سحبه من قبل الصياد بواسطة الحبل وقتله بواسطة عتلة أو رمح وسلخ جلده لاحقاً لاستخدامه في صناعة الأحذية والحفائب..

وكانت جريدة التايمز الأميركية سنة ١٩٢٣ أول من كشف عن هذه الطريقة البشعة في صيد التماسيح، والتي أصبحت في ذلك الوقت أشبه بتقليد فلكلوري يتبعه الصيادون البيض في ولاية فلوريدا وتكساس يمارس منذ عام ١٨٧٠ قبل أن يجرمها الكونجرس الأمريكي وسلطات الولاية عام ١٩٢٤م، وبالرغم من أنه في بعض الأحيان كان يتم اصطياد التماسيح قبل التهامه للطفل إلا أن ذلك لم يكن يعني نجاة الطفل من الموت بل كان يعني بقاءه حياً لعدة أيام أخرى لحين استخدامه كطعم مجدداً في تجربة صيد شبيهة، وقد راح ضحية هذه الجرائم البشعة المروعة الكثير من الأطفال فكم من قلب أم انفطر على صغيرها واحترق وهي تعلم مصيره ولا تستطيع المسكينة فعل شيء..

إليكم أن تتخيلوا...



تصحيح المفاهيم المعاصرة

- تزوير التاريخ عمداً في الغرب:

أخضع الغرب العنصري التاريخ الحضاري العربي لعملية تزوير كبيرة وحاقدة وساذجة لم يشهد لها التاريخ، مثلاً: بعد أن حول (سوريا) التي هي مهد حضارة الإنسان على هذا الكوكب بحق، والتي كانت تشمل كل عرب آسيا في الزمن القديم، إلى مجموعة متنافرة من العشائر البدوية الرعوية المتخلفة، نقل كل شيء ليجعل مركزه في شبه جزيرة المورة (أوروبا)، بصرف النظر عن كل الحقائق والمكتشفات الأثرية والشواهد التي ما ينفك يرددها هو نفسه في كثير الأحيان.

ومن الأمثلة على أكاذيبه المتكررة التي تدل على الغباء البعيد كانت تفسير تسمية (الفينيقيون). إن المؤرخين الغربيين يزعمون أن هذه التسمية أطلقها اليونانيون على سكان الساحل السوري، مدعين أن الكلمة يونانية وتعني (الحمر) لأن هؤلاء كانوا مشهورين بتجارة صباغ الأرجوان!. حتى التسمية أطلقها (الإغريق) على شعب وجد قبل (الإغريق) بعدة آلاف من السنين، ثم ظل ينتظر دون اسم ليتصدق عليه فيما بعد الآخرون باسم يعرف به بين الأقاليم الأخرى! وحسب خداع وساذجة الباحثين الأوروبيين.

أما الحقيقة فهي أن التسمية عربية صميمة وتعني: السادة المنعمين المرفهين، المتمتعين، أصحاب العيش الرغيد، وهي في العربية القديمة (السريانية والفينيقية) من فعل (فَنَقَّ) = نَعَم، رَفَّه، دَلَّل، مَتَعَ، عَظَّمَ. فونيقو = منعم، مدلل، رغيد، مجيد.

وفي قاموس (محيط المحيط) نجد: فنق وفنق = نَعَم.

وعيش مفانق = ناعم ورغيد، والجواري الفنق = الناعمات.

ولقد كتب المؤرخ السوري كتابه (تاريخ فينيقيا) في الألف الثاني قبل الميلاد أي قبل أن يوجد أول إغريقي على الأرض، وذكر فيه إن (فَنَاع) الذي هو أخو أوزيريس كان أول من لقب نفسه بـ (فينيق)^{٣٣٩}. ثم إن (فينيق) كان أحد أولاد أجينور ملك صور، وهو أخو قدموس وكيليك وأوروبا، وهم الذين أعطوا أسمائهم لقارة أوروبا وللعالم وليس العكس.

وكنا قد ذكرنا كيف إن قدموس كان أول من بنى مدينة في بلاد (الإغريق) حينما كان السكان وما يزالون همجاً يسكنون الكهوف ويأكلون لحوم البشر، وإن هؤلاء (الفينيقيين) هم الذين منحوا شبه جزيرة المورة كل أسباب حضارتها ونقلوها من برائن الهمجية إلى عتبات المدينة بدءاً من تعلم الزراعة وبناء البيوت إلى الآداب

^{٣٣٩}- من أجل المزيد من التفاصيل راجع كتاب (العرب والساميون والعبرانيون وبنو إسرائيل واليهود)، يوسف الحوراني. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، ص ٦٥٢.

والفلسفة وجميع أنواع الفنون الأخرى، مما جعل (أدريانو) المحامي والبلوغ والفيلسوف العربي السوري، الذي ما أن هاجر من مدينته صور إلى أثينا حتى تبوأ كرسي البلاغة فيها (وفي الخطاب الافتتاحي الذي وجهه إلى الأثينيين أسهب في الكلام ليس عن حكمتهم بل عن حكيمته لأنه بدأ كلامه بقوله: للمرة الثانية تأتي الآداب من فينيقيا)^{٣٤٠}.

لكن التاريخ يكتب على أيدي بعض المتعصبين والمزورين في الغرب!

همهم الشاغل إلغاء دور العرب عامة والسوريين خاصة، وهذا هو الثابت المعمم على الجامعات ويردده معظم الأساتذة العرب كاللبغاوات فقد تتلمذوا على أيدي أولئك المزورين، ولكن بعض الباحثين الأوروبيين يضيّقوا ذرعاً بذلك التزوير الذي يطمس كل الحقائق ويجعل من التاريخ علماً واقفاً على رأسه.

ومما يقوله بيير روسي بهذا الصدد: (كان الشرق النيلي البابلي، عندما ولدت روما، قد كبر بدون حساب، حاملاً لغته.. حتى الهند والدانوب، مدخلاً في ثقافته ما لا يقل عن خمسين مليون إنسان، وإذا ما وضعنا الغرب والشرق في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد في كفتي ميزان فإن علينا أن نظهر كفة الغرب فارغة تقريباً، هذا الذي تحمله الكفة الشرقية الساحقة، فلم تكن المدينة الرومانية مطوقة من جميع جهاتها بالفتح الآرامي فحسب، ولكنها كانت هي نفسها مشربة بالتقاليد العربية الآسيوية،^{٣٤١} لقد انتشرت الحواضر السورية بمظاهرها الاقتصادية والاجتماعية والدينية على طول شاطئ المتوسط، وانبعثت في الداخل الطرق التجارية الرئيسية جاليات سورية قوية، ومن الموانئ الإيطالية كانت نابولي (نيحابولي = استراحة الأمراء) وأوستيا (حوسيتا = الطاهرة) وقد وصل التجار السوريون عن طريق الدانوب إلى فانونيا Pannonia كما وصلوا عن طريق الرون إلى ليون، وكان لرجال الأعمال السوريون مراكز في أسبانيا، ولكنهم في بلاد الغال فرنسة كانوا ناشطين بصورة خاصة^{٣٤٢}، فمثلاً إن السلالة الحضارية في إيطاليا عربية سورية، ويؤكد المؤرخون جميعاً، حتى المتعصبون منهم، أن ما تزهو به روما اليوم من تحف وتمائيل وآثار فنية يعود كلهم إلى شرق المتوسط^{٣٤٣}، إلى العرب السوريين تحديداً^{٣٤٤}.

٣٤٠ - تاريخ سوريا، فيليب حتي، ص ٣٣٤ - ٣٣٥. نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١ - (المركز)، م.ن، ص ٦٥١ - ٦٥٢.

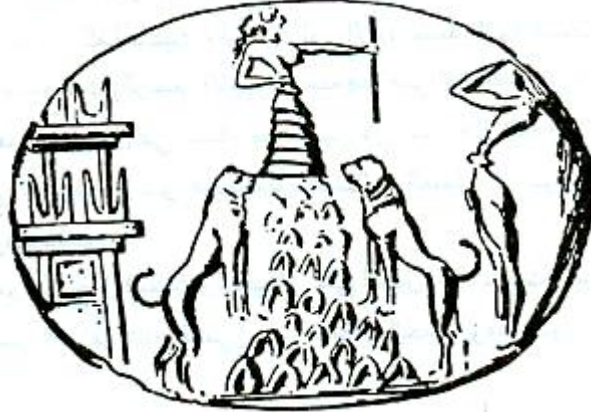
٣٤١ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١ - (المركز)، م.س، ص ٧٢٢ - ٧٢٣.

٣٤٢ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١ - (المركز)، م.ن، ص ٧٣٥.

٣٤٣ - تاريخ سورية، ج ١، فيليب حتي، ص ٣٦١، نقلاً عن: تاريخ سوريا الحضاري القديم ١ - (المركز)، م.س.

٣٤٤ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١ - (المركز)، م.ن، ص ٧٣٨.

- أن اللغة والكتابة التي كانت مستعملة في أسبانيا فهي الفينيقية التي أصبحت أساساً للأبجدية السلافية والسيريلية واللاتينية والأوروبية الغربية^{٣٤٥}.



بارعة الجمال على قمة جبل مكلل بأشجار الصنوبر أو العرعر يحيط بها أسدان من الجانبين متوجهان بالنظر إلى خصبها (إلى ثديها العاريين) حيث تجسدت قوة الخصب على الجبل، وازدهرت فيه حياة النبات والحيوان، فدعي في بلاد وادي النيل وسوريا بـ (التل المزدهر)، فقد دعيت روح الخصب في هذه المرحلة أيضاً بـ (ربة الزهر أو الإزدهار) وبـ (وردة الخصب) و(عشتار الجبل)^{٣٤٦}.



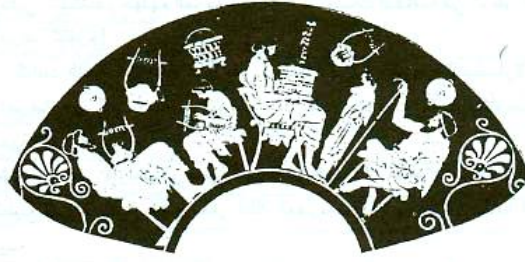
الأم السورية الكبرى عشتار بملابسها التقليدية الأوجاريتية، وترى وهي حاملة زهور الخشخاش أحد رموزها التقليدية، كما ترى (الميجانا) وسط الصورة التي تستخدم لدق الحبوب وثمر الزيتون والعنب، وقد عثر عليها في مسينا بإيطاليا^{٣٤٧}.

٣٤٥ - الحضارة الفينيقية في أسبانيا، يولي بركوفتيش تسيركن، ترجمة: د. يوسف أبي فاضل، ص ١٩٧، نقلاً عن:

تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.، ص ٧٥٠.

٣٤٦- تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، د. أحمد داوود، دار الصفدي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ٣- ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٣٦٢.

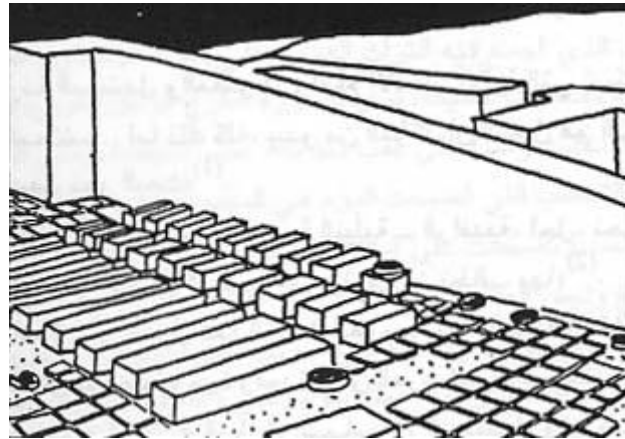
٣٤٧- تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، ص ٤٤١.



سوريون يعلمون الموسيقى في اليونان، وترى صورة القيثارات السورية الشهيرة التي بشكل رأس ثور، وصورة الدف أو الشخيلية معلقة، وهي على كوب فخاري يعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد ٣٤٨.



صورة لسفينة فينيقية على الإناء الذي دعي (إناء فرنسوا) وترى عليه الكتابة بالعربية الفينيقية: إلى اليمين (قايدي) وتعني القائد ٣٤٩.



صورة لمدرسة في ماري في سوريا، تعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد ٣٥٠.

-
- ٣٤٨ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.س، ص ٥٣٤.
 - ٣٤٩ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.ن، ص ٦٩١.
 - ٣٥٠ - تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- (المركز)، م.ن، ص ٧٥٥.

اللغة العربية هي الأم لجميع اللغات

عربي شمالي	سرياني	أكادي- بابلي- آشوري	أثيوبي	عبري
ذا- هذا	هباتا	أنو	ذي	ذه
ذه- هذه	هاذي	أنينو	ذا	ذوت
ذلك	هو	ألو	زكو	ههو
تلك	هاي	ألونو	إنتكو	ههي
أولاء- هؤلاء	هالين	أناكو	إنمو	إله
أنا	إنا	أنا	أنا	أنوخي-
أنت	ات	أتي	أنت - أنت	أني
أنت	أت	شو	واتو	أنا
هو	هو	شي	يأتي	أت
هي	هي	نيفو	نحن	هو
نحن	حن	أتن	إنتمو	هي
أنتم	أتون	أتين	أنتن	أنحن
أنتن	أتين	شُن	إمونتو	نحن
هم	هنون	شنا	إمانتو	أتم
هن	هنين	منو	منو	أتن
من	من	حنو	منت	هم
ما- ماذا	ما- مانا	-	-	هن
كيف	أيكنا	-	-	مي
أين	أتيكا	-	-	ما- مانا
كم	كما	-	-	أيخ
واحد	حد	أشتين	أحد	إحد
أثنان	ترين	شنا	كلي	اشنيم
ثلاث	ثلاث	شلس	شلاش	شالوش
أربع	أربع	إربا	أربع	أربع
خمس	حمش	خمش	خمس	حمش
ست	شت	شش	سسو	شش
سبع	شبع	سبي	سبو	شبع

ثمان	ثمانى	ثمان	ثمانى	ثمانى
تسع	تسعو	تشي	تسع	تسع
عشر	عشرو	إشر	عُسر	عشر
عشرون	عشرا	إشرا	عسرين	عشرون
رأس	رأس	رشو	ريشا	رأس
يد	أد	إدو	أيدا	يد
فم	إف	بو	بوماً	فم
أذن	إذن	أزنو	إذنا	أذن
أنف	أنف	إبو	أبي	أنف
سن	سن	شنو	شنا	سن
أب	أب	أبو	أبا	أب
أم	أم	أحو	إما	أم
أخ	إخو	أخو	إحنا	أخ
إبن	بن	بنو	بُرا	إبن
بعل	بعل	بيكو	بَعْلًا	بعل

قال رسول الله ﷺ: (الخلق كلهم عيال الله وأحب خلقه إليه أنفعهم لعياله)

إن الدليل الواضح البين في أن اللغة العربية هي الأم لجميع اللغات واشتراكها جميعاً بكلمات عربية واضحة وأن حرفها أو تعجيم لفظها إنما يأتي من التباعد والجفاء، اشتركت الأمم باللغة الأم والتي هي بلا شك اللغة العربية، وأقدم تلك الأمم وأمها العربية العاربة، وإن كانت الدول آنذاك غير ما هي عليه الدول التي بعدها. وأقدم جماعة مذكورة من العرب وعرفها القرآن الكريم هي قبيلة أو دولة عاد ٣٥١.

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ ﴾ (سورة الفجر ٦-٨)

﴿ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴾ (سورة النجم ٥٠)

٣٥١ - الحق والباطل بين الإنسان والإنسان في مسيرة الدهر، موسى شحادة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م، ص ١١٥ - ١١٦ و ص ١٣ و ص ١١٤ و ص ١١٦

مرونة اللغة العربية وقدرتها على التطور والاشتقاق

للعمل الاشتقاقي في اللغة العربية حركة حية دائمة حيث تلد للغتنا كل لحظة مولوداً جديداً، وتلي للأحياء أدق مطالب التعبير.

ولكن حركة الاشتقاق الدائمة تنشئ لمشتقاتها صيغاً مناسبة للمعنى والمبنى والفكر، ولا شيء أكثر شبيهاً بها من القوالب التي تصنع على مثالها السبائك الذهبية، ففي العربية ظاهرتان متعاكستان، وهما على تعاكسهما متداخلتان بل متكاملتان:

ظاهرة الحركة الاشتقاقية فيما تلده وتحويه، وظاهرة الصياغة القالبية فيما تسبكه وتبنيه، وكلتا الظاهرتين تعود على العربية بالغنى والثراء، وتبها القدرة على التطور والنماء^{٣٥٢}.

"لن يبقى فقير في مملكتي ولن يكون للعراة
وجود
وسأقضي على البؤس و العوز و الفاقة"

أسرحدون بن سنحاريب

* عظمة آشور



٣٥٢ - دراسات في فقه اللغة، تأليف: د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٨ - كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠، من مقال صيغ العربية وأوزانها، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

نشابه حركات الحروف في الأبجديات

تبدو الأبجديات العربية والبنغالية والإنجليزية مختلفة تماماً عن بعضها بعضاً، لكن الحقيقة أن سمات مشتركة عدة تجمع بينها، وربما تخبرنا دراسة هذه السمات المشتركة بين هذه الأبجديات وغيرها شيئاً عن حدود جهازنا البصري.

ولأن نسق حروف كل أبجدية يجب أن يكون سهل الكتابة، بل وأسهل في القراءة، فقد قرر مارك شانجيزي وشينيسوك شيموجو الباحثان في معهد كاليفورنيا للتكنولوجيا في باسادينا دراسة كيف يؤثر هذا النسق على عدد الحركات التي يحتاج إليها رسم الحروف المختلفة في الأبجديات. وقام الإثنان بدراسة ١١٥ أبجدية مختلفة، بداية من اللغات القديمة وحتى اللغات الحديثة، وقد وجدوا أن متوسط عدد الحركات لمعظم اللغات هو ثلاث حركات للحرف الواحد. يعلق شانجيزي على ذلك: (يبدو أننا نحب الرقم ثلاثة).

ويقول الباحثان إن ذلك ليس مصادفة، إذ يبدو أن هذا هو أكبر رقم يمكن لأدمغتنا أن تتذكره دون عد، وبالتالي فإن الأبجديات التي تتضمن حروفاً تحتاج كتابتها إلى أكثر من ثلاث حركات تصبح على نحو متزايد صعبة القراءة والكتابة..

ومن جهة أخرى، اكتشف الباحثان أن معظم الحروف في كل أبجديات الكتابة يمكن التعرف عليها عندما يكون جزء منها، أو حتى نصفها، مفقوداً، ويبدو أن الحركة الثانية أو الثالثة قد لا تكون أساسية، لكن ربما كانت هذه الحركة الإضافية مطلوبة لكي لا نسيء قراءة الحرف^{٣٥٣}.



٣٥٣ - مجلة العربي العلمي، ملحق علمي- العدد الحادي عشر- ربيع الأول ١٤٢٧هـ - أبريل ٢٠٠٦م، رقم سحري في كل الأبجديات، ص ١٣.

الجنود العربية

- ماري والإرث الثقافي العربي الشامل:

منذ اكتشاف مملكة ماري تل الحريري عام ١٩٣٣، لم تتوقف عملية التفاعل الحضاري مع النصوص الكتابية المسمارية التي اكتشفت فيها، فقد قام مجموعة من العلماء والباحثين الأثريين واللغويين بدراسة محتوى هذه النصوص، وترجموها إلى لغات عديدة، كانت نتائجها مذهلة على صعيد معرفتنا بحضارتنا القديمة في عصر هذه المملكة الرائعة قبل أربعة آلاف سنة من الآن.

لقد بدلت هذه الرُّقم الفنية الكثير من المفاهيم والنظريات المتعلقة بتاريخ سورية وبلاد الرافدين والعالم القديم في مجالات الاقتصاد والدين والفن والسياسة وعلم الاجتماع والفكر والفلسفة، وألقت هذه الرُّقم الضوء على تاريخ شمال بلاد الشام للمرة الأولى، وجعلته لا يقل مكانة وعظمة عن تاريخ سومر وآكاد وبابل وآشور، كما سمحت باكتشاف حضارة ممالك ومدن وأقاليم لم تكن معروفة قبل اكتشافات نصوص ماري الكتابية، ومن خلالها تم التأكد من خلود حضارة المشرق العربي واستقرارها الدائم في سورية منذ الألف الثالث قبل الميلاد، وهذا ما يؤكد الباحث الدكتور فيصل عبد الله في دراسة حديثه حول نصوص ماري السياسية: (لا يمكن أن نعزل حضارة ماري عن الإرث الثقافي العربي الشامل، فقد عاشت تطورها من خلال ألف سنة من التجارب، التي نجد فيها بدايات التكوين لثقافتنا الدينية المتنوعة، وكلما تعمقنا في دراسة نصوصها نكتشف المزيد عن غنى حضارتنا اليوم، التي تحتاج إلى دفع وتحريك باتجاه المستقبل من خلال العودة إلى أقدم الجذور)^{٣٥٤}.



٣٥٤ - مجلة المعرفة، وزارة الثقافة سوريا، العدد ٥١٢ - السنة ٤٥ - ربيع الآخر ١٤٢٧هـ - أيار ٢٠٠٦م، من كنوزنا الأثرية، ص ١، ع.١.

أصول السمو الثقافي

الثقافة متجذرة في الخصوصيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمعات البشرية وهي بحالة تفاعل وتثاقف وتعارف دائم بين الدول على مستوى الكوكب الأرضي، ولكي تسمو هذه الثقافة المتجذرة في شبكة العلاقات الاجتماعية ينبغي أن تتصف بالسمات التالية:

١. حق إنساني وغاية في التخطيط التنموي الشامل، بحيث لا يتم تطوير البنى الاجتماعية والاقتصادية إلا بالاستناد إلى تخطيط ثقافي يحدد الأهداف المستقبلية وآفاقها.

٢. التراث الحضاري العربي الإسلامي، يشكل الركن الأساسي في تكوين الثقافة العربية.

٣. ديمقراطية الثقافة، باعتبار أن الثقافة تنبع من الجميع، ولأنها الزاد الفكري والروحي للجميع.

٤. عصريّة الثقافة، بمعنى تحديد الثابت والمتغير في الثقافة العربية الحالية، واستيعاب تيارات العصر، ومواكبة تحولاته تحديثاً وانفتاحاً، مع الحفاظ على الأصالة والهوية.

٥. إنسانية الثقافة وعالميتها، وهذا يعني متابعة تقاليد الفكر العربي في التفاعل مع الثقافات الأخرى.

٦. مسؤولية الدولة ومؤسسات القطاع الخاص في التخطيط الثقافي الشامل من منطلق أن السياسات الثقافية هي مجمل الإجراءات والآليات التي تقوم المؤسسات والهيئات المعنية بالنهوض بالتراث الثقافي وحمائته وتنمية التعبيرات الفنية والإبداعات المختلفة.

٧. تعنى السياسة الثقافية بالأنشطة والصناعات الثقافية في مراحلها المتعددة، وتهدف إلى بناء خطة وطنية للنهوض بالتنمية الثقافية، وإسهام شرائح المجتمع كافة في الحياة الثقافية..

فالساسة الثقافية يجب أن تنطلق من تخطيط ثقافي شامل، وهنا يبرز دور التخطيط المستقبلي الإبداعي الذي يجب أن يتصدى للمهمة الصعبة في إقامة التوازن بين التأثير والأصالة، بالعمل على استيعاب التطورات التقنية جميعاً على أسس إبداعية لا تقليدية، وأن يحقق التحولات الثقافية من خلال سمات الحضارة العربية الإسلامية والحفاظ على الهوية الثقافية^{٣٥}، ضمن منظومة عمل متطورة تملك منهجية نقدية عملية تهدف إلى بناء مستقبل مشرق تنسجم فيه عوامل قوة المجتمع والحضارة من إيمان وإبداع ومعرفة وثقافة وتنمية وطموح دائم.

٣٥٥- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة سوريا، العدد ٥١٢- السنة ٤٥- ربيع الآخر ١٤٢٧هـ- أيار ٢٠٠٦م، التنوع والسياسات الثقافية، رئيس التحرير: علي القيم، ص ١٣- ١٤.

اللغة هي عالمي وهويتي

إن اللغة هي الهواء الذي نتنفسه فاللغة هي الذات وهي الهوية، وثقافة كل أمة كامنة في لغتها، كامنة في معجمها ونحوها ونصوصها، واللغة- بلا منازع- أبرز السمات الثقافية، وما من حضارة إنسانية إلا وصاحبها نهضة لغوية، وما من صراع بشري، إلا ويبطن في جوفه صراعاً لغوياً، حتى قيل إنه يمكن صياغة تاريخ البشرية على أساس من صراعاتها اللغوية.

- مفهوم الهوية:

في كتابه (تلخيص ما بعد الطبيعة) يقول فيلسوفنا الكبير ابن رشد: (إن الهوية تقال بالتزادف للمعنى الذي يطلق على اسم الموجود، وهي مشتقة من الهو، كما تشتق الإنسانية من الإنسان).

وهو بهذا يعود بنا إلى مفهوم الهوية أو الذاتية في منطق أرسطو باعتبارها تماثل الشيء مع ذاته، فألف هي ألف وليست لا ألف- ولهذا نرى في (التعريفات) للجرجاني (أن الهوية هو الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأعيان)، والامتنياز هنا بمعنى الخصوصية والاختلاف، لا بمعنى التفاضل، ولعل ابن خلدون قد استطاع أن يبرز هذا المعنى أكثر وضوحاً بقوله في المقدمة (لكل شيء طبيعة تخصه)، وعلى هذا فانتقاء خصوصية الشيء هو انتقاء لوجوده ونفيه^{٣٥٦}.



٣٥٦ - مجلة المعرفة- دمشق، العدد ٥١٢- السنة ٤٥- ربيع الآخر ١٤٢٧هـ - أيار ٢٠٠٦م، لغة الطفل والهوية الوطنية، صديق فضله، ص ٢٧٥- ٢٧٦ (بتصرف).

ظاهرة الاستخدام اللغوي المزدوج للغة العربية

في الأندلس

- في جواب الدكتور محمود مكي على سؤال : ألا يضعف الاستخدام اللغوي

المزدوج اللغة العربية في الأندلس ؟

الأمر كان على العكس تماماً فظاهرة الازدواج اللغوي لا تعني بحال من الأحوال ضعفاً في عربية الأندلس، بل على العكس فهي من ظواهر الرقي والتميز والانفتاح، لا تشارك الأندلس فيها إلا مناطق من فارس وخراسان، حينما كان الكثيرون من العلماء يستخدمون العربية والفارسية على مستوى واحد من الإجابة، ومن الطريف بهذه المناسبة أن نشير إلى العالم الأندلسي محمد بن أحمد الرقوتي الذي كان مستشاراً للملك القشتالي ألفونسو العاشر الملقب بالحكيم وكان يلقي دروسه على الطوائف الثلاث المسلمين والمسيحيين واليهود، مخاطباً كل طائفة بلغتها.

أما نصارى الأندلس الذين كانوا يؤلفون جزءاً من المجتمع العربي الإسلامي فإنهم أقبلوا على تعلم العربية واصطناع عادات معاشيهم من المسلمين وثقافتهم، حتى إنهم سمو أنفسهم " مستعربين " ومما يؤكد ذلك شهادة واحد من أعتى خصوم الإسلام هو ألبارو القرطبي (الذي عاش في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي) إذ يقول:

(إن من المؤسف أن إخواننا المسيحيين لم يعد أحد منهم قادراً على أن يكتب رسالة لأخيه في لاتينية " فصيحة "، على حين أنه كان يجيد الكتابة بالعربية، بل وينافس المسلمين في التمكن من أدبهم شعراً ونثراً).

ولسنا نجد مبالغة في هذه الشهادة، فقد ترجمت كتب الصلوات المسيحية والقوانين الكنسية إلى العربية تلبية لحاجة هؤلاء " المستعربين " وتصدرت هذه الترجمة أبيات من الشعر العربي، واللاتينية التي يشير إليها " ألبارو " القرطبي ويعبر عن أسفه لأن إخوته في العقيدة قد نسوها هي اللغة الفصيحة، أما لغة الخطاب الدارجة، فقد أصبحت تراثاً مشتركاً بين المسيحيين والمسلمين، وهي التي نرى شواهد كثيرة لها في الأجزاء الأندلسية وفي الخرجات العامية للموشحات^{٣٥٧}.

٣٥٧ - مجلة الكويت، تصدرها وزارة الإعلام الكويت، العدد ٢٧١، ٣ ربيع الآخر ١٤٢٧هـ - ١ مايو ٢٠٠٦م، حوار مع د. محمود مكي: أندلس الحضارة والإنجازات، عبد الله بدران، ص ٢١.

أكاذيب وأساطير التوراة

إذا كان الغرب يدعي انتسابه للمسيحية ولاسيما البروتستانتية منه ويدعي أن التوراة أو العهد القديم هو الكتاب المقدس المعول عليه في تفسير الماضي والمستقبل فإن المقارنة بين التوراة والقرآن الكريم تزيل الغشاوة عن أعينهم، وتبين أن هذا الكتاب الذي اعتمده أساساً دينياً لرؤيتهم العقيدية ما هو إلا كتاب غير مقدس يعج بالأسطورة والوثنية والترهات والسحر والشعوذات بل هو يعج بالانتهاكات الأخلاقية السافلة^{٣٥٨}.

- يرد في سفر التكوين:

(وابتداءً نوح يكون فلاحاً وغرس كرمًا، وشرب من الخمر فسكر وتعري داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً فأخذ سام وياث الرءاء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الورا وستر عورة أبيهما ووجههما إلى الورا فلم يبصرا عورة أبيهما فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير. فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته، وقال مبارك إله سام وليكن كنعان عبداً لهم وليفتح الله لياث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم)^{٣٥٩}.

يقول جورج كنعان (وجاء الأب الأول نوح الناطق باسم يهوه يوزع البركات واللعنات بين أبنائه بعد ليلة سكر ودعر، يجلل واحداً بالسيادة ويصم آخر بالعبودية وكأن الإحساس الإنساني نضب في صدر الإنسان الأول بعد الطوفان فكانت اللعنة الأولى باعثاً للعداء والحقد العنصري..

ففي العائلة البشرية الأولى بعد الطوفان يبدأ نوح كما أراد له الكاتب العبري العنصري بلعنة أحد أبنائه ومباركة آخر، ويصنف أبنائه بين ملعون يبقى عبداً لأخيه ومبارك يبقى سيداً لأخيه. فنوح العنصري يلعن باسم يهوه أبا الكنعانيين ويبارك أبا اليهود)^{٣٦٠}.

في القرآن الكريم لم ترد قصة لعنة نوح، ولما جاء القرآن جامعاً لكل شيء إن كان بالتصريح أو بالرمز أو الإشارة فإن عدم إشارته لحادثة اللعنة تثبت أن اليهود لفقوا وحرفوا واخترعوا ما يناسب أهواءهم، وقصة اللعنة مخترعة من أساسها أضافها الكاتب اليهودي في عصر احتدام الصراع بين الغزاة العبرانيين وأصحاب الأرض الفلسطينية الكنعانية^{٣٦١}.

أما الدراسات التاريخية والكشوف الأثرية فقد رفضت مقولة إن كنعان هو ابن حام.

٣٥٨ - القرآن والتوراة، أين يتفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش، ج ١، الخلق الكوني والتاريخ الإنساني، مقارنة الأديان ١، دار قنينة، سورية- دمشق، ط ٢- ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م، مقدمة الجزء الأول، ص ١٤.

٣٥٩ - القرآن والتوراة، أين يتفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش، ج ١، م.ن، ص ٩١.

٣٦٠ - العنصرية اليهودية، جرجي كنعان دار النهار- بيروت، ط ١، ١٩٨٣، ص ٤٣. نقلاً عن:

القرآن والتوراة، أين يتفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش، ج ١، م.ن، ص ١٠٠.

٣٦١ - القرآن والتوراة، أين يتفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش، ج ١، م.ن، ص ١٠٠- ١٠١.

وقد أكدت أن الكنعانيين هم عرب جاؤوا من جنوب شبه الجزيرة العربية في حوالي عام ٣٠٠٠ ق.م حيث لم يكن في هذا الوقت عبرانيون على أرض الوجود، ومسألة كون كنعان بن حام هو حفيد نوح مسألة تخص التوراة وحدها والتزوير وحده، ولا علاقة لهذه المسألة بالمنطق التاريخي العلمي أو الأسطوري الميثولوجي، ثم ليس ما يثبت أن لنوح ثلاثة أولاد هم سام وحام ويافت.

وإلى جانب رفض الدراسات التاريخية فإن القرآن الكريم يرفضها كما أوردنا سابقاً.

إن كلمة سام والشعوب السامية مصطلح ملفق وكاذب وحاقد، أطلق في القرن الثامن عشر والذي أطلقه المؤرخ والباحث النمساوي (تسلوتسر) عام ١٧٨١ مستنداً في ذلك على التوراة المحرف..

وقد أكد الدكتور جواد علي في كتابه (تاريخ العرب قبل الإسلام أن مصطلح شعوب سامية مصطلح مبهم بينما مصطلح شعوب عربية أقرب إلى المنطق العلمي لأن هذه التسمية ملموسة المفهوم.

وقد أطلق اليونان والرومان اسم العرب على سكان الجزيرة العربية منذ الألف الأول ق.م أي قبل نشر مصطلح شعوب سامية بحوالي ٢٠٠٠ عام.

وليس مصادفة إذ أن يختار اليهود أرض كنعان العربية ليستعمروها ويستوطنوها، فبعد صب لعنة نوح على حفيده صار اليهود ينسجون القصص والأقاويل حول انحطاط سكان فلسطين من العرب الكنعانيين وما زالت هذه النظرية تمارس إلى اليوم^{٣٦٢}.



٣٦٢ - القرآن والتوراة، أين يتفقان وأين يفترقان؟ حسن الباش، ج ١، مصدر سابق، ص ١٠٤.

علم اللغات المقارن يؤكد..

اللغة العربية هي اللغة الأم

أن المقارنة بين الألسن: الأكادي (البابلي الأشوري) والكنعاني والآرامي والعربي، تقدم الدليل الساطع على أن هذه الألسن تفرعت عن لغة واحدة تكلم بها مجتمع واحد قبل أن يتفرق في مناطق مختلفة، وقد أدرك الخليل بن أحمد (القرن الثامن الميلادي) هذه الحقيقة في وقت مبكر من العهد الإسلامي، فقال في كتابه العين: (وكان الكنعانيون يتكلمون بلغة تضارع العربية)، وأدركها ابن حزم الأندلسي أيضاً.

قال في كتابه "الأحكام في أصول الأحكام": (إن الذي وقفنا عليه وعلمنا يقيناً أن السريانية الآرامية الكنعانية والعربية، لغة واحدة، تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرس كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نعمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نعمة الأندلس، ومن الخرساني إذا رام نعمة أهلها، وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها بدلاً لا يخفى على من تأمله). وأضاف (ومن تدبر العربية "الكنعانية والسريانية" الآرامية "أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل).

ويقول المستشرق كارل بروكلمان^{٣٦٣}: (الاعتراف بأن هذه اللغات "والصحيح الألسن" تكون مجموعة واحدة يؤدي إلى الاعتقاد بأن الأقوام التي تكلمت بهذه اللغات كانت متحدة في وقت ما عبر التاريخ). ويضيف: (اللغات التي ظهرت لنا في العصور التاريخية في صور لغات مستقلة، لم تكن غير لهجات "ألسن" لغة واحدة).

وقد عبر البرايت^{٣٦٤} عن وجه الشبه بين ألسن المجتمعات في العربية الجنوبية وبين ألسن المجتمعات في سوريا الشمالية الغربية، بقوله: (إن ألسن السبئيين والمعينيين تشبه إلى حد بعيد اللسان الكنعاني كما يتضح في نصوص أوغاريت)، وفي المقابل عبر لانغدن عن وجه الشبه بين ألسن المجتمعات في العربية الجنوبية وبين ألسن المجتمعات في سوريا الشمالية الشرقية، بقوله: (إن اللسان الأكادي قريب جداً إلى أغصان العربية الجنوبية: الحميري والسبائي والمعيني)^{٣٦٥}.

والخلاصة أن الاصطلاح "اللغة أو اللغات السامية" الذي يتشدد به المؤرخون واللغويون العرب، من باب الغلط الشنيع، تشبهاً بأساتذتهم الحاقدين المستشرقين، هو في الحقيقة ألسن متفرعة عن دوحه واحدة، قامت أو توزعت على أساس من التوزيع الجغرافي لمواطن المجموعات البشرية، ثم بدت تأثيرات البيئة في ألسن

٣٦٣ - Berlin 1923، Syrische Grammatik، C. Brockelman

٣٦٤ - Baltimore 1956 P. 56، Archaeology and the religion of Israel، W.F. Albright

٣٦٥ - N.Y. 1964 P. 16، Vol. V. by S.H. Langdon، The Mythology of all races

المهاجرين، هي ألسن تجمع بينها وجوه شبه كثيرة توحى بوحدة الأصل لها جميعاً، وبأنها كانت في غابر الأزمان لساناً واحداً أي لغة واحدة، دعوناها لغة عروبية (وليس سامية حسب المصطلح العربي) لأنها لغة عربية سورية قديمة، وتعرضت هذه اللغة العروبية الأم لتطويرات وتبدلات وتغيرات بظروف الزمكان الموضوعية و تمازج الثقافات والشعوب والحضارات، في الجغرافيا وتنوع اللهجات المحلية حتى وصلت إلينا بمستوى اللغة العربية الفصيحة وهي اللغة التي حفظها القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين.

والجدير بالملاحظة في هذا المجال أن الظواهر المشتركة في الألسن السورية العربية هي ظواهر موروثية عن اللغة الأم، يصدق هذا على الأصوات والأبنية الصرفية وعلى أبنية الجمل وعلى المفردات، ففي مجال الأصوات لاحظ علماء اللغة أن هذه الألسن تضم مجموعة أصوات لا توجد في غيرها من اللغات، وهي: أصوات الحلق (تخرج من الحلق) مثل العين والغين والحاء والحاء.

وأصوات الإطباق مثل القاف والطاء والصاد والضاد، وهاتان المجموعتان توجدان بدرجات متفاوتة في الألسن السورية العربية، ولا يخلو لسان من عدد منها، فالحاء مثلاً في الكنعانية تمثل الحاء والحاء في العربية. والصاد في الكنعانية تمثل الصاد والضاد والطاء في العربية.

واللسان الأكادي فقد أكثر أصوات الحلق لاتصال أصحابه بالسومريين.

أما العربية الشمالية فقد احتفظت بالمجموعة كاملة، ومن هنا كان اعتبارها أصدق تعبيراً عن اللغة السورية العربية الأم^{٣٦٦}.. وهذه الألسن تشترك أو تتقارب في أمور أساسية من جوهر اللغة، منها مثلاً:

١- أن الجذر فيها ثلاثي الأحرف، ومن هذا الجذر تصاغ الألفاظ المعبرة عن المعاني المختلفة بتغيير الحركات أو بإضافة حرف أو أكثر.

فالحروف الثلاثة ك ت ب مثلاً هي الجذر، يصاغ منها: كتب- يكتب- كاتب- مكتوب- كتابة.. طائفة من الصيغ الفعلية والأسمية.. والمعاجم العربية لا ترتب حسب الكلمات المفردة كما هو الشأن في معاجم اللغات الأوروبية مثلاً، ولكن حسب الجذور، فكلمة مكتب لا ترد في باب الحرف م وإنما في باب الحرف ك.

٢- وأن الضمائر فيها متشابهة اللفظ والمعنى.

٣- وأن تصاريف الأفعال فيها تجري على نسق واحد.

٤- وأن بناء الجملة أو تركيب الجمل فيها متماثل.

٥- وأن عناصر المفردات، وهي كثيرة متشابهة، وكذلك أسماء أعضاء الجسم مثل عين رجل يد شعر أذن رأس.. والأعداد من ١ - ١٠ والألفاظ الدالة على لعلاقات الأساسية في الأسرة: أب، أم، أخ، أخت، حم.

٣٦٦ - علم اللغة العربية، محمود فهمي حجازي، الكويت، ١٩٧٣، ص ٣٥٤.

والألفاظ الدالة على أشهر السنة..

٦- وأن كلاً من اللسانين الآرامي والكنعاني يتكون من اثنين وعشرين حرفاً، ويكتب من اليمين إلى الشمال، والترتيب واحد في اللسانين: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت، والملاحظ أن اللسان الأكادي هو أهم الألسن السورية العربية.. فهو أقدم لسان سوري عربي دون.

ولهذا يعتبر وجود أي ظاهرة لغوية في الأكادية والعربية دليلاً على كون الظاهرة موروثاً عن اللغة السورية العربية الأم.

من ذلك مثلاً أن للأسم في الأكادية حالات إعراب على نحو ما نعرف في العربية:

رفع ونصب وجر، والميم التي ينتهي بها بعض الصيغ في اللسان الأكادي وفي غيره من الألسن السورية العربية، تقابل التنوين في العربية، وحرف الميم والنون شقيقان، وقد ينوب أحدهما عن الآخر لتقارب مخرجهما من الفم لدى النطق.

فالألسن السورية العربية كلها تتشابه بعضها مع بعض، والألفاظ العامة مشتركة بين المجتمعات السورية العربية جميعاً، وليس ثمة فضل للغة على لغة، ولا للسان على لسان، ولا أسبقية وضع لهذا القوم دون القوم الآخر^{٣٦٧}، وإذا كان هناك من اختلاف بين هذه الألسن فمرده إلى تصرف المتكلمين بها تصرفاً يختلف باختلاف البلدان والقبائل والبيئات والأهوية، فلكل زيادة أو حذف أو قلب أو إبدال أو صيغة معناة أو غاية أو فكرة، ثم جاء الاستعمال فأقرها مع الزمن على ما أوحته لهم الطبيعة أو ساقهم إليه الاستقراء.

والواقع أن أوجه المشابهة بين البابلية الآشورية والكنعانية والآرامية والعربية واضحة جداً، وأشد وضوحاً التشابه بين الكنعانية والعربية والآرامية، فقد تتفق معاني الألفاظ كل الاتفاق، وقد تبعد قليلاً، وهذا ما لا بد منه بعد نزوح الدار واختلاف العادات والتقاليد وتغير الأهواء والأجواء إلى غير ذلك من الأمور التي تؤثر في المرء تأثيراً لا يمكن انكاره.

أما الألفاظ العامة المشتركة بين الكنعانية والعربية فهي كثيرة جداً إلى درجة حدث بعضو الجمع العلمي الفرنسي المؤرخ كلود شايفر إلى القول عن الأوغاريتية " إنها تؤلف أقدم مصدر للغة العربية"^{٣٦٨}.

ـ أبو منصور الثعالبي النيسابوري

واللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي
مر بها يتميزن

٣٦٧ - الأب انستاس ماري الكرملني- نشوء اللغة العربية- القاهرة ١٩٣٨، ص ٣٥٤.

٣٦٨ - IZZ- al- Din Alyasin ١٩٥٢ P.5.٠ The Lexical relation between Ugaritic and Arabic

- فمن أمثلة الألفاظ العامة المشتركة بين الأكادية (البابلية الآشورية) والعربية
نذكر ٣٦٩:

عربي	أكادي	عربي	أكادي	عربي	أكادي
يد	ايدو	بنى	بنو	أب	أبو
يوم	أومو	بيت	بيتو	أكل	أكلو
كرش(بطن)	كرشو	جمل	جملو	أرض	أرصو
طيب في المحكمة السورية	طبو	شقل	شقل	لبس	لبشو
دان (حكم، قضى)	دانو	اسم	شومو	موت	موتو
الأوار في العربية	أور (بضئ)	السماء	شامو	ملك	ملكو
		ذفن	زقنو	نصر	نصرو

وإذا شئت المزيد من الشواهد فدونك القاموس الآشوري بمجلداته الضخمة والمتعددة، وهو للأسف الشديد غير متوفر في أي جامعة سورية أو عربية.

- ومن أمثلة الألفاظ العامة المشتركة بين الأوغاريتية والعربية نذكر - (ياسين
المرجع السابق):

الأوغاريتية	العربية	الأوغاريتية	العربية	الأوغاريتية	العربية
آخر	أخير	مت	موت	أب	أب
أخ	أخ	زح	روح	بن	بين
طل	طل (ندى)	زت	زيت	حلب	حليب
طبخ	طبخ	خنزر	خنزير	جد	جدي
حطب	حطاب	حظ	حظ	در	دار
حنط	حنطة	لحم	لحم	حدث	حديث
ظل	ظل	ملحمة	ملحمة (معركة)	ولد	ولد
قيظ	قيظ	تحت	تحت	هلك	هلك
عظيم	عظيم	خط	خاطئ	مهر	مهر (للعرس)
أحد	أحد	يمن	يمين	عور	أعور
بكر	بكر (الولد الأول)	بكى	بكي	قم	قام
دق	دق	بن	ابن	أن	أين
هلل	لهل	بنو	بنى	أكل	أكل
هلم	هلم	بعد	بعد	أمت	أمت (عبد)
وزن	وزن	بعل	بعل	أم	أم
ولد	ولد	بعر	بعير (الجمال)	أمد	أمد
حو	حي (حياة)	برح	برح (ترك)	أمر	أمر
حيل	حول (قوة)	برك	بارك	أن	أنا
حكم	حكيم	برق	برق	أنث	أنثى
ثر	ثور	بشر	بشر	أرز	أرز

أتان (أنثى الحمارة)	اتنت	بتول	بتلت	دن	دن
بئر	بير	جاور	جور	دم	دم
بان (وضح)	بين	جال (يجول)	جيل	دمع	دمع
بيت	بيت	دك	دك		

والمخجل المزري هو تقصيرنا في وضع معجم أوغاريتي عربي، أو كنعاني عربي.

والأشد خجلاً والأكثر زراية هو جهلنا أو تجاهلنا لأطروحة عز الدين ياسين " الصلات اللغوية بين الأوغاريتية والعربية " المطبوعة في نيويورك ١٩٥٢.

وما يدعو إلى الدهشة والاستنكار أن القواميس التي وضعت في واحد من أهم ألسنتنا (الآرامية) من مثل: (القاموس السرياني الفرنسي والقاموس السرياني الإنجليزي وقاموس اللهجات السورية العامية والقاموس السرياني) غير متوفر في أي جامعة عربية، وباختصار، عن إطلاق الأحكام القاطعة من مثل: أن هذه اللغة أقدم من تلك، أو أقدم مصدر لها، أو أن هذه اللفظة هي من تلك اللغة وليست من هذه، أو فيه الكثير من ضحالة الوعي وقلة التبصر.

وكان ابن حزم الأندلسي أكثر وعياً وأشد تبصراً من اللغويين المعاصرين في الغرب والشرق حين قال: (إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية الآرامية الكنعانية والعربية لغة واحدة).

وأضاف: (فمن تدبر هذه الألسن أيقن أن اختلافها إنما هو من تبديل ألفاظ الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وإنما لغة واحدة في الأصل) ٣٧٠.

وينبغي أن نلاحظ مواطن التقارب والاختلاف، لا مواطن الأخذ والاقْتباس، لأن ما يدعونه لغات هو ألسن متفرعة من لغة واحدة، لم يأخذ أو يقتبس لسان عن آخر، وإنما هناك تقارب أو اختلاف بحسب عوامل البيئة، يضاف إلى ذلك أن هذه الألسن وصلتنا مكتوبة في صور رموز كتابية، غابت منطوقاتها مع الزمن، وتعددت بتعدد المجموعات الناطقة بها، الذين تباعدت بهم هجراتهم عن مواطن اللغة الأم.

وما طرأ على هذه الألسن من اختلاف مرده إلى تبدل الألفاظ على ألسنة الناس على طول الأزمان واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وهذا ما نلاحظه مثلاً في اللسانين العربي والكنعاني، ومن أمثلة ذلك:

١- أن حرفي العين والحاء في العربية يقابلهما أحياناً ألف مهموزة في الكنعانية، مثلاً حفّ (حففّ) في العربية يقابلها أفّ في الكنعانية، عروس في العربية يقابلها أروس في الكنعانية..

٢- وفي المقابل فإن الألف المهموزة في العربية يقابلها أحياناً عين في الكنعانية:

ف" جأر " في العربية يقابلها " جعر " في الكنعانية. (لاتزال كلمة جعر في المحكية السورية).

٣- وأن حرف القاف في العربية يقابله أحياناً كاف في الكنعانية:

٣٧٠ - الأحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، ص ٦٨.

فقرطاس في العربية يقابلها كرتيس في الكنعانية.

وفي المقابل فإن الكاف في العربية يقابلها أحياناً قاف في الكنعانية.

فباكر في العربية يقابلها بوقر في الكنعانية، ومن أمثلة ذلك أيضاً أن الأحرف س ش ث ز ص يمكن أن يحل الواحد منها محل الآخر بحسب اللسان والبيئة، وكذلك الأمر في: اللام والنون والميم، الهاء والعين والألف المهموزة، الباء والفاء والواو، الحاء والخاء والعين والغين والجيم والهاء، الجيم والغين والكاف والقاف والطاء، الكاف والقاف والخاء، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها:

عربي	كنعاني	عربي	كنعاني	عربي	كنعاني	عربي	كنعاني
آذار	ادار	قناء	قسو	أخطأ	حطا	ورث	يرش
أحب	أهب	قسوة	قشي	خطف	حطف	كذب	كذف
أخ	أح	ذبح	ذبح	خلص	حلص	كتب	كتف
آخر	آحر	ذكر	زكر	خمس	حمش	سأل	شأل
أصم	أطم	صغير	زغير	خنق	حنق	أسبوع	شبوعا
أرض	أرص	خبط	حبط	خرط	حرط	سبح	شبح
بيضة	بيصا	خدر	جدر	حرث	حرش	سبيل	شبيلا
جسر	جشر	حدث	حدش	طباخ	طباح	سبعة	شبعأ
دغدغ	دجدج	خبط	حوط	ظلف	طلف	السبت	شبت
لبس	لبش	أحس	حش	ميراث	يروشا	ضحك	سحك
قاسي	قشي	خاتم	حوتم	ذفن	دقن	زرع	درع
سطح	شطح	أخذ	خد	درس	درش	اسم	شم
سكن	شكن	سخن	سخن	حبس	حبش	أنف	أنب
سكر	شكر	الف	الب	اسم	شم		

والجدير بالذكر أن هذا التناوب بين الأحرف في اللسانين العربي والكنعاني، يسري على اللسان الآرامي أيضاً ذكرنا أن اللغة الآرامية ظلت اللغة السيدة في الشرق المتوسطي، بالإضافة إلى بعض آسيا الصغرى ومصر وبلاد فارس، منذ القرن التاسع ق.م. إلى القرن السابع ب.م. يعني أنها ظلت اللغة اليومية لسائر أنحاء سوريا الطبيعية قديمة، تعود في أصولها إلى اللسان الآرامي، ولا تزال آثار اللسان الآرامي ماثلة في اللغة المحكية في سوريا، ومن ذلك مثلاً:

١- من القواعد النحوية المعتمدة في العربية أن الفعل المتقدم على فاعله يبقى في حالة الإفراد، جاء الطالب وجاء الطلاب، بخلاف القاعدة الآرامية التي تقضي بالمطابقة بين الفعل والفاعل في الإفراد والجمع، ولا تزال هذه القاعدة الآرامية سارية في لغتنا المحكية.

نقول مثلاً (إجو الشباب)، ويقول الولد لأمه (ضربوني الأولاد)، وهذا اللسان منتشر كثيراً بين تلاميذ المدارس في سوريا الوسطى والغربية بفعل نشأتهم البيئية على اللغة المحكية ذات الأصول الآرامية.

وقد انتبه النحاة العرب الأقدمون إلى هذا التأثير الناتج عن احتكاك العربية بالآرامية في الحيرة وأعالى الحجاز، وسموه لغة " أكلوني البراغيث " .

٢- في الآرامية يتعدى الفعل المتعدي إلى مفعوله بواسطة حرف الجر (اللام) وفي اللغة المحكية يقال: (شفتو للصبى، ضربتو لحيك، سمعتو للولد..). وهذا ما لا تجيزه قواعد العربية.

٣- الأسماء والصفات على وزن فاعيل في العربية، ترد مفتوحة الفاء في المحكية، طبقاً للأوزان الآرامية، تقول في الفصحى قَدَّيس وفي المحكية قَدَّيس. وفي الآرامية قديشاً، ومثل ذلك في تينين.

٤- يصاغ اسم الآلة في العربية الفصحى على وزن مَفْعَل، ويحرف في المحكية إلى مَفْعَل المطابق للوزن الآرامي، نقول في الفصحى مَلْقَط وفي المحكية مَلْقَط وفي الآرامية مَلْقَطَا.

٥- تصاغ النسبة في العربية الفصحى عادة بإلحاق ياء مشددة في آخر الكلمة، وفي الآرامية بإلحاق (أ ن ي)، ومن بقايا ذلك في اللغة المحكية: روحاني بدلاً من روجي.

٦- علامة التصغير في العربية هي ياء ساكنة بعد ثاني حرف في الاسم.

فتقول في تصغير درهم: دريهم، وعلامة التصغير في الآرامية هي (أنا)، لا تزال ماثلة في المحكية، ومن ذلك كلبون (الكلب الصغير تستعمل للطفل بقصد التحبب)، شلفون بمعنى الشاب الصغير، بيتون أي البيت الصغير.

٧- وأثر الآرامية واضح في الضمائر، نقول في الفصحى نحن وهم.

وفي المحكية: نحنا، وهني طبقاً للآرامية.

٨- قلب الميم نوناً في ضمير المخاطبين والغائبين، نقول في الفصحى أبوكم وبيتهم.

وفي المحكية أبوكن وبيتهن، وهذه خاصة من خواص الآرامية.

٩- ليس في الفصحى وزن فوعل، ولكنه شائع في الآرامية، وكذلك في المحكية، نقول حورك ودقر (أوصد الباب).

١٠- التأثير الصوتي في التلفظ، من ذلك تسكين المتحرك الأول في المحكية: كبير صغير، وتسكين المتحرك في وسط الكلمة: رزقتك - حرمتك - غلتك.. بدلاً من رزقتك - وحرمتك - وعلتك..

وتسكين ثاني المتحركين المتلاحقين: قصبه - شركة بدلاً من قصبه - وشركة.

ومن ذلك أيضاً إشباع الحركة في صيغ الأمر من الأجوف، بينما تقضي قواعد اللغة بقصرها: بيع، روح.. بدلاً من بع، رُح..



- ومن دوائر الآرامية في اللغة المحكية نقتطف الكلمات الآتية ٣٧١:

- واوا (قول الأم لصغيرها ردعاً له وتخويفاً من أن يمسه شيئاً يؤذيها).
شكارة (بقعة صغيرة من الأرض يستعيرونها دلالة على قلة الشيء المحكي عنه).
بعط (قول الأم لوليدها: حاج تبعط، كفاً له عن الحركة والمرح في غير وقتها).
الله يخرب كوشته (الله يحرقه مع لفيف زمرته ومريديه. الكوشة: الكومة).
قولهم نَقَصت عيونُه (انتفضت شرايين عينيه لكثرة اجتهاده لنفسه).
عفارة الكرم وعفارة الحقل (الخصاصة أي ما بقي في الكرم أو الحقل بعد قطافه وحصاده).
شَلَف (خطف وأخذ عنوة. تقال لمن يخطف فتاة ليتزوجها).
بَحْ (قول الأم لوليدها عن نفاذ الشيء المطلوب). كعيت (قولهم لمن عجز عن إتمام العمل).
قولهم دعاء لموتاهم: الله ينجيهم وينج نفوسهم (أراحه). كربل (للدابة لفّ الحبل حول ساقها).
شَمَطَ يشمط (اقتلع، قول الأب لصغيره: بشمطك ديناك). انقطع حيله (خارت قواه وذهبت قدرته).
الشربوكة (الشرك والأحبولة تقال في صعب الأمور). قرقرش يقرقرش (الحمص).
قول الفلاح لجاره: زرعاتك دليلين (متفرقين). كبّس الكر والمهر (روض وطيع).
شَقَى يشقى الشجرة أو العصا (جلا ونحف). كرز (وعظ).
يتبخر (يتروى. تفحص الأمر جيداً). بحش الأرض (حفر).
كعر كعره (صاح به وانتهزه زاجراً). عكّ يعكّ (دفع وصدم).
دلف بيتنا ونزل فيه الدلف (رشح). جرجر (جرّ وسحب).
فرط الثمر وفرط السنبله (نثر). فقّيع (للتين). شحل (الدالية).
شحط يشحط (طرد) نطّ (الحائط). طمّش (عينيه).
فشط وشفط (اختلق الأكاذيب). عدّان (للسقي).
طلعت هبلة الماء (البخار إذ يسخن الماء). رصّ يرصّ الزيتون (رضّ).
جهجه الضوء (انبلج الصبح وأضاء). فرفظ وفرافيط الخبز (الفتات).

رَصَّه لَكَمَةً (لَكَمَهُ بِجَمْعِ كَفِهِ).
حَوْتِكَ (طَافَ وَدَارَ).
مَلَشَ (نَتَفَ الشَّعْرَ وَنَتَشَهُ).
زَيْحَ (ابْتَعَدَ).
شَقَّفَ الرِّغِيفَ وَالْحِجَارَةَ (كَسَّرَ).

دَنَدَلَ (عَوَضاً عَنِ دَلِّي).
عَبِي (لِلشَّجَرِ وَالزَّرْعِ).
دَقَرَ يَدَقِرُ (لَمَسَ يَلْمَسُ).
زَوْمَ (الْأَكْلَ أَوْ الثَّمْرَةَ).
بَشَطَ عَلَى الْأَرْضِ (انطرح وتسطَّح).

الأمثلة كثيرة، نكتفي بهذا القدر^{٣٧٢}.



٣٧٢ - محمد واليهودية، جورجى كنعان، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، ط١- ١٩٩٩، ايل- إله- الله، ص ١٥٧- ١٦٥.

اللغة العربية.. لغة البشرية وأم اللغات العالمية



كتاب (اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية)، لمؤلفه الأديب والمفكر العربي السوري "اسماعيل العرفي"، لا يحمل روح التعصب اللغوي والديني والقومي.. وإنما يحمل روح الحقيقة التي تتمتع بها اللغات العربية بين لغات العالم، والتي تجعلها أم اللغات العربية بلا منازع.. لأنها (أعرقها وأكملها وأروعها وأجلها وأنبأها وأكرمها)..

ومن هنا ينبغي لها أن تكون لغة البشرية جمعاء، لتحقق للبشرية وحدتها، وللعالم سلامه.. كما حققت (في عصرها الحضاري الإسلامي الأكبر، وحدة البشرية وسلام العالم على الوجه الأمثل.. فنعمت البشرية آنذاك بالأمن والدعة والطمأنينة.. وها هي مدعوة من جديد، لأن تعيد اليوم ما كانت حققته بالأمس..)، ذلك فقد حاول الأديب العرفي أن يركز على مدى كون اللغة العربية لغة فذة فريدة في نوعها من خلال كونها لغة (أوقفت، منذ بدء الخلق، لأن تكون لغة البشرية المطلقة التي فطروا عليها أصلاً وطبيعة، لغتهم في الدنيا، ولغتهم في الآخرة على السواء)، ومن خلال كونها تتمتع بمزايا أصيلة وخاصة هي: (القدم، والتمام، والجمال، والقداسة، والخلود).

والكتاب رغم صغره -حوالي خمسين صفحة- فهو بحر زاخر بكنوز وأسرار جوهرية عظيمة.. لا يدرك قيمتها إلا من تمتع بروح الأصالة العربية واللغوية والتاريخية والدينية، فكل صفحة منه تترجم سفيراً من المعاني والحقائق والموضوعات الأصيلة الثابتة ومن هنا يأتي الكتاب رداً قوياً على الدعوات الشعوبية التي تقلد وتستوحي من الفكر الغربي والشرقي محاولات مشبوهة ومقصودة من التغريب والتخريب حيال اللغة العربية والدين الإسلامي والتراث العربي، لذلك فالكتاب يصلح لتتخذ الجامعة العربية نموذجاً أمثل للكتب الهادفة والمؤثرة في أجيال أبنائها.. لأنه خير سلاح تتسلح به في هذا العصر الرهيب المخيف، ولنقتطف من الكتاب مقطعاً، لنذكر فعالية اللغة العربية والتي هي مرادفة لفعالية الإسلام، ولنتعرف على شخصية الأديب العرفي الفكرية التي تمثل الاتجاه الصحيح والرؤية الصائبة للأصالة العربية والإسلامية، التي أخذت تتضح يوماً بعد يوم، وتتقد في وجداننا وفكرنا وحياتنا المعاصرة. (لقد هيمنت اللغات الأوروبية على البشرية والعالم حوالي ثلاثة قرون، فماذا حملت إليهما؟! لقد حملت إليهما ضرب المذاهب الفلسفية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية السالبة الهادمة، من رأسمالية وشيوعية، وميكافيلية وداروينية وفرويدية ووجودية، ووضعية وذرائعية، وعبثية وفوضوية وعنصرية، بجميع ما تشتمل عليه هذه المذاهب من وثنية وإلحادية ومادية وإباحية ولاإنسانية طاغية، فكان أن أغرقت البشرية في بحر لا قرار له من المفاسد والردائل

والشروع، وكان أن جعلت العالم نبهاً موزعاً للكوارث والمصائب والنكبات، وكان أن انتهت بهما كليهما أخيراً إلى هذا الوضع المأسوي الشاذ الذي هما عليه الآن هذا ما حملته اللغات الأوروبية إلى البشرية والعالم، أما ما حملته اللغة العربية إليهما، فهو على النقيض من ذلك تماماً، فلقد حملت إليهما، على مر الأزمنة، الرسائل والنبوات والكتب السماوية، مناراتهما الهادية لهما، أبداً دائماً، إلى سبيل الخير المطلق، والصالح الخالص، والفلاح الأكيد.

وهكذا فشتان شتان ما بين ما حملته هذه اللغة المباركة وبين ما حملته تلك اللغات المشؤومة) (٣٧٣.

سأعمر بلدي وأزرع أرضي وأطعمكم

رسالة من أطفالنا فحوها من عذابنا وقهرنا:

يا أيها ما يسمى الأمم المتحدة ومجلس الأمن وأمثالها، أعيدونا إلى بلادنا وأوطاننا آمنين، بدون استعمار (استعمار) واستبداد وإرهاب... نعلم بلادنا ونحضر أوطاننا ونطعمكم ونعلمكم معنى الحضارة والمدنية والإنسانية والمحبة البشرية وسمو العمران المادي والمعنوي، لا نريد مساعداتكم، واجعلوها في كروشكم المنتفخة، لتغذي عقولكم العفنة، فتجعلكم تقلقون وتقلقون كطائر اللقلق المسكين، حتى أطفالنا المنغوليين يستهزئون بكم ويضحكون عليكم ويسخرون من حالكم وأقوالكم وأفعالكم وقلقكم، نريد منكم فقط أن تصبحوا ولو مرة واحدة بمستوى الحيوانات في شريعة الغاب، فلم نسمع بحيوانٍ صغيرٍ أو كبيرٍ مات من الجوع أو العطش، ولم نسمع أن الحيوانات المتوحشة المفترسة الكبيرة تحاصر وتمنع الطعام والماء والتنقل عن بقية الحيوانات الأضعف منها..

يا أغبياء؟ نحن أطفال العالم، نحن مستقبل الإنسانية سنعيد برمجة عقولكم وملفاتكم الذهنية والعصبية والفلسفية والفكرية والاستراتيجية والثقافية والتاريخية.. نحو السلام العالمي والمحبة البشرية والعمران الكوكبي الأرضي.. فالأرض وخيراتها وما فيها من كل شيء موزون وضعها خالقها للأنام، هي للجميع، بمن فيها وما فيها، وقادرة على تأمين كل مستلزمات الحياة المعيشية العزيزة لأكثر من ٣٠٠ مليار إنسان، ولكن الخبثاء والسفهاء من جميع الأنجاس لا يعلمون وبطغيانهم يعمهون، ولا يفقهون أن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها، وأن فوق كل ظالمٍ قاهر، وأن الله تعالى يمهل ولا يهمل، فيقذف الحق على الباطل فيدمغه ويسحقه، ويجعلهم كأعجاز نخل خاوية..

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحِ صَهْرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦٧﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَازِيَةً أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ

أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٦٨﴾ العاقبة ٦٧-٦٨.



٣٧٣ - المجلة العربية، السعودية، العدد ١٠٩، السنة ١٠، صفر ١٤٠٧هـ- تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٦م، اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية، إسماعيل العرفي، دار الفكر بدمشق، ص ١١٩.

التوحيد في اللغة.. توحيد في الثقافة

لقد دافع نجيب محفوظ عن اختياره للعربية الفصيحة في أعماله بقوة تتناسب مع هذه الخشونة أحياناً، ومن ذلك قوله: (إن اللغة العامية من جملة الأمراض، التي يعاني منها الشعب، والتي سيتخلص منها حتماً عندما يرتقي، وأنا أعد العامية من عيوب مجتمعنا مثل الجهل والفقر والمرض تماماً).

والعامية مرض أساسه عدم الدراسة، والذي وسع الهوة بين العامية والفصحى عندنا هو عدم انتشار التعليم في البلاد العربية، ويوم ينتشر التعليم سيزول هذا الفارق، أو سيقبل كثيراً، ألم تر تأثير انتشار الراديو في لغة الناس، حيث بدأوا يتعلمون الفصحى ويفهمونها ويستسيغونها؟

وأنا أحب أن ترتقي العامية، وأن تتطور الفصحى لتتقارب اللغتان، وهذه هي مهمة الدب في رأيي). لكن الدفاع الأقوى لنجيب محفوظ ضد ناقديه، وهو في الوقت ذاته الدفاع الأبقى والأكثر وداعة وإفحاماً، كان استمراره في الإبداع بالفصحى حتى في حوارات شخصياته الروائية، وهو ما تكلم بالنجاح في نهاية الأمر.

وفي شهادة قيمة في هذا الشأن أدلى بها نجيب محفوظ، حول مستقبل اللغة العربية نشرتها مجلة "الهلال" عام ١٩٨٥، وفي هذه الشهادة ينظر نجيب محفوظ لاختياره الفصحى.

بدراية نقدية وفكرية شديدة التماسك، ويكرس لهذا الاختيار قائلاً: (اللغة وجه من وجوه الحضارة، يتشكل بتشكيلها، ويتقدم بتقدمها، ويتنوع بتنوعها، ويستوعب من الأفكار والأشياء ما تستوعب، والفارق كبير وملموس بين ما كانت عليه العربية التقليدية، وما هي عليه اليوم في جميع مظاهرها من كتب رفيعة وكتب جماهيرية وصحافة يومية، والمكتبة العربية حافلة بالكتب الموضوعية والمترجمة في الآداب والإنسانيات، والفلسفة والعلوم، بلا لا تخلو مادة من قاموس خاص يفي باحتياجاتها، ويرجع إليه عند الحاجة، كل أولئك يدل على غيرة أبنائها ونشاطهم وقيامهم ببعض حقها عليهم، ولكن من المغالاة غير المحمودة القول بأنها بلغت الكمال في ذلك)^{٣٧٤}.

٣٧٤ - مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٧٧- ذو القعدة ١٤٢٧هـ - ديسمبر ٢٠٠٦م، عروبة القلب الوديع، د. سليمان إبراهيم العسكري، ص ٩- ١٠.

قدم اللغة العربية وعراقها (اللغة العربية أقدم اللغات الحية)

العربية لغة مئات الملايين من المتحدثين بها في الوطن العربي، أو الناطقين بها في العالم الإسلامي، وبعض أرجاء المعمورة، وهي لغة موهلة في القدم.

وترجع الروايات تاريخها إلى النبي إسماعيل عليه السلام وتذكر أنه أول من تكلم بالعربية^{٣٧٥} و " أنه أول من فتق لسانه بالعربية المبينة وهو ابن أربع عشرة سنة، وأن الله أهمه العربية إلهاماً^{٣٧٦}.

ويذكر الدكتور عبد الفغار حامد هلال^{٣٧٧}: (ويدعي باحث حديث أن العربية كانت لسان إبراهيم عليه السلام واستنبط ذلك من حديث رواه البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، ومعنى ذلك أن العربية متأصلة في إبراهيم وولده إسماعيل فهما من أول المتكلمين بها)^{٣٧٨}.

- الأبحاث اللغوية للأستاذ العقاد المؤكدة على أصالة العربية:

وقد حاول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد أن يستدل على قدم العربية وعراقها من خلال دراسة الضمائر، والعدد والأسماء الموصولة، وأسماء الإشارة فيها، يقول^{٣٧٩}:

(من أقدم ألفاظ اللغة الضمائر، وما إليها من الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، لأنها وجدت مع أقدم الأسماء في وقت واحد، لتتوب عن اسم الشخص المخاطب، والغائب ومن هو في حكمه، فيقول المتكلم لمن يخاطبه (أنت)، ويقول عن الغائب أو الحاضر الذي لا يتجه إليه الخطاب (هو)، ويستغني بذلك عن إعادة الأسماء في كل خطاب أو إشارة، ولا يخفى أن الأسماء لا توجد في القدم دفعة واحدة، ولا تزال في ازدياد، وتغيير مع تطور اللغة واتساعها، فهي - لهذا - لا تصلح كلها للمقارنة بين اللغات المختلفة، خاصة مقارنة اللغات التي يراد بها الدلالة على القدم أو على أحوال اللغات في مادتها الأولى.. أما الضمائر فهي محدودة معدودة لا يصعب إحصاؤها، أو تتبع أدوارها في تطوراتها وتبديلاتها - فهي - لهذا - موضوع من موضوعات المقارنة بين أقدم اللغات، وأحدثها وهي أدل من الأسماء على عراقة اللغة، وتطور استعمالها على حسب الحاجة إليها،

٣٧٥ - طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تحقيق محمود شاكر، القاهرة، مطبعة المدني ١٩٧٤، ج ١، ص ٩.
٣٧٦ - البيان والتبيين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨-١٩٥٠، ج ٣، ص ٢٩٠-٢٩١.
٣٧٧ - العربية خصائصها وسماتها، د. عبد الفغار حامد هلال، ط٤- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، ص ١٦٩، المقصود بالباحث المذكور الأستاذ علي الخطيب نقلاً عن: مجلة اللسان العربي، ج ١، مجلد ٨، ص ٤٧-٤٩.
٣٧٨ - العربية خصائصها وسماتها، مصدر سابق، ص ١٦٩.
٣٧٩ - الباحث عباس محمود العقاد أشادت مجتمعات في اللغة والأدب، دار المعارف، مصر، ط٦، ص ٧٠ من بحث " مقارنة لغوية في ضمائر الجنس والعدد".

واستناداً إلى هذا المقياس فإن الباحث العقاد يحكم أن اللغة العربية من أقدم اللغات وأعرقها يقول^{٣٨٠}:
وبهذا المقياس من مقاييس المقارنة يمكن أن يقال: إن اللغة أقدم اللغات الحية بلا استثناء، وإنها من أقدم اللغات جميعاً وبهذا المقياس أيضاً يمكن أن يقال: إن اللغة العربية أعرقها تطوراً وتدرجاً في الاستعمال على حسب الحاجة.

ويؤكد الباحث الكبير العقاد هذه الحقيقة بقوله: " أما أن اللغة العربية أقدم اللغات الحية بدلالة الضمائر والأسماء الموصولة فهو ظاهر من احتوائها عليها جميعاً، وبقاء أصولها جميعاً فيها إلى اليوم مستعملة لأغراضها التي تناسبها"^{٣٨١}.

ويورد الأستاذ العقاد هذه الحقيقة في كتابه " اللغة الشاعرة " يقول في مقدمة كتابه المذكور^{٣٨٢}: بدأت اللغة العربية تاريخها المعروف بخصائصها المميزة لها اليوم في عصر سابق للدعوة الإسلامية، يرده علماء المقارنة بين اللغات إلى القرن الرابع قبل الهجرة، ويرجع- فيما نعتقد- إلى عصر قبل ذلك لأن المقابلة بينها، وبين أخواتها (القديمة) يدل على تطور لا يتم في بضعة أجيال، ولا بد له من أصل قديم يضارع أصول التطور في أقدم اللغات، ومنها السنسكريتية، وغيرها من اللغات الهندية الجرمانية.
ويتابع الأستاذ العقاد حديثه قائلاً^{٣٨٣}: " فلا بد من أجيال طويلة تمضي قبل أن ينتهي "

مستقبل اللغة العربية

إن التقرير الذي أصدره المجلس الثقافي البريطاني منذ بضع سنوات بعنوان (مستقبل اللغة الإنجليزية)، ونظراً لأهميته، فقد كتب مقدمته الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، وورد في هذا التقرير أنه من المتوقع أن تظل الإنجليزية اللغة العالمية الأولى في القرن ٢١ الحالي، ولكنها لن تكون الوحيدة في هذا المجال، أي لن تحتكر هذا الموقع، إذ يتوقع أن تنافسها بعض اللغات الأخرى وتصبح لغات عالمية أيضاً. واللغات المرشحة لأن تحتل هذه المكانة الرفيعة والمرموقة هي: العربية والصينية والأسبانية والهندية/ الأوردية.

ويعود السبب في ذلك إلى العوامل الديموجرافية (السكانية) والثقافية والتغيرات السياسية والاقتصادية التي يشهدها العالم في الوقت الراهن، وينتظر أن تصل إلى ذروتها في منتصف القرن الحالي^{٣٨٤}.

٣٨٠ - أشتات مجتمعات في اللغة والأدب ص ٧٠-٧١.

٣٨١ - أشتات مجتمعات، ص ٧١.

٣٨٢ - الأستاذ عباس محمود العقاد " اللغة الشاعرة مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية "، ص ٣، (بتصرف).

٣٨٣ - اللغة الشاعرة، ص ٣.

٣٨٤ - مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٥٧- صفر ١٤٢٦هـ - أبريل ٢٠٠٥م، هل تقوم لغة عالمية واحدة؟ د. شعبان عبد العزيز عفيفي، ص ١٧١.

رفقاً باللغة العربية

قضت في الولايات المتحدة الأمريكية أكثر من عشرين عاماً، درست خلالها الماجستير والدكتوراه في اللغة العربية والأدب العربي واللغويات، ولم أسلم من الاستغراب أو حتى الاستهزاء من العرب الأمريكيين (تدرسين اللغة العربية في أمريكا بدل الكمبيوتر أو الهندسة أو..؟ ما الفائدة..)، لكن ديني ولغتي وثقافتني كانوا عشقي الدائم، كأن الصورة تبدو أوضح وأكثر نقاء عندما نراها من بعيد، وعندما نرى الوجه الآخر ذلك الجيل الأمريكي، الذي لا تاريخ ولا حضارة له، بل مجرد تقدم مادي لا أكثر، من الغريب كيف يذوب ذلك الإعجاب بالحلم الأمريكي كلما تعمق المرء في مجتمع الولايات المتحدة.

وكان لوقوع أحداث الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) ٢٠٠١، أثر عنيف على الأمريكيين من عدة أوجه، منها إدراكهم لجهلهم التام بما يجري خارج نطاق قارتهم، ومن آثار ذلك بداية ثورة في مجال تعليم اللغات في الجامعات الأمريكية وعلى رأسها اللغة العربية، وفي عهد الرئيس جورج بوش تم تخصيص مبلغ ١١٤ مليون دولار لدعم برامج اللغات المهمة في أمريكا، سيما اللغة العربية، بشكل مذهل، إذ تشير الإحصائيات إلى أن جامعة هارفرد الشهيرة مثلاً شهدت زيادة نسبتها ٩٣,٩% في عدد الدارسين للغة العربية بين عامي ٢٠٠٢ و ٢٠٠٥، وكذلك جامعة جورجيتاون شهدت في الفترة ذاتها ازدياداً في عدد الطلاب الدارسين للعربية بنسبة ٨٩,٦%، ولا تكاد تخلو جامعة أمريكية اليوم من قسم لتعليم اللغة العربية.

ويطرح تدريس اللغة العربية في الولايات المتحدة صعوبات وتحديات جمة، منها صعوبة اللغة وضرورة تبسيط القواعد، وقلة الأساتذة المختصين بتدريس اللغة العربية لغير الناطقين بها، إضافة إلى محدودية الكتب التي يمكن استخدامها في هذا المجال، لكن المضحك المبكي هو أن إقبال الطلاب الأمريكيين المذهل على اللغة والثقافة العربيتين يقابله إهمال مدهل أيضاً لهذه اللغة في البلاد العربية، والتفاخر بالتحدث باللغات الأجنبية، وفي حين يشهد الغرب، سيما الولايات المتحدة، بداية انهيار شامل في كل المجالات، الاقتصادية منها والأخلاقية، أرسلت أحد طلابي السنة الماضية لممارسة اللغة العربية في بلد عربي، فعاد مستهزئاً وهو يقول: (لقد تعلمت الفرنسية بدلاً من العربية!)، ويعتبر إرسال الطلاب الأمريكيين لممارسة اللغة العربية في بلد عربي من أصعب المشكلات، فهذا بلد يفخر بالحديث باللغة الفرنسية (رغم أنها أصبحت من أقل اللغات اهتماماً بها، وممارسة لها في العالم).

وذلك بلد تسمع فيه اللغات الغربية والآسيوية، وندرة قليلة جداً من العربية، وقد أثارت اهتمامي بالأمس مقابلة تلفزيونية أجريت مع إحدى المثقفات العربيات التي كانت تتحدث كلمة بالعربية ثم تنتقل إلى الفرنسية والإنجليزية، ما أجبر مقدمة البرنامج المرتبكة على أن تتحول إلى مترجمة فورية، إنني أدعو علماء النفس

والاجتماع والتربية لدراسة هذه الظاهرة المقلقة إلى حد الرعب، ما معنى أن يهرب العرب من لغتهم، ويلجأوا إلى كل ما هو غربي، في حين ينهار العالم الغربي ويعيش مادياً ومعنوياً على صدى القنابل والمدافع التي يقذفها على البلاد العربية والإسلامية؟ لا بدّ أن ندق ناقوس الخطر قبل فوات الأوان، أيعقل أن يتقن الأمريكيون اللغة العربية، ونتقمص نحن شخصية غربية لا تمت لنا بصلة لا من قريب ولا من بعيد، الأمريكيون أنفسهم يبحثون عن بديل ويدركون أن بلادهم على شفا الهاوية، فرفقاً باللغة العربية، ورفقاً بترائنا وما تبقى من حضارتنا كي لا نقول بعد فوات الأوان (جنت على نفسها براقش).^{٣٨٥}

هيمنة اللغة في عصر العولمة

تتمثل الهيمنة الأمريكية اليوم من خلال تحويل اللغة الإنكليزية باللهجة الأمريكية إلى لغة وحيدة لعولمة وسائل الاتصال والتبادل الإعلامي الدولي والعلاقات الدولية، وهو ما أشار إليه كتاب البريطاني د. كريستال "اللغة الإنكليزية لغة العولمة"، وكتابه "موت اللغات"، حيث أشار إلى أنه في علم نفس الوقت الذي يتسع فيه استخدام اللغة الإنكليزية تنقرض كل أسبوعين لغة من اللغات النادرة في العالم.^{٣٨٦}

وأشار بعض المتخصصين إلى أن أكثر اللغات جماهيرية على الكرة الأرضية ليست اللغة الإنكليزية بل اللغة الصينية التي يتحدث بها أكثر من ١.٠٤ مليار إنسان، ولكنهم جميعاً خلف سور الصين العظيم.^{٣٨٧}



٣٨٥- مجلة العربي، الكويت، العدد ٦١٦، ربيع الآخر ١٤٣١هـ/ مارس ٢٠١٠م، رفقاً باللغة العربية، د. ريمة حلمي، ص ١٧٨.
٣٨٦ - العلاقات الدولية والثورة المعلوماتية، كاشليف يو، موسكو، العلاقات الدولية، ١/ ٢٠٠٣م، ص ١٢١. نقلاً عن: مجلة المعرفة، وزارة الثقافة سوريا- دمشق، العدد ٥١٩- السنة ٤٥- ذي القعدة ١٤٢٧هـ- كانون الأول ٢٠٠٦م، العلاقات الدولية في ظروف الثورة المعلوماتية، د. محمد بخاري، ص ١١٣.
٣٨٧- مجلة المعرفة، م، ن، ص ١١٣

لا خوف على الفصحى

قال رئيس الجمعية المغربية لحماية اللغة العربية موسى الشامي من أهمية تعالي الأصوات المنتقدة للغة العربية في المغرب والداعية إلى وضع دساتير للغة الدارجة والإمازيغية واستخدامهما بدل العربية الفصحى، ووصفهم بأنهم (أقلية فرنكفونية، يعبرون عن طموحات استعمارية في المغرب لا أكثر ولا أقل).

وأكد الشامي أن اللغة العربية الفصحى محمية بغالبية المغاربة، وأنه لا خوف على هوية المغرب الإسلامية، من دعوة بعض الأصوات لاستبدال الفصحى باللغة الدارجة أو الأمازيغية، وأضاف (الذين يتحدثون عن استبدال الفصحى باللهجة الدارجة هم ضعفاء في هذه البلاد، وهم صغار بكل ما تحمله الكلمة من معنى، وهذا كلام يرددونه منذ سنوات طويلة أقلية فرنكفونية درست في فرنسا، وأخذت شهاداتها العلمية من جامعاتها، ثم جاؤوا إلى البلاد ودخلوا الإدارة وبدؤوا ينادون بـ (دسترة) اللهجة الدارجة، لكن هؤلاء لا قيمة لهم لدى المغرب الرسمي والشعبي، فالمغاربة متمسكون بلغتهم العربية وبإسلامهم، ومساجدهم مليئة بالمصلين، وهي تتزايد يوماً عن يوم).

وأشار الشامي إلى أن امتلاك المغرب أو غيره من الدول العربية لهجة دارجة محلية يتكلمها الناس، لا يتناقض مع اللغة العربية الفصحى، كما هو الشأن في مختلف اللغات العالمية، بما في ذلك الفرنسية، وقال (المشكلة ليست في اللغة العربية الفصحى ولا في الدارجة وإنما لدى هؤلاء الأقلية الذين لا يفقهون اللغة العربية ولا الدارجة، ولدى بعض غلاة الأمازيغ ممن يرتزقون بدعاويهم وقيمون علاقات مع إسرائيل، وإلا فإنه لا مشكلة بين الدارجة والفصحى، ولا بين الأمازيغ والعربية، فالجميع متعايشون في إطار دولة القانون).

وقال رشيد نيني في مقال له بعنوان (أحفاد مسيلمة الكذاب): (ليس من قبيل الصدفة أن يتزامن النقاش الدائر حول ضرورة إقرار الدارجة في التعليم العمومي الأساسي مكان اللغة العربية مع النقاش الذي اندلع مباشرة بعد قرار الدولة طرد المبشرين المسيحيين وضرورة ترجمة القرآن إلى الدارجة).

وبعد إشارته إلى بعض الأسماء المغربية المتصلة بترجمة القرآن على الدارجة وإقحام الدارجة في التعليم الأساسي، قال نيني: (عندما نرى كيف يدافع مثقفون غربيون وعلمانيون عن الإسلام كديانة للتسامح والتعايش، وكيف يمدحون القرآن ككتاب سماوي يستحق الاحترام، ثم نقارن ذلك بما أصبح يكتبه وينادي به بعض غلاة الأمازيغية والعلمانية والفرانكوفونية عندنا، نصاب فعلاً بالصدمة، مضيفاً عندما نسمع ولي عهد بريطانيا، الأمير تشارلز، يدعو العالم في محاضرة علمية إلى الاقتداء بالتعاليم الإسلامية في مجال البيئة، قائلاً بالحرف في آخر محاضرة له بمعهد أوكسفورد للدراسات الإسلامية (إنني أدعوكم كي تبينوا لنا كيف يمكننا الاستلهام من الفهم العميق للثقافة الإسلامية إزاء عالم الطبيعة لمساعدتنا على رفع التحديات

الجسيمة التي نواجهها..)، نصاب حقاً بالصدمة.

وتابع: (عندما نرى كيف تتسابق الدول الأوروبية والغربية على إطلاق قنوات فضائية باللغة العربية، آخرها إسرائيل، للوصول إلى العالم العربي، ثم نرى كيف يطالب كل هؤلاء عندنا بالقطع مع اللغة العربية في الإعلام والتواصل والاقتصار على الدارجة والفرنسية التي تعاني من الانحسار والتراجع، نصاب فعلاً بالصدمة، لكننا عندما نفهم أن كل هؤلاء الحاملين لأولوية الحرب ضد اللغة العربية والقرآن والإسلام، ليسوا في الواقع سوى بيادق تحركهم أيدٍ خارجية فوق رقعة شطرنج كبيرة تريد للمغرب أن يكون مصيره هو التقسيم اللغوي والتشردم العرقي والتهيه الثقافي، نصاب بالخوف على مصير هذا البلد).^{٣٨٨}

بعد التعذيب أعدوا للشيخ برميلا كبيرا مليئا بزيت السيارات وأوقدوا النيران من تحته لدرجة الغليان ، ثم طلب منه المحتل الفرنسي تهدئة التوار ، فرفض وهو يردد الشهاداتتين بهدوء وثبات ثم وضع الفرنسيون قدميه في وعاء الزيت فأغمي عليه ، ثم أدخل جسده فذاب في الزيت واستشهد رحمه الله عام ١٩٥٧م



العربي التبسي

-رحمه الله-

العالم الذي لا قبر له

٣٨٨- وكالة المغرب العربي للأنباء، WWW.MAP.CO.MA، نقلاً عن: مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سورية، العدد ٥٦٤، السنة ٤٩، رمضان ١٤٣١ هـ/ أيلول ٢٠١٠م، صفحات من النشاط الثقافي، أحمد الحسين، ص ٣٦٠-٣٧٤، (بتصرف).

اللغة العربية.. حياة الأمة العربية

فاللغة تشكل الكائن البشري بقدر ما يشكلها هذا الكائن، وهي تطبع نفسه وروحه وذوقه بطابعها، خاصة عندما يكون هناك مرجع أكبر لهذه اللغة، تلتف حوله أفئدة سكان هذه المنطقة جميعاً، وهو القرآن الكريم، واللغة العربية هي الجامع الأكبر لكل العرب على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم وأديانهم، وحتى قومياتهم العرقية، فأدب أبناء هذه المنطقة جميعاً وأغانيهم، وأشواقهم وأحلامهم، وآلامهم، تنطق كلها بالعربية^{٣٨٩}.

ويشير المؤلف إلى وجود منهجين رئيسيين لتعريف القومية:

- **موضوعي (objective)** يركز على وجود كل أو بعض عناصر تتوافر لدى المم مثل الجغرافيا والدولة واللغة والثقافة المشتركة والتاريخ وفي بعض الحالات الدين.

- **ذاتي (subjective)**، ويشار له أحياناً بالعامل **التطوعي** للتمييز، وهنا يوجد تركيز على الإرادة في عملية تشكيل الأمة، أي على اتجاه أفراد الأمة لرؤية أنفسهم كأمة أكثر منه توافر- أو عدم توافر- عناصر موضوعية لذلك.

على أنه سواء عُرفت الأمة ذاتياً أم موضوعياً فإنها ترتبط بلغة معينة تبرز هويتها، ولعل هذا البحر اللغوي العربي الذي تسبح فيه شعوب هذا الشرق الأوسط العربي يكون جامعاً مقنعاً لما هو شرط ذاتي وموضوعي في تكوين الأصرة الأعمق بين أبناء هذه المنطقة، فاللغة- لدى دارسي القومية- هي أهم أدوات العملية الاجتماعية وأدوات صناعة الإنسان فاللغة هي الواسطة التي تجعل من الأمة (مجتمعاً متخيلاً)، وليس وهمياً كما يبدو من المصطلح، والمتخيل هنا يسكن الوجدان بشكل دائم فيلون مشاعر الناس ويحرك إرادتهم للفعل، ويعين اتجاه هذا الفعل، ومن ثم نرى ضخامة وعمق هذه الواسطة التي تربط الفرد في وقت وجيز برباط اجتماعي معين مع أبناء أمته ممن لم يرههم أو يقابلهم، لكنهم ماثلون دائماً في وجدانه، ولعل الانفعال العربي الجامع الذي يتبدى في الأفراح والأتراح التي تخص هذه الأمة العربية، هو من الشهادات الدامغة على وجود الهوية الثقافية العربية المتجاوزة لكل الخصوصيات الجانبية، سواء كانت طائفية أو مذهبية أو عرقية أو دينية.

إن اللغة، ومنذ فجر التاريخ، كانت مقياساً لتمييز أمم عدة لأنفسها عن الآخرين، فمثلاً قام اليونان بتمييز أنفسهم عن البربر باعتبار الأخيرين لا يتحدثون اليونانية، وقام اليهود في الأندلس باستخدام العبرية لتسجيل أمور دينهم في حين قام الأطباء اليهود في بولندا باستخدام مصطلحات طبية عبرية بدل اللاتينية، التي كان يستخدمها الأطباء المسيحيون، مما قد يكون نوعاً من السعي للتمييز الإثني، فلماذا لا تكون لغتنا

٣٨٩ - مجلة العربي، الكويت، ٥٧٨- ذو الحجة ١٤٢٧هـ - يناير ٢٠٠٦م، العرب.. وتلك الخريطة الشيطانية، د. سليمان إبراهيم العسكري، ص ١٣.

العربية رابطاً يؤثر على هوية سكان هذه المنطقة، حتى لو كانت رابطة جزئية لدى البعض، فهي تظل رابطة لها وزنها المؤثر، وتأثيرها الفاعل، وطابعها المشترك والحميم بين الأقليات والأغليات على السواء^{٣٩٠}.

- مؤتمر فيينا.. أهمية دراسة اللغة العربية وآدابها:

منذ أن قرر مؤتمر فيينا في بداية القرن الرابع عشر الميلادي دراسة اللغة العربية وآدابها في مدارس أوروبا وجامعاتها تقدم الاستشراق في غضون قرنين من الزمان تقدماً جباراً، إذ أثرت في حركته النهضة الأوروبية الحديثة، حيث غدت إيطاليا في ذلك العهد موطن علم الاستشراق.. فانتشرت العربية بين الطليان انتشاراً عظيماً حتى أن تجار البندقية وجنوا وبيزا، وناپولي كانوا يرون تعلمها من الأمور الضرورية للحياة على نحو ما نلظر اليوم إلى اللغة الفرنسية أو الإنجليزية^{٣٩١} وإلى هنا انتهت مرحلة تقدم الاستشراق ونهضته لأن كل بلد أوروبي تقريباً قد أقام المعاهد لدراسة الإسلام والعربية وآدابها، وإن ظل مركز نشاطه الرئيسي تلك الأديرة التي كان الرهبان يتفرغون فيها لأعمال الترجمة والدرس والنقل والعبادة والبحث^{٣٩٢}.

فانتشرت العربية بين الأوساط العلمية التي أيقنت أن اللغة العربية وآدابها كانتا حقاً من أقوى البواعث لنهضتهم الصاعدة، فبدأت تهتم بقواعدها وأول أجرومية عربية طبعت في أوروبا هي التي أصدرها بطرس دي القلعة في غرناطة سنة ١٥٠٥^{٣٩٣} التي أصبحت من كتب النوادر الآن، وعلى مبلغ من الأهمية لتاريخ الفكر الاستشراق، أما أول كتاب صدر في أوروبا بالأحرف العربية فقد كان كتاب صلاة الصاوي الذي طبع عام ١٥١٤ في البندقية^{٣٩٤}.

ومما لا ريب فيه أن القرن السادس عشر كان خطوة عظيمة في تطور الاستشراق حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاطها فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتاباً بعد الآخر، وخاصة بعد أن أصبح في وسع الطباعة العربية في أوروبا أن تستعين في ١٥٨٦ بالمطبعة التي أنشأها فرديناند دي ميديتشي، كاردينال ودوق توسكانيا الأكبر، ولا مرية في أنه قد اتخذ من العمل التبشيري مبرراً لإنشائها وأخذت هذه المطبعة منذ البداية في طبع المؤلفات الطبية والفلسفية لابن سينا، وكتباً في النحو والجغرافيا والرياضيات^{٣٩٥} وغيرها من العلوم العربية وآدابها^{٣٩٦}.

٣٩٠ - مجلة العربي، م.س، ص ١٢ - ١٣.

٣٩١ - أغراض الاستشراق الرسالة ١٩ أغسطس ١٩٣٥، محمد روجي فيصل: نقلاً عن: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مذكرة مادة الاستشراق، إعداد: د. أحمد علم الدين، ٢٥ / ١١ / ١٩٩١م، ص ٤٢.

٣٩٢ - إسحق موسى الحسيني، المصدر السابق، ص ٥. نقلاً عن: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مذكرة مادة الاستشراق، م.س، ص ٤٢.

٣٩٣ - يوسف جبرا، المصدر السابق، ص ١٤، ولا تملك المكتبة الأهلية في باريس سوى فهرس الكلمات وتملك المكتبة الأهلية في فيينا نسخة واحدة فحسب، الكتاب نفسه مكتوب باللاتينية حتى النصوص العربية مكتوبة بأحرفها وقد ذكر ديجا أو أول كتاب في قواعد العربية قد نشر في ليدن عام ١٦١٣. نقلاً عن: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مذكرة مادة الاستشراق، مصدر سابق، ص ٤٢.

٣٩٤ - يوسف جبرا، م.ن، ص ١٥. نقلاً عن: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مذكرة مادة الاستشراق، م.ن، ص ٤٢.

٣٩٥ - م. رودنسون، م.س، ص ٦٧. الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مذكرة مادة الاستشراق، م.ن، ص ٤٣.

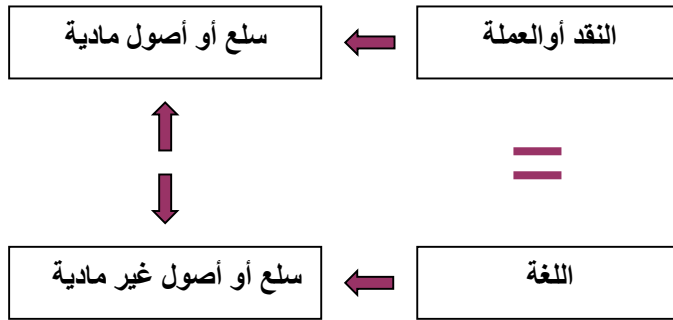
٣٩٦ - نقلاً عن: كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، مذكرة مادة الاستشراق، م.ن، ص ٤٢ - ٤٣.

- وظيفة اللغة في التنمية الاقتصادية:

في دراسة للبنك الدولي شملت ٦٠ دولة انتهت إلى أن الحاجة للنمو تكمن في رفع مستوى المعرفة، وليس في المساعدات الإنسانية^{٣٩٧}، وإن النمو النهضوي الحضاري الشامل لا يكون إلا بالتحدث والتفكير والتعليم باللغة الوطنية العربية فلا يمكن أن يحدث نهضة علمية وتقنية إلا باللغة الوطنية فشاء المصانع والتكنولوجيا على مدى عقود في البلاد العربية لم يطورها صناعياً على مستوى وطني وعالمي وبشكل ينافس عالمياً ودولياً.

- دور اللغة الوطنية الاقتصادي والاجتماعي يوازي دور النقد (العملة):

دور اللغة الاقتصادي والاجتماعي يوازي دور النقد



توفر اللغة تبادل المعرفة والخبرة في العلم والتقنية وبقية مركبات النظام للإبداع

اللغة والنمو الاقتصادي للدول بوجه عام

قيمة اللغة تتناسب طردياً مع (امتلاك اللغة = امتلاك النقود):

١- عدد متكلميها كلغة أولى.

٢- عدد متكلميها كلغة ثانية، ومن ثم الطلب العالمي عليها.

٣- محتوى اللغة أو صلاحيتها كوسيلة تواصل للإنتاج.

٤- سياسة متكلميها وثقافتهم ونفسياتهم تجاهها.

٥- كمية الاستثمار فيها.

٦- القوة الاقتصادية لمتكلميها.^{٣٩٨}

إن رأس المال البشري يوازي اقتصادياً رأس المال المادي، وتعد عائدات الاستثمار في كل منهما أساساً للنمو.

٣٩٧ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣-٣٧٤، رجب - شعبان ١٤٢٨هـ - يوليو - سبتمبر ٢٠٠٧م، تأثير اللغة في النمو والتنمية، ص ١٠.

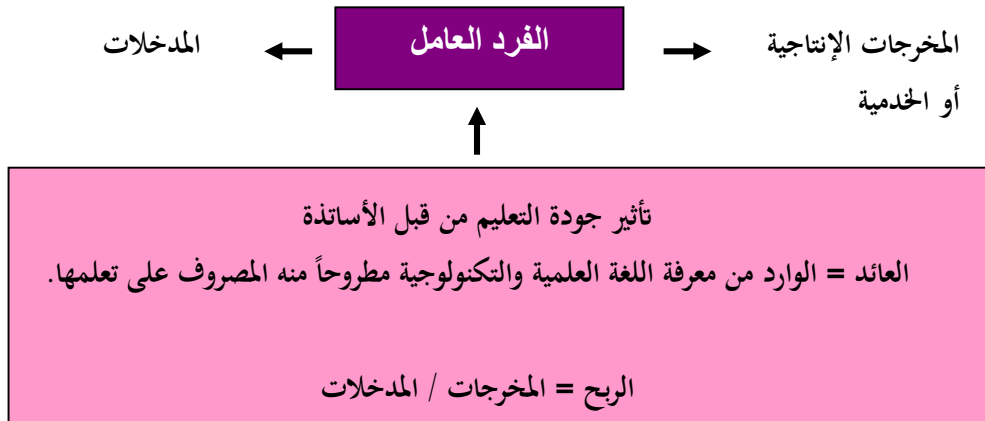
٣٩٨ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣-٣٧٤، مصدر سابق، ص ١٩.

وإن تعلم اللغة العلمية والتكنولوجية وممارستها بالعربية هو رأس مال بشري، كما سنرى لاحقاً، وكذلك فإن دور اللغة في الاقتصاد يوازي دور النقد^{٣٩٩}.

ويقول الاقتصاديون: إن العائد الاقتصادي للاستثمار في إتقان لغة العلم والتكنولوجيا مؤكداً، نظراً للوظائف الاقتصادية للغة التي ذكرناها أنفاً، أما الاستثمار في إتقان لغة العلم والتكنولوجيا باللغة الثانية، فلا يحصل إلا إذا استعملت هذه اللغة في الأنشطة الاقتصادية.^{٤٠٠}

ويقدر الاقتصاديون أن أكثر من ٥٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي (GDP) في دول (OECD) مبني على المعرفة، فقد ازدادت الصناعات المبنية على المعرفة في معظم الدول المتقدمة زيادة ملحوظة، مقارنة بمجمل الصناعة بين عامي ١٩٧٠ - ١٩٩٤م، ويتبين ذلك من زيادتها في صادرات هذه الدول، حيث وصلت نسبة الصادرات المبنية على المعرفة إلى ٣٦٪ في اليابان، و٣٧٪ في الولايات المتحدة، و٤٣٪ في إيرلندا، و٣٢٪ في المملكة المتحدة.^{٤٠١}

عائد الاستثمار في لغة الأم العلمية والتكنولوجية
(ينطبق أيضاً على اللغة الثانية)



يتأثر الربح يتمكن الفرد من اللغة الأم العلمية والتكنولوجية، بإتقان العائلة والأساتذة لهذه اللغة، وحماسهم ونظرتهم لها، وبالسياسة اللغوية للحكومة^{٤٠٢}.

٣٩٩ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣ - ٣٧٤، مصدر سابق، ص ١٢.

٤٠٠ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣ - ٣٧٤، م.ن، ص ١٤.

٤٠١ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣ - ٣٧٤، م.ن، ص ٢١.

٤٠٢ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣ - ٣٧٤، م.ن، ص ١٨.

دور الذخيرتين اللغوية والتقنية في خلق بيئة إبداع

تعتبر الذخيرتان اللغوية والتقنية ركيزتين أساسيتين في أي مشروع نهضوي يهدف إلى خلق بيئة إبداع صحيحة وسليمة، ولكن كيف لنا أن نقفل دور هاتين الذخيرتين في أية بادرة طيبة نسعى إليها؟!، سؤال يضعنا في أجواءه الدكتور سعيد عبد الله سلمان رئيس شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، ورئيس مؤسس لرابطة المؤسسات العربية الخاصة للتعليم العالي، في محاضرته التي ألقاها في مكتبة الأسد بدمشق مؤخراً منطلقاً فيها من تجربة شبكة جامعة عجمان للعلوم والتكنولوجيا، التي تقوم على معايير خاصة تميزها دون أن تعمل بمنأى عن الآخرين، بل هي تتفاعل بإيجابية، وتستفيد من مزاياها وتأخذ ما يوائم احتياجاتنا، ويناسب قيمنا وتقاليدنا عبر آلية معيارية ذات مراحل ثلاث: المرحلة الأولى هي عملية تكيف ومواءمة لما يأتي من الخارج من خبرات وتجارب، وكذلك ما نخرجه من خبراتنا إلى الخارج، تليها المرحلة الثانية وهي مرحلة الانتقاء لأفضل المزايا من مختلف النظم التعليمية والمعلوماتية والإنتاجية، ثم المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التكيف والمواءمة للمستفيدين والمستخدمين.

وينطلق الدكتور عبد الله سلمان من هذه المحاضرة للعمل على تنظيم مؤتمر شامل للذخيرتين اللغوية من جهة والتقنية والمعلوماتية من جهة أخرى في الاتجاه نحو ملامح مشروع نهضوي تقوده المؤسسات الفاعلة الحكومية وشبه الحكومية، ومؤسسات المجتمع المدني من خلال مشروع قد تم اعتماده من قبل المنظمة العالمية للملكية الفكرية، وهو مشروع (بيت الحكماء والنخب)، يهدف المؤتمر أو ما يسميه (بالتكنوسفير) إلى ربط أصحاب الذخيرة اللغوية والمهمشة حالياً، لطغيان لغات العولمة الانكليزية بصفة عامة، ولعدم وجود مشروع نهضوي، ناهيك عن خمول هوية الأمة وعدم فاعلية نسيجها الاجتماعي، ربطهم بأصحاب الذخيرة التقنية والمعلوماتية ببعديها الفكري والتقني الذي له صلة بأحداث الأثر الإبداعي والتقني.

ويرجع المحاضر ضعف اللغة العربية إلى ضعف منتسبها وإلى الخلل في نسيج الأمة وانسحاق نخبها في إبداعات الآخرين، وضعف ما نطلق عليه بالمرجعيات الست التي تكون بنية ملامح هذا المشروع وما يقابلها لدى الآخرين، وليس إلى ضعف اللغة في حد ذاتها.

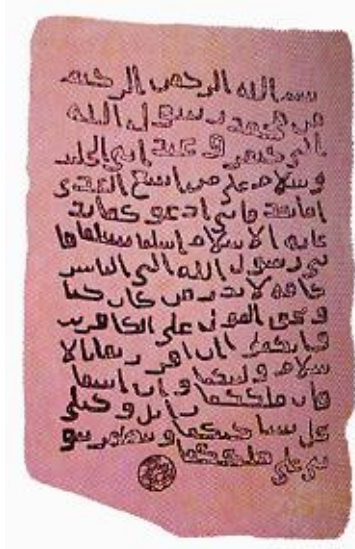
ويؤكد الدكتور عبد الله سلمان على أن أية لغة لا يمكن أن تنهض من كبوتها إلا من خلال مشروع نهضوي يحمل لواءه الحكماء والنخب بالمفهوم الإيجابي للكلمة، أي النخب في الداخل وفي الخارج أي الأدمغة التي هاجرت، والتي نأمل عودتها بأجسادها.

وإلى أن يتحقق ذلك، هل سنقف منتظرين حتى ننقل إبداع الآخرين ثم نبعد بلغتنا...؟ بالطبع لا.. ولكن سنسير بشكلٍ موازٍ عبر حصر كل الجهود والمعادلات التي تفجر كوامن الإبداع باللغة العربية، كما فعلت

سورية بتجربتها الرائدة، وتجارب آخرين- حتى نناقش ما يتوجب علينا انجازاه في ملامح المشروع النهضوي للأمة هي المدى القصير والمتوسط والبعيد، فعندما استخدم لغة أجنبية، لا يعني أنني أعطيت ظهري للعربية. وحتى نطلق انطلاقة استيعابية سليمة، ولا نقف عند ما أنجزناه من تطور جاء نتيجة النقل عبر العدوى والتداعيات ودون منهجية وهو كثير- علينا الاتفاق على المعلومة الدقيقة التي لن تأتي إلا بالبحوث المضنية وتدويرها بين أصحاب الشأن لإحداث التكاملية وتدوير المعلومات التي يفترض أنها دقيقة، لأن إشكالية الأمة هذه الأيام أنها لا تجاري الآخر في نقل ما يسمى الانضباط، ومن سماته الدقة في المعلومة.

إن اعتماد المشروع النهضوي الأمثل لا يقتصر على وزارات الثقافة ومراكز الدراسات والتراث، ولا على مجامع اللغة وحدها، بل هو مشروع نهضوي تكاملي استنفاري لكل طاقات الأمة، ويأتي اعتماده من تعددية مؤسسية في صفة تكاملية تجمع أغلب الميادين وأغلب الحكماء والنخب مع تجاوب نسيج الأمة مع هذا الحلم القابل للتطبيق، والذي لو تحقق ثلثه أو ربعه، أو أقل، فإنها ستكون بداية خير، وليكن المعيار الأساسي لدينا هو الحفاظ على لقامة وهوية الأمة بمزج ايجابيات العولمة بمميزات الهوية، فاللغة وسيط ووعاء حاضن يمكن ملؤه بالخزف كما يمكن ملؤه بالجواهر.

والأمة التي لا تسجل كما مصحوباً بنوع من براءات الاختراع، وتكون لها صفة ريادية في ميدان الملكية الفكرية، فإن لغتها تموت، وقد اقترح أخيراً تكوين فرق بحث وعمل تضم أبناء اللبدة من مجامع اللغة العربية والجامعات والمنظمات الدولية والمؤسسات الفاعلة تلتقي معنا في الأهداف والطموح، أي باختصار المنتمين إلى الذخيرتين اللغوية والتقنية المعلوماتية^{٤٠٣}.



نسخة من الخطاب الذي أرسله الرسول محمد ﷺ إلى أهل عمان للدخول في الإسلام^{٤٠٤}.

٤٠٣ - جريدة البعث، سورية، العدد ١٣٤٣٩، الأحد ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٨م، دور الذخيرتين اللغوية والتقنية في خلق بيئة إبداع، التمهيد لمشروع نهضوي للأمة، د. سعيد عبد الله سلمان، ص ٧.

٤٠٤ - مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٩٦، رجب ١٤٢٩هـ - يوليو ٢٠٠٨م، شكل ص ٤٥.

أول جهاز استقبال رقمي يدعم اللغة العربية

أزاحت شركة " يوروستار " الستار عن جهاز " أراب بوكس " الذي يعتبر أول جهاز استقبال بث فضائي رقمي يدعم اللغة العربية على المستوى العالمي، ويعد هذا الجهاز مستقبل البث الفضائي الوحيد في العالم الذي يعتمد اللغتين العربية والإنكليزية بشكل كامل ويضم حزمة من الوظائف المتطورة بهاتين اللغتين، وتم تزويد أراب بوكس الخصائص والميزات المصورة بما فيها جدول مواعيد مباريات كأس العام ٢٠٠٦، وبرنامج الأذان وقائمة قنوات تدعم اللغتين العربية والانكليزية وإمكانية الضبط الأوتوماتيكي للأقمار الصناعية واستعراض أكثر من قناة في آن واحد، بالإضافة إلى قدرة تخزين لأربعة آلاف محطة وواجهة استخدام بنظام ألوان يحوي ٢٥٦ لونا، كما أنه يدعم ميزة "tele text" ويتيح خيارات إعداد الوظائف كإعادة تسمية المحطات ونقلها وإغلاقها ومحوها إضافة إلى ١٦ قائمة قنوات مفضلة^{٤٥}.



٤٥٥ - مجلة المشاهد، تصدر عن ميديا وورلد سيرفيسز ليمتد، لندن، العدد: ٥٣٨، تموز ٩-١٦-٢٠٠٦، أول جهاز استقبال رقمي يدعم اللغة العربية، ص ٤٩.

نظرية النمو الجديدة في شكلها المبسط

- النظرية التقليدية:

$Y = F(A \times K)$	$Y = (L \times K)$	$Y =$ مستوى الناتج المحلي الإجمالي
$\Delta Y / Y = F(\Delta A / A + \Delta K / K)$		$\Delta Y =$ النمو في الناتج المحلي الإجمالي
$\Delta K = S \times Y$	$\Delta K = S \times A \times K$	$A =$ المستوى التكنولوجي
$\Delta Y / Y = F(\Delta A / A + S \times A)$		$\Delta A =$ النمو التكنولوجي
		$K =$ رأس المال
		$\Delta K =$ نمو رأس المال
		$S =$ نسبة الإدخار

النمو = تابع (النمو التكنولوجي + تعميق رأس المال)

- إن تعلم اللغة العلمية والتكنولوجية بلغة الأم هو خيار اقتصادي فردي وحكومي، ويجب ألا يترك لقانون السوق حسب رأي بعض الاقتصاديين، نظراً لوجود ما يسمى بإخفاق قانون السوق في هذه الحالة Market Faiilar.

- تدل الإحصائيات أن دخل وحيد اللغة في كندا (الإنجليزية أو الفرنسية) متساوٍ ووسطياً، لتساوي مستواهم العلمي والتكنولوجي، ودخل ثنائي اللغة يزيد ووسطياً ٦٪ فاللغة العلمية والتكنولوجية رأس مال بشري^{٤٠٦}.

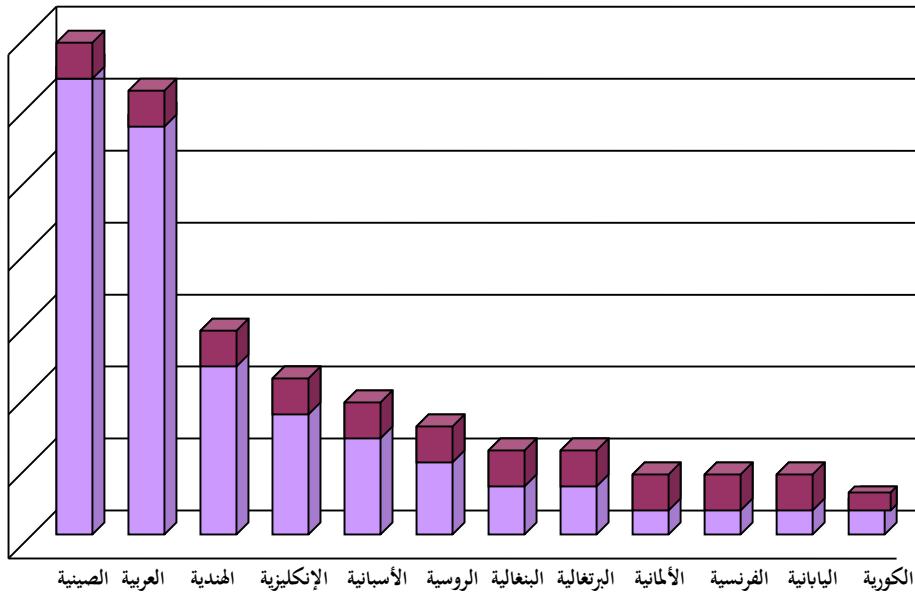
- إن الدولة التي تنجح في إقناع الدول الأخرى بتعلم لغتها لكي تصدر لهم هي الراجحة ربحاً مضاعفاً (تربح كلفة الاستثمار في تعلم لغتها من قبل الآخرين، وتربح كلفة الترجمة في عمليات التصدير).

- وإن من أهم الأمثلة العملية على تطبيق هذا النموذج في السياسة اللغوية للدول، مثال كندا التي تقرر فيها أن تتحمل ميزانية المقاطعات الإنجليزية كلفة الاستثمار في تعلم اللغة الإنجليزية في المقاطعات الفرنسية^{٤٠٧}.

فوصل عدد متكلمي اللغات الأصليين والثانويين (بالملايين) عام ١٩٩٩.

٤٠٦ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣ - ٣٧٤، مصدر سابق، ص ١٧.

٤٠٧ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣ - ٣٧٤، مصدر سابق، ص ١٦.



تشير الإحصائيات المتعلقة بوجود اللغة العربية على الشبكة (الانترنت) إلى أنها تأتي في المرتبة ١٦، أما من حيث عدد المتكلمين بها فهي من اللغات الخمس الأولى، وهي لا تزال من اللغات الست الرسمية في الأمم المتحدة، لذلك تقتضي المصلحة الاقتصادية للدول العربية الاهتمام بها، والتدريس وإجراء البحوث العلمية والتكنولوجية بها، ونشرها عالمياً^{٤٠٨}.

- إن اللغة هي وعاء المعرفة والمعلومة ولها وظائف اقتصادية اجتماعية
- (إن غلبة اللغة بغلبة أهلها، وإن منزلتها بين اللغات صورة لمنزلة دولتها بين الأمم).

ابن خلدون^{٤٠٩}.

- لغتنا تواجه تحديات شرسة من قبل قوى العولمة المتمثلة في المصالح المادية الناجمة عن الاتصال بالأجنبي، والتأثير الإعلامي القائم على الصخب والضجيج والتبشير باللغة الإنجليزية على أنها اللغة العالمية، بينما لا يزيد عدد المتكلمين بها على (٦,٧٪) من بين سكان العالم^{٤١٠}.



- ٤٠٨ - مجلة الفيصل، السعودية، العددان ٣٧٣-٣٧٤، مصدر سابق، ص ١٤.
- ٤٠٩ - اللغة والهوية قومية- إثنية- دينية، تأليف: جون جوزيف، ترجمة: د. عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٤٢، أغسطس ٢٠٠٧م، مقدمة المترجم، ص ٧.
- ٤١٠ - اللغة والهوية قومية- إثنية- دينية، تأليف: جون جوزيف، ترجمة: د. عبد النور خراقي، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٣٤٢، أغسطس ٢٠٠٧م، مقدمة المترجم، ص ١١.

نهضة الثقافة الإسلامية وتحديثها

كانت الثقافة الإسلامية العربية في العصور الوسطى بما فيها الأدب والعلوم والفنون ثقافة خصبة مولدة، فضلاً عن إبقاء المسلمين العرب أو وراثتهم لعناصر ذاتها الأصيلة، كانوا قد تشربوا واقتبسوا وتمثلوا من الثقافات أو الحضارات الأخرى الدخيلة من الهند والفرس والإغريق والرومان حتى من الصين بواسطة طريق الحرير البرية والبحرية، ألم يقل محمد نبي المسلمين ﷺ: (اطلبوا العلم ولو في الصين!).

خرج للعالم كثيراً من العمالقة والعباقرة في الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والكيمياء وسائر العلوم والفنون أمثال الكندي (٨٠١-٨٦٥)، والرازي (٨٦٥-٩٢٥)، والفارابي (٨٧٠-٩٥٠)، وابن سينا (٩٨٠-١٠٣٧)، والبيروني (٩٧٢-١٠٥٠)، والخوانزمرى (٧٨٠-٨٥٠)، وابن رشد (١١٩٨-١١٢٦)، وابن طفيل (١١٠٠-١١٨٥) وغيرهم..

أما في مجال الأدب فنجد بعض كبار الشعراء والأدباء، نبغوا نتيجة تمازج وتزاوج الثقافات الأصيلة والدخيلة أمثال أبي نواس، وأبي العتاهية، وابن الرومي، وأبي تمام، والمتنبي، وأبي العلاء المعري، وابن المقفع، والجاحظ، وأبي الفرج الأصفهاني، وابن عبد ربه..

كانت اللغة العربية في العصور الوسطى من أهم اللغات الدولية الرائجة مثلها مثل اللغة الإنجليزية في وقتنا الحاضر، وكانت العربية مثلاً في الأندلس التي كانت تعتبر جسراً حينذاك بين العرب والغرب قد فرضت نفسها على الأسبان جميعاً وأصبحت لغة الطبقة المثقفة، وأصبحت المؤلفات العربية في الأدب والفلسفة وسائر العلوم أغذيتهم الفكرية والروحية، حتى أن كاتباً أسبانياً معصباً اسمه الفارو عاش في القرن التاسع الميلادي أو أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري قال ما نصه: (وأسفاه! إن الجيل الناشئ من المسيحيين الأذكياء لا يحسنون أدباً ولا لغة غير الأدب العربي واللغة العربية. إنهم ليلتهمون كتب العرب ويجمعون منها المكتبات الكبيرة الأثمان ويبالغون في الثناء على نفاثس الكتب العربية في حين يأنفون من الكتب المسيحية بدعوى أنها لا تستحق أن يلتفت إليها، إن المسيحيين نسوا لغتهم فلا تجد اليوم واحداً منهم بين كل ألف يكتب بها خطاباً لصديق باللاتينية، أما لغة العرب فما أكثر الذين يحسنون التعبير بها على أحسن أسلوب، وقد ينظمون بها شعراً يفوق ما ينظمه العرب أنفسهم في الأناقة وصحة الأداء).

وصدقت العاملة الألمانية الدكتورة زيغريد هونكة إذ قالت في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب": (إن العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية في الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلث وعلم الاجتماع، وبالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم والتي سرق أغلبها

ونسب لآخرين، قدم العرب أثنى هدية وهي طريقة البحث العلمي الصحيح التي مهدت أمام الغرب طريقة لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلمته عليها اليوم).

كما قالت: ولقد كان ظهور الإسلام وتوسعه عاملاً أنقذ الكنيسة من الانحدار، وأرغمها على إعداد نفسها لمواجهة تلك القوى المعادية دينياً وفكرياً ومادياً، ولعل أكبر دليل على هذا هو أن الغرب بقي في تأخره ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الإسلام، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً.. واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قرناً ليصبح أكثر غنىً وجمالاً وأوفر صحة وسعادة^{٤١}.



٤١١ - مجلة التسامح، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مسقط- سلطنة عمان، العدد ١٧- السنة ٥، شتاء ١٤٢٨هـ -
٢٠٠٧م، نهضة الثقافة الإسلامية وتحديثها، تشونغ جيكون، ص ٢٤٢ - ٢٤٤.

في رحاب الكتابة العلمية باللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف، ٢.

اللغة العربية معجزة الذهن البشري، وأعجوبة التاريخ في عصوره كلها، وهي:

لغة إذا وقعت على أسماعنا كانت لنا برداً على الأكباد

ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطق بالضاد

وانطلاقاً من الدور الريادي الذي يقوم به مجمع اللغة العربية بدمشق نحو الاهتمام باللغة العربية وتمكين بنيانها أقام مؤتمره التاسع في المدة ٢٨ تشرين الثاني إلى ١ كانون الأول ٢٠١٠ تحت عنوان:

الكتابة العلمية باللغة العربية

وهو من الموضوعات المهمة، فيه تأكيد إسهام الجمهورية العربية السورية في الجهود الرامية إلى حماية اللغة العربية وتطويرها بما يواكب حاجة العصر.

تحدث في هذا المؤتمر رؤساء مجامع اللغة العربية في كل من الجزائر وفلسطين وممثلين عن المجمع اللغوية الأخرى في القاهرة والأردن، وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق، وبعض الباحثين والمهتمين ومن هذه الأبحاث:

- ١- العربية لغة الكتابة العلمية، للدكتور محمد هيثم الخياط.
- ٢- خصائص الكتابة العلمية باللغة العربية، للدكتور محمود السيد.
- ٣- المجاز في صياغة المصطلح العلمي العربي، للدكتور محمد الجوادي.
- ٤- الكتابة العلمية بأسلوب أدبي، للدكتور عبد الإله نبهان.
- أبعاد الذات والموضوع في الكتابة العلمية والأدبية، د. عيسى العاكوب.
- مشكلات الكتابة العلمية باللغة العربية، د. زياد العسّاف، ود. يوسف بركات.
- الكتاب المرجع والمؤلف والمترجم، د. أحد شيخ السروجية.
- لغة الطفل العلمية، الأستاذة مريم خير بك.
- دور الترجمة في الكتابة العلمية باللغة العربية، د. أحمد حسن حامد، ود. زهير إبراهيم.
- معالجة الرموز العلمية في الكتب المدرسية العربية، د. علي القاسمي.
- الكتابة العلمية والتعريب والتقدم العلمي، د. مكي الحسيني الجزائري.
- الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة، د. عبد الرحمن الحاج صالح.

- الكتابة العلمية باللغة العربية قديماً، كتاب المناظر أنموذجاً، د. محمود خسارة.

- دور التعريب في الكتابة العلمية باللغة العربية، د. أحمد مطلوب.

بينت معظم هذه الأبحاث قدرة اللغة الهرمية على استيعاب العلوم، وتمكنها من الكتابة العلمية باللغة العربية، وأوردت نماذج رفيعة للعلماء العرب قدامى ومعاصرين أبدعوا في مجالاتهم العلمية حين تمكنوا من الكتابة باللغة العربية.

ويحسن أن نعرض للقارئ الكريم قطوفاً من أبرز هذه المباحث ومختصرها:

- ١- العربية لغة بيان وأدب.
- ٢- استيعاب العربية للمعارف والعلوم والفنون.
- ٣- إفادة الغرب من نتاج العرب.
- ٤- محافظة العربية على خصائصها كافة.
- ٥- أهمية التعلم باستخدام اللغة الأم.
- ٦- أسس التقدم العلمي لدى الأمم.
- ٧- الكتابة العلمية وخصائصها.
- ٨- الكتابة العلمية بأسلوب أدبي.
- ٩- بيان العربية متفاعل حرك.
- ١٠- دور الذات في الكتابة العلمية.
- ١١- الترجمات القديمة والحديثة.

- ومن التوصيات المهمة:

١- إن اللغة العربية لغة بيان وعلم وأدب، قد أثبتت في ماضيها وحاضرها، وستثبت إن شاء الله في مستقبلها قدرتها العجيبة بما أودع الله فيها من بيان على أن تعبر عن أي علم من العلوم، مهما كان معقداً أو صعباً أو مبتدعاً بياناً واضحاً دقيقاً وسهلاً ميسوراً في الوقت نفسه ما دام الذي يكتب فيها راسخاً في العلم، فاهماً لما يريد أن يفهمه للناس، متمتعاً بملكة البيان التي يستطيع أن يكتب علمه هذا بأسلوب علمي واضح يبين للقارئ أو السامع أراد أن ينقله إليه من علم دون أن يرهقه ذلك من أمره عسراً.

عندما كان العرب يقودون موكب الحضارة العلمية في واقع البشر، وتمموا العلوم بلغتهم ومفاهيمهم، وكان لهم حضوراً اصطلاحياً ومفاهيمياً في أسس كل العلوم الحديثة، ولا يمكن المنصف أن يقفز على المرحلة العربية إذا كتب عن تاريخ العلوم في أي حقل كان، لم يجدوا وهم الراغبون في النهوض بأساً في منح العلوم من أصحاب الريادة فيها، دونما خوف من غزو ثقافي أو تسرب عقدي أو تشويه لغوي، لذلك أقبلوا على النهضة العلمية والأدبية معاً واستوعبت لغتهم ما حولها من معارف وعلوم وفنون وآداب.

٢- اللغة العربية لغة القرآن الكريم كانت لغة العلم الذي نشأ

عنه وتمازجت معه وفي النهاية حفظته مخطوطات أخذ معظمها الغرب ليعيد إنتاجه بلغته هو يجتهد ويبتعد ويبيني عليه ثم يعود إلينا بلغتهم هم كما كنا نحن قد أنتجناه بلغتنا نحن.

٣- لقد ترسخ لدى العلماء الذين درسوا نشأة اللغات وأصلاتها أن اللغة العربية من أقدم اللغات الموجودة على ظهر الدنيا الآن، وهي إلى الآن تعد اللغة الوحيدة التي حافظت على خصائصها الصوتية والصرفية والمعجمية والدلالية وذلك لأنها ارتبطت بالدين ارتباطاً وثيقاً، وكان لنزول القرآن الكريم بها أثر ضخم في تثبيتها في عقول الناس وجيرانها على ألسنتهم، ولاسيما أن لغة القرآن الكريم لم تكن مجرد لغة تعبدية يتلوها الناس في صلواتهم ثم يهجرونها ومخاطباتهم، فالقرآن الكريم كما قال الرافي رحمه الله يدفع عن هذه اللغة العربية النسيان الذي لا يدفع عن شيء وهذا وحده إعجاز.

علينا أن نتقن لغتنا وإتقان هذه اللغة يقضي بأن يقبل كل واحد منا على القرآن الكريم فيفهمه فهماً صحيحاً، أما المسلم فله على ذلك أجره عند ربه، وأما الباقون فلهم على ذلك أجرهم عند نفوسهم، وعند أبنائهم الذين يربونهم عندئذ تربية عربية خالصة.

٤- لعلنا نجمع على أهمية التعلم باستخدام اللغة الأم فهي أسرع فهماً للناطقين بها، وأخف مؤونة وأسهل حملاً ولذلك عكف أجدادنا في عصر النهضة العربية سابقاً على ترجمة العلوم اليونانية والفارسية وغيرها، وللسبب نفسه تُرجم كتاب الحاوي في الطب لابن النفيس الذي كان مرجعاً في الطب في عصره إلى أغلب لغات العالم.

وإن كان الأدب يزين اللغات ويساعد على تذوقها وبقائها، فالكتابة العلمية لها دورها المهم في نشر العلم وتسهيل وصوله إلى أكبر عدد ممكن من الأشخاص، بحيث يكسر حاجز اللغة الأجنبية، ويوصل الفكرة بسلامة وسهولة، بحيث يتمكن المتلقي من قطع أشواط كبيرة على طريق العلم، وتسهّل عليه الإضافة والإبداع. إن التقدم العلمي لدى أي أمة من الأمم يقتضي:

- ١- تعزيز اللغة الوطنية وحمايتها.
- ٢- تدريس العلوم كلها باللغة العربية.
- ٣- تخصيص مراكز إنشاء بحث علمي في كل الجامعات.
- ٤- تشجيع البحوث العلمية باللغة العربية.
- ٥- العناية بالإعلام العلمي الخاص والعام.
- ٦- الكتابة العلمية هي الكتابة التي تؤدي إلينا المعلومات في أي مجال من مجالات العلوم ومن المعروف أن الكتابة العلمية لها خصائص تميزها من الكتابات الأدبية.



- خصائص الكتابة العلمية:

يجب أن تتصف الكتابة العلمية بالآتي:

- ١- سلامة التركيب اللغوي بخلوه من الأخطاء النحوية والإملائية واللغوية والمطبعية.
 - ٢- الاهتمام بالضبط المهم والمشكل من الألفاظ، والعناية التامة بعلامات الترقيم.
 - ٣- دقة العبارة بحيث لا يحتمل الكلام سوى المعنى المراد.
 - ٤- الوضوح للتعريفات والمصطلحات وتأديتها الفهم الصحيح السليم.
 - ٥- المنهجية في التسلسل المنطقي في العرض والترتيب على مقتضى المنطق العلمي.
 - ٦- الحرص على الجمع بين دقة المعنى ورشاقة التعبير وجاذبية الأسلوب.
 - ٧- العناية الأولى بالأفكار والحقائق.
 - ٨- قد ترد الكتابة العلمية بأسلوب أدبي لأسباب عدة:
 - انتقال الكاتب من موضوعية التعبير الذاتي نتيجة لتأثره بموضوع معين، أو قضية خاصة.
 - رغبة الكاتب في تبسيط العلم وتقديمه في أسلوب جميل لجذب قارئه إليه، وإشاعة المعرفة في عموم الناس.
 - أن يقصد الكاتب بما يقدمه طلاباً في سن معينة فيرى أن يوجه إليهم المعلومات بأسلوب ندي جذاباً وترغيباً.
 - طبيعة الكاتب ونفسه وملكته الأدبية تنحو نحو أدبية الكتابة أياً كان البحث المطروق.
 - تمتلك العلوم روح الأدب فيسـمو بلغته وبيانه وربما بلغ حد الإبداع لامتلاكه العاطفة الأدبية وهؤلاء الأكابر من العلماء كانوا يضطرون في ساعات من ليل أو نهار إلى مطالعة ديوان شعر أو قصة أدبية أو صورة فنية ليلبوا صوت العاطفة ويستمعوا نداء الشعر.
 - ٩- ببيان اللغة العربية ليس ببيان راكد خامل، ولكنه ببيان متفاعل حرك فيه ساحات جاذبية تجذب البنى المتشابهة فتصرف بعضها إلى بعض، وفيه مستويات مختلفة من التعبير تتوالت بينها الكلمات استجابة لسطوة الجمال ودقة الفكر وعمق المعنى وسلطان النغم، كتلك المستويات المختلفة من الطاقة في نواة الذرة تتوالت بينها الذريرات من جراء سطوة طاقة خارجية ترتفع بها من مستوى إلى آخر.
 - ١٠- الذات في الكتابة العلمية منشغلة انشغالاً شبه تام بالموضوع الذي تعالجه، مستكبة له مأخوذة تماماً بنقل حقائقه ودقائقه وتفصيله فتهيئها وتيقظها مشدودان تماماً إلى ماهية موضوعها وحقيقته المادية.
- أما في الكتابة الأدبية فإن الذات المنتجة للكتابة أو التأليف منشغلة انشغالاً تاماً بمعرفتها الحدسية التي محورها العام موضوع المعالجة، منهمة في إنشاء بيان تخيلي تصويري قادر على تصوير طاقاتها الإبداعية في ميدان التأليف مضافاً إلى أكبر قدر من التأثير في نفوس المتلقين لهذا الإنجاز.

١١- الترجمات القديمة والحديثة رسخت استيعاب اللغة العربية لأنها نامية، وقد ترجمت كتب علمية كثيرة، وألفت على غرارها كتب باللغة العربية درست في الجامعات والمعاهد العلمية، وانتفع بها المهتمون بالعلوم الحديثة. إن العرب بدؤوا حركتهم العلمية بترجمة كتب الطب والفلسفة والنجوم والكيمياء وترجمتها في بداية القرن السابع الميلادي نحو سنة ٨٥ هـ، بتوجيه من قيادة الدولة الإسلامية متمثلة بعمر بن عبد العزيز وخالد بن يزيد.

من أمثلة الكتابة العلمية باللغة العربية كتاب المناظر لابن الهيثم، وهو باعتراف كبار العلماء الأوروبيون أنفس ما أنتج علماء الطبيعة في القرون الوسطى وأهم كتاب أنتجه العرب في مجال الفيزياء.

١٢- امتلكت الغيرة قلوب الباحثين جميعاً، وظهرت رغبتهم الصادقة في النهوض باللغة العربية والارتقاء بها وتمكينها في نفوس الناس جميعاً وخاصة في مجالات العلم والأدب، وظهر ذلك في التوصيات المهمة والتوجيهات النافعة التي توصل إليها السادة الباحثون ومنها:

- الإفادة من التراث العلمي العربي والمصطلحات العلمية المستخدمة في الميادين العلمية في تراث الأمة ربطاً بماضيها بحاضرها ومستقبلها مع ضرورة الاهتمام بتحقيق كتب التراث العلمي العربي وطباعتها ونشرها وعدم الاقتصاد في التحقيق على كتب التراث الأدبي.

- وضع التشريعات والقوانين لحماية اللغة العربية.

- الإسهام في تنفيذ مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة الذي اعتمده مؤتمر القمة المنعقد بدمشق عام ٢٠٠٨.

- التزام العربية في بحوث ممثلي الدول العربية في المحافل الدولية.

- إيلاء البرامج الموجهة إلى الأطفال الأهمية من حيث مضامينها العلمية واللغوية والصحة والسلامة اللغوية.

- تشجيع الترجمة العلمية وتعزيز التعريب والترجمة والتأليف.

- اعتماد منهجية موحدة متكاملة لوضع المصطلحات.

التدريب على استعمال اللغة العلمية في جميع مراحل التعلم وإدخال مقرر: الكتابة العلمية باللغة العربية في الكليات الجامعية، إنها جهود طيبة نافعة شكر الله القائمين عليها مساعيهم وجهودهم في سبيل رفعة هذه اللغة ونمائها وسيادتها في وطنها:

كلُّ وجود بما لديه فما الندى وقفاً على من يجزلون عطاء
لا تنهض الأوطان من كبواتها إلا على أيدي تفيض سخاء^{٤١٢}

٤١٢- مجلة نهج الإسلام، وزارة الأوقاف، دمشق- سوريا، العدد ١٢١، السنة ٣٢، ربيع الأول ١٤٣٢ هـ/ شباط ٢٠١١م، في رحاب الكتابة العلمية باللغة العربية، موضوع مؤتمر مجمع اللغة العربية التاسع بدمشق من ١١/٢٨ إلى ١٢/١/٢٠١٠، د.أيمن عبد الرزاق الشوّاء، ص ١٠٢- ١٠٥.

العربية في سوق اللغات

إن المزيّة البيّنة في قواعد اللغة العربية أنّها تابعة لأغراض التعبير والدلالة، ويظهر ذلك بوضوح في ازدهار ظاهرة الإعراب في اللغة العربية، وهو ما لا نجد له أثراً يذكر لا في الإنجليزية ولا في الفرنسية، أما اللغة العبرية ففيها قليل من حالات الإعراب، ولا تخفى أهمية وجود هذه الظاهرة، ولا يخفى أثرها في دقة التعبير والدلالة، يقول الزجاجي: (إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة، ومضافاً إليها، ولم يكن في صورها وأبنيته أدلة على هذه المعاني، بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني.. ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل إن أرادوا ذلك أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه وتكون الحركات دالة على المعاني).

وتتفوق العربية كذلك في إيجازها وسهولتها ودقتها على لغات كالإنجليزية والفرنسية، فيجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربية وتفيد معناها المستقل مع تقديره أو تقدير ما ينوب عنه، فيجوز مثلاً أن يقال: (رجل في الدار)، ويفهم منها ما يفهم من قولهم باللغات الأوروبية: (رجل يوجد في الدار)، أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربية: (رجل موجود في الدار)، ولكن في الفرنسية والإنجليزية لا تتم الجملة على وضع من هذه الأوضاع بغير الفعل الظاهر، فكل كلام خلا من الفعل الظاهر عندهم فهو غير مفهوم.

واللغة العربية كذلك تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الفعل بينما الإنجليزية والفرنسية تدلان على المبني للمجهول بعبارة: ففي العربية نقول: (يُفْتَح الباب) بصيغة المجهول، ولكن العبارة الإنجليزية التي تدل على ذلك هي The door is opened وهي تقابل قولنا: (إن الباب يكون مفتوحاً)، وهو تعبير يخلو من دقة الصيغة العربية، لأنه أقرب إلى الوصف منه إلى الإخبار عن حدث.

وتزيد اللغة العربية صيغة لا وجود لها في الإنجليزية والفرنسية، وهي ما اقتصرت عليها اللغة العربية، وهي صيغة الفعل المطاوع (انفعل) فيقول القائل: (انفتح الباب)، ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالته الدقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم، وصيغة المبني للمجهول.

فإذا قلنا: (فتح محمد الباب)، فهذا لمن يهمه أن يعرف من الذي فتح الباب، وإذا قلنا: (فُتِحَ الباب)، فقد يكون الخبر موجهاً -أيضاً- إلى سامع يهمه أن يعلم شيئاً عن الفاعل، ولكن المتكلم يخبره بأنه لا يعرفه، أو يخبره بأنه يعرفه ولا يريد أن يذكره: تعمداً لإخفائه، أو لإهماله، ولكن هناك حالة غير هذه وتلك، وهي حالة إنسان ينتظر فتح الباب، ولا يعنيه من الذي فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم إنه يجمله أو يعرفه ولا يريد أن يذكره في هذه الحالة يقول العربي: (انفتح الباب)، فيؤدى المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات الأخرى.

واللغة الدقيقة هي اللغة التي تلاحظ مقتضى الحال في كل عبارة من العبارات الثلاثة، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضوعين ملتبسين، بل تستخدم كل عبارة لموضوعها الذي لا لبس فيه، وهذه هي صفة اللغة العربية في وفائها بالمعاني المقصودة على حسب إرادة المتكلم والسامع، أو على حسب ضرورة التفاهم بين الاثنيين. كما تبدو عظمة هذه اللغة ووجازتها مع دقتها من أن درجة الفاعلية في الاسم تثبت في اللغة العربية باستخدام صيغ من مادة الفعل نفسه بغير حاجة إلى مادة مستعارة من غيره.

ففي اللغة العربية صيغ للمبالغة تعطينا من مادة الفتح مثلاً كلمة (فَتَّاح)، بمعنى كثير الفتح، ولا مقابل لهذه الصيغة وأمثالها من صيغ المبالغة في الإنجليزية والفرنسية، إلا باستخدام جملة أو عبارة مركبة من عدة كلمات. أما الصفة المشبهة فهي آية الآيات في توضيح هذه الدقة للغة العربية؛ حيث تفرق اللغة العربية بين الصفات بفروق لفظية تحيط بأعمق ما بينها من فروق المعنى.

فهناك فرق بين كلمة (كريم) وكلمة (مُعطي) وكلمة (مِعطاء)؛ فمن أعطى مرة واحدة فهو معطٍ أو فاعل لفعل من أفعال الكرم، وإن لم يكن كريماً على الدوام، وكذلك المِعطاء الذي يعطي مرات كثيرة، لا يلزم من ذلك أن يكون كريماً أو أن يكون عطاؤه من عنده، فربما كان المِعطاء في معنى من معانيه مرادفاً للصراف على هذا الاعتبار؛ فالكرم صفة لا تحدث في كل عطاء أو كل منحة أو كل صنيع معدود من الصنائع الكريمة، ولكنه صفة ملازمة، ولو لم يحدث فعل الكرم غير مرة واحدة أو مرات معدودة، فإن الذي يعمل عمل الكرماء (كريم) ولو لم تتجدد أعماله أو هباته؛ فالكرم يعبر عن الخلق الثابت الذي لا يتوقف على حدث في زمن محدد؛ ومن ثم جاءت صفة الكريم من فعل لازم، وجاءت صفة المِعطاء من فعل متعد لمفعولين، واستغنى المتكلم عن صيغة اسم الفاعل من الفعل كرم مع وجود الصفة المشبهة؛ لأن صيغة (الكارم) مع سهولتها على اللسان لو وجدت لا تؤدي المقصود من الفعل (كُرم) الذي هو صفة دائمة وليس بعمل متكرر.

أما الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، فموجودة في جميع لغات الحضارة، ولكنها في اللغة العربية توجد مميزة حيث يحتاج الأمر إلى التمييز، وبمقدار الحاجة إليه، وكثيراً ما تأتي جزافاً في غيرها من اللغات. فضمير المتكلم لا يحتاج إلى تمييز بين المذكر والمؤنث؛ لأن إشارة المتكلم إلى نفسه كافية للتعريف بجنسه، ولكن يحتاج إلى التفرقة في العدد، فالفرد يتحدث إما بلسان نفسه، وأما بلسان جماعة، وهو ما نجده في اللغة العربية كما نجده في جميع اللغات؛ فنقول: (أنا كتبت)، للمفرد مذكراً ومؤنثاً، ونقول: (نحن كتبنا)، للجمع مذكراً ومؤنثاً.

ولكن الضمير في حالة الخطاب والغياب يحتاج إلى التمييز في الجنس والعدد، فميزته اللغة العربية، كما ميزت الفعل مع الضمائر المختلفة في العدد وفي الجنس، كما ميزت بين الفعل في حالة التكلم وحالة الخطاب وحالة الغياب، فنقول في حالة الخطاب للرجل: (أنت كتبت)، وللمرأة: (أنت كتبت)، وللرجال: (أنتم كتبتم)،

وللنساء: (أنتن كتبتن)، وللمثنى بنوعيه: (أنتما كتبتما)، ونقول في حالة الغياب للرجل: (هوكتب)، وللمرأة: (هي كتبت)، وللرجال: (هم كتبوا)، وللنساء: (هن كتبن)، وللمثنى المذكر: (هما كتبا)، وللمثنى المؤنث: (هما كتبتا).

بينما الضمائر في لغات كالإنجليزية والفرنسية فلا تعرف المثنى، ولا تفرق الإنجليزية بين الضمير المذكر والضمير المؤنث إلا في حالة المفرد الغائب، ويتساوى ضمير المخاطب في الإنجليزية في حالة الأفراد والتثنية والجمع، كما يتساوى الفعل في الإنجليزية مع الضمائر المختلفة في الجنس والعدد، سواء في حالة التكلم أو الخطاب أو الغياب.

وفي العبرية كذلك لا نجد ضمائر مثناة، كما أن العبرية لا تفرق في صيغة الفعل بين الغائبات والغائبين؛ فأصبحت لهما صيغة واحدة، تشبه العامية المصرية (فعلوا)، هذا مع الفعل الماضي؛ أما مع الفطر في المستقبل فهناك التباس بين مستقبل الغائبات ومستقبل المخاطبات.

وما يبين دقة العربية كذلك ما نجده في العبرية مثلاً، من جزافية لا نعدها في العربية، عندما أدخلت أداة التعريف على اسم الإشارة والمشار إليه، بينما أدخلت العربية أداة التعريف على المشار إليه فقط، ولم تدخله على اسم الإشارة باعتباره معرفة ولا تعريف للمعرف.

وتتجلى دقة اللغة العربية حين نلاحظ أنها تفرق بين جموع للقلة وجموع للكثرة: فتقول: (أبسط، أرغفة، أفراخ، فتيّة) للقلة، وتقول: (بسط، ورغفان، وققول.. الخ) للكثرة؛ وهذا ما لا نجده لا في الإنجليزية ولا في الفرنسية ولا في العبرية..

كما نجد في اللغة العربية (التصغير) وهو ما لا نجده في لغات كالإنجليزية والفرنسية.

وفي اللغة العربية بخلاف كثير من اللغات، نجد كذلك أن التعبير عن اختلاف كفيات الفعل ودرجاته متحقق من وفرة الأفعال التي تؤدي معنى كل كيفية ودرجة؛ فإذا تحدث المتحدث عن هبوب الريح مثلاً ففي وسعه أن يقول: إنها نسمت، أو خفقت، أو سرت، أو هبت، أو عصفت، أو قصفت، أو تهزمت.. إلى أشباه هذا الترتيب في القوة والتأثير.

كما أن التضعيف والزيادة في اللغة العربية يؤديان معنى الفعل على درجات وأشكال شتى، يستغني بها المتكلم عن الظروف بعكس كثير من اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسية مثلاً؛ ففي العربية من مادة الفتح - مثلاً - يمكن أن نقول: فتح وفتح بتشديد التاء، وافتح، واستفتح، وفتح، وانفتح.. الخ.

وأجترى بما ذكرت في التدليل على ما حظيت به العربية من اكتمال لغوي يهيئها لحمل رسالة عالمية، وهو قليل من كثير لا يتسع المقام لعرضه.

وأضيف هنا أنه كما تحتاج اللغة العالمية لكل ما سبق، تحتاج كذلك لكل ما يجعلها رشيقة على اللسان،

محببة إلى الأذان، ومن ثم يسهل على الأذهان حفظها واستذكارها.

أما الرشاقة فأكثر كلمات اللغة العربية ثلاثاً، ولا يتجاوز الاسم بالزيادة ستة أحرف (وهو الرباعي المزيد بحرفين)؛ أما الإنجليزية والفرنسية فلا مقارنة لهما بالعربية في هذا المضمار، انظر كلمة (دين) فهي بالعربية مكونة من ثلاثة أحرف أما في الإنجليزية وكذلك الفرنسية Religion فهي مكونة من ثمانية أحرف، وكلمة مثل (نبي) فهي في العربية مكونة من أربعة أحرف؛ أما في الإنجليزية Prophet فهي مكونة من سبعة أحرف، وفي الفرنسية Prophete مكونة من ثمانية أحرف، بل إن كلمة (مشرک) وهي في العربية مكونة من أربعة أحرف نجدها مكونة من ستة عشر حرفاً في الإنجليزية Associationator وكذلك في الفرنسية Associationniste.

وأما الموسيقية: فيعتمد الشعر الإنجليزي في موسيقاه على النبر، بينما يعتمد الشعر الفرنسي على عدد المقاطع في كل بيت؛ أما الشعر العربي فيعتمد على التفعيلات التي يكون محور الشعر العربي التي ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي منها ستة عشر بجرّاً، لكل بحر منها عدة صور، بل وللصورة الواحدة عدة تنوعات موسيقية، هذا بالإضافة إلى ما لم يذكره الخليل من فنون الشعر، كالموشح، والدوبيت، والزجل، والمواليا، والكان وكان، والقواما.. الخ.

أضف إلى ذلك أن أوزان العروض العربية على إحكامها وإتقانها سهلة الأداء قابلة للتوسع والتنويع إلى الغاية المطلوبة في كل موضع يتناوله الشعراء، ومن ثمة احتار شعراء اللغات الفارسية والعبرية والأوردية أن ينظموا بلغاتهم في أوزان العروض العربية، وفضلوها على أوزانهم القديمة، لأنها أسهل منها وأجمل في موقعها من الأسماع والنفوس..

كل هذا بعض مما هيأ العربية لحمل الرسالة الخاتمة، ببرهنة علم اللغة المقارن ويقتضيه العقل للغة الرسالة الخاتمة، فصدق حافظ إبراهيم في قوله على لسان اللغة العربية:

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضنقت عن آيٍ به وعظاتي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات

٤١٣

٤١٣ - المجلة العربية، السعودية، العدد ٣٧١، السنة ٣٢، ذو الحجة ١٤٢٨ هـ - يناير ٢٠٠٨ م، العربية في سوق اللغات، د. جمال الحسيني أبو فرحة، ص ٨٨ - ٩٠.

أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى

توضع قبل اللغة الفارسية

إن الكلمات العربية في اللغات الإسلامية: الفارسية والتركية والأوردية والمالايوية والسنغالية أكثر من أن تحصى، والكلمات العربية في الأسبانية والبرتغالية ثم في الألمانية والإيطالية والإنكليزية والفرنسية ليست قليلة أيضاً. لقد التقت العربية بالفارسية والسريانية والقبطية والبربرية، وكان عندها أسباب القوة، فهي لغة القرآن وتتميز ببناء قوي محكم، وتملك مادة غزيرة.

لقد حملت رسالة الإسلام فغنيت بألفاظ كثيرة جديدة للتعبير عما جاء به الإسلام من مفاهيم وأفكار ونظم وقواعد سلوك، وأصبحت لغة الدين والثقافة والحضارة والحكم في آن واحد.

غزت العربية اللغات الأخرى كالفارسية والتركية والأوردية والسواحلية فأدخلت إليها حروف الكتابة وكثيراً من الألفاظ، وكان تأثيرها في اللغات الأخرى عن طريق الأصوات والحروف والمفردات والمعاني والتراكيب.

وأدى اصطدام العربية باللغات الأخرى إلى انقراض بعض اللغات وحلول العربية محلها كما حصل في العراق والشام ومصر، وإلى انزواء بعضها كالبربرية وانحسار بعضها الآخر كالفارسية.

لقد أصبحت لغات الترك والفرس والملايو والأوردو تكتب جميعها بالحروف العربية، وكان للعربية الحظ الأوفر في الانبثاق في اللهجات الصومالية والزنجبارية لرجوع الصلة بين شرق إفريقيا وجزيرة العرب إلى أقدم عصور التاريخ.

وإذا أردنا حصر التحديات التي واجهتها اللغة العربية فإننا نلخصها بالتالي:

- محاولة استبدال الفصحى بالعامية.

- محاولة النزول بالفصحى لتقترب من العامية.

- الهجوم على الحروف العربية والدعوة إلى استعمال الحروف اللاتينية.

- الدعوة إسقاط الإعراب في الكتابة والنطق.

- محاولة إغراق العربية في سيل من الألفاظ الأجنبية.

- تطبيق مناهج اللغات الأوروبية على اللغة العربية ودراسة اللهجات العامية.

ويسرني أن أختتم بأبيات من قصيدة للدكتور عبد المعطي الدلاي من وحي هذه المقالة: ^{٤١٤}

لغتي عليا اللغات قد سمت كالكوكب
جرسها بين اللغات كرنين الذهب
قد غدت أخت الخلود بالكلام الطيب

٤١٤ - جريدة الأندلي، جامعة الأندلس، العدد ٢، ٢٠٠٦، أثر اللغة العربية في اللغات الأخرى، مشاركة: زياد كنداش، كلية تقنية المعلومات- المستوى الثالث، ص ٢

تأثير العربية باللغات الرومانية القديمة

تناولت الباحثة ماوري الآركون تأثير اللغة العربية في اللغات ذات الأصول الرومانية القديمة في محاضرة لها في قاعة النشاطات في معهد ثربانتس بدمشق حيث تناولت فيها تاريخ هذا التأثير الذي بدأ مع الفتح العربي الإسلامي لشبه الجزيرة الأيبيرية وكيف فضل المسيحيون الذين عاشوا في الممالك الإسلامية العربية استعمال اللغة العربية على لغاتهم الأصلية.

الذين كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية بدؤوا يتأقلمون بسرعة كبيرة مع الثقافة العربية حيث كانوا يعشقون الأبيات الشعرية والأساطير العربية، لذلك كانوا يجهلون النصوص اللاتينية مما جعلهم ينسون لغتهم ذاتها في نهاية القرن الثاني عشر ثم بدأت مرحلة من التداول الأوحد للغة العربية في المناطق ذات السيطرة الإسلامية من شبه الجزيرة الأيبيرية.

وأوضحت الآركون أن الوضع الاجتماعي اللغوي في شبه الجزيرة الأيبيرية جعل التفوق المطلق للثقافة العربية من نشر ثقافتها وديانتها أمراً سهلاً، مما أدى لنشر سهل للغة العربية وتفوقها آنذاك على نظيرتها الناطقة بالإسبانية كونها جلبت معارف جديدة في جميع مجالات الحياة الإنسانية، فسمحت بإدخال مفاهيم جديدة مبينة أن اللغة العربية أثرت تأثيراً مباشراً في نظيرتها الإسبانية إضافة إلى تأثيرها في لغات رومانية أخرى كانت في تواصل مع شبه الجزيرة الأيبيرية ويعود ذلك لأسباب تجارية أو عسكرية أو دينية.

وأشارت الباحثة إلى أن الأوروبيين وبسبب درايتهم بالثراء الثقافي الإسلامي قاموا بترجمة بعض الأعمال العربية التي اعتبروها أساسية، وهو ما مهد أيضاً لتأثير غير مباشر للغة العربية في لغات رومانية (منبتقة عن اللاتينية).

وشرحت الباحثة في مجمل محاضرتها كيف أصبحت اللغة العربية في تلك الظروف التاريخية لتلك الحقبة هي اللغة الوحيدة القوية المستخدمة في الحياة اليومية والمعاملات التجارية والإدارية وفي العلوم والآداب، مسلطة الضوء على المكون العربي وكيف ترك بصمة في تلك المنطقة من العالم مشيرة إلى أن الاصطلاحات العربية النحوية هي التي لم تنتقل إلى الإسبانية أو إلى لغات أخرى عن طريق العناصر اللغوية إنما انتقلت فقط في صميمها لذلك فهي كلمات رومانية بالكامل من جهة المصدر والتطور لكن تمّ تعريبها في معناها.

وأشارت الآركون إلى أن المترجمين لعبوا دوراً هاماً في تأثير اللغة العربية في اللغات الرومانية الأخرى، وذلك إذا أخذنا بعين الاعتبار أن رجال العلم من الحضارات الثلاث أو من الأديان السماوية الثلاثة انضموا إلى مدرسة الترجمة في مدينة طليطلة في عهد الملك ألفونسو العاشر الحكيم ناتجاً عن ذلك التعاون العديد من

الأعمال التاريخية والفلكية والعلمية التي جاءت من الحضارة الشرقية وانتشرت عبر مدينة طليطلة في كل القارة الأوروبية.

وتجاوز الأثر اللغوي للعربية في منطقة شبه الجزيرة الأيبيرية موضوع الاصطلاح أو الكلمات وفق قول الباحثة حيث وصل التأثير إلى مظاهر أخرى مثل الصوت والنحو والتركيب والأسلوب. وقدّمت الباحثة مجموعة كبيرة من الشواهد والأمثلة والمتقابلات اللغوية التي تبين مدى التأثير اللغوي مبينة الجذر العربي من المصطلح اللاتيني وأساليب التأثير وتحويل الحروف أو دمجها أو إيجاد مقابلات مشابهة للكلمات العربية بحروف لاتينية^{٤٥}.

تأثير اللغة العربية على اللغات العالمية

لدراسة تأثير اللغة العربية على غيرها من اللغات، عكفت على نبش المراجع التي تبحث هذا الموضوع فتبين لي أن أكثر اللغات الأفريقية وجدت في اللغة العربية معيناً لا ينضب من المفردات التي أخذتها إلى لغتها، وخصوصاً لغات الهوسا واليوروبا والفلولاني والولوف والإيبو والسواحلية وكثير غيرها من اللغات التي يتكلمها الملايين في القارة السمراء.

كما نقلت اللغات الأوروبية المهمة الآلاف من الكلمات العربية إلى لغاتها كالإسبانية والبرتغالية والإنكليزية التي أحصى فليب حتى خمسة آلاف كلمة عربية دخلت قواميسها، ولا أقول شيئاً عما دخل الفرنسية والألمانية وهي تعد بالمئات^{٤٦}.

٤١٥ - شبكة المعلومات العربية المحيط. WWW.MOHEET.COM. نقلاً عن: مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٨٣، السنة ٥١، جمادى الأولى ١٤٣٣هـ / نيسان ٢٠١٢م، صفحات من النشاط الثقافي، أحمد الحسين، ص ٢٢١ - ٢٣٠، (بتصرف).

٤١٦ - مجلة المعرفة، وزارة الثقافة سورية، العدد ٥٣٣، السنة ٤٦، محرم/ صفر ١٤٢٩هـ - شباط ٢٠٠٨م، حوار مع د. برهان العابد: همه إسعاد الآخرين، حاوره عادل أبو شنب، ص ٣٧١.

لوثة الإفرنج على اللغة

أتصور أن الشاعر حافظ إبراهيم كان يعبر عن الخوف على الفصحى عندما كتب قصيدته "اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها" التي نشرها سنة ١٩٠٣، ويؤكد بها مخاوف تيار بأكمله في الثقافة العربية من "لوثة الإفرنج" التي سرت في الحياة كما سرى لعب الأفاعي في الماء العذب، ويلفت الإنتباه في هذه القصيدة خطابها الدفاعي الذي يرد ضعف اللغة العربية إلى ضعف الناطقين بها، مؤكداً قدرتها على الاتساع لوصف الآلات الجديدة وتنسيق أسماء المخترعات الحديثة، فهي كالبحر في أحشائه الدر كامن، ينتظر الغواصين الذين يكتشفون فيها ما يصل عظمة الماضي بتطلعات الحاضر، وهو خطاب يكشف عن توتره الذاتي بين الماضي الذي فاخرت لغته أهل الغرب، والحاضر الذي يهدد هذه اللغة بأن يهجرها أبناءها إلى لغة أخرى، وهو أمر يحمل كل يوم مزلقاً يُدنى اللغة القومية من القبر دون إبطاء، ولا حل لهذا الوضع - فيما يقول حافظ إبراهيم في قصيدته- إلا بالعودة إلى لغة الضاد التي حوت كتاب الله لفظاً وغاية، وما ضاقت عن آي به وعظمت، واستخراج كنوزها المطمورة لمواجهة مخاطر الحاضر المحاصر بتحديات الآخر المتقدم.

قد يرفض بعضنا، اليوم، نظرة حافظ إبراهيم التي تبالغ في خوفها على اللغة العربية، وقد نرى في خطاب قصيدته نوعاً من الحديثة التي تمضي إلى أقصى الطرف المحافظ، لكن البديل بالقطع، حتى لأولئك البعض، ليس التغريب المتعمد للغة، أو المضي في متوالية ولع المغلوب بتقليد الغالب على نحو ما نرى في هذه الأيام، وعلى نحو ما نرى من الإسراف في استخدام الكلمات الأجنبية ادعاء للعصرية، والاندفاع إلى المسميات الأجنبية استخفافاً باللغة القومية، فذلك البديل نوع من الإلتباع الثقافي الجديد الذي يلازم التبعية السياسية والاقتصادية بأسوأ معانيها، وآثاره الضارة على الهوية لا تقل خطراً عن آثاره التي تهدد استقلال الوعي وقدرات الإبداع الذاتي للأمة^{٤١٧}.

لئن تشعل شمعة، خيرٌ لك أن تقبع في الظلام..



٤١٧ - مجلة العربي، الكويت، العدد ٥٩٣، ربيع الأول ١٤٢٩هـ - أبريل ٢٠٠٨م، أزمة اللغة العربية السياسية والإعلام والتعليم.. أين الحل؟! د. جابر عصفور، ص ٧٩.

نصف قرن مع العربي

إن اللغة العربية - لو أنصفها التاريخ وأهلها- لكان من المفروض أن تكون هي أداة التداول المطلقة عبر وسائل الإعلام الخطية والسمعية والبصرية، وأن تكون أداة التداول في كل ما يتصل بمجالات الفكر والثقافة والمعارف، وبكل حقول التسيير والتوجيه، وكل دوائر الإبداع والفنون.. ولكن بكل أسف فإن وضع اللغة العربية في هذه المرحلة التاريخية وضع حرج جداً، فهناك حملة واسعة تصاحب حملة الكونية الثقافية تتقصد النيل من كل الثقافات الإنسانية ذات الجذور الحضارية المتأصلة وفي مقدمتها الثقافية العربية، وكثيراً ما تتعلل بأن العربية الفصحى لغة مفارقة للواقع الحي والمعاش، فتحاول أن تثبت الوهم بأن لغة الواقع هي التي يجب أن تصبح اللغة الرسمية، وهذا معناه تحويلها إلى لغة تعليمية، ثم إلى لغة إبداعية حتى يكتب بها الفكر، ومن هنا تتسلل المعاول الناسفة.. أما المرمى البعيد المنشود فهو أن تلقى العربية نفس المصير الذي صادفته اللغة اللاتينية بأن تنحل إلى لهجات تتطور إلى لغات قائمة الذات، وحيث إن الإعلام بمختلف وسائله هو أكثر المنظومات التصاقاً بالواقع فإن كل التركيز يقع على قنواته ووسائله^{٤١٨}.

”

— عمر عبيد حسنة

اللغة العربية مستودع شعوري هائل يحمل خصائص الأمة و تصوراتها و عقيدتها و تاريخها ، و يبقى تعلم اللغات الأخرى حاسة إضافية ضرورية للمسلم المعاصر ، مع الحذر أن تلغي حواسه الأصلية أو تكون بديلاً عنها

اللغة العربية هي التي أدخلت في الغرب طريقة التعبير العلمي، والعربية من أنقى اللغات، فقد تفردت في طرق التعبير العلمي والفني.

بلغت العربية بفضل القرآن من الاتساع، مدح لا تكاد تعرفه أي لغة أخرى من لغات الدنيا.

...سعة هذه اللغة في أسمائها، وأفعالها، وحروفها، وجولاتها في الاشتقاق، ومأخوذاتها البديعية، في استعاراتها وخرائب تصرفاتها، في انتصاراتها، ولفظ كنايتها..

إذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب آخر يحق له الفخر بوفرة كتب علوم لغته غير العرب.

٤١٨ - مجلة المعرفة، تصدرها وزارة الثقافة- سورية، العدد ٥٣٥، السنة ٤٧، ربيع الأول ١٤٢٩هـ- نيسان ٢٠٠٨م، نصف قرن مع العربي، د. علي القيم، ص ١٥.

العربية بين العامية والفصحى

لا يرتاب أحدٌ من الباحثين اللغويين قدامى ومحدثين، في أن اللغة العربية من أقدم اللغات وأقواها أصالةً وأوسعها تعبيراً، بل يعتبرها بعضهم أم اللغات الآريات والساميات والحاميات.

وفي الوقت الذي يقيم فيه بعض الباحثين المعاصرين الأدلة الدامغة على أن العربية أقدر اللغات على اكتشاف البدايات الصوتية للكثير من الكلمات في اللغات المذكورة، نجد آخرين يرمون العربية بالعمق، ويصمونّها بالتخلف عن مجارة الحضارة في عصر الاتصالات والكمبيوتر.. تلك هي التهمة الكبرى التي يتحدى بها البعض لغة الضاد.

حيث تبرز بين فينة وأخرى محاولات لإقصاء اللغة العربية متجاهلين أهمية اللغة من حيث دورها في ربط أواصر المجتمع وتشكيل وعى الجماعة الناطقة بها، بصفتها مرآة لمعرفة ذاتنا، ولأهم ما يميز طبيعتنا البشرية، وأنها أكثر الوسائل حسماً في فهم هذه الطبيعة وسير أغوارها، والمشكلة الخطيرة التي تعترض مسيرة اللغة العربية في العصر الحديث تتمثل في الجدل البيزنطي العقيم حول العامية والفصحى. فمن دعاة العامية، من يحتج بصعوبة الفصحى وتعقيدها، وهو نفسه يحتج أيضاً بأن الأوربي الذي يتعلم العربية تصيبه الخيبة حين يذهب إلى بلد عربي يتحدث فيه الناس بغير الفصحى التي تعلمها، وهذه الحجة هي التي تقودنا إلى القول بالتمسك بالفصحى، التي من شأنها أن تزيل اللبس لدى المتعلمين لها من غير العرب، وبين الأقطار العربية ذاتها أيضاً.

- الفصحى خير وسيلة للتعبير!!

فالأقطار الناطقة بالضاد مترامية الأطراف، وتتعدد فيها اللهجات بما لا ينقضي له العجب، حتى في القطر الواحد مثل لبنان أو مصر على سبيل المثال، حيث يوجد تفاوت ملحوظ في اللهجات العامية، ولا يوحّد بينها إلا التمسك بالفصحى، وإلى هذه الحقيقة لفت الأنظار الدكتور طه حسين، وهو يقرع ناقوس الخطر ويقول: (أحب أن الفت نظر أدبائنا الذين يطالبون بالالتجاء إلى اللهجات العامية إلى شيء خطير، ما أرى أنهم قد فكروا فيه فأحسنوا التفكير، هو أن العالم العربي الآن وكثيراً من أهل العالم الشرقي كله، يفهم العربية الفصحى ويتخذها وسيلة للتعبير عن ذات نفسه، وللتواصل الصحيح القوي بين أقطاره المتباعدة، فلنحذر أن نشجع الكتابة باللهجات العامية، فيمعن كل قطر في لهجته، وتمعن هذه اللهجات في التباعد والتدابير. ويأتي يوم يحتاج فيه المصري إلى أن يترجم إلى لهجته ما كتب السوريون واللبنانيون والعراقيون، ويحتاج أهل سورية ولبنان والعراق إلى مثل ما يحتاج إليه المصريون من ترجمة الكتب المصرية إلى لهجاتهم، كما يترجم الفرنسيون عن الإيطاليين، والإسبانيون عن الفرنسيين.

- الفهم المتبادل:

ويضيف طه حسين: (ولنسأل أنفسنا آخر الأمر: أيهما خير؟! أن تكون للعالم العربي كله لغة واحدة هي اللغة الفصحى، يفهمها أهل مراكش كما يفهمها أهل العراق، أم أن تكون لهذا العام لغات بعدد الأقطار التي يتألف منها؟).

أما أنا- أي طه حسين- فأؤثر وحدة هذه اللغة، فهي خليقة بأن يجاهد في سبيلها المؤمنون بها، وبأن يضحوا في سبيلها بكل ما يملكون).

لقد أثبتت اللغة العربية أنها قادرة على الوفاء بمتطلبات التفكير بأفاقه المختلفة حيث نجد قدرتها على التعبير في مجال الآداب والفلسفة تماماً كما هي في التعبير عن العلوم الطبية والرياضية والميكانيكية والفلكية، ويكفي أن نذكر ابن سينا والخوارزمي وابن الهيثم وأمثالهم لتأكيد هذه الحقيقة.

- الطريق إلى التواصل:

ولم تكن أمة العرب والشعوب التي تكلمت العربية بحاجة يوماً إلى لغة محكية خارجة عن الفصحى للتواصل الثقافي والعلمي، بل إن اللهجات القبلية راحت تنطوي في إطار الفصحى التي حملها العرب إلى الشعوب الأخرى^{٤١٩}.



٤١٩ - الاتجاه الآخر، سوريا، العدد ٣٥٦، السنة ٨، السبت ٤/٥/٢٠٠٨م، العربية بين العامية والفصحى، ميسر سهيل، ص ٢٨.

إلى العربية من جديد

هذه هي لغتكم

اللغة عامل التواصل الأول بين أبناء الأمة الواحدة تقرب عاداتهم وطبائعهم وتحفظ تراثهم وحضارتهم وتنقل أفكارهم فيما بينهم فالفكر سجين في عقل صاحبه حتى يخرج إلى الواقع بلغة تبينه نطقاً أو كتابة. وقد أدركت الأمم أن اللغة هي الحصن الثقافي للأمة في حماية هويتها وشخصيتها.. فما هو فيلسوف الألمان فيخته يقول: (اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً مترصاً خاضعاً لقوانين أنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الذهان).. ويقول كونفوشيوس حكيم الصين: (لو قدر لي الحكم لبدأت بإصلاح اللغة). وقد صدر بيان من مجلس الثورة الفرنسية يقول: (أيها المواطنون ليدفع كلاً منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الإقطاع والاستعباد).. وقد مكن الله على العرب بان اختار لغتهم لتكون لغة القرآن إذ يقول:

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ يوسف، ٢.

وتكفل سبحانه بحفظها مع حفظ كتابه الكريم فهيأ لها من العلماء والأجلاء من أفنى حياته في خدمتها أيام دهره وسطر فيها خلاصة فكره.. فالعربية لغة الدين والقومية عند العرب والعجب أن أمماً لهم لغات ليس لها مما للعربية من اسم الدين هم أحرص على لغتهم من العرب على لغتهم.. إن اللغة العربية هي الأداة التي نقلت الثقافة العربية عبر القرون، وعن طريقها اتصلت الأجيال العربية جيلاً بعد جيل في عصور طويلة، وبها توحد العرب قديماً وبها يتوحدون اليوم ويؤلفون في هذا العالم رقعة من الأرض تتحدث بلسان واحد وتصوغ أفكارها وقوانينها وعواطفها في لغة واحدة، فعندما نرى أنظمة الحكم العربية تختلف فيما بينها من ملكي إلى جمهوري أو جماهيري أو نظام الإمارة أو السلطنة، ونرى في نقد العرب الدينار والدرهم والريال والجنيه والليرة والأوقية، ونرى الزي والثقافة والعادات تتباين بين العرب في دولهم وأقطارهم وربما في مدن الدولة الواحدة ونواحيها، فما الذي يجمع العرب إلا لغة الفكر والثقافة التي لا ينطق بها فصيحة في وسيلة من وسائل الإعلام ولا تقرأ في كتاب مسطور بجميل صياغتها إلا فهمها القاصي والداني من بلاد العرب وكانت لهم نوراً في الفهم وزيادة في الفكر والمعرفة، قال الشاعر:

لغة إذا وقعت على أكبادنا كانت لنا برداً على الأكباد
ستظل رابطة تؤلف بيننا فهي الرجاء لناطق بالضاد

يقول المستشرق الفرنسي جاك بيرك: (إن أقوى القوى التي قاومت الاستعمار الفرنسي في المغرب هي اللغة العربية، بل اللغة العربية الكلاسيكية الفصحى بالذات، فهي التي حالت دون ذوبان المغرب في فرنسا، إن الكلاسيكية العربية هي التي بلورت الأصالة الجزائرية وقد كانت هذه الكلاسيكية العربية عاملاً قوياً في بقاء الشعوب العربية).. وقد عبر دهر طويل كانت اللغة العربية هي اللغة الحضارية الأولى في العالم يحرص العجم على تعلمها لينالوا قبساً من علوم الناطقين بها.. وانحسر شيء من النور ألقاً وسحراً لا يفارقها وشهد به من ذاقها من العرب والعجم، وفيما يلي أسوق بعضاً من شهادات علماء الغرب لهذه اللغة العظيمة.. يقول المفكر الفرنسي أرنست رينان: (اللغة العربية بدأت بفتحة على غاية الكمال، وهذا أغرب ما وقع في تاريخ البشر، فليس لها طفولة ولا شيخوخة).

ويقول الألماني فريبناخ: (ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل إن الذين نبغوا في التأليف بها لا يكاد يأتي عليهم العدوان اختلافنا عنهم في الزمان والسجيا والأخلاق أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية وبين ما ألفوه حجاباً لا يتبين ما وراءه إلا بصعوبة).

ويقول وليم ورك: (إن للعربية ليناً ومرونةً يمكننا من التكيف وفقاً لمقتضيات العصر).

وتقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: (كيف يستطيع الإنسان أن يقاوم جمال هذه اللغة ومنطقها السليم وسحرها الفريد؟، فجيران العرب أنفسهم في البلدان التي فتحوها سقطوا صرعى سحر تلك اللغة).
اللغة العربية هي أقدم اللغات التي ما زالت تتمتع بخصائصها من ألفاظ وتراكيب وصرف ونحو وأدب وخيال، مع الاستطاعة في التعبير على مدارك العلم المختلفة وهي مع ذلك تشتكي عقوق أبنائها وقرأوا إن شتمت رائحة حافظ إبراهيم ومطلعها على لسان العربية:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن فهل سألوا الغواص عن صدفاتي؟؟؟ ٢٠١٤



من خصائص العربية

كانت قد بدأت الحلقة الماضية من هذه السلسلة إلى العربية من جديد بمقالة حملت عنوان (هذه هي لغتكم) تحدثت فيها عن مكانة هذه اللغة بين لغات العالم وتفردا عن غيرها في حيز الصف الأول دون أن تنافسها لغة أخرى لتنال مرتبة بعدها بل ربما تبقى المراتب الثلاثة بعد الأولى شاغرة إلى أن تأتي لغة تصنف بعد العربية لتليها في مرتبة سادسة أو سابعة..

وأتابع في هذه الحلقة الثانية الحديث عن بعض خصائص العربية التي ميزتها عن غيرها ورقت بها قمماً عالية لتشرف بعلو ظاهر على غيرها من اللغات في الهضاب والسفوح والقيعان والحديث عن خصائص العربية حديث طويل واسع بسعة بحر هذه اللغة ومعينها الذي لا ينضب من المفردات والكلمات وربما تقتصر عن سرده ساعات العمر وتعجز عن احتوائه الأسفار والكتب لكن ما لا يدرك كله لا يترك جله فلم يشهد التاريخ لغة تقارب العربية فضلاً عن أن تقارنها في وفرة المفردات والألفاظ، يقول كارل بروكلمان (معجم العربية اللغوي لا يجاريه معجم في ثرائه).

أما إغناطيوس كراتشوفسكي فيقول: (أول ما نلاحظه، من أول نظرة نلقيها على هذه اللغة- أي العربية- الغنى العظيم في الكلمات، والإتقان في الشكل، والليوننة والتركيب)، وفي هذا السياق لنا أن نسوق قصة طريفة عن المعري عندما عثرت قدمه ليلاً بنائم فاستيقظ مذعوراً يقول من الكلب (تذمرا من المعري الذي أوقفه)، فقال المعري الكلب الذي لا يعرف للكلب سبعين اسماً ومضى في طريقه ثم جمع السيوطي هذه الأسماء السبعين للكلب ونظمها بحيث يسهل حفظها وقد طبعت القصيدة ويسهل الوصول إليها لمن أحب وليس اتساع هذه الأسماء ضرباً من التلوين والتنويع فحسب بل في كل واحد فيها معنى جديد يضاف إلى الاسم فمن الأسماء التي عدت لكل المستطير وهو يشير إلى الكلب الهائج، بينما يشير الهجرع في أسمائها إلى الكلب الطويل الممشوق، والجرو إلى صغارها وهكذا..

ومن غنى العربية في مفرداتها توصيف الأوقات والأزمنة والأمكنة توصيفاً دقيقاً لكل برهة منه أو ساعة بدقة لا توجد في لغة أخرى، وربما تضيق الأمثلة عن ذكر كل هذه الأوقات والأزمنة والأمكنة من الأرض وتوصيفاتها، ولا يقتصر غنى العربية على السماء فحسب بل هو واسع في الأفعال والأحوال أيضاً، فلو أردنا أن نضرب مثلاً على فعل (أحب) لوجدنا مقابلاته في غير العربية تقتصر على واحد أو اثنين بينما نجد لهذا الفعل في العربية عشرات المقابلات التي يفهم من كل واحد منها معنى يختلف عن الآخر في درجة الحب والمخاطب به إلى ما سوى ذلك من هذه المقابلات، على سبيل المثال لا الحصر (ودّ، عشق، هام، ولع، كلف، أغرم، هوى..) فبعضها يستخدم واسعاً كودّ وأحبّ، بينما نجد أن أغرم لا تستخدم إلا مع الحبيب

فلا تستخدم مع الأم أو الأب مثلاً، كما تعبر كلمة هام المأخوذة من الهيام عن درجة عالية في الحب لا تقابلها كلمة أخرى من الكلمات بديلاً عنها، ومثلها العشق والكلف والولع والهوى في درجات الحب كذلك العربية في سعة الحروف وأقسامها ومعانيها أبواب كثيرة ربما تضيق صفحات الجرائد عن الإحاطة بها، وأختم هذه المقالة عن سعة مفردات العربية بكلمة لإدوارد فارديك يقول فيها:

(اللغة العربية من أكثر لغات الأرض امتيازاً وهذا الامتياز من وجهين: الأول من حيث ثروة معجمها، والثاني من حيث استيعاب آدابها)٤٢١.

صفات اللغة العربية

قال أبو حيان التوحيدي: (قد سمعنا لغات كثيرة- وأن لم نستوعبها- من جميع الأمم، كلغة أصحابنا العجم والروم والهند والترك وخوارزم وصقلاب وأندلس والزنج، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات نصوع العربية أي الفرج الذي في كلماتها والفضاء الذي نجده بين حروفها والمسافة التي بين مخارجها والمعادلة التي ندوقها في أمثلتها والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها، وإذا شئت أن تعرف حقيقة هذا القول، وصحة هذا الحكم فالحظ عرض اللغات الذي هو بين أشدها تلابساً وتداخلاً وترادفاً وتعاضلاً وتعسراً وتعوصاً وإلى ما بعدها مما هو أسلس حروفاً وأرق لفظاً وأخف اسماً وألطف أوزاناً وأحضر عياناً وأحلى مخرجاً وأجلى منهجاً وأعلى مدرجاً وأعدل عدلاً وأوضح فضلاً وأصح وصلاً إلى أن تنزل إلى لغة بعد لغة، ثم تنتهي إلى العربية، فإنك تحكم بأن المبدأ الذي أشرنا إليه في العوائص والإغماض سرى قليلاً قليلاً حتى وقف على العربية في الإفصاح والإيماض)٤٢٢.

٤٢١ - جريدة الاتجاه الآخر، سورية، العدد ٣٧٨، السنة ٨، السبت ٦ / ٩ / ٢٠٠٨م، إلى العربية من جديد، من خصائص العربية، محمود ماهر الزبيبي، ص ٢٩، الحلقة الثانية.
٤٢٢ - الجيل، آذار- مارس ١٩٨٤، صفات اللغة العربية، ص ٥٠.

اللهجات في اللغة

إن ظهور اللهجات قانون عام ينطبق على لغات العالم كافة، وما من لغة في العالم إلا وفيها لهجات، وما من لغة في العالم إلا ويصعب فهم نصوصها القديمة، حتى النصوص التي تعود إلى ما قبل مئتي عام، فلغة شكسبير وقد توفي عام ١٦١٦ لا يعرفها اليوم المثقف الانكليزي، بل إن كثيراً من بلاد العالم ليس فيها لغة واحدة سائدة، بل فيها عدة لغات، ويوجد مثل هذا التنوع في اللهجات واللكنات الانجليزية إذ يظهر الأطلس اللغوي الانجليزي The Linguistic Atlas of England وأطلس الأصوات الانجليزية Atlas of English Sounds المبنيان على أساس مسح اللهجات الانجليزية توزع عدد من البدائل الجغرافية المألوفة في اللهجات الانجليزية (دورل مارتن، الموسوعة اللغوية، ص ٩٢٧)، وضمن فرنسا نفسها فإن الفرنسية القياسية هي اللغة الوحيدة التي منحت اعترافاً رسمياً كاملاً، غير أنها ليست اللغة الأولى أو الوحيدة بالنسبة لمجموعة كبيرة من السكان، إذ نجد أشكالاً من اللغة الهولندية في الفالندرز الفرنسية وأشكالاً من الألمانية في الألزاس وشمال اللورين، وينطبق بالبريتانية في غرب بريتاني شمال غرب فرنسا، وتستعمل لغة الباسك في غرب بارينز جنوب غرب فرنسا، وتستعمل الكتلان في روزيلون جنوب فرنسا، وفي قسم كبير من جنوب فرنسا يشار إلى اللهجات الأصلية عادة على أنها بروفنسالية (دورل مارتن، الموسوعة اللغوية، ص ٩٢٢)، ومع ذلك تظل اللغة القومية والرسمية لفرنسا هي اللغة الفرنسية، وفي الوقت نفسه تشجع فرنسا البربر في الجزائر على الاستقلال الثقافي على الأقل، وتدعوهم إلى التمسك بلغتهم الأمازيغية مع أن كثيراً من الدراسات تذهب إلى أن الأمازيغية هي لهجة عربية فصيحة، فلقد انتهى البحث بالدكتور علي فهمي خشيم إلى أن اللغات أو اللهجات التي نسميها اللغات العروبية التي تشمل لغات الوطن العربي القديمة في الرافدين والشام ووادي النيل والشمال الأفريقي، (خشيم، سفر العرب الأمازيغ، ص هـ)، كما انتهى به البحث إلى وضع معجم عربي بربري مقارنة (الهدف منه تأصيل المفردات الأمازيغية البربرية وإعادة تأهيلها إلى أورتها العربية الأولى)، (خشيم، لسان العرب الأمازيغ، ص.أ). ٤٢٣

والطريق إلى إبقاء العرب متخلفين هي عزلهم عن لغتهم ودينهم وزرع الشقاق فيما بينهم، وإبقاؤهم ممزقين وإشغالهم بمشكلة العامية والحروف اللاتينية، وإثارة مشكلة القوميات والأمم الأخرى والثقافات الإثنية والخلافات الدينية والطائفية، وهي مشكلات موجودة في كل مكان في العالم، في فرنسا وإنكلترا وأمريكا وفي الصين والهند، وما من دولة تقوم على لغة واحدة أو شعب واحد أو عرق واحد أو دين واحد أو مذهب واحد، فلا بدّ من التعدد والتنوع والاختلاف، ولكن قوة الدولة وتقدمها وحضارتها ورفيها تجعل تلك

٤٢٣ - مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٥٢، السنة ٤٨، رمضان ١٤٣٠هـ / أيلول ٢٠٠٩م، وحدة الثقافة العربية، د.أحمد زياد محبك، ص ٥٥ - ٧١، (بتصرف).

المشكلات غير فاعلة، لأن الهدف هو الوطن والمواطن، وحق المواطنة للجميع، وتقوى تلك المشكلات، وتظهر في حال الضعف والتخلف..

إن مواجهة العرب للمخاطر لا يمكن أن تكون بالحرب والسلاح، إنما يمكن أن تكون بالحرية والعلم، وأول خطوة على العرب اتخاذها هي التعليم، لا بدّ من إصلاح التعليم، ورصد ميزانية كبيرة له أكبر من ميزانية التسلح، ولذلك لا بدّ من النهوض بالعربية.

ولا بد من أن يشمل هذا الإصلاح المؤسسة التعليمية بمستوياتها وعناصرها كافة، من التلميذ في الصف إلى المعلم، ومن التعليم الابتدائي إلى آخر مراحل التعليم العالي، ومن البناء الحجري إلى الكتاب والحاسوب، من الإدارة إلى الخدمات، ومن وسيلة انتقال الطالب إلى صحته ومعيشته، إن كل مؤتمرات تطوير التعليم تقف عند المناهج والكتب، وتنسى الإنسان، لا بدّ أن يحظى المعلم بالمكانة الاجتماعية والمعيشة اللائقة، ليتمكن من العطاء، وليكون قدوة ومثالاً، ولا يكون هزأة، فالمعلم هو الذي يبني الإنسان، وهو الذي يصنع شرائح المجتمع كافة، من العامل والأجير إلى العالم المختص والوزير، والمعلم هو الذي يحفظ القيم الدينية والخلقية والوطنية والقومية، وينقلها من جيل إلى جيل، والمقصود بالمعلم المعلم في المستويات كافة من أدنى مراحل التعليم إلى أعلاها.

إن الدعوة إلى نهوض الأمة لا يمكن أن يكون بالعامية ولا بحروف لاتينية، وإنما يكون بالاهتمام بالتعليم والنهوض باللغة الأم، ويؤكد ذلك أنه عندما أطلقت روسيا القمر الصناعي عام ١٩٧٥ اهتزت الأوساط التربوية في أمريكا، وتساءلوا عن السبب الذي جعل الروس يتفوقون عليهم في هذا المجال، وجاءت الدراسات تشير إلى أن السبب في ذلك يرجع إلى إخفاق المدرسة الأمريكية في تعليم الناشئة القراءة الجيدة، ورفع أحد المسؤولين التربويين شعاراً هو (حق كل طفل في أن يكون قارئاً جيداً في السبعينات)، (السيد، ص ٣٢٨).

إن العلم هو الذي سيفتح أمام العرب أبواب المستقبل، ولم يعد بإمكان أي شعب من شعوب العالم الانتماء إلى الحضارة والمشاركة فيها من غير العلم، فمن الممكن بالمال شراء السيارة والحاسوب والقمر الفضائي والآلة الحربية المتطورة، ولكن شراءها بالمال يعني أن يصبح المرء عبداً لها، وأن تصبح البلاد التي تشتريها خاضعة للبلاد التي تنتجها، وتابعة لها، وبذلك تظل البلاد التي تشتريها متخلفة، وهذا ما يُراد للوطن العربي، ولا يمكن التعامل مع آلات الحضارة ووسائلها التعامل الصحيح إلا بالعلم، وهذا العلم سيساعد على إنتاجها بدلاً من شرائها. ٤٢٤

- قول الزيات:

وقبل نحو سبعين عاماً كان أحمد حسن الزيات قد قال: (استقلال اللغة مظهر استقلال الذات، ووحدة اللسان جزء من معنى الأمة، واتحاد البيان سبيل إلى توحيد الرأي والهوية والثقافة، فإذا سمعت امرءاً يتكلم غير لغته من غير ضرورة أو يلهج بغير لهجته من غير مناسبة فلا يخامرك شك أنه كذلك في خليقته وعقيدته ونمط تفكيره وأسلوب عمله، وإذا رأيت أمة تدير في أفواهها ألسنة الأمم وتستعير في أعمالها دلالات الناس فلا تتردد في الحكم عليها بالتبعية المدنية والعبودية الأدبية والوجود الملقق) (الزيات، ص ٣٣٦)، وفي قول الزيات ما يدل على تاريخية الصراع بين العربية وأعدائها، وما يؤكد قوة العربية واستمرار حياتها وحيويتها^{٤٢٥}.



٤٢٥- مجلة المعرفة، م.ن، ص ٧٠، (بتصرف).

أصل اللغة والحرفية

إن حاجة التواصل وحاجة الإنسان الأول إلى التماسك الاجتماعي، سبب وجود لغة التخاطب، ومنذ أن أدت وظيفتها بدأت في أن تصبح الهوية المعبرة عن الناطقين بها..

لمدة_ لا يعرفها إلا الله_ ظلت اللغة مقتصرة على الكلام لأنه كان يكفي حاجة التواصل، أما الكتابة فقد قدمت- فيما بعد- على جناح التطور.

لقد بدأت بما يسمى (الهيروغليفية)، والهيروغليفية ليست لغة، بل هي طريقة للتعبير باليد بدل اللسان، وهي تتألف من معنيين: (هيرو- أو أوري) أي النقش و(جليفو) أي لوح الطين، فالهيروغليفية التي كانت تفاهماً بالصور الصامتة تطورت صورها فضمرت وأصبحت مثل المسامير فسميت (الكتابة المسماوية)^{٤٢٦}، أما الكتابة التي بنيت على الحرف، والتي تحدد بها البدء الحضاري فقد وضعها الكنعانيون أي (الفينيقيون) الذين تسلسلوا من كنعان، من فوط، من مصرايم، من مردوش، من حام بن نوح..

لقد رصد الفينيقيون حجرة الإنسان ورمزوا إلى كل صوت برمز اسمي حرفاً تأكيداً لاستقلاله عن بقية الرموز فهو في استقلاله عن سواه شكلاً وعملاً دقيق الخصوصية (كحرف الشاهق) من الأرض.

اثنين وعشرين حرفاً جمعها الأجداد في (أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت)، ثم وجدوا ستة أحرف أخرى جمعوها في (ثخذ، وضظغ)، تلك الحروف - كما قلنا- أعظم إنجاز حضاري سار بها:

- السريان الآراميون، إلى الشرق ووصلوا بها إلى الهند.
- والفينيقيون، إلى اليونان ومنه إلى أوروبا قاطبة.
- والعروبيون الأتقياء إلى الجزيرة.

لقد ظلت الأمم الأوروبية- كما يقول بريستد في كتاب العصور القديمة- حتى سبعمئة سنة قبل الميلاد خائفة من أوراق البردي التي كانت تحمل تلك الحروف، فأنت إذ تتجول في اللغات الإنسانية كافة، تجد كلمة (ألفابه) المعبرة عن مجموع حروف اللغة وهي مأخوذة من (الألف والباء) في (أبجد).

أيها القارئ، مع أن الدخول إلى وادي اللغات هو من اختصاص الأخصائيين فقد قمت بهذه المجازفة العجولة لأبين أن ساكني هذا **المجوف الجغرافي** أول من عرف الهيروغليفية، والمسمارية، ثم أبجد.. إن الإسلام الذي انتشر باللغة العربية المتطورة والنبي الذي تكلم بها والقرآن الذي أوحى باللغة إياها، طوى من التداول والتعامل (لهجة الفينيقيين، ولهجة السريان الآراميين)، واعتبر اللهجتين أعجميتين، فالأعجمية من العجمة، والعجمة هي عدم الإفصاح في الكلام ولكنها جميعاً تلتقي بأصل واحد^{٤٢٧}.

٤٢٦ - الكتابة في مصر القديمة كانت الهيروغليفية للكهنة- الهيروغليفية للدواوين. نقلاً عن: مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٤٨، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٣١هـ/ كانون الثاني ٢٠١٠م، القومية العربية بالمفهوم العلمي والثوري، أحمد عمران الزاوي، ص ١٩٧.
٤٢٧- مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٤٨، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٣١هـ/ كانون الثاني ٢٠١٠م، القومية العربية بالمفهوم العلمي والثوري، أحمد عمران الزاوي، ص ١٩٧- ١٩٨، (بتصرف).

القومية العربية.. بالمفهوم العلمي والثوري

- يمتد الوطن العربي فوق مساحة جغرافية تزيد على أربعة عشر مليون كيلو متر مربع:
- مكوناً صلة اتصال أبدية بين قارتي آسيا وأفريقيا ممتداً بكامل أبعاده على الأجزاء الأهم من هاتين القارتين.
- فهو يحتضن الوجهين الشرقي والجنوبي للمتوسط ويتبعه على ناصيته في الغرب، ويستغرق من الشواطئ الشرقية للأطلسي حتى بلاد السنغال.
- ويطوق بساعديه كامل البحر الأحمر من ابتدائه في السويس حتى انتهائه في باب المندب.
- ثم يزحف إلى جيبوتي والصومال، ويحيط بالسودان وغرباً وجنوباً ليتجه إلى ليبيا والجزائر والمغرب حتى يلتقي مع مصب السنغال في الأطلسي.
- أما في الجنوب الشرقي فالخليج يشكل استراحته البحرية ليطمئن إلى حدود تركيا، محاذياً زاغروس التي تفصله عن بلاد فارس.

- هذا الوطن:

قيل في القديم: (هو بستان الحضارات)، وهو تؤيده ثوابت التاريخ، فأنت لو حذفت من التاريخ حضارة السومريين والأكاديين، وتجاوزت خوالد المصريين والآشوريين والبابليين والكلدان والأنباط والآراميين والتدمريين، لن يبقى بين يديك غير مسوخ حضارية مقطوعة الجذور هزيلة الفروع. إن حضارة اليونان والرومان، ابتدأتا كفصلين من فصول الحضارة العربية القديمة، حيث ترعرعت على موائدها الفكرية الطافحة، حتى إذا تمثلنا ما عليها من أصناف الحكمة والعلوم، عكفتا على ما تمثلناه تعديلاً وتطويراً ثم أعادته بثوبه الجديد إلى أجدادنا، فعكفوا عليه، تعديلاً وتفصيلاً ورفعاً حتى استطاع أن يحمل اسم الحضارة العربية.

ولا أظن أن مثقفاً في هذا الزمن لا يعرف الكثير أو القليل عن القدس التي تنقلت على مدى الأزمنة، فقد أخذت اسمها الأول (بيوس) من اليبوسيين الذين بنوها، ثم أورشليم (مدينة السلام)، وهي كلمة عربية سورية سريانية قديمة، ثم إيليا (القسم الأول من اسم الإمبراطور إيليا هاد ريان)، ثم القدس الذي أعيد إليها من صلاح الدين، وكان النبي محمد ﷺ أول من أطلق عليها اسم القدس.

كما لا أظن أن مثقفاً في هذا الزمن لا يعرف شيئاً عن دمشق، أقدم مدينة مأهولة في التاريخ، وبيبلوس التي انطلقت منها صناعة الورق والكتاب اللذين أخذتا اسمهما منها (بيبر، بابل) وبيروت أم القوانين، وأنطاكية مركز الانطلاق المسيحي، والإسكندرية التي بناها الاكسندر بن فيليب الإغريقي.

- وحمورابي المشرع الأول، الذي قنن في ٢٩٨ مادة أمور المال والزراعة والأسرة، وأنواع الاعتداء على المجتمع

والأفراد، ومن قبله الفينيقيون الذين أنشأوا جبيل وصور وصيدا وبيروت وأرواد وقرطاجة وحضرموت وملقة وقادش ومالطة، واكتشفوا الأبجدية التي اعتبرت أعظم إنجاز حضاري في التاريخ^{٤٢٨}.

- تلك بوّز حضارية:

أضاءت ظلمات العصور بما كانت تحتزنه من وقود (الجمال والفكر)، حتى إذا جف الوقود ونضب نبعه، همدت تلك الأضواء هموداً يشبه الموت، ومع هذا التدهور الذي صار في متناول أية معرفة، فما زال الكثيرون من العرب، حتى المثقفين مشدودين إلى ذلك الماضي (بعجره وبجره)^{٤٢٩}، لا يريدون الانفكاك مع أن الحضارة قفزت من فوقه وفرضت على أنماط الحياة وضروب التفكير نفسها.

نعم: إنه لمن دواعي فخرنا أن تكون خيول أجدادنا، قد سهلت فوق البيرينه وزغروس والأمانوس، وأن تكون قبضاتهم قد دقت أبواب روما ولابواتيه، وأن قيادة العالم (حكماً وعلمياً وفناً)، ظلت في أيديهم مدة تزيد على سبعة قرون.

فمنذ ثلاثين قرناً قال الجامعة بن داوود: كتب على الأرض أن تستقبل وتودع جيل يمضي وجيل يأتي إلى الأبد.

لقد صدق الجامعة، فما من أحد يستطيع كتمان إعجابه ببناء (الأهرام وبرج بابل والحدايق المعلقة ومقبرة الملوك وبعلبك وتدمر وماري).. كذلك مع اختلاف الصورة والتصور: تبهرنا اليوم (ناطحات السحاب، والجسور المديدة المعلقة، وأنواع الاختراعات) التي سهلت مصاعب الحياة، وهذا الجهاز العجيب الذي لا يتجاوز مساحة الكف يسمعك صوت صديقك المتكلم من أقصى الدنيا ويريك وجهه وشخصه.

ولكن، مثلما لم ينتفع المصريون والبابليون بشكل دائم، بمضغ الماضي، لم نفع بالاسترخاء تحت الأبراج مكتفين باستذكار سهيل الخيول ومناعة القبضات القديمة فالشاعر كان على صواب عندما قال:

إن الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبي

أيها القارئ سوف أكتفي بالوقوف على رؤوس الأحداث للإطلاع منها على حجوم الأمراض التي تعاني منها الأمة، ومن ثم لإبداء وجهة النظر في مكافحة تلك الأمراض.

ففي الكتاب:

٤٢٨ - قال أحد الصبية لأبي العلاء: أنت القائل:

وإني وإن كنت الأخير زمانه لآت بما لم تستطعه الأوائل

قال: نعم، فقال الصبي: لقد أتى الأوائل بثمانية وعشرين حرفاً، فهل لك أن تزيد عليهم حرفاً واحداً؟ فكان ذلك من مسكتات أبي العلاء. نقلاً عن: مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٤٨، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٣١هـ/ كانون الثاني ٢٠١٠م، القومية العربية بالمفهوم العلمي والثوري، أحمد عمران الزاوي، ص ١٩٣.

٤٢٩ - العُجْر والنُّجْر: مثل عربي يراد به: جميع المعاييب التي تكتنف الشخص. نقلاً عن: مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٤٨، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٣١هـ/ كانون الثاني ٢٠١٠م، القومية العربية بالمفهوم العلمي والثوري، أحمد عمران الزاوي، ص ١٣٩.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة، ١٣٤.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء، ٣٦.

وفي الأثر: (لا تقسروا أبناءكم على أخلاقكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم)

(علي بن أبي طالب)

وقد فهمت من الكتاب والأثر أوامر الله بالاستمرار على التطور المرن، فلا تنظر ولا تسمع ولا تحكم بعين سواك وأذنه وفؤاده، وفهمت تبعاً لذلك أنه فيما خلا عقائد التوحيد والإيمان بالثواب والعقاب وقدرية الموت والحياة، والبعث والنشور.. ثمة حثٌ إلهي بلغ حدود النهي والتهديد على ضرورة الاستخدام الذاتي لقدرات السمع والبصر والعقل، إذ على هذه الثلاثية قامت (قاعدة الاختيار وعلى الاختيار قامت مؤسسة الثواب والعقاب)، لذلك قال الكتاب:

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ الإسراء، ٣٦.

وإذا ربط المسؤولية بهذه القوى، سبقها بالنهي في عبارة (لا تقف ما ليس به علم)، أي: لا تقل سمعت ولم تسمع أو رأيت ولم تر، أو علمت ولم تعلم، وإذ نوقف هذا الاسترسال فلنفسح المجال للحديث في المواضيع التالية:

- القومية العربية، تعريفها وما آلت إليه.

- البعد الزمني لاستعمال كلمة عرب.

- مصدات الانبعاث القومي.

- تحديد أوصاف الثوار.

- تعريف القومية وما آلت إليه:

القومية العربية: هي الهوية التعريفية للمجموعات البشرية التي امتدت فوق البقاع الجغرافية المعددة في بدء المقال، أما ما آلت إليه، أي ما وصلت إليه، فهو الانهيار حتى الحضيض.

لقد كانت آخر خفقات سراج المجد، حينما طرد العرب من الأندلس عام ١٤٩٢م، يوم وقف آخر ملوك العرب بيكي بين يدي أمه حظه العائر وملكه الدائر، فأجابته بيت من الشعر، سار حكمةً على الدهر.

ابكٍ مثل النساء ملكاً مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال

منذ ذلك الوقت بدأنا نرى بالأيدي بدلاً من العيون، ظلت رقابنا مقرونة إلى التير التركي مدة تزيد على أربعة قرون، وحينما عدنا إلى الحياة، عدنا بشكل موارد، إذ بينما كانت الأمم تسير بالطائرات والسيارات والبوارج، بدأنا على الأقدام، وليس ذلك فحسب، بل على رؤوس النكبات، بأقدام حافية راعفة بالدماء ومثل العميان لا نرى الحفر قبل الوقوع فيها، ولا المصدات بل الاصطدام بها، فالتجمع السياسي الذي يعبئ

الجميع تحت قيادة واحدة فقدته أمتنا منذ أن طردنا من الأندلس، فمن ذلك الوقت، نحن أقزام بين الجبابرة جزأونا فلم نعارض، فرضوا علينا القول والعمل والأخذ والعطاء، فكان ذلك هيناً بما في الهوان من المعاني لينا بما في اللين من الضعف، مطوعاً بما تعنيه الطاعة من الاستخداء.

نعم، إنه لمن دواعي الفخر أن تقرأ صك أستاذيتنا الأمية، في صدر القاعة الشرقية من متحف اللوفر محفوراً بالعبارة الآتية: (من الواجب على كل مثقف في الكون أن يعترف بأن له وطنين أولهما سورية والثاني وطنه الذي ولد فيه).

قلت: إن كان على كل مثقف كوني أن يعترف بأستاذيتنا، أليس جديراً بنا أن نعرف الأسباب التي بوأتنا ذلك المكان الرفيع، والأسباب التي أسقطتنا من ذلك الشاهق؟ أليس جديراً بالمواطن العربي أن يحفر في الزمن ليجلو جلاميده عن المساهمات الحضارية التي ساهمت بها الأمة؟

أيها القارئ، بعيداً عن التعصب والتفاخر الكسول واستنفاراً للهمة التي تراكمت عليها ظروف اليأس ألتمس مرافقتي بعض الوقت على دروب التاريخ لنرى فيه ملامح المساهمة الحضارية التي ساهمت بها الأمة العربية وقدمتها إلى العالم.

ليس للبكاء على الأطلال، بل لبيان أن ما قدمناه الذي حقق لنا السيادة والريادة كان إبداعاً غير مجلوب وخلقاً غير مسبوق، فالفرس واليونان.. بعد أن اعتمدوا على بستاننا الحضاري أخذاً وعطاءً وتفضيلاً وتعديلاً.. أعادوا إلينا ما أنتجوه، فأخذناه وأضفنا وفصلنا وأسقطنا، وإنه لمن قلة الإنصاف عند أي باحث ألا يرى في الفارابي غير صورة مصغرة عن أرسطو وألا يرى في ابن سينا غير نسخة منقولة عن جالينوس أو أبقراط، فالحضارة من علم وفنٍ وحكمٍ، نُهرٌ يخرق الزمن ليصب في الأبد، وما مياها المتدفقة غير تذكير الحاضرين بالغابرين، واستحضار لمتروكاتهم والنهر الحضاري على تعدد الروافد يحمل اسماً واحداً فقط هو (نهر الحضارة الإنسانية)، مجرداً من الجنس واللون..

بعد هذه الإشارات الخاطفة، أبدأ بالبداية التي تبرز الأسباب الحقيقية لما كان ولما هو كائن ولما يجب أن يكون.

١- الجبال التي قامت بيننا وبين بلاد فارس، المتوسط الذي فصلنا عن أوروبا، والأطلسي والهادئ اللذان فصلانا عن بقية الأمم، هذه العوامل فرضت على أبناء هذه الجوف، وحدة اللغة والمناخ والعادات.

إن قارئ التوراة الذي يقرأ فيها رحلة إبراهيم الخليل وابن أخيه لوط وحاشيتهما المؤلف من أربعة آلاف شخص التي انطلقت من (أور) الكلدانية على الشاطئ الشمالي للخليج، وانطلقت في أرض العراق نحو الشمال محاذية مجرى الفرات مارة بعانة وهيت ومستريحة في حاران (حران) ومنها إلى دمشق، فأرض الحثيين

فسيناء فمفيس، وعودة هذا الجم الغفير من الطريق إياها مروراً في الذهاب والإياب بعددٍ من الأقسام، الذين تبادلوا معهم الحديث والكلام، قارئ التوراة حينما لا يرى أي دليل على وجود ترجمان بين الحاشية وتلك الأقسام، لن يزول استغرابه إلا إذا اقتنع بأن لغة واحدة كانت سائدة في هذه الجغرافية الواسعة، لا تختلف إلا باللهجات بين الأقسام والقبائل.

٢- ومثلما كان شهداؤنا من قبل يتقاطرون إلى الشهادة قائلين: (وعجلت إليك رب لترضى)، هكذا ثوار الوحدة وفدائيو الوطن يتقاطرون إلى أشداق الجهاد وهو يقولون (وعجلت إليك شعبي لترضى).^{٤٣٠}

أيها القارئ: جميعها مجبولة بالنفاق:

- التصريحات الوحشية التي يطلقها الإقليميون.
- اللقاءات والمؤتمرات التي يخفي بها الإقليميون إقليمييتهم.
- الخطب الرنانة، والمقاطع البلاغية، عن الحرية والديمقراطية، واستعادة المجد القومي بالدبلوماسية دون ثورة اجتماعية.
- ذلك العناق الذي امتلأ بالنفاق كلما التقى مسؤولان إقليميان.
- تلك الأخوة التي تملأ رسائل الإقليميين، وهي في الحقيقة، قشرٌ يغطي ألد الخصام.
- أما وقد ذهب الزمن بي كل مذهب، وبلغت من الكبر عتياً أرى من بعيد وحدة الأمة وأحس أنني لن أعيش لحظات السعادة تلك، ومع هذا فإن لي من تجاربي وبياض لمتي ما يسمح لي أن أضع بين يديك نصائحي عرضاً لا فرضاً وتقريراً لا قراراً:
- الحلول في ظل التجزئة لن تكون غير حلول جزئية.
- الوحدة هي قدر الأمة والنضال في سبيلها هو فرض عين لا يستثنى منه شخص.
- لن يكون هناك تحرر من الجهل والتخلف إلا في ظل الوحدة.
- إن قوى الاستكبار في العالم قد تغفر أي شيء سوى التحرك الوجدوي، لأن هذا التحرك هو ألد أعداء هذه القوى منذ مؤتمر لندن في عام ١٩٠٤م.

وللمثال أورد باللهجات مثلاً: كان المؤرخ أحمد شيخ داوود، قد أورد.

الجمل يرعى عشباً .. اللهجة العربية النقية.
جملوروي عسبو .. اللهجة السريانية.
جملوروي عسبا .. اللهجة الفينيقية.

٤٣٠- هي جزء من الآيتين: ﴿وَمَا أَعْلَمُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثْرِي وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى طه، ٨٣-
٨٤. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م، ن، ص ١٩٨.

فالحُدود المانعة، مثلما فرضت وحدة الاستقلال الجغرافي فرضت وحدة اللغة فما تختلف إلا باختلاف لهجات القبائل.

٢- تلك الوحدة الجغرافية والمناخية واللغوية، لم تتطور إلى وحدة سياسية إلا في وقت متأخر، أي إن العرب لم يعرفوا تكتلاً سياسياً جامعاً بين مشرقهم ومغربهم وشمالمهم وجنوبهم، إلا بعد الانبعاث القومي، أما قبل انبعاثهم القومي كانوا أشتاتاً يحملون اسماً واحداً ولكنهم لم يكونوا كياناً سياسياً واحداً.

لقد جاء في ص ١٩، من المجلد ١-٢ من قصة الحضارة: إن هيرودوت أبا التاريخ، أكد أن أقدم استعمال لكلمة "عرب" كانت في عهد كيبوس أحد فراعنة الأسرة الرابعة التي حكمت وادي النيل في القرن الثلاثين قبل الميلاد، إذ سخر هذا الفرعون جميع المصريين لخدمته حيث عين طائفة منهم لقطع الأحجار من بلاد العرب ونقلها إلى مصر.. وفي حفريات آشور ظهر نص محفور على جبهة عريضة من الحجر المصقول تضمن وصفاً لحملة "شالما نصر" في منتصف القرن السابع قبل الميلاد، ضد ملك دمشق "جنديو العربي".

وورد في سفر إرميا (٢٤/٢٥) العبارة التالية: (وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذي بجانب الكوشيين)^{٤٣٢}.

وفي ص ٢٣ من قصة الحضارة المجلد الثاني: (الحضارة- هي هنا الزراعة واستئناس الحيوانات ظهرت أولاً في بلاد العرب)، وثمة شخصيات عربية كان لها تأثير كبير على حركة التاريخ الإنساني نذكر منها:

- في الإمبراطورية الرومانية: (فيليب العربي)، إمبراطور روما، تمثاله في الفاتيكان أصرَّ على بقاء لقب العربي للدلالة على أصله.

- (جوليا سوريا): إمبراطورة في روما، تمثالها في الكابيتول.

- جوليا ميذا: إمبراطورة في روما، تمثالها في الكابيتول.

- هبليو جبال: إمبراطور في روما، من أصل سوري ومعنى الكلمة (سبحان الخالق).

- كاركلا: إمبراطور روماني هو ابن جوليا دومنا ومعنى الكلمة حصن الرب.

- سبتيموس سيفيرو: الإمبراطور ذو الأصل العربي.

- جوليا دومنا: الإمبراطورة العربية ومعنى الكلمة نظيرة الرب، وقد عبدها الرومان وحولوها إلى آلهة.

وقال المؤرخ كون الأستاذ في جامع بنسلفانيا: (أثبتت الحفريات بالقرب من تدمر أن الصحراء العربية كانت جنة من الخصب قبل التصحر، وهي مهد الإنسان القديم سايناس، كما أنها المكان الذي انطلقت منه جميع الأقسام التي سكنت الأرض).

٤٣١ - إرميا، أحد أنبياء إسرائيل بين ٦٥٠ - ٥٨٥ ق.م. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ٢٠٠.

٤٣٢ - الكوشيون: هم الأحباش. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.ن، ص ٢٠٠.

على أن الشيوع السياسي لاستخدام كلمة عرب بدأ مع الدعوة الإسلامية إذ وردت هذه الكلمة في القرآن بالمعاني التالية:

- **عُرباً أتراباً:** أي جمع مفردة (عروب) وهي ذات الأسنان الناصعة البياض الضحوك.

- **أعراب:** أي أهل البدو والوبر.

- **عربي:** بمدلول بشري، حيث وردت بهذا المدلول في عشر آيات منها وصف للنبي محمد ﷺ (أنه نبي عربي).

وفي لسان العرب لابن منظور: (قال بعضهم: أول من نطق بالعربية هو يعرب بن قحطان "أبو اليمن" إرفخشد بن سام، بن نوح، والنسبة إليه قحطاني).

تنتسب إليه قبيلة "جرهم" التي تزوج منها إسماعيل ونسل نسله.

وقال آخرون: (لقد نشأ أبناء إسماعيل في العربة بتهامة لذلك سُموا عرباً).

وروي عن النبي ﷺ قوله: (خمسة أنبياء من العرب هم: محمد وإسماعيل وشعيب وثمود وصالح).

٣- أما القومية التي سادت في أوروبا منذ القرن التاسع عشر فلم تحظ بتحليل اجتماعي متفق عليه، إذ لا يزالون في نظريات متعددة حول الأصل الاجتماعي الذي انبثقت عنه.

فالقائلون بنظرية "الرّس - الدم - الأصل" قوبلوا بالوقائع القائمة في الحياة والداخضة لهذه النظرية فما من دليل حتى الآن على نقاء الدم وصفاء النسب في أمة من الأمم..

عدا عن ذلك فثمة أمم مستقلة عن بعضها مع أنها تشترك مع سواها في اللغة والدين والتاريخ، لذلك قالوا متفقين: (لا يكفي الإدعاء بما سبق بل من أجل الانبعاث القومي لا بدّ من وجود العنصر الذاتي الذي هو حاجة الأمة لكي تنتفض من حالة التجمد إلى حالة التمدد).

هذه الذاتية الحارقة:

- هي التي حركت المشاعر الثورية في الدويلات الألمانية ودفعت بها إلى التوحد في منتصف القرن الثامن عشر.

- وهي التي دفعت غاريبالدي إلى اجتراف معجزة الوحدة الإيطالية.

- وهي التي جمعت أشتات يوغوسلافيا من تحت أيادي الروس والأتراك والنمساويين وكونت الأمة اليوغوسلافية.

وقالوا: إن جميع أنواع الانبعاث القومي، تمت على مراحل، وجميع تلك المراحل كانت عنيفة، فلم تتحقق إلا على جثث التشكيلات السياسية والاجتماعية القائمة.

ولكن ما هي هذه الذاتية الحارقة؟ التي تنفخ حياة الوحدة في الأعصاب الحامدة، وتمسح جلاميد الظروف عن الجمر القومي، فتخرق الحدود وتمزق السدود، وتبني الذات القومية على جثث التجزئة واللامبالاة. سؤال جوهرى، أجاب عليه علماء الاجتماع بقولهم: (إنها وحدة الأمل التي خلقتها وحدة المصير وإرادة العيش المشترك).

لو أسقطنا هذه المقاربة التقريبية، على أمتنا لتبين لنا الآتي:

كانت الأمة في البدء، تعيش لغة واحدة، وقيماً واحدة، وعادات تكاد أن تكون واحدة، ولكن ذلك الخليط القبلي لم يحقق الكيان السياسي الواحد لأنه كان يفتقر إلى الذات القومية التي تشكل بوجودها شخصية الأمة الواحدة، وحينما صهر الإسلام تلك القبائل في كيان واحد هو الدولة، انبثقت من ذلك الكيان ذات خلاقة، حولت الأفراد إلى مؤمنين بأنفسهم أولاً وبرسالتهم الأخلاقية إلى الأمم ثانياً.

لقد كانت وثيقة المدينة التي وضعها النبي حينما وصل على يثرب مهاجراً: أول وثيقة في التاريخ- كما يقول الطبري في تاريخ المدينة- أكدت على أن المواطنة هي أولاً وقبل كل شيء، لقد جمعت بين الأنصار، والمهاجرين، والنصارى، واليهود وسواهم ممن يقطنون فيها بدافع الأخوة والمصير الواحد، حيث نصت على أن لا فرق بين هذه التجمعات فالمدينة (حلال لأهلها، حرام على غيرهم).

والجميع بمن فيهم اليهود، لا يختلفون عن المسلمين في استحقاق الحقوق الإنسانية كافة والإكراه الذي منعه الإسلام على الدين منعه في الأمة:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ البقرة، ٢٥٦،

حيث أكد القرآن على وحدة الأمة في سور (المؤمنون والأنبياء ويونس والبقرة وآل عمران)، بقوله:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ الأنبياء، ٩٢.

والآن بعد هذا التجوال يعلو السؤال: لماذا - وقد كنا في المقدمة- تهورنا إلى المؤخرة؟

تمرغت بغداد عند أقدام هولوكو، وانحنت قامة دمشق أمام تيمورلنك، وطردها من الأندلس، واحتلنا الصليبيون، ثم السلاجفة التركمان فالعثمانيون، فالغربيون، تلاقينا مع الغرب الديمقراطي، تلاقينا الضعف مع القوة، والعبودية مع السيادة، والتخلف مع التقدم، فجعلوا من وطننا الكبير أوطاناً ومن أمتنا الواحدة أمماً، ومن تاريخنا تواريخ.

جزؤونا وأقاموا من تلك الأجزاء إمارات ودويلات، ومنحوا تلك المسوخ استقلالاً قانونياً وجغرافياً، ونصبوا حكاماً تابعين لهم مثلما يتبع الذيل صاحبه، فتسلطوا على العباد، وتمكنوا من ثروات البلاد التي صادروها ووزعوها على الأبناء والعملاء والمحاسب والمزاريب.

ويوماً بعد يوم تزداد صلابة السدود أمام الوحدة، وتزداد سماكتها وتعمق جذور التفتت في الوجود الاجتماعي، وتنتشر عمودياً وأفقياً في الجنس والطائفة والعشيرة.. واقع شديد الوطأة وأحداثٌ كإبوية. ولكنه- مع شراسته وسطوته- لم يستطع أن يلغي اسمنا أو لغتنا أو أصالتنا بل إن جيناتنا الحضارية لتستفيق من غفوتها، وتتمرد من حين إلى حين في مواجهة أعداء الأمة..

سوف اقتصر هنا على بعض أعداء أمتنا، عن أحدها ناباً وأطولها وأشدها ذراعاً: "الشعبوية والإقليمية والأقلية"، هذه الثلاثية، من قطار الحياة، حيث "الحبز قليل والماء قليل والهواء ثقيل".

فالإقليمية: نسبة مشتقة من الإقليم، والإقليم هو في الأصل جزء جغرافي من الوطن الذي يتكون عادةً من أقاليم متعددة ترتبط بالأصل وتعود إليه، ولكن لدينا غير ذلك تماماً، فقد غدا دولة مستقلة عن الجسد الوطني الكبير، فاستقل بدستوره وقوانينه، وجيشه وأمنه ومثليه، واستتبع هذا التشتت بدعة استقلال القرار الإقليمي، في السلم والحرب والعلاقات والمعاهدات، حيث لم يبق غير قشر عربي، فارغ من المضمون ولقد كان أول من مارس هذا المنكر في العالم العربي، الرئيس أنور السادات الذي امتطاه إلى الكنيست ثم كامب ديفيد متغاضياً عن الصفح الكلامي الذي جوبه به من قبل بيغين، ثم امتطاه فيما بعد عرفات إلى أوسلو، ثم بعدهما "الأردن" وغيره فالإقليمية التي اعتمدها الأقطار العربية تلزم كل إقليم ألا يتجاوز حدوده الجغرافية وحدوده الدستورية مهما حلّ من الخراب والتدمير في جاره الشقيق، فالوطن الذي عاش الوحدة زمناً طويلاً يعيش اليوم التشتت الإقليمي الذي فرض عليه..

حينما نشأت الجامعة العربية، قامت على سبع دول، وهي الآن ثلاث وعشرون دولة، آخرها "جزر القمر" وهي مسخ إقليمي، لا تزيد مساحته على ألف وثمانمائة كيلو متر، ولا يزيد عدد سكانه على أربعمئة ألف نسمة إلا قليلاً، وهو أرخبيل يتألف من أربعة جزر تتمدد على المدخل الشمالي لقنال الموزامبيق على المحيط الهندي، استقلت عن فرنسا في عام ١٩٧٥، وهي تواجه اليوم حركة انفصالية من أكبر جزرها "نغازيجه" التي تطلب الاستقلال معتمدة على مساحتها الواسعة البالغة مئة وسبعين كيلومتراً وعلى عدد المواطنين البالغ مئة وخمسين ألفاً، وفي هذا الوطن الكبير "جزر القمر" الذي أصبح عضواً في الجامعة، وأخذ لقب الجمهورية الاتحادية الإسلامية، تسود ثلاث لغات إحداها اللغة العربية.



- الأقبليات:

وكانت وثيقة المدينة، من قبل اعتبرتها مثل المسلمين في الحقوق والواجبات ثم استمرت فيما بعد لبننة أساسية من البناء الاجتماعي، إذ لم يكن يطلب منها إلغاء تاريخها وحضارتها، بل كل ما طلب منها هو الاقتناع على أنه صار تاريخنا، لا تمارس الحياة الحالية، بمقتضى أعرافه وقوانينه، وقد رضيت الأقليات بهذا المنطق واعتبرته منطق الحياة النزاعة إلى التحرك نحو الأمام، وعاشت مع الكثرة ظروف الحياة الجديدة، فكانت القسم الشريف والشريك الصادق لأيام العسر واليسر والشقاء والهناء، وظلت جزءاً أساسياً في البناء القومي.. ولكن المستعمر استهدف هذه الأقليات منذ بواكير القرن العشرين، وأدخل في قناعتها أنها مستهدفة، وأن انقراضها مرهون بقيام الوحدة، فحل الذعر في الصدور، وبدؤوا يعيشون الغربة في وطنهم الذي ولدوا وتوالدوا فيه منذ أزمان لا يعرفها إلا الله.

- الشعوبية:

نشأت الشعوبية، في أواخر الحكم الأموي، من أبناء الشعوب غير العربية التي انتمت إلى الإسلام، ودخلت تحت حكم الدولة الإسلامية، لقد ضاقت تلك الشعوب ذرعاً بمظاهر التمييز التي ميز بها العربي نفسه، مع أن الجميع يعيشون في ظل الشريعة والأحكام الإسلامية.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الحجرات، ١٣.

فكان العرب الذين يسمعون هذا الاحتجاج، يضيقون ذرعاً ويقولون:

أليس النبي عربياً؟

أليس القرآن عربياً؟

أليس الحديث في الجنة، باللغة العربية؟

ألا تكفي تلك الثلاثية، لكي تعتبر مميزات، تميز العربي عن سواه؟

ففي بادئ الأمر لم يكن هدف الشعوبية غير تحقيق المساواة والتوازن بين العرب وغيرهم، ذلك الذي ظل قانون الحياة والتعامل أكثر من ثلاثة أرباع القرن متأثراً بالنبي ﷺ والصحابة والتابعين.

ولكنها منذ أواخر العهد الأموي تجاوزت مطلب المساواة، فقد تسللت إلى الممنوع وطفقت - وخاصة في بلاد فارس - تهون من شأن العرب، وتجردهم من المزايا، ولا ترى فيهم غير قبائل جاءت من البادية على أقدام حافية فغصبت العروش واستولت على الثروات، وبسطت السيف على ثقافة الأمم وحضارتها.

ثم احتدم الجدل بين الشعوبيين والعرب، حتى تحول إلى تشهير ومهاترات، فكان أبو بكر الجاحظ أبرز المدافعين عن العرب، فقابله الشعوبيون بالتشهير والشتائم ما جعل العلامة ابن المنظور يعرف الشعوبية في

"لسان العرب" بقوله: (الشعوبي هو من يصعّر من شأن العرب ولا يرى لهم فضلاً على غيرهم). تلك كانت شعوبية في ذلك الزمن، أما شعوبية الأزمنة التالية، فهي الأشد والأدهى، حيث لم تكنفٍ بالتشهير والتحقير، وطلب المساواة، بل حفرت في التاريخ واستخرجت من مدفوناته أن العرب لم يسبق أن كانت لهم حضارة، بل كانوا- على الدوام- كتلاً من البشر الجوعى اقتنصوا مؤخراً طعام الأمم وحضارتها. أما تسمية هذه الجغرافيا باسمهم، فلم يكن غير جزاف من التفكير، وقصور في التعبير، على أن هذا الفكر والفكر المضاد همدأ هموداً يشبه الموت إبان الحكم التركي إذ مرت فرقهما أسطواته الضخمة مثلما تمر المحذلة الجبارة على الطريق فتزدم الحفر وتبتر النتوءات ويتساوى الجميع تحت قدميها بالذل والاستخذاء. ولكن بمجيء الاستعمار الغربي عادت إلى الشعوبية عناصر الحياة، فقد أوهمها أنه يستطيع ضخ الدماء في جسدها التاريخي قفزاً من فوق القرون، وهي- لسوء الحظ- تعيش هذه الأوهام..

- كيف تحقق الوحدة؟ وما هي سمات الوحدويين؟

هل من أمل؟ إنه الهاجس الذي يسكن الصدور، وهو وإن كان سؤالاً من كلمات ثلاث فقد كتبت فيه مئات المجلدات وقامت حوله آلاف التصورات، وذلك جميعه لم يتجاوز سقف الشروط التالية:

١- إن الانتقال بالمواطن العربي من حالة الضياع التاريخي إلى حيث يجب أن يكون مهمة لا يستطيع القيام بها غير أفاذ الأجيال والرجال، لأنها نضال يلتحم فيه الأبطال في صراع حتى الموت مع قوى الانفصال.

٢- أول ما يجب على أبطال الوحدة إقناع الجميع بأن الامتلاء بالمشاعر القومية لا يلتقي مع الشوفينية على صعيد واحد، وذلك بأن يقرأ على الناس تلك الفصول الأخلاقية السامية التي ترافقت مع الأمة في كل بلد، وبالأخلاق إياها قبضت الأمة على زمام التاريخ الإنساني أكثر من سبعمئة سنة.

٣- إن فلاسفة التاريخ، أمثال فيخته وماريني ودوبروفسكي، وسواهم أكدوا أن النضال القومي في سبيل التحرر لم يكن ولن يكون شوفينياً مهما رافقه من عنف.

٤- لقد اتسع صدر الأمة لجميع أنواع المعارف عند الأمم، فتعاملت معها باحترام كبير، وقامت بينها وبين تلك المعارف حالة التكامل (عطاءً مع الأخذ، ورفع مع الوضع)، دون اعتبار لغير الحقيقة.

فالخلق- كما قال النبي ﷺ- (كلهم عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله).

وفي ظل هذا الحكم العربي- دون سواه- امتزجت فلسفة اليونان وفلسفة الروم والفرس والهند بالفلسفة العربية، والتقت تشريعات الإسلام فنشأ من الامتزاج والالتقاء ذلك المركب الحضاري العربي الذي ظل ينير ظلام الأمم مدة طويلة.

هنا، نرى من المفيد أن نتلو بعض الأقوال التي صدرت عن بعض المفكرين الغربيين الحياديين:

أ- قالت زيغريد هونكه في كتابها **شمس العرب تسطع على الغرب**: (هناك المئات من الكلمات التي نستعملها دون أن نتساءل من أين جاءت إنه من العقل أن نعرف الحقيقة، لأن لا عذر لأي مثقف في جهله بأنه مدين بهذا القدر إلى العرب).

ب- وفي كتاب **أعلى الأوقات في الحضارة العربية**، قال مؤلفاه بييرهيم وجون وولف: (أمن الضروري أن نذكر بأننا مدينون للعرب، بالنظام العشري الحسابي، ومقدمة الطريقة التجريبية في الطب، ومبادئ الرياضيات)؟

(هل يمكن أن ننسى أن ابن خلدون أول من وضع أسس علم الاجتماع والتاريخ، وأن بيت الحكمة الذي أسسه المأمون في بغداد كان أول أكاديمية في العالم).

ت- في قول مشهور للمستشرق إرمائد أويل جاء فيه: (حينما كان الإمبراطور الغربي يتعلم القراءة في شيخوخته، ويتلقى الكتابة على ألواح من الشمع، كان الخليفة العربي في بغداد يتمتع بثقافة عالية، ويجتمع في بلاطه عشرات العلماء والأدباء والشعراء، وكانت مكتبته ومكاتب حواضره الزاهرة تزخر بمئات الآلاف من المجلدات).

(حينما كان الإمبراطور أوتو الكبير^{٤٣٣} يخطب مبشراً بقدوم المسيح في ذلك العام، حيث يجس الشيطان في قمم، وتبدأ مسيرة الألف سنة السعيدة- كانت مذهبات ابن سينا قد عمت في الدنيا ولم يكن قد تجاوز العشرين سنة).

(حينما لم يكن في أوروبا غير بضعة عشر كتاباً، ربطها شارلمان بالسلاسل، كي لا تسرق، كانت المكتبات ذات الربع مليون مجلد تنتشر في الحواضر العربية الزاهرة).

إن جامعة فاس، منارة العلم في عصرها، تخرج منها البابا سلفستر الثاني، وتسلم سدة البابوية في سنة ٩٩٩م، ذهل حينما حضر إلى القاهرة، أذهلته مكتبته ذات المليون وثلاثمائة ألف مجلد، وموظفوها الثلاثمائة فقال قولته المشهورة: (لا يوجد في أوروبا من يستطيع أن يكون بواباً على هذه المكتبة، ناهيك عن التعليم، ففقد الشيء لا يعطيه).

أيها القارئ، لم أحشد هذه المعلومات لأبكي وأستبكي وأقف وأستوقف، بل لكي أثبت أن العرب منيعون على الفناء والذوبان في الشعوب، لأن في تكوينهم من الجينات الحضارية ما يمكنهم من الانتفاض فوق عوامل القهر، فاليوم إذ تعيش الأمة في أعداد من الأقاليم مسفوحة الحدود فإن العمل على تحقيق الوحدة ومناعة الحدود يتصدر الهموم كافةً، لأنها الأمة الوحيدة في هذا الزمن، لا تزال تعيش التفرقة والانقسام.

٤٣٣ - أوتو الكبير، ملك جرمانيا وإيطاليا، هو مؤسس الإمبراطورية الجرمانية المقدسة سنة ٩٦٢، عاش بين ٩١٢-٩٧٣. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ٢٠٧.

إن الأقاليم، جوارح اقتطعها الاستعمار من جسد الأمة، وفرض عليها عيش الأقاليم، في حين ترك الجسد الأم في حالة الوجد والتشوه، فلا يهولن الوجدوي ما ينتظره من متاعب، فالحركات الوجدوية لم تتحقق في التاريخ إلا على جثث الأنظمة الدستورية والقانونية والإدارية التي كان يقوم عليها نظام الإقليم. ولا يستهين الوجدوي بنفسه فحاملوا هذا العبء المقدس كانوا في كل عصر محرثاً اجتماعياً، يعمل على قلب تربة النظام الاجتماعي، وفكره القائم رأساً على عقب.^{٤٣٤}



٤٣٤- مجلة المعرفة، دمشق، السنة ٤٨، العدد ٥٥٦، محرم ١٤٣١هـ / كانون الثاني ٢٠١٠م، القومية العربية بالمفهوم العلمي والثوري، أحمد عمران الزاوي، ص ١٩١-٢٠٩.

اللغات السورية القديمة

مع كل موسم تنقيب آثري تكبر ثروتنا من المكتشفات الهامة التي تلقي المزيد من الضوء على تاريخ بلادنا، ويتضاعف تراث أمتنا غنى وثناء وفي الأشهر الماضية تم اكتشاف العديد من النصب والرقيمات التي تقدم شواهد جديدة على عظمة الحضارة التي بناها أجدادنا الأوائل الذين كانوا أول من اخترع الكتابة، وقد شاقني هذا الاكتشاف المطرد وحقّزني (وأنا غير متخصص في علوم الآثار) إلى تأمل السيرة اللغوية في سورية، فأما الكشف الأخير فهو نصب تأسيس الكتلة الحمراء من قصر ماري (رقم من الطين) يعود إلى الألف الثالث قبل الميلاد، وماري من أهم المواقع الأثرية على ضفاف نهر الفرات (وهي قرب مدينة البوكمال)، بقيت منسية أربعة آلاف عام، حتى تمّ اكتشافها عام ١٩٣٣ وكان أهم ما اكتشف فيها هو القصر الملكي، وهو أهم قصر أثريّ في الشرق، وها هي ذي تتوالى الاكتشافات في ماري وأرض سورية، وقد زاد عدد الرقيمات المكتشفة في ماري وحدها على اثنين وعشرين ألف رقيم مكتوب عليها ما يكشف تاريخها، فضلاً عن الحلي النادرة التي قدمنا نماذج منها في معرض خاص أقمناه في متحف دمشق الوطني بعنوان (بحر من الحلي)، وأما حديث اللغات في سورية فهو عندي حديث حضارة البشرية الأولى، ولا ينكر أحد من الباحثين أن بلادنا عرفت أقدم اللغات الإنسانية وأن شعبنا السوري الكنعاني الفينيقي هو الذي اخترع الأبجدية الأولى، وتأتي اللغة الكنعانية في فروع اللغات العروبية الأقدم، يربطها نسب عريق مع كل اللغات التي ظهرت في المنطقة، وهي سلسلة متواصلة في شجرة عائلة اللغات العروبية كما يرى الباحثون المتخصصون في اللغات القديمة، وهم يقسمون اللغة العروبية (السامية) في أبحاثهم إلى قسمين:

- قسم يسمونه العروبية (السامية) الشرقية، وتضم اللغة الأكادية التي خرجت من معظمها اللغات البابلية والآشورية..

- وقسم يسمونه العروبية (السامية) الغربية، وتضم لغة أوغاريت وتصطف معها لغات شهيرة مثل الأمورية والآرامية والكنعانية التي هي أم العربية في القسم الجنوبي، نجد العربية الحميرية والسواحيلية الأفريقية، ويجد الباحثون أن من أهم صلات القرى بين هذه اللغات المفردات المتشابهات وحروف الجر والصوامت، وهناك فريق من الباحثين لا يهتمون بشجرة النسب اللغوي، وإنما يقولون بما يسمونه نظرية الأمواج اللغوية أو الصوتية، وهم يقولون إن اللغات المتفرعة هي مجرد لهجات، وأهم ما في التاريخ من هذه اللغات أو اللهجات الكنعانية، وقد تعددت اللهجات فزادت على ستين لغة أو لهجة، وبقيت المجموعة الأكادية قيد الاستخدام الشعبي والرسمي نحو أربعة آلاف سنة، وهي المدونة بالخط المسماري على الألواح الفخارية، وكانت الكتابة الهيروغليفية تشكل مع الكتابة السومرية أشهر لغتين دوليتين، ولكنهما ليستا أبجديتين بل تعتمدان الأشكال

التي تصل إلى آلاف، مما يجعلها لغة صعبة تماماً، كما ننتظر اليوم إلى اللغة اليابانية أو الصينية، ولا بد من التنبيه إلى الفارق بين الاستخدامات المصطلحية بين اللغة والكتابة والأبجدية (كما يشير الباحث الصديق سجيح قرقماز في بحث لطيف له بعنوان الأبجدية والتعليم في أوغاريت).

لقد اخترعت الكتابة بالتأكيد قبل أوغاريت، ولكن العالم عرف الأبجدية عبر اختراع شعب أوغاريت لها اختراعاً محلياً غير مطور عن أبجدية أخرى، ففي أوغاريت رتبت الحروف لأول مرة لاستخدامها وفق أسس محددة، وقد حدث ذلك في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، ويبدو لطيفاً أن نتذكر هنا تعليق صديقنا الباحث الكبير الراحل جبرائيل سعادة على أبجدية أوغاريت حين قال: (إنه أمر يبعث على التأثر أن ننكر بأن الأطفال اليوم في عدد من بلدان المعمورة يتعلمون استظهار الأبجدية بالترتيب الذي اختاره لها كاتب من أوغاريت منذ أربعة وثلاثين قرناً من الزمن).

وأعود إلى اللغة الأكادية لأذكر القارئ بأن كثيراً من الآثار التي عرفتنا إلى تاريخنا القديم، مكتوب بها بخط مسماري ومن أهم المدونات التي باتت شهيرة قوانين حمورابي في القرن السابع عشر قبل الميلاد، وملحمة جلجامش في القرن السادس عشر ق.م ورسائل العمارنة في الرابع عشر ق.م، ولقد خاطب ملوك سورية أقرانهم المصريين بهذه اللغة، وفي أرشيف تل العمارنة أكثر من خمسمئة رسالة كثير منها مكتوب بالأكادية على ألواح الفخار.

ويجد الباحثون في اللغة الأكادية سمات وخصائص واضحة منها كون جذر الكلمة ثلاثة حروف (وأحياناً تكون أربعة)، وهذا مشترك مع لغتنا العربية، وهي لغة تقبل الحركات على الأواخر، كما أنها تعتمد على المد، ويجد اللغويون الاشتقاق فيها بتغيير الحركات، أو بإضافة الحروف الصامتة، ولكن الفعل فيها يأتي في نهاية الجملة.

ولقد وصلت الأكادية المسمارية البابلية إلى ذروة انتشارها في عصر قوة المملكة الآشورية، ويرى بعض الباحثين الغربيين أن الأكادية هي أم اللغة العبرية التي لم تعمر طويلاً، وقل اكتشفت مؤخراً اللغة العمونية عبر أختام ورسائل وبدت قريبة من العبرية التي هي لغة العهد القديم، ويذكر الباحثون أن النبي اشعيا سمي العبرية لغة كنعانية؟

لقد ماتت اللغة قروناً واستخدم اليهود لغات عديدة محلها مثل الليدش واللادينو إلى أن تمَّ إحيائها في القرن الماضي، والعارفون باللغة العبرية يقولون إن الفينيقية (الكنعانية) شديدة التأثير في العبرية وبينها سمات مشتركة ومفردات وألفاظ كثيرة، ومع ظهور المسيحية ظهرت الآرامية لغة رسمية وأدبية، وثمة آرامية حديثة هي التي تكلم بها السيد المسيح، وهي ذاتها اللغة التي يتحدث بها أهلنا في مدينة

معلولا الأثرية، وقريتان جوارها، وقد حرصنا في وزارة الثقافة السورية على دعم تعليم اللغة الآرامية في معهد متخصص في معلولا، وهي من أجمل المصايف والمواقع الأثرية قرب دمشق، مبنية على سفوح هضاب تحيط بها، ويعود تاريخ هذه القرية (المدينة) إلى القرن العاشر قبل الميلاد، وفيها ديرمارسركيس وديرمار تقلا، وأضرحة بيزنطية منحوتة في الصخر، ويقال إن اسمها (معلى) أي المكان العالي، وهذا الاسم يكشف الصلة العائلية الحميمة بين الآرامية والعربية التي

هي كنعانية الأصل، ويبدو واضحاً أن المثقفين في ذلك الزمن كانوا يعرفون اللغات المجاورة، ولدينا في متحف دمشق نص لمعاهدة تجارية تذكرنا بطريق الحرير من الألف الثالث مكتوبة بثلاث لغات، ولا بد أن كنعانيي أوغاريت كانوا يجيدون قراءة المسمارية، وهي على الغالب كما ذكرنا لهجة سامية قريبة من العربية أو مشتركة معها بنسختها ما قبل الفصحى التي نعرفها اليوم، وقد أكد هذا الفهم العالم الفرنسي أندريه كاكو الذي تخصص بهذه اللغة فقال: (إن الأبجدية الأوغاريتية كما هو الحال في الفينيقية والآرامية والعبرية والعربية لهجة تابعة لأسرة اللغة العربية القديمة)، وتبدو آثار اللغة الأوغاريتية حية إلى الآن، فثلثا المفردات الأوغاريتية مستخدمة في العربية إلى اليوم، والطريف أن كثيراً من هذه المفردات ما يزال يستخدم في اللغة العامية الدارجة في اللاذقية^{٤٣٥}.



٤٣٥- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سورية، السنة ٤٩، العدد ٥٦٥، شوال ١٤٣١هـ/ تشرين الأول ٢٠١٠م، اللغات السورية القديمة، رياض نعان آغا، ص ٥- ١٠، (بتصرف وتعديل).

الأبجدية الفينيقية في التاريخ

مقطعاً من الكلمة التي ألقاها العالم الأثري الفرنسي الشهير الراحل "شارل فيرولو Charles Virolleaud سنة ١٩٥٠ في أكاديمية النقوش والآداب في باريس حول أبجدية أوغاريت وأبجدية جبيل، وكان فيرولو أول من نقل نصوص أوغاريت إلى الفرنسية، وقد قال في كلمته ما نصه بالفرنسية أولاً.

(Noun ne connaissons sans doute jamais le nom de l'inventeur de l'alphabet, mais nous savons maintenant quec, etait un phenicien ou, d'une facon plus generale, un Syrien. Et nous pouvons bien dire qu'un peuple qui a produit une telle merveille merite notre reconnaissance, et qu'il a droit a une place de choix dans l'histoire du monde).

الترجمة:

(ما من شك أننا لن نعرف أبداً ذلك الذي ابتكر الأبجدية، ولكننا نعرف الآن أنه كان فينيقياً وبشكل أعم، كان سورياً، ويحق لنا القول أن شعباً أعطى مثل تلك المعجزة يستحق كل امتنان من طرفنا، كما أن يستحق مكان الصدارة في تاريخ العالم).

لم نتطرق في هذا البحث لنظرية خلق العالم الفينيقية كما رواها فليون الفينيقي، من مدينة جبيل ودونها باليونانية لغة عصره الثقافية، وهو يذكر في كتابه أنه نقل عن كاهن بيروت آنذاك واسمه سانخو- نيت- تن، وهو اسم كنعاني قبي صيغة يونانية، ونرى في مقطعه جذر فعل أعطى/ أنطى، والكاهن المؤرخ المذكور عاش في القرن الحادي عشر ق.م، كما يذكر فيلون.

وجدير بالذكر أن كتاب فيلون اختفى من الوجود، وإنما بقيت منه مقاطع في كتاب التهيئة الانجيلية للمؤرخ أوزيب القيصري القرن الرابع للميلاد، نشير فقط إلى أن نظرية الخلق الفينيقية كما يرويها فيلون تشبه في خطوطها العريضة صورة الخلق كما هي عند السومريين والبابليين وهناك مقاطع في نصوص أوغاريت تشير إلى شيء مشابه، ولكن من الصعب استخلاص صورة واضحة بسبب تهشم الألواح وفيلون يروي عن كاهن بيروت أنه في البدء كان هناك خواء كوني وريح تعصف، ثم انكسرت البيضة الكونية وخرجت منها النجوم والكواكب، ثم انفصلت عن المياه وتم خلق العالم.

أما القوى السماوية في العهد الفينيقي فلا تختلف في شيء عن القوى السماوية السومرية، البابلية، الكنعانية، الحثية، فعشوت الفينيقية هي نفسها إنانا السومرية وعشتار البابلية وعنات الكنعانية، والبعل (السيد الكنعاني هو نفسه أودنيس الفينيقي).^{٤٣٦}

٤٣٦- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٧٤، السنة ٥٠، شعبان ١٤٣٢هـ/ تموز ٢٠١١م، الأبجدية الفينيقية في التاريخ، بحث ونماذج، فايز مقدسي، ص ٢٠- ٣٤، (بتصرف).

الثقافة الحية

هناك من يرى، في إطار الجهود التي تقوم بها سورية، للتمكين للغة العربية، أن الاهتمام بمواد التراث الشعبي (لغة محكية، أزياء، أغنية، حكايات، ألعاب، تقاليد، عادات..) هو إضعاف لدور اللغة العربية الفصحى، وتقليل من شأنها وأهميتها، وفات هؤلاء أن التراث الشعبي ودراسته والاهتمام بمواده هو جانب مكمل لدراسة التراث الثقافي لأي مجتمع، ومنه بشكل أساس اللغة، كما أن دراسة هذا التراث بكل ما فيه من غنى وتنوع قد ارتبطت في بدايتها بالدراسات لتاريخية والاهتمام بالمورثات القديمة المتوارثة منذ آلاف السنين، واللغة هي جزء مهم جداً من هذا الموروث، الذي ورثناه عن أجدادنا، وتطورت وازدهرت حتى وصلت إلينا في حالها الراهن.

دراسة التراث الشعبي، وبخاصة تطور اللهجات المحلية بكل أبعادها الفولكلورية واللفظية والتراثية، أتاحت لنا التعرف على أصول ومعارف كانت غائبة عن أذهاننا حتى فترة قريبة، فقد ثبت من خلالها أن هذه اللهجات تضم في ثناياها ومضمونها ومفرداتها معاني ومدلولات تعود إلى آلاف السنين، فعلى سبيل المثال، البحث العلمي قادنا إلى معرفة أن لهجة سكان اللاذقية المستخدمة في منطوقها حتى اليوم تضم أكثر من ٥٠٠ كلمة من أصول أوغارية يعود تاريخها إلى الألف الثاني قبل الميلاد، ومن مقارنة القاموس العربي مع مفردات وكلمات وأسماء من إيبلا، ثبت وجود علاقة وثيقة وأصول مشتركة مؤكدة يعود تاريخها إلى /٢٤٠٠/ سنة قبل الميلاد، وفي كتابات ورقم ماري (تل الحريري) على الفرات الأوسط، ثبت أيضاً وجود هذه الجذور مع لغتنا العربية، يعود تاريخها إلى /٢٦٠٠/ قبل الميلاد، كما أثبتت الترجمات والمقارنات العلمية الدقيقة وجود هذه الجذور بين لغة آكاد في الألف الثالث قبل الميلاد، ولغتنا العربية، التي كانت بمثابة البوتقة الحضارية واللغوية التي أنصهرت فيها جميع اللغات واللهجات الموجودة في الحضارات القديمة في المشرق القديم في عصورها الموعلة في القدم.

لقد أصبح على التراث الشعبي، أو ما يطلق عليه (التراث اللامادي) علماً قائماً بذاته له مادته وطرقه ومناهج بحثه العلمية والعملية، وقد بدأ الاهتمام به عالمياً، منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأصبح له رواده الكبار من الباحثين والعلماء والأدباء والشعراء الذين اتجهوا إلى الريف والريفين وبسطة الفطرة الطبيعية، وإبداع الفلاحين والعمال البسطاء، يهتمون بأغانيهم وفنونهم وعاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها، كما ارتبط هذا التراث بالروح القومية، والهوية الوطنية وتطور الحياة والمعارف والفلسفة والعقائد والآداب والتراث بكل مضامينه وأهدافه وغاياته واهتماماته.

في الدراسات الحديثة، أصبح يطلق على الفولكلور أو التراث الشعبي أو التراث اللامادي، اسم (الثقافة الحية)، وأصبح له جمعياته ومؤتمراته الدولية التي تحظى برعاية المنظمة العالمية للعلوم والتربية والثقافة (اليونسكو)، وينصب اهتمام هذه (الثقافة الحية) على أمور عديدة يمكن تقسيمها إلى أربعة محاور عالمية:

١- المعتقدات الخرافية والممارسات الطقسية والسحر.

٢- الاحتفالات التقليدية والألعاب.

٣- المرويات التقليدية وتتضمن الحكايات الشعبية وقصص الأبطال وحكايات الحيوان والقصص الغنائية.

٤- الأقوال السائرة، وتحتوي على أغان وأهازيج الأطفال والأمثال، والألغاز والأسماء المستعارة.

بقي أن نشير أن دراسة التراث الشعبي تدعم وتمكن دور اللغة العربية، وتثبت جذورها الموهلة في القدم، وتؤكد أصالتها وحيويتها وألقها المستمر في الممارسات اليومية، وكوامن التفكير، وحكمة الشعب العربي على امتداد رقعة الوطن العربي الكبير^{٤٣٧}.



٤٣٧- مجلة الباحثون، سورية- دمشق، العدد ٣٧، ٠٠، تموز ٢٠١٠م، الثقافة الحية، علي القيم، ص ١٦٠.

البداية والنهاية

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ

شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء، ٣٠.

ويقول: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ الذاريات، ٤٧.

ويقول: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا

فَاعِلِينَ﴾ الأنبياء، ١٠٤.

ويقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ الزمر، ٦٧.

ويقول بعض العلماء من غير المسلمين في بعض نظرياتهم الحديثة: إنهم يظنون أن العالم بدأ بانفجار كبير، وأن الكون

في توسع ولكنه في النهاية سيعود كما بدأ، وَاللَّهُ ^{بِخَيْرٍ} يَعْلَمُ.

فأراد الرحمن للجمع فتقا
وشموس في الكون غرباً وشرقاً
بسرعة الضوء.. عرقي
إنما في النظام جلّ ودقاً
عرش من أوجد الوجود وأبقى
في اتساع طولاً وعرضاً وعمقا
يترامى في اللانهائي دققاً
ذاب فيها أبناء آدم عشقا
وكذلك الأنام أصلاً وعرقا
عشقوا لمعة لديه وبرقا
وهو ترب وإن يخالوه أنقى
كسجل ويرجع الكون رتقا
يوما والكون يسحق سحقا
ويكون الحساب عدلا وصدقا
وتجاوز وارفق بعبدك رفقاً^٨

كانت الأرض والسموات رتقاً
فترامت كواكب ونجوم
والمجرات في بحار بلايين سنين
ويسمونه انفجاراً كبيراً
هن سبع فسدرة منتهاهما
وهو كون في كل لحظة عمر
هذه الأرض فطرة في محيط
وهي لا شيء.. بل أقل.. ولكن
وهي ليست سوى تراب وماء
يتفانون في سبيل نضار
وهو ترب وإن يسموه تبراً
ثم يطوي الله السماوات طياً
وإذا الأرض قبضة في يد الجبار
ثم يأتي يوم القيامة حتما
يا إلهي فاغفر لعبدك وارحم

٤٣٨- مجلة الباحثون، سورية- دمشق، العدد ٣٧، ٠٠، تموز ٢٠١٠م، البداية والنهاية، د.شهاب غانم، ص ٨٢.

- لأن الارتباط بين الثقافة واللغة ارتباط عضوي يصل بالاثنين إلى ما يسمى بالإطار المعرفي الذي يتضمن مجمل النشاطات الإنسانية، علماً بأن العلم والتطور العلمي هما جزءان لا ينفصلان لا عن الثقافة ولا عن هذا الإطار المعرفي الشامل.^{٤٣٩}

التحديث في اللغة يسير في ببطء، وبشكل غير ملحوظ، فهو لا يحدث بين ليلة وضحاها، إلا في أحوال استثنائية وبصورة جزئية تماماً ولأن اللغة مادة حية ونسيج يتجدد يومياً فهي تتطور على الرغم من التصميم (أحياناً) والإصرار (في أحيان أخرى) على ما يسمى بالحفاظ على اللغة وتنقيتها.^{٤٤٠}



٤٣٩ - الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، ج٢، كتاب العربي ٨٢، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، ط١، ١٥ يوليو ٢٠١٠م، الثقافة العلمية العربية بين استهلاك المنجز العلمي والمحرمات الاجتماعية والأخلاقية، د.أشرف الصباغ، ص ٢٢٥.

٤٤٠ - الثقافة العربية في ظل وسائط الاتصال الحديثة، ج٢، كتاب العربي ٨٢، وزارة الإعلام، مجلة العربي، الكويت، ط١، ١٥ يوليو ٢٠١٠م، الثقافة العلمية العربية بين استهلاك المنجز العلمي والمحرمات الاجتماعية والأخلاقية، د.أشرف الصباغ، ص ٢٢٩.

لغتنا العربية هويتنا.. فلنحافظ عليها

يقول الله تعالى في كتابه الكريم:

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف، ٢.

من هذا السياق القرآني يتضح أن الله أودع فينا اللغة العربية الرسمية للدين الإسلامي، اللغة العربية التي أنزل بها آخر كتاب للبشرية وبعث فيها أعظم خلقه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام، ولكن هل حافظت أمتنا العربية على هذه اللغة الحميلة التي أودعها الله فينا بامتياز، أم أضعناها بدعوات العامية وما أفرزه الاستعمار الإرهابي (الاستعمار) من سياسات لضرب اللغة في الصميم؟

إن اللغة هي ذاكرة التاريخ ووعاء الثقافة وأساس الهوية والعنصر الركن في كل قومية، والمرآة التي ترى فيها كل أمة أهم مقومات شخصيتها، والوسيلة الفاعلة لصون وحدتها والحفاظ على حضارتها، ومن الصعب أن نجد أمة متمسكة بقوميتها تتعامل مع الآخرين بغير لغتها، وكتب التاريخ تثبت أن اللغة العربية كانت في القرون الماضية وحتى القرن السادس عشر إحدى لغتين كتبت بهما الفلسفة والعلوم (اللغة العربية في الشرق واللغة اللاتينية في الغرب)، ومن شأن ذلك إبطال الادعاء بأن اللغة العربية لغة أدبية لا تصلح لتكون لغة علمية.

لقد استطاعت لغتنا العربية في الماضي استيعاب جميع أنماط المعرفة الإنسانية من أدب وفلسفة وعلوم رياضية وفلكية وكيميائية، ولم تقف عاجزة في يوم من الأيام عن مواكبة الحياة ولم تتخلف عن التعبير عن مفرداتها والثقافات التي تمثلها أبناء الأمة العربية، ويكفي دليلاً على رسوخها في مجال العلم الصرف أن مفرداتها ومصطلحاتها العلمية منتشرة في لغات أكثر الأمم تفوقاً في العلم والتكنولوجيا، وهذا هو شاعر النيل (حافظ إبراهيم) يقول مدافعاً ومنافحاً عن اللغة العربية، اللغة التي يفخر بها العرب والمسلمون ويعتزون بها:

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ
فهل سألوا الغواص عن صدقاتي
وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً
وما ضقت عن آيٍ به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماءٍ لمخترعات
فيا ويحكُّم أبلى وتبلى محاسني
ومنكم وإن عزَّ الدَّواءُ أساتي
فلا تكلموني للزَّمان فيأني
أخافُ عليكم أن تحين وفاتي

فهو في هذه الأبيات تحفظ حين تعالی الهمس واللمز حول اللغة العربية في أوساط رسمية وأدبية، واستفحل الخلاف وطغى، فريق يؤهلها لاستيعاب الآداب والمعارف والعلوم الحديثة، وفريق جحدو يتهمها بالقصور والبلى وبالضيق عن استيعاب العلوم الحديثة، ولكن حافظاً كان أميناً على لغة الودود لها، يصرخ بوجود أولئك المتهامسين والداعين لوأدها في ربيع حياتها بأن يعودوا إلى عقولهم ويدركوا خزائن لغتهم، فنظم هذه الأبيات يخاطب بلسانها قومه ويستثير ولاءهم وإخلاصهم لعرائسها وأمجادها.

والحقيقة أن الهجوم على الفصحى والدعوة إلى تبني اللهجات العامية قد ارتبط في القديم بدعاوى الشعبوية، وفي الحديث بالاستعمار وأعوانه حين بدأ الإحتكاك بين العالم العربي وذوي الأطماع والمستعمرين وأخذت هذه الدعوة إلى جانب مهاجمتها للإسلام والمسلمين تهاجم العربية الفصحى والتراث العربي وتروج للعامية واللهجات المحلية، وكان الاستعمار يردد لدى وضعه مخططاً استعمارياً لأي بلد يستعمرها، شعاراً مفاده أن اللغة هي خط الدفاع الأحمر والأخضر، وأن تدمير هذا الخط يؤدي إلى إستصال لغة السكان الأصليين، وبالتالي إلى طمس هويتهم وتجريدهم من جوهر وجودهم، وحرمانهم من مكاسب الثقافة، والحقيقة أيضاً أن من أهداف كل استعمار إنتاج إنسان جديد لا علاقة له بماضيه وتراثه، وهذا ما سعى إليه الصهاينة في فلسطين، ففي تل أبيب لجنة مهمتها الوحيدة إنتاج جيل جديد من الفلسطينيين بلا ذاكرة وبلا تاريخ، وبلا أمل وبلا حلم يتعلق به، مستعد للعيش بسلام مع الإسرائيليين، يتنكر للمقاومة وينعتها بالإرهاب، ويعتبر التعاون من الإسرائيليين عملاً حضارياً يحظى بمباركة الشعوب الراقية.

وبما أن الثقافة العربية هي من أهم المقومات والخصائص والدعائم في المجتمع العربي، فقد أخذ المستعمرون يشوهون وجهها ويسيوون إلى سمعتها، ويحطون من قدرها في نفوس أصحابها والمتعاملين بها، وأدركوا أن تقطيع أواصل العرب لا يمكن أن يتم ما دام هناك لغة واحدة تجمع بينهم، وما دام هناك حرف عربي يربط حاضرهم بتراثهم التليد، فراحوا يشجعون ضعاف النفوس والضمائر من العرب على الكتابة باللهجة العامية والتخلي عن الحرف العربي لإحلال الحرف اللاتيني محله، اعتقاداً منهم بأن تحقيق ذلك يؤدي إلى انقطاع صلة العرب بماضيهم وتراثهم ومجدهم الفكري، وإلى ظهور لغة خاصة في كل قطر عربي، وإلى تحويل الوطن العربي أمماً شتى متباعدة ومتنافرة لا يجمع بينها أي رابط ثقافي أو حضاري.

إلى جانب هذه الدعوات والمحاولات الرامية إلى طمس اللغة العربية والتشكيك بجودتها ودورها الحضاري والأهداف الاستعمارية لسلب لغتنا عن جلدتها نجد أن المنصفين للغتنا العربية يكبرونها ويعتزون بها وفي ذلك شهادات كثيرة تفر بفضل اللغة العربية ومكانتها الحضارية.

استوفني في ذلك مؤخراً شهادة مديرة برنامج ذاكرة العالم بمنظمة اليونسكو جوي سبرنغر أن دراسات حديثة أجريت خلال السنوات القليلة الماضية أكدت أن نصف لغات العالم ستختفي بحلول عام ٢٠٥٠م، كما

تشير التوقعات من قبل خبراء اللغة والسكان والمجتمعات إلى أن استعمال اللغة العربية الفصحى يتوسع وينتشر محلياً وإقليمياً وعالمياً، وستصبح من اللغات الدولية العلمية الحاسوبية المعلوماتية التقنية الأولى عالمياً، عاجلاً إن شاء الله تعالى رب العالمين.

ومن الشهادات التي تذكر شهادة المستشركة الألمانية زيغريد هونكه في كتابها المشهور (شمس العرب تسطع على الغرب) الذي أشادت فيه بجمال هذه اللغة ومنطقها وبالمعارف المبتكرة والتحقيقات العلمية الرائعة التي قدمتها العبقريّة العربيّة هدية للإنسانية عامة ولأوروبا خاصة كالأرقام العربيّة، وعلم الجبر، وعلم الطبيعة، والإسطرلابات العربيّة.. وغالبية الاكتشافات العربيّة حملت معها ولا تزال تحمل حتى يومنا هذا، أسماء انكليزية أو فرنسية أو ألمانية أو إسبانية.. مردّها عربي.

وأما الشهادة الأهم فقد جاءت من الأمم المتحدة التي أقرت في عام ١٩٧٣م جعل اللغة العربيّة لغة رسمية في جميع أجهزتها ولجانها، إلى جانب اللغات الخمس الرسميّة، واعترفت الجمعية العامّة في قرارها الذي عزز مكانة اللغة العربيّة في المنظمة العالميّة بأن لهذه اللغة دوراً مهماً في حفظ حضارة الإنسان وثقافته ونشرها، وبذلك أصبحت لغتنا تقف على قدم المساواة مع اللغات الإنكليزية والفرنسية والروسية والصينية والإسبانية في الأمم المتحدة.

ولنعرف قدر لغتنا العربيّة وعالميتها يكفي أن نعلم أنّها قد أعطت للفرنسيّة ٢٥٠٠ مفردة، وللأسبانية ربع مفريزاتها، وللبرتغاليّة ٣٠٠٠ مفردة، ودخلت تفاصيل اللغة الإنكليزية وأثرها، وأن هناك بحراً مائجاً من الكلمات الإنكليزية من أصل عربي، وكان العالم البريطاني وليام بيدول قد قال: "إن اللغة العربيّة هي أهم لغة في العالم"، ثم وضع في عام ١٥٦١م قاموساً بالإنكليزية ضم مفردات لاتينية كثيرة أصلها عربي، وقال الأسباني فيلا سبازا: "إن اللغة العربيّة من أغنى لغات العالم هي أرقى من لغات أوروبية، لأنها تتضمن كل أدوات التعبير في أصولها"، أما الألماني يوهان فك فقد قال: "لقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربيّة الفصحى من مقامها المسيطر".

أمام هذه الشهادات الحديثة منها والموغلة في القدم ألا يسعنا أن ندرك مدى ثراء لغتنا العربيّة ومخزونها الهائل بالمفردات والمصطلحات، وأن ندرك التحديات التي تواجهها لغتنا، وأبعاد هذه المؤامرات التي تتصل بمخزوننا الثقافي والحضاري وبهويتنا وصولاً إلى عقيدتنا، ألا يحق لنا أن نفخر بلغتنا الأم، وأن نعمل على مداواة جراح لغتنا التي تعرضت إلى نكسات من قبل عشيرتها قبل الغرباء؟ أليس جدير بنا أن نحارب العامية أينما وجدت في نطق أولادنا ومنطق مثقفينا وفي وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية والمسموعة، إضافة إلى العامية المنتشرة على بعض المواقع الإلكترونيّة الناطقة بالعربيّة وصفحات الفيسبوك وغيرها من شبكات التواصل الزاخرة بالعامية المفرطة؟ ألا يجدر بنا أن نحبي لغة القرآن التي تحتضن الأمة العربيّة والإسلامية على السواء، وأن

نعمل على ترشيد أبنائنا لتعلم اللغة العربية الفصحى منذ نعومة أظفارهم، وأن نقيم الأنشطة التي تهدف إلى تنمية اللغة العربية لدى الشباب، ومنح جوائز للمبدعين، والتركيز على الوسائل التعليمية التي تشد الطالب لتعلم اللغة العربية الفصحى.

وهنا لا يسعنا إلا أن نكبر ونقدر جهود المؤسسات واللجان العاملة في سورية لدعم وتحسين اللغة العربية، وإلى ما توصلت إليه ورشة إشكاليات اللغة العربية في المواقع الالكترونية التي عقدت في دمشق شهر كانون الأول المنصرم من توصيات في إيجاد آلية تعاون لدعم اللغة العربية في المواقع الالكترونية وذلك في إطار مشروع النهوض باللغة العربية للتوجه نحو مجتمع المعرفة والإسراع في إنجاز المدقق الإملائي الالكتروني، وإلى تشكيل فريق عمل من الخبراء العرب معني بوضع سياسة لغوية للإعلام الالكتروني، وأن تقوم وزارات الإعلام في الدول العربية بتعميم استخدام الكلمات والمصطلحات العلمية التي وضعتها المؤسسات اللغوية ومعاجم المصطلحات والمعنيون بشؤون اللغة العربية، والتركيز على متطلبات الطفل العربي.^{٤٤١}

أبجدية أوغاريت

أبجدية أوغاريت التي تمثل أقدم أبجدية معروفة في العالم، وثورة في عالم الفكر والمعرفة وتطور الكتابة لأنها اختصرت الإشارات الكتابية من ٦٠٠ إشارة إلى ٣٠ حرفاً، في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد.^{٤٤٢}

٤٤١- مجلة نهج الإسلام، وزارة الأوقاف السورية، دمشق، العدد ١٢١، السنة ٣٢، ربيع أول ١٤٣٢ هـ/ شباط ٢٠١١م، لغتنا العربية هويتنا.. فلنحافظ عليها، هيثم جلول مدير التحرير، ص ٤-٥، (بتصرف وتعديل).
٤٤٢- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، السنة ٥٠، العدد ٥٧٠، ربيع الأول ١٤٣٢ هـ/ آذار ٢٠١١م، احتفالية المعرفة، د.علي القيم، ص ١١-١٨، (بتصرف).

قوة الأمة من قوة لغتها

عقدت هيئة الإحياء العربي في لبنان ندوة فكرية تحت عنوان (قوة الأمة من قوة لغتها)، شارك فيها الأستاذ واصف شرارة رئيس الهيئة، والدكتورة سلوى الخليل الأمين، واللغوي ميشال كعدي والمستشار الثقافي جان كاميد..

بداية تحدثت الدكتورة الأمين، عن تاريخ اللغة العربية التي شكلت زخماً معرفياً امتد صعوداً عبر الفتوحات العربية، مؤسسة لنهضة معرفية، وإحياء عربي في مختلف مناحي الحياة، فكانت اللغة العربية عبر قرون عديدة لغة الطب والجبر والعلوم والفلك والحساب والفلسفة، ولم تقتصر جماليات مفرداتها وتعابيرها على الأدب، بل امتد إلى المؤلفات العلمية والطبية، وأشارت الدكتورة الأمين إلى الخطر الذي يحيق باللغة العربية، بعد أن أدمن الشباب إتقان اللغات الأجنبية التي هي وإن كانت ضرورة من منطلق القول (من عرف لغة قوم أمن شرمهم) لكن ليس على حساب انهماك اللغة الأم.

وتحتم الأمين بالدعوة إلى تأسيس قواعد صارمة نحافظ من خلالها على اللغة العربية، من أجل ترسيخها، وتكريسها في أذهان الأجيال الجديدة عبر سياسة تربوية مسؤولة عن إرساء الهوية الوطنية التزاماً وطنياً لا يتزعزع، وذلك بتعليم اللغة العربية على أسس سليمة جذابة، تتقن نشر الثقافة الوطنية بمنهجية معمقة وأساليب مبسطة، تأخذ في الحسبان أن لغة الأم هي المدمك الأساس لبناء شخصية المواطن والتزامه الحس الوطني، وتعوده التمسك بلغته الأم، التي هي لغة وصل وارتقاء وهوية تحمل الكرامة مع المضامين الوطنية.

- الهوية واللغة:

وبدوره أشار الأستاذ شرارة إلى أن المقوم الرئيس للهوية هو اللغة، لذلك فإن هدف الأعداء يتمثل بضرب هذا المكون تمهيداً للانتقال إلى المكونات الأخرى، ولأن استهداف اللغة يطول الثقافة والتاريخ والتراث. وأضاف: اللغة واحدة من مؤسسات هويتنا كشعب ينبغي العمل وبكل جدية على إدماجها بمعطيات العصر، ومحاولة تجديدها دون الإخلال بجذورها الضاربة، كما ينبغي العمل لحمايتها وتمكينها، وزيادة قدرتها على استيعاب علوم العصر ومنجزاته، فكلما زاد وعي المواطن بلغته، زاد وعيه القومي وزاد شعوره بالانتماء إلى تراثه وإلى عروبته، وإلى هويته افتخاراً، فلا هوية من دون لغة، ولا وطن دون هوية.

- اللغة أسباب وحاجات:

في حين تحدث الدكتور ميشال كعدي عن معطيات اللغة وحاجاتها مشيراً إلى أن اللغة العربية هي لغة حية، تنبض بعافية الكتب السماوية، والألسن المرافقة لكل عصر، وفي رحمتها ثوابت التكيف والاستمرارية، وأن إهمال قيمها هو إهمال للتراث، ومن حقها علينا أن ندافع عنها، وعن تعابيرها وقاموسها، كما أشار إلى تمييز

اللغة العربية عن غيرها من اللغات بالاشتقاق الذي هو من روافدها الرئيسة وأصل إعجازها، واستمرارها وتقدمها وسر بقائها.

أما الأسباب التي أدت إلى قصور اللغة العربية فقد لخصها الأستاذ كعدي بأسباب كثيرة، منها: رواج اللغات المحكية المتعددة، حيث دخلت إليها الكثير من المفردات من لهجات مختلفة، عربية وغير عربية، فضلاً عن ازدياد الأشياء التي يراد كتابتها أو التداول إلى ازدحام اللغات الأجنبية، خاصة في المدارس التي أنشأتها الحكومات الأوروبية والأمريكية في بلادنا، وإزاء هذا التقصير اضطر الطالب أن يقبل إلى حضارة العصر ليتبحر في العلوم التي يحتاجها وكأن لا بدّ من الإلمام بلغة أو أكثر أحياناً، إضافة إلى معرفة بعض العلوم، وكل هذا على حساب تعليم العربية.

ويختم بالقول بأنه مهما كانت أسباب التراجع فإنه لا بدّ من التعمق باللغة العربية والسعي إلى تجديدها والارتقاء بها.

- اللغة وعلوم النفس:

وتناول جان كاميد في ورقته منزلة اللغة العربية في علم النفس باعتبار أن اللغة هي ذاكرة وإحساس وإرادة وعاطفة، وفي الدراسات المتعلقة بعلم النفس كان للغة عناية خاصة نظراً لدقة الموضوع، واتصاله بأعماق النفس، فيمكن تحديد أهميتها بالنسبة إلى اللغات الأخرى، التي يتلقاها الإنسان وما لها من وضع خاص.

فاللغة الأم هي التي انهرت بها شخصية الإنسان، فأصبحت أمة، وبقية ما أجاده من لغات لا تعدو أن تكون محفوظات في خزانة ذاكرته، ينزعها منها عندما يحتاج إليها، وتقول محفوظات لتمييزها عن اللغة التي انصهرت في نفسه وجبلت بها، مؤكداً أن وحدة اللغة هي قوام وحدة الأمة، فهناك تجانس بين الشخص ولغته الأم، فلغته هي صورة نفسه ومرآتها، هي إفران من أعماقه، أما اللغة الأجنبية التي ينطق بها فلا تعكس صورة نفسه، بل تكشف أنه غريب عن ذاته، عن حقيقته، عن جوهره، ومتقمص ذاتاً أخرى، إنه في وادٍ واللغة التي ينطق بها في وادٍ آخر. ٤٤٣.



- ٤٤٣ صحيفة تشرين، دمشق- سوريا، العدد ١١٠٨٤، الأربعاء ١ جمادى الآخر ١٤٣٢ هـ / ٤ أيار ٢٠١١م، قوة الأمة من قوة لغتها، عزيزة السبيني، ص ٢١.

- عالمية اللغة العربية:

اللغة العربية ليست كأي لغة من اللغات الأخرى، بل هي فريدة من نوعها، اصطفاها الله تعالى من بين اللغات جميعاً لتكون لغة كتابه المحفوظ.

ولأنها هي اللغة الوحيدة في العالم وعلى مدى التاريخ التي استطاعت أن تعيش أكثر من ١٤ قرناً متواصلاً ولم تتوقف، وهي العنصر الباقي والأساس الذي يجمع العرب في شتى أنحاء الأرض.

وهي خط الدفاع الأول والدرع الواقي التي تصدت للاستشراق والتغريب، وهي اللغة الوحيدة من لغات البشر التي ما زال يقرأ بها المسلمون كتاجم السماوي وبلغته الأصلية نفسها، في حين أن الكتب السماوية الأخرى تقرأ بلغات غير التي كتبت بها لأول مرة وارتباطها بالقصيدة والشريعة، وهي اللغة التي تفوقت على جميع اللغات الأخرى من حيث الاحتفاظ بحروف معينة فقدت في العديد من اللغات، وفي ظاهرة الاشتقاق وظاهرة الإعراب.

واللغة العربية ولقرون طويلة كانت لغة الثقافة والعلم والمعرفة خلال العصور الذهبية للدول العربية والإسلامية، وكانت لغة الاختراعات والطب والفلك والطبيعة والكيمياء بفضل كبار العلماء مثل ابن سينا، ابن النفيس، جابر بن حيان، الخوارزمي.. وغيرهم.

كما أنها تصلح لأن تخاطب العالم أجمع لأنها مبنية على أدق المعاني بأبسط الألفاظ وأجمعها، وقد رصدت الأمم المتحدة في تقرير لها أن الأمة العربية هي الوحيدة بين الأمم التي ارتضت لأبنائها الحديث بلغات أجنبية على حساب لغتها، في الوقت الذي ما زال الغرب متمسكاً وحريصاً على لغته وهويته.

لكنها اليوم في حالة اغتراب حتى من رجال التعليم، فمن المضحكات المبكيات استعمال العامية في تدريس اللغة العربية، فأستاذ النحو والصرف وأستاذ الأدب والنصوص والبلاغة يوصلون المعلومات بالعامية، واللغة لا تكتسب بالدراسة بل بالاستعمال، فهي بوصفها الحالي أصبحت مهددة بالانقراض وذلك بعد أن تنازلت وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة عن كثير من الثوابت، وتخلت عن دورها في الحفاظ على اللغة والنهوض بها، وصارت عاملاً مؤثراً في هدم اللغة.

وحالها يسير من سيء إلى أسوأ، فالمعاملة سيئة من أهلها، والإهانة تلحق بلغتنا، بل وكل الظروف التي تحيط باللغة العربية، تدفع الطلاب لنبذها، وعلى سبيل المثال الطالب ينظر إلى مستقبله، والواقع أن أي وظيفة لا تدفعه لأن يتقن اللغة العربية، لأن أي وظيفة ترتبط بإتقان اللغة الإنجليزية أو الأجنبية وإجادة الكمبيوتر.

إن مأساة اللغة العربية أننا قد أصبحنا وكأننا نطالب بأن تتساوى اللغة العربية مع اللغات الأجنبية.

إن انتشار اللغة لأي شعب يعني اندثار ذاته وغياب شخصيته ووجوده، فالهنود الحمر أصحاب القارة الأمريكية حين غزاهم المهاجرون افقدوهم لغتهم، وبالتالي فقدوا ذاتيتهم وهويتهم الخاصة.

والسؤال كيف سمحنا لأنفسنا أن تھون علينا لغتنا العربية إلى الحد الذي أصبحت معه غريبة بين أهلها، نتهمها بأنها ليست لغة علم ولا تصلح كوعاء للمعرفة العلمية، بينما أصبحت اليابانية والكورية والصينية والروسية - بالرغم من صعوبتها- لغات علمية مرموقة.

هل يليق بنا نحن العرب أصحاب اللغة العربية أن نجد الآخرين يقبلون على تعلمها وبشغف في كل الدنيا الآن (آخرها في إسرائيل فقد قررت تدريس اللغة العربية في جميع المدارس الإسرائيلية ابتداء من الصف الخامس الابتدائي، وقررت زيادة عدد مدارس اللغة العربية).

إن عقد قمة للفصحى ولأول مرة سيكون لها أثر كبير في مستقبل اللغة العربية، فاللغة العربية في خطر وما لم يستشعر قادة الأمة العربية ذلك ويتخذون قرارات لحماية اللغة العربية.

والخطوة الأولى لحماية اللغة العربية تكمن بإصدار هذه القرارات العشرة:

- مجمع عربي واحد لتوحيد جهود المجامع العربية.
- إصدار قرار يجعل التعليم في جميع مراحل التعليم وخاصة الجامعات باللغة العربية.
- إصدار قرارات رادعة لكل من يهمل هذه اللغة أو يتهرب من الكتابة أو الحديث بها.
- ضرورة اعتماد اللغة العربية كمسوغ أساس للتعيين في كل الوظائف.
- إحداث جائزة عربية سنوية لأحسن بحث في اللغة العربية.
- تكريم شخصية سنوية لمن يرفع اللغة العربية.
- القضاء على الأمية باعتبارها العائق الأول للنهوض باللغة العربية.
- خير وسيلة لخدمة اللغة العربية هو الطفل، فغرس اللغة العربية في النشء بسلامة وتلقائية حتى يكبر وتكبر معه اللغة العربية السليمة الخطة الشاملة للارتقاء باللغة العربية تشمل الأسرة، التعليم، الثقافة، الشارع، وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة، الإعلان.
- مؤتمر قمة يتناول بالدراسة والبحث والتحليل حاضر اللغة العربية ومستقبلها ويضع الحلول لتعود اللغة العربية إلى سابق مجدها وعزها.
- لم تكتب الصين واليابان وروسيا- بالرغم من صعوبة لغاتها- لم تكتب علومها بغير لغتها، ونهضت وتنفقت، ولم تسمح هذه الدول لأي لغة أن تهيم على مؤسسات التعليم ومناهجه في بلادها.
- وفي ألمانيا تحرم الدراسة في جامعاتها بغير الألمانية، بل لن يجيبك الألماني إذا ما تحدثت معه بغير الألمانية، وفي إسرائيل تمكن العلماء من ترجمة المصطلحات الطبية الحديثة إلى مرادفاتها في العبرية.

يجب أن يكون مثلنا اليابان وأمريكا للنهوض باللغة، حيث أصدرت تشريعاً يقضي بمنع تعليم أي لغة أجنبية للأطفال تحت ١٤ أو ١٥ سنة.

وفي الهند وأيرلندا حفزت الحكومات بمنح الأطفال حوافز لمن يقوم بإعداد عمل مبتكر بإحدى اللغات وقد نتج عن ذلك أن الأطفال اندفعوا لتعلم اللغة الصحيحة السليمة، وبذلك تكون لديهم رصيد لغوي كاف للحفاظ على لغتهم أمام أي زحف عليها من أي لغة.

وقد قامت الدنيا ولم تقعد في النمسا احتجاجاً على استخدام كلمتين أجنبيتين في أحد الإعلانات التلفزيونية، واعتبرت تلك إساءة لا تغتفر للغة القومية الألمانية (الأهرام ٢٠٠٣/٥/٦).

يقول أحد أعضاء مجلس النواب الأمريكي: "إننا نضع القوانين لمعاقبة المجرمين الذين يسرقون ويقتلون، فلماذا لا نضع القوانين للذين يفسدون اللغة".

وأثبتت الدول المعترزة بلغاتها تقدماً ناجحاً وأصبحت لغتهم هي لغة العلم، بالرغم من الصعوبة الشديدة للغات الصينية واليابانية والفيتنامية والروسية.

وقد بعثت إسرائيل لغتها العبرية من العدم رغم أن معظم اليهود مستوردون من أنحاء العالم ويتحدثون لغات مختلفة.

(من المؤسف أن تشهد أمم أضعف لغة وأدنى رصيداً ولكنها نهضت بلغتها المتواضعة لاعتمادها عليها في كل المجالات العلمية، من هذه اللغات التركية، الفارسية، العبرية، لغات أوروبا الشرقية كالبulgارية والرومانية واليوغسلافية، بل ولغات أفريقية عديدة، وليست العربية بأقل شأناً منها) د. عبد الصبور شاهين. إن الاعتزاز باللغة سبيل التقدم، فاليابان وتقدمها الذي ينبهر به الشرق والغرب على السواء جاء نتيجة اعتزازها بلغتها، واختارت منهجاً واحداً لدراسة العلوم الأجنبية هو ترجمتها إلى اللغة اليابانية إيماناً بأن الدولة التي تتخلى عن لغتها الأم تكون نهايتها التبعية والتخلف.

إن اللغات الأخرى تجد لها دائماً الكثير من العناية والرعاية ويبدل من أجلها الغالي والنفيس من أجل أن تبقى وتنتشر، كثير من بلاد العالم وضع قوانين وتشريعات لمعاقبة من يستعمل غير لغته في الخطاب الرسمي أو الندوات والمؤتمرات أو حتى الإعلان وفي وسائل الإعلام، ولا توجد لغة تضاهي اللغة العربية في بلاغتها وقوتها ومرونة التعبير بها وتعدد معانيها.

إن اللغة العربية فريضة إسلامية فهي اللغة التي نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ، وهي اللغة التي كرمها الله بذكرها في آيات القرآن العظيم، وهي اللغة الباقية الخالدة المحفوظة بأمر الله.

﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ فصلت، ٣.

﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ يوسف، ٢.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الزخرف، ٣.

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عِلْمَهُ الْبَيَانَ﴾ الرحمن، ٣-٤.

وهي لغة البيان:

ويقول كاتب العربية الكبير مصطفى صادق الرافعي في صرخته التحذيرية:

"ما ذلت لغة شعب إلا ذل، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار".

إن الحفاظ على اللغة العربية من العبث والتحريف فرض عين على كل شخص ينتمي لدين الله منا يجب على كل مسلم ومسلمة في شتى بقاع الأرض أن يعمل بكل ما أوتي من قوة على تمكن اللغة العربية الفصحى من شق طريقها في كل ميادين الحياة.

إن المحافظة على لغتنا واجب مقدس لتصل إلى مكائنا اللائق بما أمام اللهجات التي تلاحقها وتحاصرنا من كل جانب.

إننا نترقب اليوم التي تتربع فيه اللغة العربية عرش لغات العالم يحترمها الجميع وتصبح أهم لغات العالم كما كانت في العصور الذهبية للدولة العربية الإسلامية.^{٤٤٤}

- هل تعدد اللغات ظاهرة صحية، وما موقف صلاح ستيتيه كشاعر ومفكر من

أن يكون المرء ضليعاً بعدة لغات، خصوصاً أن هوية الإنسان، وكذلك تاريخ

الثقافي والديني يرتبطان بلغته الأم؟

- أظن أن تعدد اللغات ظاهرة صحيّة، هو تعدد الآفاق، تعدد زوايا رؤية العالم والوجود، عندما ينتقل الإنسان من لغة إلى لغة أخرى، يتغير وكعالم في اللسانيات تعرف ذلك ولا شك.

أنا أحب اللغة العربية كثيراً وذلك لأسباب عديدة، أحب اللغة العربية لأنها لغة حضارة، إن لغات الحضارات الكبرى قليلة، وأقل منها أيضاً اللغات الحضارية التي أنجبت - بالإضافة إلى الحضارة المدنية - حضارة قدسية، اللغة الفرنسية مثلاً لغة حضارة هائلة، ولكنها ليست لغة قدسية، واللغة الإنجليزية كذلك، إنما بعض اللغات كالعبرية والعربية والهندية والصينية واليابانية، قدمت أيضاً القدسيات إلى البشرية، أعني بذلك فكرة أن العالم هو هذا العالم، وهناك عالم آخر يعلو هذا العالم وأن العالمين متكاملان، واللغة العربية من هذه اللغات الكبرى التي قدمت للإنسان، بالإضافة إلى الفكر والثقافة، امتداداً إلى عالم اللامرئي.

٤٤٤ - المجلة العربية، الرياض - السعودية، العدد ٤١٣، السنة ٣٥، جمادى الآخرة ١٤٣٢هـ / مايو ٢٠١١م، عالمية اللغة العربية، نعيم السلاطوني، ص ١٢٢ - ١٢٣.

ما واقع اللغة العربية الآن؟ لقد نزل القرآن الكريم بلسان أهل قريش، بالعربية، ومن بعد ذلك أوضحت هذه اللغة وخلال قرون عديدة لغة العلم والفلسفة والحضارة، كما أنها أصبحت - ولا تزال - لغة الإيمان، القداسة، فما هي نظرتك للغة العربية حالياً، وما هو مستقبل اللغة العربية من منظور تقييمك للواقع الحالي للعرب ولغتهم؟

- أنا أحب اللغة الجاهلية كثيراً، لأنها إلى حد ما من أقدم لغات العالم، لوي ماسينيون الذي هو من أكبر اللغويين كان عالماً كبيراً وفي الوقت ذاته كانت لديه نظريات في اللغة وخصوصاً في اللغة العربية ليس لها مثيل، كان يعتقد أن اللغة العربية ربما تكون أقدم لغة في العالم لأنها الأكثر تعقيداً فكلما كانت اللغة قديمة كانت أشد تعقيداً، هذا قانون أي لغة، اللغات المتطورة جداً تذهب بتطورها في اتجاه البساطة، واللغة العربية معقدة جداً، من هذا المنطلق وحسب ماسينيون، فاللغة العربية إذن من أقدم لغات العالم، هذا إذا لم تكن أقدم لغات العالم، وهي بتاريخها العظيم أعطت في فترة من الفترات شعراً عظيماً هو الشعر الجاهلي، الشعر الجاهلي من أهم الشعر العالمي، ولكن حتى الآن مع الأسف ليس له ترجمات على مستوى مقبول.

أدونيس يجرب حالياً وطلب مني العمل معه، وهو يترجم مقتطفات من الشعر الجاهلي، ولدي الترجمة الأولى، ولكنها تتطلب الكثير من الوقت، أنت تجد في هذا الشعر الجاهلي تعابير غريبة جداً مثل تلك الكلمة التي تتحدث عن شيء موجود وغير موجود، إنها زهرة موجودة فقط لأن أسمها يعبر عنها، ولكنها بالفعل غير موجودة، وهي التي اكتشفها مالارمييه بعد ٢٠٠٠ سنة من شعراء الجاهلية، إنها الخنفشار، هي زهرة بالأساس، ولكنها زهرة غير موجودة، عندما تريد أن تقول بأن شيئاً غير موجود تقول عنه إنه خنفشار، هذه الزهرة هي ما يذكره مالارمييه في شعره في أواخر القرن التاسع عشر، والتي يسميها "الغائبة من كل باقات الزهور"، وهي موجودة في الشعر الجاهلي، اللغة العربية القديمة هائلة، والشعر العربي دخل بقوة لعالم التعبير، ثم أتى القرآن، والقرآن كتاب كبير جداً - ضع الدين جانباً - بلغته، بتحرر اللغة فيه، اللغة حرة في القرآن، وفي الوقت ذاته هي لغة تقبل الشيء وتقبل نقيضه.. كما قلنا لغة معقدة وفي الوقت نفسه لغة معبرة.

- لغة معقدة ولغة مليئة بالقوة الداخلية، وبالتالي بالقوة الشعرية، من الأشياء الغريبة في القرآن أن هناك سورة أسمها "الشعراء" وهي تنتقد الشعراء، إنها تنتقدهم ربما بل بالتأكيد كي لا يكون هناك لبس أو التباس بين الآيات القرآنية والخطاب الشعري، ولكي يُقطع السبيل على التأويلات والتفسيرات الشعرية للآيات القرآنية، لقد قيل بصورة جذرية إنه ليس هناك من وجود شعري في النص القرآني، ولكننا نعود ونقول إن النص القرآني مليء بالمعاني، ومليء بالروحانية، والمعاني الروحانية هي من مبادئ النور، نور على نور، لذلك يأتي

القرآن بكثير من العبارات، خصوصاً في السور الأولى، السور المكيّة التي هي مشحونة بقوة شعرية غريبة وهائلة، وقد تأثر العرب كثيراً بها لدرجة أن من أهم عناصر القرآن الأساسية هو جمالية النص القرآني. هذه الجمالية هي ما يسمى باسم الإعجاز، لكن هذه اللغة الإعجازية لا نزال نستعملها حتى اليوم، إنها تبقى هي نفسها تقريباً ولا تتغير كثيراً، ما يتغير بمرور الزمن هو طريقة استعمالها للتعبير عن مواضيع جديدة، ومن أجل الخوض في مجالات جديدة تقتضيها مستجدات العصر والزمن الحاضر.

- نعم لا بدّ من استعمال اللغة في مجالات جديدة، لأن وطأة ما يسمى بالحدثة على كاهل الإنسان العربي أصبحت هائلة، ولكي يعبر عن وجوده الفعلي في الحدثة يتوجب عليه أن يخلق مفردات جديدة، لقد حاول المسؤولون عن القواميس إدخال هذه الكلمات شيئاً دائماً لأن التقاليد اللغوية والمخيلية عند الإنسان العربي كانت أقوى من الرغبة بالتجديد، ومن المجددين الأوائل كان المترجمون.

حاول المترجمون المصريون في فترة من الفترات، كالمفلوطي وغيره، أن يدخلوا بعض التعبيرات الجديدة في ترجماتهم، لكن العمل الأساسي كان في لبنان عن طريق البساتنة، ثم عن طريق جبران خليل جبران، أهم كتب جبران هي: "النبى"، هنا نعود لنرى إلى أي مدى وصل تأثير العالم الروحاني والقدسية العربية القديمة، وجبران لم يكتب هذا الكتاب بالعربية، بل بالإنجليزية، كأنه صعب عليه أن يكتب بالعربية كتاباً مجدداً لكن عندما شاء أن يكتب عن الشعر بلغة أجنبية، اختار شخصية أطلق عليها اسم الرسول المسلم "المصطفى" وأعطاه روحانية التوراة والإنجيل.^{٤٤٥}

نادي الإحياء العربي في لبنان: «قوة الأمة من قوة لغتها»
Arab Revival Club in Lebanon: the nation's power emerges from the power of its language

On Wednesday 27 April 2011 at 6.00 p.m., Lebanon branch of the Arab Revival Club holds a symposium entitled (nation's power emerges from the power of its language) at the UNESCO Palace- Beirut.

Engineer Wasef Sharara, Chief of Lebanon branch of the Arab revival Club will deliver the opening speech. The symposium will be managed by Dr. Salwa Khalil, member of the Arab Revival Club in Lebanon, and it will include two lectures on the Arabic language and its importance, delivered by:

-Professor Michel Kedeh, Professor of the Arabic language philology, his lecture entitled (linguistic deficiency).

-Professor and writer Jean Kamid, President of the Assembly of intelligentsia, his lecture entitled (the nation's unity emerges from the Unity of its Language)

The symposium will include interventions of the attendants.

تحت عنوان (قوة الأمة من قوة لغتها)، يقيم فرع لبنان لنادي الإحياء العربي ندوة حوارية، عند الساعة السادسة من مساء يوم الأربعاء 27 نيسان 2011، وذلك في قصر الأونسكو ببيروت.

وسيلقي كلمة الافتتاح المهندس واصف شرارة - رئيس فرع لبنان لنادي الإحياء العربي، فيما ستقدم الندوة وتديرها الدكتورة سلوى الخليل الأمين - عضو نادي الإحياء العربي في لبنان.

وتتضمن الندوة محاضرتين حول لغتنا العربية وأهميتها، يليهما:

الأستاذ ميشال كعدي - أستاذ فقه اللغة العربية، بعنوان (القصور اللغوية).

والأديب الأستاذ جان كميد - رئيس جمعية أهل الفكر، بعنوان (وحدة الأمة من وحدة اللغة).

وسيتخلل الندوة مداخلات من السادة الحضور.

٤٤٦

٤٤٥ - مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد ٦٣١، جمادى الآخرة ١٤٣٢ هـ/ يونيو ٢٠١١م، مقتطفات من حوار صلاح سنييه وبسام بركة، اللغة العربية لغة حضارة كبرى تعبر عن الثقافة والمقدس معاً، ٦٨- ٧٥، (بتصرف).

٤٤٦ - مجلة الإحياء، تصدر عن نادي الإحياء العربي بالتعاون مع جامعة الدول العربية، العدد ٣، ١٥ آذار ٢٠١١م، نادي الإحياء العربي في لبنان: "قوة الأمة من قوة لغتها"، ص ٥.

تعويذة مسمارية من حماة



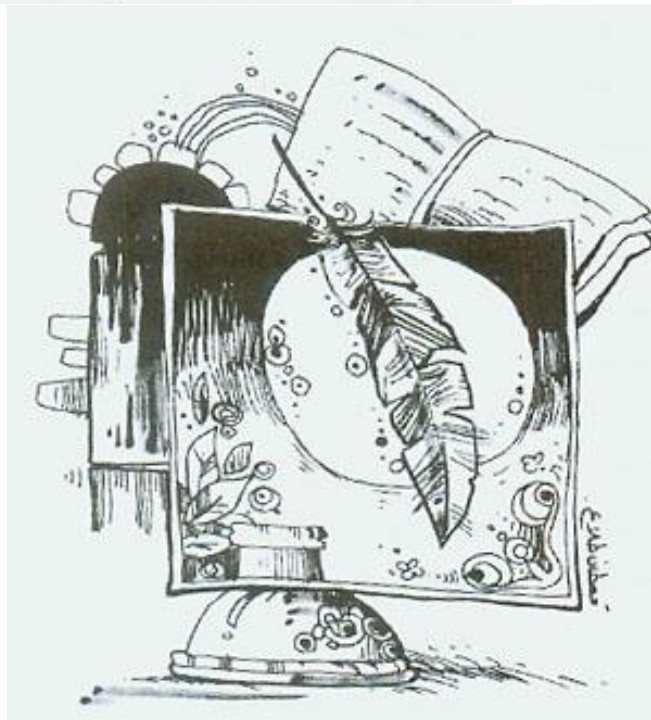
رقيم مسماري من اييلا (تل مردوخ) ٢٤٠٠ ق.م

كانت مملكة حماة، مزدهرة في الألف الأول قبل الميلاد، وقد قدمت لنا مكتشفات قلعتها الشهيرة، مجموعة جيدة من الكتابات المسمارية التي تثبت ذلك، وقد قام عالم الآثار، هرلد إنجوهلت، والعالم «أوتس» بنشر دراسات عن مضمون هذه الرقيم الكتابية، ومنها رقيم مسماري دونت عليه تعويذة محفوظة - حالياً - في المتحف الوطني الدانمركي في كوبنهاغن، مكتوبة بلغة بابلية حديثة ويعود تاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد، وتحديداً في زمن الحكم الآشوري لسورية الداخلية. الترجمة التي نشرت عن هذه التعويذة تؤكد على مدح الآلهة مثل: (ايا وشمش ومردوخ) ووصف قدراتهم وعظمتهم السماوية والأرضية، وتحكمهم بمصائر البشر وتحقيق الخير ودفع الشر، وفي هذه التعويذة التي يعتقد أن نصها قد نسخ عن نصوص أخرى مشابهة تعود إلى عصور أقدم في الألفين الثالث والثاني قبل الميلاد..

يتحدث كاتب هذه التعويذة عن قيامه بكل الواجبات والطقوس اللازمة ويتوسط لرجل مريض لمنحه الشفاء، وأن تعيده الآلهة إنساناً سليماً معافى قادراً على الاعتماد على نفسه، وأن يغدو حيويًا مشرقاً، ويبعد شر الأفعى عنه، وذلك بأسلوب أدبي قريب من الدعاء، ويؤكد النص على الطهارة حيث كان الاعتقاد المطلق بأن المرض هو إحدى نتائج عدم الطهارة الجسدية والروحية، يقول أحد مقاطع التعويذة:

أنا الذي فمه طاهر، الذي يعرف الأوامر الإلهية..
لقد سكب المياه الطاهرة.. نظفت سطح الأرض لأجلكم..
في مجلسكم وصنعت الثياب الحمراء الزاهية..
أهديتها إليكم..
لوازم التضحية جهزت لكم.. أضحية طاهرة ضحيت لكم..

ع-ق



٤٤٨

واجبنا تجاه لغتنا

أقام المجتمع العلمي الفرنسي الدنيا وأقعدتها من أجل وجود كلمة الإنجليزية في لغته تسللت إبان الحرب العالمية، وفرضت فرنسا وجوب قصر الاستعمال اللغوي المحرر من الفرنسيين على الفرنسية، وفرض غرامة على من يترخص في ذلك، ويستخدم ألفاظاً من لغة أجنبية، ولكن ماذا ينبغي علينا تجاه اللغة العربية، هذه اللغة التي كادت تتغلب عليها اللغات الأجنبية والعامية لدى ملايين المسلمين، ولا سيما تفشي الجهل من حيث الاهتمام باللغة العربية، والجهل بكتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، لدرجة نجد بعض الأفكار التي ترى أن اللغة العربية كادت تختفي.

هذه اللغة تواجه خطراً يهددها ويهدف إلى إضعافها من خلال نشر لغات وتغذيتها، وعزلها في معظم ديار المسلمين غير العربية، إلى ترويج الدعايات لتغيير حروف اللغة العربية، وتغيير قواعدها وأسس بيانها وبلاغتها، والأخطر في ذلك، إبعاد المسلمين عن القرآن الكريم وعن سنة نبيه ﷺ، لأن غياب اللغة العربية أو ضعفها يضعف صلة الإنسان بمنهاج الله، وعلى قدر ما تضعف اللغة العربية يضعف التلقي من منهاج الله، وإذا ضعف هذا التلقي، ضعف الإيمان والتوحيد، وبالتالي يرتبط هذا الخطر بقضية مصيرية في حياة الإنسان، إنها قضية الإيمان والتوحيد، أما مسؤولية الدعوة الإسلامية والدعاة وعلماء المسلمين وأولي الأمر منهم، فتكمن في وضع النهج والخطة لمعالجة الواقع الحالي، ولإعادة اللغة العربية إلى منزلتها، وهذا النهج يظل قابلاً للنمو والتطور، كلما صدقت النية والعزيمة، ولعل من ملامح هذا النهج:

- اللغة العربية جزء لا يتجزأ من منهاج الله، وفقرة من بند المنهاج الرباني.

- لا يجوز التحدث في منهج لقاء المؤمنين إلا باللغة العربية الصحيحة.

- جعل اللغة العربية، اللغة الأولى في العالم الإسلامي أثناء المؤتمرات الإسلامية والمحاضرات.

والسؤال المطروح هنا هل نترجم الإسلام إلى اللغات الأجنبية حين نريد أن نبلغ الإسلام إلى الشعوب الأخرى، أم نعلمهم اللغة العربية؟

عندما نبلغ الإسلام الشعوب غير المسلمة، يجب أن يكون هناك نهج واضح، وخطة مفصلة لهذا الأمر، نهج يبين المراحل والخطوات من أجل تبليغ رسالة الله، وبالتالي أن يقوم النهج والتخطيط على النظرية العامة للدعوة الإسلامية التي تضبط العمل وتوجهه على أساس من الكتاب والسنة ووعي الواقع من خلالهما.

وعلى أن نقول: اللغة العربية ذات ميزات خاصة ترفعها فوق سائر اللغات، وما زالت غنية بكنوزها التي لا تنفد، وبعبرية لا تحمد، وجمال غني لا يذبل، إنها لغة القرآن الكريم، وحسبها عظمة وشرفاً أن تكون لغته. ٤٤٩

العربية قبل الإسلام

أثار اهتمامي البحث المنشور في عدد سابق من مجلة الباحثون بعنوان "الفنون العربية قبل الإسلام" للفنان التشكيلي ممدوح قشلاق، وعلى الرغم من اهتمامي الفطري الشديد بالفن والآثار معاً، فالموضوع شَدَّنِي إليه، على نحوٍ خاص، ليس لعلاقته بالفن والآثار وحسب، بل وهذا ما أريد قوله _ بالنقوش الكتابية التي حملتها الصور التي أوردها "قشلاق" كشواهد لبحثه وهي كلها مكتوبة بما يُعرَفُ آثارياً بـ "القلم المسند"، وحيث أنني اليوم "أزعم" أنني أحد القلائل جداً من العاملين في حقل قراءة النقوش الكتابية القديمة للُّغات التي خرجت من حيز الاستخدام منذ أزمان بعيدة، هذا الحقل الذي يُعرَفُ علمياً بـ "علم الإبيغرافيا"، فإنني تشجَّعتُ وقُلْتُ لنفسي، (ولماذا لا أبادر، وأنا الذي طالما عملت على قراءة نقوش القلم المسند اليمينية، وأقْدِمُ قراءةً لبعض النقوش في سياق تعريفٍ أضَعُهُ بين يدي قارئنا المثقف العربي الذي قلَّما عَرَفَ أو اطَّلَعَ على هذا الإرث "العربي" العظيم للُّغة العربية التي سبقت ظهور الإسلام زمانياً بخمسة عشر قرناً على الأقل؟؟)

أما أصل اللفظ فهو فعل ليغو = Leg اليوناني أي (أنا أتكلم) ومنه لفظ لوغوس = Logos أي (كلمة) ونقول بالعربية (فلان يلغو) بمعنى يتكلم بألفاظ غير مفهومة، ومنها "اللغو" وأيضاً "اللغظ". وإن ما شَجَّعَنِي أكثر وأكثر، على هذه المبادرة العلمية المتخصصة بامتياز، هو الطابع العلمي لمجلة "الباحثون" التي سبق لها وأن نَشَرَت بحثاً من هذا العيار العلمي "الثقيل" بعنوان "ابتهاال وتدوين موسيقي من أوغاريت" للدكتور فاروق إسماعيل في العدد ٤١، تشرين الثاني ٢٠١٠.

أفلا يستحق هذا الإرث العربي، وأصِرُّ على نَعْتِهِ بالعظيم، من المثقف "العربي" التِفَاتَةً عابرة منه إلى الورااء؟ أستهل بتعداد اللهجات العربية الجنوبية التي دُوِّنَتْ بالقلم المسند:

لهجة سبأ

لهجة قَتَبَان

لهجة معين

لهجة حضرموت إضافة إلى الحِمَيْرِيَّة.

عام ٢٤ قبل الميلاد: روما تفشل في حملتها للسيطرة على اليمن.

القرن الأول الميلادي: عصر ملوك سبأ واستمرار سيطرتهم.

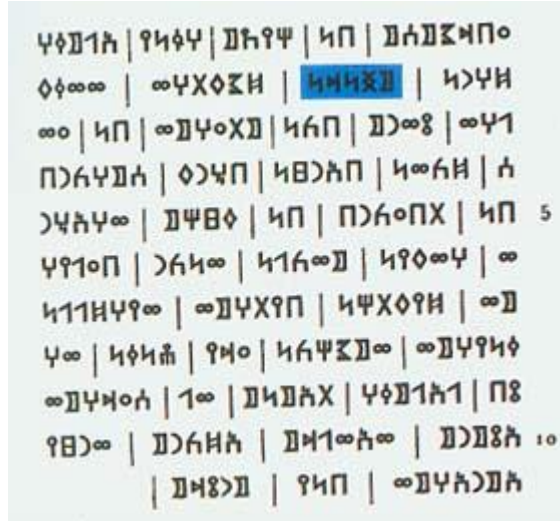
القرن الثاني الميلادي: ظهور قوة ذي ريدان الحميريين في ظفار وتحالف سبأ وحضرموت والحبشة ضدها

سيطرت بنتيجته الحبشة على سهل تهامة طيلة القرن الثالث الميلادي.

القرن الثالث م: توحيد سبأ وذي ريدان مع نهاية القرن الثالث الميلادي.

القرنين الرابع والخامس الميلاديين: توحيد ممالك اليمن بكاملها بما فيها حضرموت ويمنة (عصر التبابعة).

القرن السادس الميلادي: الأحباش يجتاحون أرض اليمن نحو العام ٥٢٥ م.



- عربيات الجنوب كتبت بالخط (أو القلم) المسند:

امتازت عربيات الجنوب اليمني على سائر العربيات الأخرى، بما فيها عربيتنا اليوم (أي عربية قريش)، بأنها حظيت بالتدوين المبكر الذي سبق تدوين كافة العربيات الأخرى بعدة قرون من الزمن لسبب بساطة ألا وهو تطور المجتمع المدني (أي الذي بنى المدن وسكنها على نقيض مجتمع البدو الرُحَّل الذي ما احتاج يوماً إلى التدوين).

وقد ارتكز هذا المجتمع الحضري الحضاري بشكل أساس على الاقتصاد الزراعي والتجاري الذي كان على درجة من التعقيد والتطور استوجب معها الكتابة منذ أقدم العصور.

أما القلم الذي استخدمه قدامى اليمنيين الذين سبقوا الإسلام فهو نموذج عُرفَ بالقلم المسند قريب من القلم الأمهري الإثيوبي (الحبشي). وقد ورد لفظ "المسند" على هيئة (م س ن د ن) في العديد من النقوش العربية اليمنية القديمة نسوق إحداها في حيث أشرنا باللون الأزرق على اللفظ المعني للدلالة عليه (الكلمة الثانية في السطر الثاني من النقش السابق): = م س ن د ن أي المسند، حيث النون في آخر الكلمة هي بمنزلة "الـ" التعريف في عربيتنا الحالية، علماً بأن الكتابات الصيهدية (أي اليمنية القديمة نسبة إلى مفازة

صيهده الرمليه حيث نشأت هذه اللهجات) تقرأ من اليمين إلى اليسار عموماً باستثناءات نادرة جداً، المواضيع الرئيسية التي تدور حولها النقوش:

تندرج الكتابات الصيهديه في ثلاثة تصانيف رئيسة تبعاً لمواضيعها:

أ- تنظيمية، رسمية، تجارية، استثمارية، تخص الري، تخص حياة القبيلة..

ب- نصوص دينية وهي الأكثر شيوعاً: هبات، قرابين، احتفالات تذكارية..

ج- نصوص متعلقة بالملكيات تخص مناسبات إقامة منشآت أو توسيعها وتحدد حقوق الأشخاص أو القبيلة في ملكية آبار أو سدود أو قنوات.

القلم المسند يتكون من ٢٩ حرفاً يكتب من اليمين إلى اليسار من ضمنها حرف الضاد:

الفروق شاسعة بين عربية قريش وعربيات الجنوب

اليميني: أبرزها:

١- انعدام "أل" التعريف حيث يتم التعريف فيها بالتنونين إي إضافة النون إلى أواخر الأسماء.

٢- التنكير يكون بـ"التَمِيم" أو إضافة حرف "الميم" إلى أواخر الأسماء المراد تنكيرها.

٣- ندرة أو انعدام استخدام الهمزة في أواسط الكلمات.

- إلا أن أهم الفروق هي:

١- الهوة الشاسعة بين معجم الألفاظ الجنوبية اليمينية ومعجم ألفاظ عربية قريش إذ لا تتجاوز نسبة الألفاظ المشتركة أكثر من ٤٣% حسب إحصاء أجريته بنفسه.

- نماذج من الكتابات الجنوبية اليمينية:

- مثال أول:

نقش سبئي (نورد أدناه قراءتنا وترجمتنا الشخصية له) مصدره حاجز ماء

شمال سد مأرب يعود إلى القرن الخامس ميلادي أي إلى عصر التبابعة ملوك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنة وأعراهم طوداً وتهامة. أي بعد توحيد اليمن.

𐩦	ا	أ
𐩧	ب	ب
𐩨	ت	ت
𐩩	ث	ث
𐩪	ج	ج
𐩫	ح	ح
𐩬	خ	خ
𐩭	د	د
𐩮	ذ	ذ
𐩯	ر	ر
𐩰	ز	ز
𐩱	س	س
𐩲	س ^١	س
𐩳	ش	ش
𐩴	س ^٢	س
𐩵	س ^٣	س
𐩶	ص	ص
𐩷	ض	ض
𐩸	ط	ط
𐩹	ظ	ظ
𐩺	ع	ع
𐩻	غ	غ
𐩼	ف	ف
𐩽	ق	ق
𐩾	ك	ك
𐩿	ل	ل
𐊀	م	م
𐊁	ن	ن
𐊂	ه	ه
𐊃	و	و
𐊄	ي	ي

የኃይሎ ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት
 ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት ስጦት

(١) شرح بأل | يعفر | ملك | سبأ | وذريه

(٢) مدن | وحضرموت | ويمنة | وأعرجه

(٣) هموم | طودم | وتهمه | بن | أب كرب

(٤) أسعد | ملك | سبأ | وذريدن | وحض

(٥) رموت | ويمنة | وأعرهموم | طودم

(٦) وتهمه | عذبو | عرمن | بن | قرب | رح

(٧) بيم | عدي | هشقره

(١) و | بن | سفن | بن | ودين | طمحن

(١) وعذبو | مذأبن | بن | سفلهو |

وإليكم النقل الحرفي للنص دون تدخل من جانبي لتحسين الصياغة:

(١) شَرَحَ بِأَلْ يَعْفَرُ مَلِكُ سَبَأَ وَذِي رِيْدَانَ

(٢) وَوَيْمَنَةَ وَأَعْرَجَهُمْ

(٣) طُودَمًا وَتَهْمَةَ بَنِ أَبِي كَرْبِ

(٤) أَسْعَدَ مَلِكِ سَبَأَ وَذِي رِيْدَانَ وَحَضْرَمُوتَ

(٥) وَوَيْمَنَةَ وَأَعْرَجَهُمْ طُودَمًا

(٦) وَتَهْمَةَ أَصْلَحَ (أَوْ رَمَمَ) السَّدَّ مِنْ قُرْبِ

(٧) "رَحِبٍ" حَتَّى بَلَغَ نَهَايَةَ الطَّرْفِ

(٨) الْآخِرُ، وَرَمَمَ الْقَنَاةَ وَحِجَارَةَ صَفْرِ السَّدِّ حَتَّى أَكْمَلَهُ مِنَ الْأَسْفَلِ مِنَ الْوَادِي الْعَالِي.

وأصلح جزء السد من أسفله..

ولو أردنا إعادة صياغة النصف الثاني من النص بشيء من التصرف لزيادة توضيحه، لأمكننا ذلك على

النحو التالي:

(٦) ملك حضرموت.

- المثال الثالث:

نقش مثير مصدره ليس من اليمن هذه المرة بل من جزيرة ذيلوس اليونانية ببحر إيجه وهو نص معيني ليس بالحضرمي ولا بالسبئي وهو يحوي على كتابة تكريسية باليونانية أيضاً. النقش محفوظ اليوم في متحف جزيرة ذيلوس:

استكتاب النص أو نقل أحرفه من الخط المسند إلى الخط العربي:

(١) حناً | وزيد إل | ذي | خذب |

(١) نصب | مذبح | ودم | وأل ألت |

(١) معن | بدلس |

التفسير:

(١) حناً وزيد إل اللذان < من > خذب

(١) أقاما (أو نَصَبًا) مذبحٌ وُدِّ وإله

(١) معين بديلوس.

النقش يحمل كتابة يونانية هي:

ODDOU

QROU

MINAIWN

QADDW

Oddou qeo Minai n. Oadd وتعريبها: "تقدمة لُوْدِّ إله المعينين"

ΟΔΔΟΥ	ΠΗΥΙΡΗΙΓΗΡΞΘΙΗΥΙ	1
ΘΕΟΥ	ΧΓΗΓΗΘΙΒΘΙΨΠΗΒΙΠΡΗ	2
ΜΙΝΑΙΩΝ	8ΓΗΠΙΓΘΒ	3
ΟΑΔΔΩ		

- المثال الرابع والأخير:

نقش سبئي على وجه صخرة مكون من عشرة أسطر غير منتظمة (الصورة مصدرها موقع "وزارة المعارف، وكالة الآثار والمتاحف وMinistry of Education Deputy، Ministry of Antiquities and Museums، National، Smithsonian، Natural History Museum of". "الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية بعنوان: (Written in Stone: Pre- Islamic Exhibit) أما القراءة والترجمة فهي من عملنا وهي تغاير كثيراً أو قليلاً ما هو منشور في الموقع المذكور إياه.

قراءة النقش حسب الأسطر أي تحويله إلى أحرف عربية اليوم

١- ب خ ي ل / ا ر ح م ن ن / ا و م س ح ه و / ا م ل ك ن / ا ب ر ه / ا ز ي ب م ن / ا م ل ك / ا س ب أ
ا و ذ ي ر ي د ن / ا و ح ض ر م و (ت)

٢- و ي م ن ت / ا و أ ع ر ب ه م و / ا ط و د م / ا و ت ه م ت / ا س ط ر و / ا ذ ن / ا س ط ر ن / ك
غ ز ي و

٣- م ع د م / ا غ ز و ت ن / ا ر ب ع ت ن / ا ب و ر خ ن / ا ذ ث ب ت ن / ا ك ف س د و / ا ك ل /
ب ن ي ع م ر م /

٤- و ذ ك ي / ا م ل ك ن / ا ب ج ر ا ب ع م / ا ك د ت / ا و ع ل / ا و ب ش ر م / ا ب ن ح ص
ن م / ا ب ع م

٥- س ع د م / ا و م ر د م / ا و ح ض ر و / ا ق د م ي / ا ج ي ش ن / ا ع ل ي / ا ب ن ي ع م ر م /
ك د ت / ا و ع ل / ا ب و د / ا ذ م ر خ / ا و م ر د م / ا و س ع د م / ا ب و د

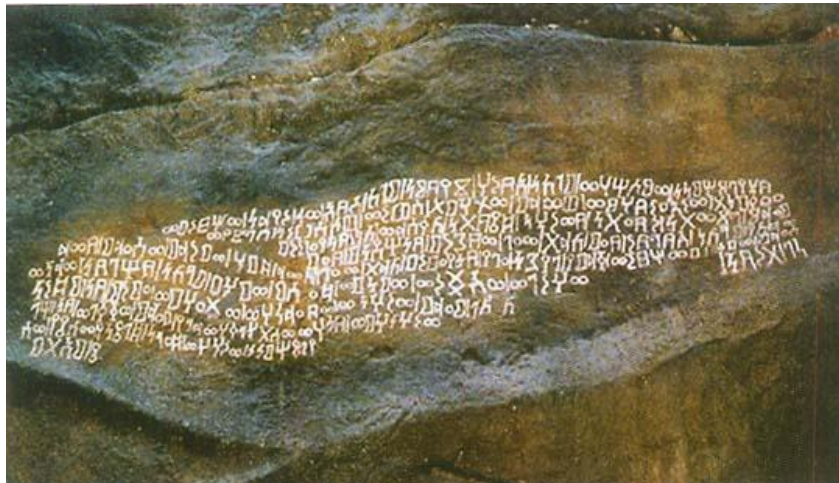
٦- ب م ن ه ج / ا ت ر ب ن / ا و ذ ب ح و / ا و أ س ر و / ا و غ ن م و / ا ذ ع س م / ا و م خ ض /
م ل ك ن / ا ب ح ل ب ن / ا و د ن و

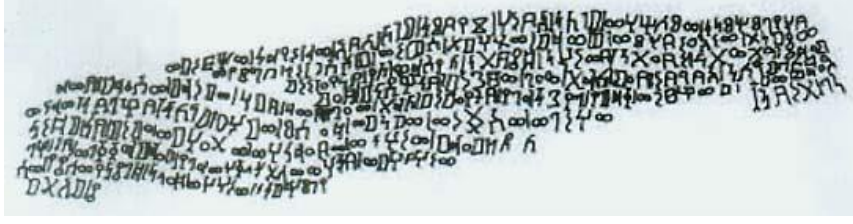
٧- ك ظ ل / ا م ع د م / ا و ر ه ن و / ا و ب ع د ن ه و / ا و س ع ه م و / ا ع م ر م / ا ب ن ا م ذ ر
ن

٨- و ر ه ن ه م و / ا ب ن ه و / ا و س ت خ ل ف ه و / ا ع ل ي / ا م ع د م / ا و ق ف ل و / ا ب
ن / ا ح ل

٩- (ب) ن / (ب) خ ي ل / ا ر ح م ن ن / ا و ر خ ه و / ا ذ ع ل ن / ا ذ ل ث ن ي / ا و س ث ي / ا و
س

١٠- ث / ا م أ ت م





التفسير أو "ترجمة" النقش إلى العربية المعاصرة:

- ١- بقوة الرحمن ومسيحِه، الملك أبرهة زيمان ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت
- ٢- ويمنة وأعرابهم (= قبائلهم) (في) الجبال والسواحل، سطر هذا النقش عندما غزا
- ٣- (قبيلة) "معدٍ" (في) غزوة الربيع في شهر "ذو الثابة" (نيسان) عندما ثارت كل "بني عامرٍ"
- ٤- وعين الملك (القائد) "أبي جبر" مع قبيلة "كِنْدَةَ" و"عُلا" (والقائد) "بشر بن حصن" مع
- ٥- (قبيلة) "سعدٍ" (وقبيلة) "مرادٍ" وحضروا قُدَّام (= بمواجهة) الجيش ضد "بني عامرٍ" (واجهت) "كندة" و"عُلا" بؤادي "ذو مرخ" و"مرادٍ" و"سعدٍ" بؤادٍ
- ٦- على طريق "ترين" وذبجوا وأسروا وغنموا كثيراً وحارب الملك في "حلبن" (= حلبان) ودَنَا.
- ٧- كَظِلٍّ (= بِمِثْلِهِمْ) "معدٍ" (وَأَخَذَ مِنْهُمْ) أسرى، وبعد ذلك فَوَضَّتْ "معدٌ" عمرو بن المنذر (في).
- ٨- الصلح) فَكَفَلَهُمْ ابْنُهُ "عروة" (عن أبرهة) فعينه حاكماً (لى) "معدٍ" ورجع (أبرهة) من "حَلَا".
- ٩- بَنَ "بقوة الرحمن في شهر "ذو علان" في السنة الثانية والستين.
- ١٠- وستمائة [٦٦٢ حميري = ٥٤٧ الميلادي]. (التقويم الحميري يبدأ عام ١١٥ ق.م).

- نتائج واستخلاصات:

ذلك اليمن العظيم بحضارته أفلا يستحق منا المزيد من الاهتمام؟ وهل يجب أن نكتفي بمعرفة ثلاث كلمات عنه فقط هي بلقيس وسد مأرب ومضغ القات؟ إن لليمن حقاً علينا، وإذا كنا نحن لا نبحث عن حضارته أو نبشها فهلاً اطلّعنا على ما يبشبه العلماء لنا؟ أما آن لنا أن نعرف تاريخنا بل أما آن لنا أن نبحث عن تاريخنا ونقرأه بأنفسنا؟

إلا حيثما ذكرنا خلاف ذلك، استفدنا في اختيار النقوش أعلاه من كتاب "مختارات من النقوش اليمنية القديمة"، الصادر عن "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم" التابعة لجامعة الدول العربية والمطبوع بتونس عام ١٩٨٥^{٤٥٠}.

٤٥٠ - مجلة الباحثون، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق- سورية، العدد ٥١، ٠، أيلول ٢٠١١م، العربية قبل الإسلام، ملاتيبوس حبرائيل جغنون، ص ١٥٢-١٥٩، (بتصرف).

من هم الأوائل في معرفة حروف الهجاء؟

لقد كتب الكثير من الباحثين عن أصل الحروف الهجائية، من أجانِب ومُستشرقين وآثاريين.. وكان لكل باحث دليل يعتقد بأنه هو الرأي الصحيح الذي يستند إليه، وبناء على أشياء ملموسة من نقوش، أو علامات كتابية مكتشفة ومعينة. وكلما ظهرت نقوش، أو كتابات، أو مخطوطات بحروف هجائية.. نرى ظهور آراء وأقوال ومدارس، لا بل نظريات يعتقد أصحابها أنها القول الفصل في الأصل الهجائي. لقد عدّ العلماء اختراع الحروف الهجائية، من أعظم المخترعات التي أوجدها العقل البشري، بل من أجل البركات التي هبطت على البشرية في مسيرتها نحو التقدم الحضاري. إن ذلك يعود إلى الثقافة العربية التي نمت وازدهرت على يد الأقاليم العربية التي نزحت من جزيرة العرب، واستقرت في الهلال الخصيب منذ أقدم الأزمنة. والحرف عطاء حضاري يعترف بأهميته كل إنسان، وفي كل مكان. وإن الفينيقيين، وهم اللبنانيون القدماء، وضعوا نظاماً للهجاء أصبح إرثاً ورثته عنهم سائر البلدان.

ولأهمية معرفة أصل الحروف الهجائية، سنوضح ذلك، وما قيل في هذا الشأن من الوجهة العلمية والتاريخية.. خدمة لتراثنا الكتابي الأصيل.

- الكنعانيون ودورهم الطبيعي في التقدم الحضاري:

يتفق الباحثون على أن الحروف الهجائية في العالم بدأت في كتابات الأقاليم الغربية الذين تمتد مناطقهم من طور سيناء إلى أقصى حدود بلاد الشام شمالاً وغرباً، إذ وجدت في هذه المناطق أنواع كثيرة من النقوش بالحروف الأبجدية من سواحل البحر الأبيض المتوسط شرقاً إلى آسيا حتى الهند، كما نقلها الفينيقيون إلى أوروبا، وهكذا تغلبت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة آنذاك^{٤٥١}.

والكنعانيون هم الذين اخترعوا أبجدية الكتابة التي تمثل صورة مبسطة للخط المسماري، الهيروغليفي، فلا غرو أن يصبح الخط الكنعاني أساساً لجميع خطوط العالم المتمدن في الشرق^{٤٥٢}.

وأعظم عمل قام به الكنعانيون للحضارة هو اختراعهم الأبجدية الهجائية، وتعدّ أهم الاختراعات في تاريخ البشرية. ومن المتفق عليه أن الكنعانيون، كانوا أول من استعمل الحروف الهجائية في الكتابة، ومنهم انتقلت إلى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم بين سنة (٨٥٠ ق.م) إلى الإغريقية واللاتينية، وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي (الألف باء) (ALPHABET) وقد احتفظ اليونانيون بنفس الترتيب الذي وضعه الفينيقيون من

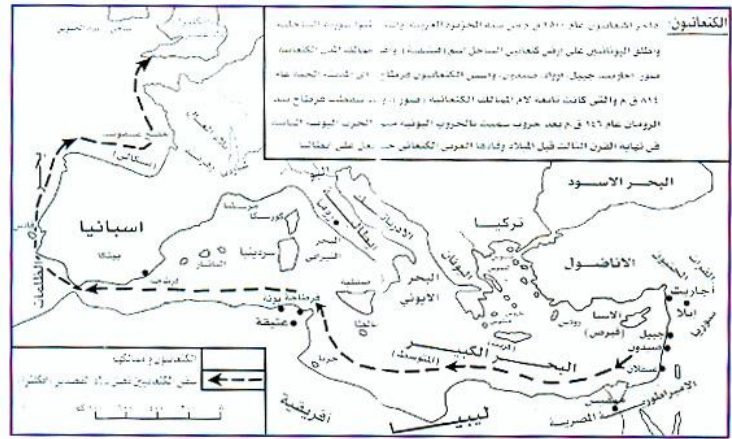
٤٥١- مفصل العرب واليهود، د.أحمد سوسة، منشورات وزارة الثقافة والأعلام، بغداد، ١٩٨١م، ص ١١٩. نقلاً عن: مجلة الباحثون، دار الشرق للطباعة والنشر، دمشق- سوريا، العدد ٥٢، تشرين الأول ٢٠١١م، من هم الأوائل في معرفة حروف الهجاء؟، محمود شكر محمود الجبوري، ص ٥٣.

٤٥٢- مفصل العرب واليهود، د.أحمد سوسة، م.ن، ص ١١١. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، م.ن، ص ٥٣.

حيث تسلسلها ومن حيث طريقة كتابتها من اليسار إلى اليمين وفق الطريقة الفينيقية الأصلية، والفينيقيون، والكنعانيون تسميتان لمسمّى واحد^{٤٥٣}.

وكان اليونانيون يسمّون الكنعانيين بالفينيقيين، وهم أتوا من البحر الأرتيري عبر فلسطين، فأقاموا على شاطئ البحر، وهناك بنوا مدينة دعوها (صيدون) لكثرة السمك في ذلك المكان كما سكن هؤلاء المهاجرون في صيدا، وهم الكنعانيون ثم الفينيقيون فيما بعد حوالي العام (٢٨٠٠ قبل الميلاد) ولفظ فينيقي استعمله الإغريق في القرن التاسع قبل الميلاد^{٤٥٤}.

وكان بنو إسرائيل يسمّون القبائل الكنعانية بأسماء مناطقها فيقول أهل صور، أهل صيدا، وأهل حبال، وأهل أرواد، وكانوا يطلقون عليهم اسم الكنعانيين، والظاهر أن هذا اللفظ مشتق من كلمة يونانية الأصل، لأن جميع الأمم السامية الأخرى لا تعرف الكنعانيين بهذا الاسم، ولا باسم آخر قريب منه^{٤٥٥}.



اللغة	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ق	ص	ض	ظ	ع	ط	ق	ص	ض	ظ
الفينيقية	𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕	𐤖	𐤗	𐤘	𐤙	
الكنعانية	𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	𐤈	𐤉	𐤊	𐤋	𐤌	𐤍	𐤎	𐤏	𐤐	𐤑	𐤒	𐤓	𐤔	𐤕	𐤖	𐤗	𐤘	𐤙	
العبرية	א	ב	ג	ד	ה	ו	ז	ח	ט	י	כ	ל	מ	נ	ס	ע	פ	צ	ק	ר	ש	ת					
اللاتينية	A	B	C	D	E	F	G	H	I	J	K	L	M	N	O	P	Q	R	S	T	U	V	W	X	Y	Z	

٤٥٣- مفصل العرب واليهود، د. أحمد سوسة، م.ن، ص ٣١٠. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، م.ن، ص ٥٣.

٤٥٤- تاريخ لبنان، جواد بولس، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٥٢ - ٥٤. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، م.س، ص ٥٣. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، م.ن، ص ٥٣.

٤٥٥- إسرائيل ولفنسون، ص ٥٩ تاريخ اللغات (السامية) - مصر. (الفينيقيون العرب هم الكنعانيون أصلاً، والفينيقيون هم سكان جبال لبنان وشواطئ البحر الأبيض منه.. يرجع أصلهم إلى الكنعانيين، وهم أحد الأقوام الذين نزحوا من جزيرة العرب بحدود الألف الثالث قبل الميلاد). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، م.ن، ص ٥٣.

- الأبجدية الفينيقية.. أم الأبجديات؟

اختلف الباحثون في أول من ارتفع بالكتابة في شكلها السوري إلى الهجائي، فقال قوم إنهم من السريان، وقال غيرهم هم المصريون، أو غيرهم ولكن جمهور الباحثين قديماً وحديثاً أثبتوا أن أول من اخترع أحرف الهجاء هم الفينيقيون^{٤٥٦} (x) الذين ازدهرت بهم البلاد وملكت بعلوهم أزقة البر والبحر.

وهذا رأي جماعة من العلماء، وتابوهم يزدادون يوماً بعد يوم، ومعلوم أن الحروف الهجائية الفينيقية أصل الهجاء عند الأمم، وقد حلت محل القلم المسماري، والقلم الهيروغليفي المصري، والقول المشهور أن أبناء فينيقية سلكوا سبيل المصريين، فأخذوا عنهم واحداً وعشرين حرفاً كانت معروفة عندهم، وغيروا، وبدلوا فيها وجعلوها حروف علة وحروفاً صحيحة، ثم انفردوا بحرف واحد تنمة الاثنى عشر حرفاً، وهي حروف اللغة الفينيقية، وهذا الحرف هو (العين) غير موجود في لغة المصريين فوضعوا له علامة مخصوصة وهي دائرة تشبه وضع الصفر عند الإفرنج، ثم تبع الفينيقيين في حروفهم كل الأمم التي عرفتهم، وغيروا وبدلوا ما تقتضيه لغاتهم، وأشهر من تبعهم فيها اليونانيون والفينيقيون الذين جاؤوا مع (قدموس) أدخلوا إلى بلاد اليونان عند وصولهم فنوناً شتى، ومن جملتها فن الكتابة الذي كان اليونان يجهلونه حتى ذلك الزمان^{٤٥٧}.

وامتد سلطان الفينيقيين على معظم سواحل البحر الأبيض المتوسط الشرقي، والجنوبي، والشامي، وإلى الجزر الواقعة في هذا البحر إذ لم يقتصر سلطانهم فقط على الساحل اللبناني بل امتد إلى شمال إفريقية وإسبانيا وفرنسا أيضاً. وكان لا بد للكتابة الفينيقية من أن تنتشر.. ولقد خرجت الألفبائية الفينيقية في ثلاث موجات من موطنها الأصلي إلى ثلاثة اتجاهات على الكرة الأرضية لتشتق منها أبجديات جل شعوب الأرض:

-الموجة الأولى: باتجاه اليونان.

-الموجة الثانية: باتجاه الشرق إلى الهند وجنوب شرق آسيا.

-الموجة الثالثة: فكانت إلى الشمال في اتجاه آسيا الوسطى.

هذه الموجات الثلاث جعلت من اليسير على اللغات القائمة آنذاك اقتباس الخط الفينيقى، وهكذا كتب للخط الفينيقى الذبوع والانتشار وبطريقة، وأخرى رقعة هائلة في المعمورة^{٤٥٨}.

٤٥٦- (الفينيقيون العرب هم الكنعانيون أصلاً، والفينيقيون هم سكان جبال لبنان وشواطئ البحر الأبيض منه.. يرجع أصلهم إلى الكنعانيين، وهم أحد الأقسام الذين نزحوا من جزيرة العرب بحدود الألف الثالث قبل الميلاد). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ص ٥٣.

٤٥٧- الشيخ أحمد رضا - تحقيق - د. نزار أحمد رضا، ص ٣٩ رسالة الخط العربي. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ص ٥٤.

٤٥٨- د. شعبان عبد العزيز خليفة، ص ٤٨ - ٤٩ الكتابة العربية من رحلة النشوء والارتقاء. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ص ٥٤.

- الآراء أو النظريات التي قبلت في أصل الحروف الهجائية:

يكاد ينحصر الجدل العلمي في نشوء حروف الهجاء في بضع مدارس يضم كل منها طائفة من الباحثين إلا أن هناك مدرستين رئيسيتين إحداهما ترى، وتبرهن على أن أصل حروف الهجاء يجب أن يعود إلى الخط المصري القديم، والأخرى ترى بأن لديهم من الأدلة والبراهين ما يكفي أن يرد أصل حروف الهجاء إلى الخط المسماري البابلي.. ولأهمية هذا الجدل من الوجهة التاريخية والعلمية فيما يخص هذا الموضوع المهم، ولكي نقف على سير البحوث الكثيرة التي كتبت في هذا الموضوع، وقبل أن نثبت هنا آخر ما توصل إليه العلماء حول أصل الخط العالمي ويحمل بنا أن نورد عن أتباع كل من المدارس المهمة مع خلاصة آرائهم وبراهينهم^{٤٥٩}.

أ- النظرية المصرية:

تستند هذه النظرية على تعلّم الفينيقيين للكتابة من مصر بادئ الأمر^{٤٦٠}.. ويرى أصحاب هذه النظرية بأن الحروف الهجائية الفينيقية مشتقة من الخط المصري الهيراطيقي، وهو نوع من اختصار واختزال الهيروغليفي ويعد خط الخاصة وعمال الدواوين وكتاب الدولة^{٤٦١}.

وشهدت الكتابة نمواً وتطوراً في عهد السلالة الفرعونية الأولى، ومن المرجح أن يكون ظهورها خلال فرعونها الرابع بعد الكتابة الهيروغليافية بمدة وجيزة، أو ربما اشتقت من الخط الديموطيقي (خط العامة) وهو اختصار للهيراطيكية، وأكثر سهولة من الكتابة السابقة، وسماه "أكليمندس الإسكندر" رسائلية" لاستعمالها في الرسائل ومنهم من قال إنها مأخوذة من الخط الهيروغليفي (الخط المقدس) لأنه كان يستعمل في البداية لأهداف دينية فقط، وتعلم الكهنة وأتقنوا من الكتابة الهيروغليافية على الرغم من صعوبتها في التطبيق في الظروف اليومية^{٤٦٢} ومن أول القائلين بالأصل المصري، بأن الفينيقيين أخذوا حروف أبجديتهم من الكتابة الهيروطيكية المصرية هو (عمانوئيل دي روجيه) الذي وصل إلى هذه النتيجة بعد مقابله بين الكتابات الفينيقية المعروفة في أيامه، وهي قليلة جداً- والكتابة الهيروطيكية المدونة على ورق البردي والمعروف باسم^{٤٦٣} (papyrusprisse)، ويتبعه في آرائه كل من (الدكتور إسحاق تيلر، وجون بيترس) و(فلندزر بتري) و(ألن كاردر) ولكنهم اختلفوا في التفاصيل، هل أخذوا الحروف جملة؟ أو أخذوا قسماً منها، واستنبطوا القسم الآخر؟،

٤٥٩- أنيس فريجة، ص ١٩ الخط العربي. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٥.

٤٦٠- تركي عطية الجبوري، ص ٨٩ الكتابات والخطوط القديمة. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٥.

٤٦١- driver. G. r. alphabet. Oxford. University - 1944 - p. 128. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٥.

٤٦٢- رينيه ديسو... ص ٧٧ العرب في سورية قبل الإسلام ترجمة / عبد الحميد الدواخلي- القاهرة / ١٩٥٩ م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.س، ص ٥٥.

٤٦٣- اميل اده، ص ٤٢ جليل مهد الأبجدية. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٥.

ومما تجدر الإشارة إليه بأن هذه النظرية قديمة العهد من زمن الإغريق والرومان، ومنهم (أفلاطون وديود روس وبلوتارج) (٤٦٤).

بعض الحروف السامرية ومشتقاتها والحروف السينائية ومشتقاتها

الحرف السامري	الحرف السينائي	الحرف العبراني	الحرف اللاتيني	الحرف اليوناني	الحرف الروماني	الحرف العربي	الحرف الفارسي	الحرف الهندي	الحرف الصيني	الحرف الياباني	الحرف الكوري	الحرف الهندي	الحرف الصيني	الحرف الياباني	الحرف الكوري
aleph	א	א	A	Α	Α	ألف	الف	अ	ア	ア	ア	अ	ア	ア	ア
beth	ב	ב	B	Β	Β	بيت	بیت	ब	ビ	ビ	ビ	ब	ビ	ビ	ビ
gimel	ג	ג	G	Γ	Γ	جيم	جیم	ग	ギ	ギ	ギ	ग	ギ	ギ	ギ
daleth	ד	ד	D	Δ	Δ	دالت	دالت	द	ディ	ディ	ディ	द	ディ	ディ	ディ
he	ה	ה	H	Η	Η	هت	هت	ह	ヒ	ヒ	ヒ	ह	ヒ	ヒ	ヒ
waw	ו	ו	W	Ω	Ω	واو	واو	व	ヴ	ヴ	ヴ	व	ヴ	ヴ	ヴ
zain	ז	ז	Z	Ζ	Ζ	زين	زين	ज	ジ	ジ	ジ	ज	ジ	ジ	ジ
heth	ח	ח	H	Η	Η	هت	هت	ह	ヒ	ヒ	ヒ	ह	ヒ	ヒ	ヒ
teth	ט	ט	T	Τ	Τ	تت	تت	त	ティ	ティ	ティ	त	ティ	ティ	ティ
yod	י	י	Y	Υ	Υ	يود	يود	य	ユ	ユ	ユ	य	ユ	ユ	ユ
kaph	כ	כ	K	Κ	Κ	كاف	كاف	क	キ	キ	キ	क	キ	キ	キ
lamed	ל	ל	L	Λ	Λ	لام	لام	ल	リ	リ	リ	ल	リ	リ	リ
mem	מ	מ	M	Μ	Μ	ميم	ميم	म	ミ	ミ	ミ	म	ミ	ミ	ミ
nun	נ	נ	N	Ν	Ν	نون	نون	न	ニ	ニ	ニ	न	ニ	ニ	ニ
samek	ס	ס	S	Σ	Σ	سك	سك	स	シ	シ	シ	स	シ	シ	シ
sin	סין	סין	S	Σ	Σ	سين	سين	स	シ	シ	シ	स	シ	シ	シ
pe	פ	פ	P	Π	Π	بي	بي	प	ピ	ピ	ピ	प	ピ	ピ	ピ
qof	ק	ק	Q	Ϟ	Ϟ	قوف	قوف	क	キ	キ	キ	क	キ	キ	キ
resh	ר	ר	R	Ρ	Ρ	ريش	ريش	र	リ	リ	リ	र	リ	リ	リ
shin	ש	ש	S	Σ	Σ	شين	شين	स	シ	シ	シ	स	シ	シ	シ
taw	ת	ת	T	Τ	Τ	تاء	تاء	त	ティ	ティ	ティ	त	ティ	ティ	ティ

ب- النظرية البابلية:

يرى أصحابها أن الخط الفينيقي (الكتابة الهجائية) مشتق من الخط المسماري أي الكتابة المسمارية السومرية، وهي أقدم وسيلة ابتكرت للتدوين، ومن المنجزات العظيمة التي اهتمت إليها الإنسان، واشتهرت في بلاد ما بين النهرين، وللسومريين الفضل الأكبر في اختزالها، أما المكونات الأساسية للكتابة المسمارية في جميع تفرعاتها فهي (اللغة السومرية) والأكادية، وكتابة أوغاريت المقطعية ثم الأبجدية^{٦٥}، ومن أنصار هذه المدرسة (بايزر - peiser) و(زمرن - zimmer) ويستند معظم القائمين بهذه النظرية إلى شكل الخط الفينيقي أولاً، ثم إلى أن أسماء الحروف الهجائية السامية التي يظن أن أشكالها الابتدائية الأولية، المفروض اشتقاقها من الخط البابلي في دوره الصوري، كانت تصور الأشياء المادية التي تسمى بها الآن وزيادة على مثل هذه البراهين يدحض أتباع هذه قول القائمين في الأصل المصري بعدة براهين منها:

أولاً: لم تكن اللغة المصرية، ولا الخط المصري منتشرين في الشرق الأدنى خارج مصر.

ثانياً: إن اللغة البابلية والخط البابلي كانا منتشرين في الشرق الأدنى، ولاسيما في أوائل القرن الرابع عشر ق.

م فما بعد.

٤٦٤- يوسف دنون، ص ٩٠ حروف الهجاء، مجلة / النبراس - العدد الخامس/ ١٩٧٣م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ص ٥٦.

٤٦٥- أنيس فريجة، ص ١٩ الخط العربي ب- د. عامر سليمان الكتابة المسمارية والحرف العربي، ص ٩ جامعة الموصل- العراق، عام / ١٩٨٢م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ص ٥٦.

ثالثاً: حتى في الوقت الملائم لإدخال الحروف المصرية إلى الشرق الأدنى وذلك في زمن احتلال الأسرة التاسعة عشرة الفينيقية وفلسطين، كانت اللغة البابلية، والخط البابلي يستعملان في تلك الأقطار في المراسلات الرسمية بين الملوك المصريين، وحكامهم، وأتباعهم في تلك الأقطار^{٤٦٦}.

وقد كان لاكتشاف الفرنسيين سنة (١٩٢٩) مدينة أوغاريت (هجر) الكنعانية - المملكة الفينيقية التي كانت تقوم على بعد فراسخ من اللاذقية اليوم في سورية - الأثر الكبير في إعطاء هذه النظرية قيمة كبيرة، تُظهر جميع هذه الاكتشافات أن (رأس الشمرة) كانت مركزاً ثقافياً لامعاً، ومدينة مزدهرة آنذاك^{٤٦٧}، فقد اكتشفت فيها تحت الأنقاض لوحات فينيقية كتبت بأبجدية مسمارية، وأصبح العلماء أمام مكتبة قلبت تفسير التاريخ^{٤٦٨}، واستعمل فيها سكان (رأس الشمرة) الذين كانوا على علاقات مباشرة مع بلاد ما بين النهرين الكتابة المسمارية، ثم اختصروا الخطوط المسمارية كثيرة العدد بثمانية وعشرين حرفاً أبجدياً، إن تعين أقدم أبجدية في العالم ما يزال حتى الآن موضوع نزاع بين كثير من العلماء، فإذا كان البعض منهم يقر بقدم أبجدية (رأس الشمرة) فالبعض الآخر يعد الأبجدية المكتشفة في (بيبلوس، جبل لبنان) أقدم من أبجدية أوغاريت^{٤٦٩}.



٤٦٦- ١٥- طه باقر، ص ٤٥ أصل الحروف الهجائية ونشوءها، مجلة سومر. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.ن، ص ٥٦.

٤٦٧- يوسف ذنون، ص ٩ حروف الهجاء مجلة/ النيراس- العدد السادس/ ١٩٨٧م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.س، ص ٥٦.

٤٦٨- سعيد عقل، من مقدمة: لكتاب - نسيب وهيبه الخازن (أوغاريت) بيروت/ ١٩١٩م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.ن، ص ٥٦.

٤٦٩- جبرائيل سعادة، ص ٩٨ رأس الشمرة (آثار أوغاريت) بيروت/ ١٩٥٤م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.ن، ص ٥٦.

ج- النظرية التوفيقية:

فضلاً عن المدرستين المذكورتين، هناك جماعة من الباحثين يمكننا أن ندعوهم بالتوفيقيين، مثل الأستاذ (فردريك ديلج (Friedrik Delitzsch) الذي يوفق بين المدرستين، أو (النظريتين) السابقتين، فيرى أن مخترعي الحروف الفينيقية أخذوا عن الخط المصري الصفة الصوتية الهجائية (Acrophony) ولكنهم أخذوا معظم حروفهم من الخط البابلي المسماري كما يستدل عليه بأسماء تلك الحروف، فإن خمسة عشر حرفاً من مجموع الحروف الفينيقية البالغ عددها اثنين وعشرين حرفاً، لها معانٍ في اللغة العربية القديمة (السامية) ولا سيما في اللغة البابلية، وذلك بتحريف بسيط أحدثه الفينيقيون أنفسهم حسبما اقتضته خصائص لغتهم، وهذا التحريف الفينيقي دليل أيضاً على أن الحروف الهجائية اخترعها الفينيقيون أو الكنعانيون لا الآراميون ولا العرب الجنوبيون كما يرى البعض^{٤٧٠}.

عربي	المست	عسرى	عبري	فينيقي	أغريقي	لاتيني
ا	𐤀	𐤁	א	𐤁	Α	A
ب	𐤁	𐤂	ב	𐤂	Β	B
ج	𐤂	𐤃	ג	𐤃	Γ	G
د	𐤃	𐤄	ד	𐤄	Δ	D
هـ	𐤄	𐤅	ה	𐤅	Ε	E
و	𐤅	𐤆	ו	𐤆	Ϝ	F
ز	𐤆	𐤇	ז	𐤇	Ζ	Z
ح	𐤇	𐤈	ח	𐤈	Η	H
ط	𐤈	𐤉	ט	𐤉	Θ	T
ي	𐤉	𐤊	י	𐤊	Ι	I
ك	𐤊	𐤋	כ	𐤋	Κ	K
ل	𐤋	𐤌	ל	𐤌	Λ	L
م	𐤌	𐤍	מ	𐤍	Μ	M
ن	𐤍	𐤎	נ	𐤎	Ν	N
هـ	𐤎	𐤏	ה	𐤏	Ξ	X
و	𐤏	𐤐	ו	𐤐	Ο	O
ي	𐤐	𐤑	י	𐤑	Π	P
ك	𐤑	𐤒	כ	𐤒	Ρ	R
ل	𐤒	𐤓	ל	𐤓	Σ	S
م	𐤓	𐤔	מ	𐤔	Τ	T
ن	𐤔	𐤕	נ	𐤕	Υ	Y
هـ	𐤕	𐤖	ה	𐤖	Φ	F
و	𐤖	𐤗	ו	𐤗	Χ	X
ي	𐤗	𐤘	י	𐤘	Ψ	P
ك	𐤘	𐤙	כ	𐤙	Ω	W
ل	𐤙	𐤚	ל	𐤚	Ϝ	Y
م	𐤚	𐤛	מ	𐤛	ϝ	Y
ن	𐤛	𐤜	נ	𐤜	Ϟ	Y
هـ	𐤜	𐤝	ה	𐤝	ϟ	Y
و	𐤝	𐤞	ו	𐤞	Ϡ	Y
ي	𐤞	𐤟	י	𐤟	ϡ	Y

ترجمة مقارنة بين الحروف الثلاثة

٤٧٠- طه باقر، ص ٤٥ أصل الحروف الهجائية ونشؤها (م.س). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.س، ص ٥٧.

د- النظرية الكريتية أو الآيجية:

ما يزال مجال البحث مفتوحاً حول أصل الحروف الهجائية، لافتراضات جديدة، ولكن منذ عام (١٩٠٠م) أمدتنا الاكتشافات الجديدة والتي حدثت في جزيرة كريت بنتائج لا يتطرق إليها الشك، فنجد بعض الباحثين الذين درسوا الخط الكريتي يقولون إنه أصل الخط الفينيقي، وأول القائلين في الأصل الكريتي هو المنقب (إيفانس - Evans) الذي اكتشف من الآثار المهمة، والكتابة القديمة في جزيرة كريت ويشارك في هذا الرأي كل من (كزينيس وفرايزر) اللذان يفترضان بأن الكتابة الكريتية أم الحروف الفينيقية ومنشؤها^{٤٧١}، ثم ذهب إلى افتراض بأن الكتابة الأبجدية قد دخلت فلسطين مع أغراب هاجروا إليها من جزيرة كريت، وبعض الجزر الأخرى، وبمخالطتهم للفينيقيين تعلم هؤلاء عنهم طريقة الكتابة الكريتية ثم اشتقوا منها أبجديتهم.

هذا الافتراض لأنه ليس افتراضاً فحسب، بل يستحق الوقوف عنده لأننا لن نصل بعد إلى تحديد أصل الهجاء الفينيقي والمقارنة بين الحروف الآيجية، والحروف الفينيقية ستظل دون شك غير محققة مادامت قيمة الحروف الآيجية لم تحدد بعد^{٤٧٢}، وإن مثل هذه المخطوطات غير كافية لحل مشكلة أصل الحروف الهجائية.

هـ- النظرية السينائية: من الضروري قبل الدخول في تفاصيل هذا الموضوع أن نوضح أولاً نوعية الكتابة السينائية التي يدعى بعضهم بأن الفينيقيين أخذوا عنها حروفهم الأبجدية، وجعلوها أساساً لهم، سُميت (نقوش طور سيناء) أو (سينائية) إحدى الكتابات القديمة المكتشفة في شبه جزيرة سيناء، اكتشفها المنقب المشهور (فلنדרز بيرري) في شتاء عام (١٩٠٤م) في (سرابيت الخادم)، وهي نصوص قصيرة يبلغ عددها حوالي الأربعين، وهي مؤلفة من كلمات منفردة حُفرت على صخور على تماثيل من حجر صغير الحجم عثر على هذه النصوص في مناجم كان المصريون في أزمنة مختلفة يستخرجون منها المعادن والفيروز^{٤٧٣}.

أما العلامات أو الحروف المختلفة التي توصل العلماء إلى تمييزها في هذه الكتابة يبلغ عددها الثلاثين، أي عدد أحرف أبجدية أوغاريت نفسه، إن هذه المخطوطات لها أهمية كبرى، كونها أقدم وأبسط نقوش (سامية) مكتوبة بحروف هجائية عثر عليها حتى الآن، ورجح الكثير أنها أصل حروف الهجاء، وأول هجائية علمية منها نشأت بقية أنواع الحروف الهجائية المعروفة.

و- النظرية الجبيلية:

تقول هذه النظرية: إن أقدم أبجدية انطلقت من جبيل، ونادي بها (موريس دونان) بعد عثوره على نقوش تشبه الهيروغليفية، هجائية لا مقطعية في الحفريات التي كان يقوم بها في (بيلوس) القديمة مدينة جبيل

٤٧١- يوسف ذنون، ص ٩٠ حروف الهجاء، مجلة نبراس (م.س). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.ن، ص ٥٧.

٤٧٢- رينية ديسو، ص ٧٦ العرب في سورية قبل الإسلام (م.س). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.ن، ص ٥٧.

٤٧٣- اميل اده، ص ٤٥ جبيل مهد الأبجدية. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، م.س، ص ٥٧.

اللبنانية^{٤٧٤}، وقد ر أن هذه النقوش هي أمّ الهجاء الفينيقي، لقد كان لهذا الاكتشاف صدى عالمي، لأنه غير الكثير من تفسير التاريخ الشرقي القديم، وبنوع أخص تاريخ الكتابة، وحرّم الفينيقيين من دورهم التقليدي في نمو المدينة.

ويقول بعض علماء الآثار إن الفينيقيين هم الذين اكتشفوا الحروف الأبجدية، ويميلون إلى الاعتقاد بأن هذه الاكتشافات كان في بدء تاريخهم في جبيل.

أما (موريس دونان) الذي أشرف بنفسه طوال سنوات عدة على آثار جبيل وحفرياتها، اكتشف أن هناك كتابات مبهمة منها اللوحات المحفورة عليها كتابات سماها (بسيد وهيروغليفية)، وقال عنها إنها الأصل أو الينبوع الذي استقى منه الجبيليون حروف أبجديتهم الشهيرة وهي أول أبجدية عرفها التاريخ، ويعتقد (موريس) أن اكتشاف وثائق عدة من هذه الكتابة (البسيديوهيروغليفية) يفتح مرحلة جديدة وهامة في البحث عن أصل الأبجدية وينبوعها^{٤٧٥}.

ز- النظرية الكنعانية:

الكنعانيون هم أصل الفينيقيين العرب، سكان لبنان.. والنظرية الكنعانية، نادى بها المستشرق (ليد سباركي)^{٤٧٦} وقال: (إن الخط الأبجدي اخترعه الكنعانيون، وعندهم انتشر في العالم. ومن أقدم النصوص التي عثر عليها ومن أحدثها كشافاً لنصوص (رأس الشمرة)، في شمال اللاذقية، وأكثر هذه النصوص شعرية تصف رحلات الكنعانيون، ومعيشتهم في تلك البلاد، وفيها ملاحم وحكم، وهذه اللغة مكتوبة بأبجدية إسفينية مشتقة من الخط الإسفيني.

وأقدم النصوص الكنعانية، هي كلمات كنعانية كتبت بالخط الإسفيني في المكاتبات التي دارت بين أمراء الشام وملوك مصر والتي عثر عليها في تل (العمارنة) وتعود إلى منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، منذ سنة ألف قبل الميلاد وصلتنا نقوش مكتوبة بالخط الكنعاني^{٤٧٧}.

ح- النظرية الفينيقية:

تحدد هذه النظرية نشأة الحروف الهجائية في (فينيقية)، والهجاء الفينيقي يعد النموذج الوحيد لكل أنواع الأبجديات المعروفة شرقاً وغرباً، ويرى أصحاب هذه النظرية أن الهجاء نشأ في فينيقيا ولم يكن مستعاراً من الأبجديات الأخرى أو مقتبساً منها^{٤٧٨}.

٤٧٤- يوسف ذنون، ص ٩٢ حروف الهجاء، مجلة نبراس (م.س). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٨.

٤٧٥ - أبو سارية الخط العربي (مخطوطة)، نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.س، ص ٥٨.

٤٧٦- يوسف ذنون، ص ٩٠ حروف الهجاء، مجلة نبراس (م.س). نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٨.

٤٧٧- جرجي زيدان، ص ٣٦ الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية مطبعة الهلال، القاهرة، ط٣، ١٩٢٣ م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.س، ص ٥٨.

٤٧٨- رينيه ديسو، ص ٦٠ العرب في سورية قبل الإسلام. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٠٠، م.ن، ص ٥٨.

إننا نعلم أن الكتابة مرت بأطوار، ومراحل عديدة، ومنها المسمارية، والهيروغليفية، والبكتواغرافية قيل إنها وصلت إلى اختراع الأبجدية، لكن الفينيقيين أول من جرد الصور التي كانت تستعمل لكتابة الكلمة، أو المقطع، واستعاضوا عن هذا النظام بوضع رموز كل رمز منها يمثل وحدة صوتية. فإن أخذ الفينيقيون أشكال حروفهم عن الصور الهيرغليفية، أو عن الكتابة الهيراطيقية، أو المسمارية، أو من كتابة سيناء، أو من المرثيات المتوفرة في بيئتهم أو من الأبجدية، وارتقائهم في الكتابة من الحس إلى التجريد حتى وصلوا إلى إقرار النبرة الصوتية بالشكل المرسوم، فإن كل ذلك وصل من فينيقيا^{٤٧٩}.

المعنى	شبه بابلية ٠٢٠٦	بابلية قديمة ٠٢٠٦
سمكة		
ثور		
حمار		
فتح حبوب		
اله أو سماه		
شمس أو نهار أو نور		
يفلح الأرض أو ينزعها		
بيت		
إنسان		

٤٧٩- يُنظر: لبنان في قيم تاريخه.. العهد الفينيقي، أ- يوسف الحوراني، بيروت، ١٩٧٢م.
- حتى.. لبنان في التاريخ، د. فيليب، بيروت، ١٩٠٩م. نقلاً عن: مجلة الباحثون، العدد ٥٢، ٥٠، من، ص ٥٨.

اللغة العربية أم لغوية للغات السومرية

لقد توقفت عند كتاب "التوراة جاءت من جزيرة العرب" لأنه الأكثر جرأة وجدالاً وإثارةً بين كتب راحلنا الدكتور كمال الصليبي، وهذا لا يمنع من القول بثقة ومصداقية بأن كتبه الأخرى ذات أهمية كبيرة جعلت مؤلفها هامة سامقة، ومنحته مكانة أدبية بارزة كمؤرخ وصاحب نظريات ناقضت مفاهيم شائعة وراسخة على مستوى المنطقة والعالم مثل كتاب "البحث عن يسوع وبيت بمنازل كبيرة، ومنطلق تاريخ لبنان" وغيرها من الكتب والأبحاث المتميزة التي جعلت منه صاحب نبرة عالية حقيقية في الاتجاه المعاكس في محيطه الجغرافي والأكاديمي (وحسبه أنه أيضاً ساهم مساهمة فعالة في إعادة مركز النقل اللغوي الديني إلى الأصل، أي إلى اللغة العربية كأم لغوية للغات العروبية القديمة (السامية) جميعها، بل وأعاد إليها اعتبارها كحاضنة لغوية مثلى وأصلية للديانات السماوية الثلاث).^{٤٨٠}



٤٨٠- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٧٨، السنة ٥٠، ذي الحجة ١٤٣٢هـ/ تشرين الثاني ٢٠١١م، كمال الصليبي والبحث عن الجوهر، د.علي القيم، ص ١١-٢٠، (بتصرف).

اللغة العربية.. لغة أدب وعلوم وعقيدة

لقد قرأت ببالغ الاهتمام مقالة د. عبد الله الجسمي في عدد العربي (٦٣٤) سبتمبر ٢٠١١م، والتي كانت بعنوان "الثقافة العربية.. هل تطورها اللغة؟"

وقد أستهلها بسؤال آخر: هل باللغة تنطور الثقافة؟

وفي محاولته الإجابة عن هذا التساؤل وما قدمه من شواهد استدل بها على أن التراجع الثقافي والفكري لم يكن أساساً بسبب تراجع اللغة العربية وإنما نتيجة لها، وأن السبب الرئيسي في اشكالية الثقافة العربية يكمن في دور الأنظمة الاستبدادية في وقف التقدم الثقافي أو العلمي والحضاري بما فرضته من أساليب القمع، وخنق الحريات، وتغييب دور العلم والعلماء، ونشر ثقافة الخوف والرعب والإذعان والتسليم.

وبين أن إنقاذ اللغة العربية لن يودي إلى إنقاذ الشعب العربي من براثن الجهل والامية والتراجع، على اعتبار أن اللغة العربية ذات طابع أدبي مجازي تفتقر إلى الدقة ومليئة بالصور البلاغية والتشبيهات وتخضع لتأويلات عديدة ولا تعرض موضوعاتها بشكل مباشر، ولهذا يرى د. الجسمي أنه بطابعها هذا يصعب عليها أن تكون لغة للعلم والتقدم في عصرنا الحالي، وانتهى إلى تقرير أن ما يحدث الآن على الساحات العربية من ثورات ساعية نحو التغيير، ومنح الحريات سيكسر حالة الجمود الثقافي وسيصب في مجرى النهوض الحقيقي للثقافة العربية.

وان كنت أتفق مع د. عبد الله حول تحليله للأسباب التي أدت إلى انتكاسة الثقافة في الوطن العربي وتخلف الأمة العربية عن اللحاق بالتطور الحضاري، إلا أنني أخالفه الرأي بأن اللغة العربية إنما هي لغة أدب وبلاغة، وبحالها هذا فهي عاجزة عن اللحاق بالتطور العلمي.

إن الاتجاه نحو التشكيك في قدرة اللغة العربية على مواكبة التطور العلمي المعاصر وتهميش دور اللغة في الارتقاء، بالأمة تدحضه الشواهد التاريخية، والتي أثبتت أن اللغة العربية لغة أدب وعلوم وعقيدة، فقد اهتدى المسلمون بهدى القرآن واتبعوا تعليماته وكان أول هذه التعليمات يحض على التعلم (قراءة وكتابة) والتأمل والتفكير وكشف أسرار الكون ليزدادوا إيماناً.

وهكذا ارتبطت العقيدة الإسلامية بالعلم والعمل، فالقرآن الكرم بلغته العربية كان منهاجاً متكاملماً وسراجاً يسترشد به المسلمون في إنارة ظلمة الجهل والتخلف، وانطلقوا بوحى منه نحو سبر جميع المجالات الحياتية، واستخدمت اللغة العربية كوسيلة لتدوين أفكارهم وشروحاتهم حول نظريات العلوم الجديدة التي توصلوا إليها، وتطورت اللغة وفقاً لاحتياجات المراحل المختلفة.

كما استوعبت اللغة العربية إنتاجهم المترجم واحتوت علوم ومعارف الحضارات السابقة لما تتميز بها من غنى في المفردات وقدرة على الاشتاق وتوليد المعاني والتراكيب، ولا يقتصر إنتاج المسلمين على النقل والاستنساخ، بل أعملوا عقولهم، وأضافوا من إبداعاتهم رؤى جديدة متميزة وأسسوا صرحاً حضارياً عبر عن هوية عربية إسلامية لها خصائصها وسماتها المميزة.

وبلغت اللغة العربية مبلغاً لم تصله أي لغة أخرى، وارتقت بالأمة إلى مصاف الأمم المتحضرة ولا تكاد لغة حية في وقتنا الحاضر تخلو من مفردات عربية دخلتها إبان الفتوحات الإسلامية وازدهار حضارتها.

وتكمن أهمية اللغة كما ورد في كتاب "علم اللغة" للدكتور علي عبد الواحد وافي، في أنها "تعتمد اعتماداً جوهرياً على ظواهر عقلية كالإدراك والتفكير وإدراك المعاني الكليه والحكم والاستدلال وخيال الحركة والخيال السمعي والخيال النظري والحافظة والذاكرة وتداعي المعاني والحالات وتداعي الحالات الوجدانية والانتباه والإرادة".

ذلك أن وظيفة اللغة لا تقتصر على كونها وسيلة اتصال وتواصل، بل تبث دورها في تنمية القدرات الذهنية ودعم وتطوير المهارات الأساسية.

وعدم السماح لها بالقيام بدورها في التنمية، نشأ عنه هذا العجز والقصور في الإمكانيات الفكرية والإنتاجية والعلمية..

وأدى ذلك بدوره إلى فقر اللغة وتراجعها، بينما تشهد اللغات الأخرى- اللغة الإنجليزية على وجه الخصوص- تطوراً هائلاً استوعبت تحت روائها الثقافة والعلوم والتكنولوجيا، ذلك أن النظم التعليمية لديهم انتهجت من أساليب التعلم ما دعت إليه رسالة الإسلام وهي القراءة والكتابة والتفكير والتدوين.

أما القراءة فقد ثبتت أهميتها هي العملية التعليمية بشكل أساسي فهي تدعم التفكير والفهم، وتعمل على الربط بين الأفكار والجوانب الأخرى من حيث إنها وسيلة لكسب المعارف والمعلومات، واستيعاب الفكرة الأساسية للموضوع، كما تعمل على تنمية المفردات اللغوية وإثرائها، وتدعم عملية الكتابة بشكل عام، وأما الكتابة فإنه لا يقصد بها تعلم الإملاء وموقع الكلمة من الإعراب وحفظ المفردات ومعانيها، ولكن يقصد بالكتابة تمكين الطلاب من كتابة ملاحظاتهم واستنتاجاتهم، وكتابة الوصف الدقيق، والتعبير عن أفكارهم الخاصة، وهذا ما يمكن الطلاب من التفكير وإدراك المعاني، وتطوير مهارة التفكير النقدي لديهم، لتساعدهم في تحليل الدوافع والأسباب، وتحليل المشكلة والحلول، فهم الفكرة الأساسية للموضوع، وتقديم المعلومات حول البحث وتقديم الأدلة والأفكار التحليلية للنص، التعبير عن الأفكار وتدوينها، وكل هذه الأمور إنما هي أساس المناهج العلمية التجريبية ووسيلته للوصول إلى حقائق علمية واكتشافات جديدة.

وفي الاتجاهات التعليمية الحديثة زاد الاهتمام بالقراءة حتى أصبحت جزءاً أساسياً في المنهاج الدراسي اليومي، وتم تضمين الكتابة في جميع المواد التعليمية لأهميتها في صقل المهارات الأساسية للتعلم، كما تبين لهم أهمية الكتابة الإبداعية في تطوير اللغة وتم تطوير آلية تعلمها مثل كتابة المسودة، التصحيح، المراجعة، حذف كلمة واستبدالها بأخرى، تصحيح الجملة من حيث القواعد والهجاء واختيار الجمل المناسبة لنوع الكتابة وأسلوبها وكل هذه الأمور ساعدت في صقل مهارات المتعلمين اللغوية والفكرية ودفعت بهم نحو الإنتاج الفكري والعلمي الذي يكاد يشهده العالم الحديث.

أما المؤسسة التربوية في المجتمعات العربية فقد قصرت في فهم أهمية اللغة في العملية التعليمية، وأبقت على الوسائل التقليدية في التعلم من حيث الاقتصار على الحفظ والنقل، واللذان نتجت عنهما حالة من الجمود الفكري والتقهقر القسري للغة العربية وولادة حالة من الكره والعداء إزاء تعلمها، إضافة إلى خلو المناهج التعليمية من آليات التعلم الحديثة التي تدفع بالمتعلمين نحو التفكير والتأمل والتحليل والتجريب والتخمين والتقدير والنقد وغيرها من المهارات التي يتطلبها التعليم المنتج المفيد وتطوير اللغة التي تحوي كل ذلك. إن التغيير المنشود في المجتمعات العربية ينبغي أن يتجه نحو الاهتمام بالتعليم واتجاهاته الحديثة وضرورة دفع المتعلمين نحو الوعي بأهمية اللغة ودورها في تشكيل ثقافة وهوية الأمة^{٤٨١}.



٤٨١ - مجلة العربي، وزارة الإعلام، الكويت، العدد ٦٣٧، المحرم ١٤٣٣هـ / ديسمبر ٢٠١١م، اللغة العربية، لغة أدب وعلوم وعقيدة، فتحية محمود صديق، ص ١٧٠-١٧١، (بتصرف).

اللغة العربية في قفزاتها التاريخية

العربية، كما قال إسعاف النشاشيبي، (لغة أبدعها الإبداع وأتقنها الإتقان)، ولكن إبداعها لم يتم بين طرفة عين وانتباهتها، ولا تم إتقانها بين عشية وضحاها، فقد طال الزمن وامتد في عمله وتألق في صنعه، حتى جاءت على ما هي عليه.

– فجر اللغة العربية:

حيث بدأت تغذي الثقافة العالمية بنتائجها الأدبي والعلمي في الألف الرابع قبل الميلاد، فقد ظهرت فيها أساطير تعبر عن أشواق الإنسان وآماله وأمانيه، وظهرت بها أديان مختلفة، ودونت فيها الشرائع القديمة، منذ زمن حمورابي، وكتبت فيها معارف فلكية ورياضية على ما ظهر من الآجرات البابلية، ونظم فيها شعر روحي، وبحكم اتصال الشعوب السامية واحداً بالآخر، فقد انتقلت نواحي هذا التراث من جهة إلى جهة، ومن قوم إلى قوم.

– سمات اللغة العربية القديمة:

وهذه اللغات (السامية) الكثيرة عدداً، لها خواص تميزها عن غيرها من اللغات، فأصول الكلمات فيها، أو في أكثرها على الأقل، ثلاثية، وتكوين الأسماء والأفعال فيها متمائل، وضمائرها تتصل بالفعل، وفيها للفعل زمنان رئيسيان هما الماضي والمستقبل.

ويبدو أن اللغات أو اللهجات العربية القديمة التي وصلتنا أخبارها وآثارها، أو تلك التي لا تزال حية إلى الآن، كانت نتيجة لامتزاج بين لهجات أخرى، وهذا الامتزاج حدث في عصور متوغلة في القدم، واللغة أو اللهجة التي كان لأهلها نفوذ أكبر، ومدى في الحياة أوسع كانت تتغلب على غيرها.

ومثل هذا حدث بالنسبة للغة العربية بالذات، ففي العصور السابقة للإسلام كانت لهجات شمال شبه الجزيرة ذات نفوذ قوي وسلطان واسع، فكانت تبتلع اللهجات الجنوبية واحدة بعد الأخرى، بحيث ظل لها، في نهاية المطاف، الغلبة في منطقة واسعة، فأصبحت اللغة المقبولة.

– تفوق العربية.. على اللغات العروبية القديمة:

واللغة العربية من حيث إنها واحدة من اللغات العروبية القديمة لها حتى بين أخواتها ميزات تسبقهن بها، ففي نطقها عدوبة أحلى، وفي مخارج حروفها وضوح أصفى، ولعل ذلك يعود إلى أنها ظلت مدة طويلة واتصالها بالخارج محدود، فكان ذلك مدعاة لبقائها صافية، كما أن مثل هذا الوضع أتاح لها أن تنمو نمواً فتتغلب لهجة منها على أخرى، لا أن تنقلب هي على لغة أخرى وتأخذ منها عناصر جديدة، على أنه يجب ألا نبالغ في قضية عزلة العربية، وأهلها عن العالم الخارجي، ذلك بأن الرفش والمعمول أظهرها، في السنوات

الأخيرة- على الأقل- على أن سكان شبه الجزيرة العربية، وسكان السواحل بشكل خاص، كانت لهم علاقات قوية مع جيرانهم ومع شعوب أبعد حتى من جيرانهم.

- الإعراب والمتفردات في العربية:

واللغة العربية لها صفات تمتاز بها وقد حافظت عليها، فمنها أنها لغة معرّبة، وإعرابها مكنّ مستعملها أن يتلاعبوا بتركيب الجمل بحيث يمكنهم أن ينوعوا الأسلوب وترتيب الكلمات فكان هذا يعطيها- في كثير من الأحيان- رونقاً خاصاً، وإن كان يضيف إلى صعوبة استعمالها وتعلمها، ومن خصائص العربية كثرة المترادفات فيها، والباحثون في هذا الموضوع متفقون على أن ذلك يرجع إلى اندماج لهجات مختلفة ببعضها، فاحتفظت اللهجة أو اللغة الناتجة عن ذلك بأكثر من كلمة واحدة لمسمى واحد، أو لفكرة مجردة واحدة، ولاشك أن هذا كان مما ييسر للعربية أن تتجمل وتتألق وتبرج، وأن يتمكن أهلها من التحرر في التعبير.

- الاشتقاق:

وللعربية ميزة أخرى وهي: الاشتقاق، فالكلمة الواحدة، عن طريق توسعها داخلياً، تستطيع أن تزيد في ثروة المفردات، لكن الاشتقاق في اللغة أوسع من هذا مدى، وأبعد في تكوين المفردات الجديدة أثراً. واللغة العربية- كما انتهى بها التطور في العصور السابقة للإسلام- كانت قد كونت لها شخصية خاصة، ففي ألفاظها موسيقى، وفي أوزانها دقة، وفي النطق بها إيقاع، ولها في الأذن وقع، وكانت قد وصلت في تراكيبها إلى درجة كبيرة من البلاغة، كما أن قواعدها قد اكتسبت تنسيقاً منطقياً، هذا بقطع النظر عن الاستثناءات.

- تفاعل العربية بغيرها.. قبيل الإسلام:

في العصور السابقة للإسلام، والقريبة منه نسبياً، قامت في شبه الجزيرة العربية دول كان لها بالعالم الخارجي اتصال، وكانت لها بلاطات فيها الكثير من الأدب، كما كانت الجزيرة العربية تعرف الكثير من الأسواق التي كان يؤمها التجار لبيع سلعهم، كما كان يقصدها الشعراء في أحيان كثيرة للتفاخر. ولم يكن بد من أن تتأثر العربية كلغة بكل هذا، خاصة وأن بعض ما روى من الشعر إنما وجد مقامه، وأثر سماعه في هذه البلاطات وفي الأسواق.

- بواكير التراث العربي:

والتراث الأدبي الذي وصلنا من العصر الجاهلي، على قلته، كان تعبيراً عما كان يصطرع في عقول القوم، وما تختلج به نفوسهم وتضطرم به قلوبهم، ويبدو من النظر في التراث الأدبي هذا أن الشعر يغلب فيه على النثر، ولعلّ ذلك يرجع إلى أن الشعر إلى الحفظ أسرع، وعلى ألسنة الناس أروج، وإيقاعه تنتشي به النفس، وهذا التقليد الأدبي الذي نشير إليه يرجع في أصله إلى القرن السادس للميلاد على الغالب.

ولسنا نبغي فيس هذا الحديث أن نوغل في الأبحاث المتعلقة بنوع الشعر وأصله وفصله، ولكننا لا نرى بدأً من الإشارة إلى أن الشعر الجاهلي في أصله كان مقطوعات قصيرة تصف الطبيعة والحياة القاسية والقتال، ولكن في القرن السادس على أرجح الآراء، تطور هذا كله وظهرت القصيدة التي كانت تطوراً من حيث فنها أولاً وتعدد الموضوعات التي تعالجها.

– خارطة وجود الشعر الجاهلي:

وأكثر الشعر الذي تحدر إلينا من تلك الأزمنة يكاد يكون محصوراً، من حيث رقبته بالمنطقة الشمالية الشرقية الواقعة بين الحجاز والخليج العربي، وقد يكون معنى هذا أن اللغة العربية الشمالية التي كانت، كما ذكرنا ذات قوة وسلطان، بحيث إنما كانت تبتلع اللهجات الجنوبية المنتقلة إليها مع عرب الجنوب، أصبحت هي اللغة التي استعملت للتعبير عن حاجات النفس أكثر من أي لهجة أخرى.

والواقع أن البحث في هذه اللغة والعوامل المحيطة بنشأتها لا يزال في أوله، ولا بدّ من التعميق بدراسة البيئة درساً تاريخياً أثرياً قبل أن يمكن إصدار أي حكم قطعياً كان أو قريباً من ذلك.

– الشعر الجاهلي، صورته عن واقع أبنائه:

وفي سبيل توضيح هذه التجربة اللغوية نوّد أن نأخذ المعلقات نقطة انطلاق، وليس المهم أن نصرف وقتنا في الدوران حول موضوع تسمية هذه الآثار الشعرية الرفيعة، ولا أن نضيع الجهد في تقرير عددها أستا كانت أم سبعاً أم عشراً، فليس هذا بالأمر المهم، ولكن ما يجب أن ينصرف إليه علماء اللغة ومؤرخو الأدب هو الغوص في داخل هذه القصائد لاستخراج نوع التجربة الشعرية، أو إذا أردنا أن نستعمل كلمة شاعت وذاعت مؤخراً، قلنا المعاناة الشعرية.

صحيح أن أكثر هذه القصائد لها بناء معين يكاد يكون متسقاً فيها كلها بدءاً من مناجاة الأطلال، إلى وصف الناقة أو الفرس، إلى بقية الأمور، وهذا البناء المتشابه كان أحد الأسباب التي حملت بعض النقاد على اعتبار هذا الشعر، أو أكثره أو بعضه، نحولاً، ولكننا نوّد أن نذكر أنفسنا أن الكثيرين ممن قالوا بذلك في العصور الحديثة لم يعرفوا البوادي والقفار التي عاش فيها الشعراء، والتي نظم الشعر فوقها، فأنت تسير ساعات في السيارة أو أياماً على ظهر البعير، فلا يتغير المنظر أمامك هذه الاستمرارية في الأرض والجو هي التي جعلت هذا البناء يظهر بهذا الشكل، فالقصيدة كانت نتيجة هذه العوامل الطبيعية جمعاء.

– للقصيدة الجاهلية نهج وشخصية:

ولكن المهم أن نذكر أيضاً أن هذه القصيدة الطويلة، أو المعلقة إن كان بعض الناس يفضل هذه التسمية، كانت متنوعة الموضوعات، وكان الموضوع الرئيس في قصيدة امرئ القيس هو نفسه في قصيدة زهير بن أبي سلمى، ومن

اعتبر أن ما رمى إليه عنتر في معلقته هو ما رمى إليه لبيد؟ صحيح أن كلاً من هذه القصائد فيها فخر، ولكن حتى الفخر كان الدافع إليه مختلفاً، وإلا فهل كان فخر عمرو بن كلثوم مثل فخر عنتر أو لبيد؟ عنتر يفخر ليزيل عنه وصمة الرق واللون، وعمرو بن كلثوم يهدد عمرو بن هند، وامرؤ القيس يفخر بشيء وزهير بن أبي سلمى يتحدث عن الحلم، ولعله كان يفخر به أيضاً.

ولسنا ننكر أن النقاد والرواة القدامى كان لهم رأي في الشعر الجاهلي من حيث نخله، ولسنا ننكر أن قدراً منه قد يكون منحولاً، ولكن نود أن نقول هنا: إن بعض هؤلاء النقاد لعلهم استكثروا على العصر الجاهلي مثل هذه البلاغة والفحولة في قول الشعر، فحكموا بأنه منحول أو على الأقل قدر كبير منه..

فتجربة العصر الجاهلي الشعرية، ممثلة في القصائد الطويلة تظل مسألة حرية بإمعان النظر والبحث الدقيق، وهذا البحث يجب أن يكون داخلياً وثقافياً لا لغوياً فحسب.

– هبة السماء للعربية:

هذه الفقرة الأولى التاريخية للغة العربية كانت عملاً وئيداً لقوم اختبروا وجربوا وعبروا عن تجربتهم، أما القفزة الثانية للغة العربية فقد كانت هبة من السماء، ذلك أن هذه اللغة أوحى بها القرآن الكريم إلى النبي ﷺ، وأخذ الناس أنفسهم بترتيل القرآن وحفظه، فملاً عليهم نفوسهم لما فيه من معان رفيعة ودعوة صادقة وبلاغة سامية وأسلوب فيه الإعجاز.. كل الإعجاز، فملك على الناس لبهم ودخل شغاف قلوبهم.

– القرآن الكريم.. يتوج الفصاحة العربية:

اللغة التي انزل بها القرآن –على ما يرى مصطفى صادق الرافعي– هذه هي اللغة التي كان العرب قد اهتموا إليها قبل البعثة من حيث قواعدها واستعمالها، ولكن القرآن جاء فيها على أكمل ما يمكن أن تصل إليه، والذين كتبوا وخطبوا في صدر الإسلام استعملوا هذه اللغة الجاهلية نفسها، وذلك بأنها كانت قد اكتملت، أما الذي حفظ لها كيانها بعد الإسلام وأدى إلى انتشارها وتوسع رقعة استعمالها فهو القرآن الكريم نفسه، لما أقبل الناس عليه قراءة وتفسيراً وجمع غريب وبلاغة ونحواً وما إلى ذلك.

وإذا كانت اللغة أصلاً أداة للتعبير، ولم تكن العربية تختلف في ذلك عن غيرها من اللغات، فإن اختيار الله اللغة العربية لغة الوحي جعل منها أداة ممتازة، ذلك بأن المعاني التي حفل بها القرآن من حيث الإيمان والعقيدة ومكارم الأخلاق، والصور التي تجدها فيه من حيث الجنة والنار وغيرها، والقواعد الشرعية والخلقية، وقصص الأنبياء والرسل، والأمثال التي ضربها توضيحاً للأهداف والغايات، والأسس التي فرضها على المسلمين في علاقاتهم بغيرهم، والوصايا التي حث الناس على إتباعها في علاقاتهم بعضهم ببعض، كل هذه وغيرها كثير مما لا يمكن حصره، كان شيئاً جديداً على اللغة العربية، فالقرآن إذن لم يكن سبباً في تثبيت اللغة العربية أسلوباً وبلاغة

وتركيباً، بل إنه فعل بالنسبة إلى اللغة أكثر من ذلك بكثير، لقد حملها كل هذه المعاني التي ذكرنا بعضها للتمثيل، ومعنى هذا أن اللغة تفتقت عن آراء جديدة وصور مستحدثة، وأنها وسعت إطاراً ونطاقاً بحيث أصبح في استطاعتها أن تسع كتاب الله لفظاً وغاية، وهذه نقلة باللغة العربية ليس من اليسير التحدث عنها هنا بأكثر من هذه الإشارة.

– الإسلام.. يفجر ينابيع العربية:

ونحن إذا تذكرنا العلوم التي نشأت في اللغة العربية بسبب وجود القرآن الكريم أدركنا معنى هذا الذي نقصده، ومع أنه من الممكن أن نجد أسباباً أخرى لنشوء أنواع من علم اللغة، فإننا نعتقد أن القرآن كان السبب الأول في نشوء هذه العلوم وتطورها.

ولنشر إلى القراءات والتفسير فقط على سبيل المثال، فقد تدارس العلماء القراءات وافردوا لها مؤلفات كثيرة للتأكد من المعنى المقصود وسبيل إتباع الطريق السوي في ذلك وارتباط هذا الأمر بالحروف، ولسنا نخطئ فيما نعتقد إن نحن ربطنا بين التجويد وأحكامه والقراءات، فإن الاحتفاظ بترتيل القرآن كان باعثاً على درس التجويد ووضع قواعده.

أما التفسير فقد كان أوسع من ذلك مدى، لأنه كان يقتضي توضيح ما في القرآن لفظاً ومعنى، والمفسرون الممتازون لم يكونوا علماء في اللغة فحسب، إذ أن مثل هذا لم يكن يكفي، فإن لم يعرف المفسر مختلف وجوه المبنى والمعنى فلا يستطيع أن ينقل ما يجب نقله من أي الذكر الحكيم إلى قُرَّائه أو طلابه، وإتقان التفسير كان يقتضي معرفة بالتاريخ وأخبار الأمم، وبالعلم وما فيه، والسמות العلى وما تحويه، هذا فضلاً عما كان في الآيات من إشارات إلى معاني العقيدة أو تفصيل لها.

وما كان من الممكن أن تستنبط القواعد الشرعية من القرآن الكريم قبل أن تتضح معانيه المفصلة للمشغلين بهذه الموضوعات، وإذا تذكرنا أن السنة النبوية كانت متممة للوحي من حيث إنها تفسير له، فقد ارتبط الحديث وعلومه بالتفسير أيضاً.. فإذا أخذنا الطبري مثلاً على ذلك وقرأنا تفسيره لأي من آيات القرآن الكريم ووجدناه يوضحها لغوياً ويستشهد بالحديث وقد يورد الشعر لتثبيت معنى.

والذي نود أن نخلص إليه هو أن نزول الوحي باللغة العربية كان أعظم تجربة لتلك اللغة وأكبر دافع لها لأن تتسع آفاقاً وتتفجر معاني وتتفتق آثاراً، فضلاً عن أن انتشار الإسلام وحاجة المسلمين إلى قراءة القرآن مدّ في الرقعة التي انتشرت فيها العربية غرباً وشرقاً.

– تمدد اللغة العربية وانتشارها.. مع الفتح الإسلامي:

وجاء الفتح الإسلامي، واستقر العرب في دولتهم الجديدة، وانتشر الإسلام، فكان في ذلك كله تجربة جديدة للغة العربية، أعطتها قفزتها التاريخية الثالثة.. حيث كان الفتح العربي الإسلامي سريعاً، وكانت المشكلة الأولى التي جابهت أولى الأمر تنظيم هذا الملك الذي انتشر، بعد قرن واحد من انتقال الرسول ﷺ إلى المملأ الأعلى، من أواسط آسيا وحوض السند إلى إسبانية، ولذلك لا نجد عند العرب تفرغاً للتعرف على ما كان عند الجماعات التي وقعت تحت سلطان العرب من ثقافة وحضارة، إلا القليل، لكن الأمر تبدل بعد قيام الدولة العباسية وإنشاء بغداد، فقد اهتم الخلفاء من أيام المنصور العباسي، بالتعرف إلى ما كان عند غير العرب من معرفة، وزاد هذا الأمر في أيام الرشيد والمأمون والمتوكل، وهذه المحاولة للتعرف انتهت بنقل الكثير مما عرفته الشعوب الداخلة في نطاق الدولة العربية الإسلامية أو المجاورة لها وترجمته إلى العربية، وقد كانت الترجمة عمل أفراد قد شجعهم أولو الأمر، وكانت الترجمة تنج في عملها اتجاهها نفعياً، أي في البحث عن العلوم النافعة، ومن هنا نرى أن التنجيم والفلك والطب كانت في مقدمة العلوم التي ترجمت في أيام المنصور، لكن الترجمة طراً عليها تبدلان مهمان: أولهما أن العمل نظم ووضع تحت رعاية الخلفاء وحمائتهم في بيت الحكمة، والثاني أن نطاق الترجمة اتسع، واستمر على الاتساع، فشمّل الفلسفة والمنطق والرياضيات والهندسة والطبيعة..

– حضارات العالم.. تنتقل إلى العرب:

وكان المترجمون بادئ الأمر ينقلون إلى العربية عن السريانية أو بواسطة اليونانية، ثم تطور الأمر إلى النقل عن اليونانية رأساً إلى العربية، وحرى بالذکر أن بعض النقل عن اللاتينية قد تمّ في بيت الحكمة في تونس في أيام الأغالبة على ما أخرجته حسن حسني عبد الوهاب.

على أن العرب نقلوا أيضاً عن الهنود وعن الفرس، أخذوا عن الأولين فلکاً وطباً وحساباً، وأخذوا عن الآخرين أدباً وشيئاً من الحكمة العملية، ولسنا نقصد في هذا الحديث أن نؤرخ للترجمة والمترجمين، ولذلك أعرضنا عن ذکر الأسماء، ولكن الذي نريد أن نتحدث عنه هو ما أصاب اللغة العربية نتيجة لهذه الحركة التي تمت، لا في بغداد فحسب، ولكن في كل مركز ثقافي في الدولة العربية الإسلامية شرقاً وغرباً.

– العربية الجديدة تلي حاجات الحضارة:

كانت العربية في الجاهلية وحتى قبل ظهور الإسلام بقليل تعرف الأنواء والرياح، وتسمي النجوم بأسمائها، ولكن بعد أقل من قرنين كانت العربية تتسع لتعابير فلكية نقلت على يد إبراهيم الفزاري عن مؤلف هندي هو الذي عرف بالعربية باسم كتاب "السند هند" وأصبحت تدون بها الأزياج ويتحدث بها عن الأقاليم السبعة وحركات النجوم، وليس من الضروري أن تكون ألفاظ جديدة قد اخترعت أو نقلت لكل مصطلح، ولكن المهم أن هذه

المعرفة الجديدة ظهرت في ثوب عربي.

وقد كان للعرب حكم منتزعة من الحياة يذكرونها في المناسبات المختلفة، ولكن لم يكن عندهم فلسفة، ولكن في أيام المنصور والرشيد والمأمون عرفوا الفلسفة في لغتهم منقولة - كما ذكرنا - عن السريانية واليونانية، وكانت اللغة العربية لا تعرف المنطق علماً قبل ظهور الإسلام، ولكن المنطق أصبح علماً يكتب عنه بالعربية ومثل ذلك يقال عن فروع المعرفة الأخرى.

- فما الذي نشأ عن ذلك؟

أولاً: إن اللغة العربية دخلت عليها أنواع من المعرفة الجديدة، وهذه الأنواع من المعرفة كان لا بد لها من أن يعبر عنها بالفاظ ومصطلحات تبين معانيها وتوضح مراميها.

ثانياً: إن هذه الأشياء التي نقلت إلى العربية أحدثت في المجتمع العربي الإسلامي نزعات واتجاهات جديدة، وكان لا بد لهذه النزعات والاتجاهات من أن يعبر عنها.

ثالثاً: أدت هذه العلوم المنقولة إلى قيام تحديات في المجتمع الجديد، وكان لا بد لهذه التحديات من أن يُستجاب لها إما قبولاً أو رفضاً، إما ملاءمة ما كان أو دحضاً لما جاء.

وقد استجابت العربية إلى ذلك كله، فالوعاء اللغوي الذي كان من قبل لا يتسع لشيء من هذا اتسع الآن بحيث أصبح بإمكانه أن يحتوي كل أصناف المعرفة بالعلوم.

والأداة التي كانت تعبر عن قدر محدود من الآراء والأفكار أصبحت الآن يمكنها أن تعبر عن الجديد كله، واللغة التي كانت أول العهد بالإسلام تكتفي بشرح العقيدة والواجبات أخذت الآن نفسها بالمحاجة والمتقارعة دفاعاً عن العقيدة وتوضيحاً لها للآخرين، وفرق كبير بين شرح العقيدة لمن قبلها، وتوضيحها لمن يود أن يجادل فيها.

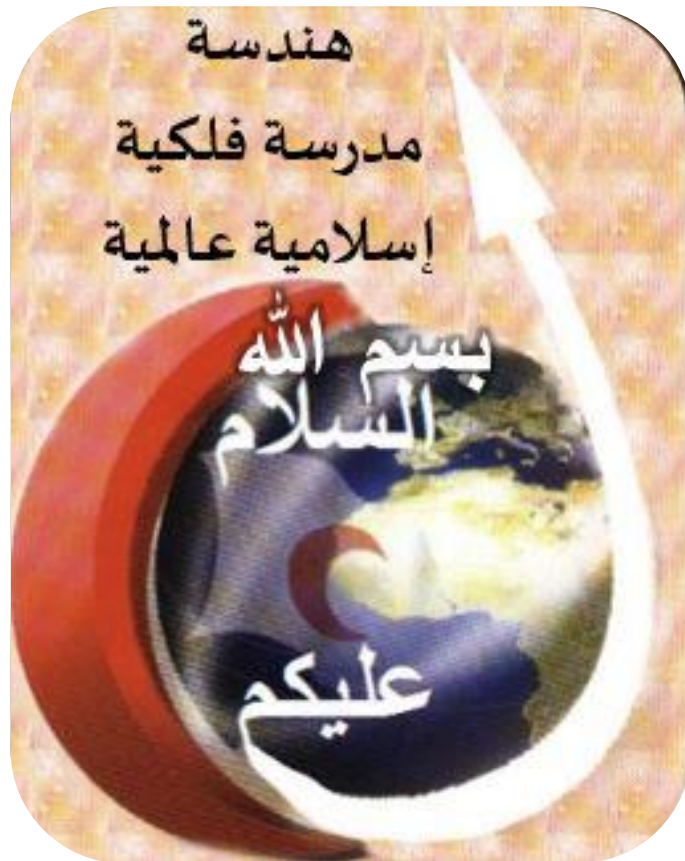
- قوة العربية.. بقوة أهلها:

تم هذا للعربية لأنها وأهلها لم يكونوا يخشون هذا الجديد الذي جاءهم، فعندما لم تجد اللغة العربية في مفرداتها ما يؤدي المعنى الجديد المنقول إليها أخذته من اللغة الأصلية وجعلت له صورة عربية، ولكنها لم ترفضه لأن مفرداتها ليس فيها ما يقابله، ولأن الحياة الفكرية الجديدة كانت تقتضي اتخاذ أسلوب جديد في الكتابة، سارت العربية مع هذا وطورت أساليبها، فالأسلوب الذي كان يصلح للتعبير عن ظاهرة أدبية بما تتطلبه هذه الظاهرة من استعمال الألفاظ البراقة أو الطريقة الأخاذة، عُدل عنه في التحدث عن أمور منطقية وقضايا فلسفية وشؤون رياضية وقواعد فلكية ومجالات كلامية.

إن الفكر الذي أصبح الآن عميقاً في معالجته للأمور، واسعاً في نظره للمشكلات، متحركاً في متابعته للقضايا،

ديناميكياً في تنقله بين مسألة وأخرى، ومنطقياً في جدله ومحاجته، أصبح بحاجة إلى أسلوب فيه عمق واتساع وحركة وديناميكية ومنطق، فعندما يكتب الكندي في شؤون الفلسفة، ويتحدث الرازي في قضايا الطب، وعندما يدون الطبري التاريخ العام، عندما يفعل كل من أولئك ما فعل، لا يسعه إلا أن يلجأ إلى ما يحقق له ما يريد ويوصله إلى ما يقصد.

والمهم الذي يجب أن نعرفه ونذكره ونعتبره به هو: أن العربية استطاعت أن تقوم بهذا كله، وأن تيسر لكل كاتب ومؤلف وباحث ما احتاج إليه من مفردات ومصطلحات وأسلوب، وهذا يقوم دليلاً على أن اللغة، أي لغة، إنما هي نتاج قرائح أبنائها وحاجاتهم، فإذا كان القوم أصحاب فكر وعلم وحركة صلحت لغتهم للفكر والعلم والحركة، فإذا ما انطوا على أنفسهم انطوت لغتهم معهم.^{٤٨٢}



٤٨٢- من تراثنا الحديث في اللغة والفكر والحضارة، عبد الله العلابي، أحمد عبد الغفور عطار، أمين مدني، نقولا زيادة، كتيب المجلة العربية، الرياض، العدد ٣٧٨، رجب ١٤٢٩ هـ/ يوليو ٢٠٠٨ م، اللغة العربية في قفزاتها التاريخية، د. نقولا زيادة، ص ٤٩-٥٩ (بتصرف).

اللغة.. الكتاب

ألق التاريخ.. وأزمة الحاضر

ثمة اتفاقٌ لا لبس فيه بين مختلف الديانات والشرائع والمعتقدات والإيديولوجيات والنزعات الفكرية والفلسفية وحتى المثلولوجية .. على أهمية الثقافة، المعرفة، العقل، الفكر، المنطق، الفضيلة، الأخلاق.. وغيرها من طاقات يخترنها الإنسان الفعّال في كنهه ليفيض بها على مفردات الزمان والمكان، ليجسد الدور الذي خصّه الله به كسيد للمخلوقات في بناء عالم أكثر أمناً وجمالاً وحياءً، عالم تسوده المحبة والرّخاء، عالم يرفل بالسعادة لكل وبالكل.. السعادة التي تخالطها اللذة بحسب رأي أرسطو جرّاء العلم والسعي في طلبه فللعلم لذة وسعادة، وفي السعي أيضاً لذة كبيرة، فيعتقد بان (اللذة يجب أن تخالط السعادة، ومن بين الأفعال المطابقة للفضيلة أيها يلذ لنا ويرضينا أكثر هو، وباعتراف جميع الناس، تعاطي الحكمة والعلم، واللذات التي تجلبها الفلسفة يظهر إذن أنها عجيبة بطهارتها وبكونها مؤكدة، وهذا السبب في أن العلم سعادة أكثر ألف مرة من طلب العلم) ^{٤٨٣}.

من هنا يمكن لنا أن نردد ونعيد مع مع فيلسوفنا ونسأل كيف ومتى يمكننا تحقيق هذه السعادة الممزوجة باللذة من العقل والحكمة والعلم، وكم مضى من الزمن من اشتغال العقل بكل مغامراته بدءاً من وقوفه في سالف العصور السحيقة - والممتدة إلى عشرات الآلاف من السنين بحسب آراء الاختصاصيين - على قدميه متأملاً الشمس والقمر والرياح والبور والرعد ليعيش بعدها حالات الرعب والخوف والعجز أمامها، عاش حالات الموت الحقيقي ليقف من جديد بأسئلته الكبرى أمام نفسه، أمام دموعه وحزنه، ولينأى بأطرافه إلى غاباته وإلى كهوفه ليتركها تعبّر عن تلك الأعاصير التي عصفت بعقله وبقلبه، تارة بالعدو وتارة بالرقص وصولاً إلى استخدامه الشابكة ودخول عوالم النت، مروراً بجالته الرعوية والتدجين (الحيوان والنبات) وسكنه الكهوف والرسم على جدرانها ومن ثم استقلاله وخروجه إلى السكن الطيني الخاص وبدء رحلة الاختراعات والاكتشافات متجاوزين تعدادها والتي تعكس حيوية العقل البدائي إلى مرحلة بناء الحضارات الكنعانية والسومرية والبابلية والآرامية.. من دون ترتيبها زمكانياً.

في تلك الآونة كان الإنسان العربي قد تبلورت لغته، وتنامت وتطورت ككائن حي طبيعي وسط أجواء صحية تعكس نمو ملكاته، تلك الحضارات المنتشرة بين بلاد الشام وبلاد الرافدين ووادي النيل.. نعم بدأت

٤٨٣- أرسطو طاليس.. علم الأخلاق، ج٢، ص ٣٥٤، المترجم من اليونانية إلى الفرنسية وبمقدمة وتعليق على يد بارتلمي سانتيلير أستاذ الفلسفة اليونانية في الكولج دي فرنس ثم وزير خارجية فرنسا ونقله إلى العربية أحمد لطفي السيد مدير دار الكتب المصرية، إصدار مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م. نقلاً عن: مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٨٣، السنة ٥١، جمادى الأولى ١٤٣٣هـ/ نيسان ٢٠١٢م، اللغة.. الكتاب ألق التاريخ.. وأزمة الحاضر، عباس حيروقة، ص ١٨٠.

وبدأ الكلام نتيجة تنامي العقل ومغامراته كما قلنا ومنه ستمثل وتمثلت فعلاً بالكتابة وفق تعبير أرسطو في أن الكلام تمثيل للخبرات العقلية، والكتابة تمثيل للكلام..

فالكتابة كاختراع قام به الكنعانيون (ولعلّ أعظم ما قام به الكنعانيون هو اختراع الأبجدية الذي اعتبر من أهم منجزات الحضارة البشرية وتفوقت الكتابة بالحروف الأبجدية على الكتابة بالمقاطع المسمارية التي كانت شائعة آنذاك ومن حينها اجتاحت الأبجدية الكنعانية الألفبائية كل الرقم والدواوين والتسجيلات التالية، مع بقاء المفردات والأسس والمصادر في متن اللغة نفسها بحيث نستنتج أن هناك لغة واحدة ولكنها أخذت لهجات تطويرية عديدة)^{٤٨٤}.

ومع ظهور الكتابة وعلومها بدأت تترجم كل حالات التأمل، وما يقوده أو ما يمكن أن يضيفه على حياة الإنسان من سكينه وطمأنينة أكثر منها من قلق وخوف باعتبار التأمل أعلى صورة للنشاط العقلي وباعتبار الإنسان كائن متأمل - العربي بالتحديد- لكل مفردات الله من قمر وشمس وماء ونار وريح وبراري.. متأمل للوجود وسابح في قدرات واجب الوجود.

بدأت تترجم هذه الحالات التي تتنابه إلى إبداع وخلق على رقم طينية، فامتألت مكتبات كل مملكة آنذاك ومملكة مارى (تل الحريري) أتمودجاً إذ تشير المكتشفات فيها بالعثور على أكثر من عشرين ألف رقم طيني مكتوبة بلغة مسمارية تؤرخ للحضارة الأكادية وسابقتها.

وإلى الغرب على الساحل السوري كانت كما قلنا تتشكل أول أبجدية عرفت البشرية وهي معاصرة لمارى.. نعم إنها أوغاريت، وكما تشير الدراسات إلى العلاقة القائمة آنذاك بين الأمير الأوغاريتي و(زمرى ليم) ملك مارى والزيارة التي قام بها للإطلاع على قصره الذي كان أعجوبة في البناء ورافقه في رحلته حمورابي بفريقه لحراسة الأمير في طريقه الطويل^{٤٨٥}.

وفي شبه الجزيرة العربية سطرت أعظم وأرقى النصوص على (العسب) جريد النخيل (اللخاف) حجارة بيضاء رقاق وعلى الرقاع كذلك، هذه الكتابات وثقت وأرخت لتاريخ الحضارات بكل رموزها وعواملها وركائزها، من فن وفلك وأدب وشعر وطب.. وكل أنواع العلوم والآداب والفنون عموماً.

كل هذا التطور وهذه المغامرات العقلية للإنسان قاد إلى ظهور أرقى وسيلة ثقافية معرفية بالتاريخ.. قاد إلى ظهور الكتاب والمكتبات، ولكن كيف ومتى وأين ظهر أول نص عربي على هيئة وشاكلة كتاب؟؟

٤٨٤- الدكتور جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، ج ٢، ص ١٤٥، دار الفرقد للطباعة والنشر، سورية، دمشق، ٢٠١٠م. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨١.

٤٨٥- إيڤا شترومينغر، تعريب: قاسم طوير، مارى أكبر حضارة في سورية، منشورات المديرية العامة للآثار والمتاحف، ١٩٨٣م، ص ١٠. نقلاً عن: موشور الفصحى، نصر الدين البصرة، الهيئة العامة للكتاب الشهري السابع والعشرون، ص ٣٥. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.ن، ص ١٨١.

فهذا يحتاج لوقفه خاصة أخرى وقد يطول الحديث به فلنتركه لغير موضع ونقول لقد اختلف الكتاب والباحثون فيما بينهم وكان لكل منهم اجتهاداته الخاصة والمراجع المختلفة التي أتى بها لتدعيم رؤيته.. وبين أيدينا الآن كتاب للدكتور والباحث المعروف عمر الدقاق، كتاب اجتهده صاحبه كثيراً في بحثه فكان الجهد واضحاً وجلياً وكانت الآراء المقدمة والمعتمدة على مراجع لا تتجاوز المدّة والعصور الزمنية التي فتش بها وعنهما أي الأموي منها والعباسي وبخجل صدر الإسلام، الآراء التي قدمها في مدخل أو مقدمة كتابه المعنون بمصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم والصادر عن مكتبة الشرق شارع سوريا، بيروت.

مغفل من ذكر تاريخ الطباعة والذي رأينا حال تصفحه انه لا يخرج كثيراً من عباءة كتاب جاء تحت عنوان: **مصادر من التراث والبحث في المكتبة العربية** للباحث الأستاذ الجليل أيضاً محمود فاخوري والصادر عن مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، عام ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م، أجل لم يخرج من تلك العبءة لا من حيث التبويب ولا حتى الفصول ولا الأسماء المتناولة للبحث والدراسة.. قلنا هذا قبل أن نعلم أن تاريخ إصدار كتاب الدكتور الدقاق سابقاً لكتاب الباحث الفاخوري، إلا أننا وبعد حديثنا مع الباحث الأستاذ محمود فاخوري بهذا الموضوع أكد أن كتاب الدكتور عمر الدقاق كان تاريخ صدوره سابقاً لكتابه إذ كان أيضاً مقرراً جامعياً آنذاك وهذا ما يبرر برأي الباحث كل هذا التشابه كون المقرر يتطلب البحث بهذه الأبواب والفصول وحسب فكان لكل اجتهاده في البحث والإضافة وأكد أيضاً أن كتاب (حركة التأليف عند العرب) لأحمد الطرابلسي لا يقل أهمية لا بل وسبقاً لكتابتنا بالإصدار.. وأيضاً ليس هذا مرادنا.

لنتجاوز كل هذا ونقول مستنديين إلى ما جاء في مقدمة البحث والكتاب عن تاريخ التدوين والتأليف والذي قد نختلف معه في جوانب ونتفق في أخرى فيقول باحثنا الدقاق في ظهور أول نص عربي على شاكلة كتاب (كان القرآن الكريم أول نص عربي كامل اتخذ شكل كتاب)^{٤٨٦}.

لينتقل بعدها في أسلوب سردي ممتع ويتحدث عن بداية التدوين ومراحله الأولى إلى أن ينتهي بسطوع شمسه في العصر العباسي الأول، ويزدهر في تالي العصور، وتزدهر حركة التأليف مع ظهور صناعة الورق وحرفة الوراقين والناسخين.. فكان الكتاب وكانت المكتبة.. الكتاب الذي لولاه ما كان للعلم والمعرفة والثقافة لتصل إلى ما وصلت إليه، فهو الحامل الموضوعي للمعرفة والمختزن في حروفه عبق البشرية ونضارة عقولها وسعيها المفروض أو المفترض نحو عوالم النور والسلام والجمال والحب، الكتاب الذي يمسكنا من أناملنا حيناً ومن طرف ثوبنا حيناً آخر ويمضي بنا تجاه أزمنة وأمصار وبلدان.. يدهشنا ويكينا ويضحكنا.. ونحن نتبعه بخطى سريعة ونتعثر كأطفال يلعثهم الكلام من هول الدهول والدهشة..

٤٨٦- الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث العربي في اللغة والمعاجم والأدب والتراجم، صادر عن مكتبة الشرق، شارع سورية، بيروت، مغفل من ذكر تاريخ الطباعة، ص ٥٩. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨٢.

يمضي بنا إلى بيته الأول ليحدثنا عن نشأته، عن طفولته، عن قهره وجوعه، عن الأنامل الحنونة والأحضان الدافئة، يمضي بنا إلى بابل وأوغاريت وماري وإلى وإلى.. من مكتبات معمعة في العظمة والنور. الكتاب، ذاك القنديل المعبأ بزيت العقل العربي الخلاق والفعال والذي مافتئ يضيء لنا كل الدروب المظلمة والموحشة، فلا أنوار تشع إلا منه ولا خلاص إلا به.

ما كان لأمة أو شعب أو حضارة أن تتشكل وتؤثر وتتأثر لولا ما لديها من مخزون ثري ثقافي معرفي مدها ويمدنا بمقومات الحياة والوجود الحضاري والتراث هنا لا بمعناه كـ(مخزون نفسي عند الجماهير)^{٤٨٧} وحسب كما بين الدكتور حسن حنفي لا بل هو (نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية)^{٤٨٨}.

الكتاب أهم وسيلة للمعرفة والثقافة والتواصل الحضاري، كيف لا هو الذي ألهم الشعراء والحكماء والقديسين والكهنة فخطوا في حبه وتعلقهم به أعذب وأنقى النصوص من شعر ومقال، فقد حض الله جلّ جلاله كل رسله والأنبياء والأولياء، وكل الخلق، كل ذي عقل على العلم.. إذ إن أول كلمة أو جملة بالوحي الإلهي النازل على النبي محمد صلوات الله عليه:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿١﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٢﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٣﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٤﴾﴾ العلق، ١-٥.

إضافة إلى ذلك تكويم الله عز وجل للعلم والعلماء وللكتاب بأن خصهم بأعظم التوصيف والتعبير كما انه أقسم بـ ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ القلم، ١.

كما نقل لنا ما نقل أيضاً عن اهتمام الرسل والأنبياء بالعلم وأهله ودعواتهم إلى طلبه والنهل من بحاره، مثلما نقل لنا عمّا قام به النبي محمد ﷺ عقب غزوة بدر بأن اشترط على أسرى المشركين الذين يلمون بعلوم القراءة والكتابة تعليم كل واحد منهم عشرة من صبيان المسلمين.

الكتاب الذي بُدئ بتدوينه كما ذهب العديد من الاختصاصيين بعد انقضاء القرن الأوّل للهجرة (لم يقيض لحركة التدوين الحافلة أن تبدأ إلا بعد انقضاء القرن الأول للهجرة وانتهاء عهد الفتوح ثم قيام الدولة العباسية واستقرارها. وإذا استثنينا القرآن لم نقف على أثر مدون ذي بال في مثل هذه الحقبة من حياة العرب والمسلمين، ويمكن القول إن باكورة حركة التدوين المباركة في العصر العباسي قد تجلت في تدوين الحديث النبوي، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهي عن تدوين شيء من كلامه خيفة اختلاط شيء منه بالقرآن بعد وفاته ووقوع الآيات الكريمة في أيدي غير عالمة).^{٤٨٩}

٤٨٧- الدكتور حسن حنفي التراث والتجديد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط ١، ١٩٨١م، ص ١٣. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨٣.

٤٨٨- م.ن، ص ١١. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.ن، ص ١٨٣.

٤٨٩- الدكتور عمر الدقاق، مصادر التراث، ص ١٦. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨٣.

فالتدوين قد بدأ وبدأت تنشط حركة التأليف والترجمة وازدهرت صناعة الورق بسبب الإقبال الشديد على المؤلفات والترجمات فتزايد عدد الوراقين والناسخين وامتألت الخزائن بالمصنفات والمكتبات ويوضح الدكتور الدقاق في المصدر ذاته أن أولي الأمر شرعوا بتكوين دور الكتب ورصد الأموال لها من خزائن الدولة كمكتبة بيت الحكمة التي أنشأها الخليفة المأمون..

الكتاب والمكتبة أعطيا الفكر نهضته تلك في تالي العصور، ويحكى فيما يحكى أن صاحب بن عبّاد كان إذا ترحل اصطحب معه أربعين بغيراً محمّلة كتباً على حين أن ما عنده من الكتب كان يحتاج على أن يحمّل على أربعمئة بغير أو أكثر، وهذه الكتب كانت من الكثرة بحيث تعادل ما كان موجوداً في مكتبات أوروبية مجتمعة، بلغت فهارسها عشرة مجلدات) ^{٤٩٠}.

ويرى الدقاق أن التدوين والتأليف والترجمة قد بدأت في العصر العباسي الأول وازدهرت في تالي العصور ووصل إلى هذه النتيجة بالاتكاء على مراجع توافرت بين يديه وهي هامة بلاشك، المراجع كلها تقول إن العرب قبل الإسلام لم يكن لديهم أي ثقافة إلا الشفافية والمتناقلة والمحفوظة في الصدور، لا ثقافة مدونة إذاً ولا علوم موثقة بمصطلحات ومفاهيم، فقد غلب عليهم البداوة لأن كل علومهم وثقافتهم كانت تقوم على الممارسة والخبرة أكثر مما تقوم على التحليل والاستقصاء والبحث المنظم، ويعددون من المعارف السائدة قبل الإسلام (انساب، طب، أنواء، قيافة، فراسة) والسؤال هو التالي.. هل يا ترى كل هذه العلوم وغيرها مما كان سائداً لا يحتاج إلى توثيق وتسجيل وتدوين..؟! وهل كانت فعلاً تمارس وتتناقل شفاهياً وحسب؟ وهل حديثهم عن التدوين كانوا يعنون به شبه الجزيرة العربية وحسب أم قولهم -عند العرب- يعنون تلك الامتدادات الجغرافية والتاريخية الحضارية لهم؟

وهم لاشك كانوا يعنون العرب بامتداداتهم ككل.. فماذا يمكنهم أن يقولوا عن تك النصوص السومرية والبابلية والمصرية القديمة..

إن الحديث بهذه الطريقة عن عصور ما قبل الإسلام فيها ما فيها من إجحاف ومحاولة تشويه وظلم وتقزيم لتلك العلوم والعقول، وإن ما صُدر وما يصدر عن تلك العصور من أنها عصور جاهلية فيه الكثير من الظلم والحيف لأبناء المكان والزمان.. وإذا هم فعلاً كانوا جاهلين وأميين كما صوّر فما يمكننا أن نقول بالسوية الإبداعية لأشعارهم عامة ومعلقاتهم خاصة وبالحيوية الذهنية التي تمتع بها حكماءهم وكهنتهم وملوكهم..؟ وما يقولون بتلك الآثار المنتشرة هنا وهناك في بلاد الرافدين وبلاد الشام ووادي النيل ..

وعلى ما تدلل برأيهم؟ وهذا الذي وصلنا، والذي لم يصلنا واندثر وحرق ورمي في البحار والأنهار بكثير. ماذا نقول بالمستوى اللغوي ذي البعد الدلالي العالي لكتاب الله الذي نزل على نبينا محمد ﷺ ليتلى على أبناء المكان.. والسؤال هنا التالي:

٤٩٠- م.س، ص ٢٠. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨٤.

هل من المعقول أنّ كتاباً عظيماً بحجم القرآن الكريم يخص ويختص بأمة متخلفة جاهلة بعلوم اللغة على الأقل؟

هذا وغيره من أسئلة كبرى تطرح لتخلص إلى القول إن ما جاءت به هذه العصور سواء في صدر الإسلام أو في القرنين الأول والثاني الهجريين أو ما تلاهم من عصور عباسية، لا شك أن ما قدمته للبشرية ليس بالهين وهو استثنائي من حيث الثراء المعرفي ككل.. ولكن ليس من المنطق والعقل والحكمة إقناعنا بأن قبل هذه العصور كانت العرب والمنطقة ككل في ظلام دامس وجهل مخيف.

إن اللغات العروبية القديمة متبلورة ومتشكلة منذ آلاف السنين قبل الميلاد (الأوغاريتية، الأكادية، والآرامية والإبلاوية) من إيلا في تل مردوخ، ألم يعثر في إيلا على أقدم معجم للألفاظ باللغتين السومرية والإبلاوية في عهد إيلا قبل الميلاد بنحو ثلاثين قرناً من الزمان وهذا ما سجله الدكتور الدقاق أيضاً في مؤلفه المعنون (إيلا منعطف التاريخ) منشورات وزارة الثقافة ١٩٧٩م، دمشق، ص ٤٤، ألا يسمى ما كتب ونقش على ملايين الرقم الطينية المسطرة في واجهات مكاتب العالم بالتدوين (بينما كان الكتبة الأكاديون في ما بين النهرين يستعملون الرموز المقطعية لتدوين أفكارهم، وبينما كان قدماء المصريين يمارسون التدوين باستعمال رموزهم التصويرية الهيروغليفية، قام أحد الكتبة في أوغاريت، عاصمة الساحل السوري الشمالي بتبني إشارات مسمارية للتعبير عن كل صوت من الأصوات التي تشكل الكلمات المتداولة في لغتهم الأوغاريتية: تسعة وعشرون إشارة صوتية، كانت كافية لتحقيق هذه الغاية، وهكذا تمكن هذا العقل من ابتداع الأبجدية، وهي مجموعة الإشارات التي تبدأ بالأحرف: ألف باء جيم دال ونظام الكتابة هذا مكن من تحرير الفكر الإنساني إذ أمكن بواسطته التعبير عن أعمق الأفكار المجردة).^{٤٩١}

نعم كانت اللغة وتطورت وتنامت في أجواء تعكس الوعي المعرفي لأبناء الأزمنة والأمكنة ككل.

وللباحث الدكتور جمال الدين الخضور الجهد الوافر والواضح في الكشف عن الملامح الواسعة للحضارة العربية والممتدة تاريخياً عشرات الآلاف من السنين وجغرافياً أيضاً لتشع معالم نور وحب وفكر ونقاء، فيرصد تطور اللغة العربية ويسجل لنا مراحل هذا التطور فيقول:

١- اللغة العروبية البدئية، وهي شفاهية، تركت بعض رموزها وعناصرها في المراحل الأخيرة من ما قبل التاريخ وهي أم اللهجات الكتابية العروبية التي ظهرت لاحقاً.

٢- اللهجات العروبية، وهي كتابية ويمكن تحديدها تاريخياً في نهاية الألف الرابع قبل الميلاد مع ظهور المسمارية، والهيروغليفية، وهي لهجات نوعية بقيت متمحورة حول لغة أساسية لها، وتمتد حتى النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد.

٤٩١- قاسم الشواف، أخبار أوغاريت، دار طلاس، ط١، ١٩٩٩م، ص ٣٣. نقلاً عن موشور الفصحى، نصر الدين البجرة، الهيئة العامة للكتاب، الكتاب الشهري ٢٧ و ص ٥٢. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨٥، (بتصرف).

٣- اللغة العربية ويبدأ تاريخها مع ظهور الأبجدية العربية الفينيقية (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) والسينياوية نسبة إلى سيناء والمسند.

٤- العربية المعاصرة: والتي تمتد بتاريخها منذ الرسالة المحمدية العظيمة وحتى الآن^{٤٩٢}.

هناك آراء ونتائج تبعاً للكاتب والمراجع، فلغة عربية امتدت منذ نهاية الألف الرابع قبل الميلاد ليس من المعقول ألا تخلف وراءها وثائق وأبحاثاً وكتباً ودواوين، لكن وبما بعد نزول القرآن الكريم وجمعه وما قامت السلطات السياسية والدينية من فتوحات وخروجها إلى العالم الآخر ساهم ذلك كله في تنشيط وتحريك حركات التأليف والترجمة والتدوين والبحث والإبداع والابتكار والاختراع ..

الكتاب هو الحياة، وهو الجمال وهو المعرفة والفن والشعر، ولم ولن تتركه أمة العرب العظمى.. ولرسولنا محمد ﷺ حديث إذ يقول:

(لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين)

فمتى وكيف وأين لهذه الإبل أن تدع حنينها، فنحن أمة الفكر والشعر والفلسفة، أمة الروحانيات، أمة الديانات وأمة الرسل والأنبياء.

فالكتاب ملازم لإبداع الخلق للغة والهواء والماء، ملازم للإنسان.. يهذب النفس ويؤدها، يستنهض قيم الخير والمحبة ويجفف منابع الشر والفساد والخراب والأذى، الكتاب يعلم ويدرب الإنسان على ثقافة الاستماع، ثقافة التأمل والإمعان في كنه روحه ومفردات الله المسطرة في كتبه وفي خلقه.

إلا أن الكتاب يعاني من تراجع جمّ في الاقتناء والانتشار والتوزيع والطباعة، وهو اليوم هامشي جداً أمام حاجيات الحياة اليومية، طبعاً كل هذا التردّي عكسته السياسات العربية المتراكمة في الجهل والتجهيل إضافة لانتشار وسائل الإعلام الأكثر قدرة على الجذب ولفت الانتباه من خلال اشتغالها على الصورة وتداعياتها، إذ حاول البعض ويحاول إشاعة فكرة موات الكتاب الورقي أمام الإلكتروني وما شابه ذلك، ولكن بنظرة واحدة لا أكثر وبدون إمعان حتى، ندرك أنها أفكار خارجة عن المنطق والعقل من خلال مقارنة بسيطة بين ما يصدر عن دور نشر عربية خاصة وعمامة وما تصدره أي دولة أوروبية ولو صغيرة في المساحة والسكان لوجدنا أن الدولة الأوروبية تفوق بعدد إصداراتها ونسخها ما يطبع في عالمنا العربي ككل وللأسف.

ولتشجيع الكتاب والفكر والثقافة وانتشار مختلف أنواع العلوم ومبادرة من (الأونيسكو) حدد يوم للكتاب تحت عنوان (يوم الكتاب العالمي) والذي أطلق بتاريخ ٢٣/٤/١٩٩٦م وتطورت الفكرة إلى تحديد عاصمة عالمية للكتاب في كل عام في هذا التاريخ تختارها لجان من الاتحاد الدولي للناشرين والاتحاد الدولي للمكتبات والاتحاد الدولي لرابطات مؤسسات المكتبات ومنظمة (الأونيسكو)، وتمّ اختيار بيروت عاصمة الكتاب لعام

٤٩٢- الدكتور جمال الدين الخضور، عودة التاريخ، ج١، ص١٩، دار الفرقد للطباعة والنشر، سورية- دمشق، ٢٠١٠م. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص١٨٦.

2009م.

وقال مدير (الأونيسكو) في يوم الافتتاح: بأن الكتاب يعتبر نافذة مشرعة على تنوع الثقافات، وجسراً يصل الحضارات فيما بينها إنه في أن معاً منبع حوار وتفهم ووسيلة تبادل لا يحدان بزمان أو مكان. كما أطلقت اليونيسكو في ٢١/٤/٢٠٠٩م المكتبة الرقمية لكي تفسح المجال أمام رواد الفكر والثقافة والطلبة ككل للنهل من معينها وبشكل مجاني بلغاتها السبع: العربية والإنكليزية والفرنسية والصينية والبرتغالية والإسبانية والروسية.

ولو عدنا قليلاً إلى الوراء، إلى تقرير التنمية الإنسانية لعام ٢٠٠٢م والصادر عن الأمم المتحدة والمنشور في ملحق جريدة البعث السورية برقم ملحق (5) تاريخ 2003 / 2 / 3 م وتجاوزنا كل الأرقام التي تخص الحرية والعدالة والتنمية والشفافية والفساد و.. إلخ الخاصة بنا كعرب، كأمة عربية امتدت لآلاف السنين وخلفت حضارات تدين لها شعوب الأرض قاطبة ونذكر هنا فقط للتدليل على حالة مخيفة وصلنا إليها بعض الأرقام كما جاءت في التقرير:

- عدد الأميين البالغين العرب ٦٥ مليوناً ثلثهم من النساء.

- الناتج الإجمالي لجميع الدول العربية ٥٣١,٢ مليار دولار (١٩٩٩م) وهو أقل من دخل دولة واحدة مثل إسبانيا رغم ما يقال عن عائدات النفط، ورغم مظاهر الإنفاق غير العقلاني لفئات معينة في البلدان العربية. -ترجم 330 كتاباً سنوياً في جميع البلدان في العربية، أي خمس ما ترجمته اليونان.

وفي الألف السنة الماضية ترجم العرب من الكتب ما ترجمته إسبانيا في سنة واحدة فقط^{٤٩٣}.

نعم هكذا نحن الآن مع شديد الأسف، هكذا هي مؤسساتنا.. حكوماتنا..

فلنفكر ملياً بواقعنا الثقافي والذي لا ينفصل عن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي واقع يحمل لنا مستقبلاً ليس بالمطمئن، فلنفكر بالخروج منه، فلنفكر مرددين مع صاحب المدينة الفاضلة وفيدون والمأدبة.. من مؤلفات ترفل بأسئلة النهوض لبناء عالم وافر الجمال والحب والخير.. لنردد مع أفلاطون قوله: نحن مجانين إذاً، ومتعصبون إذا لم نرد أن نفكر، وعبيد إذا لم نجرؤ على التفكير^{٤٩٤}.

تعلموا العربية

فإنها بُتت العقل ،

وتزید في المروءة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه

٤٩٣- ملحق جريدة البعث السورية، برقم ملحق (٥)، ٢٠٠٣/٢/٣م. نقلاً عن: مجلة المعرفة، م.س، ص ١٨٧.
٤٩٤- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٨٣، السنة ٥١، جمادى الأولى ١٤٣٣هـ/ نيسان ٢٠١٢م، اللغة..
الكتاب ألقى التاريخ.. وأزمة الحاضر، عباس حيروقة، ص ١٨٠- ١٨٨، (بتصرف).

الغزالي وعلم النفس الإسلامي

إذا كان علم النفس الحديث قد ابتعد نهائياً عن القول بوجود نفس وراء الظواهر الإنسانية، باعتبار أن النفس شيء لا يمكن بثه علمياً، مثلما عدلت العلوم الطبيعية عن القول بالجواهر، فإن الأمر فيما يتعلق بالنفس الإنسانية مختلفٌ كل الاختلاف بالنسبة لسائر العلوم الطبيعية الأخرى، وذلك يرجع إلى أننا ندرس الظواهر الطبيعية من خارجٍ، منفصلةً عنا، نلاحظها من بعيد، ونخضعها لتجارينا. وعلم النفس الحديث الذي أصبح علماً فإنه حين يدرس الإنسان يدرسه كأنه قطعة من الحجر أو النبات أو الحيوان، يلاحظ سلوك هذه الكائنات من خارجٍ، كيف تتأثر بالبيئة التي تعيش فيها وكيف تؤثر فيها، من دون أن يدخل إلى باطن الحجر، أو الشجرة، أو القطة ليعرف ماذا يدور في خلدتها.

غير أن الإنسان تختلف حاله عن حال هذه الكائنات، لأنه إلى جانب سلوكه الظاهر المتفق مع سائر الكائنات الطبيعية فإنه "يشعر" بالخواطر والخواجج التي تجري في باطنه، أي إنه يشعر بذاته، على اعتبار تلك الخواطر والخواجج هي مصدر لهذه الحركات وهذا السلوك الخارجي، وهو يستطيع أن يصور لنا "شعوره" وأن يحلل لنا باطنه أن يميز بين دوافعه واتجاهاته وميوله وعواطفه وغير ذلك..

وقد ألفت كثيرٌ من مدارس علم النفس "الشعور" من مجال دراستها، لأن مثل هذا الموضوع لا يتفق مع الأساليب العلمية، ولكن هذا الإلغاء لا يعني بحال من الأحوال أن الشعور لا وجود له، وأن الإنسان لا يحس حعريته واختيار ما يناسبه، وإلا كان الإنسان لا يعدو أن يكون قطعة حجرٍ، أو ريشة في مهب الريح، لا حول له ولا قوة، ليس له سلطانٌ على نفسه، ولا يستطيع أن يسمو إلى آفاقٍ عليا، ومنها الآفاق الروحية والدينية.. ونستطيع أن نقول في غير ترددٍ بأن الذي طور هذا العلم عند العرب والمسلمين هو حجة الإسلام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى.

والغزالي متعددٌ الجوانب، فهو فقيهٌ، ومتكلم، وفيلسوفٌ، و صوفيٌ، وهذه الجوانب الأربعة هي التي اشتهر بها حجة الإسلام، إذ له في أصول الفقه كتاب "المستصفى" لا يزال عمدةً في بابه حتى اليوم، وله في علم الكلام كتاب "الاقتصاد في الاعتقاد" وهو من أحسن الكتب التي تلخص هذا الفن وتعرضه على طريقة الأشعرية، وله في الفلسفة "مقاصد الفلاسفة" و"التهافت"، وهذا الكتاب ولو أنه ردَّ على الفلاسفة إلا أنه ينهج منهجهم ويعرض مسائلهم. والتصوف هو الطريق الذي ارتضاه لنفسه في آخر حياته كما حكى في "المنقذ من الضلال".

ولكن أحداً لم يصور لنا الغزالي عالماً نفسانياً، وضع أسس علم نفس إسلامي بمعنى الكلمة، على غزارة ما كتب في هذا الباب، إذ له فيه كتبٌ مستقلةٌ مثل "معارج القدس" وله مباحث متفرقةٌ في شتى كتبه العديدة

وخاصة كتاب "إحياء علوم الدين".

فإن سأل سائلٌ وقال: لماذا لم يظهر هذا العلم إلا على يد حجة الإسلام في القرن الخامس الهجري؟

وأين أمثال الفارابي وابن سينا من فلاسفة الإسلام ولهم في هذا الباب مباحث معروفة وكتب مشهورة؟
والم يكن علماء الكلام أصحاب أنظارٍ عميقةٍ في الدراسات النفسية، كالإرادة والمحبة والكراهية والعادات
والمعارف العقلية؟

قلنا: إن الجواب عن ذلك كما يلي:

١- إن القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين حوى تفصيلاً لمعظم الأصول النفسية التي يصدر عنها سلوك
الإنسان ابتداءً من البحث في النفس ما هي وما أصلها وما مصيرها، إلى كثيرٍ من أحوالها التي تدفع
المرء إلى العيش في هذه الحياة الدنيا مثل الدافع إلى طلب الطعام والولد والمال والزينة والرئاسة، كما
صور لنا ألواناً من الخواج النفسية والعواطف البشرية كالحقد والغيرة والحسد والوسوسة وغير ذلك،
لذلك لم يكن المسلمون بحاجة إلى كتاب في علم النفس وبين أيديهم كتاب الله تعالى يحفظونه في
صدورهم ويتلون آياته آناء الليل وأطراف النهار، كما لم يكونوا بحاجة إلى تصنيف كتاب يهدي الناس
إلى الطريق المستقيم.

٢- إن الفلسفة اليونانية حين نقلت في عصر الترجمة إلى اللغة العربية، ونقل معها "كتاب النفس" لأرسطو،
اتخذ فلاسفة الإسلام من هذا الكتاب أنموذجاً يحتذى في الكتابة عن هذا العلم، ولم يستطيعوا أن يتخلصوا
من الطريق الذي انتهجه. وهذا ما فعله ابن سينا في كتاب "النفس" الذي هو جزءٌ من "الشفاء" وفي كتابته
عن النفس وإلحاقها بالعلم الطبيعي، وتصنيفه للنفوس إلى نباتية وحيوانية وإنسانية، وتصنيف الحواس والإدراك
وسائر القوى الإنسانية، وإذا كان قد أتى بجديدٍ فذلك في تفصيلاتٍ فرعيةٍ لا تغيرُ في الجوهر الأساسي لعلم
النفس الأرسطي، وهذا لا يعني أن الشيخ الرئيس لم يأت بجديد، إذ الواقع أن براهينه على إثبات جوهرية
النفس وانفصالها عن البدن من البراهين الطريفة التي تأثر بها فلاسفة غربيون ومنهم ديكارت.

وقد ورث المسلمون كذلك شيئاً من علم النفس بحسب ما جاء به "أفلاطون"، وكانوا يعرفون محاوراته التي
خاضت في أمر النفس، مثل "فيدون" التي أطلقوا عليها اسم "فادن" ومثل "الجمهورية" التي سموها "المدينة
الفاضلة"، وهذا وذاك على فلاسفتهم إلى الكون والإنسان، ولا يمت بصلة إلى اتجاه الإسلام، وإن اتفق معه
في بعض الأصول المشتركة في كل زمان ومكان.

٣- إن علماء الكلام وإن كانوا قد أفاضوا في المباحث النفسية لصلتها بالاعتقاد الديني، وبنظرية العدل
والجبر والاختيار بوجهٍ خاص، إلا أنهم لم يحفلوا بإفراد هذا العلم في بحثٍ مستقلٍ من جهة، كما أن مباحث

المعتزلة وهم الذين توسعوا في هذا الباب فقد معظمها فلا ندري عنها إلا الشيء اليسير.

٤- إن المتصوفة وهم الذين حللوا النفس البشرية تحليلاً عميقاً توغلوا إلى أعماقها وأغوارها وصوروا ما يعتري المتصوف من أحوال وما ينتقل فيه من مقامات وما يرد عليه من سوانح وخواطر، قد اقتصروا في دراستهم على جانب واحد من الدراسات النفسية وهو الظاهرية الصوفية، وعلاقة المريد بالشيخ وغير ذلك مما يعدُّ باباً واحداً من علم النفس يختص ببضعة أفراد، أما سائر البشر وجمهور الملايين فلم يتعرضوا لهم ببحثٍ، ولم يهتموا بأمرهم وينظروا في سلوكهم وأحوالهم، بل "السلوك" عندهم يقتصر على علم السلوك ويعنون به سلوك الصوفي الطريق إلى الله تعالى، و"علم الأحوال" في عرفهم ما يرد على قلب الصوفي من قبضٍ وبسطٍ وفرحٍ وسرورٍ وهيامٍ ووجدٍ إلى غير ذلك.

وعندما جاء الغزالي كان علم النفس، إما متناثراً في آيات الله سبحانه وتعالى والقرآن الكريم أو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وإما متناثراً في مباحث علماء الكلام، وإما جار على طريقة الفلاسفة أتباع المشائين، وإما منحصرأ في دائرة المتصوفة ومصطلحاتهم التي تستعصي على أفهام الجمهور.

وقد حدا أبو حامد الغزالي في ابتداء أمره حذو المتفلسفة فأخذ عنهم ما نقلوه عن مفكري اليونان وتكلم عن النفس وأنها كمالٌ أولٌ لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة، كما جاء في تعريف أرسطو، وتابعهم في القول بالنفوس الثلاثة: الغازية والحيوانية والناطقة، وعلى الجملة فإنه لفَّ لفهم ونسج على منوالهم، وخصوصاً في إثبات وجود النفس جوهرأً مستقلاً عن البدن.

يقف الغزالي على قمة النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، عملاقاً من عمالقة الفكر ورائداً من رواد البحث وفارساً من فرسان الحقيقة. حوى في عقله النير المتفتح نتاج العقل الإنساني حتى ذلك الحين، وظل في شوقٍ دائمٍ إلى المعرفة حتى آخر حياته. فلم يعرف له غفوة عن دراسةٍ، ولا قعوداً عن ركوب أي صعبٍ لجلاء المشاكل الفكرية مهما تعقدت أو دقت.

وصفه أستاذه الجويني بأنه "بحرٌ مغدقٌ"، وأورد السبكي في طبقاته أنه كان "شديد الذكاء عجيب النظرة، مفرط الإدراك، قوي الحافظة، بعيد الغور، غواصاً على المعاني الدقيقة، جبل علم، مناظراً محجاجاً".

وتحدث عنه ابن الجوزي وهو أحد معارضيه في الرأي فقال "تفقه على أستاذه الجويني وبرع في النظرية مدةً قريبة، وقاوم الأقران وتوحد.. وصنف الحسان في الأصول والفروع التي انفرد بحسن وضعها وترتيبها وتحقيق الكلام فيها، حتى إنه صنف في حياة أستاذه الجويني فنظر الجويني إلى كتابه المسمى "بالمخول" فقال له: "دفنتني وأنا حيٌّ، هلا انتظرت حتى أموت" "يريد أن كتابك غطى على كتابي".

ومهما تكن الآراء التي قيلت عن الغزالي مختلفة، فإن الجميع متفقون على علو مكانته في شؤون المعرفة، ورسوخ قدميه فيها، فلقد كان أصولياً ماهراً وفقهياً حراً ومتكلماً بارعاً، واجتماعياً خبيراً بأحوال العالم، وفيلسوفاً يقف على قدم المساواة مع الفلاسفة الكبار إن لم يبرزهم. وكان إضافة إلى ذلك صوفياً مريباً عالماً بالنفس البشرية وخفاياها، متأملاً فعاليتها وأحوالها، محلاً بارعاً للسلوك وخلجات الضمائر.

وكانت حياته القصيرة حافلة غنية بالتجارب، وصورةً للتعلم بأغوار الأمور، فهو لم يكن ليحفل بمظاهر القضايا بقدر ما تمهه حقيقتها، وكان يغوص إلى أعماق المشاكل بجرأة العالم المتجرد، وقد وصف نفسه فقال " ولم أزل منذ داهمت البلوغ إلى الآن وقد أناف السن على الخمسين أقتحم لجة البحر العميق وأخوض عبابه خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجم على كل مشكلة وأقتحم كل ورطة، وأتعمق عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار كل طائفة، لأميز بين محقٍّ ومبطلٍ ومبدعٍ".

ولقد بدا هذه الحياة الحافلة في طوس حيث درس الفقه على الإمام الرذكاني فلما ضاقت به بلده، ولم يعد يجد كفايته من المعرفة، انتقل إلى نيسابور حيث تتلمذ على الجويني، فلما تمكن واستطاع أن يقف مساوياً لأستاذه بدأ يضيق صدره فانتقل إلى "العسكر" حيث نظام الملك وحيث مجتمعات الأدباء والعلماء والفلاسفة، ونواديهم ومجالاتهم ومحاولاتهم، فظهر على الجميع، ولفت انتباه نظام الملك، فأرسله إلى "النظامية" في بغداد فكان الفارس المجلي فيها، تجتمع في حلقاته مئات العمائم كما حدثت هو نفسه وكما أثبتت ذلك مختلف الروايات.

إلا أن الغزالي لم يكن بينه وبين نفسه ليشعر بالراحة، مع أنه أصبح مقصوداً من كل طرف، مشاراً إليه بالبنان في العالم الإسلامي، لقد كان يفتش عن الحقيقة وراء المظهر، ويبحث عن طمأنينة النفس وثبات القلب، وإن هذا ليجتاج إلى خلوةٍ وتأملٍ وعزلةٍ، وهذا ما كان، فقد ترك بغداد بعد فترةٍ من القلق النفسي الذي وصل به إلى درجة الخطورة.

لقد ساءت أحواله فإذا هو منغمس في تفاهات الأمور وقد أحدثت به من كل جانب، وفكر في التدريس فوجد نيته غير خالصة، وأصبح التفكير بالخروج من بغداد يزداد عليه إلحاحاً، ولكن بينما كان منادي الإمعان ينادي الرحيل الرحيل، كانت شهوات الدنيا تجذبه بسلاسلها إلى المقام، وبينما كان صوت الحقيقة يهتف فيه "لم يعد لديك من العمر إلا القليل فإن لم تستعد للآخرة الآن فمتى تستعد"، كان الشيطان يثنيه عن ذلك فيقول "هذه حال عارضةٌ إياك تطاوعها فإنها سريعة الزوال".

وهكذا بقي الغزالي متردداً بين تجاذب شهوات الدنيا ودواعي الآخرة ما يقارب ستة أشهر، حتى أصبح في وضع لا يحتمل، فقد أقفل على لسانه فلم يعد يستطيع التدريس، وكان يجاهد نفسه لإرضاء المجتمعين عنده فلا ينطق بكلمة، وأورثه ذلك حزناً في القلب، وضعفاً في الجسم إلى أن قرر الخروج من بغداد.

وقد وصف الغزالي هذه التجربة النفسية التي مرَّ بها في "المنقذ" وصفاً أخاذاً قلَّ أن نجد له مثيلاً في التاريخ الفكري، فكانت من أهم التجارب الفكرية التي عرفت الإنسانية في تاريخها الطويل.

وقد بقي الغزالي في عزلته الاختيارية أكثر من عشرة أعوامٍ ينتقل بين البلاد الإسلامية فيحج ويزور القدس، ويكتب فصولاً من "الإحياء" في الجامع الأموي بدمشق، وكانت هذه العزلة غنية ثرية، انتهت به إلى شاطئ الأمان وقد حصل الكثير من المعارف وقدرة على التأمل النفسي، فاستطاع أن يغير مجرى حياته، وأن يقدم للإنسانية عامةً وللملايين من مسلمي العالم خلاصة تلك التجربة، وقد كانت المتعة التي عاشها الغزالي في عزلته ذات أثرٍ كبيرٍ عليه حتى إنه لم يعد يستعذب الخروج منها، فما كاد يعود إلى التدريس في نظامية نيسابور بإلحاح شديد من "فخر الدولة"، حتى عاد مرة أخرى إلى عزلته راضياً، يقطع وقته بالعبادة ودراسة القرآن والحديث.

من خلال هذه اللمحات السريعة عن حياة الغزالي نستطيع أن نعرف شيئاً عن أسباب عنايته البالغة بدراسة النفس، فلقد فاق اهتمامه بها ما عهد به عند المتقدمين عليه، خاصةً وأن معرفة النفس عنده لم تعد مجرد معرفة نظرية ولكنها أصبحت إضافة إلى ذلك وسيلة لتعديل السلوك والرقى بالأخلاق والوصول إلى تكامل الشخصية.. لقد ألم الغزالي إماماً واسعاً بكل النظريات والمناقشات التي دارت حول النفس سواء ما كان منها من مصدر يوناني أو إسلامي.. وسواء أكان الإسلامي منها يستمد من القرآن والحديث، أو كان يعتمد دراسات الصوفية وآراء المتكلمين ونظريات الفلاسفة، يُضاف إلى ذلك أن أبا حامد كان من الأوائل الذين نحواً لدراسة النفس نحواً موضوعياً، وذلك لأنه ميز بين منهجين لدراسة النفس، منهجٌ يعتمد على النظر إليها كجوهرٍ روحيٍّ، ومنهجٌ يخرج عن نطاق الفلسفة والميتافيزيقيا إلى الوضعية والموضوعية وذلك حين يتعرض لنشاط النفس وأحوالها.

حتى تكتمل صورة موضوع علم النفس عند المسلمين في أذهاننا لابدَّ من معرفة مكان هذا العلم بين العلوم الأخرى.. ويدعوننا هذا أن نعرض بشكلٍ سريعٍ لتصنيف العلوم عند المتقدمين على الغزالي والتعرف على مكانة علم النفس لديهم.. ثم دراسة الموضوع..

لقد كان التصنيف الشائع في الفلسفة اليونانية هو تصنيف أرسطو الذي يقوم على التمييز بين العلوم النظرية والعلوم العملية:

فالعلوم النظرية تقسم إلى الرياضيات والطبيعات والإلهيات (ما وراء الطبيعة)..

بينما تتفرع العلوم أو الحكمة العملية إلى علم الأخلاق، وعلم تدبير المنزل وعلم السياسة ودراسة النفس عند أرسطو هي من موضوعات علم الطبيعات، وإن كانت العلوم العملية تتناول ما يجب أن يعمل الإنسان كمركب من نفسٍ وجسمٍ لينال السعادة ويعيش مع الآخرين.

وكانت النفس عند "الرواقين"، تدرس في تصنيف مشابه لأن العلوم عندهم على أربعة أنواع وهي: الرياضيات والطبيعات والإلهيات والأخلاقيات، وعلم النفس هو من فروع الطبيعيات.

أما جابر بن حيان فقد حاول أن يخرج على هذا التصنيف التقليدي فميّز بين علوم الدنيا وعلوم الدين، وصنف علوم الدنيا إلى شريفة ووضيعة، كما صنف علوم الدين إلى شرعية وعقلية، فمن العلوم الشرعية ما هو ظاهر وباطن، أما العلوم العقلية فهي على نوعين: علوم الحروف كعلم الطب والروحانيات، وعلوم المعاني وهي العلوم الفلسفية والإلهية، الأولى منهما تتناول الطبيعة، والثانية تتناول المجردات، وقد وضع علم النفس الناطقة بين العلوم الإلهية.. أما الكندي فقد تبنى التصنيف الأرسطي وذلك في رسالته إلى المعتصم بالله وقال بالعلوم النظرية والعلوم العملية ووضع علم النفس في المرتبة التي وضعها فيها أرسطو من قبل.

وقد حاول الفارابي أن يقدم أسلوباً جديداً لتصنيف العلوم في رسالته "ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة" فميز بين العلوم التي تبحث في الشيء العام لجميع الموجودات كالعلم الإلهي أو علم ما وراء الطبيعة، وبين العلوم الجزئية التي تختص ببعض الموجودات مثل علم الطبيعة والهندسة والحساب والطب.. لكن هذا في الواقع ليس إلا شرحاً لمفهوم العلم النظري والعلم العملي عند أرسطو، ولذلك فإننا نجد في رسالة "إحصاء العلوم" ما يشبه تصنيف أرسطو مع إضافة علمين جديدين هما علم الفقه وعلم الكلام أو علم اللسان: فأصبحت العلوم عنده على النحو التالي:

- ١- علم اللسان وأقسامه. ١- العلم الإلهي.
- ٢- علم المنطق. ٢- العلم المدني.
- ٣- علم الرياضيات. ٣- علم الفقه.
- ٤- العلم الطبيعي.

وكانت دراسة النفس تقع في العلم الطبيعي مع شيء من الصلة بالعلم الإلهي الذي يبحث في العقول المفارقة التي لها صلة بالنفس من حيث صدورها عنها، أو من حيث تلقي الحقائق بوساطتها..

ويتعرض ابن سينا لهذا الموضوع في مواضع عدة، ففي رسالة "عيون الحكمة" يتبنى التصنيف الأرسطي تماماً، أما في "منطق المشرقيين" فإنه يصنف العلوم على الوجه التالي:

- علوم جزئية لا يصح أن تجري أحكامها الدهر كله.
- علوم كلية متساوية النسب إلى جميع أجزاء الدهر، وهذه هي التي تسمى حكماً، ويشبه هذا كلام الفارابي في "ما ينبغي أن يقدم قبل تعلم فلسفة أرسطو"..

والحكمة تنقسم إلى:

(1) أصول.

(2) توابع.

(3) فروع.

أما الأصول فهي آلة العلم "المنطق"، وأما العلم نفسه فينقسم إلى عملي ونظري، والقسم النظري يقسم إلى أربعة فروع:

(١) العلم الطبيعي الذي يدرس الأمور المخالطة للمادة ومنها دراسة النفس.

(٢) العلم الرياضي الذي يبحث في الأمور المخالطة للمادة عموماً لا لمادة معينة.

(٣) العلم الإلهي وموضوعه المعقولات التي لا تخالط المادة أصلاً ومنها العقول الفعالة.

(٤) العلم الكلي الذي يخالط المادة أو يتجرد عنها مثل الوحدة والكثرة.

في حين أن غاية العلم العملي هي الخير، وينقسم هذا العلم إلى ثلاث شعب:

١- الأخلاق وتتناول ما يجب أن يكون عليه الإنسان في نفسه.

٢- تدبير المنزل الذي ينظر إلى الإنسان في الأسرة.

٣- السياسة وهي علم تدبير المدينة.

هذا إضافةً إلى علم خاص يضيفه على علوم أرسطو وهو علم النبوة، وتكون دراسة النفس من موضوعات الطبيعيات كما رأينا..

أما الغزالي فإنه كعادته يستفيد من آراء المتقدمين ويعطيها صوراً أقرب إلى الرؤية الإسلامية، وقد ورد ترتيب علم النفس عنده على صورتين:

(١) الصورة الأولى: أخذ فيها بآراء الفلاسفة في تصنيف العلوم وذلك في "المقاصد" و "المعارج"، فالعلوم

عملية ونظرية.. وهكذا إلى آخر التصنيف المعروف، ومكان النفس يقع بين العلوم الطبيعية، ويحتفظ بما يشبه هذا التصنيف أثناء عرضه لمذاهب الفلاسفة في "المنقذ"، إلا أنه حين يتعرض لانتقادهم يشير إلى أن الحديث عن ماهية النفس وخلودها من موضوعات العلوم الإلهية.

(٢) الصورة الثانية: وقد فصل فيها بين دراسة النفس كما هي وجوهري، وبين دراسة أحوالها وصفاتها، وهذا ما يظهر واضحاً في تصنيفه للعلوم في "الإحياء" الذي يمثل المرحلة الناضجة من حياته الفكرية حيث تبدو نزعتة التوفيقية بين مختلف الاتجاهات..

وقد عرض الغزالي لتصنيف العلوم في "الإحياء" في ثلاثة مواضع:

أولاً- الموضوع الأول منها صنف العلوم إلى:

(أ) علوم مكاشفة، يقصد منها كشف المعلوم فقط.

(ب) علوم معاملة ويعني بها "ما يطلب منه مع الكشف والعمل به".

ثانياً- في موضع آخر من "الإحياء" نجد تصنيف العلوم على النحو التالي:

(أ) العلوم الشرعية.

(ب) العلوم العقلية.

والعلوم الشرعية كلها محمودة ومطلوبة ولكن قد يختلط فيها ما يلتبس أنه ليس شرعياً.

وهذه العلوم على أنواع أربعة:

١- أصول: تبحث في كتاب الله، وسنته، والإجماع، والآثار.

٢- فروع: تتناول ما فهم من الأصول من معارف تتسع لها العقول، مثل الفقه وهو العلم بمصالح الدنيا، وعلم أحوال القلب وهو العلم بمصالح الآخرة.

٣- مقدمات: تدرس آلات العلم كاللغة والنحو.

٤- متممات: إذ إن لكل علم من العلوم السابقة ما يتممها كعلوم القرآن التي تتم العلم بكتاب الله وهو من فروع الأصول كما رأينا.

والملاحظ أن الغزالي هنا لا يعرض لدراسة النفس إلا على أساس نشاطها وأحوالها.

ثالثاً- ويعرض لمثل هذا التصنيف في مكان آخر من "الإحياء" فيقول:

إن العلوم شرعيةً وعقليةً.

والعلوم العقلية نوعان: ضروريةً ومكتسبةً.

أما العلوم المكتسبة فتشعب إلى فرعين:

دنيوية كعلوم الطب والحساب والهندسة والنجوم.

وأخروية وتشمل العلم بالله وصفاته وأفعاله والعلم بأحوال القلب.

وهكذا تكون دراسة نشاط النفس هنا في نطاق العلوم الأخروية التي هي قسم من العلوم العقلية، وقد يُظن

أن هناك تناقضاً بين هذا التصنيف والتصنيف السابق، حيث كان محل دراستها بين العلوم الشرعية إلا أن

هذا الالتباس يزول حين نتذكر أنه قد أشار في تصنيفه السابق إلى وجود علوم قد يُلتبس أنها ليست من

العلوم الشرعية وذكر منها علم أحوال القلب، وهكذا نجد أن دراسة النفس عند الغزالي في كتاباته الأخيرة

موزعة على علمين:

أولاً) علم المعاملة الذي يدرس فيه النفس أثناء فعاليتها ونشاطها تحت عنوان "العلم بأحوال القلب".
ثانياً) علم المكاشفة الذي يدرس فيه النفس على أنها أشرف جزء من جواهر الإنسان تحت عنوان "العلم بحقيقة القلب" .. ولا شك أن هذا يتفق تماماً مع عقلية الغزالي التي تقوم على التأليف بين الآراء والتي يبدو فيها مجدداً في كثير من الأحيان.

وختاماً فإننا نجد أن العلماء العرب والمسلمين قد ساهموا مساهمةً فعالةً في التأسيس لعلم النفس العربي إلا أن رائدهم وأبرزهم كان أبو حامد الغزالي، لقد كان الغزالي مجدداً في تفصيله لموضوع علم النفس، فاستطاع أن يخرج بدراسة النفس عن المحور الذي كانت تدور فيه إلى محورٍ جديدٍ يبدو أقرب إلى الوضعية والموضوعية. كما كان مجدداً في طريقة دراسته للنفس، ويبدو هذا التجديد خاصةً في بحث النشاط النفسي وأحواله، حيث كان يعتمد على التأمل والملاحظة وتحليل السلوك، كما توسع في البحوث التي تتعلق بدراسة علم النفس العام، فقدم تصنيفاً للحوادث النفسية، وفصّل في موضوعه الحياة النزوعية والوجدانية مما أهمله الكثيرون، وكذلك فقد تميز الغزالي عن غيره في بحوثه الأخلاقية، ووسائل تعديل السلوك. واستعمال الشعور الديني كعامل في انسجام الشخصية وتكاملها إلا أنه بقي في بعض أبحاثه المتعلقة بدراسة النفس كماهيةً أو كجوهرٍ قائم بذاته، مقلداً للدراسات اليونانية، وإن تجديده في هذه البحوث يبدو محاولةً للتوفيق بين الثقافات والمصادر المختلفة ولا سيما اليونانية، وإضفاء الطابع الإسلامي عليها^{٤٩٥}.

المراجع:

- ١- الأهواني أحمد فؤاد، أسرار النفس، القاهرة ١٩٥١م.
- ٢- جواشون: فلسفة ابن سينا، ترجمة رمضان الأوند، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٥٠م.
- ٣- بدوي عبد الرحمن، الأفلاطونية المحدثة عند العرب، القاهرة ١٩٥٥م.
- ٤- دو بور: تاريخ الفلسفة في الإسلام، ترجمة الدكتور عبد الهادي أبو ريده، القاهرة ١٩٥٤م.
- ٥- شيخ الأرض تيسير، الغزالي، دار العلم للملايين، بيروت ط ١.
- ٦- الغزالي: إحياء علوم الدين، طبعة عيسى البأبي الحلبي ١٩٥٧م.
- ٧- الغزالي: مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، القاهرة دار المعارف ١٩٦١م.
- ٨- الغزالي: المنتقى من الضلال، تحقيق الدكتور عبد الحلیم محمود، القاهرة ١٩٦٢م.
- ٩- فاخوري حنا و خليل الجر: تاريخ الفلسفة العربية، دار المعارف، بيروت.
- ١٠- قاسم محمود: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق الإسلام، القاهرة ١٩٥٤م.
- ١١- مروة حسين، انزعاجات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ج ١، دار الفارابي، بيروت ١٩٨٨م.

٤٩٥- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، العدد ٥٨٨، السنة ٥١، شوال ١٤٣٣هـ/ أيلول ٢٠١٢م، حديث النفس، د.محمد يحيى خراط، ص ٥٤- ٦٤.

ابن رشد بين الغزالي والأكوييني

نسلط الضوء على خصومات فكرية وسياسية، غير متجايلة، ولكنها متوحدة في المبتغى والمقصد، ظاهرها فلسفي، ودافعها لاهوتي بحت، وهدفها الحفاظ على السياسة الدينية المبتغاة، وقتذاك قطب الرحي في هذه الخصومات (ابن رشد ١١٢٥-١١٩٨م) وفلسفته، وطرفاها (الغزالي ١٠٥٩-١١١٠م) وتهافتاته، و(الأكوييني ١٢٢٥-١٢٧٣م) وتفنيداته، وقد اجتمعت أطروحات الاثنین (الغزالي والأكوييني) حول أمور لاهوتية بحتة، تثير الخلاف أكثر ما تحقق الائتلاف وتتمحور هذه التهم في عشرين مسألة نذكر منها ثلاث مسائل هي:

- مسألة قدم العالم وحدوثه.

- مسألة أن الله يعلم الكلّيات ولا يعلم بالجزئيات.

- مسألة النفس وحشر الأجساد والعقاب الآخروي.

ألف الغزالي كتابه (تهافت الفلاسفة) ليس دفاعاً عن تلك المسائل، بقدر ما هو شهية الدفاع عن المذهب السني الرسمي الذي اعتمده الخلافة العباسية في عهد الخليفة (المستظهر بالله) وهو ما أعلنه بقوله:

(رأيت الامتثال حتماً، والمسارة إلى الارتسام حزماً) ضد من؟ ضد فلسفتي (الفارابي وابن سينا) عندما اعتمدت عليهما الدعوة الإمامية للدولة (الفاطمية) التي تمددت من شمال أفريقيا وتمركزت في القاهرة، وتمددت إلى بلاد الشام وصولاً إلى الموصل، بعدما اتخذت من القاهرة عاصمة لها.

أما (الأكوييني) فقد شن هو الآخر هجوماً عنيفاً على اللاهوتيين وقتذاك، من أتباع القديس (أوغسطين) الذين يتبنون فلسفة (ابن سينا) في (الفيض الإلهي)، وفلسفة الفارابي في (المدينة الفاضلة) إذ رأى أتباع (القديس أوغسطين) أن آراء الفارابي تؤيد بالدليل البرهاني ما ذهب إليه (أوغسطين) في كتابه (مدينة الله) والتي تنضوي وتتطور بـ (العناية الإلهية)، وقد حقق (الأكوييني) نجاحاً كبيراً في تنفيذ تلك المقولات من خلال كتابه (الخلاصة اللاهوتية)، كما صوب هجومه إلى فلسفة الديانتين (اليهودية والإسلامية) عبر كتابه (الخلاصة ضد الأمم) مستنداً إلى العهد القديم (التوراة) فيما يخص (اليهودية) وإلى العقل فيما يخص (الإسلامية)، وبعد أن حقق نجاحه هذا التفت إلى فلسفة (ابن رشد)، عبر قراءته المتأنية لفلسفة (أرسطو)، وخلص (أرسطو) من أشياعه الذين أساءوا إلى فلسفته، وحقق نصراً كبيراً على فلسفة ابن رشد وأتباعه، ومع بعد المسافة الزمنية ما بين (الغزالي والأكوييني) إلا أنهما التقيا في مسألتی (التحريم والتجريم)، فالأول نفر وكفر، والثاني حرم وجرم، ومما يميز (الأكوييني) عن (الغزالي) أنه بمحاربه للاهوتيين أتبع فلسفة (ابن سينا) في (الفيض والإشراق) وتصديه لفلسفة (ابن رشد) التي تبنتها معظم جامعات أوروبا آنذاك، وتبنيه لفلسفة (أرسطو) من دون فلسفة شارحه (ابن رشد) وهو موقف ينم عن تعصب معرفي أبستمي، تجلت مقولاته فيما يعبر عنه في (المركزية الأوروبية)، وتترسم معالمه الآن في مقولة الـ (إسلامو فوبيا).

- ابن رشد وفلسفته:

يعتبر القاضي الفيلسوف، والفقيه (محمد ابن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن رشد) فقيهاً (مالكياً) مجدداً وفيلسوفاً مبتكراً أكثر منه شارحاً وقاضياً عادلاً، أكثر منه رجل سلطة مهادناً، فمع اختلافه مع (الفارابي ٩٥٠م) وفلسفته، ومدينته الفاضلة التي يعتبر مدبرها رئيسها: (شبيهاً بالسبب الأول الذي به وجود سائر الموجودات.. وهو رئيس المعمورة كلها، لا يجوز أن يكون فوقه رئيس) هذه المقولة التي تبنتها الدولة الفاطمية، هزت أركان الخلافة العباسية، في عهد الخليفة (المستظهر) ولاسيما السلطان السلجوقي (ملك شاه) ووزيره (نظام الملك)، فوجدت الإمام (الغزالي) في الرد على فلسفتي (الفارابي وابن سينا ١٠٣٧م) والتي بموجبها يصبح الحاكم (الإمام) يملك خواص النبي بما فيها العصمة الذاتية، وهو حاكم مطلق عليه أن يسن الشرائع ويقيم العدل، ففي كتابه (تهافت التهافت) لا يتفق مع آراء الفارابي فيما يخص مدبر المدينة الفاضلة، كما يفند خطل نظريته (الفيض والإشراق لابن سينا)، مبيناً أن العصمة الإلهية لم تكن إلا للأنبياء، وما سواهم بشر يخطئون ويصيبون، ومع أن (ابن رشد) من حيث أتباع المذهب (المالكي) السني أقرب إلى الغزالي الذي يتبنى المذهب السني (الأشعري)، إلا أن سعة صدره للاختلاف وقبول الآخر، وحياديته العلمية، أملت عليه الرد على (الغزالي) الذي اتهم الفلاسفة بالمروق من الدين وخاصة (الفارابي وابن سينا) في كتابه السالف الذكر (تهافت الفلاسفة) ومع عدم تبني ابن رشد لفلسفة الاثنين (الفارابي وابن سينا) إلا أنه تصدى للغزالي واتهاماته في كتابيه (تهافت التهافت) حيث برهن في دفاعه عن شيخي الفلسفة الإسلامية (الفارابي وابن سينا) أنه رجل (الفضيلة العلمية والأخلاقية) التي تلزم الإنسان تحري الحق والحقيقة عند أي مذهب أو شخص كان دون (مدارة أو مسaire أو ممالاة)، كما يقول، ولأن مأخذ الغزالي على الفلاسفة في المسائل الثلاث الآنفه الذكر لا يوجد عليها إجماع، ولأن العلم الإلهي لا يقاس على العلم البشري، ففي رأي ابن رشد: (لا يجوز تكفيرهم) لأن المذاهب، حسب رأيه: (لا تتباعد حتى يكفر بعضها بعضاً) كما يؤكد أن القراءة التأويلية للقرآن الكريم، لا يُحمّل المؤول وزر قراءته وهو ما أقر به الغزالي ومعلمه وأستاذه الإمام الجويني أبو المعالي، ويرد على الغزالي مورداً رأيه في هذا الصدد: (قال أبو حامد الغزالي، وأبو المعالي، وغيرهما من أئمة النظر: أنه لا يُقطع بكفر من خرق الإجماع في التأويل في أمثال هذه الأشياء (يعني المسائل الثلاثة)، لماذا؟ لأن التأويل بنظره هو: (إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية من غير أن يُخلَّ في ذلك بعادة لسان العرب في التجوُّز من تسمية الشيء بشبيهه أو بسببه..) وفي عصرنا الراهن يؤكد (غدامير) المعنى ذاته من أن التأويل: (محاولة معرفية.. ينتج يقينيته بنفسه دونما حاجة لعله أو معلول).

وموقف (ابن رشد) المستقيم لا يتمثل في الفلسفة والفكر، وإنما في السياسة كذلك فقد ناهض الاستبداد على الرعية من المنتفذين والحاكم على حد سواء، وهو ما جلب عليه النعمة المتمثلة في الإقصاء والنفي، بعد

الخطوة والجاه.. إذ نفذ الحساد من بطانة السوء إلى أنه أوصى بإخفاء بعض التأويل على العامة، متهمينة بالخروج عن ظاهر النص بما يضره من تأويل تخالفه، وهذا الموقف بنظرهم يفضي إلى الخروج عن جادة الصواب في المعتقد، لكن الموقف الأساس من إقصاء (ابن رشد) هو ما كتبه تعليقاً على مقولات (أفلاطون) في كتابه (الجمهورية)، ففي الفصل التاسع يعلق ابن رشد على الحاكم الطاغية واصفاً إياه بـ (وحداني التسلط) بقوله: (عندما قبل الناس رئاسته لهم استبد بالأمر وتفرد بالقرار..). وهذا الواقع ينطبق وقتذاك على (المنصور) ابن الخليفة الموحي المتنور (أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن)، فعندما قتل في معركة (شنترين) أخفى ولده المنصور خبر وفاته عن أخوته والمقربين منه إلى أن رتب الأمور وأخذ البيعة لنفسه واستبد بشؤون البلاد والعباد، وعمد حسب قول ابن رشد إلى: (استعبادهم والاستيلاء على عتادهم وآلة أسلحتهم فيصير حال الجماعة معه كالمستجير من الرمضاء بالنار) كما يقول المثل، وهذه (الأعمال جميعاً) هي من أعمال رئاسة وحدانية التسلط.. وهي شيء بين في أهل زماننا، هذا ليس بالقول فحسب، ولكن أيضاً بالحس والمشاهدة.. هذا الموقف من الحاكم (المنصور) هو الذي ألّب السلطة وجر عليه النقمة والنفي والإبعاد، كما تسبب في إحراق كتبه.. ولولا النسخة العبرية من كتاباته لضاع فكر هذا الفيلسوف الفذ.

- فلسفة ابن رشد:

تتجلى أهمية الفلسفة الرشدية -على الرغم من ولادتها منذ ثمانية قرون- إلا أنها ما تزال تحتفظ براهينيتها لواقعنا المتشتمت المتشردم، الذي يعيش المحن والمصائب النابعة من نظرات ضيقة الأفق يتحول واقعا بفعلها، إلى قبائل هائمة متحاربة ومتغازية، وإلى طوائف متناحرة تستقوي بالآخر الخارجي ضد بعضها بعضاً، أو إلى كيانات متنافرة وزائلة.

والفلسفة الرشدية بعقلانيتها وموضوعية صاحبها تعيدنا إلى جادة الصواب، فابن رشد بمواقفه وفلسفته التي جعلت منه، رجل علم يقتدى به، ورجل قضاء يجتدى، على عكس رجال الدين، وقتئذ، المدعنين لرغبة السلطان والذين اتخذوا من الدين وليجة لمطامعهم واصفاً شنيع أعمالهم، وسوء فتاواهم بقوله:

أهل الرياء لبستموا ناموسكم

كالذئب أدلج في الظلام العاتم

فملكتم الدنيا بمذهب مالك

وقسمتموا الأموال بابن قاسم

كما يعتبر ابن رشد من أكثر الفلاسفة انتصاراً للنساء وإشادة بقدراتهن: (إنهن والرجال من نوع واحد في الغاية الإنسانية.. وإنهن بالضرورة يشتركن وإياهم في الأفعال، وإن اختلفن عنهم بعض الاختلاف).

- أما ثالث الفلسفة الرشدية فيتأسس على:

- وحدة العقل الإنساني: وهذه المقولة تؤسس لحوار الحضارات لأنه أفتى بأخذ علوم الأوائل بغض النظر عن معتقداتهم، لأن الحكمة (ضالة المؤمن) ينشدها أينما كانت وهذا القول يجعل من ابن رشد رائد دعاة الوحدة الإنسانية، ويؤهله لأسبقية الدعوة — (تثاقف الحضارات) لا صراعها، لأن الحضارة الإنسانية ملك للبشرية جمعاء، وليست حكراً على أمة أو شعب من الشعوب.

- وحدة الحقيقة: ويؤيدها قوله (إن الحق لا يُضاد الحق، بل يوافقه ويشهد له)، ولأن الشريعة (الدين) حق والفلسفة حق لأن: (الحكمة هي صاحبة الشريعة وأختها الرضيعة)، وفي حال اختلاف ظاهر الشريعة مع الفلسفة فبنظره يُلجأ إلى التأويل: (كل ما أدى إليه البرهان وخالفه ظاهر الشرع.. فإن الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي).

- حرية الإرادة الإنسانية: أنقذ ابن رشد المسلمين من المقولة الجبرية: (الإنسان مسير لا مخير)، هذه المقولة أغضبت الإرادة وثلت الفكر، وأسلمت الإنسان إلى حالي التواكل واللامبالاة. أما ابن رشد فيرى (أن إرادة الإنسان لا تتعارض مع إرادة الخالق وفعله المطلق)، ويرد على الجبرية بقوله: (تقتضي.. المسؤولية والجزاء والثواب والعقاب يتطلب أن يكون الإنسان يفعل بحرية واختيار.. غير أن قوماً رأوا أن ذلك يتعارض مع القول بإرادة الله المطلقة.. ولذلك سلبوا الإنسان الحرية والإرادة وهم مجبرة).

- توما الأكويني حجة لاهوتية وموسوعة فلسفية:

يعتبر (الأكويني) الداعية الأساس لترسيخ السلطة البابوية بعد أن تحطت الكاثوليكية مرحلة (الدفاع) مروراً بمرحلة (الإصلاح)، وانتهاءً بالمرحلة (الهجومية) التي مثلها (الأكويني) فيما عرف بنظام (إمرة الأمراء) على غرار التسمية التي أطلقها (الماوردي) في كتابه (الأحكام السلطانية)، إلا أن هذه التسمية تعني في الغرب تولي (البابا) السلطتين السياسية (الزمانية) والسلطة الروحية، ويستتبع هذه المقولة خضوع الشعب المسيحي لسيادة البابا، كما (يخضعون لسيدنا المسيح ذاته) حسب قول (الأكويني).

سيرة الأكويني العلمية: ولد الأكويني عام (١٢٢٥م) في قصر (روكاسيكا) - الصخرة اليابسة في مدينة (أكوينو) الواقعة بين (روما و نابولي)، وينحدر من أسرة نبيلة وأرستقراطية أنجبت الكثير من الحكام والقادة العسكريين، بما فيهم والده الذي حكم مدينة (أكوينو) في عهد (فردريك الثاني) ملك صقلية.

درس اللاهوت على يد الرهبان (البندكتيين) في دير مدينة كاسنو، كما تابع تعليمه اللاهوتي والفلسفي في (نابولي) على الرهبان (الدومنيكان)، غادر بعدها إلى (باريس) و(كولونيا) في ألمانيا - بروسيا آنذاك - ثم قفل إلى (باريس) لمتابعة الدرس والتدريس إلى أن نال لقب (أستاذ) في اللاهوت عام 1256م، وفي عام ١٢٥٩م غادر (باريس) إلى روما وأسندت له مهمة التدريس في البلاط البابوي، وتعرف على شخصية العصر وقتذاك، (البرتوس) الذي كان حجة علمية ومرجعاً لاهوتياً وفلسفياً، كما تعرف على المترجم (غليوم موريكيا)

الذي ترجم لأرسطو، وعندما تفتشت الفلسفة (الرشدية) في معظم الجامعات الأوروبية وعلا شأن اللاهوتيين (أتباع القديس أوغسطين) أوكّل البابا مهمة التصدي (للرشديين واللاهوتيين) على حد سواء إلى (الالبرتوس)، إلا أن الأخير أوكّل المهمة إلى (توما الأكويني) الذي قام بالمهمة خير قيام من خلال كتابيه (الخلاصة اللاهوتية) و(الخلاصة ضد الأمم) كما مرّ سابقاً، وبعد مشادات وخصومات جدالية فكرية نجح (الأكويني) في التقليل من شأن (الأوغسطينيين) كما استطاع الحصول على أمر كنسي في تحريم دراسة وتدريس الفلسفة الرشدية بدءاً من عام ١٢٦٠م، ومع نجاح (الأكويني) في تحريم (الرشدية) إلا أنه ساهم من حيث لا يدري في تأخر أوروبا للوصول إلى عصر (التنوير) مدة تصل إلى أكثر من (٥٠٠) عام، ومع ذلك يعتبر (الأكويني) قامة فلسفية هامة في الفكر الأوروبي، وشخصية روحية بلغت مرحلة التقديس (التطويب) لما قدمه للكنيسة الكاثوليكية من سند حجاجي هي في أمس الحاجة إليه، آنذاك..

وآخر القول: إن ما يجب الاقتداء به من مواقف (ابن رشد) هو عدم الانجرار وراء الدعوات الظلامية التكفيرية، والتخندق وراء المذاهبات التي تفرق ولا تجمع، وتشرذم المواقف، من خلال دعاواها الضيقة التي تتمترس وراء مقولات ضيقة الأفق تهدد وحدتنا الوطنية، وتصرف جهودنا عن العدو الرئيس الكيان الصهيوني الغاصب، كما أن معارضة أنظمة الحكم يجب أن تنطلق من الحرص على مصلحة الوطن والأمة دونما الارتواء بأحضان الخارج الذي ينظر لمصالحه ليس إلا، كما أن التمرس وراء التقسيمات البائدة (العشائرية والإقليمية والطائفية) تعيدنا إلى عصر الخرافة في الوقت الذي تحقق فيه شعوب وأمم المعمورة الوصول إلى مجتمع المعرفة مع أن ظروفها الاجتماعية والاقتصادية مثل ظروفنا لا بل أسوأ منها، ومع ذلك حققت نتيجة وحدتها الوطنية أرقى المستويات المعرفية مثل (الهند والبرازيل) وقبلهما (النمور الآسيوية) فهل من صحوة ولو طال زمن انتظارها وتحققها^{٤٩٦}!!؟

- مراجع البحث:

- ١- توما الأكويني - دراسة ط١ - ميخائيل ضومط - المطبعة الكاثوليكية - بيروت ١٩٥٦م.
- ٢- فصل المقال - في تقرير ما بين الشريعة والحكمة من الاتصال - ابن رشد - تقديم وتحليل - محمد عابد الجابري - ط١ - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٧م.
- ٣- المصدر الأول ص: ١٦ وما بعد.
- ٤- ابن رشد، سيرة وفكر، دراسة ط١ - د. محمد عابد الجابري - مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت ١٩٩٨م.
- ٥- فلاسفة من الشرق والغرب، دراسة - ط١ - مصطفى غالب - منشورات حمد - بيروت - ١٩٦٨م.
- ٦- المصدر الثاني - ص: ٦٢ وما بعدها.
- ٧- مجلة كتابات معاصرة - ٧٢٤ - ١٨٨ (نيسان - أيار) - بيروت ٢٠٠٩م.
- ٨- المصدر الرابع - من ص: ٦٤ - ٧١.
- ٩- تاريخ الفكر الاندلسي - دراسة ط١ - أنغل بالثيا - ت: حسين مؤنس - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ١٩٥٥م.
- ١٠- تاريخ الافكار السياسية - دراسة: جان توشار - ت: ناجي الدراوشة - م: علي الخنيس - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٤م.
- ١١- المصدر الأول ص: ٢٠ - ٤٠.
- ١٢- المصدر السابق ص: ٦٥ وما بعد.

٤٩٦- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، العدد ٥٨٨، السنة ٥١، شوال ١٤٣٣هـ/ أيلول ٢٠١٢م، ابن رشد بين الغزالي والأكويني، محمد جدوع، ص ٦٥ - ٧١، (بتصرف).

معركة بواتيه

على الرغم من مرور /١٢٨٠/ سنة على معركة "بواتيه" التي حدثت بين العرب وأوروبا في جبال "البيرينيه" عام ٧٣٢م، فإن الكتابات والدراسات والأبحاث مازالت تقوم بتحليلها ودراسة نتائجها وآفاقها المستقبلية فيما لو نجحت، ويعتبرها المؤرخون الأوروبيون معركة فاصلة في التاريخ الأوروبي، فيذكر المؤرخ "إدوارجيون": (أن العرب لو تحقق لهم الانتصار في تلك المعركة لانتشرت الحضارة والفنون والعلوم في باريس ولندن). ويذكر كتاب "العرب عنصر السيادة في القرون الوسطى" لمولفه "جون دوانبوزت" عن هذه المعركة: (إن معركة بواتيه، التي نشبت بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مارتل في وسط فرنسا، وانتهت بتقهقر العرب، كانت أعظم عامل في تقلص ظل الحضارة العربية عن الغرب، ولو انتصر العرب في هذه الموقعة الكبرى لكانت أوروبا اليوم عبارة عن مقاطعة عربية إسلامية من دون شك).

والحديث عن هذه المعركة عربياً، مازال يبعث في النفوس ذكرى ساحرة مؤلمة لأن أجدادنا حاولوا فتح أوروبا ولم يوفقوا وارتدوا خاسرين، لأسباب عديدة، وقبل الحديث عن الظروف والأسباب التي أحاطت بتلك المعركة وأدت إلى هذه الخسارة الحاسمة والقاسية والمفصلية في التاريخ العربي والأوروبي، لابد من التوقف عند سيرة قائد هذه المعركة ونعني عبد الرحمن الغافقي.

لا تتحدث كتب التاريخ العربي كثيراً عن سيرة الغافقي الأولى، وما نعرفه أنه كان من كبار التابعين الذين دخلوا بلاد الأندلس، ثم نراه بعد ذلك من كبار اليمانية، وكبار الجند، ونراه في سنة /102/ هجرية، على أثر موقعة "تولوشار" ومقتل القائد "السمح بن مالك" يتولى قيادة الجيش العربي وإمارة الأندلس لعدة أشهر، ثم لا نسمع عنه شيئاً بعد ذلك، حتى يتولى إمارة الأندلس للمرة الثانية، بتكليف من خليفة المسلمين في دمشق سنة /103/ هجرية، ومما عرف عنه أنه كان جندياً عظيماً ظهرت مواهبه وقدراته الحربية والقيادية في كثير من المعارك التي خاض غمارها، وكان حاكماً قديراً بارعاً في شؤون الحكم والإدارة، ومصلحاً مستنيراً مما جعل من رصد سيرته يعتبره أعظم ولاية الأندلس وأقدرهم جميعاً..

في تفاصيل معركة "بواتيه" تقول المصادر التاريخية: في مطلع عام /732م/ سار القائد عبد الرحمن الغافقي إلى الشمال مخترقاً موقع "آراغون" أو ما يسمى "الثغر الأعلى أونافار"، ودخل فرنسا في ربيع هذه السنة، واستولى على مدينة "أرل" لتخلفها عن أداء الجزية، بعد معركة عنيفة نشبت على ضفاف نهر الرون، ثم سار غرباً وانتفض العرب على ولاية "أكونين" والتقى الفريقان على ضفاف نهر "الدوردون" فهزم الدوق "أودو" هزيمة فادحة، ووصل الغافقي إلى عاصمته "بورديو" واستولى عليها بعد حصار قصير، وفر الدوق إلى الشمال وسقطت ولاية "أكونين" كلها في يد العرب المسلمين، ثم ارتد الغافقي ليخترق الجيش العربي مجموعة من

المدن والبلدات، ووصل جيشه حتى مدينة "سانس" التي تبعد عن باريس نحو / 400 / ميل ء وارتد عبد الرحمن بعد ذلك غرباً إلى ضفاف نهر اللوار، ليتم فتح هذه المنطقة، ثم يقصد عاصمة الفرنجة، وقام بافتتاح نصف فرنسا الجنوبي في بضعة اشهر فقط، وكان ملك الفرنجة آنذاك "تيودريك الرابع" وسلطته لم تكن قوية، بينما كان "شارل مارتل" هو القائد الحقيقي، وصاحب النفوذ القوي، وعليه يقع عبء الدفاع عن ملكه، وكان منذ استفحل خطر الفتح العربي الإسلامي، يتخذ أهفته ويحشد قواه.^{٤٩٧}



٤٩٧- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة السورية، دمشق، العدد ٥٨٨، السنة ٥١، شوال ١٤٣٣ هـ/ أيلول ٢٠١٢ م، معركة بواتييه، رئيس التحرير، ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

التحليق في أفريقيا

إلى الجنوب من الصحراء الكبرى تقع أراض مترامية الأطراف شاسعة المدى، متعددة اللغات متنوعة الثقافات، إنها القارة الإفريقية في معظمها، يخالها المرء بقعة جغرافية منعزلة بتضاريسها وتاريخها عن ثقافة العرب وحضارتهم. والواقع أن صلة العرب ببعض المناطق الواقعة في تلك البقاع البعيدة كانت وثيقة وسبقت الإسلام بعدة قرون، كما هو الحال خاصة مع الجزء الشرقي من القارة الإفريقية.

فبعض الشعراء العرب في فترة ما قبل الإسلام كانوا من أصول إفريقية، غالباً أثيوبية، ولعل أشهرهم عنتر بن شداد ونسيب بن رباح، وقد لقبوا بأغربة العرب (جمع غراب) لسواد لوهم.

وبفضل دخول الإسلام إلى بعض المناطق الواقعة جنوب الصحراء إلى الغرب من القارة الإفريقية، ما لبثت اللغة العربية، وعبرها ثقافة أهلها، أن دخلت تلك المناطق البعيدة. وسرعان ما تزايد عدد معتنقي الدين الجديد في تلك البقاع، حتى بتنا نجد أحياء كاملة يقطنها المسلمون في النيجر التي ظهر فيها ملوك مسلمون منذ القرن الحادي عشر، لتلحق بها في القرنين الثالث عشر والرابع عشر دول وممالك تربع على عرشها قادة وملوك مسلمون، كما هو الحال في مالي والسنغال، وفي نيجيريا في القرن الخامس عشر.

كان اغلب المسلمين في تلك المناطق، وحتى مطلع القرن التاسع عشر، من التجار الأغنياء أو من أصحاب السلطة والنفوذ، بينما حافظ الفلاحون والرعاة والصيادون على ما كانوا عليه من أديان ومعتقدات، الأمر الذي جعلهم أقل تأثراً بلغة العرب وثقافتهم، فحافظوا على لغاتهم ومورثاتهم الثقافية الخاصة.

ولأن الشعوب تتمايز بأخلاقها وثقافتها، لم يكن لكل شعوب تلك البلاد ردة الفعل نفسها إزاء الدعوة لاعتناق الإسلام. فبينما اعتنق بعضها الإسلام حباً وطواعية، أبدى بعضها الآخر مقاومة شديدة للعقيدة الجديدة. كذلك تفاوت تأثير لغة التنزيل في اللغات الإفريقية، فبعض شعوب القارة السوداء حافظت على لغتها رغم اعتناقها الإسلام، بينما تحولت شعوب أخرى إلى العربية مع تحولها إلى دين محمد (عليه الصلاة والسلام)، وهكذا تعددت الألوان الثقافية في بلدان مثل النيجر والسنغال ورواندا والملوي، والحديث عن كل منها يعني ولوج عوالم مختلفة وحقائق متباينة. ومع ذلك، فالقاسم المشترك الذي يجمعها هو تأثرها، وإن بدرجات متباينة، باللغة والثقافة العربية.

إن وجود اللغة العربية في دول إفريقيا الواقعة جنوب الصحراء الكبرى لا تخطئه العين المجردة، ولا أدل عليه من التراث المكتوب والشفوي، ومن الأحرف العربية المستخدمة في اللغات الإفريقية. وكفيينا أن نعلم انه أحدثت في القرن الخامس عشر مراكز لتعليم اللغة العربية في تمبكتو على الأخص. وفي القرن الذي تلاه، كان هناك أكثر من مئة وثمانين مدرسة قرآنية معظمها في شمال نيجيريا، بحسب المؤرخين والباحثين اللغويين

العرب أو المستعربين.

ويروي رحالة القرن السادس عشر البرتغاليون أن ملوك السنغال كانوا يحيطون أنفسهم بالعرب ممن يعرف القراءة والكتابة ليكتبوا لهم التعويذات والتمايم ومختلف الوثائق.

وفي شمال ما يسمى اليوم بغانا، جاء من مالي ومن شمال نيجيريا تجار مسلمون ورجال دين ومتعلمون ينطقون بالعربية، واستقروا منذ بداية القرن الثامن عشر في المملكة وخاصة في عاصمتها (كومازي)، وأصبحوا من المقربين من بلاط الملك ومن ذوي الحظوة لديه. وسرعان ما نشأت طبقة من المثقفين المحليين الذين تعلموا اللغة العربية على يد هؤلاء، ثم ما لبثوا أن بدؤوا الكتابة بها.. وهكذا وصلتنا مجموعة من المخطوطات العربية كتبت في السودان وتنزانيا وتشاد والنيجر ومالي والسنغال وغانا والكاميرون وغيرها من بلدان أفريقيا البعيدة.. ومن تلك الكتابات التي وصلتنا مخطوط لقصيدة للشاعر السنغالي الشيخ أحمد بما فطلعها:

وجهت وجهي لمن تكريمه بانا في شهر مولد من في البحر ربانا
لله شكري في شهر الربيع هنا على ابتداء الذي لي اختيار قربانا
قد أقبل الخير ممن لا شريك له في الملك والحمد إسراً وإعلانا

ويمكن تصنيف هذه المخطوطات العربية، التي ظهرت في كل أرجاء أفريقيا السوداء، في فئات عدة، يتألف معظمها من نصوص دينية وشرعية، فضلاً عن مؤلفات في التاريخ، من أشهرها تاريخ مدن تقع شمال النيجر وتعود إلى القرن السادس عشر.

وهناك مؤلفات ابن المختار الذي عاش في القرن السابع عشر، وأخرى تعود للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر تناولت تاريخ مدن تقع شمال الكاميرون، وأشهرها على الإطلاق (زهور البساتين في تاريخ السوادين) للمؤرخ السنغالي شيخ موسى كمارا الذي عاش بين عامي ١٨٦٤ و ١٩٤٥م، وله عشرات المؤلفات باللغة العربية، وهو يروي في زهوره تاريخ دول عدة قامت في نيجيريا والسنغال وموريتانيا منذ القرن السابع عشر، يعود هذا المؤلف لعام ١٩٢٠م، وهو إن دل على شيء فإنما يدل على استمرار حضور اللغة العربية القوي في القارة السوداء.

الشعراء الصوماليون والنيجيريون في القرنين التاسع عشر والعشرين نظموا الشعر بكافة موضوعاته الدينية أو الدنيوية وبالعربية الفصحى أو العامية، كما هو حال الشاعر الصومالي سيد فحمد عبد الحسن، والشاعر النيجيري ذائع الصيت في السنغال شيخ أحمد بمباكي. كما نجد مكتوباً بالعربية أنواعاً أدبية أخرى كسير العظماء، ودساتير الأدوية، وبحوث في الفلك والنحو، وكتب في السحر.. أما استعمال العربية في المراسلات فكان شائعاً جداً ومقتصراً على المراسلات الشخصية. وفي أفريقيا الغربية هناك دلائل كثيرة على استخدام

اللغة العربية في المراسلات والمعاملات التجارية، لا بل وفي بعض المحاكم المحلية في شمال الكاميرون وغامبيا ونيجيريا..

وتدل الوثائق والرسائل المكتشفة أن لغات محلية في أفريقيا الغربية كلغة (المندينكا) استعانت بالأبجدية العربية في كتابة محاضر جلسات المحاكم، بينما فضلت لغات أفريقيا الشرقية استخدام السواحيلي في المنطقة الممتدة من ساحل تنزانيا حتى أقاليم الكونغو الشرقية.

عندما حلقت اللغة العربية بأجنحتها في سماء القارة الإفريقية من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها، زاوجت بين الثقافتين الإفريقية من جهة، والعربية الإسلامية من جهة أخرى، الأمر الذي انعكس في كثرة ما اقتضت اللغات الإفريقية من ألفاظ عربية. إذ تقدر نسبة المفردات العربية في اللغة السواحيلية 40% من مجمل ألفاظها.

بحوث كثيرة أجريت في مؤسسات جامعية عريقة في العالم فرنسية وبلجيكية وأمريكية ممن يهتم باللغات والآداب الإفريقية وأثر المثاقفة في تلك المجتمعات، فأبرزت ما لا يعرفه العرب عن أثر لغتهم في لغات وثقافات ذلك الجزء الهام من العالم.

وليس هدفنا اليوم العودة إلى دفاترنا القديمة لننبش فيها تباكياً على ماضٍ عظيم كنا فيه سادة مؤثرين. وإنما الهدف التأكيد على أن ذلك هو حال اللغات والثقافات: تجاور وتزاور وتزواج.. فكما أثرت العربية بغيرها، تأثرت واغتنت وواكبت احتياجات الناطقين بها.. وهذا تحديداً ما يجعلها لغة حية على مرّ العصور.^{٤٩٨}



٤٩٨- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٨٩، السنة ٥١، ذو القعدة ١٤٣٣هـ/تشرين الأول ٢٠١٢م، التخليق في أفريقيا، أ.الدكتورة لبانة مشوح وزيرة الثقافة، ص ٦-٣، (بتصرف).

المحكيات الرقمية العربية

في الفضاء الكوني واللغة العربية

ليس من الغريب أو العجيب أن الناس في هذه الأيام باتوا يفكرون بعيونهم وأحياناً بأذانهم فقط فهم يشاهدون التلفاز أضعاف ما يقرؤون، فالعصر الذي هم فيه عصر المشاهدة بعد أن كان عصر القراءة والكتابة وقبلهما كان عصر المسموع والمروي والغريب والعجيب الآن هذا التحول السريع والكبير من عصر المشاهدة إلى عصر الرقمنة التي دخلت عالمنا اليوم وتحول الناس من المعرفة التناظرية إلى المعرفة الرقمنة في النصوص والصوت والصورة عبر الأجهزة الالكترونية الحديثة والمناسبة لشتى أنواع الاستخدام، وفعالاً بدأنا نعيش العولمة وبدأنا نرتبط بمنظومة واحدة فيها كل تفرعات الحياة من منظومات مالية وإعلامية واتصالية وأخيراً معلوماتية والتي تجسدها شبكة الإنترنت.

وإذا رحنا نتساءل أمام الواقع الجديد: ما واقع اللغة العربية في العصر الرقمي؟

وهل لها دور على الخريطة المعرفية؟

وما التحديات التي تواجهها؟

وهل تملك إمكانات التحول الرقمي في الفضاء الكوني؟

في رأي مديرة برنامج ذاكرة العالم في منظمة اليونسكو أن نصف لغات العالم ستختفي عام ٢٠٥٠م كما تشير التوقعات، وأن الكثير من اللغات يواجه خطر الانحسار، غير أن الدراسة أثبتت أيضاً أن أكثر اللغات بعد اللغة الانكليزية التي تتداول على شبكات التواصل الاجتماعي (الفيس بوك) هي اللغة الإسبانية والبرتغالية والعربية، بينما يشك كثيرون في إمكانية اللغة العربية أن تصبح لغة العلم وتكون لغة شاملة لكل العلوم والفنون والآداب فيما سمي بعصر الرقمنة، ويستندون في تشاؤهم على أن حصة الإنتاج الفكري باللغة العربية المتاح على الإنترنت لا يتجاوز ١% وهذا مرده إلى الفجوة المعجمية، وإلى عدم وجود محركات بحث عربي ذكية يتعامل معها المستخدم للغة العربية بشكل علمي بما يتوافق مع خصائص اللغة العربية، وأدت هذه الفجوة الرقمية إلى الغزو المعلوماتي الذي يقوم به الغرب والصهيونية والماسونية والشيوعية والدول الطائفية بإغراق مواقع الإنترنت بمواد وبرامج باللغة العربية تزيد من تغرب ثقافتنا وقيمنا وتزيد في الهوة المعرفية بين العربية وعصر الرقمنة.

مما لاشك فيه أن اللغة العربية وهي تواجه هذا العصر لابد لها بداية من جهود مجتمعة من العلماء والسياسيين تشمل وضع استراتيجيات متعددة لمواجهة عصر المعرفة المعلوماتية وأولها عمل معجم المعلوماتية، والتغلب على ظواهر الترادف والتضاد والاشتراك والاشتقاق، والترجمة الآلية التي هي من أهم المشكلات، وربط اللغة العربية باللغات الأخرى حتى تستطيع اللحاق بتقنية الشبكة الدلالية، وما تتطلبه من نظم ذكية

لمعالجة اللغة العربية آلياً، فضلاً عن التوجه لإيجاد محركات بحث عربية على الانترنت، وأهمية وجود مواقع متميزة باللغة العربية لخدمة المجتمع.

ونحن نقول ذلك انطلاقاً من أن لغتنا العربية قد صمدت أكثر من سبعة عشر قرناً وهذا دليل على أصالتها ومرونتها، بل إن ابن جني فقيه اللغة العربية وجني خصائصها يرى أن اللغة هي الإنسان، وهي الوطن، وهي الأصل، وهي نتيجة التفكير، وهي ما يميز الإنسان من الحيوان، وهي ثمرة العقل، وهي تستخدم للتفاهم والتعبير عن المشاعر والأفكار، كما شهد علماء اللغة والألسنيات في الغرب بهذه اللغة، فقد أشار أرنست رينان إلى أن اللغة العربية فاقت اللغات الأخرى، بكثرة مفرداتها، ودقة معانيها، وحسن نظام مبانيها، كما يذكر الأمريكي وليم درل بأن اللغة العربية من اللين، والمرونة، ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر.

ومن ثم ألم تكن العربية اللغة العالمية الأولى في عصر ازدهار الحضارة العربية الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري؟

إن ما تعانيه العربية اليوم يرجع إلى عجز أهلها وتقاعسهم، وهي مؤهلة أكثر من غيرها، ليس فقط لتلبية مطالب مجتمع المعرفة، بل أيضاً لتقوم بدور طليعي في المعرفة اللغوية على المستوى الإنساني لما تتمتع به منظومتها النحوية والصرفية والمعجمية من خصائص ومميزات قلما توجد في لغة أخرى.

ما يلزم العربية اليوم لكي تواجه هذا العصر، عصر المعرفة الرقمية، وجود بني تحتية قوية للمنظومات المعلوماتية العربية لتواجه التدفق المعلوماتي بتدفق عربي حتى تعبر الفجوة الرقمية بحيث نصبح منتجين للمعرفة وليس مستهلكين لها في عصر اقتصاد المعرفة.

وتشير الدراسات أن الصفحات العربية على الإنترنت لا تتجاوز ١% من إجمالي عدد الصفحات على الانترنت أي ما يعادل صفحة واحدة لكل مئة صفحة، وهذا يدل على تدني إنتاجية صناعة المحتوى العربي على الرغم من أن الناطقين بالعربية في الوطن العربي فقط يشكلون حوالي ٦,٦% من سكان العالم، بينما بلغ عدد مستخدمي اللغة العربية على الإنترنت عام ٢٠٠٩ أكثر من ٤٩ مليون مستخدم يمثلون حوالي ١٧% من مجمل تعداد الناطقين بها في العالم، وإذا أضفنا لهم بأن عدد العرب والمسلمين في العالم حوالي ٢,٥ مليار نسمة، وجلّهم يتكلم اللغة العربية الفصحى، ومن المعروف أن عدد سكان العالم حوالي ٧,٨ مليار نسمة عام ٢٠٢٠، فيكون عدد المتكلمين باللغة العربية في العالم كله حوالي ٣٢%، ولذلك تكون اللغة العربية هي اللغة العالمية الأولى الأكثر انتشاراً في الأرض..

إن دخول عصر المعلوماتية يتطلب إقامة مشروعات علمية بحثية تقنية عملاقة في الجامعات ومراكز البحوث

العلمية حول ما يعرف اليوم بهندسة اللغة أو الهندسة اللسانية، وهذا أول الركائز الأساسية لتهيئة اللغة العربية لدخول مجال الذكاء الاصطناعي واللجوء إلى حركة واسعة من الترجمة والتعريب يكون أساسها وضع المصطلحات العلمية والتقنية لمعجم عربي حديث يتوافق مع مجتمع المعرفة.

ولابدّ من الإشارة إلى أن موقع الوراق في دولة الإمارات وهو أحد أبرز وأهم مواقع التبادل الثقافي العربي يشكل نواة مهمة لكتبة عربية رقمية شاملة حيث تم رقمنة أكثر من ٦٠٠ كتاب إلى الآن، كما أنشأت دولة الإمارات العربية مدينة عالمية للانترنت، وكذلك فإن جهود مركز جمعة الماجد بدولة الإمارات العربية في رقمنة المخطوطات العربية يعد من المشاريع الرائدة في المنطقة، كما أن هناك مشاريع في الدول العربية لا يتسع الحديث لذكرها ومن شأن هذه المشاريع زيادة الرصيد العربي الرقمي، وبالتالي خدمة مشاريع التنمية والتطوير للمحتوى الرقمي العربي المتردي.

وقد قدمت اللغة العربية حلولاً لهذا التطور يكمن في المصدر الصناعي وهو اللفظ الدال على الحدث مجرداً عن الزمان وهو قياسي ويطلق على كل لفظ جامد أو مشتق، اسم أو غير اسم زيد في آخره حرفان هما ياء مشددة بعدها تاء تأنيث مربوطة ليصير بعدها اسماً دالاً على معنى مجرد لم يكن يدل عليه قبل الزيادة فهو يدل على صفة في اللفظ الذي صنع منه أو على ما فيه من خصائص، وقد ورد عن العرب مصادر صناعية عديدة مثل: الجاهلية، الأريحية، الفروسية، العبقرية، الوحدانية، وغيرها..

وقد أكثر المولدون من هذه المصادر بعد ترجمة العلوم بالعربية وقرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة قياسية صوغ هذا المصدر، لسد حاجة العلوم والصناعات إلى ألفاظ جديدة تعبر عن معانٍ جديدة مثل: الإنتاجية في الاقتصاد بمعنى العائد من سلعة أو من خدمة، والاتفاقية مصدر الاتفاق وهو ما تمت الموافقة عليه، ومنه الاشتراكية من المصدر اشتراك وتعني المذهب السياسي والاقتصادي القائم على سيطرة الدولة، ومنه التقدمية من المصدر التقدم وتعني المذهب السياسي والاقتصادي الذي يقوم على الحداثة، ومنه الرأسمالية من الاسم الرأسمال وتعني النظام الاقتصادي الذي يقوم على الملكية الخاصة، ومنه الشخصية والإباحية، والعقلية والخاصية والإحصائية والمنهجية والقابلية.

كما استخدم المصدر الصناعي في المصطلحات العلمية مثل: الحمضية والسمية والقلوية أو كاستخدامه في المقادير مثل: المطيافية، والمعلوماتية، والتأثيرية، والاستقطابية، والبرمجية، والحاسوبية وغيرها.. ومن المصادر الصناعية الشائعة: الحرية، الوطنية، الأهمية، الهوية، الأنانية، الغيرية الصوفية، الرومانسية، الواقعية، السريانية..

لقد وضع العلماء العرب عشرات الآلاف من المصطلحات العلمية والتقنية والهندسية والطبية والمعلوماتية والصناعية والإدارية والحاسوبية والزراعية والفضائية والكونية والفيزيائية والكيميائية

والرياضية والمستقبلية والاستراتيجية والإبداعية...، وصنعوا عشرات المعجمات بجهودهم الفردية والجماعية، ولم تكن هناك أية شكوى من أن اللغة العربية حالت يوماً من دون وضع أي مصطلح من المصطلحات العلمية والتقنية..

كما نجح علماءنا الأوائل في ترجمة ما لدى الأمم الأخرى، وأشاعوا المناخ الملائم للبحث العلمي، وتمكنوا من الانتقال من استيعاب العلوم وتمثلها إلى تأصيلها والإبداع فيها، وقدموا للأمم الأخرى حضارة أفادت من سابقاتها وشرعت تخدم الحضارات التي واكبتها وتلك التي جاءت بعدها، فهل سننصر من جديد قيام علمائنا في إشاعة هذا المناخ لتواكب اللغة العربية مثيرتها من اللغات الحية في عصر الرقمنة والمعرفة الرقمية؟^{٤٩٩}



٤٩٩- مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٩٣، السنة ٥١، ربيع الأول ١٤٣٤هـ/ شباط ٢٠١٣م، المحكيات الرقمية العربية في الفضاء الكوني واللغة العربية، د.محمد فاتح زغل، ص ١٩٣- ١٩٧، (بتصرف وتعديل).

اللغة العربية والتحديات الراهنة

اللغة والإعلام

إن ميراثنا الحضاري العلمي التقني الفلسفي العقائدي الثقافي الإبداعي حفظته اللغة العربية الفصحى العظيمة، التي باركها الله سبحانه وتعالى وجعلها لغة قرآنه الكريم، فأتى على ذكرها في إحدى عشرة سورة وآية.

ما قيمة هذه الحضارة وهذا الميراث العظيم من غير اللغة العربية التي أمست وغدت وأصبحت، كانت وما زالت واحدة من أعظم اللغات الحية المعاصرة التي يتكلم بها حوالي ٢,٥ مليار من العرب والمسلمين في العالم من أصل ٧,٨ مليار عدد سكان العالم عام ٢٠٢٠، وهي أكثر اللغات العالمية حيوية وانتشاراً بنسبة تصل إلى ٣٢%، بينما اللغة الإنكليزية تأتي في المرتبة الثانية بنسبة انتشار ٢٥%..

هذه اللغة هي الحامل القوي المتين للثقافة العربية الإسلامية الإنسانية، ولهذا فهي الركن الأساس في هويتنا لا بل هي هويتنا، هي الذاكرة الحية الأبدية المستمرة التي تحمل وتحمي هذه الثقافة.

في يوم اللغة العربية كتب الدكتور محمود السيد رئيس لجنة تمكين اللغة العربية، يقول: "لغتنا الأم، العربية الفصيحة هي هوتنا وذاكرة أمتنا، وجسرها للعبور من الماضي إلى الحاضر، ومن الحاضر إلى المستقبل، ذلك لأن اللغة والهوية وجهان لعملة واحدة إذ ليس الإنسان في جوهره إلا لغة وهوية، اللغة فكره ولسانه وفي الوقت نفسه انتماؤه".^(١)

منذ استخراب الحروب الصليبية وكوارث المغول والتتار وفوضى وإجرام الدول الإرهابية الكارثية الرأسمالية الشيوعية ومرترقتهم من جميع الأنجاس والجنسيات..، والأمة العربية تواجه التحديات العسكرية والاقتصادية والحضارية والتقنية والصناعية.. وأهمها التحديات الثقافية، والهجوم على الأمة العربية، قديماً وحديثاً، من أهدافه القضاء على الثقافة العربية والهجوم على اللغة العربية، جزء من هذه التحديات، وهذه الحروب، والهجوم هذا قضية قديمة ومستمرة، وهذه الحملات المسعورة تمت وتتم تحت مسميات وعناوين كثيرة، تارة أن اللغة العربية قديمة، وأن اللغة العربية لا تلبي حاجات العصر، وتارة يجب تغيير الأبجدية العربية واستبدالها بحروف لاتينية، كي تجاري بقية أبجديات الأم الأخرى، وتارة أن اللغة العربية صعبة لأنها مقيدة بالنحو والصرف، إلى آخر الدعاوى المغرضة التي ترمي إلى تقويض اللغة العربية وتشويهها، لأن أعداء الأمة العربية يدركون أن القضاء على الثقافة العربية يبدأ بتقويض اللغة حامل هذه الثقافة.

يذكر المهتمون بالشأن العام السياسي والثقافي منه، أنه حين طرح الغرب الفوضوي الاستخراي الإرهابي الإمبريالي مشروع (الشرق الأوسط الجديد، وبعده الكبير)، تم إعداد أكثر من ستمئة دراسة بين عامي

٢٠٠٢ و ٢٠٠٣، انتهت هذه الدراسات الإرهابية الغربية إلى خلاصة أن الغرب يواجه صعوبة كبيرة في استيعاب حضارات وأديان اللغة العربية، ولقد جاء في هذا المشروع: "بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، لم يتمكن الغرب من التعرف على شعور الإرهابيين الحقيقي أو الدوافع الكامنة وراء ارتكابها لهذه الأحداث بينما يتقن العرب اللغات الإنكليزية والفرنسية وتحدثونها كما يتحدثها الناطقون الأصليون بها".

ولذلك يستهدف المشروع اللغة العربية، ويخطط لإلغاء المناهج القائمة حالياً، التي تعتمد على دراسة قواعد اللغة والصور الجمالية وإبداعاتها "في إطار حركات الإصلاح والسعي نحو تطبيق الحرية والديمقراطية". وتضيف الدراسات الغربية الاجرامية: "إن الهدف من هذا المشروع تشويه اللغة العربية من أشكالها التقليدية التي ظلت قائمة كما هي منذ آلاف السنين، وتشويه بعض العقول العميلة لها، ويستهدف القضاء على الموروثات السلبية مثل الانتقام والعنف والإرهاب"، وهذا المشروع الفوضوي الإرهابي الغربي هو كنوع من الحرب الثقافية اللغوية النفسية ضد العرب والمسلمين ..

كما ويحدد المشروع الإرهابي الظالم، الخطوات التي يجب إتباعها للتخلص من قواعد اللغة العربية، ومن ثم فصل اللغة العربية عن ماضيها وتراثها، خاصة فصلها عن القرآن الكريم، لنزع صفة القدسية عنها، ومن ثم تغيير المعاني وذلك "لإقناع الأجيال الشابة أن العصر الحديث يتطلب التخلص من التعقيدات اللغوية التي تفرضها لغتهم العربية".

ويؤكد المشروع أن "الخطوة الأساسية في هذا التعديل تكمن في أن يوافق على تعيير شكل الكتابة، ثم تبدأ الأشكال الحالية للغة العربية في الاندثار شيئاً فشيئاً".

ويمكن تلخيص الخطوات التي وضعها علماء نفس ولغويون وسياسيون وعلماء اجتماع، وقد حسبوا حساباً لأدق التفاصيل وردود الأفعال عليها:

الخطوة الأولى: التعبير عن النص العربي أو القرآني بفكرة جديدة تؤدي المعنى ذاته.

الخطوة الثانية: التعبير عن النص أو الآية بفكرة قريبة منها.

الخطوة الثالثة: تغيير فكرة النص أو الآية من دون اصطدام مع الفكرة الأصلية.

الخطوة الرابعة: تغيير الفكرة بما يؤدي إلى التشكيك في الفكرة الأصلية.

الخطوة الخامسة: زيادة الألفاظ والعبارات في الفكرة ذاتها، وزيادة مساحة التشكيك في الأصلية.

الخطوة السادسة: القبول والإقناع بتفسيرات جديدة لهذه الفكرة، بما يؤدي إلى محو معناها الذي كان قائماً لفترات طويلة في أذهان الناس.

الخطوة السابعة: دراسة ردود الفعل حيال كل الخطوات السابقة، ومجابهة المعارضين على التغيير البطيء.

الخطوة الثامنة: تغيير الفكرة الأصلية وإحلال الفكرة الجديدة محلها بشكل نهائي.

الخطوة التاسعة: إلغاء كلمة (اليهود) من اللغة العربية، لتحل محلها كلمة (الساميون) لأن كلمة (اليهود) ارتبطت دائماً لدى العرب بأشياء بغيضة، بينما كلمة (ساميون) مقبولة جداً لدى العرب.^(٢) ونؤكد بأن مصطلح (ساميون) هو خاطئ علمياً وتاريخياً وعقلياً ومنطقياً ولغوياً وهو مصطلح يدلّ على الحقد والكره والحسد من قبل المستشرقين المزورين والمبشرين الكذابين والمستخرين الإرهابيين الغربيين للتاريخ الحضاري العظيم للشعوب العربية السورية السريانية والإسلامية، والمصطلح الصحيح هو شعوب عربية قديمة بتسميات متنوعة حسب المناطق الجغرافية التي كانت تعيش فيها..

أعتقد أن الكلام هذا، لا يحتاج إلى تعليق، فالمطلوب إذن، هو تقويض الحضارة العربية، وهذا يحتاج إلى تحطيم اللغة العربية وتشويهها، لأنها رافعة هذه الحضارة، وحاملها وحاضنتها وضمانتها.

تميز الإنسان عن سائر المخلوقات بمرتين:

الأولى: العقل، فهو كائن عاقل.

الثانية: النطق، فهو حيوان ناطق.

وبناء على هذا لولا اللغة التي نطق بها، لما عرف العقل الذي يفكر بواسطته، ولولا اللغة والعقل معاً، لما تطور الإنسان.

ولما كان التطور سمة من سمات الحياة، فإن المسؤول الأول عن هذا التطور هو الإنسان، واللغة هي العامل الأول في تطور هذا الإنسان، إذ لولا اللغة لما تطور العقل، ولأنها حاجة ماسة للعيش، للتواصل، للتفاهم، وللتفكير، فهي بالضرورة تخضع أيضاً لتطور، والتغيير والتجديد، ككل اللغات الحية في العالم، والأمثلة كثيرة، لكن هذت الحيز هنا، لا يسمع بالتفصيل.

تشير الأبحاث والدراسات الكثيرة عن تطور اللغة العربية، وهي - ككائن حي - ينمو، ويتطور، ويتجدد، فمن البديهي أن تموت كلمات وتولد كلمات جديدة غيرها، (والأمثلة كثيرة)، كما ويشير الباحثون والدارسون على تأثير البيئة والحياة الاجتماعية في اللغة، فقديمًا، كان الشاعر هو الناطق باسم قومه وقبيلته، ومن ثم هو رسول الأمير أو الملك، وهو المعبر عن الثقافة وكل الأوضاع والأحوال والحروب، باختصار كان الشاعر وزارة إعلام متنقلة والأمثلة كثيرة، وأكتفي بذكر المثال التالي في هذا السياق:

يروى أن الشاعر البدوي علي بن الجهم دخل على أحد ملوك بني العباس مادحاً وقد استهل قصيدته قائلاً:

أنت كالكلب في حفاظك للود

وكالتيس في قراع الخطوب

لم يدعه الملك أن يتابع إلقاء القصيدة وهمّ المحيطون بالخليفة للنيل منه، لكن الخليفة، أمر أن يوضع الشاعر في قصور بغداد وحدائقها، وبعد سنة جاء الشاعر بقصيدة جديدة ومطلعها:

عيون المها بين الرصافة والجسر

جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري^(٣)

وقصدت بهذا المثال الأمور التالية:

(١) بدل أن يمتعض الممدوح وهو خليفة أو ملك، أو يغضب من التشبيهين اللذين يتضمنان زارية بقدره، وفق ما يحملها العقل المتمدن للكب والئيس من نظرات تسفيل واستغناء، أمر بأن يروض في جنائن بغداد ورياضها وحدائقها، كي يصقل ذوقه، وتصقل مفهوماته وأساليبه وتعبيره.

(٢) يتضح أيضاً أن الملك أو الخليفة، كان متقدماً في فهمه وفي وعيه لذهنية الشاعر البدوي، وللمحيطين به، مع أن الخليفة فهم أن الشاعر يمدحه ولا يذمه أو يهجو.

(٣) تأثير البيئة والوسط الاجتماعي بالشاعر: (من هنا يتم اختيار اللغة، الكلمات، الألفاظ).

(٤) كيف استطاع الملك أن يروض أو يؤهل الشاعر الذي سيكون في بلاطه أو الناطق باسمه إن لزم الأمر.

(٥) تغير وتطور مفهوم (المصطلح) إن صحت التسمية، فالأمانة والود والوفاء من صفات الكب في الصحراء، كذلك عناد الئيس، لكن بعد حين تغيرت المفاهيم، وإن بقي الكب يوصف بالوفاء والأمانة، إلا أنه لم يعد مقبولاً التشبيه به.

وأعود إلى وسائل الإعلام لأقول: كانت الصحافة أولى وسائل الإعلام، ثم تبعتها الإذاعة، وكانت لغة الصحافة رصينة، سليمة من اللحن والخطأ.

وكان لا يسمح إلا للمقتدرين والذين يتقنون اللغة العربية بالكتابة، وإن وجد وهم قلة، كان المدقق اللغوي هو المسؤول عن التدقيق، وكان يحاسب إن سها، أو فوت أية غلطة، وبالمناسبة كان من يكتب في الصحافة يتهيب أن يكتب أي شيء ويتهيب القراء وملاحظاتهم وتعليقاتهم، كذلك الأمر، بعد انتشار الإذاعة، بقي المذيع ملتزماً باللغة العربية ولم يسمح لأي مذيع بالعمل إلا بعد خضوعه لاختبار دقيق باللغة العربية.

وحتى بعد ظهور التلفاز بقي الحرص على سلامة اللغة شرطاً أساسياً في قبوله وفي استمراره، لكن ويا للأسف بعد حين تم التساهل، وغض النظر حتى الاستخفاف في هذا الشرط، فدخل عالم الصحافة من دخل، كذلك دخل من دخل إلى الإذاعة والتلفاز، وقد سمح بتطعيم اللغة الفصيحة بالعامية، تأثراً بالفصائيات المجاورة والعربية الأخرى منها، ثم انتشار المسلسلات الدرامية، باللهجات المحلية، ولسبب ما تم تشجيع المسلسلات باللهجة المحلية لكل محافظة، بعد أن كانت المسلسلات كلها باللغة العربية الفصيحة، وقد أعطت نتائج جيدة ملموسة وملحوظة خاصة في وسط الأطفال.

أما بعد انتشار الفصائيات وتكاثرها، وبعد انتشار الحاسوب، والشابكة، ووسائل الاتصال الاجتماعي، واستخدام الهواتف المحمولة بشكل عشوائي، فقد بات المتابع يلحظ ما يسمى بافتقاد الأمان اللغوي (وقد

تفاهم هذا تفاهماً كبيراً، في العقد الأول من القرن الجديد، إذ استمرت الفجوة اللغوية بالاتساع بين العربية ولغة التطور الرقمي المتفجر في العالم ونستبين ذلك عندما نلمس الانحطاط العام المهيمن للغة المعلوماتية التي تمثل بالعبث باللغة إلى الدرجة التي صارت العربية تواجه معركة مفتوحة مع (جيل الديجتال) أو (لاب توب) أو المحمول الذي يقوم بانقلابات جذرية تطال الذهنية العربية بشكل خاص لينحدر مستوى المعرفة العربية إلى هاوية سحيقة تجعلنا نتساءل: بأية لغة صرنا نتكلم وبأيها نكتب.. عندما نسمع من (جيل الديجتال) عبارات مثل: (خليك أون لاين أو ما تخفف علينا الكاس أو كتر من الأوكي أو سجل لايك..)^(٤).

كذلك تحولت كلمة (رسالة) إلى (مسج)، بالإضافة إلى المديعات اللاتي يخلطن الفصحى بالعامية، وبتكرار كلمات أجنبية في أثناء حديثها أو مقابلاتها، كأن تسمع مثلاً مذيعة تقول: (حلقة اليوم عن الشوبينغ). هذا غيظ من فيض، والكل مسؤول عن ذلك.

لقد جرت انزياحات، وتحولات طرأت على الخطاب العربي عبر وسائل الإعلام، المقروءة والمسموعة والمرئية، جراء طغيان (اللغة السياسية) الموجهة عن قصد، واذكر بعض الأمثلة:

فيما مضى ولزمن قريب:

- كنا نقول ونكتب: الشعب العربي، الآن يقال: الشعوب العربية.
 - كنا نقول ونكتب: الوطن العربي، الآن يقال: العالم العربي.
 - كنا نقول ونكتب: الثورة الفلسطينية، الآن يقال: السلطة الفلسطينية.
 - كنا نقول ونكتب: تحرير كامل التراب الفلسطيني، الآن يقال: التطبيع.
 - كنا نقول ونكتب: المقاومة، الآن يقال: الإرهاب.
 - كنا نقول ونكتب: يسار ويمين، الآن يقال: صديق وعدو.
 - كنا نقول ونكتب: الإمبريالية، الآن يقال: النظام العالمي الجديد أو العولمة.
 - كنا نقول ونكتب: التأميم، الآن يقال: الخصخصة.
 - كنا نقول ونكتب: الاشتراكية، الآن يقال: اقتصاد السوق.
 - كنا نقول ونكتب: الصراع الطبقي، الآن يقال: صراع الحضارات.
 - كنا نقول ونكتب: الجماهير الكادحة، الآن يقال: المجتمع المدني.
 - كنا نقول ونكتب: الرجعية العربية، الآن يقال: ملوك وأمراء الخليج.
- وما خفي كان أعظم.

إن مهمة الإعلام هي خلق منظومة وعي للناس، تعتمد هذه المنظومة على منظومة معرفية، تسلح المتلقي بالعلم والمعرفة ليصنع هذا الوعي المناعة الحقيقية للمتلقي، ولا تجعله مخدوعاً كما يجري في هذه الأيام،

فالإعلام الغربي، إعلام خادع ومضلل، ومازال الكثيرون ينخدعون به، ويقعون تحت تأثيره. ويعرف الجميع أن سياسة (غوبلر) وزير إعلام النازية الهتلرية وشعاره كان: أكذب، أكذب، أكذب. فستجد مكن يصدق الكذبة.

ولتأثير الإعلام يحضرنى هذا المثل، ففي أثناء الحرب الأهلية المدنية الغربية (العالمية) الثانية، التي يطلق عليها السوفييت: (الحرب الوطنية العظمى)، كان هتلر يطالب برؤوس ثلاثة:

١- رأس ستالين.

٢- رأس جوكوف (رئيس أركان الجيش الأحمر).

٣- رأس المذيع يوري لفتيان، الذي كان يلقي الرعب في قلوب الألمان، وهتلر بالذات عندما كان يصرخ: هنا موسكو، ويعرض مآثر الجيش الأحمر، في سحق الجيش النازي.

وقد ضربت هذا المثل، لأذكر بدوره الإعلام الحقيقي الهادف الذي يكشف أكاذيب وأضاليل الإعلام المعادي المغرض، والإعلام السوري كان هدفاً للأعداء، فحاولوا حجبها، فما استطاعوا، قصفوا إحدى محطاته، لم يجزع أحد، فجروا التلفزيون الرسمي واختطفوا مذيعين واغتالوا آخرين، واستشهد إعلاميون، وهذا هو البرهان على أن الإعلام السوري استطاع أن يحارب ويفضح الإعلام الإرهابي المضلل.

صحيح أن ثمة ملاحظات على الأداء اللغوي، لكن الإعلام السوري بقي ثابتاً وطور نفسه، ومازال صامداً، يجلج صوته هادراً قوياً، على الرغم من عشرات المئات من الفضائيات في الوطن العربي الكاذبة المضللة، وفي العالم.

وأختم بقول د. عثمان أمين:

"من لم ينشأ على أن يحب لغة قومه، استخف بتراث أمته، واستهان بخصائص قوميته".^{٥٠٠}

هوامش:

١. الدكتور محمود السيد. في يوم اللغة العربية. "الثورة" العدد 15091. 3 آذار 2013.

٢. د. بئينة شعبان: "المستقبل" اللبنانية. 26 تموز 2004.

٣. أ. أحمد يوسف داود. الميراث العظيم. دار المستقبل دمشق. 1991 ص 239.

٤. الدكتور حسين جمعة. وعي اللغة العربية وتمكينها حاضراً ومستقبلاً. مركز الإمارات والدراسات والبحوث الاستراتيجية 2008. ص 111.

٥. الدكتور رضوان قزمانى. جامعة البعث. محاضرة (السياسة اللغوية والأمان اللغوي).

٥٠٠- مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق- سوريا، السنة ٤٢، العدد ٥٠٥، أيار ٢٠١٣م، اللغة العربية والتحديات الراهنة.. اللغة والإعلام، مالك صقور، ص ١٧- ٢٤، (بتصرف وتعديل).

ترتيب لغات العالم حالياً من حيث الانتشار

من الصعب إحصاء تعداد البشر الذين يتكلمون لغة مُعيّنة، لكن هنالك العديد من المصادر التي تُقدّم معلوماتٍ عن عدد البشر الذين يتكلمون لغة مُعيّنة كلغة أم أو كلغة ثانية، ويمكن ترتيب اللغات حول العالم من حيث الانتشار كالآتي:

١- اللغة العربية: نسبة عدد متحدثيها في الوطن العربي فقط ٦,٦%، وتعدّ العربية من أقدم اللغات في العالم، وغالبية المتحدثين بها متواجدون في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وخاصةً الدول العربية، ويقبل الملايين على تعلّم اللغة العربية لأنها لغة القرآن الكريم، وفي عام ١٩٧٤م تمّ اعتمادها كلغة رسمية في الأمم المتحدة، وإذا أضفنا لهم بأن عدد العرب والمسلمين في العالم حوالي ٢,٥ مليار نسمة، وجلّهم يتكلم اللغة العربية الفصحى، ومن المعروف أن عدد سكان العالم حوالي ٧,٨ مليار نسمة عام ٢٠٢٠، فيكون عدد المتكلمين باللغة العربية في العالم كله حوالي ٣٢%، ولذلك تكون اللغة العربية هي اللغة العالمية الأولى الأكثر انتشاراً في الأرض.

٢- اللغة الإنجليزية: إنّها لغة العصر ولغة التكنولوجيا، ويستخدمها ويتكلم بها أكثر من مليار ونصف مُتحدّث، وذلك كلغة أصلية أو كلغة ثانوية. نسبة المتحدثين باللغة الإنجليزية حول العالم يُقارب الـ ٢٥%، وهي اللغة الرسمية في الكثير من الدول، والمتحدّثون بها ينتشرون حول العالم كله، بما في ذلك نيوزيلندا، والولايات المتحدة، وأستراليا، وإنكلترا، وزيمبابوي، ومنطقة البحر الكاريبي، وهونغ كونغ، وجنوب أفريقيا، وكندا، علاوةً على ملايين أخرى من البشر يتحدّثون اللغة الإنجليزية كلغة ثانية باعتبارها اللغة الأكثر شعبيةً في العالم.

٣- لغة الماندرين (الصينية): نسبة عدد متحدثيها ١٨,٠٥%، وعددهم يتجاوز المليار نسمة تقريباً، وهي لغة دولة الصين ذات أكبر تعداد سكاني في العالم، واللغة الصينية لا تحتوي على حروف أبجدية، بل تستخدم الرموز التوضيحية بدلاً منها، فكل كلمة لها الرسم التخطيطي الخاص بها، ويُتحدّث أيضاً بهذه اللغة في تايوان وسنغافورة، والجدير ذكره أنّ الماندرينية تحتوي على عددٍ كبير من اللهجات.

٤- اللغة الهندية: نسبة عدد المتحدثين في هذه اللغة ١١,٥١% من عدد سكان العالم، وهي اللغة الرسمية في الهند وفي جزر فيجي، وفي جنوب إفريقيا، وموريشيوس واليمن وأوغندا، وحتى في الولايات المتحدة.

٥- اللغة الإسبانية: نسبة عدد متحدثيها في العالم ٦,٢٥%، ويصل عددهم إلى ٤٠٠٠ مليون نسمة تقريباً، ويتم التحدّث بها في بلدان أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، إضافةً إلى إسبانيا وأجزاء من الولايات المتحدة الأمريكية.

٦- اللغة الروسية: نسبة عدد المتحدثين بها ٣,٩٥%، ويتوزعون في بلدان كثيرة من جمهوريات الاتحاد السوفياتي السابق، منها روسيا، وبيلاروسيا، وكازاخستان، وهي أكثر اللغات السلافية انتشاراً، وإحدى اللغات الرسمية في الأمم المتحدة، وهي لغة غير رسمية، ولكن يتم التحدث بها على نطاق واسع في أوكرانيا وليتوانيا.

٧- اللغة البرتغالية: نسبة عدد متحدثيها ٣,٢٦% من عدد سكان العالم، يتوزعون على البرازيل، والبرتغال، وماكاو، وأنغولا، وفنزويلا، وموزمبيق، وانتشرت هذه اللغة في جميع أنحاء العالم إبان ظهور البرتغال كقوة استعمارية كبيرة في القرنين الـ ١٥ والـ ١٦، وامتدت من البرازيل إلى ماكاو في الصين، وهي اليوم واحدة من اللغات الرئيسية في العالم، كما أنّها أكبر لغة في أمريكا الجنوبية من حيث عدد المتكلمين بها، وهي أيضاً لغة رئيسية في عدد من بلدان إفريقيا.

٨- اللغة البنغالية: نسبة عدد متحدثيها من عدد سكان العالم ٣,١٩%، منهم حوالي ١٢٠٠ مليون نسمة هم سكان بنغلاديش، وهي أيضاً لغة ولاية بنغال الغربية في الهند.

٩- اللغة الفرنسية: نسبة عدد المتحدثين بها ٣,٠٥%، وتستخدمها ٣٢٢ دولة كلغة رسمية، معظم من ينطق بالفرنسية كلغة أم هم فرنسيو الأصل، أما البقية فينتشرون بين كندا، وبلجيكا، وسويسرا، وأفريقيا.

١٠- اللغة الألمانية: نسبة المتحدثين بها ٢,٧٧% حول العالم، ويعود أصلها إلى اللغات الجرمانية، وتعتبر إحدى اللغات الأم الأكثر انتشاراً في الاتحاد الأوروبي، ومن أشهر البلاد المتحدثة بهذه اللغة، ألمانيا والنمسا^{٥١}.



^{٥١} - منقول من الشابكة (الانترنت)، موقع موضوع كوم، وفق الرابط: <https://mawdoo3.com/>، (بتصرف وتعديل).

ختم (منتظر الزيدي)

ارجع إلى التاريخ دُنْ متصفحاً
والصلح والتخريب ضدان فكم
بل كم غزوا بلداً ودينسوا أرضه
ياللعراق فقد غزته جحافل
هذا هو القطب الوحيد بغدره
وغزا بقوته العراق عراقنا
وغزا ودمر بنية تحديّة
موت الأنام بكل يوم قد غدا
وقد استباح العرض ما من وازع
وغدت عراق الشام أكبر جبهة

ورئيس أمريكا أتى لعراقنا
قد قام مغتاضاً وأزبد حانقاً

ضرب الحذاء بوجه بوش بقوة
قالوا بأنه لا مبالي لما جرى
ياللخسارة قد أشاح بوجهه
(صرماية الزيدي) سلاح فاعل
تحكي حكاية من رمى بحذائه
سموه بالإعلام صحناً طائراً
بل إنه أقوى سلاح شامل
قد أدخل الهدفين في مرماهما
مدحوا الحذاء وصار أعظم لقية
سيسجل التاريخ في صفحاته

٥٠٢





﴿إِنْ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾

﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يونس - ٢٥

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

(١٣) سورة الحجرات



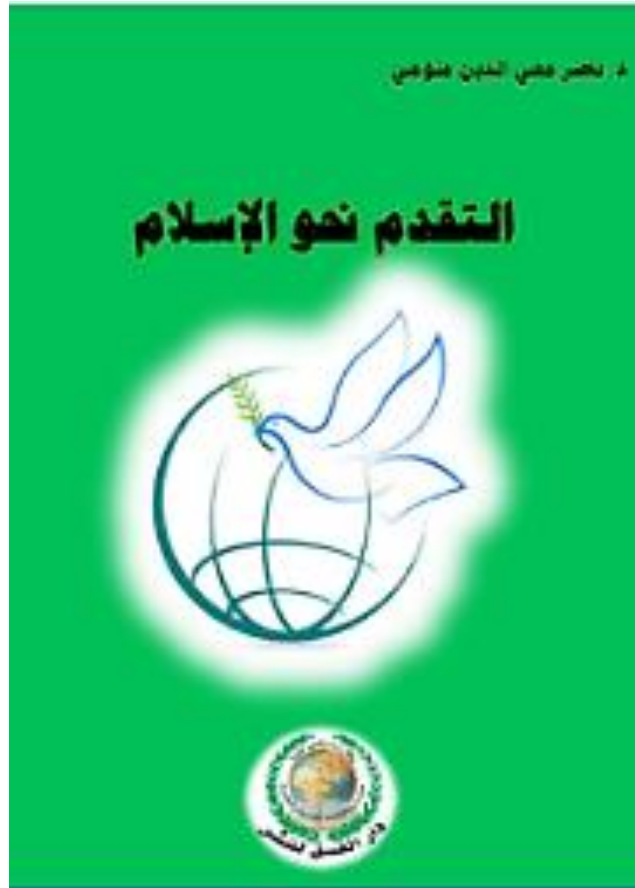
التعارف البشري والتعاون الإنساني
أساس السلام العالمي وال عمران الأرضي والكويتي.

ملحق.. لمحة عن بعض الكتب المنشورة

التقدم نحو الإسلام^{٥٠٣}

إن الإسلام عامل توحيد ورحمة وسمو للمجتمعات الإنسانية فهو القاسم المشترك الذي تمتد جذوره في القارات الأربعة، وعندما أشرق نوره انتشر إلى معظم أرجاء المعمورة خلال أقل من قرن، وامتزج بثقافات وحضارات الشعوب وأبدع حضارة عربية إسلامية قادة البشرية لعدة قرون وكونت الأسس والأصول العلمية والعملية والتقنية والفلسفية التي ارتكزت عليها منجزات الحضارة الإنسانية المعاصرة.

فالإسلام توسع شرقاً عبر المحيط الهندي واستجابت له الشعوب الآسيوية بسرعة لحسن المعاملة وطيب المعشر للمسلمين مما أدى إلى تمكينه في الأرض حيث أسلمت الشعوب وأصبحت دول كثيرة إسلامية وهي الآن متقدمة في مجال الحريات والشورى والتقنيات وال عمران مثل إندونيسيا وماليزيا، حيث تشكل إندونيسيا أكبر دولة إسلامية بعدد السكان، وكذلك انتشر الإسلام عبر البحر المتوسط إلى قارة أوروبا والآن يعبر المحيط الأطلسي إلى القارة الأمريكية، وهو يقاسم في ملتقى القارات تراث إبراهيم الخليل عليه السلام مع أهل الكتاب، ويمتد وجوده إلى الهند ويعبر الهملايا إلى الصين، فالإسلام ينتشر عالمياً بقوة أفكاره وسمو مبادئه وحسن معاملة أهله.

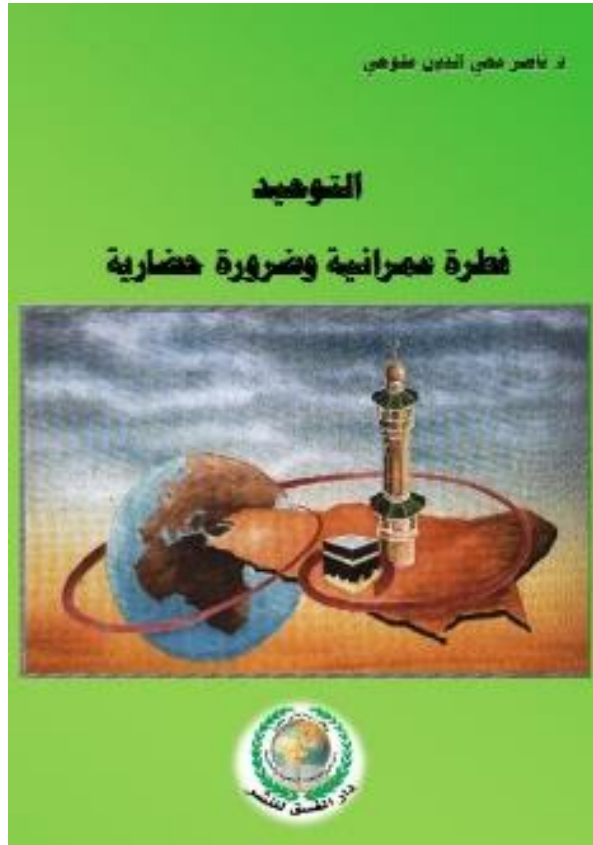


٥٠٣- التقدم نحو الإسلام، د.ناصر محي الدين ملحوي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، قياس الكتاب: ٢٤×١٧ عدد الصفحات: ٢٧٣ صفحة.

التوحيد.. فطرة عمرانية وضرورة علمية ٥٠٤

لقد درجت أجيالنا على اعتبار كل ما صدر عن الغرب، حتى لو كانت نظريات ملفقة وكاذبة ومزورة وارهائية وفوضوية ومرتبجة "علماء"، لاسيما تلك القائلة بأن العبادة تطورت من الأشياء والظواهر المحيطة بالإنسان، إلى عبادة النجوم والكواكب، إلى العبادة التوحيدية لإله خالق واحد مجرد منزّه عن كل شيء، ودرج (الباحثون) جميعاً على ترداد تلك المقولة الخاطئة التي فحواها أن العرب الأقدمين في سوريا ووادي النيل، كانوا يعبدون آلافاً مؤلفة من الآلهة جمعت الحيوان والإنسان، الشجر والحجر، الآباء، والأجداد، الشمس والقمر والنجوم، الماء والنار، والسحاب.. وأن الإنسان لم يعرف التوحيد إلا مع موسى.. إن هذه النظرة قائمة في أساسها على جهل عميق بالتراث العربي، ويدحضها ليس فقط تراثنا الفكري والديني المدوّن والمعروف، بل وجميع المكتشفات الأثرية في كل من سوريا القديمة ووادي النيل..

إن التراث العربي الديني، الذي هو أقدم تراث على هذا الكوكب، يؤكد بمجمله على أن عقيدة التوحيد هي الأصل، وقد بدأت مع أول إنسان عاقل الذي هو آدم (الإنسان العاقل الأول)، ثم استمرت في أجيال كثيرة لاحقة، ثم في ولد آدم الرسول مروراً بـهـايـيـل، وشيث، وإدريس (الذي هو تحوت، وهرمس، وأخنوخ) ونوح، وسام، وهود، وصالح، قبل أن نصل إلى إبراهيم العربي الآرامي وإلى ذريته من بعده بآلاف السنين.



٥٠٤ - التوحيد، فطرة عمرانية وضرورة علمية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط ١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

تأملات، رصد تاريخ وحاضر ومستقبل الكوكب الأرضي^{٥٥}

العلم تصور فكري، يتضمن معادلات رياضية وصيغ قانونية عامة وتجارب ميدانية مخبرية لمقاربة الواقع الخارجي الموضوعي الأرضي والكوني، فالعقل البشري يبدع نظريات علمية معرفية زمنية متغيرة، تمكنه من التعمق في فهم الظواهر الخارجية، للاقترب من الحقيقة بوسائل وأفكار وأدوات متباينة، فيجب أن نستفيد من جميع أصول وإيجابيات الأفكار العلمية لكل الشعوب والثقافات، على أسس البحث العلمي والنقد الموضوعي، وإن مناهج بحثنا في نظريتنا هي:

المنهج التحليلي والشك النقدي لكل النظريات العلمية وما تحويه.

المنهج العلمي التجريبي الاستقرائي الاستنتاجي.

المنهج الشمولي الكلي التكاملي:

المنهج الحياتي الكوني البيئي. ب- المنهج الفلسفي الثقافي الحضاري.

وتكمن أهمية المنهج التكاملي في ديمومة هندسة المعرفة، وابتكار التقنية ضمن منظومة فلسفية ثقافية حضارية، تتصف بالوعي الشامل، لكل أبعاد وغايات وحاجات الإنسان في حركته، ضمن جملة الإحداثيات الزمانية الحياتية الشمسية المجرية الكونية.

يعتبر بعض الأرقام ثقافياً أن النظريات أو الفرضيات العلمية الاقتصادية الفلسفية الغربية، بقرة هندية مقدسة يجب عدم نقدها، وإنما إطعامها والمحافظة عليها، بينما نحن بحاجة إلى نقدها وتعديلها، والاستفادة من لحومها الصحية وحليبها الطازج، وترك عظامها وغضاريفها ورفثها، لكي لا تصاب مجتمعاتنا بجنون البقر، كما يحدث في الغرب، وإذا أراد بعض المقلدين والمبهورين بالحضارة الغربية المريضة، أن يصابوا بالجنون الثقافي، فلهم كامل الحرية، لأنه لا إكراه في المعتقد والرأي، ولكن عليهم أن يحافظوا على جنونهم في أبراجهم العاجية ومؤتمراتهم التي يجهلها الجمهور، أما إن ينقلوا أمراضهم بشكل مباشر أو غير مباشر بالاستعانة بالمخبرات الأوروبية والأمريكية أو بجيوشهم المعتدين، فهذا خط أحمر يجب الدفاع عنه ومقاومتهم والانتصار عليهم، ثم مطالبة الغرب بدفع التعويضات المادية والمعنوية^{٥٦} عن هذا الاستخراب والعدوان.

ونؤكد في مجال المفاهيم العلمية والنظريات الكونية بأننا نشك في عالم الأشخاص والفرضيات العلمية، ونقبل مجمل الأفكار العلمية المتعددة المتباينة، ونقدس توجيه العلم لخير الإنسانية، ونعتقد بأهمية تأسيس مدرسة علمية فكرية عالمية التوجه وإيمانية السلوك، لأن الإنسان بالفطرة لا يجب الإلحاد والشر والظلم، وعندما

٥٥ - تأملات، رصد تاريخ وحاضر ومستقبل الكوكب الأرضي، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

٥٦ - للتوسع: التعويضات.. فريضة شرعية وضرورة حضارية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

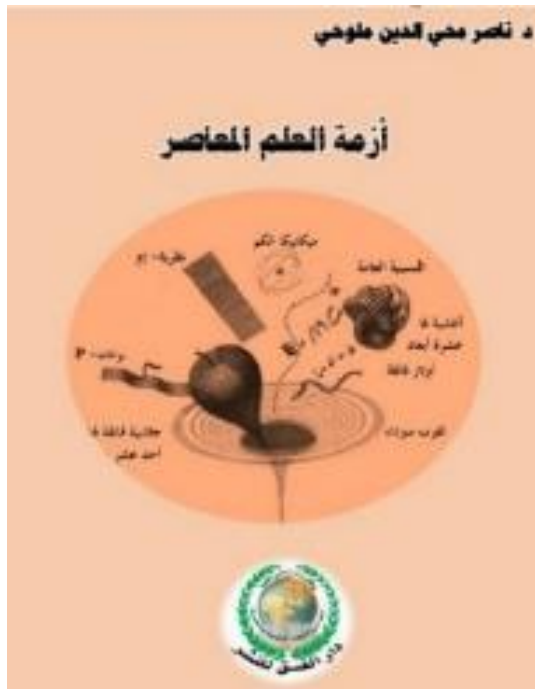
اختار الإنسان الغربي الإلحاد والمنفعة الانتهازية، لأنه لم يجد من يستطيع إقناعه، بأن العلم يجب توجيهه لل عمران والخير، ضمن بوصلة الدين الحق، الذي ينشر الرحمة والأمن والسلام للعالمين.



أزمة العلم المعاصر^{٥٠٧}

إن الغرب في عصر العولمة عاجز عن أن يقدم شيئاً إيجابياً فعالاً يساهم في البناء الحضاري العالمي لأنه في حالة انحدار وسقوط وفوضى اجتماعية، وبالتالي لا يستطيع العالم العربي الإسلامي في غمرة هذه الفوضى الدولية، أن يجد هويته خارج حدوده، بل لا يمكنه أن يلتمسه في العالم الغربي الذي اقتربت نهايته وإفلاسه، لأن الغرب يتقصد بكل ما أوتى من قوة إعلامية ودبلوماسية وعسكرية أن ينشر ويكرس ما يسمى الفوضى الهدامة، بأشكال مختلفة كصناعة طابور خامس من الخونة والمأجورين والطائفيين والمجرمين والحاquدين الذين يشاركون فيها.

كما إن مشكلة التخلف في بلادنا هي قضية الإنسان مع الأفكار التي تسيطر على منهج حياته، وانطلاق مسيرة التقدم تكون باتباع المنهج الفكري الوطني النقدي عند المواطن، بالتعليم والحوار الهادئ، وتأمين الجو الثقافي المحرر للإنسان من عقدة النقص تجاه التأثير الاستخراي الخارجي، وهذا يحتم ضرورة إعادة تنظيم العلاقات والحوار بين الحضارات بمنطق الندية والمنافسة، مما يشكل دافعاً للعرب والمسلمين، للإسراع بإعداد القوة بشكل متصاعد لصنع التاريخ وهندسة المستقبل، ليكون لهم إنتاجهم الحضاري المعاصر الذي يقدمونه على مائدة الحوار العالمي^{٥٠٨}.



٥٠٧ - أزمة العلم المعاصر، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

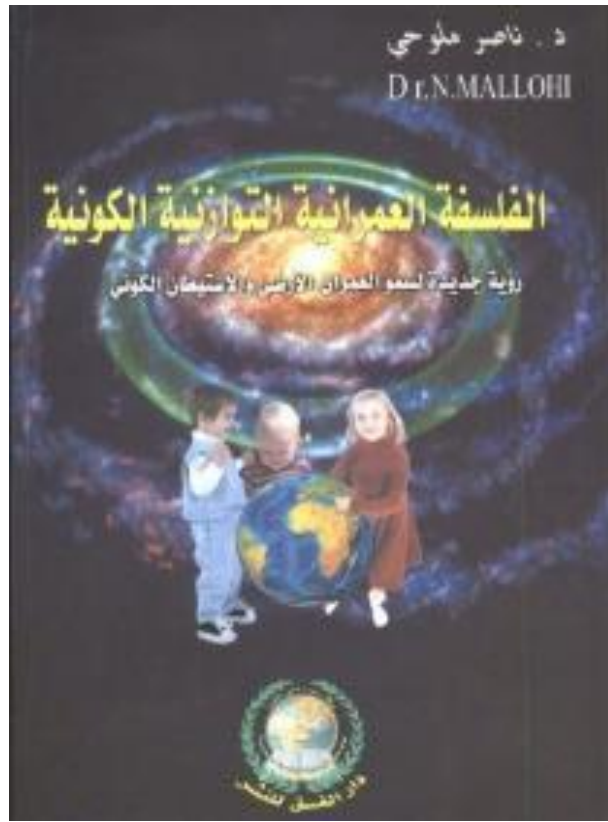
٥٠٨ - يُنظر: مالك بني، مفكراً إصلاحياً، د. أسعد السحمراني، دار النفائس، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية

إن الحياة في خطر حقيقي واقعي في ظل سيطرة الحضارة الغربية المتقدمة صناعياً والمريضة إنسانياً، وحسب آراء وأبحاث المؤرخين، كان القرن العشرون أكثر القرون وحشية ودموية وإرهابية في التاريخ، بفعل الحضارة الغربية المريضة، فالضحايا بعشرات الملايين والحروب الغربية (العالمية) والإقليمية والمحلية بالمئات، بالإضافة إلى مشاكل تلوث البيئة، وانقراض أكثر من مائة ألف نوع من الكائنات الحية، فضلاً عن استهلاك ثلث موارد الطبيعة خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين، ولعل أهم الأخطار الواقعية والرئيسية للحياة بمختلف أنواعها على كوكبنا ٥٠٩ هي:

١- وجود مخزون نووي ضخم وهائل بيد الأقوياء بغير حكمة ولا رحمة ولا ضمير حي..

٢- الفجوة الاقتصادية والاجتماعية التي تزداد عمقاً وسوءاً بين الأغنياء المرضى إنسانياً والفقراء المرضى غذائياً، لدرجة إن ٣٥٨ شخصاً في العالم الصناعي يملكون ما يعادل مجموع ما يملكه ٢,٥ مليار شخص في العالم حسب تقرير التنمية لعام ١٩٩٦ الصادر بين الأمم المتحدة..



٥٠٩ - الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية، رؤية جديدة لسمو العمران الأروبي والاستيطان الكوني، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية، سوريا، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

النظرية الحلزونية الكونية التوحيدية^{٥١٠}

(رؤية جديدة لواقع ومستقبل العلوم)

- يقول هوكنغ في كتابه موجز تاريخ الزمن: (يقدم العلماء اليوم أوصافاً للعالم نابعة من نظريتين جزئيتين أساسيتين، نظرية النسبية العامة وميكانيك الكم، إنهما أعظم النظريات الكبرى نجاحاً من بين ما أنجز في القرن ٢٠، تهتم النسبية العامة بقوة الثقائل وبنية العالم في مداه الواسع، أي بنيته في سلّم يذهب من بضعة كيلو مترات إلى مليون مليار مليار كم (واحد متبوع على يمينه ٢٤ صفراً)، وهو المجال الذي استطعنا رصده حتى الآن، أما ميكانيك الكم فيهتم بما يحدث في سلّم صغير جداً جداً، من قبيل جزء من مليون جزء من السنتيمترات، لكن هاتين النظريتين مشهورتان مع الأسف بتناقضهما، فلا يمكن إذن أن تكونا، كالتأهما صحيحتين معاً، وأحد الجهود الجبارة التي تبذل في الفيزياء اليوم، يتجه إلى البحث عن نظرية تحتويهما معاً، نظرية كمومية في الثقائل، لكننا لم نعلم بما بعد وما يزال بيننا وبين هذا الهدف طريق طويل)^{٥١١}.

وجاء أيضاً في كتاب البحث عن اللانهاية، حل أسرار الكون، تحت عنوان مقدره الثقب الأسود، اجتماع نظريتين: (كان تنبؤ ستيفن هوكنغ بإشعاع الثقب الأسود "إشعاع هوكنغ" أول نجاح في جمع نظرية النسبية العامة لآينشتاين والنظرية الكمومية، واللذان تعدان حجر الزاوية لعلوم الفيزياء في القرن العشرين..)^{٥١٢} ولكن عند نقد وتحليل الفرضيات والنظريات والقوانين والمعادلات العلمية الفيزيائية السائدة نجد أن هذا الحجر هش، قابل للكسر بسهولة أو هو مكسور في الأساس، وبحاجة ضرورية إلى صقله

وتقويته، والأفضل تبديله بحجر أقوى وأشد مرونة، أمام التغيير العلمي والفلسفي والتطوير التقني في القرن الحادي والعشرين، وهذا يلزم ابتكار أفكاراً وفرضيات جديدة متقدمة ثم هندستها منطقياً ورياضياً ضمن منظومة علمية تجريبية، لتحقق شروط صحة النظرية العلمية لتستوعب تفسير الظواهر الطبيعية والكونية، وهذا ما قمنا به في نظريتنا الحلزونية الكونية التوحيدية (ن ح ك ت) التي تشكل الفرع العلمي البحثي في الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية (ف ع ت ك)^{٥١٣}..



٥١٠ - النظرية الحلزونية الكونية التوحيدية (رؤية جديدة لواقع ومستقبل العلوم)، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م.

٥١١ - موجز تاريخ الزمن من الانفجار الأعظم إلى الثقوب السوداء، ستيفن هوكنغ، ترجمة: أدهم السمان، دار طلاس للنشر والمعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، دمشق، ط٣، ١٩٩٩م، ص ٢٥ - ٢٦.

٥١٢ - البحث عن اللانهاية حل أسرار الكون، غوردون فديزر، إيغيل ليلستول، إنجة سيليفاك، تقديم: ستيفن هوكنغ، ترجمة: دمكي الحسيني، د. أحمد حصري، مراجعة: أدهم السمان، دار طلاس للنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٧م، ص ١١٨ - ١١٩.

٥١٣ - الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسنى فريضة^{٥١٤}

يحلل مكونات الغرب بما فيه من قوة وضعف حيث يغلب عليه الصفة المريضة، ورغم تقدمه النسبي في العلم والتقنية لأنه يقلق أفرادَه ويسرق الآخرين ويقتل الجائعين ويساند المفسدين الإرهابيين ويدمر العمران..

فالسُّلوك المرضي الكارثي الاستعماري للحضارة الغربية بشقيها الأوروبي والأمريكي، وما يرتبط بها عضويًا من دول متخلفة ورجعية وطائفية وعصابات مرتزقة مجرمة وإرهابية، تقوم بنشر الفوضى القاتلة للحياة والمدمرة للبنان والملوثة للبيئة والطبيعة تحت شعارات ملفقة كاذبة من إعادة الإعمار والمحافظة على حقوق الإنسان ونشر الديمقراطية.. وهم يظنون بذلك أنهم يضحكون على الشعوب ويسرقون خيراتهم ويدمرون مدنهم ويقتلون الملايين ويشردون عشرات الملايين منهم.. جعل الباحثين الغربيين أنفسهم يصفونها بأنها حضارة اختلت وظائفها وأدت إلى الانحطاط الثقافي والتدمير البيئي والتدهور الاقتصادي..

وعندما نصف بأن الحضارة الغربية مريضة، فلا يعني أننا أصحاء حضارياً ولكننا نحاول جاهدين رغم كل الصعوبات أن نطلق مشروعنا النهضوي الحضاري الشامل، فالصعوبات والأزمات والتحديات.. هي صخور صلدة نقف عليها لنصل إلى قمة المجد برغم كل هجمات وإرهاب الدول الاستعمارية والرجعية علينا، فهي تحثنا على النهوض والفعالية الحضارية الإنتاجية الشاملة، ومرضنا من النوع السليم يعالج بالعقل والعمل والعلم والتعاون.. بينما مرض الحضارة الغربية من النوع الخبيث، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة ودولها معرضة للتفكك والانحلال والتمزق، كما يتفكك حالياً الاتحاد الأوروبي حتى أن دوله تتفكك أيضاً، فمثلاً بريطانيا معرضة للتفكك لعدة دول وكذلك إيطاليا واسبانيا.. أما الولايات المتحدة الأمريكية فمصيرها كمصير الاتحاد السوفييتي السابق وهو التفكك والتمزق إلى أكثر من ١٥ دولة ولولا الإبر الإسعافية الانعاشية الصينية لها لتمزقت منذ زمن بعيد، وآخر هذه الإبر الإسعافية، التوقيع على مبادلات اقتصادية وتجارية خلال شهر تشرين الثاني ٢٠١٧، بلغت ربع تريليون دولار من قبل المدعو ترامب والمدعو تشي، فالصين تضحك على أمريكا وتعملقها اقتصادياً وعسكرياً وتدعم إرهابها الكارثي العالمي لأنها تريد أن توصلها إلى مرحلة مفلسة نهائياً لتستلم بدلاً عنها قيادة العالم كما صرح المدعو الصيني تشي أمام حزبه بأن الصين أصبحت قادرة ومستعدة للسيطرة على العالم، فهي تريد أن تموت أعداءها المجرمين الكبار لكي يحدث فراغ جيوسياسي عالمي، وتقتنص الفرص لنشر سرطانها الصيني الأخبث من السرطان الغربي الأوروبي الأمريكي، من سرقة خيرات العالم وتشريد وقتل الشعوب وتدمير البيئة..

وهذا يضع البشرية أمام حالة طوارئ عامة لإنقاذ الكوكب الأرضي بمن فيه وما فيه، من أعداء الحياة والحضارات الإنسانية والقيم الأخلاقية العمرانية والبيئة... ويحتم علينا نحن الأمة العربية الإسلامية، الإسراع في رفع مستوانا الحضاري الشامل بحيث تتمكن من إنقاذ بلادنا والعالم متبعين الأسلوب الحضاري القرآني الذي يدعو إلى إتباع الأحسن قولاً

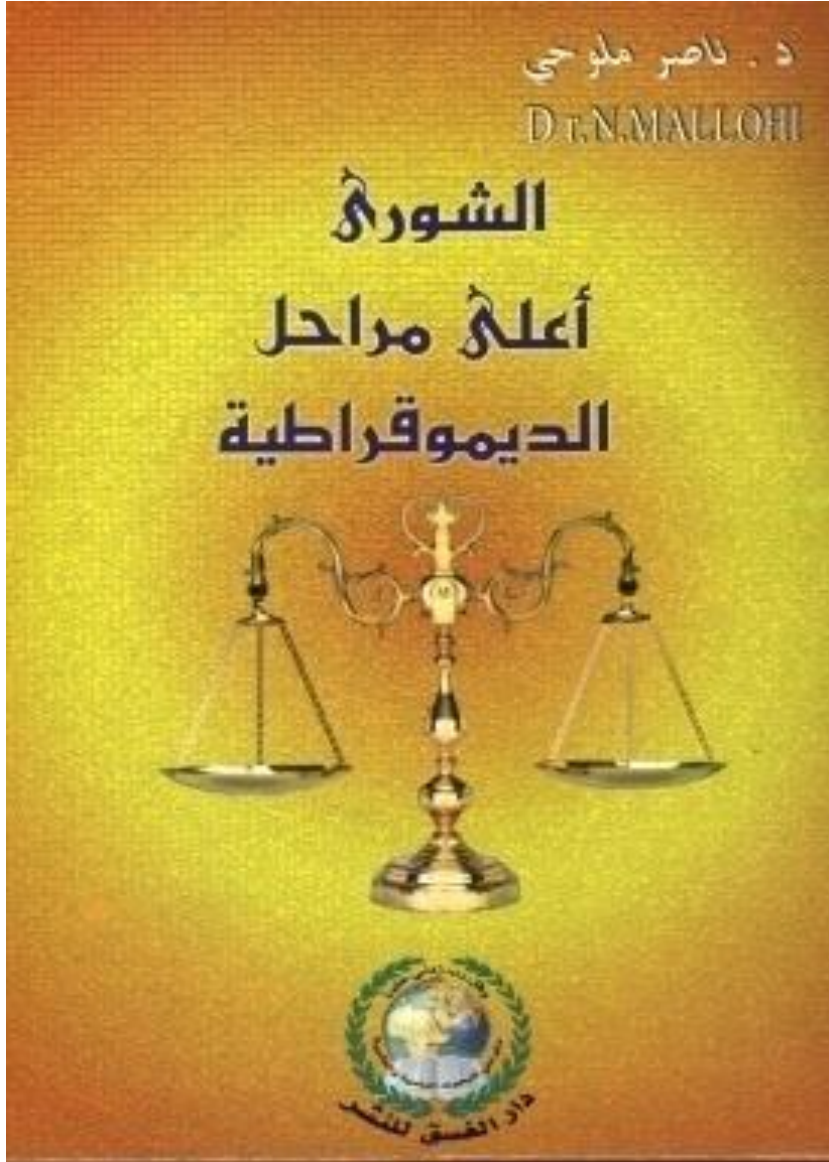
٥١٤ - الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسنى فريضة، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ٢٠٠٥هـ/ ٢٠٠٥م.

وحواراً وفعالاً ومعاملةً وعلماءً.. بحيث نكون شهداء على الناس وننشر الرحمة والتعارف والسلام على المستوى الأرضي الكوني.



الشورى أعلى مراحل الديمقراطية^{٥١٥}

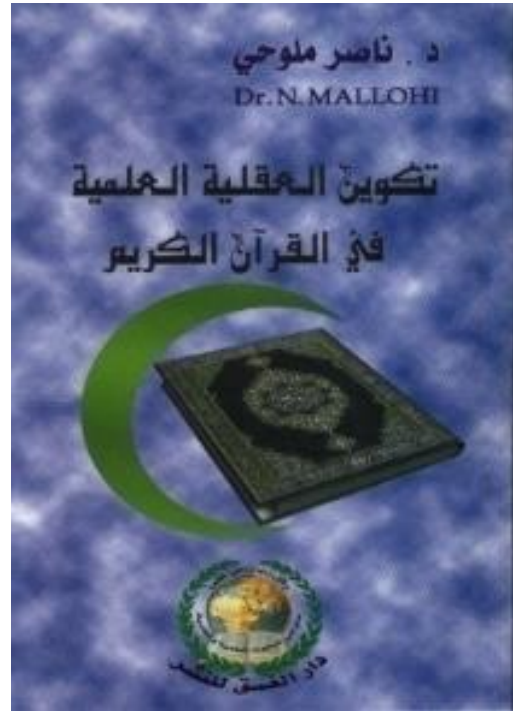
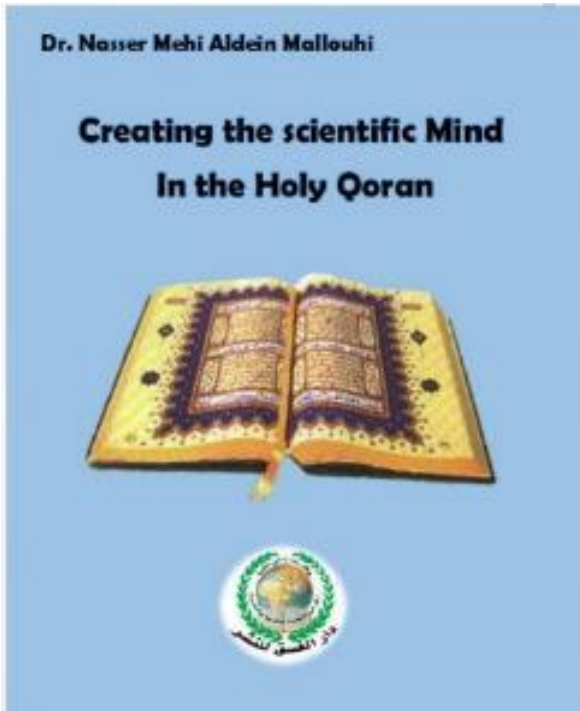
نبحث نظام إدارة المجتمعات البشرية عموماً بألية الشورى وأسلوب الديمقراطية حسب رؤية فلسفية جديدة متقدمة ضمن مشروعنا الفلسفي العمراني التوازني معتمدين على منهجية علمية مقارنة ومرنة، ونعتبر بأن الديمقراطية مرحلة أولية وتدرجية وضرورية في إدارة النظم السياسية الاجتماعية، بينما الشورى مرحلة متقدمة ومتطورة لإدارة هذه المجتمعات سياسياً، وهذا موضوع علم الاجتماع السياسي العمراني التوازني، والمستمد من روح الامة وتاريخها وثمرة المعارف البشرية وعُبر الظواهر التاريخية وقيم الإسلام السامية.



٥١٥ - الشورى أعلى مراحل الديمقراطية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.

٥١٦ تكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم

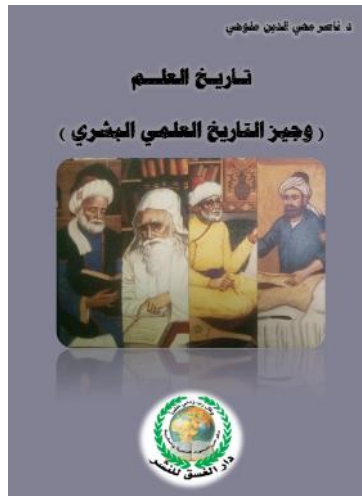
أهم ما أنجزه القرآن الكريم لتحقيق سمو الإنسان وتحضره وتقدمه هو بناء العقلية العلمية النقدية التغييرية لديه بحيث يستطيع أن يبحث في آيات الآفاق الكونية والأنفس البشرية ليتمكن من اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر الطبيعية والأحداث الاجتماعية والعلاقات الدولية والاستفادة منها إيجابياً في بناء الحضارة الإسلامية الإنسانية الكونية التي تتمكن من قيادة موكب البشرية نحو الخير والسلام وال عمران الأرضي والاستيطان الكوني.



تاريخ العلم.. وجيز التاريخ العلمي البشري⁵¹⁷

إن أبحاث التراث العربي الإسلامي، يمكنها أن تساهم بقوة في معرفة أن العقلية العربية، المسلوقة الإرادة، في وقتنا الراهن ساهمت بشكل أساس، في صياغة العلم الغربي المعاصر، وكانت إحدى مقدماته الأساسية، ناهيك عن الفهم الواعي لطبيعة العقلية العربية ذاتها وتطورها العلمي، وهو فهم ضروري لفهم الحاضر والمستقبل مما يساعدنا جيداً في وضع صياغة جديدة لآفاق تطورنا الذي يجب أن يتحرر من أسر نظرة التشاؤم التي يزخر بها الواقع، وينطلق من الأمل عند الجماعة، الذي يتطلب مراعاة شخصية الأمة العربية الحضارية، وطرح شعار (التفاعل والحوار الثقافي) بديلاً عن شعار (الدوبان الثقافي) المراد لنا في وقتنا الراهن، ولكي يتم ذلك لابد من التأكيد على مفهوم (الهوية) أو (الذات) في مواجهة (الآخر) وهذا التأكيد يلعب فيه التراث دوراً مهماً وفاعلاً وحيوياً..

وهذا الأمر يحتم إنشاء مراكز أبحاث للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية والحضارية والثقافية والكونية ومؤسسات علمية تقنية.. تعنى بإجراء الدراسات العلمية المختلفة والأبحاث الميدانية والنظرية النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصناعية والإدارية والمعلوماتية والفضائية والفيزيائية والعسكرية والسياسية.. بحيث تتمكن ليس فقط أن نقف موقف الندد للحضارة الغربية وغيرهاظن وإنما نستطيع أن نكتشف أسلوباً حضارياً نقود فيه موكب الإنسانية لخير وسلام العالم كله..



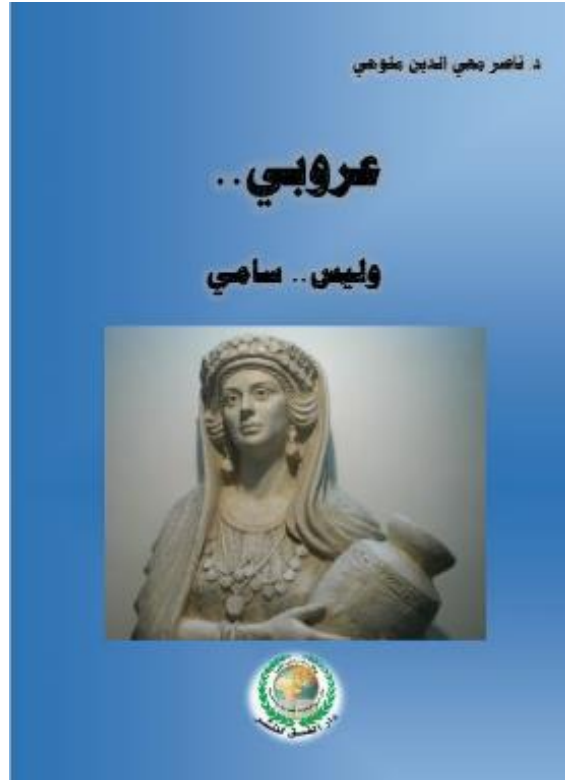
٥١٧ - تاريخ العلم.. وجيز التاريخ العلمي البشري، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م. ع.ص:٥٧٨، ق.ص: ١٧*٢٤.

عروبي وليس سامي ٥١٨

من الأهمية هندسة وصياغة المصطلح الثقافي والفلسفي الإعلامي والسياسي والدولي بحيث يحقق أهدافنا الاستراتيجية العربية على المستوى البعيد والقريب، المصطلح المناسب مفتاح الأفكار ومحدد طرق وجودة الحوار، وهو معيار لموازنة الأحوال ورصد الأفعال وفقه ونقد المواقف..لمعرفة صدق وتلفيق الأقوال.

﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾

فالقادة الأوروبيون وفي الدول الاستعمارية الإرهابية يصرحون في المؤتمرات الصحفية بأنهم ينشرون الحرية والديمقراطية ويحترمون حقوق الإنسان في العالم ويكافحون الإرهاب.. ولكن هذه المصطلحات والأقوال الغربية والأمريكية يكذبها الواقع والتاريخ والحاضر فهم ينشرون الفساد والدمار والحرب والفوضى الكارثية في الأرض ويكفيها دليلاً بأنهم أول من استخدم السلاح النووي في التاريخ وهم الذين جعلوا القرن العشرين أكثر دموية ووحشية وإرهاب في تاريخ البشرية، وعولموا شريعة الغاب والأنياب وهم يمتصون وينهبون خيرات البلاد كالطفيليات المرضية.



٥١٨ - عروبي وليس سامي، د.ناصر محي الدين ملحوي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ع.ص٢٣٢، ق.ص ١٧×٢٤.

قراءة نقدية إنسانية وروية استراتيجية عمرانية

قال الله تعالى في كتابه الكريم واصفاً الكذابين من مختلف الأجناس: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ الكهف-٥، وفي بحثنا الموثق لتصحيح جغرافية وتاريخ وحوادث الأناجيل المنسوبة للسيد المسيح السوري عليه السلام، نؤكد بأن هناك تراكمات مستديمة تاريخية ومعاصرة من التلفيق والتزوير والتحريف تشمل تلك الأناجيل (العهد الجديد) مع التلمود والتوراة (العهد القديم)، ومن أهمها:

١- تلفيق وتزوير اليهودي شأوول (بولس)، وكان من اليهود الإرهائيين المعادين للمسيح والمضطهدين للمسيحيين بأبشع الوسائل الوحشية والهمجية من الحرق والقتل والتجويع طوال حياته، ولكنه لاحظ أن تلك الأساليب الإجرامية لم تعرقل انتشار المسيحية في البلدان العربية المستعمرة من الرومان، فأراد بجنه وحقه أن يدخل في المسيحية زندقة لتخريبها من الداخل وتحويلها من عقيدة مسيحية سماوية تنشر الرحمة والهدى والنور للعالم إلى عقيدة وثنية ملفقة تنشر الغباء والجهل والخيل والكسل والتقليد، كتأليه المسيح والتثليث وعقيدة المخلص والفداء..

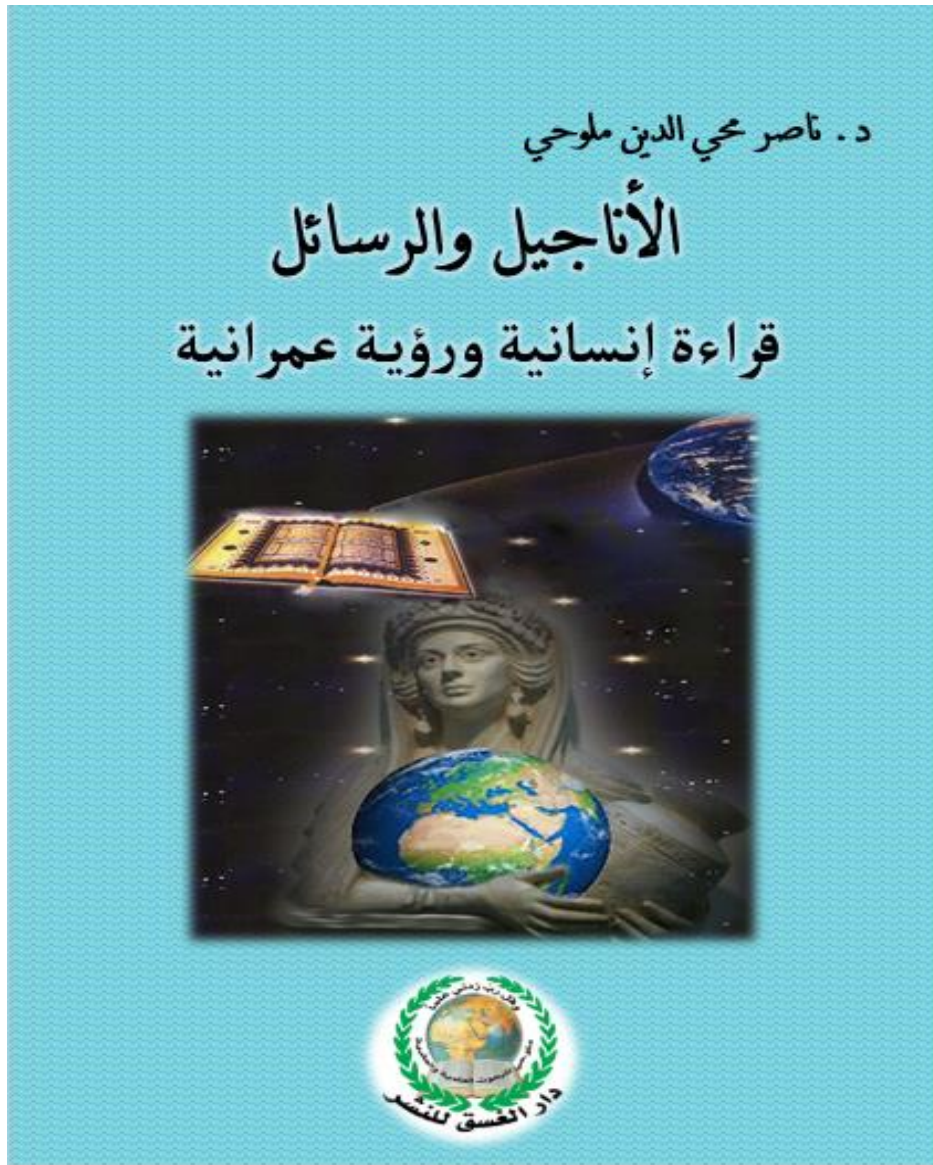
- ومن الشعوب الاستشراقية (المقدسة) والتلفيقات الاستعمارية (المدنسة) أن الغرب قد زور جغرافياً أحداث التوراة والإنجيل فنقلها من مواقعها في مغاور جبل غامد من شبه جزيرة العرب إلى فلسطين لأسباب وأغراض سياسية واستعمارية مكشوفة، ثم لما بدأ يدرس هذه الجغرافيا المزورة لم يستطع تقبل ما يزدحم فيها من تناقضات قبيحة وشعوذات استشراقية وتلفيقات عنصرية تربك كل عقل صحيح، وعوضاً من أن يعود إلى تصحيح ما سبق أن زوره فقد أخذ يعلن لا معقولية الأحداث..

٣- التلفيق والتزوير الحديث كجيش من المبشرين والمستشرقين والمجرمين وهم يشكلون أنزيمات تفعيلية لتنشيط آليات الحلقة المعيبة التخلفية الإرهائية الكارثية الاستعمارية التي تدور رحاها التخريبية الإجرامية اللصوصية منذ أكثر من ٥٠٠ عام وخاصة عند ولادة الوحوش المفترسة والذئاب الكاسرة فيما يسمى دجلاً عصر النهضة الأوروبي حسب تحليلات الباحث والمؤرخ الفرنسي روجيه غارودي^{٥٢٠}،

وما نبخته ونرصده ونوثقه ونؤكدده هو كعصى موسى تلقف ما يأفك الاستعمار والإرهاب ومرترقته من المبشرين المزورين والمستشرقين الكذابين والمجرمين والمستبدين والظالمين والفاستدين والخنونة.. بحيث نجعلهم مع

٥١٩ - الأناجيل والرسائل.. قراءة نقدية إنسانية وروية استراتيجية عمرانية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٥١٨.
٥٢٠- كيف نصنع المستقبل، روجيه غارودي، م.س (مصدر سابق).

أقوالهم وأفعالهم كزبد زائل، فقوتنا الثقافية والنقدية والعلمية والعقائدية والناعمة ستجعلهم يكتبوا جميعاً إلى
مزابل التاريخ، فلهم في الدنيا خزي وهم في الآخرة هم من المقبوحين..



تصحيح جغرافية التوراة والإنجيل

(أطلس الكتاب المقدس الصحيح)^{٥٢١}

إن الغرب قد زوّر جغرافيا أحداث التوراة والإنجيل فنقلها من مواقعها في مغاور جبل غامد من شبه جزيرة العرب إلى فلسطين لأسباب وأغراض سياسية واستعمارية ولصووية وصهيونية وإرهابية وتلفيقية مكشوفة، ثم لما بدأ يدرس هذه الجغرافيا المزوّرة لم يستطع تقبّل ما يزدحم فيها من تناقضات قبيحة وشعوذات استشراقية وتلفيقات عنصرية تترك كل عقل صحيح، وعضواً من أن يعود إلى تصحيح ما سبق أن زوّره فقد أخذ يعلن لا معقولية الأحداث.. ففي منتصف القرن التاسع عشر أسست «الجمعية الجغرافية الملكية البريطانية» بهدف دراسة طبيعة ومناخ الأرض التي ترغب بريطانيا ضمّها لمستعمراتها، وهذه الجمعية ما لبثت أن تطور عملها من المسألة المناخية والجغرافية إلى خدمة الصهيونية، فقد أسس اليهودي الثري «شايبيرا» «البنك الملّي اليهودي» الذي انبثق عنه العديد من الهيئات المالية مثل «صندوق اكتشاف فلسطين» الذي، بدوره، تعاقد مع الجمعية الجغرافية البريطانية لدراسة مناخ وجغرافيا بلاد الشام: سوريا، لبنان، فلسطين، الأردن، كما ساهم بتمويل تكاليف الدراسات الجغرافية التي قامت بها الجمعية البريطانية بغاية وضع «جغرافيا الكتاب المقدس»، ووضع خارطة للأماكن التي دارت فيها أحداث الكتاب المقدس، العهد القديم والعهد الجديد، وتغيير أسماء المدن والقرى العربية في فلسطين وغيرها إلى أسماء ما دعوه حديثاً ودجلاً وكذباً بـ «عبرية»، أو إسقاط بعض الأحداث على أسماء المواقع التي تتشابه مع الأسماء الواردة في التوراة..

ومن الناحية الجغرافية إن أورشليم (حوراشليم) هي كلمة عربية سريانية سورية تعني مغارة المتعبدين وهي موجودة في بريا شبه الجزيرة العربية شرق جبال بلاد غامد على نهر الثرات (الفرات)، وليست مدينة القدس، إذ أنها مجاورة للصحراء، وكلمة "مدينة" تطلق على المغارة مجرد أن تسكن: "ولما قال هذا خرج من المجمع والمدينة وانفرد في الصحراء ليصلّي لأنه كان يحب العزلة كثيراً" انجيل برنابا - متى (٤٤:٥٠).

إن جميع أحداث التوراة والإنجيل إنما مسرحها شبه جزيرة العرب وليس فلسطين، وهذا ما يؤكّد وحدة تاريخنا العربي الكبير، الذي هو تاريخ التمدن البشري على هذا الكوكب..^{٥٢٢}

إن شبه جزيرة العرب كانت موطن عيسى وموسى العربيين الآراميين فإن البقعة نفسها هي التي شهدت الصراع الأول، والتنافس الأول بين نصارى عيسى وبين كهنة اليهودية الذين حرفوا توراة موسى وخاطبهم

٥٢١ - تصحيح جغرافية التوراة والإنجيل (أطلس الكتاب المقدس الصحيح)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٤٠م-٢٠١٩م، ق.ص: ١٧×٢٤، ع.ص: ٣٣٥.
٥٢٢ - ينظر كتاب: تاريخ سوريا الحضاري «المركز»، د. أحمد داود، ط٣، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، دار الصفا للنشر، دمشق- سوريا، ص ٥٤٦-٥٤٧-٥٥٨-٥٥٩-٥٦١-٥٧١.

المسيح بـ (الحيات أبناء الأفاعي) و(أولاد الأفاعي)، وهي المنطقة التي شهدت أولى الكنائس والأديرة، بينما لم تشهد فلسطين أول كنيسة إلا في القرن الرابع والخامس الميلاديين في عهد قسطنطين البيزنطي..

وأخيراً نؤكد على أهمية تمكين ونشر تصحيح جغرافيا وتاريخ الأناجيل والتوراة، (العهد القديم والجديد) وطنياً وعالمياً، مع ضرورة المطالبة بالتعويض المادي والمالي والمعنوي عن الجرائم والإرهاب والتزوير واللصوصية الذي قام به الاستعمار الأوروبي الأميركي الروسي الصيني الصهيوني ومرزقته، ويتم مطالبته برفع الشكاوى القانونية والقضائية أمام المحاكم الدولية المعاصرة، وكذلك بضرورة رفع المستوى الحضاري الإنساني العلمي الصناعي الإعلامي المعلوماتي العسكري للشعوب النامية لاسيما العربية الإسلامية لامتلاك القوة الناعمة والمادية الشاملة لتمكينها من تحرر بلادها من الاستعمار والإرهاب والاستبداد والاستغلال ثم مطالبة جميع المجرمين والمستعمرين والفاستدين والظالمين بدفع التعويضات الكاملة للشعوب المظلمة طوعاً أو قسراً، وقد وضعنا تصنيفاً شاملاً مفصلاً لأنواع الإرهاب الغربي ومرزقته وكيفية مطالبته بالتعويضات المادية والمعنوية المناسبة ضمن كتاب مستقل^{٥٢٣}

وقد اعتمدنا في دراستنا وبجثنا لتصحيح جغرافية وتاريخ وأحداث الأناجيل والتوراة.. على مناهج علمية موضوعية متعددة ومتنوعة ومعتمدة في علم الأديان والفلسفات المقارن وأهمها:

٩- ما لا يعقل، لا وجه للمحاجة في إبطاله، كعقيدة التثليث وتأليه المسيح أو غيره من البشر أو الشجر أو الحجر.. فهي باطلة أصلاً لأنها تدخل ضمن اللامعقول واللامنطق فلا حاجة لسرد ولعرض الأدلة والبراهين على بطلانها.

١٠- المنهج الوصفي التحليلي: هو استيفاء حجج الخصوم وأدلتهم من مصادرهم ومراجعهم الموثقة أنفسهم قبل الحكم عليها.

١١- المنهج الحيادي الموضوعي في علم الأديان المقارن.

١٢- المنهج التوثيقي الموضوعي للمصادر الأصلية في مقارنة الأديان.

١٣- منهج تحديد وتعريف المصطلحات علمياً وعقائدياً ولغوياً.

١٤- المنهج التخصصي المهني العلمي التاريخي والسكاني والأنثروبولوجي واللغوي..

١٥- المنهج النقدي العلمي الجدلي الموضوعي.

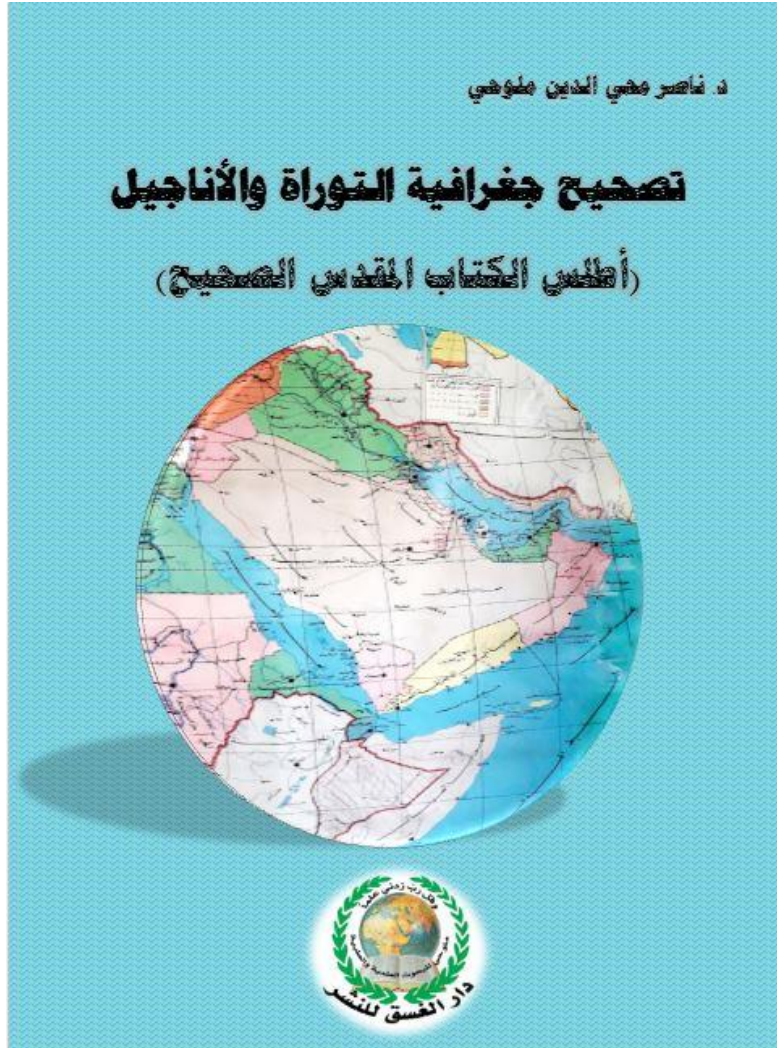
١٦- المنهج الإنساني العمراني، وهو أهم المناهج العلمية النقدية الموضوعية ويقوم على أركان متينة وأهمها:

٥٢٣ - التعويضات.. فريضة شرعية وضرورة حضارية، د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

كل من يدعو إلى العمران المادي والمعنوي والمحبة الإنسانية والأخوة البشرية، وينبذ ويرفض قولاً وفعلاً وسلوكاً وظاهراً وباطناً الكره والحقد والدجل والكذب والتقية والفتنة والدعارة والخيانة والتجارة بالبشر والحرب والغدر والنهب والصوصية والداعشية.. هو الصادق عقائدياً والمخلص إنسانياً حسب قول المسيح عليه السلام: (من ثمارهم تعرفونهم)، اعتماداً على أركان ومناهج وأهداف وسلوكيات علم معايرة المعتقد والسلوك^{٥٢٤}

وما نبخته ونرصده ونوثقه ونؤكدده هو كعصى موسى تلقف ما يأفك الاستعمار والإرهاب ومرتزفته من المبشرين المزورين والمستشرقين الكذابين والمجرمين والمستبدين والظالمين والفاستدين والخونة.. بحيث نجعلهم مع أقوالهم وأفعالهم كزبد زائل، فقوتنا الثقافية والنقدية والعلمية والعقائدية والناعمة ستجعلهم يككبوا جميعاً إلى مزابل التاريخ، فلهم في الدنيا خزي وهم في الآخرة هم من المقبوحين

﴿ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الشعراء - ٤٥

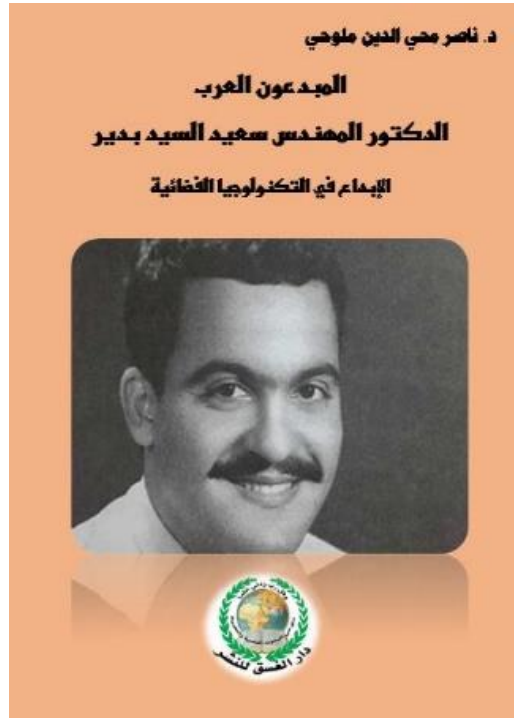


٥٢٤ - يُنظر: علم معايرة المعتقد والسلوك، (علم ميزان الحكمة)، (النسخة العربية ومختصر الترجمة الإنكليزية)، science of calibration the belief and behavior (Wisdom scale)، science، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ١١٤.

المبدعون العرب.. الدكتور المهندس سعيد السيد بدير

الإبداع في التكنولوجيا الفضائية^{٥٢٥}

نتحدث عن أحد النوابغ الفكرية من مصر الحبيبة، اختصاصه بأبحاث إلكترونية ودراسات نظرية وتقنية استراتيجية عالية الحساسية، تدور حول التحكم بالأقمار الصناعية المدنية والتجسسية المعادية للدول العربية وخاصة مصر، وكيفية إرسال أوامر لها، والتحكم بالمعلومات التي ترسل من القمر الصناعي إلى القاعدة الأرضية، وقد توصل لفك الشيفرة بين الأقمار الإسرائيلية وقواعدها الأرضية، بل استطاع أيضاً التشويش عليهما، تمكن الدكتور سعيد سيد بدير من التوصل إلى اختراعات تقنية إلكترونية واستراتيجية في مجال إمكانية الاتصال والسيطرة بكافة السفن الفضائية والأقمار الصناعية ذات الطابع المدني والتجسسي والعسكري والعدواني، وإمكانية الحصول على كل المعلومات الخاصة بالتجسس والرصد والتشويش على هذه الأقمار والسيطرة عليها، فبالرغم أن المشروع كان في مرحلته النظرية إلا أن أهميته الدولية كانت شديدة الوضوح والخطورة نظراً لكون الدول الاستعمارية الأوروبية الأميركية الصهيونية ومرزقتهم.. تعتمد في استعمارها وعدوانها ولصوصيتها واستخراجها للدول النامية - وخاصة بعض الدول العربية والإسلامية - على معلومات التجسس والرصد التي تحصل عليها من أقمارها الاصطناعية العسكرية التي ترسلها للتجسس والاستخبار الكارثي مع العلم بأن الدول النامية لا تمتلك تلك التقنية الفضائية التجسسية ولا تستطيع أن تناورها، فكيف بعالم عربي واحد استطاع أن يفك شيفراتها التجسسية التي ترسلها لقواعدها الاستعمارية الأرضية؟!..



٥٢٥ - المبدعون العرب، الدكتور المهندس سعيد السيد بدير، الإبداع في التكنولوجيا الفضائية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م. ق.ص: ١٧×٢٤، ع.ص: ٦٦.

المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني

الإبداع في طب المخ والأعصاب 526

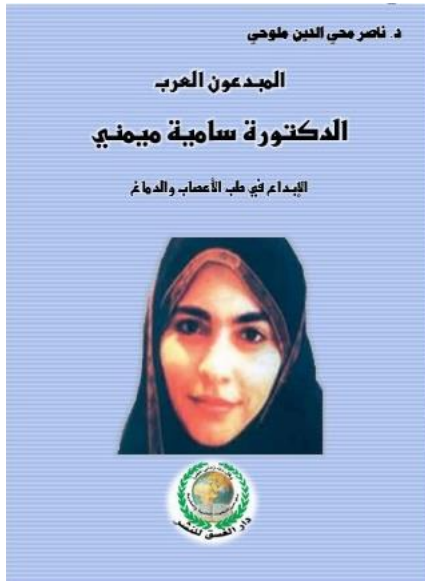
تقول سامية ميمني: "فائدة اختراعي ستعم العالم كله وليس جهة بعينها فقط"، وهي مولودة بالمملكة العربية السعودية في ٨ أغسطس من العام ١٩٥٥م، التحقت بكلية الطب بجامعة الملك فيصل (الأحساء - المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية) بعد تأثرها بالوفاة المأساوية لوالدها عبد الرحيم ميمني، الذي توفي على الفور في حادث سيارة عنيف تسبب في كسر جمجمته.

كانت أول جراحة سعودية تتخصص في مجال جراحات المخ والأعصاب، فبالإضافة إلى الصعوبات المجتمعية في مجتمع يرى المرأة عاراً، واجهتها صعوبات علمية أخرى، حيث لا يوجد دراسات متقدمة في مجال جراحات المخ والأعصاب في المملكة العربية السعودية، فراسلت إدارة الدراسات العليا في جامعة تشارلز درو "Charles Drew" (كاليفورنيا-الولايات المتحدة الأمريكية) وبالفعل استطاعت أن تجتاز اختبارات القبول بدرجة امتياز، ثم انضمت للجامعة وعملت بالفعل في مستشفى "مارتن لوثر كنج" العريق بلوس أنجلوس.

تركز جل اهتمامها على الوصول الى طريقة تساعد في ترتيب معايير الإصابات والنوبات الدماغية وبالتالي الوصول إلى طرق أفضل لعلاجها، استطاعت الدكتورة سامية أن تصل إلى أبحاث واختراعات قلبت موازين طب وجراحة الأعصاب ظهراً على عقب، وبدا في الأفق مشروع عالمية فذة سيستفيد العالم أجمع من أبحاثها ودراساتها. بدأ الصراع عندما عرضت عليها واحدة من كبرى شركات تصنيع الأجهزة الطبية التنازل عن براءة الاختراع في

المقابل المعتاد، الملايين الخضراء العديدة، الحياة الرغدة الكريمة، المعامل المتطورة المتاحة، وجواز السفر الأزرق الذي تحزُّ من هيئته الحكومات المستضعفة الغبية.

قابلت الدكتورة سامية هذه العروض المغرية بالرد الإنساني، رفضت بعنف قائلة "فائدة اختراعي ستعم العالم كله وليس جهة بعينها فقط".



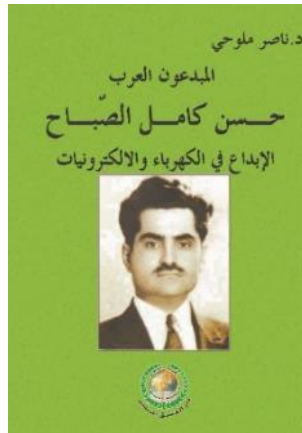
٥٢٦ - المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم ميمني، الإبداع في طب المخ والأعصاب، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ١٧×٢٤، ع.ص: ٥٢.

العالم العربي حسن كامل الصباح

٥٢٧ (ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً)

ولد حسن كامل بن علي الصباح في عام ١٨٩٥ في مدينة النبطية في جنوب لبنان من أسرة متعلمة ومؤمنة، وكان والده يعمل في تجارة الماشية، بدأ دراسته في الكتاب ثم انتقل إلى الابتدائية، وظهر اهتمامه بالرياضيات والهندسة باكراً، وينقل عن والدته تذكراً لتجاربه الأولى، مثل نفخ البالون بالغاز وتطيره في السماء، وصنعه مجسماً للكرة الأرضية، كما كان يخبرها عن أحلامه باستخراج النفط من بلاد العرب ليساعدهم في بناء حضارتهم، وبرز تفوقه في الرياضيات والعلوم والفلك والفيزياء خلال مراحل دراسته، وفي عام ١٩١٦ انخرط إلزامياً في الخدمة العسكرية العثمانية، فالتحق بقسم اللاسلكي وفيه اختلط بالمهندسين الألمان فتعلم منهم اللغة الألمانية وتابع معهم أبحاثه في الكهرباء، فرقي إلى رتبة ملازم أول وتسلم قيادة مفرزة التلغراف وبعد انتهاء الحرب غادر إلى دمشق ودرس فيها عام ١٩١٩، ثم انتقل إلى بيروت ليعمل مدرساً في الجامعة الأميركية وليشبع نهمه في متابعة التحصيل في الهندسة الكهربائية، فراسل مكنتات في برلين طالباً مجموعة من الكتب العلمية، ثم رغب بالسفر إلى فرنسا لمتابعة تخصصه ولما فشلت محادثاته مع المفوض السامي الفرنسي، سافر إلى بوسطن وانتسب إلى جامعتها .

وفي أمريكا تابع دراسته حتى حاز على شهادة الجدارة في العلوم، وهو يكابد الظروف الصعبة في محيط غريب، وبين مجموعة من الحاقدين على "الأجنبي الذي تفوق عليهم"، هذه الظروف أجبرته في ٢٠ آب ١٩٢٣ على توقيع اتفاقية محففة مع شركة جنرال الكتريك إحدى أكبر الشركات الأميركية، وقضت بضرورة أن تكون مخترعات الصباح ملكاً للشركة بحيث يتقاضى هو دولاراً واحداً مقابل كل اختراع! مع ذلك واصل عمله وعطاءه حتى برز بين أقرانه وذاع صيته، فعين مهندساً أصيلاً في الشركة ومنح في ٢٥ - ١٢ - ١٩٣٢ رتبة فتي العلم الكهربائي .



٥٢٧ - المبدعون العرب .. العالم حسن كامل الصباح (ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

كتب للمؤلف (معظمها من إصدار دار الغسق للنشر)

- ١- آفات الحنجرة الولادية (بحث علمي)، مطبعة الثبات- دمشق، ١٩٨٨م.
- ٢- سيكولوجيا الأمراض النفسية- الجسمية، ط١، دار السلام، دمشق، ١٩٨٥م.
- ٣- سيكولوجيا الأمراض النفسية- الجسمية، ط٢، دار الغدير، سلمية، ١٩٩٥م.
- ٤- علم نفس الجنين، مستقبل الجنين البشري. دار الغسق للنشر (ملوحي للبحوث العلمية)، سلمية-سوريا، ١٤٢١ / ٢٠٠١
- ٥- حاسة السمع ونقصها، مدخل جديد لتعليم الجنين والطب الأذني البديل، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٦- تكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم، بحث تمهيدي، كلية الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- ٧- تحديد النسل، دراسة فقهية قانونية اجتماعية، بحث تمهيدي، كلية الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- ٨- الاستخلاف الكوني في المفهوم الإسلامي، بحث تمهيدي، كلية الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- ٩- مالك بن نبي، مفكر إسلامي وآراءه، بحث تمهيدي، كلية الأوزاعي للدراسات الإسلامية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٨م.
- ١٠- الطب النفسي الجسمي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط٣، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.
- ١١- الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسنى فريضة، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٢- الشورى أعلى مراحل الديمقراطية، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٣- تكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم. دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٤- اجتهاد في الجهاد، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٥- حكمة حمار (أسلوب أدبي علمي لتفعيل عقول الكسالى والخاملين)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ١٦- التعويضات.. فريضة شرعية وضرورة حضارية، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ١٧- أيها الصهاينة.. حطين قادمة، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ١٨- المبدعون العرب: الباحثة بيداء عبد الكريم الزير. الإبداع في علم المعلومات، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ١٩- نظرية مركزية الشمس.. ابتكار عربي إسلامي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.
- ٢٠- الدوار الدهليزي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- ٢١- أينشتين.. أكذوبة القرن العشرين، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.
- ٢٢- النظرية الحلزونية الكونية التوحيدية (رؤية جديدة لواقع ومستقبل العلوم)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١١م.
- ٢٣- المبدعون العرب.. مالك بن نبي، الإبداع في علم الحضارات، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٤- الاستخلاف الكوني في المفهوم الإسلامي، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٥- تحديد النسل.. دراسة فقهية قانونية اجتماعية، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٦- المبدعون العرب.. العالم حسن كامل الصباح (ثمانون اختراعاً كهربائياً وإلكترونياً)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.
- ٢٧- علم نفس الجنين (مشروع فتح روضات لتعليم الأجنة)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط٢، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

- ٢٨- الفلسفة العمرانية التوازنية الكونية (رؤية جديدة لسمو العمران الأرضي والاستيطان الكوني)، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م
- ٢٩- رسالة في نعمة الإبتلاء، دار الغسق للنشر، سلمية_سوريا، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٣٠- الإيدز (SIDA) طاعون العصر.. صناعة أمريكية، دار الغسق للنشر سلمية_سوريا، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٣١- التوحيد.. ضرورة علمية (البرهان الرياضي على خلق الكون)، دار الغسق للنشر سلمية_سوريا، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٣٢- آليات الغرب في قتل الشعب، دار الغسق للنشر سلمية_سوريا، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٣٣- كتب في مقالات، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٧م.
- ٣٤- مقالات منشورة، سلمية، سورية، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٧م.
- ٣٥- إعادة هيكلة العالم، رؤية عمرانية استراتيجية لهندسة مستقبل الأرض والكون، سلمية، سورية، ١٤٣٩هـ/ ٢٠١٨م.
- ٣٦- شكل جديد للذرة، النظرية الفيزيائية الذرية المعاصرة، (عرض ونقد وبديل جديد)، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٣٧- شكل جديد للتصور الكوني، النظرية الفيزيائية الكونية المعاصرة، (نقد وعرض وبديل)، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٣٨- شكل جديد لفلسفة العلم، فلسفة العلم المعاصرة، (نقد وعرض وبديل)، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٣٩- المبدعون العرب، رزان ناصر ملوحي، الإبداع في جودة المواهب المتنوعة، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤٠- المبدعون العرب، عبد المعين ملوحي، عميد الأدب العربي في النقد الفلسفي، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤١- الهنود الحمر.. أكبر كارثة إرهابية سكانية، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤٢- التقدم نحو الإسلام، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤٣- تأملات، رصد تاريخ وحاضر ومستقبل الكوكب الأرضي، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤٤- الإيدز (SIDA) طاعون العصر من أسلحة الدمار الشامل البيولوجية.. صناعة أمريكية، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م..
- ٤٥- مقالات طالب في المرحلة الإعدادية والثانوية، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤٦- التوحيد.. فطرة عمرانية وضرورة علمية، ط٢، سلمية، سوريا، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م.
- ٤٧- تاريخ العلم.. وجيز التاريخ العلمي البشري، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م
- ٤٨- هندسة التفكير، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٣٩هـ- ٢٠١٨م
- ٤٩- المبدعون العرب.. الشاعر عبد الهادي الملوحي.. ألم وأمل ديوان شعري، تقديم: الشاعر طريف الشيخ عثمان، إعداد وتعليق: د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية سوريا، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ص ١٤٣، ق.ص ٢٤×١٧.
- ٥٠- المبدعون العرب.. علي مصطفى مشرفة، مبدع في الفيزياء الذرية ونظرية الكم والنسبية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ص ٩٥، ق.ص ٢٤×١٧.
- ٥١- عروبي وليس سامي، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م، ص ٢٣٢، ق.ص ٢٤×١٧.
- ٥٢- الطب النانوي.. طب تقنية النانو، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م، ق.ص: ٢٣×١٧، ع.ص: ١٦٠.
- ٥٣- علم الاقتصاد الإسلامي، الفقر وعلاجه، ج ١، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية سوريا، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ١٥٤.
- ٥٤- سياسة تلقيق الداء لتسويق الدواء، دراسات وأبحاث، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ١٧٣.

- ٥٥- أطلس الكتاب المقدس الصحيح، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية - سوريا، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٨٤، ع.ص: ٩٤.
- ٥٦- تصحيح جغرافية التوراة والإنجيل (أطلس الكتاب المقدس الصحيح)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٣٣٥.
- ٥٧- الأنجيل والرسائل.. قراءة نقدية إنسانية ورؤية استراتيجية عمرانية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٥١٨.
- ٥٨- الطب العمراني، رؤية جديدة في الطب الحضاري والوقائي والعلاجي والمستقبلي، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠١٩م.
- ٥٩- المبدعون العرب، طلال أبو غزالة، فلسفة استثمار التحديات إيجابياً، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٩٢.
- ٦٠- الجهاز المناعي النفسي، قوة وإبداع، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٨٤.
- ٦١- علم الاجتماع الحضاري العمراني، عمران الأرض واستيطان الكون، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٣١٥.
- ٦٢- المبدعون العرب، الدكتور المهندس سعيد بدير، الإبداع في التكنولوجيا الفضائية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٦٦.
- ٦٣- المبدعون العرب، د.يحيى أمين المشد، الإبداع في الفيزياء النووية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٦٦.
- ٦٤- المبدعون العرب، د.سميرة موسى علي، الإبداع في الفيزياء النووية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية-سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٤٨.
- ٦٥- المبدعون العرب، الدكتورة سامية عبد الرحيم يميني، الإبداع في طب المخ والأعصاب، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٥٢.
- ٦٦- فيروس كورونا، طاعون العصر، صناعة رأسمالية شيوعية صهيونية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٢٣١.
- ٦٧- العولمة والاستشراق.. دراسة نقدية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٢٧٢.
- ٦٨- ضرورة فتح مستشفيات لعلاج الأمراض الحضارية، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٣٩.
- ٦٩- أيها العقل العربي.. انطق، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٥٦.
- ٧٠- هندسة الإنسان وراثياً، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ٩٥.
- ٧١- تركستان الشرقية، فلسطين المنسية (الاستعمار الشيوعي الصيني)، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٧٢- صناعة المستقبل، د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٧٣- قانون ملوحي الحضاري، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٧٤- استراتيجية الخطاب العمراني الحضاري، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٧٥- قوانين مضحكة في نظرية الكم والنسبية، (عرض ونقد وبديل)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧.

- ٧٦- علم نفس كوني، (رؤية جديدة لعمران الأرض واستيطان الكون)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٧٧- قانون العمران الحضاري، (الحضارة تلد منتجاتها ولا تستوردها)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٧٨- حكمة الجهاد الأصغر في الإسلام، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-١٤٤٠هـ.
- ٧٩- قانون التقوى للراقي الحضاري، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-١٤٤٠هـ.
- ٨٠- أزمة العلم المعاصر، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٨١- منهج علمي نقدي، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٧م.
- ٨٢- سرقات اينشتين العلمية، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٨٣- هندسة صناعة العقول (تقنيات هندسة الخونة)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، طبعة ثانية معدلة، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٨٤- متى ننهض؟، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- ٨٥- لوزات وناميات (نظري وعملي)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٧م.
- ٨٦- الإدمان.. مخاطره وعلاجه، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٨٧- الاستعمار الإرهابي الوحشي البوذوي في بورما، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٨٨- طب الخلايا الجذعية (الطب الخلوي الجذعي)، Stem cell medicine، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٨٩- النظرية النسبية، (عرض ونقد وتعديل وبديل)، الترجمة الإنكليزية لوجيز النظرية الحلزونية، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م، ع.ص ٤٧٣، ق.ص: ٢٤×١٧.
- ٩٠- هندسة مدرسة فلكية إسلامية معاصرة، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٩١- النظرية الفيزيائية للضوء، (عرض ونقد وتعديل وبديل)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٩٢- ناسا وأمثالها، رحلات زائفة وعلوم مزيفة، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٩٣- معادلات وقوانين النظرية النسبية والكم (عرض ونقد وتعديل وبديل)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط٢، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٩٤- قصف إعلامي فلكي غربي مزيف، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٩٥- حرب المصطلحات Terminology War (الحرب الثقافية النفسية)، دار الغسق للنشر، سلمية، سورية، ط٢، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

- الكتب المترجمة للمؤلف إلى اللغة الإنكليزية

- ١- علم نفس الجنين، (Psychology of Embryo)، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ٢٠٠١م.
- ٢- تكوين العقلية العلمية في القرآن الكريم، (Creating the scientific Mind in the Holy Qoran)، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٣- الحضارة الغربية مريضة وعلاجها بالحسنى فريضة، (The western civilization is ill and treatment it with kindness is ordinance) دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م
- ٤- وجيز النظرية الحلزونية الكونية، (The cosmic spiral theory) مختصر النسخة العربية والترجمة الإنكليزية، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط٢، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: A4، ع.ص: ٦٦.
- ٥- علم معايرة المعتقد والسلوك، (علم ميزان الحكمة)، (النسخة العربية ومختصر الترجمة الإنكليزية)، science of calibration the belief and behavior (Wisdom scale)، دار الغسق للنشر، ط١، سلمية- سوريا، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، ق.ص: ٢٤×١٧، ع.ص: ١١٤.
- ٦- علم نفس الجنين، (Psychology of Embryo)، دار الغسق للنشر، سلمية، سوريا، ط٢، ٢٠١٣م- ١٤٣٤هـ.

- تقديم ومراجعة كتب

- ١- تاريخ الطب، د.حسام خضور، مراجعة: د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغدير، سلمية_سوريا، ط١، ٢٠٠١م.
- ٢- تصحيح مسار العلم، سمير القطريب، تقديم: د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٣- الإعجاز الجغرافي في القرآن الكريم، حاتم إبراهيم عيسى، تقديم: د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ٤- الموسوعة البصرية لعين الإنسان، حسين محمد الملوحي، تقديم: د. ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ٢٠١٥م.
- ٥- النقد الرياضي للعهد القديم، سمير القطريب، تقديم: د.ناصر محي الدين ملوحي، دار الغسق للنشر، ط١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- ٦- رحلة العمر ما بين فن النحت والرسم، الفنان التشكيلي: عبد الكريم الزير، تقديم: د.ناصر محي الدين ملوحي، إنجي للخدمات الطباعية، سلمية_سوريا، ٢٠١٧م.

- من إصدارات دار الغسق للنشر

- ٧- حكم وأقوال، وفاء محي الدين ملوحي، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.
- ٨- رسوم أطفال، نيروز ناصر ملوحي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ٩- رسوم أطفال، رزان ناصر ملوحي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.
- ١٠- الإعجاز الجغرافي في القرآن الكريم، حاتم إبراهيم عيسى، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١١- قصص للأطفال، قمر ناصر ملوحي، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.
- ١٢- تصحيح مسار العلم، سمير القطريب، ط١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٣- رواية سامحت نفسي، محمود درويش جرجنازي، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ١٤- رسومات أطفال، عبير ناصر ملوحي، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ١٥- قصص الأطفال، هند اسماعيل عابدين، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ١٦- زقزقة العصافير، صباح حسين شاهين، بالتعاون مع مكتبة هيا نقرأ، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ١٧- الكندي، اعداد التلميذ: كرم لبيد عبيدو، اشراف المربية صباح حسين شاهين، بالتعاون مع مكتبة هيا نقرأ، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.
- ١٨- الموسوعة البصرية لعين الإنسان، حسين محمد الملوحي، ط١، ٢٠١٥م.
- ١٩- رسومات أطفال، أبرار ناصر ملوحي، ط١، ٢٠١٥م.
- ٢٠- مذكرات وفاء، وفاء محي الدين ملوحي، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- ٢١- النقد الرياضي للعهد القديم، سمير القطريب، ط١، ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.
- ٢٢- رسومات أطفال، منيرة ناصر ملوحي، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٢٣- رسومات أطفال، يعرب ناصر ملوحي، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٢٤- رسومات أطفال، أحمد ناصر ملوحي، ط١، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م.
- ٢٥- رسومات أطفال، محي الدين ناصر ملوحي، ط١، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- ٢٦- رسومات أطفال، صقر ناصر ملوحي، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٢٧- مقالات ورسوم مغترب، علي حسين ملوحي، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٢٨- قصص قصيرة، هدى ناصر ملوحي، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٢٩- زخرفات عربية، نيروز ناصر ملوحي، ط١، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٣٠- رسومات أطفال، منيرة ناصر ملوحي، ط٢، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.
- ٣١- رسومات أطفال، يعرب ناصر ملوحي، ط٢، ١٤٤١هـ-٢٠٢٠م.

- من إصدارات دار الغسق للنشر (تحت الاعداد والطبع)

- ١- المجهر والمرصد الفلكية.
- ٢- المنظومة الحاسوبية السمعية البصرية (رؤية جديدة لتسهيل مهمة الإنسان في السفر الكوني).
- ٣- المنهج العلمي التجريبي والشك النقدي.. ابتكار عربي إسلامي.
- ٤- مقالات حكيم.
- ٥- وجيز الموسوعة الطبية الجراحية في أمراض الأذن والأنف والحنجرة والرأس والعنق.
- ٦- زرع الحلزون.
- ٧- المبدعون العرب، الأستاذ والأديب والمربي مظهر الملوحي، عميد تصحيح التفكير المسيحي من الصليبي الصهيوني إلى السماوي الإنساني.
- ٨- المبدعون العرب، الدكتور إبراهيم فاضل، مبدع نظرية التدافع الكوني وباحث في الفلسفة واللغة والتاريخ الإنساني.
- ٩- الطب الباراسيكولوجي.

من المقالات والأبحاث المنشورة للمؤلف

- ١- عملية جراحية ناجحة في مشفى الشهيد عبد القادر شقفة، لأول مرة تستأصل الحنجرة بالمنطقة الوسطى في سوريا، جريدة الفداء حماه، ع: ٨٤٩٩، الأحد ١٢ رجب ١٤١١هـ- ١٩٩١/١/٢٧م، ص ٢.
- ٢- دراسات إحصائية مقارنة حول النزوف بعد استئصال اللوزات، المجلة الطبية العربية، نقابة الأطباء، دمشق، عام ١٩٩٣.
- ٣- التخين وأضراره، جريدة الفداء حماه، ع: ١٠٨١١، تاريخ ١٩٨٨/٢/١، ص ٤.
- ٤- أهمية علم نفس الجنين، جريدة الفداء حماه، ع: ١٠٨٩٧، تاريخ ١٩٩٩/٣/١٦، ص ٤.
- ٥- سيكولوجيا الأمراض النفسية- الجسمية، جريدة الفداء، ع: ١٠٩٢٧ تاريخ ١٩٩٩/٤/٢٧ ص ٤.
- ٦- الضجيج وأثره على الأذن والصحة العامة، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة سوريا، سنة ٤١، ع ٤٦٨. جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ/ أيلول ٢٠٠٢ ص ٣٠٩-٣١٣.
- ٧- الموقف البناء من مدارس علم النفس، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة دمشق، سنة ٤٣، ع: ٤٧٦، أيار ٢٠٠٣، ص ٢٦٤-٢٦٧.
- ٨- الشيفرة الوراثية ومستقبلها، جريدة الفداء، العدد ١٢٠٥٧، الأربعاء ١٨ ذي الحجة ١٤٢٣هـ- ١٩/٢/٢٠٠٣م.
- ٩- قراءة في كتاب: سيكولوجيا الأمراض النفسية- الجسمية، ندى محمد عادل، جريدة الفداء، العدد ١٢٣٢، الثلاثاء ٢١ ذي القعدة ١٤٢٤هـ- ١٣/١/٢٠٠٤م، ص ٤.
- ١٠- نقص السمع عند الأطفال، مجلة المنبر العربي، العدد ١٩-٢٠، تشرين الأول ٢٠٠٤م، دمشق- بيروت، ص ٥٢.
- ١١- تفعيل حاسة السمع بالتعليم عند الجنين (مشروع فتح روضات لتعليم الجنين)، مجلة التوليد وأمراض النساء، العدد ٣٩، نيسان ٢٠٠٣، إصدار الجمعية السورية لأطباء التوليد والنسائية دمشق، ص ٤٦-٤٩.
- ١٢- تفعيل حاسة السمع بالتعليم عند الجنين، مجلة المنبر العربي، دمشق العدد ١٧-١٨، أيار/ حزيران، ٢٠٠٤م، ص ٣٨-٣٩.
- ١٣- الثقافة الكونية، السمو الحضاري والعمران الكون، مجلة المنبر العربي، دمشق، العددان ٢٥/٢٦، آب/ أيلول ٢٠٠٥م، ص ٥٤.
- ١٤- التعليم اللغوي عند الجنين، مجلة المنبر العربي، دمشق، العددان ٢٧-٢٨، كانون الثاني/ شباط ٢٠٠٦، ص ٩٠.
- ١٥- أنفلونزا العقول وليس أنفلونزا الطيور، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٢٩- نيسان ٢٠٠٦، ص ٤١.
- ١٦- عرض ونقد كتاب: فسيفساء الحياة والكون، (الروح، الأنا، العقل، الزمن)، ج ١، الباحث المهندس فراس أسعد الشياحي، ط ١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، تاريخ العرض والنقد: ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ١٧- الديمقراطية الغربية في عصر العولمة، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٢، أيلول/ تشرين الأول ٢٠٠٦، ص ٢١.
- ١٨- تصنيف جديد للأمراض البشرية، استنهاض الأمة وتفعيل مشروعها الحضاري، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٤ كانون الأول- كانون الثاني، ٢٠٠٧، ص ٢٤-٢٥.
- ١٩- وظيفة العلم والكذب في الإستراتيجية الغربية، المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٥ كانون الثاني- شباط ٢٠٠٧، ص ٣٠-٣١.
- ٢٠- أيها العقل العربي انطلق وأبدع، المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٧، نيسان/ أيار ٢٠٠٧م، ص ٢٦-٢٧.
- ٢١- الجرائم الصهيونية الأنكلوسكسونية في العالم، المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٨، حزيران ٢٠٠٧، ص ٣٥.
- ٢٢- لماذا لا نطالب الغرب بدفع التعويضات للشعوب عن الفترة الاستعمارية؟ المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٦ شباط- آذار ٢٠٠٧م، ص ٥٢-٥٣.
- ٢٣- أينشتاين أكلوبية القرن العشرين، المنبر العربي، دمشق، العدد ٤٣، أيار/ حزيران ٢٠٠٨، ص ٦٩.
- ٢٤- الإبداع بالإنجاز وليس بالأقوال، المنبر العربي، دمشق، العدد ٣٩، آب/ أيلول ٢٠٠٧م، ص ٣٧.
- ٢٥- خرافة التقدم الإنساني في الدول الأوروبية- الأمريكية، المنبر العربي، دمشق، العدد ٤١، كانون الثاني ٢٠٠٨م، ص ١٤.
- ٢٦- ضرورة تكسير الصورة النمطية التقليدية للحضارة الغربية، المنبر العربي، دمشق، العدد ٤٢، آذار ٢٠٠٨م، ص ٢٨.

- ٢٧- التلوث اللغوي، المنبر العربي، دمشق، العدد ٤٤-٤٥، تموز/ آب ٢٠٠٨م، ص ٤٢.
- ٢٨- الإنسان الأخضر يتحدى أزمة الغلاء في الغذاء، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٤٩، كانون الثاني ٢٠٠٩م، ص ٢٤-٢٥.
- ٢٩- تصنيف دولي جديد، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٥٠، أيار ٢٠٠٩م، ص ٥٣.
- ٣٠- إبادة الفقراء في الإستراتيجية الأوروبية الأمريكية، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٥١، حزيران/ تموز ٢٠٠٩م، ص ٤٧.
- ٣١- منهج معرفي جديد لتحليل مشاكل البشرية، مجلة المنبر العربي، دمشق، العدد ٥٢، أيلول ٢٠٠٩م، ص ٣٢.
- ٣٢- برنامج عمل في استنهاض المجتمع، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٠، تشرين الثاني ٢٠٠٩م، ص ١٤-١٥.
- ٣٣- علم الاختراع والتطوير، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦١، كانون الأول ٢٠٠٩م، ص ٢٨-٢٩.
- ٣٤- ثرثرة فوق التاريخ، حذف مقصود لإبداع الحضارة العربية- الإسلامية، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٢، كانون الثاني ٢٠١٠م، ص ٢٦.
- ٣٥- كيف يؤثر الضجيج على الإنسان؟ ملحق مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٢، كانون الثاني ٢٠١٠م، ص ٨.
- ٣٦- تحليل الشخصية اليهودية في التلمود والتوراة، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٣، شباط ٢٠١٠م، ص ٣٠-٣١.
- ٣٧- العضلات النافرة والعقول الضامرة، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٣، شباط ٢٠١٠م، ص ٤٤.
- ٣٨- ضرورة صياغة المصطلحات العربية لنشرها عالمياً، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٤، آذار ٢٠١٠م، ص ٣٦-٣٧.
- ٣٩- القمع التخصصي... متى نتخلص منه؟ مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٤، آذار ٢٠١٠م، ص ٣٧.
- ٤٠- الطب النفسي الكهربائي.. المعالجة بالصدمة الكهربائية في الطب النفسي العصبي، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٥، نيسان/ أيار ٢٠١٠م، ص ٢٩.
- ٤١- شكل جديد للذرة، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٥، نيسان/ أيار ٢٠١٠م، ص ٢٨-٢٩.
- ٤٢- العالم العربي حسن كامل الصباح (ثمانون اختراعاً كهربائياً والكترونياً)، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٦، حزيران ٢٠١٠م، ص ٢٦-٢٧.
- ٤٣- مقياس الأصمعي في الرقي الحضاري، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٦، حزيران ٢٠١٠م، ص ٢٧.
- ٤٤- الفيلسوف مالك بن نبي.. الإبداع في علم الحضارات، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان-أثينا، العدد ٦٧، تموز ٢٠١٠م، ص ٤٢-٤٣.
- ٤٥- مفهوم جديد للذرة في النظرية الحلزونية الكونية، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان-أثينا، العدد ٦٨، تشرين الثاني ٢٠١٠م، ص ٣٤-٣٦.
- ٤٦- أينشتاين أكلذوبة القرن العشرين، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٦٩، كانون الثاني ٢٠١١م، ص ٤٤-٤٥.
- ٤٧- مسار الكواكب والذرات.. زخارف هندسية جميلة، مجلة الرواد، دمشق، تصدر عن دار الآداب والعلوم وللصحافة والطباعة والنشر والإنتاج الفني، اليونان - أثينا، العدد ٧٠، شباط- آذار ٢٠١١م، ص ٤٤.

- ٤٨- أينشتاين.. من أكاذيب القرن العشرين، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٨٣، السنة ٥١، جمادى الأولى ١٤٣٣هـ/ نيسان ٢٠١٢م، ص ١٩٨-٢٠٣.
- ٤٩- حاجتنا لنظرية جديدة تفسر الظواهر الكونية المجهولة..، مجلة المعرفة، وزارة الثقافة، دمشق- سوريا، العدد ٥٨٧، لسنة ٥١، رمضان ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، ص ١٢٧-١٣٨.
- ٥٠- ضرورة فتح مستشفيات لمعالجة الأمراض الحضارية، مجلة العربي، الكويت، عدد ، سنة ، رمضان ١٤٣٣هـ/ آب ٢٠١٢م.
- ٥١- النظرية الحلزونية الكونية، دناصر محي الدين ملوحي، الأدب العلمي، مجلة ثقافية علمية أدبية، جامعة دمشق، العددان ٤١-٤٢، كانون الثاني-شباط ٢٠١٧م، ص ١٣٥-١٥٧.
- ٥٢- عولمة الفقر والنهب.. اعطفوا على الفقراء بالقضاء عليهم، المعرفة، مجلة ثقافية شهرية، وزارة الثقافة، دمشق-سوريا، العدد ٦٤٩، السنة ٥٦، محرم ١٤٣٩هـ-تشرين الأول ٢٠١٧م، ص ٣٩-٥٠.
- ٥٣- الأمراض التحسيسية التنفسية والفيروسية في فصل الربيع، وأسباب ظهور كورونا وانتشاره في العالم، مقابلة وحوار مع الدكتور ناصر محي الدين ملوحي، الصحفي عهد رستم، جريدة الفداء، مؤسسة الوحدة للصحافة..، حماه، سورية، العدد ١٦١٨٥، الثلاثاء ٢٢ رجب ١٤٤١هـ الموافق ١٧ آذار ٢٠٢٠م، ص ٤.

من محاضرات ودراسات وحوارات المؤلف 528

- ١- القوة النفسية عند الإنسان ١٠/٥/١٩٧٦.
- ٢- ضرورة الوحدة العربية ١١/١٦/١٩٧٦.
- ٣- الرأي قبل شجاعة الشجعان ٢/٩/١٩٧٧.
- ٤- دراسة فكرية نقدية للفلسفة المادية الرأسمالية والماركسية ٢/١/١٩٧٧.
- ٥- تطور ثقافة الإنسان بين الإفلاس المادي والسمو الروحي ٤/٢٦/١٩٧٧.
- ٦- الأفكار تقود العالم (دراسة في كتاب مشكلة الثقافة، للباحث مالك بن نبي) ٧/٣/١٩٧٧.
- ٧- الخيال العلمي المستقبلي في نقل الكرة الأرضية إلى نجم آخر عند نفاذ الوقود النووي للشمس ٧/٢٢/١٩٧٧.
- ٨- مراحل خلق الإنسان وتطوره في الحياة الرحمية ١٩٧٧.
- ٩- الفلسفة بين العقل والعلم ١٩٧٧.
- ١٠- العلماء المجرمون في السباق الذري بين الدول الكبرى ١٩٧٧.
- ١١- دراسة تحليلية للنظرية النسبية الخاصة والعامة ٨/٩/١٩٧٧.
- ١٢- دراسة تحليلية لكتب الباحث ج. سوليفان G.W.Sullivan (الكون المتسع عدد صفحاته ٢٨، طبيعة العقل ص ٦١، حدود العلم ص ٥٤، قيمة العلم ص ٥٦) ٩/٢٥/١٩٧٧.
- ١٣- نظرية الكم ومستقبلها ١١/١٣/١٩٧٧.
- ١٤- نشوء وتطور الكون بين العلم الفيزيائي والفكر الفلسفي ١٩٧٧.
- ١٥- الجاذبية الأرضية ومعادلات وزن كتلة الكرة الأرضية ١٩٧٧.
- ١٦- دراسة تحليلية نقدية لكتاب جمهورية أفلاطون ١/٢٨/١٩٧٨.
- ١٧- عرض كتاب تحرير المرأة لقاسم أمين ١٩٧٨.
- ١٨- اللامعقول في الفلسفة الوجودية ٢/١٣/١٩٧٨.
- ١٩- بعض الأفكار المستقبلية في علم هندسة الوراثة ١٩٧٨.
- ٢٠- بحثاً عن الجمال بين العلم والفلسفة ١٩٧٨.
- ٢١- تطور المجتمع والدولة عند ابن خلدون ١٩٧٩.
- ٢٢- المشاريع الهندسية الكبرى وتشريح الجسم البشري (تصميم الصالات الكبرى وفق هندسة تشريح الجمجمة)، دمشق ١٩٨٢.
- ٢٣- الأسس الفيزيولوجية للسلوك البشري، دمشق ١٩٨٣.
- ٢٤- الفيزيولوجيا المرضية للانفعال، دمشق ١٩٨٣.
- ٢٥- الموقف البناء من مدارس علم النفس، دمشق ١٩٨٤.
- ٢٦- البنى التشريحية والفيزيولوجية والثقافية للجهاز المناعي النفسي عند الإنسان، دمشق ١٩٨٤.
- ٢٧- الطب النفسي- الجسمي، ١٩٨٥.
- ٢٨- المعالجة الحضارية الشاملة للأمراض النفسية- الجسمية، ١٩٨٥.
- ٢٩- آفات المري، دراسة إحصائية ميدانية في مشفى المواساة، دمشق ١٩٨٧.
- ٣٠- آفات الحنجرة الولادية، بحث علمي ودراسة إحصائية ميدانية في مشفى الأطفال ومشفى المواساة، كلية الطب البشري، جامعة دمشق، ١٩٨٨.

- ٣١- الدوار الدهليزي، اللجنة الطبية العلمية، مشفى سلمية الوطني ١٩٨٩/٢/٩.
- ٣٢- التهابات الأذن الوسطى من برنامج أسبوع الثقافة الطبية المستمرة الأول في مشفى سلمية الوطني ١٩٩١/٣/٢٨ - ١٩٩١/٣/٢١.
- ٣٣- برنامج إذاعي حول الوقاية والعلاج من مرض التهاب الأذن الوسطى المصلي عند الأطفال، إذاعة دمشق، صوت الشعب، الزاوية الصحية، (١٩٩٢).
- ٣٤- آفات العصب الوجهي، من برنامج أسبوع العلم في مشفى سلمية الوطني ١٩٩٢/١/١٦ - ١٩٩٢/١/٢١.
- ٣٥- تدبير كتلة في العنق، مشفى سلمية الوطني.
- ٣٦- انسداد الأنف الخلفي الخلفي، مشفى سلمية الوطني.
- ٣٧- تدبير الرعاف، مشفى سلمية الوطني.
- ٣٨- التهاب الأنف التحسسي، مشفى سلمية الوطني.
- ٣٩- التدخين أو الصحة، المركز الثقافي العربي في سلمية، ١٩٩٧/١١/١٢.
- ٤٠- الإيدز- برعاية اتحاد شبيبة الثورة في سلمية، ثانوية جميل عيسى ١٩٩٧/١٢/٥.
- ٤١- التهاب الأذن الوسطى المصلي عند الأطفال، مدينة سلمية ١٩٩٩/٧/٧.
- ٤٢- تاريخ الطب النفسي عند العرب المسلمين، ٢٠٠٠.
- ٤٣- أبو القاسم الزهراوي أبو الجراحة الحديثة، ٢٠٠٠.
- ٤٤- المنهج التجريبي- الاستقرائي في البحث العلمي من إبداع ابن الهيثم، ٢٠٠٠.
- ٤٥- ديكارت وبيكون من تلاميذ ابن الهيثم، ٢٠٠٠.
- ٤٦- علاء الدين بن الشاطر الفلكي الدمشقي مبدع نظرية مركزية الشمس، ٢٠٠٠.
- ٤٧- البيروني أول من انتبه إلى دوران الأرض حول محورها ودورانها حول الشمس، ٢٠٠٠.
- ٤٨- كيفية قياس محيط الكرة الأرضية عند العرب المسلمين أيام الخليفة المأمون، ٢٠٠٠.
- ٤٩- المنهج التجريبي العملي عند الرازي، ٢٠٠٠.
- ٥٠- تأثير الفلسفة الرشدية في الفلسفة الأوروبية، ٢٠٠٠.
- ٥١- الوسائل الوقائية من مرض الإيدز، برعاية اتحاد شبيبة الثورة في سلمية، ٢٠٠٠/١١/٢٤م.
- ٥٢- هندسة الإنسان وراثياً والإنسان الأخضر نموذجاً، اللجنة العلمية مشفى سلمية الوطني، ٩ جمادى الأولى ١٤٢٣ / ١٨ تموز ٢٠٠٢م.
- ٥٣- التهاب الأذن الوسطى المصلي كأهم سبب لنقص السمع عند الأطفال، مشفى سلمية الوطني، ٧ جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ / ١٥ آب ٢٠٠٠م.
- ٥٤- التهاب الأذن الوسطى القيجي، تل الدرة، سلمية، ٧ رجب ١٤٢٣هـ / ١٣ أيلول ٢٠٠٢م.
- ٥٥- حواس الجنين وأهمية مشروع فتح روضات لتعليم الأجنة في سوريا، اللجنة العلمية، مشفى سلمية الوطني- ١٣ رجب ١٤٢٣هـ / ١٩ أيلول ٢٠٠٢م.
- ٥٦- تعليم الجنين، المركز الثقافي العربي في السلمية (عقارب) الساعة ٦ مساءً، يوم الخميس ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٣م / ٢٤ محرم ١٤٢٤هـ.
- ٥٧- الدوار الدهليزي، نظرية التوازن البشري، الأربعاء الساعة ١٢، ٥ ظهراً مشفى سلمية الوطني، ٣٠ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ / ٦ تموز ٢٠٠٥م.
- ٥٨- حوار تلفزيوني، تقديم الأستاذ عبد الرحيم فاخوري، حول سلسلة المبدعين العرب، الباحثة ببداء عبد الكريم الزير، الإبداع في علم المعلومات، مساء يوم الاثنين الساعة ٦، ٣٠، ١٧ ذي الحجة ١٤٢٦هـ / ١٦ كانون الثاني ٢٠٠٦م، قناة سوريا الثانية، بالإضافة إلى حوار مع والدها السيد عبد الكريم الزير، حيث تحدث عن حياتها ونبوغها وإبداعها وعلمها.
- ٥٩- محاضرة تعليم الجنين، مشروع فتح روضات لتعليم الأجنة، ناصر ملوحي، المركز الثقافي العربي في مدينة الثورة (دار الباسل للثقافة) سوريا، الخميس ٢٢ ربيع الأول ١٤٢٧ / ٢٠ نيسان ٢٠٠٦م، دار الغسق للنشر، سلمية- سوريا.

- ٦٠- حوار تلفزيوني: أهمية تعليم الجنين وضرورة فتح روضات لتعليم الأجنّة، التلفزيون العربي السوري، برنامج درة الفرات، الاثنين ٢٣ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ/١٩ حزيران ٢٠٠٦م.
- ٦١- مقابلة مع عبد الكريم الزير تحدث فيها حول عائلته وإبداع ابنته ببداء، وتفوق أولاده، وكتاب ببداء عبد الكريم الزير للمؤلف: د. ناصر ملوحي، قناة سوريا الأولى، يوم الجمعة، برنامج: الكاميرا والناس، إعداد وتقديم: عبد المعين عبد المجيد، الساعة ١٢,٢٠ ظهراً ١٣ رمضان ١٤٢٧هـ/ ٦ تشرين أول ٢٠٠٦م.
- ٦٢- إذاعة دمشق، صوت الشعب، برنامج كتاب الأسبوع حول آينشتاين أكنوبية القرن العشرين، د. ناصر ملوحي، إعداد: أحسن الحموي، الجمعة، ٢٠٠٨/٩/١٢.
- ٦٣- التشخيص التفريقي لنقص السمع الجديد في علاجه، الخميس ٢٤/شوال/١٤٤٠هـ-٢٧/حزيران/٢٠١٩م، (الساعة الواحدة ظهراً)، مشفى سلمية الوطني (مشفى الشهيد اللواء قيس أحمد حبيب الوطني)، برعاية شركة راما فارما الدوائية (Rama Pharma).
- ٦٤- محاضرة الطب النانوي (طب تقنية النانو)، الاثنين ٣/محرم/١٤٤١هـ-٢/أيلول/٢٠١٩م، (الساعة الواحدة ظهراً)، مشفى سلمية الوطني (مشفى الشهيد اللواء قيس أحمد حبيب الوطني).

لإبداء الرأي والنقد والاقتراح وطلب الكتب على العنوان:



التعليم والتثقيف والإبداع مستمر لسمو العمرانية والعالمية والكونية

Mallouhi For Medical & Scientific Research (MSR)

سلمية- سورية هـ ٨٢٦٠٢٦ - ٨١٤١٢٠ - ٠٣٣

طبعة ثانية معلّنة

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م.